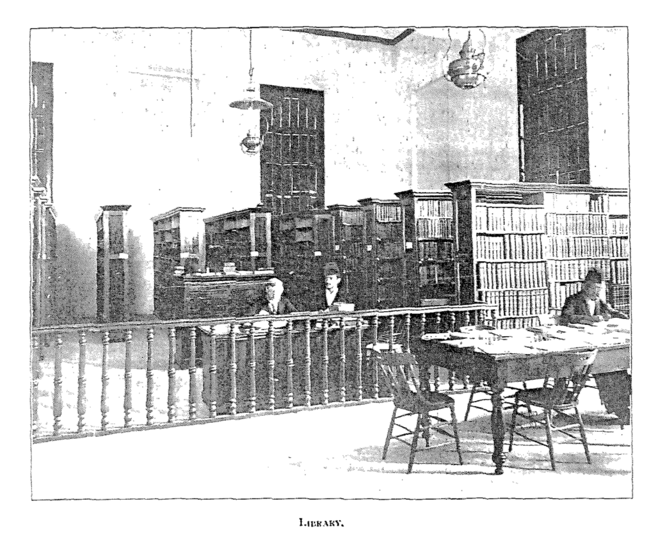




LIBRARY.

مكتبة المدرسة الكلية في بيروت

المقتطف

الجزء السابع من المجلد السادس والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠١ = الموافق ١٤ ربيع الاول سنة ١٣١٩

المدرسة الكلية ومكتبتها

انتهت الآن السنة الخامسة والثلاثون منذ انشئت اول مدرسة جامعة في الديار العربية بعد ما تقلَّص منها ظل العلم و بزغت شمسهُ في ربوع المغرب . أُنشئت في مدينة بيروت مرضعة الحكمة في عهد الرومان وأوت يوم انشائها الى دار صغيرة للطيب الذكر والاثر المرحوم بطرس البستاني . دخل تلك الدار نحو ستة عشر تلميذاً واخذ رئيس المدرسة ومنشئها الدكتور دانيال بلس يلقي علينا بعض الدروس الجبرية والمرحوم الشيخ ناصيف اليازجي دروس النحو والبيان من كتابيهِ نار القرى وعقد الجمان وغيرهما من الاساتذة غيرها من العلوم

وفي العام التالي جاء الدكتور ڤان ديك والدكتور ورتبات والدكتور بوست وانضموا الى اساتذة المدرسة وشرعوا في تدريس العلوم الطبية . وبعد سنتين أُخريين — وكان قد مرَّ على المدرسة اربع سنوات — وقف خمسة في منبر الخطابة امام والي دمشق ومتصرف بيروت ووجهاء البيروتيين واللبنانيين وخطبوا في بعض المواضيع العلمية والفلسفية والادبية والاجتماعية مما تعلموهُ عن غوامض الكون وقوى العقل واسباب الارتقاء وطالبوا الحكومة بما يجب عليها نحو امتها وعاهدوا بلادهم امام ربهم ان يبذلوا النفس والنفيس في سبيل ارتقائها

وسارت المدرسة الكلية على هذا النسق سيراً بطيئاً بقدم راسخة وبنت لها داراً في رأس بيروت من اجمل دور العلم في اطيب بقعة من بقاع الارض تشرف على البر والبحر والجبال والوهاد . ومرَّ عليها خمس عشرة سنة وحرية القلم وحرية اللسان مطلقتان لاساتذتها وتلامذتها يؤلفون و يصنفون وينشرون والناس يقرأُون وتستعز نفوسهم بعد سني الذل المتوالية . حتى اذا زرنا القطر المصري قُبَيْل الثورة العرابية قابلنا خدويها ووزراؤُها كأَننا وفود من دار العلم

والعرفان وسفراء من بلاد الحرية والاستقلال لما كانوا يسمعونهُ عن بيروت ويقرأونهُ في جرائدها

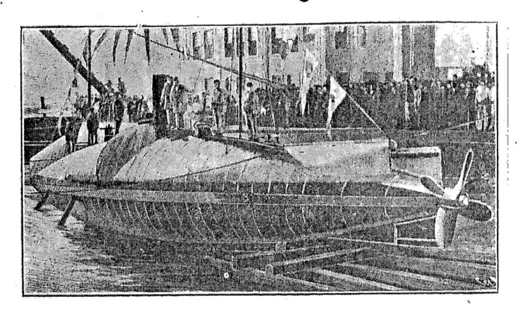
لكن ما اسرع ما تتغير الايام . اول خطبة عمومية تليت في دار تلك المدرسة عند توزيع شهاداتها تلوناها مطالبين الدولة بالاصلاح والامة بالسعي فصفق لنا والي سورية قبل غيره . وآخر شيء وصلنا من والي سورية قبل ان غادرناها إخطارٌ رسمي بمنع حرية الصحافة

الاَّ ان المدرسة الكلية جسم حيٌّ نامٍ وهي مثل كل الاجسام الحية تعرض لها العوارض الخارجية فتضعف اولاً وتنكمش حتى اذا الفتها زال انفعالها منها وعادت الى النمو والريعان

واي نموٍّ اظهر من النمو الذي رأتهُ في السنوات الأخيرة فقد اتسعت مبانيها باضافة الدور الكثيرة اليها وأُنشئ فيها قسم استعدادي كبير تعلم فيهِ مبادئ العلوم واللغات وقسم تجاري لتخريج الشبان في ماتمس الحاجة اليهِ للنجاح في التجارة وزاد عدد تلامذتها زيادة لامثيل لها فبعد ان بقي عددهم عشرين سنة دون المئة في قسميها العلمي والطبي صار فيهما الآن ٢٣٢ تلميذاً وبلغ عدد تلامذة القسم الاستعدادي والتجاري ٣٢٢ تلميذاً. وقد بلغ عدد الذين اتموا دروسهم في قسمها العلمي حتى الآن ١٩١ وفي قسمها الطبي ١٨٣ وفي قسمها الصيدلي ٧٨ وفي قسمها الاستعدادي ٤١٦ يطرح منهم ١٦٧ لانهم درسوا في قسمين او اكثر من اقسامها فيبقى سبع مئة شاب كلهم تقريباً من رعايا الحكومة العثمانية ومنهم الآن التجار والاطباء والمحامون والمعلمون والمحررون والموظفون في الوظائف الادارية المختلفة ولهم كلهم اليد الطولى في اعادة العلم والعرفان الى ديار المشرق

وتمتاز المدرسة الكلية على غيرها من مدارس مصر والشام بترغيبها تلامذتها في المطالعة فقد اعدَّت لهم مكتبة كبيرة فيها نحو عشرين الف مجلد وضعتها في دار فسيحة كثيرة النور مطلقة الهواء ترى صورتها من الداخل في اول هذا الجزء وفيها من نخبة كتب المراجعة كالانسكلوبيذيا البريطانية والانسكلوبيذيا الاميركية وانسكلوبيذيا ريس وكتب بليني في التاريخ الطبيعي ونحو ذلك من الكتب الشهيرة التي يغني كلٌّ منها عن مكتبة كبيرة . واكثر الكتب باللغة الانكليزية ولكن فيها نحو الف مجلد باللغة العربية وبعضها من كتب الخط النادرة وفيها ايضاً الف ومئتا مجلد في العلوم الطبية ونخبة المجلات العلمية بالعربية والانكليزية والفرنسوية . والتلامذة دئبون على مطالعة هذه الكتب والمجلات ولا سيما ما يتعلق منها بدروسهم حتى تتنور اذهانهم وتتسع معارفهم ولذلك يخرجون من المدرسة وقد عرفوا من تاريخ العلم والفلسفة واقوال العلماء وآرائهم ما تقصر عن استيفائهِ كتب التدريس

الغوَّاصة العثمانية



تمسُّ الحاجة الى شيء من الاشياء فيبحث عنهُ المخترعون والمستنبطون ويدأبون جهدهم وهم يصنعون ما يظنونهُ وافياً بالغرض فلا يفي بهِ ولكن لا يذهب تعبهم سدى بل يكون اساساً لاستنباط آخر يمكن العمل بهِ فلا يكاد يظهر حتى يرى كل احد نفعهُ ويشيع استعمالهُ حالاً. وهذا شأن اكثر المخترعات الحديثة

وقد ابنَّا في فصل سابق نشرناهُ في الجزء الثاني الصادر في غرة فبراير الماضي ان الناس شعروا بالحاجة الى سفينة تغوص تحت الماء وبذلوا جهدهم في استنباطها منذ ثلثمئة سنة ولكنهم لم يهتدوا الى عمل سفينة تفي بالغرض الاَّ الآن وحالما ثبت ان السفينة المطلوبة قد صُنعت اخذت الدول البحرية تهتم بعمل سفن مثلها

وقد قرأنا الآن ان رجلاً انكليزياً اسمهُ غرت اشترك مع نوردنفلت صانع البندقية المنسوبة اليهِ وصنعا سفينة تغوص تحت الماء منذ سنة ١٨٨٨ ثم صنعا سفينة اخرى اتقناها تمام الاتقان وابتاعتها منهما الحكومة العثمانية وهي المرسومة ههنا

طول هذه السفينة مئة قدم وتفريغها ١٦٠ طنًّا وفيها آلة بخارية قوتها ٢٥٠ حصاناً وهي تسير على وجه الماء كالسفن العادية ٩٠٠ ميل بحري اي قدر ما تستطيع حملهُ من الوقود. واذا اريد ان تسير تحت الماء سدّت مدخنتها وفتحة دخول الهواء اليها وسُحب الماء الى حياض ثلاثة فيها فتثقل وتغوص في الماء. ويكون الماء حارًّا جدًّا في آلتها البخارية فتبقى دائرة وتدفع

السفينة تحت الماء ولا يبقى ظاهرًا منها الاَّ مرقب زجاجي صغير يرى منهُ ما حولها

وغني عن البيان ان السفن الغواصة تستطيع الدنو من البوارج الكبيرة لقذف التربيد تحتها فاذا كثرت عند الدول تغيرت بها الحروب البحرية واختلف مصير العمران عما نراه عليهِ الآن

طبائع الضفدع

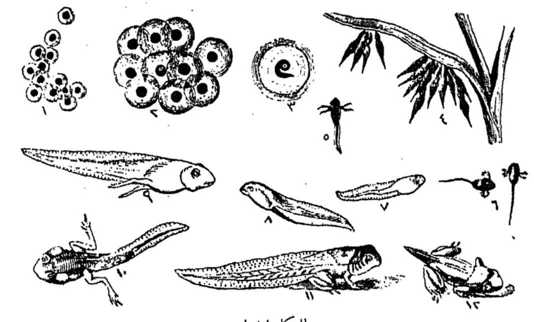
طبائع الحيوان غرائب في غرائب وتزيد غرابتها اذا درسها المرء درسًا مدققًا وقابل بين انواع الحيوان واصناف كل نوع منها وما يمتاز بهِ بعضها عن بعض

والضفدع من الحيوانات الحقيرة يُكرَه صوتها ولو كان تسبيحًا وتشمئز النفس من منظرها وملمسها ولو كان البعض يأكلونها ويتنافسون بلحمها . يراها كل احد مرارًا في عامهِ ولكن قلَّ من درس طبائعها من غير العلماء الراسخين . اما علماؤُنا الذين تكلموا في طبائع الحيوان فقال الدميري منهم "انها تتولد من المياه القائمة الضعيفة الجري ومن العفونات وعقب الامطار الغزيرة حتى يظن انها تقع من السحاب لكثرة ما يرى منها على الاسطحة عقب المطر والريح وليس ذلك من ذكر وانثى وانما الله تعالى يخلقها في تلك الساعة من طباع تلك التربة" . وقولهُ هذا مثل كثير من اقوال المتقدمين الذين يحيلون على العلة الاولى كل ما يجهلون علتهُ الثانوية

والحقيقة ان الضفدع وكل انواع الحيوان لا تولد الاَّ من ذكر وانثى فتبيض الانثى بيضًا صغيرًا مستديرًا كما ترى عند الرقم ١ في الشكل الاول وفي كل بيضة نقطة مظلمة حولها مادة هلامية والغالب ان تكون هذه البيوض منظومة سمطًا طويلاً جدًّا كسمط اللؤلوء طولهُ بضع اقدام. ويتصل بها اللقاح من الذكر بعد خروجها من الانثى كما يحدث في بيض السمك فتأخذ تنمو وتكبر كما ترى عند الرقم ٢ . والنقطة السوداء التي في قلبها تمتص حرارة الشمس وتنمو بالانقسام كما ينمو غيرها من الحويصلات الحية حتى تصير جسماً مستطيلاً كما ترى فوق الرقم ٣ ثم تشق الغلاف الذي حولها وتخرج من بيوضها دعاميص صغيرة تسبح في الماء وتعلق بما فيهِ من الاعشاب كما ترى فوق الرقم ٤ . وتتولد لها خياشيم تتنفس بها كما ترى فوق الرقمين ٥ و٦ وتعود الخياشيم فتندغم فيها ويكون ذنبها دقيقًا فيكبر ويتسع وتصير مثل السمك تمامًا كما ترى فوق الرقمين ٧ و ٨ . ثم يتولد لكلٍّ منها رجلان كما ترى فوق الرقمين ٩ و ١٠ ويتولد لها يدان ايضًا كما ترى فوق

الرقم ١١ وقد تظهر يداها قبل رجليها ويقصر ذنبها فتصير اقرب الى الضفدع منها الى السمكة كما ترى فوق الرقم ١٢ واخيرًا يزول ذنبها تمامًا وتصير ضفدعًا تامة الخلقة مثل ابيها وامها وهما لا يعلمان شيئًا من امرها لانهما يتركانهما وهي بيضة بعد ان يضعاها في مكان صالح لها

هذا اذا كانت الضفدع مما يبيض بيضًا كثيرًا يكفي لحفظ النوع ولو هلك الكثير منهُ واما اذا كانت مما يبيض بيضًا قليلًا فلا تترك بيضها للطبيعة كما يترك عامة الناس اولادهم بل تعتني بهِ اعتناء خاصًا كما يعتني الخاصة باولادهم واليك بيان ذلك لما فيهِ من الغرابة والفكاهة



الشكل الاول

قلنا ان الضفدع تبيض بيضها في الماء وهي تختار الماء الراكد الضحضاح وكثيرًا ما يحدث ان يكون الماء بركة كبيرة يقيم الماء فيها اشهرًا فتلبث الدعاميص فيها زمانًا طويلًا وهي تنمو وتكبر مفضلة الحياة المائية على الحياة البرية حتى تصير قدر الضفدع الكبيرة ولا تطرح ذنبها لانهُ يعينها على السباحة . ويحدث ايضًا ان ينضب الماء سريعًا فتبادر الدعاميص الى التخلق باخلاق الضفادع فتنبت ايديها وارجلها ويزول ذنبها حتى اذا جفَّ الماء تمامًا مشت على اليابسة كالضفادع الكبيرة ولو كانت صغيرة كالنحل او اصغر والاول والثاني صنفان مختلفان

وقد لا تجد الضفدع ماء راكدًا لتضع بيضها فيهِ فتضعهُ تحت حجر وقاية لهُ من اشعة الشمس ويكون حينئذٍ كبيرًا جدًّا فيقضي الجنين في البيضة الطور الاول من حياتهِ الذي يحياهُ حينما يكون دعموصًا حتى اذا خرج منها خرج ضفدعًا كاملة

ومن الضفادع نوع يصنع لبيضهِ حفرةً مستديرةً قرب الماء يضعهُ فيها بعد ان يحوطهُ بشيءٍ

من الزبد كرغوة الصابون حتى اذا خرجت الدعاميص من هذا البيض سارت الى الماء واقامت فيه الى ان تظهر قوائمها و يزول ذنبها . ونوع يضع بيضهُ في اوراق الاشجار و يحوطهُ بالزبد على ما تقدم ويجف ظاهر الزبد و يسيل باطنهُ فتخرج الدعاميص من البيض تسبح في السائل الذي حولها الى ان يقع عليها المطر فتنزل معهُ الى البرك التي تجتمع تحت الاشجار . وقد تلتف اوراق الشجر على البيض فتقيهِ من الشمس الى ان يقع المطر فتنزل معهُ الى برك الماء

ومنها نوع يبني لبيضهِ عشًّا مستديرًا من الطين في الماء و يعليهِ رويدًا رويدًا حتى يرتفع عن سطح الماء قليلاً و يظهر فيهِ كحلقة مستديرة. تبنيهِ الانثى بيديها وزوجها جالس على ظهرها وتمسحهُ ببطنها من الداخل حتى يصير متينًا صقيلاً وتبيض فيهِ وتترك بيضها مطمئنة وتخرج الدعاميص منهُ وتبقى في العش الى ان يتهدم .


الشكل الثاني


الشكل الثالث

ظهر مما تقدم ان الضفادع فريقان فريق يبيض بيوضاً كثيرة جدًّا ويترك بيوضهُ للطبيعة يعيش منها ما يعيش ويموت ما يموت . وفريق يتحوط لصغارهِ تحوطاً ما بحفرة يضعها فيها او كرة هلامية يحوطها بها او بيت من الطين يبنيهِ لها . وقد بقي فريق ثالث وهذا لا يترك البيوض وشأنها ولا يتحوط لها ويتركها بل يحتفظ بها بنفسهِ الى ان تظهر الدعاميص منها او الى ان تقوى على السعي لنفسها من ذلك الضفدع القابلة وهي برية كثيرة في سويسرا وفرنسا وغربي المانيا ومن خواصها ان الذكر منها يحمل بيض انثاهُ بين فخذيهِ رابطاً اياها بربائط كما ترى في الشكل الثاني ويبقى حاملاً لها الى ان يحين الوقت لخروج الدعاميص منها فيمضي بها الى الماء و يضعها فيهِ . ولا يُعلم كيف يستلقي البيض من انثاهُ و يربطهُ بين ساقيهِ ولكن الرباط يكون في البيض حال خروجهِ من الانثى كما هو معلوم في حبل القر

ويقال ان الذكر يجلس وراء الانثى ويوصل اول حبل البيض باحدى ساقيهِ و يصير ينقلب على نفسهِ وحبل البيض يخرج منها الى ان يلتف الحبل كلهُ على ساقيهِ حتى اذا تمَّ لهُ ذلك غنَّى اغنية السرور بصوت اطرب من النقيق وسار في طلب رزقهِ الى ان تتمَّ مدة الحضانة

ويحين الوقت لخروج الدعاميص فيمضي بها الى الماء على ما تقدَّم

وفي جزيرة سيلان ضفدع من ضفادع الاشجار تضع بيضها في كيس وتحملهُ على بطنها كما ترى في الشكل الثالث وتحضنهُ الى ان تخرج الدعاميص منهُ

وفي جزائر سشل ضفدع يحمل دعاميصهُ على ظهرهِ كما ترى في الشكل الرابع والذي يحملها الذكر لا الانثى وفي هذه الدعاميص مادة غروية تلصق بها بظهر ابيها وتبقى لاصقة بهِ الى ان يتم نموها وتظهر قوائمها وهو يحملها صابرًا كما حملهُ ابوهُ من قبلهِ


الشكل الخامس


الشكل الرابع

وفي فنزويلا وترندال ضفدع اذا جفت البرك اسرعت دعاميصها الى ظهر ابيها او الى ظهر علجوم آخر سواءٌ كان ابيها او لم يكن ولصقت بهِ فيحملها و يسير بها الى بركة

وفي بلاد غينيا الهولندية ضفدع توجد ودعاميصها لاصقة بظهرها كما ترى في الشكل الخامس وهي الانثى لا الذكر كأن حمل الصغار يختلف باختلاف البلدان فيكون في بعضها قسمة الانثى وفي بعضها قسمة الذكر

والضفادع المتقدم ذكرها تحمل صغارها من غير ان يكون في بدنها جهاز خاص معدٌّ لحملها بهِ ولكن في بلاد برازيل ضفدع من ضفادع الاشجار على ظهرها حفرة كبيرة كأنها حظيرة يحيط بها سور فتضع بيضها فيها كما ترى في الشكل السادس على الصفحة التالية وتحملهُ الى ان تخرج الدعاميص منهُ . وهناك ضفدع اخرى فيها ما هو اغرب من ذلك فان في ظهرها حفرًا صغيرة والظاهر ان الذكر يستلقي البيض من انثاهُ ويفرقهُ في هذه الحفر فيغرق فيها ويبقى هناك الى ان تخرج الضفادع الصغيرة منهُ كما ترى في الشكل السابع ويمضي عليها ثلاثة اشهر من حين يوضع البيض في الحفر الى ان تخرج الصغار منهُ وتسعى في طلب رزقها

ولا تنتهي غرائب الضفادع هنا بل بقي منها ما هو اغرب من ذلك كثيرًا في الضفدع التي اكتشفها الشهير دارون في بلاد شيلي فان علجومها (وهو ذكر الضفدع) يبتلع البيض حالما تبيضهُ انثاهُ لا لكي يأكلهُ و يغتذي بهِ كما تفعل حيوانات كثيرة تأكل اولادها بل

لكي يحضنهُ في بطنهِ ويقيهُ شر الاعداء ويمهد لهُ سبيلاً للنمو آمناً . وهو لا يبتلعهُ الى معدتهِ بل الى كيس كبير في بطنهِ لا باب لهُ الاَّ من فيهِ . وفراغ هذا الكيس ممتد تحت بطن العلجوم وحول حقويهِ حتى يكاد يصل الى سلسلة ظهرهِ . والبيوض كبيرة وعددها قليل من خمس الى خمس عشرة بيضة فتخرج الدعاميص منها تسرح وتمرح في جوف ابيها الى ان يتكامل نموها وهو صابر صبر الكرام وتضطر احشاؤُهُ ان تضيف من اجل ذلك وان يقل طعامهُ كثيرًا لكنهُ لا يشكو ضيمًا بل يصبر على بلواهُ الى ان تكبر صغارهُ وتصير قادرة على السعي والدفاع عن نفسها فتخرج من فيهِ الواحدة بعد الاخرى ولا تدري ان بنات خالتها الضفادع المائية العادية يذهب اكثرها فريسة لوالديها



الشكل السابع



الشكل السادس

وفي فنزويلا ضفدع أُخرى ابت ان تكون اقل ايثارًا على نفسها من هذا العلجوم فان في ظهرها ثقباً كبيرًا يوصل الى باطنها يتفرَّع منهُ دهليزان طويلان يمتدان حول حقويها حتى يكادا يحيطان بها . ولا يعلم كيف يتكون هذا الفراغ بين جلد الضفدع واحشائها ولا هل هو فيها دائمًا او يتكوَّن في فصل التوليد فقط . ولا اتصال بينهُ وبين المبيض فلا بدَّ من ان يخرج البيض من المبيض اولاً ثم يوضع في الثقب الذي على ظهر الضفدع ولعلَّ الذكر يفعل ذلك اي انهُ يستلقي البيوض و يضعها في الثقب المشار اليهِ. والبيوض كبيرة قطر البيضة منها سنتمتر وعددها قليل وجد منها اربع في الغرفة الوسطى واحدى عشرة في الدهليزين اللذين على جانبيها وتمتاز دعاميصهُ بكبر خياشيمها التي تتنفس بها فانها تبرز منها وتتشعب حتى تغطي بدنها والمظنون ان الدعاميص تتنفس بهذه الخياشيم وتغتذي بها ايضًا كانها المشيمة التي يلتف بها جنين الانسان . ومتى بلغت الدعاميص اشدها مضت بها امها الى الماء والقتها فيهِ حاسبة انها صارت اهلاً للنضال في معترك الحياة. وهذا قليل من غرائب الحيوان

احوال السودان

من فيكونت كرومر الى مركيز لنسدون

مولاي . جاءني تقرير مسهب مفيد جدًّا من السر رجينلد ونجت عن ادارة السودان في السنة الماضية ولي الشرف ان ارسل الآن نسخة منهُ اختصرت من غير ان حذف شيء مما فائدتهُ عامة

لا شبهة في انهُ تمَّ كثير من النجاح في السودان بعد استرجاعهِ ويظهر من مراجعة تقرير السر رجنيلد ونجت ان في كل جهة تقريباً مجالاً واسعاً للاصلاح

والامران اللذان تمس الحاجة اليهما اكثر مما تمس الى غيرهما هما في ما اظن زيادة الموظفين الانكليز ورأس المال للانفاق على سكك الحديد والري

اما الامر الاول فيمكن اتمامهُ بغير صعوبة كبيرة . فقد عين بعض من الشبان الملكيين المنتقين وسيكونون مبدأ حكومة السودان الملكية والمرجح ان ينضم اليهم غيرهم مع الزمان. ولما زرت السودان حديثاً عجبت من همة الضباط الذين انيطت بهم الخدمة الملكية ومن كفاءتهم وهم في حالة السودان الحاضرة خير من تناط بهم الادارة هناك وان بدا منهم شيء من الخطإ لقلة خبرتهم في الامور الادارية فقليل من النصح والارشاد يصلح هذا الخطأ لاسيما وانهُ غير مقصود

وقد ذكر السر رجينلد ونجت ما يعترَض بهِ على حصر الخدمة الملكية بالضباط العسكريين وهو ان الضباط معرَّضون دائماً لان يُطلبوا الى مكان آخر فيختل نظام الادارة التي كانوا فيها . وزد على ذلك ان الضباط الذين يأتون ليقوموا مقامهم يمضي عليهم زمن قبلما يعرفون من لغة البلاد واطوار اهلها ما يلزم للقيام بما يجب عليهم ولذلك تدعو الضرورة الى انشاء ادارة ملكية في السودان . واكرر القول بانهُ يجب ان تبذل العناية التامَّة في انتقاء الموظفين لهذه الادارة

اما الامر الثاني الذي اشرت اليهِ آنفاً فليس من غرضي ان اسهب فيهِ الآن ولكني اقول ان نجاح السودان يبقى قليلاً ما لم تنفق فيهِ الاموال . ثم اني ارى الامل قليلاً ان ينفق احد الآن مالاً طائلاً في تلك البلاد ما لم يرَ لهُ معيناً (من الحكومة) واني الخ

(الامضا) كرومر

تقرير السردار والحاكم العام عن احوال السودان المالية والادارية سنة ١٩٠٠

ان الحالة التي وُصفت في التقرير السنوي عن سنة ١٨٩٩ لم تتغيَّر تغيرًا جوهريًّا

فقد استمرَّت المخابرات بين السودان والمستعمرة الايطالية من جهة تحديد التخوم ولكن لم تُعين هذه التخوم حتى الآن والمرجح انهُ يشرع في ذلك قريباً

واستخدم الكولونل تالبوت مدير المساحة في مسح البلاد التي هناك ولا بدَّ من ان نتائج عمله تسهّل التحديد الاخير ويرجى ان العلاقات الحسنة جدًّا بين الحكومة البريطانية وحكومة بلاد الحبش تدعو الى اتفاق قريب تام بين السودان والحبشة على الحدود الفاصلة بينهما . وتمهيدًا لذلك مسحت البلاد التالية

اولاً من قمكا على البحر الازرق الى محطة حكومة السودان في الناصر على نهر السبَت بادارة الماجور جوين . وقد رسم هو ورجالهُ كل الاراضي التي مروا بها رسوماً مدققة ووصفوا كل الطرق التي ساروا فيها . وسار الماجور جوين الآن الى عاصمة بلاد الحبش لاستطراد اعمال المساحة حين اتمام المخابرات على التخوم بين الكولونل هارنجتون نائب الحكومة البريطانية في بلاط الحبشة وبين جلالة الامبراطور منلك

ثانيًا من فشودا في نهر السُّبَت ونهر بارو الى غورى ومن ثمَّ الى جلو جنوباً ثم الى الناصر بطريق نهر بيبور وذلك بادارة الماجور اوستن . ولم يستطع ان يبلغ بحيرة رودلف كما قصد لان رجال الحبشة الذين على الحدود لم يفهموا مرادهُ ففسروهُ على غير ما اراد ولكنهُ قام ثانيةً قاصدًا البحيرة والمنتظر انهُ لا يلقى المانع الذي لقيهُ اولاً

وازيل السد او النبات الطافي الذي كان يسدُّ البحر الابيض وفتح الطريق في النيل الى النقط الشمالية من اوغندا ومحطة ولاية الكنغو الحرة في الرجاف

اما حصر النيل جنوبي متصل السبت في مجرىً واحد ليزيد مقدار الماء الوارد منهُ فمسألة لم تحَلَّ حتى الآن . ولكن قد فُتح طريق الملاحة وهذه اول خطوة لاتمام هذه الامنية لكن اتمامها يقتضي سنين كثيرة هذا اذا كان سهلاً

وفتح الطريق في اعالي النيل وَصَلَ بين شمالي اوغندا والخرطوم والقاهرة ولم يُقتصَر على ذلك بل شرع رجال الحكومة في ولاية الكونغو الحرَّة يجلبون حاجياتهم بطريق النيل بدلاً من ورودها بطريق غربي افريقية والكونغو

وان قلة البواخر في النيل الآن تمنع اتساع التجارة ولكن يرجى انهُ حينما يأتي الفيضان التالي يؤتى ببواخر اخرى من جهات اصوان وحلفا فيسهل علينا ان نقوم بما تستدعيهِ احوال البلدان الجنوبية فتتصل العلاقات معها اتصالاً تجاريًا يكون منهُ نفع متبادل

وقد أُقيمت نقطة للحكومة قرب كرو على ٥٥ ميلاً شمالي محطة الكونغو الحرة في الرجاف وهي ابعد نقطة الآن جنوبًا للحامية السودانية

والبحث جارٍ في مسألة نقل المؤن والمهمات والبريد الى نقط اوغندا بسكة الحديد بين

حلفا والخرطوم وبواخر حكومة السودان وبديهي انهُ يقتصد كثير في الزمن باستخدام هذا الطريق الى ان تتم سكة اوغندا

اما من حيث المديريات غربي البحر الابيض فقد أُرسلت حملة بقيادة الكولونل سباركس الى بحر الغزال لكي تستكشف وتحتل المديريات الواقعة بين النهر والارض التي يصبُّ ماؤُها في نيل الكونغو وهي داخلة في حدود السودان على ما هي محدَّدة في المعاهدة بين انكلترا وفرنسا في ٢١ مارس سنة ١٨٩٩ . ويرجى انهُ ينتج من هذه الحملة فتح بلدان بقيت زماناً طويلاً مقفلة عن منافع العمران والتجارة

وابعد المديريات الغربية التي تحكمها حكومة السودان الآن مباشرة مديرية كردفان التي احتُلَّت عاصمتها القديمة الابيض في ١٧ دسمبر سنة ١٨٩٩

ومديرية دارفور يحكمها الشيخ علي دينار حفيد السلطان حسين ولا تزال علاقاتهُ مع حكومة السودان ودية وقد سار السر رودلف سلاتين باشا الى الحدود لترتيب بعض الامور المتعلقة بادارة المديرية وموقعها بالنسبة الى السلطة المركزية في الخرطوم

وقد بقيت بقية من الدراويش الذين تقهقروا الى القرب من بوهر برئاسة رجل اسمهُ عرابي دفع الله في داركارا الى الجنوب الغربي من دارفور . وهي تغزو القبائل المستوطنة هناك على ما بلغنا وهذا غاية ما وصلت اليهِ من العبث بالامن ولا يحتمل ان هذه الشرذمة الصغيرة الباقية من جيوش الدراويش الكبيرة يستفحل امرها فتقوض اركان السلم في مديرية دارفور او ما يجاورها

و يظهر من الالتفات الى بلاد السودان بنوع عام ان الراحة كانت مستتبة في العام الماضي في كل المديريات التي تديرها حكومة السودان وهذه الراحة لازمة جداً للبلاد والعباد لاسترجاع القوة التي ضاعت مدة سني الاضطراب والحروب المستمرَّة . وقد نتجت منها فوائد جمَّة وكان ماء الري وافياً والمطر غزيراً فجادت الغلال وكثرت الحبوب وهبطت اسعارها الى حدٍّ لم تبلغهُ منذ سنوات كثيرة . وهذه الامور مضافةً الى ما يشعر بهِ كل احد من استتباب الامن آلت الى ما يُرى من رضى السكان عن حالتهم الحاضرة ولذلك سار الاصلاح العام سيراً اقل بطئاً مما كان ينتظر وان لم يكن سريعاً في هذه الاحوال . ولا ينكر ان الارتقاء لا يزال في بداءتهِ ولكن الادلة متوفرة على ان البلاد ستستفيد من الوسائل التي عُمل بها لتجديدها وبث مبادىء الحكومة المنتظمة فيها التي تقيها من مساوىء الماضي وتمهّد لها مستقبلاً تجد فيهِ الراحة والفلاح

المالية

يمكن الاعتماد على الارقام التالية المبنية على حساب السنة الماضية الى آخر نوفمبر الماضي وعلى ما يقدَّر لشهر دسمبر ومنها تعلم نتيجة السنة الماضية مالياً

الايراد		المصروفات	
المديريات	٩٥ ٠٠٠	المديريات	٨٣ ٠٠٠
البوسطة	٠٥ ٠٠٠	الادارة المركزية	٣٨ ٠٠٠
التلغراف	٠٤ ٠٠٠	البوسطة	٠٩ ٠٠٠
سكك الحديد	٣٦ ٠٠٠	التلغراف	١٦ ٠٠٠
	١٤٠ ٠٠٠	سكك الحديد	١٣٢ ٠٠٠
المدفوع من الحكومة المصرية	٤١٧ ١٧٩	الاشغال العمومية	٣٨ ٠٠٠
	٥٥٧ ١٧٩		٣١٦ ٠٠٠
		النفقات الحربية	٢٨٢ ٨٦٢
			٥٩٨ ٨٦٢

فالعجز ٤١٦٨٣ ج . م او نحو ٤٠٠٠٠ ج . م . والسبب الاكبر لهذا العجز ان المصروفات قُدّرت باقل مما بلغت والايرادات قدّرت باكثر مما بلغت . ثم اتضح في آخر السنة انهُ لا بدَّ من الغاء بعض الضرائب وتقليل البعض الآخر او تأجيل ربطهِ لانهُ لم يحن وقتهُ فاذا ربط الآن كان ربطهُ عبئاً ثقيلاً على الاهالي واضرَّ بنجاح البلاد واداءتها . وثمت امور اخرى مانعةٌ من تحقيق ما انتظرناهُ فاذكر بعضها على سبيل التمثيل ليظهر حرج الموقف الذي نحن فيهِ وانهُ لم يكن في الامكان الوقوف عند حدود الميزانية . ففي اول الامر وجدنا انفسنا مضطرين الى وفاء خمسة وعشرين الف جنيه أُنفقت في العام السابق فوق المال المعطى لتمديد سكة الحديد الى الخرطوم

وجاء طاعون المواشي ضربةً على اصحابها وعلى دخل الحكومة وتهدَّد مصر كما تهدَّد السودان ودعا الى نفقات غير منظورة نحو ستة آلاف جنيه لمقاومتهِ ووقاية القطرين منهُ

ثم ان احتلال الخرطوم دعا الى اقامة ادارة ملكية في تلك المديرية ابتدأت بداءة بسيطة جدًّا وتقدَّمت في غضون السنة فاقتضى ذلك انفاق ٣٥٠٠ ج . م رغماً عن الاقتصاد الكثير وهذا لم يقدَّر لمَّا وُضعت الميزانية . وقد جُعلت النفقات لهذه المديرية في ميزانية هذه السنة ٨٤٣٧ ج . م لانها تقدَّمت فصار لا بدَّ من زيادة النفقات لاداءتها

وينتظر ان تزيد نفقات الاشغال العمومية ١٣٠٠٠ ج . م بسبب الزيادة اللازمة لبناء الدواوين والمنازل والمستشفيات وغيرها من المباني العمومية

وقد كانت سكة الحديد والاشغال العمومية عبئاً ثقيلاً على البلاد في العام الماضي وستبقى كذلك مدةً طويلة ايضاً . واضطررنا الى نفقات اخرى لم يُعَدَّ لها مالٌ في الميزانية من

ذلك تعيين لجان الاراضي والمهندسين لهندسة المدن وتعيين مفتش عام ومفتشين آخرين من الانكليز للجهات البعيدة تأميناً لاهاليها الذين استأمنوا الى الحكومة ولاظهار قيمة الاصلاح في الجهات التي لا يزال اهاليها مرتابين في مقاصد الحكومة وحيث يخشى من نهوضهم عليها اذا لم يكونوا تحت سلطتها مباشرةً . وجرى بالايرادات مثل ذلك فالغيت عوائد القطعان وتسجيل البضائع في حلفا وعوائد القبانة في المديريات وكان المبلغ المقدَّر لها في الايرادات ٨٠٠٠ ج.م وأنقصت رسوم حوالات البوسطة ورسوم الحوالات على الخزينة من واحد في المئة الى نصف في المئة . وأُعفيت اراضٍ كثيرة في مديرية بربر من الاموال فنقص ايراد تلك المديرية وصار ٦٥٠٠ ج.م بعد ان قدّر ١٤٠٠٠ ج.م ورفع جانب من عوائد النخيل في دنقلة . ورُفعت اموال اخرى من هذا القبيل جرياً على مقتضى الحال

ورغماً عن ذلك كلهِ ظهر في الايرادات كلها بنوع عام ميلٌ الى الزيادة والاتساع وينتظر ان تبلغ الايرادات كلها ١٤٠٠٠٠ ج . م وكانت في العام الذي قبلهُ ١٢٦٥٩٦ ج . م

فجملة الايرادات تنقص ١٨٥٠٠ عما قُدّر لها ولكن اذا استثنينا العجز من ايرادات مديرية بربر وايرادات البوسطة ويبلغ ١٣٥٠٠ ج . م والعجز من الغاء عوائد القطعان وتسجيل البضائع وهو ٨٠٠٠ ج . م فبقية الايرادات تكون قد بلغت ما قُدّر لها وزادت عليهِ نحو ٣٠٠٠ ج . م . وكذلك المصروفات اذا قوبلت بما قُدّر لها . ولا يمكن اتمام هذه المقابلة حتى الآن بالتفصيل ولكن اذا اغضينا عن ميزانية سكة الحديد التي اضيفت الى مصروفاتها مبالغ باقية عليها من حساب العام السابق وعن ميزانية الاشغال العمومية والتلغراف فليس في المصروفات الاخرى كلها عدا مصروفات سواكن ما يسرُّ كثيراً او يسيء كثيراً

اما مصروفات سواكن فقُدّرت ٢٦٢٠٠ ج . م ولكنها أُنقصت من وجوه مختلفة في غضون السنة ولذلك لا ينتظر انها تزيد على ١٦٠٠٠ ج.م . وزادت مصروفات التلغراف نحو ٦٥٠٠ ج.م لانهُ لما وضعت الميزانية لم ينظر فيها الى النفقات اللازمة لتمديد خطوط التلغراف

وقد أُنفق الاعتماد الاضافي وهو ١٥٠٠٠ ج . م على انشاء البرابخ والكباري جنوبي الاتبرة

ولا يزال الفرق عظيماً بين المصروفات والايرادات ولكن جانباً كبيراً من المصروفات صرف على انشاء مبانٍ وعلى اعداد المعدات اللازمة ابتداءً في الادارات المختلفة مما لا يحسب عادة بين المصروفات العادية بل يعيَّن لهُ مال خاص من موارد أُخرى غير موارد الايرادات الى ان تكثر ايرادات البلاد وتصير كافية للانفاق على ما يُعَدُّ رأس مال للمستقبل

وميزانية سنة ١٩٠١ على ما يأتي بالجنيهات المصرية

الايرادات		
الخرطوم	١٩٠٠٠	
بربر	١٠٠٠٠	
دنقلة	٢٨٠٠٠	
سنار	٠٤٠٠٠	
كسلا	٠٣٥٠٠	
سواكن	١٠٠٠٠	
حلفا	٠٤٥٠٠	
فشودا	٠١٠٠	
كردفان	٠٠٤٠٠	٧٩٥٠٠
من مبيع ذرة رسوم جليلة صنفاً	٢٦٠٠٠	
جزية القبائل	٠٨٠٠٠	
ايرادات عمومية	٠٢٠٠٠	٣٦٠٠٠
البوسطة	٥٠٠٠	
التلغراف	٤٠٠٠	
سكة الحديد	٦٣٠٠٠	٧٢٠٠٠
ما تدفعهُ الحكومة المصرية لسد العجز في ايرادات السودان		٤١٧١٧٩
الجملة		٦٠٤٦٧٩

المصروفات		
الخرطوم	٢١٣٧٤	
بربر	١١٧٤٧	
دنقلة	١٣٥٠٠	
سنار	١٤٣٩١	
كسلا	٠٨٨٣٨	
سواكن	١٥١٢٨	
حلفا	٠٢١٥٤	
فشودا	٠٣٧٠٠	
كردفان	٠٨٤٣٧	٩٩٢٦٩
الادارة المركزية	٢٣٩٠٨	
السكرتير القضائي والحاكم	٠٥٠٢٢	
ادارة المخازن	١٣٦٥٢	
المعارف	٠١٠٧٥	
مدير الغابات	٠١٢٠٠	
السجون	١٠٠٠٠	
ادارة الحيوانات البرية	٠١٢٠٠	
طاعون مواشي مطبعة مساحة	٠٦٢٥٠	
المستشفيات	٥٤٠٩	
المصروفات العمومية	٢٧٢٧٩	٩٤٩٩٥
الاشغال العمومية	٢٠٠٠٠	
البوسطة	٠٨٧٨١	
التلغراف	١٦٠٠٠	
سكة الحديد	١٤٣٠٠٠	١٨٧٧٨١
ما يدفع الحربية عن جيش السودان		٢٢٢٦٣٤
الجملة		٦٠٤٦٧٩

ويرجى ان تكون النتيجة موافقة لهذا التقدير ولا تنقص الايرادات عن المصروفات نقصاً عظيماً ولكن لا بدَّ من القول ان التقديرات المتقدمة قُدّرت بغاية الاقتصاد والتقتير واعتمادنا في الايرادات الآن على اموال الاطيان . فيبذل المديرون اقصى جهدهم في كل المديريات ليرغبوا الاهالي في زرع ارضهم ويسهلوا لهم كل السبل لاقتناء المواشي ونتيجة ذلك مفيدة جدًّا من غير ريب وكل الدلائل تدل على ان الايرادات من هذا الباب ستزيد زيادة مستمرَّة

وقد بذل الماجور برنارد اقصى جهده في وضع اساس ثابت لمراقبة الحسابات ومراجعتها ونشرت تعليمات كثيرة مع ميزانية هذه السنة اساساً لهذه المراقبة . ويرجى ان هذه التعليمات تكون مرشدًا لزيادة الدقة والانتظام

ومما يحسن ذكرهُ ان كل حسابات حكومة السودان في كل فرع من فروعها صارت الآن تحت مراقبة مصلحة السودان المالية فحسابات التلغراف والبوسطة نقلت من الحربية الى المالية سنة ١٨٩٩ وحسابات سكة الحديد سنة ١٩٠٠

وتقدمت مصلحة البوسطة في السودان في العام الماضي تقدُّماً يذكر ليشكر ولكنها لاتزال مفتقرة الى شيء كثير ليزيد نفعها . وقد جرى العمل فيها على اصول صحيحة وبلغت المكاتب التي فتحت لقبول التحاويل المالية ١٣ مكتباً وزاد التدقيق والانتظام في ارسال المكاتيب والطرود وتسليمها وقلَّت الشكاوى كثيرًا من فقد المكاتيب واضاعة الطرود . ويقال بنوع عام ان الاصلاح واضح في كل فرع من فروع هذه المصلحة . ولا تزال ايراداتها دون نفقاتها لانهُ ينفق كثير على استئجار الجمال لنقل البوسطة الى الاماكن البعيدة عن النهر وعن سكة الحديد. وقد فتحت بعض المكاتب لاجل مخابرات الضباط والجنود ولا ريب ما كان كذلك

وختاماً لما ابديتهُ عن الحالة المالية اتجاسر بان اشير الى النجاح البين الظاهر من كل وجه وفي كل فروع الادارة

فقد بُنيت الحسابات العمومية على اسس وطيدة ونُقل مكتب المالية الاجرائي الى الخرطوم ونظم فرع مراجعة الحسابات تنظيماً تاماً وتُرك في القاهرة لان ذلك مما ظهرت الحاجة اليهِ منذ زمن طويل واشار بهِ الكولونل ستورت في تقريرهِ المفيد عن السودان سنة ١٨٨٢ حاسباً اياهُ من جملة الاصلاحات الادارية

ومُسحت الارض بقصد ربط الضرائب عليها . والعمل جارٍ في حفر الترع للري في بعض المديريات وينظر في حفر ترع اخرى في مديريات اخرى . وشُجّع الناس على اخذ الرخص

لوضع الآلات الرافعة . ولدينا مشروع لتقديم المواشي الى بعض المديريات مساعدةً للاهالي على ادارة سواقيهم وزرع اكثر ما يمكن زرعهُ من اطيانهم . ولم يُضنَّ عليهم بمساعدة من حيث تقديم التقاوي لهم قرضاً لكي يسهل عليهم الزرع ولا يلجأوا الى المرابين . ويرجى ان تظهر نتائج ذلك سريعاً بزيادة الحاصلات والايرادات . ورغماً عن هذا النجاح البيّن لا تزال البلاد كلها تطلب زيادة من المال ومن المواشي اللازمة للري ومن الموظفين الكبار ومن المراقبة الشديدة تسهيلاً لادارتها ونزعاً لكل ما يعود بالناس الى المساوىء القديمة مثل الرشوة والتزلف اللذين يميل اليهما بعض المستخدمين الوطنيين اشد الميل وينغمسون فيهما ما لم يروا انفسهم تحت اشد المراقبة. وطلب هذه الاموال سواء كان لترقية البلاد او لسد حاجة الاهالي الذين انهكتهم سنو الحروب والمظالم لا يجاب الاَّ بما قالهُ اللورد كرومر لما رأى الحاجة الحقيقية وخاطب علماء السودان ووجوههُ وشيوخهُ المجتمعين في الخرطوم قائلاً

" لا يبرح من الاذهان انهُ مهما كانت الرغبة شديدة في كل اصلاح لذاتهِ لا بدَّ من ان يراعى في اتمامهِ شرطان الاول ان لا يزاد المال الذي يدفعهُ المصريون لاجل السودانيين والثاني ان يبقى المال الذي يدفعهُ السودانيون قليلاً على قدر الامكان "

هذه خلاصة الاحوال . ومع اعترافي بفضل الحكومة المصرية بما تكرَّمت بهِ لادارة السودان اراني مقصرًا في ما يجب عليَّ كنائب في تلك البلاد عن جلالة الملك وسمو الخديوي اذا لم اشر الى ان تنظيم الادارة في السودان تنظيماً تامًّا يقتضي زيادة في المال

الاستعمار

أُريد في اوائل السنة ارسال جانب من الحامية الكبيرة التي كانت مجتمعة في ام درمان وتفريقها في المديريات المختلفة . ثم لما عمت الطمأنينة البلاد كلها تيسر تقليل الجيش المصري كثيرًا . فالغيت اورطتان من الاورط المصرية وقلَّت قوة الاورط السودانية والمصرية معاً وانقص عدد الفرسان وغيرهم وبذلك كثر الاقتصاد

وسُمح لكثيرين من الجنود السودانيين ان يتركوا الخدمة وكانوا قد وُعدوا بان يسمح لهم بذلك حينما تفتح السودان . واختار كثيرون منهم العود الى اوطانهم ولكن رضي ثمانمئة منهم ان ينشئوا مستعمرات في جهات مختلفة من السودان يسكنونها هم ونساؤهم واولادهم فانشئت لهم القرى على البحر الازرق والابيض وفي مركز كسلا . ويظهر مما يُرى حتى الآن ان هذه المستعمرات ستنجح ويكون منها نفع للمديريات التي انشئت فيها . وقد منح كل مستعمر فدانين الى ثلاثة من الارض الجيدة التي يسقيها المطر (العذي) او ارض المراعي وفدانًا من

الارض التي يرويها النيل عدا التقاوي التي يعطاها مجانًا . واعطي كل رجل وامرأة وولد ما يكفي من الذرة لطعامهم الى ان يحصدوا ما يكفيهم . وتُنظَّم هذه المستعمرات على نظام عسكري فيختار لكل مستعمرة واحد من صف الضباط رئيسًا او شيخًا عليها . وقد صار في بعض هذه القرى اسواق دورية ويرجى ان تنشأ فيها المساجد والمدارس بعد حين . ولا بدَّ من ان تختار مواقع المستعمرات في الاماكن التي يكثر فيها وقوع المطر لان الاراضي التي لا تروى الأ بالسواقي او بالشواديف لا تصلح لمثل هؤلاء المستعمرين على ما يظهر لانهم لا يحملون الاعمال الشاقة ولذلك لم تفلح المستعمرات التي انشئت في بربر ودنقلة فهاجر اهاليها منها الى جهات اخرى . وكل المستعمرات تحت مراقبة مراقبين من الانكليز وقد تفاءلوا كلهم بنجاحها

سكة الحديد

وصلت سكة الحديد الممدودة من حلفا الى الحلفاية على البحر الازرق قبالة الخرطوم في ٣٠ دسمبر سنة ١٨٩٩

ولا تخلو الاحصاءات التالية من الفائدة ولكن لابدَّ قبل النظر فيها من اعتبار هذه الامور وهي

(١) ان هذه السكة مُدَّت لاجل الجيش وقت الحرب فاختير طريقها ونوعها وموادها حتى تفي بهذا الغرض

(٢) ان نصف السكة في قفر قاحل ولا يحتمل ان يكون منهُ اقل دخل ولا بدَّ من النفقات لحفظهِ مثل باقي السكة

(٣) كل قطار يقوم من حلفا قاصدًا الخرطوم لابدَّ من ان يحمل معهُ ٩٥٠٠ جالون من الماء لآلتهِ البخارية وهذه خسارة كبيرة في ما يستطيع حملهُ

(٤) كل الجنود وموظفي الحكومة وكل لوازم الحكومة ومهماتها تنقل على هذا الخط مجانًا. ولا بدَّ ايضا من ان تعطى بعض تذاكر السفر مجانًا لغير رجال الحكومة

(٥) ان نقل البضائع من الجنوب الى الشمال قليل جدًّا الآن الأ في بعض شهور السنة ولكنهُ آخذٌ في الازدياد على نسبة تقدم التجارة في البلاد . ويكثر نقل التمر على خط الكرمة في اواخر السنة . ويُقدَّر انهُ يصدر من السودان في العام المقبل مقدار كبير من الصمغ العربي من كردفان وغيرها ويحتمل ان يصدر منهُ مقدار كبير من الذرة ولكن الذرة السودان ليست رائجة في مصر . وينقل جانب من الحنطة من دنقلة الى الخرطوم مؤونة للجيش

(٦) والهمَّة مبذولة للاعتماد على ما في بلاد السودان من المواد لكي يقل ما ينقل اليها

الآن من مواد البناء والمهمات اللازمة لاقامة المباني واطعام الجيش حتى تتفرَّغ سكة الحديد لنقل بضائع التجار . وقد أُوصي على مركبات جديدة لنقل البضائع فيتسع المجال لنقل بضائع التجار

وطول سكة الحديد في السودان الآن ٧٧٩ ميلاً

وبلغ الدخل من نقل الركاب	٦٧٠٣	ج ٠ م
وقيمة نقل الضباط والجنود وعيالهم مجاناً	٤٨٧٨٨	" " "
" " غيرهم من الملكيين "	٠٦٠٩٣	" " "
اجرة نقل البضائع والمواشي "	٢٧٥٥٥	" " "
قيمة نقل مهمات سكة الحديد "	١٦٩٤٤	" " "
قيمة نقل المهمات لمباني الحكومة ونحوها على فرض اجرة نقل القنطار ١٠ غروش	٤٠٦٤٦٨	
وجملة الايرادات .	١٤٦٥٥١	
يطرح من ذلك ما لم تؤْخذ اجرتهُ من الركاب والبضائع	١١٢٢٩٣	
فالربح الصافي	٠٣٤٢٥٨	
نفقات التشغيل (ما عدا نفقات الانشاء)	١١٣٣٥٠	

ولذلك فنفقات التشغيل تساوي ٧٧ في المئة من جملة الايرادات فهي كثيرة ولكن لا يبرح من الاذهان ان البضائع التي تنقل الآن من الجنوب الى الشمال لم تزل قليلة جدًّا

وبلغ عدد القطرات التي سارت على هذا الخط ذهاباً واياباً مدة السنة ٧٢٨ فكأَنها سارت ٤١٩٤٤٠ ميلاً . وعلى خط الكرمة ٣٤٨ قطارًا فكأَنها سارت ٧٠٥٦٠ ميلاً . ونفقات سير القطار ميلاً واحدًا هكذا

على خط الخرطوم نحو ٢٢ غرشاً . وعلى خط الكرمة نحو ٢٥ غرشاً

ويظهر مما تقدم انهُ لو دُفعت الاجور المعتدلة عن نقل كل الركاب والبضائع التي تنقل الآن مجاناً لاجل الحكومة لبقي من الايراد ربح معتدل . ولكن يقال من جهة اخرى ان اكثر الموظفين والعمال على هذا الخط من رجال الحربية ولذلك فرواتبهم اقل كثيرًا مما لو كانوا ملكيين

وكان في النية وضع مركبات النوم هذا الشتاء على هذا الخط ولكن شركة مركبات النوم لم تستطع تقديم المركبات اللازمة في الوقت فأُهمل ذلك هذه السنة . ويُنتظر ان تُعدَّ المعدات اللازمة لتسهيل سفر السياح في الشتاء المقبل

وقد انشئ هذان الخطان اصلاً في زمن الحملة وكان لا بدَّ من الاسراع في انشائهما ولذلك لم يكن العمل على ما يرام من حيث المتانة

فلما هطلت الامطار الغزيرة في السودان حديثًا قطعت في الخطين ٢٨٩ قطعًا وكان السفر عليهما يتوقف احيانًا اسابيع متوالية فيختل نظام الاتصال ولولا التحوّط لذلك لخيف من نتائجهِ في السودان فوق توقيف اعمال البناء في الخرطوم

وبناء على ذلك وعلى ان العسر المالي يقتضي تقليل النفقات الى الغاية القصوى دعت الضرورة الى طلب اعتماد خصوصي لترميم ما لا بدَّ من ترميمهِ على ما في تقرير الماجور مكولي (مدير سكك الحديد) الذي لهُ فضل كبير على ادارة سكة السودان في احوال كثيرة المصاعب

القضاء

أُشير في التقرير السنوي الماضي الى بعض الاوامر التي نشرت تمهيدًا لمجموع القوانين المدنية التي قُررت حينئذٍ او اريد تقريرها للعمل بها في بلاد السودان لكي يكون في البلاد نظام بسيط للقضاء يسهل الجري عليهِ . وقد مرَّت سنة الآن فيمكن النظر في صلاحية هذه الشرائع ووصف الاوامر الجديدة التي يدعو اليها ما علم بالاختبار من احوال السكان

فقد ثبت ان قانون العقوبات وافٍ بالغرض (الاَّ في ما ندر) لكل الجرائم التي ارتُكبت في العام الماضي وقد اعترف السكان غالبًا بعدل الجزاء المرتب على الجناية

اما قانون تحقيق الجنايات فوُجد انهُ يستحيل العمل بهِ من حيث القبض على المتهم وتحقيق التهمة ولذلك استُعملت اساليب اخرى ابسط من اساليبهِ وهي مما يدركهُ اهالي السودان بسهولة ولو كان ينقصهُ بعض ما يقي البريء مما هو موجود في القانون . ولم يُغض الطرف عن ان صغار الموظفين لا يحسنون التصرُّف اذا لم يكونوا مقيدين بقوانين مدققة في تحقيق الجنايات . والعمل جارٍ في اعداد السجلات وستكون مرشدًا مفيدًا وتجعل مراقبة ضباط البوليس وصغار القضاة افعل مما كانت حتى الآن

قال المستر بنهام كارتر السكرتير القضائي في تقريرهِ ما يأتي

"راجعت في غضون السنة تحقيقات كل مجالس المديريات وغيرها من المجالس ويمكنني ان اقول ان اجراء العدالة بلغ درجة عليا في الامور الجوهرية . ويؤتى بالمتهمين لاجل التحقيق باقل ما يمكن من التأخر نظرًا لصعوبة المواصلات . ويجري التحقيق بالعدل حسبما ينتظر من نظام المحاكم وعلى اسلوب ينظر فيهِ الى مدلول القانون والى الصبر والتأني للحصول على ادلة لم تكن منتظرة"

والعقوبات خفيفة في الغالب وقد نفذ الحكم بالاعدام في اربعة اشخاص . وفي طاقة المحاكم

ان تحكم على القتلة بالسجن بدل الاعدام . واطول مدة السجن لاي عقوبة كانت حسب هذا القانون اقصر مما هي حسب الشريعة الانكليزية . وقد كان ميل القضاة من الضباط الى الرأفة بالمجرمين

وحوكم ثلاثة من الاوربيين مدة السنة وحُكم عليهم بالحبس مددًا قصيرة لكن لما رأينا الحبوس لا تصلح لاقامتهم فيها أُطلق سبيلهم على شرط ان يبرحوا السودان حالاً. وقبض على اوربي آخر مجرم وأُتي بهِ الى الحدود وسُلم الى رجال قنصلهِ

وقد ساعد المستر برنيات من قلم قضايا الحكومة المصرية المستر بنهام كارتر في جمع اوامر قانون مدني نُشرت في ابريل الماضي . وهذه الاوامر على نسق قانون المرافعات المندي المستعمل في بيشواتالند وبرما التابعتين لبريطانيا . ويفرض ذلك القانون وجود اربعة محاكم مختلفة الاولى القومسيون القضائي وهذا المنصب يشغلهُ الآن السكرتير القضائي والثلاثة الباقية مجالس القضاة من الدرجة الاولى والثانية والثالثة فالتي من الدرجة الاولى تحكم في كل القضايا من غير قيد من حيث قيمة القضية والتي من الدرجة الثانية تحكم في القضايا التي لا تزيد قيمة ما يطلب في الواحدة منها على ٢٠٠ جنيه والتي من الدرجة الثالثة تحكم في القضايا التي لا تزيد قيمة ما يطلب في الواحدة منها على ٢٥٠ غرشًا

وتستأنف احكام المحاكم التي من الدرجة الاولى والثانية الى المدير وتستأنف احكام المدير الى القومسيون القضائي

وكانت المصاعب كثيرة حتى الآن في العمل باوامر القانون المدني لكن ابتدأ العمل بها في ام درمان ابتداء حسنًا فسمعت مئة قضية وقضيتان وسمع في غيرها عشرون قضية فقط عدا قضايا العقار التي يفصل فيها قومسيون مخصوص معين لذلك

ولا بدَّ من وضع قانون للربا ولكن وضع هذا القانون يقتضي بحثًا مدققًا . فقد رفعت دعوى الى المستر بنهام كارتر حُسب فيها الربا ١٥ في المئة شهريًا بالنسبة الى رأس المال وكان سند الدين يغيَّر شهريًا وتحسب لهُ فائدة مركبة. والدائن من مستخدمي الحكومة وكان مشدّدًا الطلب على المديون طالبًا ايفاء الدين. فكان الحكم ان يُجعل الربا عشرين في المئة فقط سنويًا وجرى مثل ذلك في قضايا اخرى من هذا القبيل

ومفاد القواعد التي في اوامر القانون المدني ان المسائل المتعلقة بالارث والهبة والزيجة والعلاقات العائلية والوقف تُفصل بموجب الشريعة المحمدية اذا كان الخصوم من المسلمين وان كانوا من غير المسلمين فبموجب ما هم خاضعون لهُ من الشرائع والاحكام وان لم يكن لهم شرع فالمجلس يحكم بينهم حسب شرعة العدل والانصاف والذمة . ويرى السكرتير القضائي ان وضع

قانون عام على مبدإِ القانون المدني لا يصح الاَّ بعد ان ينصب قضاة قانونيون

وقد ابتدأ التقاضي بالحقوق المدنية ابتداء حسناً ولكن يستحيل على غير القضاة الذين تخرَّجوا في علم القانون ان يحكم بموجب القانون المدني . وفي النية تعيين قاضٍ مدني لمديرية الخرطوم في غضون هذه السنة ثمَّ متى تيسَّر المال يعين غيرهُ في جهات اخرى من البلاد

وقد انشئت المحاكم الشرعية في اكثر المدن الكبيرة في السودان . وهي ليست على ما يرام ولم يقبل بالراتب الذي تدفعهُ حكومة السودان الاَّ قاضٍ او قاضيان من الذين مارسوا القضاء الشرعي سواء كانوا مصريين او سودانيين . والذين لهم شيء من الالمام باصول الشريعة الاسلامية يجهلون غالباً كيفية العمل بها وتطبيقها فلا يستوفي العدل حقهُ

ولا استطيع ان اختم هذا الفصل عن نجاح الاصلاح القضائي في السودان ما لم اعرب عن شكري الخالص للمستر بنهام كارتر على الخدم الجليلة التي خدم بها هذا الفرع من فروع الحكومة بهمة لا تعرف الملل وعلى النجاح الذي نجحهُ في تنظيم التقاضي في السودان

امتياز المعادن

ان الامر الذي صدر سنة ١٩٠٠ من حيث الترخيص بالبحث عن المعادن ابقى للحاكم العام وضع الشروط التي تعطى الرخص بموجبها لكنهُ وضع بعض الحدود العمومية التي لا بدَّ من العمل بها في كل الرخص التي لا يذكر فيها اتفاق صريح على شروط تخالفها . ثم اثبت الاختبار ان الشروط المتضمنة في الامر المشار اليهِ لا توافق الباحثين عن المعادن نظراً لصعوبة المواصلات وجهل البلاد حيث ينتظر وجود المعادن . ولذلك اهملت هذه الشروط من الرخص التي مُنحت وتم الاتفاق على شروط اخرى وهذه الشروط تختلف تفصيلاً باختلاف الرخص ولكنها تتفق كلها جوهريًّا

وجرت المذاكرة لاعطاء امتيازات ببعض المعادن في غضون السنة وتمَّ الاتفاق في بعضها ولكن لا ينتظر ان يتسع نطاق البحث عن المعادن الاَّ بعد ان يتم تخطيط التخوم بين السودان وبلاد الحبش وبفتح جنوبي كردفان

وقد ارسلت شركة البحث في السودان المصري بعثةً في اوائل العام الماضي بادارة السر رودلف سلاتين (ولم يكن قد دخل في خدمة حكومة السودان حينئذٍ) الى البلاد التي جنوبي الابيض . واشتغل فريق من الباحثين عن المعادن في ارض مُنحت لهم في جوار سواكن واخذ فريق آخر يشتغل قرب حلفا . وتمَّ الاتفاق على البحث عن معادن البلاد التي بين البحر الابيض والازرق شمالي نهر طمات

حفظ حيوانات الصيد

ان الامر الذي نُشر في شهر فبراير الماضي سنة ١٩٠٠ ذكرمفادهُ في تقرير السنة الماضية وفيهِ ان الصيادين الاجانب لا يباح لهم الصيد الاَّ برخصة يأخذونها . وهناك رخصتان الواحدة ثمنها ٢٥ جنيهاً واسمها رخصة ويباح لحاملها ان يصطاد كل ما يصاد من الحيوانات ما عدا قليلاً من الحيوانات التي مُنع صيدها منعاً مطلقاً.والثانية ثمنها ٥ جنيهات واسمها رخصة ب ويمنع صاحبها من صيد بعض الحيوانات النادرة

وقسمت الحيوانات والطيور الى اربعة صفوف . وقد اشار المديرون في تقاريرهم التي وصلت في غضون السنة عن الحيوانات التي تصاد الى انهُ يحسن ان تقسم تقسيماً يختلف باختلاف البلدان ولذلك صدر اعلان في غزطة السودان الصادرة في شهر يناير سنة ١٩٠١ عدد ١٩ تقسم بلاد السودان بحسبهِ الى اربعة اقسام

و يطلب من كل من بيدهِ رخصة ا ان يدفع رسماً عن كل حيوان يصيدهُ مما هو معدود في الصف الثاني واذا صاد انثى فالرسم اكثر ولا يجوز صيد الانثى من الصف الثاني مطلقاً اذا عرف الصائد انها انثى واذا صاد فيلاً وجب عليهِ ان يدفع ايضاً الرسم المقرر على عاجهِ

وفي الامر الصادر سنة ١٩٠٠ لحفظ الحيوانات يطلب من الاهالي ايضاً ان يأخذوا الرخص ولكن ذلك لا يصدق الاَّ على الاماكن التي نشر فيها عنهُ اعلان من الحاكم العام . ومأمور الرخص يضع شروطها . وجرى العمل بهذا الامر في كسلا ومنحت الرخص لشيخين او ثلاثة من شيوخ القبائل ليصيدوا عدداً محدوداً من الحيوانات الكبيرة . ولا يدفعون شيئاً عن هذه الرخص ولكن يُطلب منهم ان يخبروا المدير اذا اصطادوا فيلاً او زرافة او جاموساً بريًّا او غير ذلك من الحيوانات المخصوصة ويدفعوا عن كل حيوان رسماً يختلف من جنيه الى ثمانية لان هذه الحيوانات مطلوبة روامبزها في كسلا فلا يصعب على الاهالي دفع هذا الرسم

وقد صدر من البلاد كثير من روامبز الحيوانات البرية في السنة الماضية . والتجارة جارية في جلود الحيوانات وما يحفظ منها تذكاراً

ويُخشى انهُ اذا لم يكن على هذه التجارة شيء من المراقبة آلت الى استئصال الحيوانات النادرة . ولذلك وُضع اصدار الحيوانات البرية والطيور البرية تحت مراقبة الحكومة في الامر الصادر سنة ١٩٠١ لحفظ الحيوانات البرية . والبند الثاني منهُ يمنع تصدير الحيوانات البرية والطيور البرية وجلودها وريشها وقرونها في حالتها الطبيعية ما عدا انياب الافيال وقرون

وحيد القرن وريش النعام ما لم تأذن الحكومة بذلك وهذا المنع لا يعمّ الحيوانات والطيور التي تصاد بالرخصة

وفي طاقة الحاكم العام ان يسمح بتصدير الحيوانات والطيور التي لا يخشى انقراضها وان يضع عليها رسمًا

ودُبرت التدابير لانشاء مصلحة مخصوصة في الحكومة تحت نظر الكبْتن فلور مدير حديقة الحيوانات في الجيزة لترى في المسائل المتعلقة بحيوانات السودان وطيوره البرية

وتعطي هذه المصلحة الرخص لتصدير الرواميز الحية برسم يعين بعدُ وتقدم الرواميز الحية لحدائق الحيوانات والمعارض ونحوها

التعليم

تولى المستر بنهام كارتر النظر في امر التعليم الابتدائي الذي ابتدأ بادارتهِ فوق مهامهِ القضائية . فنتجت منهُ نتائج تشهد لهُ بالهمة وحسن النظر في العواقب وذلك قبل وصول المستر جمسن كري مدير المعارف في السودان وناظر مدرسة غوردون

ووصل المستر كري في نوفمبر الماضي ومن حين وصولهِ وهو موجه كل التفاتهِ الى هذا الموضوع الهام جدًّا وقد وضع عنهُ تقريرًا مفيدًا اعرب فيهِ عمَّا يظنهُ افضل اسلوب يتبع في السودان لنشر المعارف وقد اقتبست منهُ ما يأتي

" لا بدَّ من ان يكون التقرير الاول عن احوال المعارف في السودان من نوع الانباء بالمستقبل لا الاخبار بالماضي اي يكون فيهِ ذكر ما يتوقع حصولهُ لا وصف ما حصل . ولعلَّ اقرب ما يمكن ذكرهُ وصف حاجة البلاد الحاضرة الى التعليم وما جرى حتى الآن لسد هذه الحاجة . ولا داعي للبحث عن معايش السكان عمومًا الاَّ من حيث ما يشتركون فيهِ وهو الفقر المدقع . والبلاد كالعباد فانها تعتمد على ما تمنحها اياهُ مصر من الاموال وفيها كل الادواء المزمنة المترتبة على قلة المال فتضطر ان تسير سيرًا بطيئًا وتجتنب كل ما يدعو الى النفقات على ادارة التعليم وكل ما لا تفتقر اليهِ افتقارًا شديدًا وتزيد هذه الامور وضوحًا يومًا فيومًا "

وامسُّ ما تحتاج اليهِ البلاد الآن

اولاً تعليم الصنائع لفرقة من الوطنيين

ثانيًا نشر شيء من التعليم بين الاهالي كافٍ لجعلهم يفهمون اغراض الحكومة

ثالثًا تدريب بعض الوطنيين على الاعمال التي تؤهلهم لاخذ الوظائف الصغيرة في الحكومة

اما من حيث الامر الاول فليس في السودان الآن احد من الصناع لا نجارين ولا بنائين ولا حدادين ولا خياطين ولا نساجين . ولابدَّ من المجيء بهؤلاء الصناع من اوربا او من مصر واجورهم حينئذٍ كبيرة تثقل على عاتق اهالي السودان . وفي النية انشاء مدرسة صناعية كبيرة في الخرطوم سدًّا لهذه الحاجة تكون متصلة بعنابر الحكومة وترسانتها . ويمكن ان يكون لها فرع في حلفا متصل بعنابر سكة الحديد هناك . وقد اهتم مديرا دنقلة وبربر بذلك من الآن . ولكن لا بدَّ من ان يمضي زمن قبل الشروع في هذا المشروع في الخرطوم لان الولد لا يستطيع ان يمارس مبادئ الصناعة قبلما يصير عمرهُ ١١ سنة او ١٢ سنة . وليس في المدرسة الآن عدد كبير من الاولاد الذين في هذا السن

والتعليم واجب ديناً عند المسلمين ولذلك تجد الكتاتيب منتشرة في بلاد السودان بالمئات وقد وصفها اللورد كرومر في تقريرهِ عن العام الماضي وصفاً يغني عن زيادة التفصيل. وكان في النية مساعدة هذه الكتاتيب بالمال ثم اتضح انهُ لم يحن الوقت لذلك . وأُشير بانشاء بعض الكتاتيب المتقنة التي تجعل مثالاً لما يجب ان يكون عليهِ الكتَّاب و يُوتى اليها بالمعلمين من مصر وقد انشئ بعضها في الخرطوم وام درمان و بربر ودنقلة وود مدني وحلفا وسواكن و يراد انشاء غيرها ايضاً وتعلم فيها فروض الديانة والقراءة والكتابة والحساب وقد بُذلت الهمة لاصلاح كتاتيب الجنود .

اما إعداد اهالي السودان لوظائف الحكومة فاحسن سبيل لهُ في رأيي انشاء مدرستين او ثلاث من المدارس الابتدائية مثل المدارس التي انشئت في وادي حلفا وسواكن منذ اكثر من عشر سنوات

والحكومة في اشد الحاجة الآن الى شبان سودانيين متعلمين للجيش ولفروع الخدمة الملكية وسكك الحديد والتلغراف وزد على ذلك ان الموظفين المصريين والضباط الذين في حكومة السودان يودون ان تكون المدارس التي يعلمون فيها ابناءهم قريبةً منهم . فانشئت مدرسة للتعليم الابتدائي في ام درمان منذ شهر اكتوبر الماضي وقد كثر عدد تلامذتها كثيرًا حتى زادوا مرتين على ما نسع وهي الآن مزدحمة بهم . يحضرها يوميًّا مئة وعشرون تلميذًا والتعليم فيها مثل التعليم في المدارس المصرية الابتدائية او ابسط قليلاً ليوافق حالة السودان . ونسبة التلامذة المولودين في السودان الى التلامذة المصريين نسبة ١١ الى ٢ وكثير من التلامذة من ابناء امراء الدراويش السابقين او مشايخ القبائل

و يظهر ان الاهالي يقدرون اهتمام الحكومة بتعليم ابنائهم قدرهُ و يعلمون ان لا غرض لها

في التعرُّض لدينهم . وكل المعلمين حتى الآن من المسلمين

لكن وجود المعلمين ليس بالامر السهل وحتى الآن أُخذوا من نظارة المعارف المصرية . والصعوبة شديد في وجود المعلمين الاكفاء الذين يرتضون بالانتقال الى السودان ولكن لا ارى سبيلاً آخر من الآن الى عدة سنوات . ويحتمل ان تنشأ مدرسة لتعليم المعلمين ولكن ذلك يستدعي ان يكون في السودان التعليم الثانوي (العالي) وهو مما لا سبيل اليهِ الآن فلا بدَّ من تركهِ الى المستقبل

وتقدَّم البناء في مدرسة غوردون في غضون السنة الماضية وقد دعت الحال الى تحوير الرسم الاصلي اذ ظهر ان نفقات العمل بهِ تزيد عمَّا قدّر لها . فلما كنت في لندن في الصيف الماضي عرضت على اللجنة المعينة للنظر على المال المجموع لهذه المدرسة ما حسبتهُ لازماً من التحوير فاستصوبتهُ وينتظر ان تتم المدرسة في مدة سنة بحيث تمكن الاقامة فيها ويكون التعليم قد تقدَّم هناك تقدماً يأذن بجعل العلوم فيها على نسق ما تكون في المدارس العالية . قال المستر كري في تقريرهِ عن هذا الموضوع

"ان نفع هذه المدرسة ضيق النطاق الآن طبعاً ولكنهُ سيتسع كثيراً كلما اثمرت الوسائل المتخذة لنشر التعليم الابتدائي في البلاد . ويمكن ان نجني منها فائدة الآن ولكن فوائدها لا تقدَّر بعد خمسين سنة . وما نراهُ من فخامة بنائها لا ينسينا ما هي المعارف عليهِ الآن من سوء الحال في تلك البلاد . واذا حاولنا استخدام هذه المدرسة قبل اوانها لا نكون قد قمنا بالواجب نحو الفكر الذي اخرجها من عالم التصوُّر الى عالم الحقيقة لا سيما وانها بنيت منظوراً فيها الى حاجة السودان الحاضرة وما يحتاج اليهِ السودان الجديد . ولو كانت دون ما هي عليهِ من فخامة البناء لما استحقت ان تكون نتيجة للفكر الذي تصوَّرها وللكرم الذي جعل هذا التصور مما يمكن العمل بهِ ولكن الثمار لا تجنى في سنين قليلة . مثال ذلك ان البناء معدٌّ ليكون فيهِ طعام التلامذة ونومهم ولكن الطعام والنوم ضرب من المحال الآن ولا بدَّ من الانتظار وعليهِ فلا بدَّ من ان تنتظر المدرسة كلها الى ان ينتقل الناس من ام درمان الى الخرطوم . والبناء نفسهُ لا يتم تماماً قبلما يتم هذا الانتقال

"ولكن الحكم بان النجاح لا يكون الاَّ تدريجيًا لا يستلزم ان يترك هذا البناء من غير استعمال حينما يتم . فارتإي ان توضع المدرسة الصناعية في الغرف المعينة لها في الرسم وهو مكان مناسب لها لان ترسانة الحكومة امامهُ على الجانب الآخر من النهر ومدير الورش قريب منهُ وحينما ينتقل الناس الى الخرطوم تنتقل المدرسة الابتدائية اليهِ ايضاً . ومن غرضي ان اضع فيهِ ما يأتي

"— ا مكتبة عمومية للمراجعة في السودان

"— ب معرض صناعي زراعي ليساعد على ارتقاء البلاد التجاري

"— ج مرصد متيورولوجي ومرصد فلكي صغير

"— د معمل كيماوي"

ولا يقوم فرع من هذه الفروع وحدهُ من غير المدرسة مع ان كلاًّ منها لازم للسودان ومفيد لهُ جدًّا . ومتى ارتقت البلاد وزادت حاجاتها العلمية امكن نقل هذه الفروع الى مبانٍ خاصة بها

طاعون المواشي

لا داعي للاشارة هنا الى تاريخ هذا الوباء وتقدمهِ شمالاً في افريقية وحسبُنا القول انهُ عاث في بلاد الحبشة عدة سنوات وانتشر منها الى المستعمرة الايطالية واماكن مختلفة من السودان الشرقي . وظهر في ابي حراز على البحر الازرق في شهر فبراير سنة ١٩٠٠ تابعاً مجرى نهر دندر . واستؤصلت شأفتهُ هناك ولم يُسمَع عن حادثة منهُ حتى شهر ابريل حين ظهر على البحر الابيض قرب كاوى وفي جزيرة ابا وبُذلت الهمة في منع انتشارهِ جنوبًا الى بلاد الدنكا فقطع النهر ولم يستأصل من الدويم وكاوى حتى شهر يوليو

وظهر على غير انتظار في شهر يونيو في كوكو التابعة لمركز الحلفاية على البحر الازرق ولكنهُ لم ينتشر لحسن الحظ مع انهُ عاد فظهر بعد بضعة اشهر في الجريف ووصل الى بوري وهي قرية مجاورة للخرطوم . واشد ما ظهر بهِ ظهورهُ الاخير قرب ام درمان

ونحن نستخدم الفرسان والبوليس لمنع انتقال المواشي وانتشار الوباء ولكن بلغني وانا اكتب هذه السطور انهُ ظهر في قرى عند شلال شبلوكة وفي داخلية البلاد الى الشرق والغرب من تلك الجهة

وقد بذلت مصلحة الطب البيطري بادارة النشيط الهمام الماجور غرفث كل الجهد لاستئصاله ولا تزال تبذل جهدها في ذلك

وبُني معمل لاستخراج المصل في الحلفاية وأُعدَّت المعدَّات اللازمة لجلب كل ما يلزم لهُ من الادوات سريعاً . واستخدم ثلاثة من الجراحين البيطريين الذين اختبروا طاعون المواشي ومعالجتهُ في جنوبي افريقية وغيرهِ وأُتي بالمصل المضاد لطاعون المواشي من جنوبي افريقية والقسطنطينية

و يظهر من ذلك انهُ بذلت كل واسطة لاستئصال هذا الداء . ولم يعين مال لمقاومتهِ في الميزانية ولكن لم يُضن بمال ولا بجهد في سبيل استئصالهِ ان امكن ومنعهِ من الامتداد شمالاً

وجاء الاستاذ كول من معمل كوخ في برلين الى الخرطوم مدة الصيف وكتب تقريراً وافياً عن تقدُّم الوباء وافعل الوسائط لمقاومتهِ

الرق والنخاسة

مسألة الرق مسألة عسير حلُّها في السودان كما في غيرهِ من البلدان الافريقية

وقد اتخذت الوسائل المشدَّدة لمنع النخاسة قبل عصيان الدراويش . وبديهي ان النخاسة بلغت شأواً عظيماً في حكم الخليفة وان طرق منعها عادت فتسهلت باسترجاع السودان . وظهر نجاح هذه الطرق ظهوراً بيِّناً في العام الماضي . وكان الفرسان والهجانة وطوافة البوليس مهتمين كلهم في منعها . وخطف كثيرون في بداءة السنة في ام درمان وسواكن . وجرى شيء من المتاجرة بالرقيق بين سواكن وام درمان واماكن اخرى من السودان

وكثير من قبائل العرب النازلة حول سواكن ولا سيما قبيلة الرشايدة يغتنم الفرص ويهرّب الرقيق الى الشاطئ ويعبر بهِ البحر الاحمر باذوائهِ . وفي الصيف الماضي اقامت فرقة من مصلحة منع تجارة الرقيق في سواكن ومعها مفتش انكليزي فقبضت على بعض المتهمين بتهريب الرقيق واتت بهم الى المحاكمة وفي جملتهم شيخ الرشايدة وكان متهماً بابتياع الرقيق فحُكم عليهِ بالسجن سبع سنوات . ونتج عن ذلك ان هاجر كثيرون من هذه القبيلة الى المستعمرة الايطالية وانا اتخابر الآن مع سعادة حاكم المستعمرة للاتفاق على الاساليب التي تبطل هذه التجارة القبيحة

وقد نشر الكبتن مكمردو مدير مصلحة منع تجارة الرقيق في مصر رسالة على الرق في تلك الجهات . وانا واثق انهُ لا يمضي وقت طويل حتى ينشأ فرع من مصلحتهِ في الخرطوم لكي ينتشر منها الخفراء في السودان يرقبون مع هجانة الحكومة المصرية السكك المختلفة التي تسير فيها قوافل تجار الرقيق

ووضعت فرقة من الهجانة في الشهور التسعة الماضية في ادارمة لكي تخفر البلاد حول الاتبرة وتزور آبار الصحراء وسيقوم مقامها فرقة من هجانة مصلحة الرقيق تشترك مع هجانة العرب التي جمعت من كسلا ومع فرقة سواكن فتتم المراقبة على طريق الاتبرة والطريق الذي بين كسلا وسواكن

وقد قرَّر الكولونل كولنصن مدير كسلا انهُ حكمَ على احد عشر نفساً بموجب قانون

العقوبات وعتق ٥٣ رقيقاً وان العرب الرحَّل لا يزالون يبيعون الرقيق و يشترونهُ بعضهم مع بعض ولكنهُ يرجو ان يمنع ذلك بعد حين . وكل العبيد الذين عتقوا كتبت اسماؤُهم وهم يعيشون الآن بين السودانيين

وحكم على ١٣ بالنخاسة في جهات سواكن وعتق الماجور غودن ٦٦ من الرقيق عدا ١٢٩ عتقتهم مصلحة الرقيق . وعندهُ انهُ لا يهرَّب كثير من الرقيق الآن من هناك ولم يمحَ اثر النخاسة ولكن عدد الارقاء الذين سير بهم من سواكن سنة ١٩٠٠ اقل مما كان في السنين السابقة

وقد فهم اهالي السودان الآن ان الرق ممنوع ولذلك ترك كثيرون من العبيد بيوت اسيادهم واتوا المدن الكبيرة حيث لا يجدون كفافهم دائماً فصار بعضهم لصوصاً وهم يكرهون العمل بعد تحريرهم مع ان البلاد في حاجة شديدة الى العمال . فليس من مصلحة السودان ان يترك العبيد اسيادهم فتبطل الاعمال ويختل نظام البيوت و يزداد عدد الكسالى . واعني بالعبيد هنا الرجال والنساء الذين يخدمون اسيادهم من غير اجرة يتقاضونها منهم ولاسيادهم السلطة عليهم . فاذا اراد اهالي السودان ان لا تتعرَّض الحكومة لهم وجب عليهم ان يعاملوا هؤُلاء الخدم بالحسنى والتؤدة و يعرفوا انهم لم يبقوا عبيداً اي انهم ليسوا الآن ملكاً حلالاً لهم كما كانوا قبلاً . فان لم يعلِ السيد خدامهُ ولم يعاملهم بالحسنى حق لهم ان يداعوهُ فيحكَم عليهِ : ولا شبهة في ان كثيرين من الاسياد يعاملون عبيدهم احسن معاملة وقد يحسبونهم مثل اهل بيوتهم

التلغراف

مُدَّ في العام الماضي ٥٠٠ ميل من خطوط التلغراف ووصل بين الرصيرص وكركوج وبين ام درمان والدويم وبين الدويم والابيض وبين القضارف وود مدني وفتحت مكاتب التلغراف في الابيض والرصيرص وسنغا والجبلين (ثم أُقفل الاخير الآن)

و يراد مد خط هذه السنة من قوز ابي جمعه الى كاوى وجعل اسافل الاعمدة من الصلب (الفولاذ) من قوز ابي جمعه الى سنار ومنها الى الخرطوم بطريق ود مدني

والعمل جارٍ في مد الخط بين سواكن و بربر .وتبيَّن ان الارضة (النمل الابيض) تتلف اعمدة الخشب فدعت الحال ان منحت المالية المصرية ١٨٥٠٠ جنيه افرنجي لابتياع اعمدة من الحديد توضع في اسفل اعمدة الخشب . وابتيعت اسلاك مما يمدُّ في الماء لتمد بين الخرطوم وام درمان وبين الكرمة والحافر

عبرة وذكرى

فاجعة بيروت فجر يوم الخميس في ٣٠ مايو سنة ١٩٠١

صاح قِف بي فوق الحصى والجنادلْ وقفةَ الآسف الشجيِّ الثاكلْ
فيَّ واستنطِقِ الطولَ وسائلْ يا ترُى أين أهلُ هذه المنازلْ
لا ديارًا أرى ولا دُثورًا كلها اصبحت هبآً منثورا
يا لها نكبةً تدقُّ الصخورا بل تردُّ الحديدَ كالماء سائلْ
رُزِءَ فجر الخميس بيروتَ ذكَّرْ بمصابٍ سهامها قبل فطَّرْ
في كلا الحادثين اهوَلُ منظر لاح للعين عند ما انقضَّ ماثلْ
غير ان الاخير عنديَ اعظمْ وَهوَ عند الجميع ايضًا مسلَّمْ
بين هذا وذاك فرقٌ ومَن لم يقتنع بالمقُول دعهُ يقابِلْ
خَطبُ يوم الخميس آلمُ خطبِ هولهُ عمَّ مُدْمِيًا كلَّ قلبِ
وببيروت حاق شرقًا بغربِ وجنوبًا .اصابهــا وهو شاملْ
ذلك الفجرُ لم يكُنْ قطُّ فجرا فهوَ باسم الظلام اولى وأحرى
وجههُ كان باسرًا مكفهرًّا من حُلَى النور جيدهُ كان عاطلْ
غَشِيَ الغمُّ كلَّ وجهِ السماء هكذا كان من مسا الاربعاء
اذ تبدَّى فيهِ لعين الرائي بدرهُ عادمَ الضيا متضائلْ
وكأَني بهِ اتاهُ نذيرُ بمُصابٍ تشيب منهُ الشعورُ
واعتراهُ خوفٌ شديدٌ كبيرُ فدجا وهو طالعٌ غيرُ آفلْ
أنصف الليلُ والعيونُ تملتْ سُهْدَها وعرى الافاقة حلتْ
وجميع الجسوم للدأب ملت وغدا كلهـا الى النوم مائلْ
هكذا نام اهل هذي البيوتِ مثل باقي السكان في بيروتِ
بسكونٍ وراحةٍ وسكوتِ رقدوا والسلام للكل شاملْ
ليس فيهم مَنْ ظنَّ أنَّ كراهُ ذلك الليل ينتهي بردَاهُ
عالَّ النفسَ بالصباح يراهُ مستنيرًا الى النهار الكاملْ

هوذا الآن آخر الليل . إسمعْ كيف ناقوسُ ساعة البرج يقرعْ
كفَّ قرعاً بين اثنتين وأربعْ فثلاثاً اذاً يكون الحاصلْ

أنظر البدرَ مالَ نحو الغيابِ وهوَ قد ماط عنهُ سجفَ السحاب
فتبدّى لنا بمجلى اكتئابِ أصفرَ الوجه شاحبَ اللون حائلْ

رامَ إرسالَ نورهِ ليصافحْ أهلَ ذاك الحمى صفاحَ البارحْ
فسرى منهُ نجومَهم وهو فاتحْ في حماهم باب الهلاك العاجلْ

ونسيمُ الصبا يهبُّ بليلاً قارصاً للخدود شيئاً قليلاً
وهوَ قد كان قاصداً تقبيلاً فانثنى عنهُ خائباً غيرَ قابلْ

حالت الامهاتُ دون مناهُ وحجبنَ الاولاد عن مسراهُ
خفنَ أن تُدميَ الخدود يداهُ فجعلنَ الدثار اعظمَ حائلْ

أصغِ تسمعْ صوتاً دوى مثل رعدِ بغتة قاصفاً ! اذاً صوتُ هدّ!
وبهِ الجوُّ بات يدوي ويصدي ولقد أرجفَ الثرى كالزلازل

وعلى إثرهِ عويلٌ عالِ ونداءُ استغاثةٍ متوالِ
وصراخٌ كلُّ المسامعِ مالِ واختلاط وحاوحٍ وولاولْ

كان هذا الصراخ بضعَ ثوانِ وانقضى صوتهُ من الآذانِ
وأُلو الصوتِ مثل هذي المباني أُودعوا جعبةَ الزوال الزائلْ

هُدِمَتْ تلكمُ المنازلُ هدما وغدَت عينهـا على الفور رسما
وأوى اهلها المساكين ردما فوقهم جرَّ للفناء ذلاذلْ

صاحِ أُنظرْ في الشرق شمس الخميسِ أقبلت تنجلي انجلاء العروسِ
بضياها طابت جميع النفوسِ رائعاتٍ من رغدها في خمائلْ

كلُّ فردٍ من اهل دار الصفاء قرَّ عيناً من الضحى بضياء
نال منها حرارةً مع نماء وانتعاشاً لهُ المسرَّةَ كافلْ

ما عداكم يا أهل هذي القبورِ قد خبطتم في ظلمة الديجورِ
ليس فيكم مَن فاز منها بنورِ مثل كان عند ما نامَ آملْ

انَّ شمسَ الخميسِ لمَّا تبدَّت شاركت في الاسى عليكم وحدَّت
وسحابًا كالبدر ايضًا تردَّت وعليكم بكاؤها متواصلْ

عمَّ صوت النعيِّ كلَّ الاهالي فتجارى سوادهم في الحالِ
واتى حضرة الرشيد الوالي مع فريقٍ من رهطهِ والقناصلْ

وقفوا كلهم على الانقاضِ بصدورٍ ملأَى دواعي انقباضِ
ونفوسٍ تشبُّ نارَ امتعاضِ وقلوبٍ فراغها الغمُّ شاغل

لم يغظهم يا صاحِ أنَّ القصورا اصبحت صفصفًا وباتت بورا
بل لأنَّ القصورَ صارت قبورا وبأشلاء ساكنيها اواهل

وابتدا الحفر عاجلاً بالفؤوسِ عن خبايا النفوسِ لا عن "فلوس"
جثثًا أُخرِجت كما من رموس فوقها الموت شاربٌ وهو آكلْ

ويحَ قلبي على نفوسٍ بريَّهْ ودماءٍ بالحقِّ كانت زكيَّهْ
ضحيت فوق مذبح الاشعبيَّهْ وبها شحُّ غيرها كانَ ناكلْ

أخرجوها من جوف تلك الجلامدْ مشهدًا للتمثيل شرَّ المشاهدْ
هذهِ أرجل وتلك سواعد بينها القطع فاصل غير واصل

ذاك قطعٌ بهِ وذلك ثرمُ وبهذا جدعٌ وفي ذاك صلمُ
ما عليها من السلامة رسمُ بل عليها التشويهُ ساطٍ وصائلْ

يا ضحايا التقتير هل من يجودُ منكمُ بالسؤال عما اريدُ
اعلموني فانني مستفيدُ عن امورٍ لها انا الآن جاهلْ

ايُّ رعبٍ ترى يكون اعتراكم اذ عليكم للردم بات تراكمْ
واحجبتم عنا فما إن تراكمْ غير عينٍ برأيها الكل داخلْ

اخبرونا بما تراءى لديكمْ حين هُدَّت تلك القصور عليكم
والمنايا في الحال خفت اليكم واستعدَّت لقنصكم بالحبائل

ما فعلتنَّ ايها الامهاتُ بالصغار الذين معكنَّ باتوا
ها همُ الآن مثلكنَّ رفاتُ ليس فيهم على الحياة دلائل

كَم ملاك بادٍ بصورة طفلٍ فوَّق الموت نحوهُ ايَّ نبلِ
مات لكن قتلاً ! نعم شرَّ قتلِ سامح الله من لهم كان قاتِل
كم فتى بالحياة علل نفسهُ فأوى وهوَ ناعمُ البال رمسهُ
ما أراهُ الخميس يا قومُ شمسهُ بل عليهِ بنورها كان باخِل
كَم فتاةٍ باهي الجمال اليها كان يعزَى والحسنُ وقفًا عليها
صوَّحت زعزع الردى وجنتيها فغدا ورد خدِّها الغصن ذابل
كان ما املَّت سحابة صيفٍ أقشعت وانقضت سريعاً كطيفٍ
وفرَاها مُصابها فريَ سيفٍ ارهفت حدَّهُ اكفُّ الصياقل
يا حمام الحمى ابكي معنا وردِّدْ ندب اهل الحمى وما شئت عددْ
نُحْ ورَجِّعْ واسجعْ و بالهدْر اسعدْ قلبَ باكٍ على الكآبة عامل
وابكِ من اهلهِ على غرباء امهات بنين مع آباء
ما لهم في بيروت من انسباء ولهذا الباكون كانوا قلائل
وارثِ امًّا لما قضت ولداها قَضيا مع ذي الام لم يتركاها
طوَّقتها ايديهما ويداها بهما حفتا محفًّا كامل
يا نفوساً بها المقدَّر أردى وهي تربي على الثلاثين عدًّا
وبأمن سارت الى حيث تهدى راحة لا يشوبها من قلاقل
عبرة خطبك الملمُّ وذكرى لنفوس بحالها اللهُ ادرَى
لنفوسٍ سكرى وما هي سكرى بل عليها الغرُورُ مرخٍ سدائل
فليكن ذا المُصابُ خيرَ خطيبٍ منذرٍ بانقضاض شهب الخطوبِ
واللبيبُ اللبيبُ كلُّ منيبٍ مرْعوٍ تائبٍ رضى اللهِ نائل
فلنبادر اليهِ في الحال نلقى منهُ عونًا طبقَ المرام ورفقا
ذاك خيرٌ لنا جميعًا وأبقى فهنيئًا لمن الى الله راحل
واذا انهدَّ بيتنا الارضيُّ فلنا في السماء بيتٌ بهيُّ
غير مصنوعٍ من يدٍ ابديُّ ذاك اسنى البيوت أسمي المنازل

اسعد داغر

الاسلام في الصين

الاسلام قديم الهجرة في بلاد الصين يذكر الصينيون ان اول ظهوره بين ظهرانيهم كان لعهد السلطان (تايتسونغ) وذلك في القرن السابع للمسيح وان اول داخل من المسلمين الى تلك الديار رجل من عَصَبة النبي يقال لهُ ابن حمزة جلا الى الصين بثلاثة آلاف مهاجر ونزلوا في (سنغان فو) وانهُ جاء على اثرهم مسلمون آخرون من طريق البحر واقاموا بجهات يونان . ويذكر مؤرخو الصين انهُ في نواحي سنة ٧٥٨ اقبل على بحر الصين متلصصة من العرب يأخذون كل سفينة غصباً فعاثوا في تلك البحار وجاسوا خلال الديار واكتسحوا ضواحي كنتون واحتووا على ما في الاهراء السلطانية التي هناك . وهذه تباشير دخول العرب لتلك البلاد بحسب ما ورد في تواريخ الصين

ولم اجد الى الآن في الكتب التي طالعتها من كتب العرب اثراً لقصة ابن حمزة هذا ولا ما يوافقها وانما روى المسعودي في تاريخهِ قصة تحكيها من بعض الوجوه نأثرها بالاختصار وهي ان رجلاً من قريش من ولد هبار بن الاسود خرج الى مدينة سيراف وكان من ارباب البصيرة وذوي الاحوال الحسنة ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب الى مركب ومن بلد الى بلد الى ان انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو ثم دعتهُ همتهُ الى ان سار الى ديار ملك الصين وكان الملك يومئذٍ بمدينة حمدان وهي من كبار مدنهم فاقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر انهُ من اهل بيت نبوة العرب فامر بعد هذه المدة الطويلة بانزالهِ في بعض المساكن وازاحة العلة بما يحتاج اليهِ . وكتب الى الملك المقيم بخانقو يأمرهُ بالبحث عنهُ ومسألة التجار وعمَّا يدعيهِ من قرابة نبيّ العرب صلى الله عليهِ وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبهِ فاذن لهُ في الوصول اليهِ ووصلهُ بمال واسع واعادهُ الى العراق

ويظهر من كتب العرب ان اول صقع عرفوهُ من بلاد الصين هو كاشغر وذلك منذ سنة ست وتسعين للهجرة اذ غزاها قتيبة بن مسلم الباهليّ في خلافة الوليد بن عبد الملك الامويّ . قال ابن الاثير الجزريّ في تاريخهِ انهُ سار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر استعمل رجلاً على معبر النهر ليمنع من يرجع الاَّ بجواز منهُ ومضى الى فرغانة وارسل الى شعب عصام من يسهل الطريق الى كاشغر وهي ادنى مدائن الصين فغنم وسبى واوغل حتى بلغ قريب الصين فكتب اليهِ ملك الصين ان ابعث اليَّ رجلاً شريفاً يخبرني عنكم وعن دينكم

فانتخب قتيبة عشرة رجال لهم جمال والسن وبأس وعقل وصلاح فامر لهم بعدة حسنة ومتاع حسن من الخز والوشي وكان منهم هبيرة بن مشمرج الكلابي فقال لهم اذا دخلتم عليهِ فاعلموهُ اني قد حلفت اني لا انصرف حتى اطأ بلادهم واختم ملوكهم واجبي خراجهم . فساروا وعليهم هبيرة فقال لهم ملك الصين قولوا لصاحبكم ينصرف فاني قد عرفت قلة اصحابهِ والاَّ بعثت اليكم من يهلككم . قالوا كيف يكون قليل الاصحاب مَن اول خيلهِ في بلادك وآخرها في منابت الزيتون واما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالاً اذا حضرت فاكرمها القتل لسنا نكرههُ ولا نخافهُ . وقد حلف ان لا ينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية . فقال فانا نخرجهُ من يمينهِ ونبعث تراب ارضنا فيطأهُ ونبعث اليهِ ببعض ابنائنا فيختمهم ونبعث اليهِ بجزية يرضاها. ثم اجازهم وبعث بما ذكر الى قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان وردهم ووطئ التراب . فقال سواد ابن عبد الملك السلولي

لا عيب في الوفد الذين بعثتهم للصين ان سلكوا طريق المنهجِ
كسروا الجفون على القذى خوف الردى حاشى الكريم هبيرة بن مشمرج
اذّى رسالتك التي استدعيتهُ فاتاك من حنث اليمين بمخرج

ووصل الخبر الى قتيبة في هذه الغزاة بموت الوليد ثم قُتل قتيبة في السنة نفسها ولا يبعد انهُ لو بقي حيًّا لاستأنف الكرة على الصين لما هو معهود من بعد همتهِ في الجهاد . ولا شك ان الاسلام كان قد دخل في البلاد منذ ذلك الوقت وكثرت اتباعهُ وما زالوا على نموّ وازدياد يُلحَظ ذلك من تضاعيف الحوادث المذكورة في تواريخ العرب فقد ذكر ابن الاثير انهُ في سنة اربع وستين ومائتين ظهر ببلاد الصين انسان لا يُعرَف جمع غمارًا من العامة واهل الشرّ وقصد بهم مدينة خانقو وحصرها . قال وهي حصينة ولها نهر عظيم وبها عالم كثير من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس وغيرهم من اهل الصين . هذا في القرن الثالث للهجرة واما بعد ذلك فترى الاخبار عن مسلمي الصين كثيرة . نقل الامام احمد القلقشنديّ المتوفى سنة ٨٢١ عن الشريف حسن بن الجلال السمرقنديّ وكان من السفار وممن جال الآفاق ودخل الصين وجاب آفاقهُ وجاس خلالهُ انهُ قال ان من عجائب ما رأى في مملكة القان (اي الخان) انهُ مع كفرهِ في رعاياهُ من المسلمين امم كثيرة وهم عندهُ مكرمون محترمون ومتى قتل احد الكفار مسلمًا قُتل القاتل الكافر واهل بيتهِ ونهبت اموالهم وان قتل مسلم كافرًا لا يُقتل بهِ بل يُطلَب بديتهِ ودية الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيرهِ

ولم يدخل الاسلام بيت الملك في تلك البلاد الاّ ما كان ببلاد المغول في ذرية جنكيز

خان وفي كاشغر . قال ابن خلدون في الجزء الخامس من تاريخهِ عند ذكر الترك انهُ كانت لهم دولة ببلاد تركستان وكاشغر وان ملوكهم اسلموا بعد صدر من الملة على بلادهم وملكهم وكان بينهم وبين بني سامان القائمين فيما وراء النهر بدولة بني العباس حرب وسلم

قال يحيي بن احمد بن علي النسابي كاتب جلال الدين خوارزم شاه في تاريخ دولتهِ ان مملكة الصين منقسمة من قديم الزمان على تسعة اجزاء كل جزء منها مسيرة شهر ويتولى كل جزء منها ملك يسمى بلغتهم خان ويكون نائبًا عن الخان الاعظم وكان جنكيز احد الخانات المذكورين فتغلَّب عليهم جميعًا وصار الملك الاعظم . وفي كتاب ابن فضل الله محكيًا عن الصاحب علاء الدين عطاء ان دينهُ ودين قومهِ كان المجوسية حتى ملكوا الارض واستفحلت دولتهم بالعراق والشمال وما وراء الهند فاسلم من ملوكهم من هداهُ الله للاسلام

وذكر ابن خلدون في الكلام على ملوك بني جغطاي بتركستان وكاشغر وما وراء النهر انهم كانوا اولاً كلهم على دين المجوسية يعضُّون عليها بالنواجذ فلما صار الملك الى (ترماشين) منهم اسلم سنة خمس وعشرين وسبعمائة وجاهد واكرم التجار المترددين

وذكر الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخهِ في خبر الملوك بني دمرش خان وهو من اولاد جنكيز خان انهُ لما مات دوشي خان ولي مكانهُ ابنهُ ناطو خان ثم مات وولي بعدهُ طرطو خان ثم مات فولي بعدهُ ابن اخيهِ واسمهُ بركة فاسلم على يد شمس الدين الباخوري وكان مقيمًا ببخاري كتب اليهِ يدعوهُ الى الاسلام فاسلم وان بركة هذا اعمل الرحلة الى لقاء شمس الدين فلم يأذن لهُ في الدخول حتى تطارح عليهِ اصحابهُ وسهلوا الاذن لبركة فدخل وجدد اسلامهُ وعاهد الشيخ على اظهار الاسلام وان يحمل عليهِ سائر قومهِ فحملهم واتخذ المساجد والمدارس في بلاده وقرَّب العلماء والفقهاء . ثم ذكر المؤرخون اسلام ازبك بن طغرلجاي من سلالتهم واسلام تكدار بن هولاكو وخربندا بن ارغو ثم احمد بن هولاكو . وفي مختصر الدول لابي الفرج الملطي صورة كتاب كتبهُ الى سلطان مصر في ذلك الوقت جاء فيهِ " بقوة الله باقبال قاان فرمان احمد اما بعد فان الله تعالى بسابق عنايتهِ وبنور هدايتهِ قد كان ارشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثة الى الاقرار بربوبيتهِ والاعتراف بوحدانيتهِ والشهادة لمحمد عليهِ افضل الصلاة والسلام بصدق نبوتهِ (الى ان يقول) وانفذنا اقضى القضاة قطب الدين والاتابك بهاء الدين وهما من ثقات هذه الدولة القاهرة ليعرفاهم طريقتنا ويتحقق عندهم ما ينطوي عليهِ لعموم المسلمين جميل سنتنا وبينًا لهم انا من الله على بصيرة وان الاسلام يجبُّ ما قبلهُ الخ "

وقال القلقشندي في " صبح الاعشى " ان اول من اسلم من ملوك هذه المملكة ترماشيرين

فاسلم واحسن اسلامهُ واخلص وايد الاسلام وقام بهِ حق القيام وامر بهِ امراءهُ وعساكرهُ وذكر ايضاً عن بكدار انهُ اسلم

وقد بقي الاسلام في اعقاب الاويغور طائفة جنكيز خان الى يومنا هذا . ففي جغرافية اليزه رِكلوس " ان الاويغور والطانغوت سكان بلاد كانسو كانوا قديماً من عبدة اللاما ومن النساطرة فاسلموا واسلم بهم جميع سكان الشمال والغرب من مملكة جغطاي ثم ازداد عددهم بمهاجرة المهاجرين من اهالي التركستان الشرقي ومسلمي المغول الذين بقوا من عهد تمرلنك وبهذا صارت الاغلبية للاسلام في هذا القسم من مملكة الصين"

ولما دخل ابن بطوطة الصين على ما ذكر في رحلتهِ كان الاسلام فيها غضًّا وافرًا حسبما يفهم من كتابهِ فهو يقول في الجزء الرابع من رحلتهِ " وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون فيها بسكناهم ولهم فيها المساجد لاقامة الجمعات وسواها وهم معظمون محترمون"

ولما ذكر مدينة زيتون قال "وهذه المدينة وجميع بلاد الصين يكون للانسان بها البستان والارض ودارهُ في وسطها كمثل ما في بلدة سجلماسة في بلادنا وبهذا عظمت بلادهم والمسلمون ساكنون بمدينة على حدة " . ثم قال عمن تعرَّفهُ من صدور تلك البلاد " وجاءَ اليَّ قاضي المسلمين تاج الدين الاردويليّ وهو من الافاضل الكرماء وشيخ الاسلام كمال الدين عبدالله الاصفهانيّ وهو من الصلحاء وجاء اليَّ من كبار التجار فيهم شرف الدين التبريزيّ احد التجار الذين استدنت منهم حين قدومي على الهند وهؤلاء التجار لسكناهم في بلاد الكفار اذا قدم عليهم المسلم فرحوا بهِ اشد الفرح وقالوا جاء من ارض الاسلام ولهُ يعطون زكوات اموالهم فيعود غنياً كواحد منهم"

وقال عند ذكرهِ مدينة صين كلان " ان ببعض جهاتها بلدة المسلمين لهم بها المسجد الجامع والزاوية والسوق ولهم قاضٍ وشيخ ولا بد في كل بلد من بلاد الصين من شيخ الاسلام تكون امور المسلمين كلها راجعة اليهِ وقاضٍ يقضي بينهم وكان نزولي عند اوحد الدين السنجاريّ وهو احد الفضلاء الاكابر وذوي الاموال الطائلة "

وذكر عند وصولهِ الى مدينة قنجنفو ان المسلمين فيها يسكنون داخل السور الثالث وانهُ نزل عند شيخهم ظهير الدين القرلانيّ وقال عن الخنساء انها ست مدن كبار وان بالمدينة الثانية منها مسكن اليهود والنصارى والترك وبالثالثة مسكن المسلمين وبها المساجد ولاولاد عثمان ابن عفان المصريّ وهم كبراء المسلمين فيها زاوية تعرف بالعثمانية وبها طائفة من الصوفية والمسلمون كثيرون في هذه البلدة

والظاهر ان الاسلام ما برح ينتشر في آفاق الصين حتى بلغ عدد اهلهِ عشرات من الملايين . زعم سكانشوف انهم عشرون مليونًا فقط وذهب الاكثرون الى ان عددهم فوق هذا بكثير واحصاهم صاحب كتاب (le mahométisme en Chine) المحمدية في الصين خمسة وثلاثين مليونًا وزعم بعضهم انهم اربعون مليونًا وقال آخرون انهم يربون ايضًا على ذلك وان السواد الاعظم في ولاية كانسو هو منهم وهناك مدينتا سالار وكنكيابو محطا رحال الطلاب والمتفقهين من جميع اقطار الاسلام الصينية . وقد احصي عدد المساجد في بعض مدن كانسو فبلغ مئات وهو ما لم يعهد الاَّ لعواصم الاسلام الكبرى مثل الاستانة العلية ودمشق والقاهرة وان كثيرًا من ولايات الصين الشمالية ثلثها من المسلمين وهم اهل التجارة والكد والعمل ولذلك تجد حالتهم اجمل وازين من حالة بقية الصينيين وكثيرًا ما يأخذون اولاد الفقراء من الوثنيين ويربونهم في حجر الاسلام خصوصًا عند حصول المجاعات الشديدة . وقد شدَّد فقهاؤهم عليهم في اداء الزكوات فيجمعونها في صناديق لكل بلد ينفقون منها في شدائدهم و يسدون بها عوز محاويجهم فتجد المعدمين منهم قليلين ولهم بعضهم على بعض حنان ورأفة وحفيظة فيما بينهم وعلى عدوهم لا توجد في الامم التي تساكنهم كذلك بسبب تجافيهم الافيون وانواع المسكرات تجد اجسامهم احسن من اجسام غيرهم فهم يفوقون جيرانهم الصينيين صورةً ومعنى ويسميهم الصينيون " هواي هواي " وهذا لقب طائفة الاويغور في الماضي واما هم فيؤثرون ان يسموا " كيا ومن " اي اهل الدين عطفًا على " ان الدين عند الله الاسلام " .

ومسلمو بلاد يونان الجنوبية يعرفون باسم " بانطى " وجميع المسلمين هناك يتميزون عن سائر الاهالي بملامحهم وشاراتهم ووحدة ملابسهم ويلوح عليهم من النُعرة والانفة ما لا يلوح على سواهم وكلهم من اهل السنة والجماعة ولكنهم في الفقه فئتان الحنفية والشافعية وهم يكرهون جدًا الاختلاط بالوثنيين ولا يزوجونهم وانما يأخذون من بناتهم في الاحايين شراء بالدرهم

وقد وقعت لمسلمي الصين في هذا القرن مع اهل تلك المملكة حروب تشيب لها الاطفال اذا استقصى خبرها المؤرخ لم تكفهِ فيها المجلدات وملخصها ان اول ثورة حصلت هناك هي في بلاد يونان بسبب عملة من الفريقين كانوا يعملون في احد المعادن فاسفر القتال عن الغلب للمسلمين وتكررت الحوادث والظهور لهم حتى بلغ الحنق من ولاة الصين مبلغهُ فاستنفروا اليهم الوثنيين قاطبةً ونادوا باستئصال شأفتهم وتعفية آثارهم وذلك في يوم معين من شهر ايار احد شهور سنة ١٨٥٦ فاستشعر المسلمون ذلك قبل وقوعهِ واخذوا لهُ اهبتهم وجمَّروا واستلأَموا فلما وقعت الواقعة توفرت الطائفة لجهتهم ولم تنل الحكومة منهم مأربًا الاَّ في القرى التي مسلموها قليلون .

وتكررت الوقائع وسعد الفريقان بعضهم لبعض من اكثر جهات البلاد والمسلمون في غلبة وظهور حتى افتتحوا عنوة مدينة " طالى فو " وهي منيعة حصينة من الطراز الاول في حصون الصين وفتحوا منها طريقاً الى برمانيا يسربون منهُ اليها الميرة والسلاح ثم استولوا على مدينة " يونان فو " حاضرة البلاد ومضى على دولتهم هذه وهبوب ريحهم بتلك الارض ثلاث عشرة سنة والصين لا تزداد امامهم الا انخذالاً حتى ايقنت ان لا قبل لها بقهرهم بذباب السيف فمالت الى اعمال الحيلة والدسائس وجاذبت زعماءهم حبال الرشوة ومنتهم الاماني وادرَّت عليهم العطايا الوافرة سرًّا وولتهم الاعمال الخطيرة حتى فصمت عرى اتحادهم وحلت بنفثات سحرها عقدة جامعتهم بل استمالت بعض رؤَسائهم الى ان وقفوا في صفها يقاتلون بني ملتهم فبديهيًّا ان تنحلَّ بعد ذلك عصبيتهم وتفشل ريحهم وان يزرع الصينيون فيهم الانتقام حتى يهلك منهم ثلثون الفاً بحد السيف ويلحق اقوام منهم بمملكة برمانيا

اما في شمالي الصين فاستطار شرر الفتنة سنة ١٨٦٠ وذلك في " هوانشيو " شرقيَّ " سينغان فو " وكانت الدائرة على الصينيين وتأثرهم المسلمون في كل سهل وجبل يقتلون ويسبون ولكنهم عجزوا عن دخول سينغان فو لمناعة اسوارها ثم امتد لهيب الثورة في تلك البلاد ونادى منادي الاسلام يالثارات فقاموا قيامة الرجل الواحد وفرَّ الصينيون والمغول من امامهم وانهال المسلمون في اثرهم يشلونهم شلاًّ و يستقصونهم اسرًا وقتلاً وامتلأت ولايات شانسي وكانسو عيثاً ودمارًا والتجأ الوثنيون الى الكهوف والمغاور وظنوا انها مانعتهم فلم تكن بمانعتهم واشتمل الخراب على تلك البلاد حتى لم يبقَ قرية الأخوت على عروشها ولم يذر المسلمون الأعلى المسيحيين ولم يبقَ عامرًا من تلك الجهات الاَّ الامصار الكبيرة بما ادير عليها من سياج الاسوار . وقُدِّر عدد الذين هلكوا في هذه المعمعة بالملايين . وحدَّث بعض مؤرخي الافرنج ان من المسلمين من بلغ منهُ الحنق ان قتل اولادهُ وامرأتهُ ليتوفَّر على الجهاد . والحاصل ان هذه الفتنة كانت من اكبر الفتن واستمرت خمسة عشر عاماً كاد ينقطع امل الصين في خلالها من استرداد البلاد ولكن لم يلبث الشقاق ان دخل بين المسلمين فادخل عليهم الوهن وتشظَّت عصاهم قطعاً فنالت منهم عساكر الامبراطور واسترجعت الشانسي ثم الكانسو ثم معاقل تيان شان وبددت شمل الباقين من الثوار في دز ونغاريا ولكنهم لا يزالون الى الآن اهل صولة وشوكة وشأنهم على ازدياد وجدهم في صعود ومنهم كثير من الحكام وقواد الجيش . وكثير من المؤرخين الاوربيين يظنون ان لهم وحدهم مستقبل السلطان في الصين . وقد بعثت الدولة الروسية مرةً بعثاً علمياً جال في الصين وجاب آفاقها واطلع على دخائل امورها فكان من جملة ما قررهُ تحذير الروسية

من مستقبل الاسلام في تلك المملكة لانهُ ينمو ويتقدَّم واذا اخذ يوماً بزمام الدولة انقلبت هيئة الشرق الاقصى انقلاباً عظيماً لان الصين اسلامية ليست كالصين وثنية (وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين)

شكيب ارسلان

الجرائم واسبابها

الجرم لغةً الذنب وعرَّفهُ علماءُ القانون بما يقع من فعل او حركة خلافاً للحق والعدل والقانون . او هو كل فعل نصَّ القانون بالعقاب عليهِ لكونهِ منافياً للعدل عابثاً بمصلحة الجمهور

والجرائم على اختلاف انواعها القانونية لا تخلو منها امة من الامم ولا جيل من الاجيال ولا تختص بمصر دون آخر بل تستوطن وتستقرّ في جميع الامصار سواء كانت آهلة باقوام متوحشين او متمدنين . وقد تنبه لها في القرن الماضي جماعة من المحققين وفي مقدمتهم الاستاذ لومبروزو الايطالي واهتموا بمعرفة الاسباب التي تحمل الناس على اقترافها و بعد التنقيب توصلوا الى كشف حقائق جلّت وان قلت ولا جناح عليهم اذا قلَّ ما اكتشفوهُ مع طول مدات البحث ولا لوم اذا لم يبلغوا الغايات المرومة لانهم قلال ولان العقبات التي اعترضتهم في خلال التحقيق كثيرة لا يعترض مثلها غيرهم في التنقيب عن غيرها من الحقائق العلمية

ومع ان البحث عن الجرائم واسبابها مهم جدًّا ترى الجرائد العربية عموماً مقصّرة عن الخوض فيهِ والعناية بدرسهِ الاَّ ان مجلة المقتطف تعرضت لهُ غير مرةٍ كما ترى في مقالة الجنون والجرائم المدرجة في الجزء الثاني من المجلد الحادي عشر ومقالة منع الجرائم المدرجة في الجزء السادس من المجلد الثاني والعشرين ومقالة الجرائم والاوهام المدرجة في الجزء الاول من المجلد الثالث والعشرين . وقد عنَّ لخاطري الضعيف على ما بي من العجز والتقصير ان اطرق باب هذا البحث مستلفتاً انظار علمائنا الاعلام الى استجلاء غوامضهِ منبهاً اطباءنا الحاذقين لكشف كثير من اسرارهِ

اطبق العلماءُ في كل عصر واتفقوا على ان الاجتماع ضروري للنوع الانساني لان الواحد من الناس لا بدَّ لهُ في تحصيل غذائهِ وكسائهِ والدفاع عن نفسهِ من الاستعانة بابناء جنسهِ والانسان بطبعهِ الحيواني ميال الى الشر نازعٌ الى الظلم

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

وهذا الطبع الحيواني لا يفارقهُ ولو انتظم في سلك الاجتماع بل يرافقهُ فيهِ ويدفعهُ الى

منافسة غيره ومغالبته وتملك ما بيده بالاعتداء عليهِ . ولا بدَّ من وازع يصدُّ الناس عن الاعتداء ويدفع بالعقوبات بعضهم عن بعض حفظاً للنوع الانساني واستبقاء للعمران البشري . فقامت الحكومات ووضعت قانون العقوبات غير ان هذا القانون شرَط ألاَّ يعاقب المجرم الاَّ اذا كان عاقلاً مميزًا حرًّا . ولا يخفى ان العقوبات لا تقوى على تغيير طباع المجرم بعد بلوغهِ وصيرورتهِ عاقلاً مميزًا ولا تؤثر في الاسباب التي صيرتهُ مجرماً ولهذا يتحتم على محبي المجتمع الانساني ان يبحثوا عن الاسباب التي تولد الجرائم ويتفقوا بعد معرفتها على استنباط دواء يؤدي الى استئصالها او يفضي على الاقل الى تقليل وقوعها واتقاء شرورها

وقد ظن كثيرون ان الفقر من اهم اسبابها وانهُ يحمل الانسان على الاجترام والعبث بنظام الاجتماع ولكن هذا الظن لا يصدق في كل الاحوال لانهُ علم بالتحقيق ان ما يقترفهُ الانسان من الجرائم محمولاً عليهِ باضطرارهِ الى القوت انما هو قليل بازاء ما يجترمهُ بغير هذه العلة وان بني البشر لا يمتنعون من اقتراف المعاصي واتيان المخازي اذا حصلوا كل ما يحتاجونهُ من الاغذية والملابس والامتعة والمباني او بلغوا من التأنق فيها غايتهم بل يقدمون على اتيانها في الشدة والرخاء وفي حالتي الفقر والغنى

وقال آخرون ان تقدُّم الانسان في التمدن يمحو الجرائم و يزيل اثرها وهذا القول معترض عليهِ بان اقواماً من المتوحشين مع كونهم ناشئين على ما نشأ عليهِ اباؤهم واجدادهم متخلقين باخلاقهم متمسكين بعاداتهم ما زالوا حتى الآن يراعون حقوق بعضهم بعضاً ويحترمونها اكثر مما تراعي اعظم الشعوب تمدناً وتحترم حقوق بعضها البعض الآخر ولم يكن التمدن ليؤثر في الجرائم تأثيرًا جوهريًا بل أثر تأثيرًا عرضيًا في كيفية ارتكابها وخفف من صرامة العقوبات عليها

ومن اهم الوسائل لتقليل الجرائم ان يعني بتربية الاولاد في المدارس الابتدائية وتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم وتعليمهم آداب السلوك واشرابهم المبادئ الصحيحة . ويجدر بوالديهم بل يجب عليهم ان يعاونوا المدرسين والمدارس بان يُشرِبوا اولادهم تلك المبادئ في بيوتهم ويلقنوهم اياها و يعودوهم عليها منذ الصغر . وهذه المعاونة تتم بتحسين احوال الأُمهات وتسهيل امورهنَّ المعاشية اذ يتعذر على الأُم ما دامت منهمكة في التماس غذائها وتحصيل حاجتها وحاجات اولادها ان ترضعهم المبادئ القويمة وتخلقهم بالاخلاق الحميدة

ويتعين على كل دولة ان تهتم بصحة رعاياها وتستنفد وسعها استئصالاً للامراض التي تفسد اجسامهم وعقولهم لان الباحثين علموا بالاختبار ان معظم الجرائم ينشأ عن مثل هذه الامراض وان عدد المجرمين يتكاثر بتكاثرها ولو بلغت احوال سكانها في الرفاه ما عساهُ ان تبلغ . ولا يخفى

ان ضعف الانسان جسماً وعقلاً مضرٌ باخلاقهِ مفسد لطباعهِ دافع لهُ على ارتكاب الموبقات

ويجب على ذوي التشريع ان ينظروا في الجرائم والعقوبات متبصرين في شأن المجرم غير مقتصرين على التروي فيهما دون الالتفات اليهِ وعلى رجال القضاء ايضاً ان يقدموا النظر في المجرم واحوالهِ على البحث عن جرمهِ وعقابهِ محققين بادئ ذي بدء ميل المجرم وصفاتهِ مستقصين اهم الاسباب التي جعلتهُ مجرماً باحثين عما يضمن استئصالها او اتقاء شرّها وعن تأثير كل نوع من انواع العقوبات . واذا اهمل رجال القضاء تقصّي هذه الامور الجوهرية أدّى اهمالهم الى انحرافهم عن جادة العدل بالميل تارةً الى التشديد في عقوبة الفتيان والفتيات الذين اذنبوا لاول مرة والجنوح تارةً الى الرفق بالمتبعثين في الشقاوة فيبعثونهم على التمادي فيها والاصرار عليها

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

اما الحكم على المجرم بعقوبة الحبس فيجب ان يكون عادلاً ليؤثر في نفسهِ ويقوّم سيرهُ في مستقبل ايامهِ ويردع غيرهُ عن ارتكاب مثل جرمهِ . واذا لم يكن الحكم عادلاً فلا يكون مفيداً. ولا تتم الغاية التي وضع السجن لها الاّ اذا خرج المجرم منهُ معتبراً بما حلّ بهِ من العقاب متأهلاً لنيل نعمة الحرية واذا أُطلق سراحهُ غير متعظ بالعقوبة التي عوقب بها فيكون السجن قد استوفى من العقوبة نصفها بجعل المذنب عبرةً للجمهور وقصَّر عن استيفاء النصف الآخر الاهم اعني بهِ تأديب المجرم وتهذيبهُ وتأهيلهُ للحرية . وهذا التأهيل مستصعب جداً وقد يكون احياناً مستحيلاً . وحقيق بالحكومة وواجب عليها ان تختار لادارة السجون مأمورين من الذين حنكتهم الايام متصفين بمعارفهم معروفين بآدابهم اكفاء للادارة ولافادة السجناء وتهذيب اخلاقهم وتقويم ما اعوجَّ من امورهم واذا كانوا غير مستجمعين هذه الصفات خرج السجناء من سجونهم غير متعظين وربما انطلقوا منها ميالين الى الشر بما سرى اليهم فيها من الفساد بالعشرة الرديئة

ولم يخطر على بال المحققين ان يدرسوا هذا الموضوع ويبحثوا عنهُ بحثاً علميًا الاّ في القرن الماضي ونظموا تسهيلاً لدرسهِ جداول احصائية افادتهم فوائد ذات شأن . ولو وجدت منظمة قبل القرن المذكور لعرف بها رجال القضاء ما اذا كانت الجرائم على ازدياد او تناقص وعلموا ما للعوامل الطبيعية والاجتماعية من التأثير في طباع المجرم واهوائهِ ولكانت وسيلةً للتخفيف من وطأة جورهم على المجرمين والرقة من غلظة عقوباتها فانهم كانوا احياناً يفرطون في الخشونة الى حد ان يعاقبوا مجرماً بالشنق على جرم يعدهُ القانون الآن من نوع الجنح او من قبيل المخالفات. وهذه الجداول توضح لكل شعب عدد الجرائم التي اقترفها افرادهُ وانواعها وعدد الذين سيقوا

الى المحاكمة ومقدار ما حكم بهِ عقاباً على كل مجرم مع بيان سنهِ وصنعتهِ ودرجة تهذيبهِ وكيفية سلوكهِ في خلال مدة حبسهِ وما اذا كان قد عاد الى جريمتهِ وكم مرة كررها . ومن رأْي العالم مور يصون الانكليزي الذي نأخذ عنهُ ونستند اليهِ ونعتمد عليهِ في كل ما نكتبهُ بهذا الصدد ان يضاف الى هذه الجداول بيان موجز عن اطوار المجرم وعشرتهِ ومخالطتهِ وسلوكهِ قبل اقدامهِ على الجرم لتعلم اهم الاسباب التي حملتهُ على ارتكابهِ او ان يستنهج منهاج المدارس التأديبية في بلادهِ بعد تعديلهِ تعديلاً يوافق المرام . فان ارباب المدارس المشار اليها يقيدون اسماء الاولاد ووالديهم ووطنهم ويبينون مجمل مزاياهم وامانتهم ورزانتهم وهل اودعوا السجن قبلاً ام لا واذا كان احدهم ذا حرفة فيرقمون مقدار الاجرة التي كان يتناولها مقابلةً لعملهِ . وقد اتفق الخبيرون على امور ذات بال بهذا الشأْن سنأْتي اذا سمح المقام على بيانها

والجرائم كالادواء والقاضي الحاكم كالطبيب المداوي ويتعين على ذلك ما يتعين على هذا اي ان يبحث اولاً ليعرف الاسباب قبل فرض العقاب كما يبحث الطبيب الحاذق عن علل الداء قبل وصف الدواء والاَّ كان الحكم غير نافع والعلاج غير ناجع . وبمعونة الجداول الاحصائية يستطيع رجال القضاء ان يفرغوا على المجرمين عقوبات لا تزيد على استحقاق جرائمهم ولا تنقص عنهُ آمنين معها الخطاء الفاضح الذي يقع كثيرًا بسبب اهمالها . وقد قال الدكتور سَنْدر الالماني واكَّد انهم حاكموا مئة مجنون فعلموا بجنون ثمانية وعشرين منهم وعاقبوا الباقين كعاقلين حال كونهم مجانين ما اوجب القانون مسؤوليتهم ولا اجاز معاقبتهم

ويتفق في بعض الاحيان ان يزيد عدد الجرائم في البلاد بترقي سكانها وسمو نفوسهم الى انتهاج سبيل اقوم واليق بتمدينهم فتكثر الجرائم المخالفة النظامات والسنن المستحدثة كما لو فرضت حكومة على رعاياها التعليم الاجباري مثلاً او مراعاة نظامات صحية او ما اشبه مما لم يألفوهُ من قبل ولم يتعودوهُ فانهم لا ينقادون لها دفعةً واحدة بل تكثر منهم مخالفتها الى ان تتم لهم مؤالفتها. وفي حال كهذا لا تدل زيادة الجرائم على انحطاط القوم ادبيًا كما ان نقصانها لا ينبئ دائمًا بترقي الشعب بل يكون احيانًا منذرًا بتقهقرهِ دالاً على ان القانون غير مرعي بين ظهرانيهِ او ان الفوضى فاشية فيهِ

ومن مقول البعض ان الشرائع والقوانين في هذه الايام زادت الجرائم وكثرت عدد المجرمين اذ جعلها الشارعون ملازمة للناس كما يلزم الظل صاحبه ومن رأْيهم ان يتأْنى ذوو التشريع قبل سن القوانين والنظامات جاعلين من قواعدهم الاساسية ابعاد الناس عن السجون لا تقريبهم اليها وان يتعاهدوا دائمًا وابدًا كل ما يشرعون بالتعديل والتهذيب ليبقى مطابقًا لاحوال

الامة موافقًا لترقيها وان يعملوا الروية في العواقب اذ يحدث ان شخصًا مهذبًا نافعًا للمجتمع يأتي فعلاً مغايرًا للنظام البلدي مثلاً فيعاقب بالحبس مع زمرة من ذوي النفوس السافلة والسوابق السيئة فتفسد آدابهُ بمخالطتهم. ويذهب كثيرون من المحققين في اوربا واميركا الى ان الجرائم تزيد مع ترقي الحكومات وتنوُّع وظائفها واتساع نطاق اعمالها واحكامها . واثبت المستر ولس والمستر وينز المحققان الامركانيان ان الجرائم في الولايات المتحدة على ازدياد وان نموها هناك يسبق نمو السكان ويفوقهُ سرعةً . وقال الدكتور مشلر النمساوي والاستاذ فون لزت الالماني بازديادها في المانيا ايضًا. وجاء في رسالة الاستاذ المشار اليهِ ان المحاكم الالمانية حاكمت خمسة عشر مليونًا في مدة لا تتجاوز عشر سنين. وحقق الموسيو هنري جولي الفرنساوي ان الجرائم في فرنسا زادت في النصف الاخير من القرن التاسع عشر زيادة عظيمة وان هذه الزيادة مابرحت غير منقطعة. و يشفُّ الاحصاء القضائي الانكليزي عن ان انكلترا تشبه غيرها وهي وان امتازت من هذه الجهة فامتيازها هذا غير حقيق بالتنويه والاطراء

ثم ان زيادة الجرائم في اكثر البلدان وان تكن مسايرة لعدد السكان فانهُ لممكن ان يسامي نموُّهم نموَّها و يفوقهُ . و يقال ان في انكلترا تكافوءا بذلك اي ان زيادة الجرائم وزيادة السكان يجريان فيها كفرسي رهان و يعزون الفضل بتقليل عدد الجرائم في تلك البلاد وتخفيفهِ عما هو في غيرها الى المدارس التأديبية والصناعية التى انشأها الانكليز تأديبًا للمذنبين واهل البطالة والكسل من فتيانهم وتهذيبًا لاخلاقهم وهم يفرغون الجهود و يصرفون العناية في عضد هذه المدارس وترقية شؤُونها . وقد لاحظ المدققون ان عدد السجناء يقلّ يوميًا حال كون الجرائم لم يقلّ عددها عن معدلهِ السابق ونسبوا قلة عددهم الى تلطيف العقوبات وتنقيص مُدَدها وتأيدت هذه الملاحظة بما يصرح بهِ رجال القضاء من انهم سالكون في هذه الايام سبيل التؤدة والرفق بالمجرمين

هذا ولا يخفى ان الجرائم لا تؤذي الناس باجسامهم فقط بل يتعدى اذاها الى اموالهم و بسببها تنفق الحكومات نفقات باهظة تذهب بجانب من دخلها . ففي الولايات المتحدة لاتقل نفقات " البوليس " عن خمسة عشر مليون ريال امركاني بحسب تقدير المستر وينز المشار اليهِ آنفًا. ومثل هذه النفقات يزيد سنة فسنة في انكلترا فانهم اختصوا السجون والبيمارستانات الانكليزية عام ١٨٩١ بنحو مليون جنيه وأجروا على المدارس الصناعية والتأديبية اكثر من نصف مليون جنيه وعينوا للبوليس نفقة تربي على خمسة ملايين ونصف مليون جنيه ولو اضافوا اليها ما يتقاضاهُ بعض المأمورين المعينين لها والحقوا بها ما تقتضيهِ المحاكمات لبلغ مجموع

النفقات التي تؤديها انكلترا سنوياً سبعة ملايين ونصف مليون جنيه . وزد عليهِ ما يفسده المجرمون في البلاد و يتلفونهُ من اموال العباد ومثل هذا المجموع يوازي نفقات حرب من الحروب الهائلة وربما فاق عشر خرج الحكومة ولو أُنفق هذا المال في اعمال خيرية او مشروعات نافعة لعاد باموال طائلة وافاد البلاد وسكانها فوائد ادبية ومادية جزيلة

ومن نكد الدنيا ان الجرائم والحروب لا يرجى ان تخلو عنها امة او تنجو منها تمام النجاة على ان الحرب صارت في هذا العصر ابعد وقوعاً بين الدول لارتباطهنَّ بقوانين اذا رُوعيت امتنع على دولة منهنَّ ان تشهر حرباً على دولة أُخرى فضلاً عن ان الامم المتمدنة اصبحت راغبة عن الحرب كارهة لها نازعة الى السلم تائقة اليهِ. ولعلهم يعرضون بعد قرن او اكثر عن الحرب ويستعيضون عن تحكيم المدفع والحسام بتحكيم العقول والاقلام . اما حظ الجرائم فلا يكون كحظ الحروب ولا يقاربهُ قبل الوقوف على اسبابها التي يقسمونها الى ثلاثة اقسام . الاول يتعلق بالمكان والاقليم والفصول والثاني بالمجتمع من حيث احوالهُ السياسية والاقتصادية والادبية والثالث يتعلق بالشخص ومنبتهِ ونسبهِ وعمرهِ وجسمهِ وعقلهِ وجنسهِ . وهذه الاسباب وان كانت لا تؤثر غالباً الاَّ مرتبطاً بعضها ببعض فحقيق بالناظر فيها الباحث عنها ان يتروَّى في كل قسم من اقسامها الثلاثة ويبحث عنهُ على حدةٍ لتتجلَّى لهُ غوامضهُ وتنكشف اسرارهُ

محمد ابو عز الدين

أكرم الكرماء

البارون هرش وزوجتهُ

لا غرابة اذا عدنا الى الكلام على أكرم الانام ولو امسى هو وزوجتهُ عظاماً رميماً لان هبة كارنجي التي دوت بذكرها النوادي العلمية والادبية مليونين من الجنيهات دفعةً واحدة لمدارس اسكتلندا اعادت لنا ذكرى كريم آخر رأينا من الاجحاف ان لا نصف هباتهِ وهبات زوجتهِ بالاسهاب

هو البارون موريس ده هرش اكبر اولاد البارون يوسف هرش الذي رقَّاهُ الملك لويس الثاني ملك بافاريا الى رتبة البارونية لاجل امانتهِ لعرشهِ وخدمهِ الكثيرة النافعة لهُ . كان جدُّهُ تاجراً بالبقر فاثرى وصار ملك بافاريا يستدين المال منهُ . قيل سألهُ الملك مرةً كيف اثريتَ وانت تتاجر بالبقر فقال اثريت لاني اتاجر بالبقر ومع البقر

ولد البارون موريس هرش في مونخ عاصمة بافاريا في ٩ دسمبر سنة ١٨٣١ ودرس في بركسل عاصمة البلجيك ولما بلغ الثامنة عشرة من العمر دخل بنك بيشوفسهيم وغولدشمت وهما من اكبر صيارفة بركسل فظهرت حالاً نجابتهُ ومقدرتهُ المالية واقترن بابنة بيشوفسهيم وهي اصغر منهُ بسنتين فاقترن بهِ السعد باقترانهِ بها لانها كانت كملاك يحرسهُ ويرشدهُ ويبثُّ البهجة والحبور في حياتهِ

ولم يمضِ عليهِ زمن طويل حتى صار المدير لذلك البنك والموسّع لاعمالهِ وكان شديد الزكانة قوي العزيمة مقتدرًا على ادارة الاعمال وتنظيمها فانشأ سكة الحديد من بودابست الى وارنه على البحر الاسود وكان العمل ثلاثة اقسام أُخذت بالقرعة واصابت قرعتهُ القسم الاصعب منها لكنهُ ربح منهُ ربحًا طائلاً والاثنان الآخران خسرا لانهُ كان امهر منهما في ادارة الناس والاعمال

وافلس المسيو ديمنسو المالي البلجي العظيم سنة ١٨٦٩ فابتاع البارون هرش منهُ سندات سكة الحديد التركية وكان المظنون انها ابخس ممتلكاتهِ قيمة واقلها جدوى لكنهُ احسن ادارتها حتى صارت اساس ثروتهِ . وظلَّ ينشئ سكك الحديد متغلبًا على المصاعب الطبيعية والعراقيل السياسية حتى قدّرت ثروتهُ بعد خمس عشرة سنة بعشرة ملايين جنيه الى ثلاثين مليونًا

وكانت هذه الثروة الطائلة في يدهِ ويد زوجتهِ وسيلة لاغاثة الفقراء والمظلومين من ابناء ملتهِ فلما طُرد اليهود من روسيا عرض على حكومة الروس مليونين من الجنيهات لتنفقها على التعليم حاسبًا ان السبب الاكبر لطردهم من بلاد الروس هو الجهل الضارب اطنابهُ فيها فاذا انتشر التعليم والتهذيب زال منها التعصب والتحمُّس . فرفضت حكومة الروس هذه الهبة السنية

وكان يحسب اليهود من اقدر الناس على الفلاحة والزراعة بناء على ما رأى منهم في بلاد المجر . قال " ان اكثر الفلاحين منهم هناك حتى ان خدمة الدين الكاثوليكي يعتمدون عليهم فقط في زراعة اوقاف الكنائس وكل اصحاب الاملاك الكبيرة يفضلون اليهود لاجتهادهم واستقامتهم ومهارتهم فهذه الامور دعتني الى الاهتمام باصلاح شأنهم وسيظهر انهم لم يفقدوا الميل الى الزراعة الذي امتاز بهِ اسلافنا وسأبذل جهدي لاهيئ لهم اوطانًا اخرى في بلدان مختلفة حيث يستطيع الفلاح ان يكون مستقلاً بحرث ارضهِ ويستفيد من جدهِ واجتهادهِ "

فابتاع الاراضي الفسيحة في جمهورية ارجنتين وولاية نيوجرزي باميركا واماكن اخرى واعطاها لابناء امتهِ ووهب جمعية استعمار اليهود مليونين من الجنيهات واعطى اليهود الروسيين

المهاجرين الى الولايات المتحدة الاميركية نصف مليون جنيه لكي يتعلم ابناؤهم ويتهذبوا ويصيروا مثل الاميركيين . فمضى كثيرون منهم الى الولايات المتحدة الاميركية واستوطنوها وزرعوا الارض وانشأوا المعامل وربوا المواشي ولهم في ولاية نيوجرزي مدرسة صناعية ومدرسة زراعية

وقد يُظَن لاول وهلة ان رجلاً يبلغ اهتمامهُ بامر امتهِ وملتهِ هذا المبلغ لا يهتم بغيرها لكنَّ البارون هرش لم يكن كذلك بل كان يعتمد على الاكفاء من كل الامم ويهتم بالمساكين من كل الطوائف . وهو الذي بعث بالمؤلف هال كاين الى روسيا يبحث عن احوال العامة من شعبها وما يحتاجون اليهِ وبعث اليها ايضاً بالكاتب الشهير ارنلد هوَيْت (مكاتب جريدة التيمس) لهذه الغاية . كتب المستر هويت عن البارون هرش " انهُ يشتغل في امر روسيا وتوزيع الصدقات فيها من الساعة السادسة صباحاً . وانا اكتب هذه السطور الآن والى جانبي ثلاثة مجلدات كبيرة كلها مكاتيب منهُ تدلُّ على اهتمامهِ الشديد ورثائهِ للمحتاجين والمظلومين . وقد تصدَّق باكثر من المال تصدَّق بوقتهِ وقواهُ العقلية لنفع ابناء ملتهِ "

وكانت زوجتهُ تشاركهُ في كل اعمالهِ وصدقاتهِ . قال المستر اسكار ستروس سفير الولايات المتحدة في تركيا " انها اكبر مساعد لزوجها وكان يستشيرها في كل امر ويخبرها بكل شيءٍ وكانت تقرأُ مكاتيبهُ وتساعدهُ في كتابة اجوبتها وترافقهُ في اسفارهِ وتشاركهُ في امانيهِ ولم تكن تشاركهُ في يأسٍ لانهُ لم يكن ييأس من امرٍ قط . وهي امرأَة فاضلة انيسة المحضر رقيقة القلب كريمة جدًّا انفقت جانباً كبيراً من ثروتها الخصوصية على المدارس والملاجئ والمستشفيات وكانت تزورها بنفسها وتهتمُّ بادارتها . رأيتها في القسطنطينية تزور احياء الفقراء يوماً بعد يوم وتساعدهم بيدها مسلمين كانوا او مسيحيين او يهوداً من غير تمييز بينهم "

وقصَّ المستر ستروس على السيدة سارة بولتن القصة التالية قال اخبرني رئيس مهندسي سكة الحديد التي انشأها البارون هرش ان اول قسم من السكة وصل من اسوار القسطنطينية الى قرية تبعد عنها عشرة اميال وكانت الحكومة العثمانية قد عينت لهُ مكان المحطة في وسط القرية واشترطت على نفسها ان تشتري مكان المحطة وتهدم البيوت التي فيهِ وتسلمهُ للبارون هرش . فقام السكان ونادوا بالويل والحرب مخافة ان لا تدفع الحكومة اليهم شيئاً من ثمن بيوتهم وارضهم . وبلغ الخبر زوجة البارون هرش وهي في الاستانة فسألت زوجها عن جليتهِ فقال هو كما بلغكِ ولكن الامر ليس في يدي بل في يد الحكومة العثمانية والشروط التي بيني وبينها تقضي عليها ان تبتاع البيوت والاراضي من اصحابها وتسلمنيها . فقالت ان لم يكن

الامر في يدك فهو في يدي كم ثمن هذه البيوت والاراضي فقال نحو مليون فرنك فكتبت تحويلاً على البنك بمليون فرنك وارسلت وكيلها فدفع الى الناس ثمن بيوتهم وما يملكون وطيَّبَ خواطرهم . وبعد ايام أُحتُفل بفتح القسم الاول من سكة الحديد وكان اولئك المساكين اشد الناس جذلاً وحبوراً

وانشأت مدارس في القسطنطينية قبل مغادرتها انفقت عليها ٢٥ الف جنيه ولها ولزوجها مدارس كثيرة وملاجئ في اكثر بلدان المشرق

ومن صدقات البارون هرش الكثيرة اربعون الف جنيه بعث بها الى امبراطورة الروس على اثر الحرب الروسية التركية لتنفق على المحتاجين ومليون جنيه لتنفق على اربعين مدرسة في غاليسيا يتعلَّم فيها الاولاد من كل المذاهب لانهُ كان يقول اني اسمع صوت المعوز فلا اسأل أهو من ملتي او من غير ملتي ولكن لا عجب اذا سمعتُ اكثر هذه الاصوات من ابناء ملتي وبذلت جهدي في اغاثتهم

وقد قدَّر المستر ستروس الهبات التي وهبها البارون هرش في حياتهِ باكثر من خمسة عشر مليون جنيه

وكان لهُ قصور كثيرة في لندن وباريس وبلاد المجر وبعضها من القصور الملكية القديمة ومنها قصر في باريس بنتهُ الامبراطورة اوجيني لدوكة البا ولم يكد البارون هرش ينزل فيهِ هو وزوجتهُ سنة ١٨٨٧ حتى مرض ابنهما وحيدهما وتوفي فيهِ وتركهما مصدوعي الفؤاد لكن وفاتهُ زادت رغبتهما في مؤاساة الحزانى والبائسين . وكان متجملاً بكثير من مناقب ابيهِ وامهِ عاكفاً على عمل الخير مغرماً بالخيل عندهُ كثير من الجياد الكريمة فباعها ابوهُ بعد موتهِ وتصدَّق بثمنها كلهِ وبكل ما ربحتهُ خيلهُ في السباق وهو مئة الف جنيه . ولما مات باعت زوجتهُ جيادهُ وتصدَّقت بثمنها كما فعل هو بجياد ابنه

وكان البارون هرش يضع صدقاتهِ في موضعها حتى تنتج عنها الفائدة المقصودة . قال البرنس بسمارك في هذا الصدد " ان هرش هو الرجل الوحيد الذي لا يفقر الذين يتصدَّق عليهم " . وكان يأتيهِ كل يوم اربع مئة مكتوب في طلب الصدقات وبعضها من ابناء الملوك وهؤُلاء كانوا يستدينون منهُ ولا يوفونهُ غالباً فيعدُّ ما يعطيهم اياهُ صدقةً

وليلة العشرين من ابريل سنة ١٨٩٦ قضى نحبهُ بغتة بالسكتة الدماغية بعد ان عاش سنين كثيرة مثال الهمة والاجتهاد والاحسان وعلَّم الاغنياء بسيرتهِ وقدوتهِ كيف ينفعون الفقراء ويكونون بركة لنوع الانسان لا لعنةً عليه

وبقيت زوجتهُ ثلاث سنوات بعده سائرة في خطتهِ خطة التصدُّق . قالت لامرأة زارتها في فرساليا ان الغنى الوافر عبء ثقيل على صاحبهِ وغاية ما اطلبهُ وما ارجوهُ ان اتمكن من انفاق اموالي كلها حتى يحصل من انفاقها اكبر نفع لاكبر عدد من الناس

ولم يمضِ سنة على وفاة زوجها حتى ارسلت اكثر من مليون ريال الى مدرسة الصنائع التي انشأها في نيويورك حيث يتعلَّم شبان اليهود الذين هاجروا من روسيا . ولم تمضِ ثلاث سنوات على وفاتهِ حتى انفقت على الصدقات ثلاثة ملايين من الجنيهات . وجملة ما تصدَّقت بهِ هي وزوجها في حياتهما اكثر من خمسة وعشرين مليونًا من الجنيهات

كتب المستر ستروس " ان حياة البارونة هرش مثال للايثار وانكار الذات فان شغلها الشاغل كان كيف تستطيع ان تصدَّق على الناس من غير ان يشعروا بالذل في نفوسهم وكثيرًا كنت اساعدها في فتح المكاتيب التي ترد اليها وكان متوسط ما يرد اليها في اليوم خمس مئة مكتوب من كل اقطار المسكونة وكان لا بدَّ من قراءة كل مكتوب منها واختيار ما تظن اصحابهُ اهلاً للمساعدة فتختار المكاتيب التي يجب ان يجاب اصحابها وتملي على الكتبة وتقضي بضع ساعات كل يوم في اجابة السائلين وارسال التحاويل المالية . هذه هي صدقاتها الافرادية غير صدقاتها العمومية الجمهورية كهباتها للمدارس والمستشفيات وما اشبه

" وكانت على غاية الوداعة والرصانة قلبها قلب ملاك ورأسها رأس فيلسوف قال زوجها لي مرةً انها لو كانت زوجة رجل فقير لكانت مثالاً لنساء الفقراء في الاجتهاد والتدبير

" لما كانت فتاة في بيت ابيها كانت سكرتيرًا لهُ في ما يتعلق بصدقاتهِ الكثيرة التي كان يتصدَّق بها ولما تزوجت صارت سكرتيرًا لزوجها في صدقاتهِ وكانت تحسن الكتابة بالانكليزية والالمانية والفرنسوية ولم تقتصر على ان تكون سكرتيرًا لزوجها في كل اعمالهِ الخيرية بل كانت تحضُّهُ دائمًا على عمل الخير وترشدهُ الى اساليبهِ . وقد كتبت اليَّ مرة تقول ان الثروة الوافرة مزية كبيرة ولكنها وديعة في يد صاحبها يُطلَب منهُ ان يستعملها حيث يكون منها النفع الاعظم

"ولم تكن تنفق على نفسها اكثر مما تنفقهُ امرأة من اواسط الناس ولا كانت تهمل ترتيب بيتها وخدمها. وكانت تعمل اعمالها على غاية الدقة والانتظام. كنت راكبًا معها مرةً في ضواحي باريس فاوقفت المركبة بغتة وطلبت من احد خدمها ان ينزل ويفرّق على بعض الفقراء مبلغًا من المال ثم التفتت اليَّ وقالت ان الذين درسوا احوال المساكين لا يستصوبون هذا النوع من الاحسان وانا اعلم انهم مصيبون ولكن ما حيلتي وانا اسرُّ بان اعطي واريد ان اسرَّ نفسي

مثل غيري . وكانت تقول هذا القول على غاية الدعة والبساطة "

توفيت في مدينة باريس في غرة ابريل سنة ١٨٩٩ وكان الاحتفال بدفنها بسيطاً جداً واحتفل بجنازتها في اماكن كثيرة في اوربا واميركا

ومن صدقاتها المعروفة

٤٠٠٠٠٠	جنيه	لجمعية الاستعمار اليهودية في لندن
٤٠٠٠٠٠	«	للجمعية الخيرية الاسرائيلية في باريس
٤٠٠٠٠٠	«	معاشات لمستخدمي سكة الحديد الشرقية
٢٠٠٠٠٠	«	ليهود بودابست
١٢٠٠٠٠	«	لجمعية الاوصياء في لندن
١٢٠٠٠٠	«	لمدرسة هرش في جاليسيا
١٢٠٠٠٠	«	لجمعية الاحسان في فينا
٠٨٠٠٠٠	«	لبناء مستشفى للاولاد المسلولين في الرفيرا
٠٨٠٠٠٠	«	لبناء ملجاء للنساء الشريفات اللواتي افتقرن
٠٧٠٠٠٠	«	لدار الناقهين في مستشفى همستد بلندن
٠٤٠٠٠٠	«	لجمعية الاحسان .

هذه الصدقات الكبيرة اما الصدقات الصغيرة التي تقل الواحدة منها عن عشرين الف جنيه فكثيرة جداً و يبلغ مجموع ما تصدقت بهِ هي وزوجها اكثر من خمسة وعشرين مليون جنيه كما تقدم ولعلها كل ثروتهما او اكثرها

هذا هو الكرم الحميد وهذه هي المناقب التي يفتخر بها الرجال والنساء . والرجل وزوجتهُ شرقيان من بني اسرائيل من ارض فلسطين ولو كانت اوربا دارهما ومسقط رأسيهما

رواية امينة

الفصل السابع

نهضتُ في الصباح وانا مصابة بصداع شديد حتى لا اكاد استطيع الوقوف . فقد مرَّ عليَّ ليل لا اطول منهُ كنت احاول فيهِ جمع افكاري فاراها كالفرس الجموح . ونهضتُ مئة مرَّة من سريري اذ كنت افكر بكلمة سمعتها او حركة رأيتها مما تتألم لهُ النفس ثم احاول ان امحو ذلك من ذهني فلا اجد الى محوهِ سبيلاً . ولم يكن يمر امام ذاكرتي الأصوَر المشهد الاخير الذي

شهدتهُ البارحة . وجعل ضميري يونبني تونيباً شديدًا وكنت اقول في نفسي لماذا لم ارفض طلبهُ بتاتاً لماذا ابحث لهُ ان يجبني لماذا لم اقل لهُ اني احب داود ولو كذباً فان اقتراني بذلك الرجل اسهل كثيرًا من وقوعي في هذه الورطة وبهِ يمنع ما وقع الآن من الشقاق بسببي في عائلة كانت عائشة على تمام الوئام لولاي ثم كنت احب زوجي على تمادي الايام . ولكن قلبي كان ينفر من ذلك كلما خطر ببالي واردت اقناع نفسي بهِ

ولما اذن الظهر قُرع باب غرفتي فنهضت وفتحتهُ وقلبي يخفق واذا انا بكنجه فقالت ألا تزالين صائمة قلت نعم وامسكتُ بيدها كمن تستغيث بها حاسبة انهُ لم يبقَ احد يفتكر بي غيرها وقلت لها لا اظنك صدَّقتِ كلام بوار

فقالت لا ادري لان الورقة وُجدت تحت عتبة الباب فكيف وُجدت لو لم تكن بوار صادقة

فقلتُ هي نفسها وضعتها هناك . ثم قصصتُ عليها قصة ذهابنا الى الساحر والورقة التي اخذتها منهُ . فلما اتممتُ قصتي امسكت يديَّ بيديها وقالت لي يا مسكينة اني ارثي لحالكِ واخاف ان الامور لا تنتهي هنا . فقد امرتني هانم افندي ان آخذكِ الى غرفة القلفة واري ادهم بك جالساً معها لا يفارقها ولولا ذلك لكان الله يعلم ما فعلتْ بكِ

فقلت لها وما يقول ادهم بك

فقالت لا يقول شيئاً بل ترك الذهاب الى الديوان وبقي في غرفة امهِ يكتب فيها لكي لا يدع لها فرصة للايقاع بكِ على ما اظن

فارتعدت فرائصي لكنني تجلَّدتُ وقلتُ لها ألم يقل نصر الله باشا شيئاً لنافذ بك . فقالت بلى لكن لم اسمع شيئاً مما قالهُ لهُ وبقي نافذ بك في غرفة ابيهِ مدة ثم مضى الى غرفتهِ . واليوم قاما صباحاً وخرجا معاً . والظاهر ان نافذ بك يعلم ان اخاهُ يقيكِ من امهِ فاختار ان يبتعد عنها الآن ولما خرج امرتْ ان تنقل امتعتهُ كلها من دار الحريم الى السلاملك لكي ينام هناك من الآن فصاعدًا ولا اعلم هل فعلت ذلك على علم من الباشا او على غفلة منهُ وامرت الاغوات (الخصيان) ان يمنعوهُ من دخول دار الحريم

فصرختُ " أإلى هذا الحد "

فقالت نعم ولا بدَّ من انهُ يغتاظ من ذلك غيظاً شديدًا والآن تعالي معي والاَّ لم اخلص من لومها ولا تظني اني نسيتكِ اذا كنتُ لا ازوركِ لان زيارتي لكِ الآن تضرني ولا تنفعكِ

فقبَّلتها شاكرةً فضلها ومشيت معها الى غرفة القلفة وكانت هذه في غرفتها فنهضت وقالت لي ابقي هنا وكان يجب على هانم افندي ان تحبسكِ في القبو . قالتْ ذلك وخرجتْ واقفلت

الباب فاقفلتهُ انا من الداخل ايضاً

ومرَّت ساعة بعد اخرى وانا احسُّ بثقل عظيم على صدري واعجب كيف لا ينصدع فؤادي . والظاهر ان ادهم بك لم يترك غرفة امهِ والاَّ ما تركتني كل هذه المدة . ولم يؤذَّن المغرب حتى كدت اجن من القلق والكآبة . وبعد ساعة من الزمان اتت كنجه وقرعت الباب ففتحت لها فادخلت اليَّ طبقاً عليهِ صحاف الطعام وهي تقول ان ادهم بك سأل عما اذا كنت افطرتِ فقالت لهُ زوجتهُ كلاَّ فامرني ان اتيكِ بهذا الطعام ولم تجسر هانم افندي ان تمنع ذلك في حضرة الباشا

وحاولتُ ان آكل شيئاً فلم استطع واخيرًا شربت بعض المرق وشكرتها . وسألتها قائلةً هل عاد نافذ بك فقالت نعم اتى دار الحريم واخبرهُ الاغوات بامر امهِ . فقلت لها وماذا قال لهم . فقالت لا شيء لان نفسهُ الابية تأبى عليهِ ان يظهر الذل امام العبيد . فقلت لها وهل علم نصر الله باشا بذلك وهل هو مستصوب لهُ . فقالت نعم على ما يظهر وهو مستخفٌّ بالامر ويقول ان كتابكِ سيكتب على داود بعد اسبوع من الزمان فينتهي الاشكال

فسكتُّ لاني كنتُ اكرهُ التزوج بداود واغتظت من المعاملة التي عومل نافذ بك بها ووددت ان يفعل شيئاً يظهر شهامتهُ وانهُ مغتاظ من هذه المعاملة

ووقفت كنجه ترتب الصحاف على الطبق وكانها تريد ان تقول لي شيئاً وهي تزن كلامها خوفاً من عواقبهِ ثم قالت لي يا امينة انتِ اعقل من أن تعتقدي ان نافذ بك يقترن بكِ . فقلتُ نعم اعلم ان ذلك محال

فقالت ان ولية هانم سيدتي ويجب عليَّ ان اطيعها ولكنها مخطئة في عملها وقد كتبت الى نافذ بك تخبرهُ عنكِ تقول لهُ انها تحب ان يقترن بكِ فكتب اليها هذه الورقة فاعطتني اياها لآتيكِ بها لانها لا تستطيع ان تأتي اليك بنفسها . قالت ذلك واعطتني ورقة وهذه اول رسالة كتب بها نافذ بك اليَّ ففتحتها وقرأتها واذا هو يقول فيها

عزيزتي امينة . اخبرتني ولية انهُ لم ينلك اذًى وقد كنتُ واثقاً بذلك ما دام ادهم بك يقيك . وسأُكلم ابي الليلة واتوسل اليهِ ان يأذن لي باقتراني بكِ فاذا اذن اضطرَّت امي ان تسلّم لهُ واذا ابى أرسل اخبرك غدًا صباحاً . وغدًا الجمعة يكون الخدم في الجامع فارسل اليكِ مفتاح باب الحريم فتفتحينهُ وتخرجين من غير ان يراكِ احد واكون انا بقايقي عند الرصيف فنمضي الى بيت واحد من اصدقائي ويكون القاضي في انتظارنا هناك فيكتب كتابنا ومتى كُتب الكتاب بطل كل اعتراض

نافذ

هذه اول رسالة حبية كتب بها اليَّ رسالة شغل مختصرة واضحة الاشارة والدلالة لكنها كانت عندي اثمن من كل ما يكتبهُ العشاق من بث الاشواق لاني كنت اعلم حبهُ لي ولا اريد عليهِ دليلاً

ولما قرأت الرسالة قالت لي كنجه لا تصدقي مواعيدهُ لان ليس في يدهِ شيءٌ ما دام ابوهُ غير راضٍ ولا تزدادين الاَّ تعباً

فلم اجبها وخرجت واغلقت الباب . ومضت ساعة زمانية وانا انظر في هذه الرسالة مترددة بين ان اطيع قلبي وحبي لكاتبها او عقلي وما يجب عليَّ لامهِ . وقلت في نفسي انهُ يحبني ويحسبني اهلاً لا كون قرينة لهُ وقد رضي بالاهانة لاجلي فهل يليق بي ان اظهر العتو وانغص عيشهُ وعيشي لان اباهُ وامهُ لا يستصوبان اقتراننا . واشكل الامر عليَّ فلم اعلم وجه الصواب لاتبعهُ. وكنت حديثة السن قليلة الاختبار ووددتُ لو اجد من اثق بهِ فيشير عليَّ بما يجب ان افعلهُ. و بعد جدال طويل بين عقلي وقلبي غلبت المحبة فنهضت عازمة ان افعل ما طلب مني. وكان يخطر ببالي ان نصر الله باشا ربما يسلم بطلب ابنهِ ولكني لم اعتمد على ذلك بل عزمت افعل ما يأمرني بهِ قلبي وامسكت الباب فوجدت ان كنجه لم تقفلهُ حينما خرجت كانها لم تكن تستطيع ان تمنع نفسها عن مساعدتي

ولما سكنت الاصوات وعلمت ان الجميع خرجوا الى البستان قلت في نفسي انني اخرج الآن وامضي الى غرفتي واجلب منها فرجيتي ففتحت الباب رويدًا رويدًا وخرجتُ فسمعت ادهم بك يقول وهو واقف في الرواق امام البيت ان الباشا يحب عزّت باشا ويحب ان يعيد الصداقة القديمة فيزوج عطيَّة لنافذ . فاسرعت الى غرفتي واخذت منها فرجيتي ويشمكي وكانت غرفة نافذ بك امامها وهي خاوية خالية فاثر فيَّ منظرها تأثيرًا شديدًا وقبل ان ابعدت عنها كثيرًا سمعت وقع الخطى على السلم فعلمتُ ان هانم افندي صاعدة لاني اعرف وقع خطاها ولم استطع ان اعود الى غرفتي ولم ارَ لي مهربًا الاَّ من باب يفتح الى السلاملك ولم يكن لي وقت لافكر واتردد فدخلت من هذا الباب حالاً ولم اكد ادخلهُ حتى رأيت هانم افندي مارَّة امامي بقامتها الطويلة ووراءها بوار . فلما وقع نظري عليهما ارتعدت فرائصي لاني لو تأخرت لحظة لوقعتُ في يديهما وقُضي عليَّ . وقبل ان يطول تفكري في ذلك سمعتُ صوت نافذ بك فصرت كلي آذانًا لاني حسبتهُ هناك آتيًا لخلاصي لكن خاب ظني لانهُ لم يكن هناك وكنت في ممرّ ضيق يؤدي الى السلاملك وفيهِ باب يوصل الى غرفة فيها نصر الله باشا فوقفت حيث كنت ورأيت نصر الله باشا جالسًا امام مائدة عليها اوراق كثيرة ونور المصباح على وجههِ

وكان عابساً مقطب الجبين ولم ارَ غيره حينئذٍ في الغرفة ثم سمعت نافذ بك يقول له انا اعلم يا مولاي انهُ لا يليق بي ان اتكلم معك في امر الحب والزواج ولكن لما رأيت امي ابت ان تصغي اليَّ ورأيتك فتحت الموضوع معي فارجو انك تغتفر هذه الجرأة مني وقد اخبرني اغا بك (اي اخوهُ الاكبر) انهُ جاءهُ مكتوب من اختي تتكلم فيهِ عن ابنة حميها وتشير بان اقترن بها فقلت اني لا اريد الاقتران بابنة عزّت باشا

فقال لهُ نصر الله باشا انت حرٌّ لترفض الاقتران بها وانا لا اقدر ان اغصبك على هذا الاقتران ولا اريد ان افعل ذلك لو قدرت عليهِ . وغاية ما اطلبهُ منك ان تبطل ما ابديتهُ حديثًا من الميل لامينة لكي لا توقع بها ضررًا فان طيشك سيجعل امك عدوةً لهذه البنت ولولم يبقَ ادهم في الحريم اليوم لندمت على الساعة التي رأتك فيها . وادهم لا يستطيع ان يحرسها دائمًا ولا انا واثق ان اوامري تُتبع حرفيًّا اذا امرتهم ان لا يلحقوا بها اذًى

فقال نافذ بك ولكن لماذا يلحقون بها الاذى وماذا يمنع اقتراني بها فانك ازوجت اختي ولية بعلي بك وهو ياور شركسي فلا اظنك تأنف من تزويجي بامينة . كلاً كلاً افندم (لان نصر الله باشا تهيأ للكلام) انا اعرف ما تريد ان تقولهُ لي وهو ان الشراكسة والشركسيات شذوذ عن القانون ولكن كم من رجل من الاعيان اقترن بابنة لقيطة لا يُعرف ابواها وجدتها امرأة وتبنتها وربتها فلنفرض ان امينة ابنة لقيطة وقد تبنتها امي وحقًا انها ربيت في بيتنا كأنَّ امي تبنتها وليس لها اب ولا ام حتى نخجل بهما اذا اتيا الينا فلا ارى وجهًا لحرمانكما اياي ممّا اعدهُ السعادة الوحيدة لحياتي

وصمت نصر الله باشا يفكر في الامر ورأيت نافذ بك حينئذٍ وكان متكئًا على كرسي وعلى وجههِ امارات الاهتمام الشديد . ثم قال نصر الله باشا ان المسألة يا ولدي ليست ما يقولهُ الناس ولو كنتُ اعلم ان راحتك تتوقف على الاقتران بامينة ما كنت اتأخر لحظة عن التسليم اذ اقدر ان اجعل الناس يقولون كما اشاء لان المال والمقام يفعلان كل شيءٍ في هذا الزمان بل اقدر ان اسلّم باقترانك بفتاة مسيحية ولا اخشى انتقاد احد. فقال نافذ بك وهذا هو التسليم بعينهِ يا ابي فهل ترتاب في اني احبها واود الاقتران بها من كل قلبي

فقال ابوهُ نعم ارتاب في ذلك لان الزواج عند الاتراك لا يتوقف على الحب وانا لست من اهل الزمان القديم حتى امنعك من الكلام على المحبة امامي ولكن انتَ نفسك آخذت نفسك لما اشرت الى المحبة عالمًا انها لا تستحق ان تكون موضوعًا للبحث والخلاف . فانت الان مفتون بهذهِ الفتاة وهذا شيءٌ زائل يوجد اليوم ويزول غدًا فلا تنتظر مني ان اغيظ امك لكي

اجاريك على اهوائك

فصمت نافذ بك وقد قطب جبينهُ وقدحت عيناهُ شررًا ثم قال لابيهِ اتحسب اذًا يا مولاي ان مباحثك لي بما اعده' اعظم سعادة لي في هذه الحياة وبما يجعلني اشكرك عليهِ مدى العمر لا يستحق ان يذكر في جانب غيظ امي

ولم يكد يتم كلامهُ حتى ارتفع حاجبا نصرالله باشا وعقد الغيظ في جبينهِ اسرارًا فقال لهُ بعُجب وخيلاء ان شكرك لي لا قيمة لهُ في عيني ما دام عاريًا من الاحترام الواجب ولا انتظر لك سعادة من الاقتران بفتاة كانت فاتحة تعلقك بها ما اراهُ من قلة الاحترام لوالديك

فقال نافذ بك حالاً العفو يامولاي العفو فاني لم اقصد قط ان اقلل من احترامي لك ولا انا مجنون حتى اغيظ ابي وليس لي صديق غيره' في هذا الوقت ولكن اذا كانت حياتي كلها تتوقف على ما يقرّ قرارك عليهِ هذه الليلة فلا تعجب اذا رأيتني مهتمًا بهِ الى هذا الحد

فتبسم ابوه' قليلاً وقال اني اصدّق انك مهتم بهذا الامر الآن وانك تكلمني فيهِ بالجد لا بالهزل ولكني لا اصدق انك تبقى على ذلك طويلاً

فقال ابقى طول حياتي ولا اغير وان غيرت

فقال ابوه' وان غيرت فعلى من تدور الدائرة على تلك المسكينة بعد ان تكون قد جرحتَ امك جرحًا لا تبرأ منهُ واوقعت الشقاق والخصام في بيت ابيك فاسمع ما اقول لك كان يمكنني ان اقول لك من اول الامر اني لا اريد ان تتزوج بها ولكنني فضلت ان اباحثك لكي اقنعك بفساد رأيك

فقال وان كنت لا اقتنع

فقال ابوه' لا بد من ان تقتنع ولا يبرح من بالك انك لست حرًّا لتفعل ما تشاء وان سلطتي عليك غير محدودة

فصمت نافذ بك ولم يجب بكلمة ولكن لاحت على وجههِ لوائح النفور والعصيان ونظر ابوه' اليهِ مستفسرًا وكأنهُ لحظ ذلك ولم يرد ان يوسع الخرق

وشعرت حينئذٍ بحرج الموقف الذي كنتُ فيهِ موقف التنصُّت على الناس سرًّا وبكّتني ضميري على ذلك واردت الرجوع الى دار الحريم فسمعتَ لغطًا كثيرًا فيها لان الجواري كنّ يضعن المائدة في دارها ولذلك لم اجد لي سبيلاً الى الخروج من حيث كنت واعدت نظري الى الغرفة التي امامي وانا اكاد اذوب خجلاً من نفسي لاني حسبتني ملومة باستماع ما اسمعهُ على هذه الصورة . فسمعت نصرالله باشا يقول لابنهِ " اشرتَ الآن الى اني افضل مرضاة امك

على راحتك الدائمة وهذا خطأ لانني ان كنت اراعي مرضاة امك فيكون ذلك لعلاقتها بامينة لا بك ولا بي لانك اذا تزوجت بهذه الابنة المسكينة على غير رضى امك حسبتها عدوة لها وانتقمت منها . افتكر بما يمكن ان تفعله بها وقل لي أيجوز لك ان تضحي هذه المسكينة ارضاء لاهوائك

فقال نافذ بك حينما تصير زوجتي فانا اقدر ان احميها ولا يحتمل ان امي تسيء الى كنتها ولا انت ترضى بذلك

فصمت نصرالله باشا مدةً وظهر عليهِ الغيظ والاندهاش ثم التفت الى ابنهِ وقال لهُ اني استغرب جدًّا كيف عشت في الحريم كل هذه السنين ولا تعرف ما يجري فيهِ فانهُ لو لم يرسل لها ادهم الطعام مع جاريتهِ الخاصة كان قضي عليها الليلة

فاقشعرَّ بدني وارتعدت فرائصي حينما سمعتهُ يقول ذلك . وخطر ببالي حينئذٍ ان السم اسهل علاج يلجأ اليهِ في الحريم وبقال ان هانم افندي تخلصت من كثيرات على هذه الصورة وقلت في نفسي هو يخشى اذًا من ان تقتلني سمًّا

وصمت نافذ بك بضع دقائق ثم قال بصوت منخفض . متى تزوجت بها يترتب عليَّ ان اقيها من كل شرّ ولا تتعذر عليَّ رقايتها حينئذٍ

فقال ابوهُ بغيظ شديد انا لا ارضى بذلك ولا اظنك احمق الى هذا الحد حتى تعصي امري

فصمت مدة وكانت الجواري تضحك وتجلب في دار الحريم وانا سجينة في تلك الغرفة ثم سمعتهُ يقول بصوت مرتجف رنَّان

اني احبها حبًّا شديدًا حتى اجسر ان اخالف امرك واقترن بها. الله يعلم اني لا اريد ان افعل شيئًا الاَّ بامرك ورضاك ولكن اذا كنتُ لا استطيع ان استرضيك فلا حيلة لي

فاجابهُ ابوهُ بالازدراء والاحتقار لك ان تفعل ما تشاء ولكن لا يكون لومك الاَّ على نفسك فانك يوم تقترن بها لا تعود تدخل بيتي ولا ترى وجهي بل وتربة اجدادي لا تعود ترى هذه البلاد . اقترن بها وانظر ما يحلُّ بك يوم تقترن بها ترسل الى اليمن ولا تعود الى هنا ما دمتُ حيًّا . قد حذَّرتك فاختر لنفسك. ولست اسأَلك كيف تستطيع ذلك لاني واثق انك قد دبَّرت التدابير اللازمة ولا يهمني معرفتها

ولما كنت اصغي الى هذه الكلمات التي قطعت حبال آمالي ونسفت اماني نسفًا سمعت واحدًا يمشي في الممشى فاختبأت خلف الباب المفتوح واذا بعبد اسود مرَّ امامي الى الغرفة التي فيها نصرالله باشا ودعاهُ الى الطعام فقام وتبعهُ وكان الى جانبي باب آخر يفتح الى غرفة اخرى فدخلت

منهُ واختبأْت فيها ودخل نصرالله باشا واقفل باب السلاملك وراءهُ وخرج نافذ بك من الغرفة ونزل الى الدار السفلى

وجعلت افكرّ في ما سمعتُ ورأيتُ فصمَّمتُ على ان لا اقترن بنافذ بك الاَّ برضى ابيهِ لانهُ قادر ان يفعل كل ما تهدَّدهُ بهِ ومع ما كنت اراهُ فيهِ من الشهامة وكرم الاخلاق كان مستبدًّا برأْيهِ لا يتجاسر اولادهُ على معصيتهِ . وكنت اعلم ان ما يحتملهُ الضباط في بلاد اليمن من المشاق وشظف العيش لا يستطيع نافذ بك احتمالهُ لانهُ لم يعتد الاَّ رفاهة المعيشة

ولما صممت هذا التصميم شعرت بقوة جديدة في نفسي ولم اعد افكرّ في ما يأول اليهِ امري وما تكون عاقبتهُ عليَّ لاسيما وانني كنت حينئذٍ في موقف ينسى الشجاع عندهُ شجاعتهُ فجعلتُ افكرِ في ان سبيل النجاة قد سدَّ في وجهي باقفال باب السلاملك وانهُ ربما يُرسل العشاء اليَّ الآن فلا اوجد في غرفة القلفة فيعلم امري . وبقيت نصف ساعة افكر في طريق للنجاة فلا اجد واخيرًا سمعت واحدًا صاعدًا على السلم ثم اقترب نحو الغرفة التي كنت فيها ووقف هو ورجل آخر عند بابها ثم سمعت صوت نافذ بك يقول أَلست عازمًا على دخول الحريم الآن فاجابهُ اخوهُ كلاَّ لأنَّ معي اوراقًا لا بدَّ من النظر فيها وانا ادخن سيكارة قبل المدفع ثم افترقا فاشعل ادهم بك سيكارتهُ ودخل الغرفة التي كنت فيها وتلمَّس فيها حتى وجد طاولة في وسطها فاشعل عود كبريت اضاء بهِ شمعةً عليها ووقف وظهرهُ متجهًا اليَّ وانا واقفة مكاني لا ادري هل اخرج قبل ان يراني وابقى في المشي الى الصباح او اتجاسر واتقدَّم اليهِ واطلب مساعدتهُ . وقبل ان اصمم على امر من الامرين دار ليأتي بكرسي يجلس عليهِ فوقعت عينهُ عليَّ فوقف مبهوتًا كأنهُ يرى خيالاً ثم دنا مني ووضع يدهُ على كتفي كأنهُ لم يصدق عينيهِ وقال امينة أأنتِ هنا ما اتى بك الى هنا

فلم اجبهُ ولم استطع الجواب بل انطرحت على كرسي بجانبي واجهشت في البكاء فوقف امامي وقفة الحيرة ثم قال لي لماذا لم تناديني ان كنتِ محتاجة الى شيء فقد بقيت في البيت النهار كلهُ مخافة ان تحتاجي الى شيء فلا تجدي من يلبي نداءكِ ولم استحسن ان آتي اليكِ من تلقاء نفسي . الم يكن الأليق بكِ ان تناديني الى غرفتك من ان تأتي لتريني هنا

فقلتُ لهُ اني لم آتِ لاراك هنا ولكنني اود ان اتكلَّم معك على كل حال . ثم صمتُّ ونظرتُ في وجههِ وكنت اتوسم فيهِ دائمًا سمات الشهامة والفضل واثق بهِ تمام الثقة اما الآن فرأيتهُ فوق ذلك كلهِ رأيتهُ الرجل الوحيد الذي يمكنني ان اعتمد عليهِ في ساعة الشدَّة واطلعهُ على كل ما في ضميري . ولما خطر على بالي هذا الخاطر كدت اذوب خجلاً وقلت في نفسي

كيف اطلعهُ على ما انا فيهِ لكنني تجلدت لاني لم ارَ امامي سبيلاً آخر واطرقت راسي وجعلت اقصُّ عليهِ قصتي من حين اتتني رسالة نافذ بك واخبرتهُ بما سمعتهُ منهُ ومن ابيهِ

فاصغى اليَّ صامتاً ولم يفُه بكلمة ولما اتممتُ قصتي اخذ يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وانا اسائل نفسي قائلةً لعلَّهُ اغتاظ مني لعلَّهُ اغتاظ من عزمي على الهرب مع اخيهِ ولم اكد اتصوَّر ذلك حتى شعرت كأن الدم حرق وجهي والعرق تصبب من جبيني فوددت ان تشق الارض وتبتلعني . وعاد بعد قليل ووقف امامي وقال لي اني ارثي لكِ من كل قلبي فقد كنت اظن انك تحبين داود . لا يحمر وجهكِ فانكِ لم تفعلي شيئاً يستحَى منهُ . هلمي نمعن نظرنا في الامر قلتِ ان ابي تهدَّدهُ بالنفي اذا اقترن بكِ . فاطرقتُ راسي علامةَ الجواب لانني لم استطع الكلام وصمت هو مدةً ثم قال اودُّ من كل قلبي ان اساعدك ولكني لا ارى سبيلاً : يستحيل عليهِ ان يقترن بكِ من غير رضى ابي ولا افهم كيف يخطر ببالهِ ان ذلك ممكن . ولقد اخطأَ في تهديدهِ ابي لانهُ لم يبقِ لي وجهاً لاسترضائهِ يوماً من الايام وقد كان استرضاؤُهُ صعباً قبل هذا التهديد لانهُ لا يغير رأيهُ بسهولة فكيف يمكن استرضاؤُهُ بعد الآن

ولما رأيتُ انهُ لم يبقَ لي باب للرجاء قلتُ لهُ ألا يمكن ان اخرج من هنا اينما ارسلتني ارسلني لكي ابعد عن هذا المكان

فلم يقل شيئاً بل نظر اليَّ والكآبة على وجههِ وعاد الى الطاولة وكتب كتاباً وجيزاً ثم دنا مني وقال اني اعرف حرج الموقف الذي انتِ فيهِ وما يمكن ان ينالكِ من الاذى من امي لو بقيت هنا ولو كنت لا تستحقين شيئاً من ذلك ولا لوم عليك بل اللوم كلهُ علينا وحدنا ولكن يوجد مكان يمكنكِ ان تمضي اليهِ فقد كتبت اليَّ اختي سنية تطلب مني ان ارسل اليها واحدة تساعدها في تربية اولادها وهي مثل اختك لان جدتكِ ربتها فتستريحين عندها وتسرين بها وانا أؤكد لكِ انها تلاقيكِ على الرحب والسعة

فقلت هذا احسن شيء ثم صمت بغتةً لانهُ خطر ببالي ان نافذ بك ربما يتبعني الى هناك وكأنهُ قرأ افكاري فقال لي اذا قبلت مشورتي فخير لكِ ولهُ ان يبقى ذهابك مكتوماً عنهُ ولا يعلم احد الى اين ذهبتِ الاَّ ابي ثم فتح ساعتهُ وقال لم يضرب الموقع حتى الآن ولا يزال ابي مستيقظاً اتريدين ان اذهب واخبرهُ. فقلت نعم اذهب لوجه الله ولكن خذني معك الى غرفتي. فوقف وعلامة الشك في وجههِ وقال لا اظن ذلك ممكناً لان امي لا تزال مستيقظة والخدم في الدار والاحسن ان تبقي هنا . فقلت لهُ وكيف تعتذر عن وجودي هنا . فقال اليس لكِ ثقة بي فقلت بلى لي كل الثقة وقبل ان اتم كلامي خرج واقفل الباب وراءهُ . البقية تأتي

اغنياء اميركا

يتوق الانسان طبعًا الى الوقوف على اخبار الغريب النادر . وهل من شيء اغرب واندر من حشد الكثير من المال في القليل من السنين . خصوصًا وان المال في هذه الايام قوة عظيمة يسعى كل واحد الى الحصول عليهِ ولهُ الشأن الاكبر في سياسة الممالك وشؤُون الحياة

وقد فاق الاميركيون غيرهم في هذا المضمار واحرزوا من المال ما لم يحلم بهِ كسرى ولا قارون . وساذكر في هذه المقالة طرفًا من اخبارهم لان فيها فضلاً عن غرابتها فوائد كثيرة تهمُّ معرفتها مَن خاض معترك الحياة ولا يزال يغالب الايام فتغلبهُ تارة ويغلبها أُخرى

ويستفاد من هذه الاخبار ان الذين اثروا من الاميركيين كانوا متصفين بالهمة والاجتهاد والمواظبة وبُعد النظر واقتحام الاهوال التجارية والثبات على العمل ولو كان كلهُ خسارة في بدئهِ الى غير ذلك من المزايا التي لا غنى عنها لطالبي السبق في ميدان الحياة . ولكن الطبع غلاَّب والظلم من شيم النفوس فمتى ذاق المرء لذة الكسب هاجت اطماعهُ وضحى امامها كل ما فيهِ من عواطف الحنان وقال الحرب خدعة حتى اذا تمكن من مناظريهِ لم يشفق عليهم ولم يذر . فكم من الوف افقرهم الاغنياء بمطامعهم الاشعبية . ولو تتبعنا تاريخ كلٍّ منهم لرأينا انهُ بنى ثروتهُ على انقاض ثروة المئات بل الالوف من مواطنيهِ ومناظريهِ

ويلقب اغنياء اميركا بالاربعمائة وهم عدة بيوت يبلغ عدد اعضائها نحو اربع مئة نفس ويسكن اكثرهم الشارع الخامس من مدينة نيويورك فاذا قالوا ان فلانًا من الاربعمائة او من سكان الشارع الخامس قصدوا بذلك انهُ من ملوك الثروة في اميركا . ولو بقي اولئك الناس في بلدانهم التي نشأُوا منها يجمعون باطماعهم اموال مواطنيهم ويفاخر بعضهم بعضًا بالابهة والترف لهان الامر على سكان النصف الشرقي من الكرة الارضية ولم يكن لنا فائدة كبيرة من استقصاء تواريخهم لكن اميركا ضاقت بهم فهاجموا اوربا هجومًا لم يرَ نظيرهُ منذ ايام تيمورلنك وجنكيز خان لا بالسيف بل بالدينار وجابوها من الغرب الى الشرق حتى انك لا تزور مدينة اوربية الاَّ رأيت الاميركيين فيها ينفقون الاموال الطائلة ورأيت اشراف العالم القديم وقد كانوا حتى الساعة يعتقدون انهم اغنى اهل الكرة يختبئون منهم خوفًا وخجلاً . فاعظم الاشراف في اوربا قد لا تتجاوز ثروتهُ المليون او المليونين من الجنيهات واغنياء اميركا قد ينفق الواحد منهم في سنتهِ ما ينيف على ذلك وهو آمن مطمئن . ولم ينحصر النزاع في المسائل الاجتماعية بل تعدَّاها الى المسائل التجارية والاقتصادية . فالشركات الاميركية تبيع الحديد والزيوت والفحم

والمصنوعات المختلفة في اوربا بارخص مما تبيعها معامل اوربا نفسها . وانكلترا اعظم البلدان الصناعية قد بليت بمزاحمة اميركا لها في مستعمراتها حتى في نفس عاصمتها لندن حيث بنوا الترامواي الكهربائي على عمق عشرين مترًا تحت سطح الارض من منتصف المدينة الى غربيها وهم شارعون الآن في ابتياع جميع السكك الحديدية التي تحت الارض في تلك العاصمة لتحويلها الى ترامواي كهربائية وهذه السكك ممتدة تحت اكثر شوارع المدينة . وقد قام بعض اعضاء البارلمنت ينتقدون على الحكومة ميلها الى مساعدة التجارة الاميركانية فتبرأ الوزراء من ذلك واثبتوا ان لا سبيل لايقاف تيار البضائع الاميركية الجارف الا بسعي المعامل الانكليزية في تحسين بضائعها وسرعة عملها وبيعها باثمان البضائع الاميركية . وقد دخلت تجارة اميركا هذا القطر منذ بضعة اعوام فاشترت الحكومة المصرية بعض القاطرات والعربات من اميركا وانشأ الاميركيون كبري نهر الاتبرة الذي قامت له قيامة الجرائد الانكليزية واصحاب المعامل في انكلترا

وجميع ارباب المال في اميركا او كما يدعونهم غالبًا ملوك الثروة فيها من اصل فقير ولدوا في اميركا او هاجروا اليها طلبًا للرزق فابتسم لهم السعد وخدمتهم الايام حتى صاروا على ما هم عليهِ . وهاك تاريخ بعض المشهورين منهم

(١) جون ركنلر ملك الزيت

وهو اغنى اهل العالم وتقدر ثروتهُ بثمانين مليونًا من الجنيهات ودخلهُ اليومي بنحو تسعة آلاف جنيه . وقد كانت ثروتهُ سنة ١٨٥٥ الف جنيه فقط ثم صارت سنة ١٨٧٠ عشرة آلاف جنيه وبلغت سنة ١٨٧٥ مئتي الف جنيه وسنة ١٨٨٥ عشرة ملايين جنيه وسنة ١٨٩٠ عشرين مليون جنيه وتبلغ اليوم نحو ثمانين مليونًا كما تقدم

بدأ ركفلر باحتكار زيت البترول والزيوت التي تستعمل لتزييت الآلات البخارية ونحوها منذ نحو ثلاثين سنة وكان لهُ ندٌّ اسمهُ جورج ريس يخرج من معملهِ الذي ينقي فيهِ زيت البترول مئة الف برميل سنويًا فاهتم ركفلر حتى تمكن من مبيع زيتهِ باقل مما كان يبيعهُ ريس . ولما بحث هذا عن السبب وجد ان شركات السكك الحديدية تلزم معامل الزيت المكرر ان تضع زيوتها في براميل وتشحنها في عربات الشركة اسوة ببقية البضائع مع انها تسمح لشركة ركفلر بنقل زيتها في عربات مخصوصة كالصهاريج الكبيرة فلا تدفع سوى أجرة نقل الزيت مع ان بقية المعامل تدفع اجرة نقل الزيت ونقل البراميل التي فيها الزيت فتدفع نحو ٢٠ جنيهًا عن شحن كل عربة زيادة عما يدفعهُ ركفلر . وظن ركفلر ان ريس قد يئس من الفوز في

المزاحمة فعرض عليهِ ان يبيع معمله' و يعتزل تجارة الزيت فابى هذا واصرَّ على رفع دعواه' الى المحاكم فرفعها و بدئ بالتحقيق فاتضح ان رئيس شركات السكك الحديدية ومديريها هم ركفلر وشركاؤه' مديرو معامل الزيت وانهم يمتلكون نحو خمس السكك الحديدية كلها في اميركا فكانوا ينقلون الزيت على نفقة الشركات ثم يعود الربح لهم ٣٠ او ٤٠ في المائة

و بينما كان التحقيق جاريًا خلا الجو لركفلر ولم يبقَ له' مزاحم اذ اقفلت معامل تكرير الزيت كلها لعجز اصحابها عن تجاراتهِ . ثم رفعت الدعوى الى المحكمة فحكمت بحل شركة الزيت وبان لا حق لشركات السكة الحديد ان تجري على تعريفتين مختلفتين لنقل الزيوت . وظن ريس انهُ فاز بمرامهِ ولكن فوزه' هذا كان ظاهرًا فقط فان ركفلر التجأ الى السلطة الادارية لما خسر دعواه' امام السلطة القضائية ففاز وبقيت شركة الزيت على حالها وبقيت شركات السكك الحديد تأخذ أُجرة نقل الزيوت من ركفلر اقل مما تأخذ من غيرهِ وكان ذلك سنة ١٨٨٧ وسنة ١٨٠٢ حكمت المحكمة ثانية بحل شركة الزيت فادّعى ركفلر انهُ اذعن لحكمها غير ان انهُ اذعانهُ كان وهميًا فانهُ ابدل اسهم الشركة باسهم أُخرى ولا تزال اعمالها جارية الى الآن رغمًا عن احتجاج المحكمة . وقد وزعت هذهِ الشركة الارباح على مساهميها بين ٢١ مارس سنة ١٨٩٢ تاريخ صدور الحكم بحلها وشهر سبتمبر سنة ١٨٩٨ ستًا وعشرين مرة على معدل ١٣٧ في المئة من رأس المال اي ان كل مئة ريال ربحت ١٣٧ ريالاً . ولما كان رأس الشركة عشرين مليونًا ونصف مليون من الجنيهات كانت ارباحها في هذه المدة ثمانية وعشرين مليونًا من الجنيهات

ولركفلر سلطة عظيمة قلَّ ان يضارعه' فيها احد ومعيشة الوف من الناس تتوقف على البقاء في خدمتهِ . فعنده' ٢٠ الف عامل في معامل الزيت عدا عن بحّارة سفنهِ التجارية وعددها مئتا سفينة وهو يمتلك سبعين الفًا من عربات السكة الحديد المخصصة لنقل الزيت ولهُ اسهم كثيرة في جميع شركات السكك الحديدية في اميركا . قيل انهُ طلب يومًا من شركة سكة حديد بنسلفانيا ان تأخذ من بقية معامل الزيوت ضعفي الاجرة التي تأخذها من معملهِ فأبى مديروها ذلك اولاً ولكنهُ توعدهم جميعًا بالعزل ولما رأوا ان اكثر اسهمها له' خضعوا لاوامره صاغرين . وقد فعل مثل ذلك بعدة شركات من شركات النقل حتى باتت كلها طوع بنانهِ يديرها كما يشاء

والظاهر ان ركفلر قد نصب من الجهاد وهمومهِ وعزم على الاعتزال . خطب حديثًا في احدى جمعيات الاحداث في نيويورك فقال : —

ما هو النجاح أهو جمع المال ان افقر انسان اعرفهُ ليس عندهُ سوى المال . ولو خيرت لفضلت ان أكون فقيراً ويكون لي غرض اسعى اليهِ

ثم ذهب مساء اليوم الذي القى فيهِ هذهِ الخطبة الى نادي التجار فاجتمع حولهُ اصدقاؤُهُ اذ رأَوا عليهِ امارات التعب والهم وسأَلوهُ عما شاع عن عزمهِ على اعتزال العمل فاجاب نعم وادفع راتباً سنوياً مئتي الف جنيه لمن يتولى اعمالي كلها نيابة عني وعليهِ ان يعرف جيداً صناعة استخراج الزيت وتنقيتهِ وادارة السكك الحديدية وكيفية استخراج الحديد وقيمة العقارات وان يكون قد اتقن ادارة شركات النقل البحرية واعمال البورصة ويكون غاية في الامانة

فقاطعهُ احد الحاضرين وقال ماذا تعني بالامانة

فاجاب : على مَن يريد النيابة عني ان يكون اميناً لي ويحرص على مالي حرصهُ على مالهِ الخصوصي ولو ادَّى ذلك الى ابطال تجارة الغير . وبعبارة أُخرى انهُ يجب على نائبي ان يضعني مثالاً امامهُ في العمل . ثم قال انتعلمون انهُ عدا اشغال شركة الزيت التي لي (وهي المعروفة باسم الستاندرد أُويل) والاشغال الاخرى المعروفة عليَّ مراقبة ٣٨ الف ميل من السكك الحديدية . ثم تنهد وقال من يأْتني بالرجل الذي اطلبهُ ادفع اليهِ عشرين الف جنيه وخرج من النادي الى بيتهِ مثقلاً بهمومهِ وغمومهِ

وان يكن ركفلر اضرَّ بقليلين من الاغنياء الذين ناظروهُ اي قلَّل ثروتهم فقد افاد كثيرين من غيرهم لان هباتهِ للمدارس تقدَّر بالملايين وقد بلغت منذ خمس سنوات نحو ثمانية ملايين من الريالات وزادت عليها كثيراً بعد ذلك

(٢) هنري هفميَر ملك السكَّر

بدأَ هنري هذا واخوهُ ثيودور باحتكار السكَّر سنة ١٨٨٨ بمساعدة بعض الماليين وكان عملهما مقتصراً في اول الامر على المضاربة فلما احتكرا السكر في جزائر الانتيل وفي اوربا اخذا يحددان الاسعار حسبما يشاءان فلم تمضِ عليهما سنتان حتى ربحا بضعة ملايين من الريالات فوسَّعا اعمالهما وكان لهما مناظر كبير وهو شركة النهر الشمالي لتكرير السكر فارسلا اليها بلاغاً نهائياً لتبطل العمل ولما ابت اعلنا عملاءها انهما يبيعانهم السكر باقل مما تبيعهُ هي عشرين في المئة فاقبل الجميع عليهما وهبطت اسهم شركة النهر الشمالي هبوطاً فاحشاً ثم اعلنا العملاء بعد مدة ان اسعار السكر عادت الى ما كانت عليهِ بزيادة ٢٥ في المائة فعادوا كلهم الى شركة النهر الشمالي ولكنهم وجدوا اسعارها زادت ايضاً وذلك لان هفمير واخاهُ اشتريا اسهمها كلها

بسبعين الف جنيه ليأمنا مناظرتها ثم باعاها بعد ذلك بشهرٍ الى جمهور المساهمين بمئة واربعين الف جنيه . وفي السنة التالية عاودا الكرة على هذه الشركة وفعلا بها كما فعلا اولاً وهاجما شركتين آخريين واضطراها الى الخضوع واشتريا اسهمهما بثمانية وعشرين الف جنيه ثم باعاها بثمانين الفاً وبذلك تمَّ النصر لهفمير وصار ملك السكر بلا منازع . وتزيد ثروتهُ الآن على خمسين مليوناً من الجنيهات وربحهُ السنوي نحو اربعة ملايين فانهُ يبيع سنوياً نحو مليون ومئتي الف طن من السكر وذلك يعادل اربعة اخماس مقطوعيتهِ في الولايات المتحدة

وهو يمتلك اثنين وعشرين معملاً لتكرير السكر متفرقة في انحاء البلاد وعدد العملة فيها نحو عشرين الفاً . ولهُ عدا ذلك معامل لعمل البراميل ولعمل الفحم الحيواني الذي يستعمل لتكرير السكر ولقطع الاخشاب اللازمة للبراميل و يبلغ عدد العملة في هذه المعامل التكميلية نحو عشرة آلاف

وقد تشكلت لجنة من اعضاء مجلس الشيوخ في اميركا لفحص احوال الشركات الكبيرة التي احتكرت تجارة البلاد فقرر هفمير ان قيمة شركتهِ ثلاثون مليوناً من الجنيهات وربحها السنوي نحو ستة ملايين اي ٢٠ في المائة ونفقاتها السنوية نحو ستة ملايين ونصف من الجنيهات واجور العمال منها اكثر من ثلاثة ملايين ونصف . وفي معامل الشركة ٢٧٥ آلة بخارية مجموع قوتها اربعة وثمانون الف حصان وهي تعمل دائماً وتحرق يومياً الفين وثمانماية طن من الفحم الحجري وسبعة عشر الف متر مكعب من الماء و يصدر يومياً من معاملهِ خمسة واربعون الف برميل من السكر . ولم يكتفِ بالبيع بالجمل بل تراهُ يزاحم الباعة بالتفاريق حتى اضطرهم ان يبيعوا بالاسعار التي يحددها لهم . ومركز شركتهِ في نيويورك في وال ستريت وغرفتهُ بسيطة الاثاث جدًّا ومنها يدير معاملهُ العظيمة والثلاثين الفاً من العملة الذين يموتون لموتهِ ويحيون لحياتهِ و يصدر اوامرهُ المطاعة الى جميع تجار السكر في اميركا . ويقدرون انهُ اذا استمرَّ سائراً على هذه الخطة لا تمضي سبع سنوات او ثمان حتى تصبح اسواق السكر في اوربا ايضاً طوع امرهِ

(٣) روبرت نَيْط ملك القطن

وهو اشد اصحاب الثروة صرامةً في معاملة مستخدميهِ مع ان ما قاساهُ في صباهُ كان يجب ان يجعلهُ ارأف الناس بالذين عضهم ناب الفقر واضطرهم الى العمل في معاملهِ

ولما كان في الثامنة من عمرهِ كان يعمل اربع عشرة ساعة في اليوم في احد معامل القطن و يأخذ ٢٥ غرشاً في الاسبوع واذ رآهُ صاحب المعمل على جانب كبير من النباهة والاجتهاد

عينهُ كاتباً وجعل راتبهُ الشهري ١٦ جنيهاً . وكان صارماً ذا همة في العمل لا نعرف الكلال وخبرة في اشغال القطن قلَّ ان توجد عند غيرهِ فسُرَّ بهِ صاحب المعمل كثيرًا وجعلهُ شريكاً لهُ ولم يطلب منهُ ثمن حصتهِ (وكانت ٢٨ الف جنيه) بل ضرب لهُ موعدًا لايفائهِ . وبلغ دخلهُ اول سنة نحو الف وخمسماية جنيه . ولما بلغ السادسة والعشرين من عمرهِ تخلَّص من صاحب المعمل الذي كان سبب نعمتهِ واشرك معهُ اخاهُ

وكانت تجارة القطن في اميركا محصورة كلها تقريباً في شركة سبراج غير انها ابتليت ببعض الخسائر فاستغنم نيط الفرصة وهاجمها بكل قواهُ ولم تمضِ سنتان حتى افلست فاشترى معاملها بما هو دون الطفيف وبذلك اصبح هو واخوهُ المالدين لتجارة القطن في اميركا

ومدار عملهِ في مقاطعة بروفيدنس وفيها ١٥ قرية متشابهة البناء وكلها ملك لهُ. وتوفي اخوهُ منذ مدة فاصبح المالك الوحيد لها . ولهُ ٢١ معملاً يعمل فيها نحو ٧٥٠٠ عامل . ويبلغ عددهم مع نسائهم واولادهم نحو ثلاثين الفاً لا ملجأ لهم في الدنيا سواهُ

ومن غريب امرهِ انهُ يحب الاشجار والمناظر الطبيعية حبًّا يفوق الوصف ولما كان احد معاملهِ مبنياً في غابة غبياء لا تكاد اشعة الشمس تخرقها اضطرَّ ان ينير المعمل بالكهربائية مفضلاً ذلك على قطع اشجار الغابة ولا يزال مصرًّا على ذلك رغماً عن ابتلاء كثيرين من عمالهِ بامراض العيون وهو يبيع عمالهُ جميع لوازمهم من مأكل ومشرب . والطبيب والقسيس والمعلم من مستخدميهِ يصدعون بامرهِ حتى ان المعلم لا يلقي عليهم من الدروس الاقتصادية والسياسية الاَّ ما يوافق رأيهُ

ويمكن تقدير ثروة هذا الرجل هكذا : ان عندهُ في معامل الغزل والنسج ٧٥٠٠ عامل ولا تكون اجورهم في اليوم اقل من ثلاثة آلاف جنيه ولا تكون في السنة اقل من مليون جنيه . واجور العمال في معامل القطن تساوي ١٥ في المئة من رأس مالها فيكون رأس مالهِ ستة ملايين وستمئة الف جنيه لكنهُ يربح منها في السنة مليون جنيه على الاقل ولو حُسب هذا الربح ربًا لرأس مال على معدل ٥ في المئة كان رأس ماله عشرين مليونًا من الجنيهات وهو على ازدياد

ستأتي البقية نسيم برباري

الكونت تولستوي الروسي

تابع ما قبلهُ

ختمنا الكلام في الجزء السابق بما جرى على المائدة بعد الطعام . قال المستر كنان صاحب الحديث ولم تحن لي فرصة حتى الآن لاري الكونت وصف اعتصاب الصوم الذي وعدت بان اريهُ اياهُ فلما عدنا الى غرفة الاستقبال عدت الى الكلام على معاملة المنفيين في سيبيريا واخرجت الكتاب واريتهُ اياهُ وفيهِ وصف مسهب لما حلَّ باربع نساء من المتعلمات المتهذبات اللواتي تآمرنَ على الصوم وبقينَ من غير طعام ستة عشر يوماً لكي ينجينَ مما حسبنهُ قساوةً بربرية لا تطاق .وقد كتبت كتاب الوصف مدام روسيكوفا احدى المعتصبات وهرَّبتهُ من السجن سجين آخر كان سجنهُ قريباً من سجنها فجعل الكونت يقرأُ الكتاب ويقطب وجههُ وبان لي من كلامهِ انهُ اطلّع على حوادث كثيرة مثل التي فيهِ ويئس من اصلاح الحال ثم قال لا شبهة عندي في ان افعال هؤلاء المنفيات تشهد لهنَّ بالبسالة والشهامة ولكنني لا ابررهنَّ في ما فعلن لان فعلهنَّ مخالف لمقتضي الحكمة ولو اتبع المنفيون كلهم رأيي قبلما جاهروا بالعصيان لافادوا روسيا فائدة لا تقدَّر . فان رأيي هو الثورة الحقيقية التي تنفع البلاد فلو اتفق اهالي البلاد على ان لا ينتظموا في الخدمة العسكرية ولا يدفعوا الضرائب للانفاق على الجيش لتقوضت دعائم الحكومة الحاضرة . والطريق الوحيد لمقاومة الشر هو ان يمتنع الانسان عن فعل الشر لنفسهِ ولغيرهِ

فاستغربتُ مناداتهُ باسلوب ثوروي لا يمكن العمل بهِ على ما ارى وقلتُ لهُ ان الحكومة تجبر الناس على دفع الضرائب وعلى الخدمة العسكرية وعليهم ان يدفعوها ويتجندوا والاَّ اودعتهم السجون

فقال هذا ضرب المحال لانها لا تستطيع ان تسجن الامة كلها وان سجنتها حصلت الغاية المطلوبة لانها تمسي بلا مال وبلا جنود

فقلت ولكن يستحيل عليك ان تجعل الامة كلها تتفق على امر واحد وتفعلهُ في وقت واحد. وقد تستطيع ان تقنع مئة الف او اكثر من الفلاحين ليعملوا برأيك ولكن هل تترَك وشأنك . كلاَّ بل حالما ترى الحكومة ان آراءك عاملة على الاضرار بها تمنعك عن التمادي في عملك . وهبْ جدَلاً انك استطعتَ ان تقنع ربع السكان كلهم فان الحكومة تستطيع ان تجند من الثلاثة الارباع الباقية ما يكفي للقبض على الربع الذي اتَّبعك ووضعهِ في السجون او نفيهِ الى

سيبيريا وتنتهي هناك آراؤك واما نيك . ولا ارى لك سبيلاً الاَّ ان تنال من الحكومة حرية العمل بالسلم ان امكن او بالثورة اذا دعت الحال ولا تستطيع ان تعلّم الناس وتقنعهم كيف يعيشون ويعملون ما دام في البلاد قوة اخرى ماسكة بخناقك تخمد انفاسك اذا فتحتَ فاك او رفعت يدك فكيف تفلح وانت كما انت

فقال اذا حقٌ لكَ ان تقاوم الشرَّ بالشر حقٌ لكل احد غيرك ان يقاوم ما يحسبهُ شرًّا فتمتلئ الدنيا من الحرب والخصام ولذلك يترتب عليك ان تعلّم الناس بوجود طريق آخر غير الشر لمقاومة الشر وهو طريق النصح والارشاد

فقلت ولكن اذا رأيتُ امامي رجلاً يضربني على فمي كلما حاولت الكلام فكيف استطيع النصح والارشاد

فقال اذًا تكون قد امتنعت عن ضربهِ كما ضربك فتريهِ بفعلك هذا انك ترفعت على خلَّة الانتقام البربرية ثم ان خصمك يكف عن ضرب رجل لا يقاومهُ ولا يقي نفسهُ . وقد ارتقى نوع الانسان بالذين تألموا لا بالذين آلموا غيرهم

فقلت ان الشكوى والتذمُّر لم يرقيا امَّة من الامم ولم ينل احد حقَّهُ الاَّ بالقوة وسفك الدماء على ما يظهر لي من تاريخ العالم . والامة التي ترضخ للذل وتسكن الى الهوان لا تنال حرية ولا راحةً

فقال ان تاريخ الانسان تاريخ ظلم وجور وحرب وخصام والناس مختلفون تمام الاختلاف في تحديد الظلم والجور فاذا ابحتَ لكل احد ان يقاوم ما يحسبهُ ظلمًا وجورًا ملأتَ الدنيا بالحروب والخصومات

فقلت ولكن ان كان الظلم نافعًا للظالم ورأى انهُ يستطيع ان يظلم غيرهُ ولا رادع لهُ ولا مطالب فهل يرجى ان يعدل عن ظلمهِ . ويظهر لي ان تعليم السلام الذي تعلّم بهِ يقسم الناس فئتين فئة قاهرة ظالمة تجد الظلم نافعًا لها ولا تحول عنهُ وفئة مقهورة مظلومة تعدُّ المقاومة اثمًا فتخضع للذل ابد الدهر

الاَّ انهُ بقي مصرًّا على رأيهِ وهو ان الظلم لا يزول بمقاومتهِ بالقوة بل بمقاومتهِ بالخضوع واجتناب كل عمل من مقتضاهُ مقاومة الظلم بالظلم والقوة بالقوة . وبعد حديث طويل على هذا الاسلوب طلب مني ان امشي معهُ فالتقينا بابنتهِ الكبرى راجعة من مساعدة بنات الفلاحين وهي لابسة مثلهنَّ ثوبًا احمر مفتوح الصدر وشعرها مضفور جدائل على ظهرها وفي عنقها سموط من الخرز الملون فلم اعرفها لو لم ينادِها ابوها باسمها . وظهر لي انها من رأيهِ في

وجوب مشاركة الفلاحين في اعمالهم مساعدةً لهم . وهو نفسهُ قضى الصباح في تفريق السماد في اطيان امرأة مسكينة وكان عازماً ان يعود الى تفريقهِ بعد الظهر لو لم اشغلهُ عنهُ . وقد قال لي في هذا الصدد انهُ يجب على كل انسان ان يساعد الفقراء الذين يحتاجون الى مساعدتهِ بالعمل بيديهِ في ما يعملون بهِ ولو ساعةً كل يوم فان ذلك انفع لهم مما لو بقي مقتصراً على عملهِ وساعدهم بجانب من دخلهِ لانك اذا فعلتَ الامر الاول تكون قد ساعدت من يحتاج الى المساعدة وعلّمتهُ الاجتهاد والابتعاد عن الكسل واريتهُ ان العمل شريف لذاتهِ لا تأنف منهُ على علوّ منزلتك فيصير يكرم نفسهُ ويفتخر بالعمل ويقنع بما قسم لهُ واما اذا اقتصرت على اعمالك العقلية واعطيت الفقير جانباً من دخلك كما تتصدق على المساكين بالصدقات اغريتهُ بالكسل والاتكال على الغير وفصلتَ بينهُ وبينك بحاجز حصين وامتَّ الشهامة من نفسهِ واحييتَ بدلاً منها التذمر والشكوى من العمل والطموح الى التخلص من الحالة التي هو فيها والتطلع الى الحالة انت فيها ليلبس لباسك ويجلس في مجالسك . وما هذا بالسبيل لمساعدة الفقراء ونشر الاخاء في الدنيا

فقلت اذا سلّمتُ معك ان مصلحة الانسان العظمى تقوم بان يفضل مصلحة غيرهِ على مصلحة نفسهِ وعائلتهِ فانت مصيب في كل ما قلتَ اي اني اذا سلمتُ بمقدماتك لم يبقَ لي سبيل للجدال معك في نتائجك . والذي يدهشني من مذهبك انهُ ليس مما يمكن العمل بهِ لان من يسعى لغيرهِ في احوال الناس الحاضرة يضحي مصلحتهُ ومصلحة عائلتهِ لانهُ لا يجد احداً آخر يفعل فعلهُ لكي يتبادل النفع

فقال على مَ لا تسلم بمقدماتي فانهُ اذا فعل كل احد الخير مع غيرهِ بدلاً من الشر صار الناس اصلح كثيراً مما هم الآن . أوَ لا يجب على كل احد ان يصلح حال المجتمع الانساني حتى يصير كل واحد منهُ يفعل الخير بدلاً من الشر فان كنتُ اهتم واسعى لايجاد هذه الحالة الفاضلة التي تنفى بها الشرور من الدنيا فعلى مَ تقول ان سعيي وآمالي مما لا يمكن العمل بهِ . واذا اريد الوصول الى تلك الغاية فلا بدَّ من ان يشرع احد ما في السير اليها ويثبت امكانها وان كانت احوال المجتمع الانساني الحاضرة تجعل هذا السعي صعباً فذلك لا يرفع المسؤولية عني ولا يثنيني من السعي لان بحثنا ليس عمَّا هو الاسهل بل عمَّا هو الواجب . وليس في حال المجتمع الانساني الحاضر ما يمتنع تغييرهُ بل هو نتيجة افعال الانسان وبافعال الانسان يُغير ولا بدَّ من تغييرهِ وانا باذل اقصى جهدي في هذا السبيل

ثم قصَّ عليَّ كيف تغيرت آراؤهُ في تعاليم المسيح وكيف وجد فيها مفتاحاً لحل اعوص

المسائل الاجتماعية وبنى عليها مذهبهُ في ان الشر يجب ان لا يقاوم بالشر وعداءهُ لمحاكم القضاء وامتياز الناس في المراتب واختصاصهم بالاملاك وكل الشرور المدنية . وقد يُظَنّ من كثرة ما يستشهد بالانجيل انهُ من المسيحيين المتدينين ولكن تعاليمهُ تدلُّ على انهُ بعيد عن ذلك بعداً شاسعاً فهو منكر للفداء والثالوث والوهية المسيح ضعيف الاعتقاد بخلود النفس . وديانتهُ عالمية مبنية على المصلحة العالمية فاذا اشار الى المسيح وتعاليمهِ لم يشر اليهِ كاله بل كانسان علَّم تعليماً فلسفياً يراهُ اصلح كل تعليم لنوع الانسان وهو من هذا القبيل كوحي الهي ولا بدَّ من العمل بهِ حرفياً من غير تفسير ولا تأويل وقد قال المسيح لا تقاوموا الشر فيجب ان لا تقاوم الشر مطلقاً من غير قيد

وجلنا في اراضيهِ غير قاصدين مكاناً معيناً ونحن نتباحث ونتجادل ولم يبقَ في ذهني صورة شيء مما وقع نظري عليهِ لاني كنت مشغولاً عن ذلك كلهِ بما اسمعهُ منهُ وما اراهُ في وجههِ من الامارات والمعاني الدالة على صدق نيتهِ وخلوص طويتهِ

وفي اخريات النهار امطرت السماء قليلاً فاضطررنا ان نعود الى البيت ودعاني الى مكتبتهِ وهي غرفة صغيرة ساذجة لا شيءَ فيها سوى سرير ضيق من الحديد وكرسي من الخشب المدهون وطاولة عليها غطاء اخضر قديم وحول جدران الغرفة رفوف الكتب وهي كثيرة واكثرها غير مجلَّد وفوق الطاولة صورة رجل روسي من مشاهير الخارجين على الحكومة الروسية. وقال لي تأتيني مكاتيب كثيرة من اميركا من الذين قرأوا كتبي . وفتح درجاً وقال هاك مكتوباً منها فقرأتهُ واذا هو من رجل في حراج بنسلفانيا كتب اليهِ يقول انهُ هو وكثيرون من اتباعهِ جروا من عهد طويل على الخطة التي ابانها في كتابهِ المعنون " دیانتي " وانهم انشأوا كنيسة خاصةً بهم وبهذا التعليم . ثم قال لي ما رايك في كاتب هذا المكتوب ألا ترى انهُ لم يفهم مرادي لانهُ يظن ان الديانة تستلزم وجود كنيسة وقد كتبت اليهِ ان حسن السلوك لا يقتضي ذلك

ودخل حينئذٍ شاب بثياب الفلاحين آتياً بما للكونت تولستوي في البريد من الكتب والرسائل فظننتهُ خادماً من خدمهِ ولم انهض لهُ لكن الكونت عرَّفني بهِ قائلاً انهُ فلان فاذا هو احد تلامذتهِ المشاركين لهُ في آرائهِ واعمالهِ وهو شاب متعلم متهذب درس في احدى المدارس الروسية الجامعة ثم تتلمذ لتولستوي واتبع مذهبهُ حرفياً فليس لهُ بيت ولا عقار آخر . يعمل للغير من غير اجرة ولا يتناول الاَّ طعامهُ ولباسهُ لا على سبيل الاجرة بل على سبيل الاشتراك حاسباً ان من عندهُ طعام يجب عليهِ ان يشرك الجياع فيهِ ومن عندهُ اكسية

يجب عليهِ ان يكسي العراة بها . واذا خيم الليل نام حيث يجد لهُ مأوًى . فهو عائش لاجل الجماعة و يعتقد ان الجماعة مضطرة ان تقدم لهُ ما يحتاج اليهِ من طعام وشراب وكساء واواء. ولا يدفع مالاً للحكومة ولو قبضت عليهِ وعاقبتهُ لانهُ لا يريد ان يساعدها على ما يعتقد انهُ شرٌّ وظلم

وكان بين ما جاء بهِ هذا الشاب نسخة انكليزية من ترجمة كتاب تولستوي المعنون " ديانتي " وهي اول مرة رآهُ فيها مترجمًا الى الانكليزية وقد ترجم اليها عن الترجمة الفرنسوية فاتى باصلهِ الروسي ولم يزل خطأً وطلب مني ان اساعدهُ على مقابلة الترجمة بالاصل فقابلنا ثلاث صفحات او اربعًا ثم قال ان الترجمة حسنة وقد حافظ المترجم على المعنى

ودار الحديث على رواياتهِ المترجمة فاخبرني ان بيت طباعة اميركي عرض عليهِ جانبًا من المال عن كل نسخة يبيعها من رواياتهِ اذا سمح لهُ ان يقول انها الطبعة الوحيدة التي يكفل مؤلفها صحتها فاجابهُ رافضًا ذلك وقال انهُ لا يريد ان يكتسب شيئًا من رواياتهِ التي تطبع في بلاد اجنبية . وتكلم عن هذه الروايات بالاستخفاف حاسبًا ان ما بذل في تأليفها من العناء وضعهُ في غير موضعهِ مضطرًا لا مختارًا لان نشر آرائهِ الدينية ممنوع في بلاد الروس

فقلت لهُ اني رأيت كثيرًا من مؤلفاتهِ الحديثة منسوخًا نسخًا او مطبوعًا طبع حجر ومنشورًا في بلاد الروس فقال نعم لان الحكومة منعتني من طبعها ولكنها لا تستطيع ان تمنع انتشارها. واحيانًا تمنعني من نشر آرائي في صورة ولا تمنعني من نشرها في صورة أخرى . فالآراء التي في كتابي " ايفان الاحمق " منعتني من نشرها كما هي فافرغتها في قالب رواية فاذن الرقيب بطبعها من غير اعتراض ومنعت من طبع كتابي " الاعتراف " لكنَّ خدمة الدين نشروهُ في مجلتهم وردُّوا عليهِ وقد بلغني ان الجمهور يطالع هذه المجلة ويسرق منها الاوراق التي ذُكرت فيها آرائي

ودعينا الى العشاء حينئذٍ ولبس النساء ثياب العشاء على جاري العادة واما الكونت فبقي بثيابهِ وبقيت انا بثيابي . وكان العشاء بسيطًا خاليًا من كل ترف والحديث كثير الفكاهة وكان الكونت اكثرنا هزلاً وضحكاً . وظهر لي انهُ يحب اولادهُ ويحبونهُ حبًّا شديدًا . وافترقنا بعد العشاء وجلس الشاب الذي اتى بالبريد والسيدتان اللتان كانتا هنا منذ الغداء وجعلوا يتذاكرون ويتجادلون وهم يقرأُون كتابًا غير مطبوع من مؤلفات الكونت الحديثة . ثم دعتني الكونتس لشرب الشاي في غرفتها الخاصة باستقبال ضيوفها وتبعنا الكونت الى هناك ومعهُ ادوات السكافة وحذاءٌ كان يصنع لهُ كعبًا وظهر لي انهُ من الماهرين في صناعة السكافة

وانهُ يعمل بها في ساعات الفراغ و يعظم شأنها و يعتني بعمل حذاء اكثر مما يفتخر بتصنيف رواية وهو في غنى عن التأليف والتصنيف وعن كل صناعة لان املاكهُ تساوي ستمئة الف روبل او نحو مئة الف جنيه. وجعل يشرح لنا عمل الاحذية شرح عالم ماهر فقلت لهُ في آخر الامر اني افضل ان اقرأ رواية من تأليفهِ على ان احتذي حذاء من عملهِ

ثم جرّنا الحديث الى حكومة الولايات المتحدة الاجرائية فقال انها اخطأت في اضطهاد الصينيين والمورمون وخالفت مبادئها وتقاليدها . فسألتهُ عما اذا كان يعلم ما هو عذرنا في ذلك فقال قد لا اعلم فجعلت ابسط لهُ آراء الذين حملوا الحكومة على منع الصينيين من دخول بلادنا وابنت مقدار الضرر الذي نال بعض الجهات من نزولهم فيها وترخيص أُجرة عمالها . فقال وهل هذه كل شكواكم منهم فقلت نعم اوَلا تكفي هب ان الصينيين هاجروا الى كليفورنيا مئة الف نفس كل سنة فانهم يلاشون عمراننا في تلك الجهات

فقال ولماذا لا يكون للصينيين حق في نزول كليفورنيا مثلكم . فقلت ألا يباح لنا ان نتخلص من اعتداء الغرباء علينا في مواطننا . فقال ولماذا تحسبهم غرباء ولماذا تضع هذا الفرق بينكم وبين غيركم اليس الناس كلهم اخوة سواء كانوا روسيين او مكسيكيين او اميركيين او صينيين

فقلت لهُ ولكن هب ان الصينيين كثروا كثرة فاحشة حتى اضطررنا ان نصير لهم عبيداً فهل تجيز ذلك . فقال وما ضركم ما دام الغرض من الحياة ان يعمل كل احد لغيرهِ سواء كان عبداً او حرًّا . ولما سمعت منهُ ذلك غيرت الموضوع لاني رأيت من العبث مجادلتهُ فيهِ

ثم دار البحث على الحكومة الملكية وعلى العقاب بنوع عام والعقاب بالقتل بنوع خاص فرأيتهُ مضادًّا لهُ كما انتظرت . وقال في عرض الحديث انهُ لما قُتل القيصر اسكندر الثاني وحُكِم على القتلة كتب الى ابنهِ القيصر اسكندر الثالث يبين لهُ وخامة قتل الناس صبرًا وتوسل اليهِ ان لا يجعل فاتحة ملكهِ القتل وارسل كتابهُ الى رئيس المجمع المقدس الذي كان معلمًا للقيصر اسكندر الثالث لانهُ ظن ان كلمتهُ مسموعة عند القيصر فاجابهُ هذا الرئيس انهُ موافق على قتل القتلة ولا يرى وجهًا للعفو عنهم ولا لعرض كتاب تولستوي على القيصر وختم كتابهُ بقولهِ " ان ديانتك ديانة الضعف والحنان وديانتنا ديانة السلطة والقوة "

وبقي الكاتب الى الساعة الحادية عشرة ليلاً ثم ودع الكونت واهل بيتهِ وعاد من حيث اتى . ولم يقتصر على ما اوردهُ من وصف هذه الزيارة بل عقّب عليها بكلام حشوهُ الحكمة والبلاغة . قال وقد سألني كثيرون في بطرس برج وموسكو عما اذا كنت احسب الكونت

مخاصاً في دعواهُ لان البعض يظنون انهُ يلعب بعقول الناس لعباً فينهى عن اقتناء الاملاك ولهُ املاك واسعة لا يبيعها ولا يعطيها لاحد . وينهى عن الاهتمام بالاكتساب وهو يكتسب المبالغ الطائلة من بيع كتبهِ

ولعلَّ سبب ذلك ان عائلة الكونت زوجتهُ واولادهُ لا يوافقونهُ على آرائهِ فرأى انهُ اذا اراد ان يعمل على مقتضى مذهبهِ اوقع الشقاق والخصام في بيتهِ فاختار اخف البليتين . وقد اشار الى هذا الموضوع في فقرة نشرها حديثاً قال فيها

يقولون لي انكَ تعظ الناس ولا تفعل بما تعظ وهم مصيبون في ما يقولون واراني امامهم صامتاً لا احير جواباً . يقولون انك تعظ الناس ولكن لا تفعل حسبما تعظ نعم هم مصيبون وكان الواجب عليَّ ان اعظ الناس بافعالي قبل اقوالي . وبحي فاني مخطئ ملوم مستحق للازدراء والاحتقار لكني اقول لا تبرئة لنفسي بل ايضاحاً لواقعة الحال انكم لو قابلتم حاضري بماضيَّ لوجدتم اني باذل جهدي للعمل بما اعظ بهِ ولم اتمم حتى الآن جزءا من ثمانين الف جزء مما يجب عليَّ اتمامهُ لا لاني لا ارغب في اتمامهِ بل لاني لا استطيع اتمامهُ . علموني كيف التخلص من العراقيل التي انا فيها ساعدوني على اتمامها فاتممها . اللوم عليَّ لا على الآراء التي انادي بها : اذا كنتُ اعرف طريق بيتي واسير فيهِ سكران مترنحاً فاعتسف على غير هدًى لا يؤخذ ذلك دليلاً على ان الطريق لا يوصل الى البيت ولا على اني لا اعرفهُ وان كان هذا ليس طريق بيتي فاروني طريقاً غيرهُ ولا تقولوا اني مخطئ بل تعالوا وساعدوني لكي لا اضلَّ ولا تحاولوا ان تزيدوا ضلالي بالنداء والصخب . يكاد قلبي ينصدع لاننا كلنا قد ضللنا وانا احاول بكل جهدي ان اعود الى الطريق السوى وانتم لا ترثون لي بل تعيرونني وتشمتون بي

هذا اعتراف رجل يسعى الى الخير فلا يستطيع ان يتغلب على ما فيهِ من الشر ويحاول النجاة من العراقيل التي ولد فيها فيجد دون النجاة منها خرط القتاد . وهذا رأي الكاتب فيهِ فقد قال انهُ لم يرَ اعترافاً اصرح من هذا الاعتراف ولا ابسط منهُ ولا اكثر اخلاصاً كما انهُ لم يقرإ اعترافاً ابلغ منهُ ولا اشدَّ تأثيرًا في النفوس

هذا وسنذكر في الجزء التالي اقوال غيرهِ من مشاهير الكتَّاب الذين شاهدوا تولستوي وذاكروهُ وبنوا احكامهم على ما سمعوهُ منهُ وما قرأوهُ في كتبهِ . ونشفع ذلك بترجمة بعض الاقوال التي قالها ولا سيما في ما يتعلق بحرمهِ الاخير

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

صبغ الشعر

صبغة الرصاص

تصنع صبغة الرصاص من اربعين قمحة من سكر الرصاص (خلات الرصاص) و ١٦ درهماً من الماء يدهن بها الشعر جيداً وحينما يكاد ينشف يدهن بمذوب كبريتيد الامونيوم فاذا كان هذا المذوب مخففاً كثيراً صار لون الشعر بهِ اسود . وتمتاز هذه الصبغة على الصبغات السابقة بانها لا تسود الجلد

صبغة الزيبق

تصنع هذه الصبغة من ١٢ قمحة من السليماني و ٣٢ قمحة من الماء يدهن بها الشعر بفرشاة وحينما ينشف يدهن بمذوب ثمانية دراهم هيدروكبريتيت الصودا في ١٦ درهماً من الماء بفرشاة اخرى و يحسن ان يدهن الشعر بالمذوب الاول في المساء و بالمذوب الثاني في الصباح يوماً بعد يوم على ايام ثم يدهن مرة او مرتين كل اسبوع حتى يصير لونهُ على ما يرام

ولا يخفى ان السليماني سام جداً فيجب ان يكتب على قنينتهِ انهُ سام وان لا يدهن بهِ الرأس اذا كان فيهِ جرح او سحج

ولا بدَّ من تنظيف الشعر جيداً قبلما يدهن بالصبغة السابقة او غيرها من صبغات الشعر وتنظيفهُ اما بغسلهِ بالماء والصابون او بماء كولونيا والروم ثم ينشف جيداً . و يدهن بزيت من الزيوت بعد صبغهِ لكي يعود اليهِ لمعانهُ ولكي لا يزيد جفافهُ

واذا كان الشيب قليلاً يحسن صبغ الشعر بالصبغة التالية وهي اربعة دراهم من خلات الرصاص ودرهم من زهر الكبريت و ٣٢ درهماً من الماء يذاب خلات الرصاص في الماء و يمزج بهِ زهر الكبريت و يهز جيداً و يدهن بهِ الشعر في المساء والصباح على مدة اسبوع ثم تقلل الدهنات بالتدريج حتى تصير مرة كل اسبوع او مرة كل اسبوعين

وهذه الصبغة بطيئة وهي تستعمل للشعر الاشقر ولا سيما اذا كان الشائب فيهِ قليلاً واذا

رسب منها شيء على الجلد امكن نزعهُ بسهولة بعد جفافهِ . وفعلها بالشعر الاشقر احسن من فعلها بالشعر الاسود ولا سيما اذا كان الشعر ضاربًا الى الحمرة

وهناك صبغة أخرى للشعر الاشقر يمكن ان يزيد لونها دكنةً وهي تصنع من ١٦ قمحة من كبريتات النحاس (الشب الازرق) و ٣٢ درهمًا من الماء المقطر يدهن بها الشعر جيدًا ويترك حتى يجف او يكاد يجف ثم يدهن بمذوب ١٦ قمحة من فروسيانيد البوتاسيوم في ٣٢ درهمًا من الماء المقطر . وهو يدهن بهذا المذوب باسفنجة او فرشاة

ولا يخفى ان فروسيانيد البوتاسيوم سام شديد الفعل جدًا اذا شرب احد منهُ ولو قليلاً قتلهُ ولكن فعلهُ بالشعر حسن فانهُ يصبغهُ ويقويهِ

صبغة اخرى للشعر الاشقر المسود وقد تجعل الشعر اسود اذا تكررت . وهي درهم من نيترات الفضة النشادري يذاب في ٣٢ درهمًا من الماء المقطر ولا بدَّ من الحذر لئلا تمس الجلد لانها تسودهُ ايضاً . ومتى دهن الشعر بها وجفَّ يدهن ايضاً بمذوب درهمين من الحامض البيروغاليك في ٣٢ درهماً من الماء المقطر . يدهن الشعر بهِ باسفنجة

وكذلك اذا اذيب عشرون او ثلاثون درهماً من برمنغنات البوتاس في ثمانية دراهم من الماء المقطر ودهن بهِ الشعر الاشقر الشائب رد اليهِ لونهُ من غير ان يضرَّ بهِ . ويمكن ان يجعل لون هذه الصبغة فاتحاً جدًا او اسود يدهن الشعر بها ثم بمذوب الحامض البيروغاليك دواليك

فطام الاطفال

لا يمكن تحديد وقت الفطام تمامًا . ولا تحديد وقت يصلح لكل الاطفال في كل الاحوال. وكثيرات من النساء يضررن انفسهنَّ واطفالهنَّ بارضاع اطفالهنَّ زمنًا اطول مما يلزم لهنَّ . والقاعدة المتبعة عمومًا هي انهُ اذا كانت ام الطفل حسنة الصحة وكان لبنها كافيًا وجب ان تفطم ابنها بين الشهر التاسع والثاني عشر . واذا ظهرت اسنانهُ فذلك دليل مع انهُ قد حان الوقت لفطامهِ . ولكن اذا صار لبن الام ضعيفًا في نوعهِ او قليلاً في كميتهِ حتى لا يكفي لتغذيتهِ فالاحسن ان يفطم ولو كان صغيرًا

ويجب على أُم الطفل ان تقلل من ارضاع طفلها قبلما تفطمهُ بشهر من الزمان وتسقيهُ بدل لبنها قليلاً من لبن البقر الجيد بعد تسخينهِ ومزجهِ بالماء النقي الحار وتحليتهِ بقليل من السكر وليكن ذلك مرتين في اليوم ولا يكون اللبن حينما يسقاهُ الطفل احرَّ من دم الانسان

واللبن الغذاء الطبيعي للطفل واذا فقد لبن امهِ فلا بدَّ من الاستعاضة عنهُ بلبن البقر

ولكن ابن البقر يعرّض الطفل للاسقام على وجهين الاول ان تكون البقرة مريضة بالتدرُّن او نحوهِ فتنتقل العدوى الى الطفل باللبن فلا بدَّ اذًا من ان تكون سليمة من كل آفة . والثاني ان الهواء الذي يلامس اللبن المكشوف لا يخلو من انواع مختلفة من الجراثيم الحية فتنمو فيهِ وتتكاثر وقد يكون بعضها سمًّا مميتًا ولذلك لا يندر ان يصاب الاطفال الذين يشربون اللبن صيفًا بالامراض المعدية والمعوية ويوقى الطفل من ذلك بتسخين اللبن حتى تموت الجراثيم التي تكون قد وقعت فيهِ . ولا بدَّ من تسخينهِ في قناني مسدودة ثم تبرَّد قليلاً و يصب في رضاعة نظيفة يرضعهُ الطفل منها او يسقاهُ سقيًا بملعقة نظيفة . و يحسن ان يطبخ لهُ بهِ قليل من الارز او التبيوكا او الخبز . ويزاد لهُ الطعام رويدًا رويدًا و يقلل الرضاع حتى ينقطع فلا يستفقدهُ الطفل ابدًا او يستفقدهُ قليلاً . وحينما يفطم تمامًا يجعل طعامهُ من اللبن والخبز في الصباح ومطبوخًا من اللبن والخبز او اللبن والارز الظهر والعصر ويحسن ان يطعم قليلاً من مرَق اللحم اذا لم يكفهِ اللبن والخبز والارز . ولا بدَّ من تعيين الاوقات التي يطعم فيها الفطيم فيعتادها ولا يعود يطلب الطعام الاَّ فيها وتكون الفسحات بينها اربع ساعات اربع ساعات فيطعم اربع مرات فقط في اليوم الى ان يصير عمرهُ سنتين . وما تجري عليهِ بعض الامهات من اطعام اطفالهنَّ الكعك والاثمار النهار كلهُ حتى لا ترى الطفل الاَّ وفي يدهِ شيء يأكل منهُ فعادة مضرَّة جدًا . ولا يسقى الطفل غير الماء القراح لا خمرًا ولا شايًا ولا قهوة ولا بيرة ولا شيئًا من الاشربة

المرأة ونفقات البيت

اخبرتنا سيدة ايطالية الاصل من اللواتي كنَّ يترددنَ على بيوت الامراء في عهد اسمعيل باشا ان نساء الامراء في ذلك العهد كنَّ ينفقنَ بغير حساب حسب مفهوم هذه الكلمة تمامًا فكان عند الواحدة منهنَّ صندوق او درج يملأ لها بالجنيهات فتخرج منهُ وتدفع للطالب قدر ما تتناول يدها وكلَّما فرغ مُلِئَ لها . او كانت تبتاع ما تشاء ولا تساوم في ثمنهِ بل تترك البائع يكتب ثمنهُ كما يشاء ويتقاضاهُ من الدائرة . وبذلك اغتنى كثيرون وافتقرت الدوائر لكي يجري في هذا القطر ناموس توزيع الاموال و يفتقر المبذّر و يغتني المدبر

والذين يهتمون بتدبير المنزل يرون ان اساسهُ واول شيء يعتمد عليهِ معرفة قيمة النقود فان الانسان لا يلتفت الى قيمة النقود بالفطرة لان معاملاتهِ في العصور الغابرة لم تكن بالنقود بل بالمقايضة والمبادلة . و يستحيل على المرأة ان تدبر بيتها حسنًا ما لم تهتم بنفقاتهِ ولا تستطيع

ان تهتم بها حسناً ما لم تعرف اولاً قيمة النقود ونسبة بعضها الى بعض ونسبتها الى ما يشترى بها فتعرف مثلاً ان الريال يشتري كذا ارغفة من الخبز وكذا ارطالاً من اللحم وكذا اذرعاً من النيل وهذه المعرفة لا تأتي عفواً بل لا بدَّ من تعلمها بالممارسة ولكن يمكن اتقانها في اسبوع او شهر من الزمان

ويتلو ذلك في الاهمية تقسيم النفقات فان دخل الانسان محدود ويجب ان تكون نفقتهُ اقل من دخلهِ . والمعيشة رخيصة وغالية فتستطيع العائلة التي فيها رجل وامرأة وثلاثة اولاد او تعيش جيدًا فتاكل ما يغذيها وتلبس ما يدفئها ولا تنفق اكثر من خمسة غروش في اليوم في هذه العاصمة التي هي من اغلى المدن وتستطيع ايضا ان تنفق خمسة جنيهات في اليوم وترى انها غير مستوفية شروط الراحة والرفاهة التي تتوخاها

والمرأة التي يراد ان تكون مثالاً لما يبلغهُ النساء في القرن العشرين هي التي تعمل ميزانية بيتها كما تعمل نظارة المالية ميزانية الحكومة فترى اولاً موارد الدخل وتقدرها بما يمكن من الدقة فان كان زوجها من الموظفين فمعرفة الدخل سهلة من هذا القبيل وان كان صاحب عقارات فلا يتعذَّر تقدير ايجارها ولو بالتقريب وان كان صاحب تجارة فتقدير دخلهِ صعب و يجب ان تعتمد على دخل اقل السنين ربحاً وتجعلهُ قاعدةً للايراد . ولنفرض ان المرأة بحثت هي وزوجها فوجدا ان دخلهُ في السنة لا يقل عن مئتين واربعين جنيهاً ولا يزيد على ثلاثمئة او لا يقل عن الفين واربع مئة جنيه ولا يزيد على ثلاثة آلاف فيجب عليها ان تختار التعديل الاقل مئتين واربعين جنيهاً في الحالة الاولى والفين واربع مئة جنيه في الحالة الثانية او عشرين جنيهاً في الشهر في الحالة الاولى ومئتي جنيه في الحالة الثانية ونقسم الدخل الشهري هكذا

	في الحالة الاولى		في الحالة الثانية	
للطعام	٧	جنيهات	٤٠	جنيهاً
للبس	٢	"	٣٠	"
للسكن	٣	"	٣٠	"
للتعليم والتهذيب	٤	"	٣٠	"
للظهور	٢	"	٤٠	"
والجملة	١٨		١٧٠	"

ويدخل في باب الطعام كل ما يؤكل في البيت يومياً وما يُشرَب فيهِ من ماء وقهوة وما يستعمل من تبغ ومربيات واجرة الخدَم وامتعة الطبخ

وفي باب اللبس ثمن الثياب والحلى والاحذية

وفي باب السكن اجرة البيت وما يدفع لسوكرتاه الامتعة

وفي باب التعليم والتهذيب ما يلزم لتعليم الاولاد واشتراء الكتب واشتراك الجرائد وما يدفع لاماكن العبادة وشركة سوكرتاه الحياة

وفي باب الظهور ما يلزم تجديدهُ من اثاث البيت وما ينفق على مركبات النزهة والدخول الى الملاهي والأسفار

و يظهر من ذلك ان في الحالة الاولى اي حيثما يكون الدخل الشهري من ٢٠ الى ٢٥ جنيهاً تكون نفقات الاكل ٣٥ في المئة من الدخل . واللبس عشرة في المئة والسكن ١٥ في المئة والتعليم والتهذيب ٢٠ في المئة والظهور بين الناس عشرة في المئة . واما في الحالة الثانية فنفقات الطعام تقل نسبةً الى الدخل وتصير عشرين في المئة بعد ان كانت ٣٥ في الحالة الاولى وتزيد نفقات اللبس والزينة فتصير ١٥ في المئة ونفقات الظهور بين الناس فتصير ٢٠ في المئة بعد ان كانت في الحالة الاولى عشرة في المئة

ولا يخفى ان ما تنفقهُ العائلة الاولى وهو ١٨ جنيهاً في الشهر يكفي العائلة الثانية من حيث المعيشة البدنية والعقلية والادبية وقد تكون صحتها اجود وعقولها اسلم وآدابها اصح اذا اقتصرت عليهِ مما لو انفقت عشرة اضعافهِ ولكنها اذا فعلت ذلك وخزنت المال سنة بعد سنة ولم تنفقهُ اجتمع مال الارض عند اناس قلائل وتوقفت حركة الاعمال وضاقت موارد الكسب وهذا ضرر عام . وهي تستطيع ان تنفق عشرة اضعافهِ وتبقى في سعة لانهُ يتوفر لها كل سنة ٣٦٠ جنيهاً على الاقل

اذا تدبرت ربة البيت ذلك وكانت على ثقة من موارد الدخل وكميتهِ امكنها ان توزع النفقات على صورة معقولة يسهل العمل بها وتجتهد حتى اذا جاء آخر الشهر تكون قد اقتصدت في نفقاتها عشرة في المئة او اكثر تبقيها للعوارض التي تقع بالانسان من وقت آخر كالمرض والافات والاضطرار الى السفر وما اشبه فانها اذا فعلت ذلك يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وجاء آخر السنة فرأت في يدها مبلغاً من المال مقتصداً مما كانت تقصد انفاقهُ شعرت بقوة جديدة في يدها ومقدرة على ادارة بيتها . واما اذا لم تتدبر نفقاتها فانفقت اكثر من دخل زوجها او اكثر مما عينت لنفقات بيتها شعرت في آخر السنة بكآبة تنغص عيشها وتزيل منها كل البهجة التي قصدتها بزيادة النفقات فتقع في ضد ما توختهُ

تعليم الاطفال وقواهم

من اهم واجبات المرأة تعليم اولادها في البيت وفي المدرسة . واذا التفتنا الى المدارس الابتدائية رأينا الاطفال جلوساً على مقاعدها فرقاً فرقاً تدرس كل فرقة كتاباً واحداً وتمرَّن على اسلوب واحد ثم اذا راقبنا اولئك الاطفال في ميدان الحياة الى ان يصيروا رجالاً نرى بينهم فرقاً كبيراً جداً نرى بينهم العالم والجاهل والغني والفقير والمدبّر والمبذر والحذور والمقتحم وهؤلاء على درجات متفاوتة حتى قلما نجد بينهم اثنين متساويين في كل شيءٍ. فاين كان هذا الاختلاف لما كانوا اطفالاً في المدرسة . كان كامناً في نفوسهم وظهر فيهم عند اول درس سمعوهُ وامتحنوا فيهِ . يعلم ذلك كل اب وكل ام وكل معلم وكل معلمة . يعلمون كلهم ان الاطفال يختلفون كما يختلف الرجال والنساء الذين يصيرون منهم فلماذا عُلّموا على اسلوب واحد تماماً . لماذا لم يُلتفت الى هذا الاختلاف من سن الطفولية لماذا يحاول المرء ان يجري على ضد الطبع ويبذل القوة بعد القوة والعناء بعد العناء عبثاً وسدًى وعلى اسلوب لا ينتج منهُ الاَّ الضرر . ولماذا تترك قوًى اخرى من قوى الاطفال لو هُذّبت وربيت لجاءوا بها من نوابغ الرجال

واول ما يسأل عنهُ الوالدون ما هو السن الذي يصحُّ ان نعلّم فيهِ اطفالنا فان الطفل اذا بلغ الرابعة من العمر اظهر القلق والضجر من الاقامة في البيت فتود امهُ ان تتخلص منهُ . لكن ارسالهُ الى المدرسة في هذا السن يضرُّهُ الاَّ اذا كانت المدرسة مما يسمَّى ببستان الاطفال (كندرغارتن) فان المدارس التي من هذا النوع يتعلم فيها الاطفال باللعب حتى ينقضي النهار من غير ان يشعروا بالضجر والسآمة واذا بلغوا السابعة من العمر خرجوا متهذبي الاخلاق يعرفون مبادئ القراءة ويفهمون كثيراً مما يقع نظرهم عليهِ ولا غرابة في ذلك فاننا نعرف اطفالاً ادركوا دوران الارض وان النجوم اجراماً كبيرة اكبر من الارض والشمس اكبر من الارض كثيراً ادركوا ذلك وكانوا يذكرون بعض ادلتهِ وهم في السابعة من عمرهم ولم يدخلوا مدرسة وانما افهمهم والدوهم ذلك على اسلوب بسيط تدركهُ عقولهم

ومتى بلغ الولد السنة السابعة او الثامنة من عمرهِ يحسن ارسالهُ الى مدرسة ابتدائية

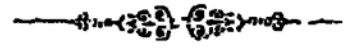
واختيار المدرسة امر غير سهل ولا بدَّ من النظر فيهِ الى امور شتَّى كالبعد والقرب والغلاءِ والرخص ونوع التلامذة الذين يترددون على المدرسة . وتفضَّل المدرسة التي تختلف درجات التلامذة فيها ولا يميز معلموهم بينهم من حيث مقام والديهم فاذا كان الولد فقيراً ورأَى انهُ يعامَل مثل الولد الغني كبرت نفسهُ وزاد همة ونشاطاً واذا كان غنياً مفتخراً ورأَى ان غنى ابيهِ لا يميزهُ على غيرهُ وانما يميزهُ اجتهادهُ بعُد عن الخيلاء واعتمد على نفسهِ . ولذلك يقال ان

المدارس الاميرية افضل من المدارس الخصوصية من هذا القبيل لان معلمي المدارس الاميرية لا يراعون اباء التلامذة كما يراعيهم تلامذة المدارس الخصوصية

واهم ما في المدرسة المعلم او المعلمة . ويجب ان نقول المعلمة فقط لان تعليم الاطفال حتى يبلغوا السنة الثانية عشرة يجب ان يكون على يد معلمة حكيمة تعرف كيف تعلم وكيف تربي تعرف ان تكتشف قوى الولد العقلية والادبية وتتعهدها بالارشاد كانها نبات صغير يتعهد بالسقي والعزق وهذا مما يتعذر الحصول عليهِ في القطر المصري الآن لان ليس فيهِ من المعلمات ما يكفي مدارس البنات ولا بدَّ من الانتظار سنين كثيرة حتى يكثر عدد المعلمات ومن إبطال بعض العادات الشرقية التي تمنع البنات من تعاطي الاعمال

تمليح اللحم

يمكن حفظ اللحم مملحاً على هذه الصورة : امزج جزءا من ملح البارود باثنين وثلاثين جزءا من ملح الطعام وجزئين من السكر ومرّغ اللحم بهِ حتى يتغطى كل سطحهِ بهِ ثم لفهُ بخرقة نظيفة وضعهُ في اناء وغطّهُ وقلّبهُ فيهِ مراراً كل يوم على ثمانية ايام فيحفظ مثل اجود انواع اللحم المملح





اللحام للالومنيوم

كثر استعمال آنية الالومنيوم في هذه الايام ولا يبعد ان نراها تنوب مناب الآنية النحاسية بعد زمن غير بعيد لما يُقتصد باستعمالها من الوقود . واذا تشققت واريد لحمها او اذا أُريد لحم بعضها ببعض يصنع لها لحام مركب من ٥٠ جزءا من الكدميوم و ٢٠ جزءا من الزنك و ٣٠ جزءا من القصدير. او يصنع من ٤٥ جزءا من القصدير و ١٠ اجزاء من الالومنيوم

حفظ الدم

صب دم الحيوان حين ذبحهِ في اناء وامزجهُ بقليل من الجير (الكلس) الناعم الذي لم يطفأ فيمتص الماء منهُ ويرسب في قاع الاناء ويشتد قوام الدم فوقهُ فيصير كالهلام ويسهل فصلهُ عن الجير وتجفيفهُ وحفظهُ الى حين الاستعمال وهو غذاء جيد للذين يستحلون اكلهُ

اركان الصناعة

للصناعة ركنان عظيمان القوة والمواد الاصلية التي تُصنع المصنوعات منها . ولا تتأصل الصناعة في بلادٍ ما لم تكن مصادر القوة رخيصة فيها والمواد الطبيعية موجودة فيها او يسهل نقلها اليها. والقوة المعوَّل عليها حتى الآن هي قوة الفحم الحجري الذي يحرَق فيصير الماء بخاراً يدير الآلات . واسهل وسائل النقل واقلها نفقة السفن البحرية شراعية كانت او بخارية .وقد تقدَّمت الصناعة في انكلترا وفرنسا والمانيا واميركا لان فيها كلها كثيراً من الفحم الحجري ولان بعض المواد الاصلية كالخشب والحديد والكتان موجود فيها والبعض الآخر كالقطن والحرير والصمغ يسهل جلبهُ اليها ولولا ذلك ما تقدَّمت فيها صناعة كبيرة تقدُّماً يذكر

والظاهر ان وجود القوة اهم من وجود المواد الاصلية لان نقل المواد الاصلية الى البلاد التي فيها فحم ارخص من نقل الفحم اللازم لها الى البلاد التي هي فيها . هذان هما الركنان الاصليان ويتلوهما اركان اخرى قد لا تقلُّ عنهما اهمية وهي انتشار العلم في البلاد ولا سيما العلم العملي كالكيمياء الصناعية والهندسة الميكانيكية وما اشبه وكونها على بحار لها مرافئ بحرية تخرج منها تجاراتها . وامتلاكها كثيراً من السفن التجارية وكون دولتها قوية تحمي تجارة رعاياها وتحرز لهم الامتيازات في الممالك الاجنبية . هذه كلها اركان للصناعة لا تقوى بدونها

اذا فكَّر المرء في ذلك رأى مستقبل الصناعة مظلماً في القطر المصري فليس فيهِ اول اركانها وهو الفحم الحجري وليس فيهِ من المواد الاصلية غير القطن وزيتهِ والصودا ولا سفن تجارية فيهِ ولا تجارة واسعة ولا ينتظر ان تبقى اجرة العمال فيهِ رخيصة كما هي الآن ومع ذلك لا يمتنع نجاح صناعة القطن اذا لقيت من الحكومة تعضيداً بان عفتها من رسوم الجمرك وقد تنمو مع صناعة نسج القطن صناعة نسج الحرير فيصير في البلاد مورد كبير للارتزاق والاتجار لكن تبقى الزراعة اربح منهُ كثيراً

وليس الامر كذلك في بلاد الشام المتصلة بالقطر المصري فان الفحم الحجري كثير فيها وفيها قوة اخرى لا تنفد وهي القوة المائية تكاد تكون من غير ثمن وتستطيع ان تزيدها كثيراً ببناء السدود في بعض الاماكن المرتفعة فتخزن فيها من القوة ما تشاء . وهي على ساحل البحر ولها مرافئ كثيرة وفيها بعض المواد الاصلية كالحرير والزيت والخشب ويسهل جلب غيرها اليها ولا يعوزها الاَّ حكومة تنشط الصناعة وتعضد التعليم وتمنع الحيف عن الناس

الجير في البناء

اعتاد البناؤون في بلاد الشام ان يصوّلوا الجير (الكلس) قبل استعمالهِ وذلك بان يضعوهُ

في صندوق كبير مستطيل يسمونهُ مصولاً لهُ فتحة في احد جوانبهِ الضيقة فيها خشبة تسدها بالزلق من الخارج و يصبون عليهِ ماء كثيرًا و يحركونهُ حتى يصير كاللبن ثم يرفعون الخشبة من امام الفتحة و يضعون داخلها بالأنةً او غصنًا صغيرًا متشعبًا فيخرج ماء الجير من المصول صافيًا و يصبُّ في حفرة كبيرة حتى اذا تمَّ تصويل الجير كلهِ تركوهُ في الحفرة فيشتد قوامهُ و يصير كالزبدة وهو اذا جبل بالرمل كان منهُ طين او ملاط يقوم مقام الجبس والسمنت واذا مرَّت عليهِ السنون صلُب جدًا حتى يتعذر فصل الحجارة المتصلة بهِ بعضها عن بعض واذا شيد بهِ جدار من الداخل او الخارج كان عليهِ صقيلاً كانهُ جبس واذا وُصل بهِ الرخام لم تكد ترى محل الاتصال بين رخامة ورخامة

اما البناؤُون في مصر فيطفئون الجير بقليل من الماء و يجبلونهُ حالاً بالرمل والقصرمل ويبنون بهِ او يشيدون الجدران و بعد قليل تنفخ حبوب الجير وتتلف البياض او تبقى مجتمعة لينة في قلب الطين فتزيدهُ ضعفًا . وقد حثثنا البنائين على تصويل الجير كما يصوَّل في بلاد الشام فقالوا ان الجير المصري لا يصلح لذلك غير اننا رأينا بالامس رجلاً سوريًا يصول الجير في بناء كبير قبل استعمالهِ واكَّد لنا انهُ وجد الجير المصري المصوَّل جيدًا مثل الجير الشامي المصوَّل لا فرق بينهما فعسى ان تُتبع طريقتهُ لان منها فائدة كبيرة واقتصادًا في النفقة اذ يستغنى بالجير حينئذٍ عن الجبس والمصيص (الجبسين)

اكبر القناطر

تبنى الآن قنطرة من الحجر في لكسمبرج فوق وادي البتروف ا. تفاعها مئة قدم وقدمان واتساعها ٢٧٧ قدمًا ويقال انها اكبر القناطر المعروفة

المناظرة في الحديد

لما رأى الانكليز ان الاميركيين كادوا يحتكرون تجارة الحديد بالشركة الجديدة التي رأس مالها نحو خمسين مليون جنيه هبُّوا هبَّة واحدة وابتاعوا المناجم الوافرة الحديد في اسبانيا ونروج ووضعوا الآلات والادوات الجديدة في معاملهم حتى ان بيتًا واحدًا من بيوتهم وضع في معملهِ من الادوات الجديدة ما يساوي مليونين من الجنيهات فرخص ثمن الحديد بسبب ذلك وسيزيد رخصًا اذا بقيت المناظرة بين البلادين

وبلغنا ان على شاطئ بلاد العرب مما يلي البحر الاحمر مناجم غنية بالحديد يكاد ترابها يكون من اكسيد الحديد الاحمر فلا يبعد ان تهتدي الشركات الانكليزية اليها وتستخرج الحديد منها

باب التقريظ والانتقاد

سياحة في غربي اوربا

لجناب نسيم بك خلاط

الرحلات من اقدم الوسائل لجمع المعارف لجأَ اليها المصريون واليونانيونَ من قديم عهدهم ولا يزال كتاب شيخ المؤرخين هيرودوتس شاهداً على انها اصح الوسائل لجمع اخبار الامم ووصف احوالهم ولا سيما اذا كان الرحالة دقيق النظر واسع الروية يقف عند تقرير الحقائق خالية من شوائب الاوهام والاضاليل لهُ عين نقّادة لا تكتفي بوصف ما ترى بل تقابل بينهُ وبين غيرهِ وتقيس بعضهُ على بعض فتستخرج منهُ القواعد الكلية والاحكام العمومية

وكُتب الرحلات من افكه كتب المطالعة واكثرها فائدة . لم نكد نحسن القراءة العربية حتى وقعت في يدنا رحلة المرحوم سليم بسترس فقرأناها مثنيَ وثلاث ورباع قبل ان قرأنا كتاباً آخر ولما رحلنا الى اوربا اول مرة ونشرنا رحلتنا فصولاً في المقتطف والمقطم طالبَنا كثيرون بطبعها ونشرها على حدة لا لمزية فيها بل لما تجدهُ النفس من الفكاهة في كتب الرحلات

وقلَّما طاف كاتب في بلاد بعيدة عن بلادهِ الاّ ودَّ ان يصف ما راٰهُ فيها لابناء وطنهِ ولذلك لم يكد الكتَّاب يكثرون في هذا القطر والقطر السوري ويكثر الراحلون منهما الى اوربا حتى توالت كتب الرحلات ومحور الاختلاف فيها اختلاف اصحابها في قوة الملاحظة والانتقاد والوجوه التي اتَّفق لهم ان نظروا منها . والرحلة التي امامنا الآن سفر جليل خطتهُ يراعة رجل حكيم واسع الاطلاع دقيق النظر عرف تواريخ الامم الحاضرة والغابرة ودرس طبائع الناس واساليب عمرانهم وميز بين النافع والضار منها . قام من طرابلس الشام مسقط رأسهِ منذ سنة من الزمان فمرَّ على بيروت وبورت سعيد والاسكندرية ومرسيليا وليون ونزل في باريس مدة شاهد فيها معرضها ومعالمها الكثيرة . ثم مضى الى لندن ولڤربول ومنشستر وعاد بطريق سويسرا وايطاليا فوصف ما مرَّ بهِ من مدنها ولا سيما مدينة ميلان ورومية وخرائب بومبي ووصل الى الاستانة فوصفها بما يحتملهُ المقام من الاسهاب وعاد الى طرابلس بطريق رودس وقبرص

وبعض الوصف مسهب جدًّا على ما يقتضيهِ المقام كوصف باريس ومعرضها ومعالمها فانهُ

استغرق نحو اربعين صفحة وبعضهُ موجز كوصف المدن الصغيرة في سويسرا وايطاليا وكلهُ لا يخلو من الفوائد التاريخية والانتقادات الاجتماعية . بدأ بمدينة بيروت فقال انها اخذت تتسع من حين وُضع المحجر الصحي فيها على عهد ابرهيم باشا المصري فاصبحت اسكلة سورية حينئذٍ وكان المراد ان يوضع في طرابلس الشام فابتهُ لجهلها منافعهُ . ووصف اهاليها الذين نزلوا اليها نماً يجاورها واستوطنوها بانهم " كانوا اولاً خليطاً من السكان لا جامعة بينهم غير اللغة ووحدة المقصد والمسعى وليس فيهم صفة القوم العريقين في العوائد والشؤُون بل يرى كأن اخلاقهم وازياءهم مستعارة ممن خالطهم من الطوائف المختلفة التي حلّت بين ظهرانيهم لكن لم يثبت هذا التقليد طويلاً بينهم بل تحوَّلوا عنهُ الى ما هو خير منهُ وابقى لجمعهم بين هيئة الغرب وجدهِ وسماحة الشرق وكرمهِ جمعاً قصَّرت عن مثلهِ كل مدن الشام" . وبعد ان اسهب في مدحهم على هذا الاسلوب استدرك قائلاً " لم يبقَ لرائيهم او للمؤَرخ ما يأخذهُ عليهم سوى ان اغنياءهم لا يهتمون بانشاء الشركات التي قام عليها وحدها نجح الامم ولا يعنون بالمشروعات الآيلة لخير اوطانهم وخيرهم " . وحبذا لو ذكر السبب الاكبر الذي يمنع البيروتيين وغيرهم من انشاء الشركات والمشروعات العمومية فقد كنا نتذاكر في اواخر الصيف الماضي مع رجل من اكبر اغنياء بيروت ونذكر قصرهُ الجميل فيها فاكَّد لنا انهُ لن يعود اليهِ وانهُ يود ان يبيعهُ لكي لا يبقى لهُ عقار فيها وقد جعل وطنهُ القطر المصري لما يرى فيهِ من راحة البال وانتظام الاحوال

وانتقادهُ على الاوربيين شديد حيث يرى الى الانتقاد سبيلاً ومدحهُ لهم مبني على حقائق راهنة . قال عن الهيئة الاجتماعية في غربي اوربا ما نصهُ

" ان من اطلق النظر على حالة شعوب هاتيك الممالك قبل التمكن من الاحاطة بشؤُونها يظنها تحت سيادة نبلاء البلاد واغنيائها اذ يرى بوناً شاسعاً بين اهل هذه الطبقة وبين اصحاب الصناعة واهل الكد والجد فيها وهم العدد الاكبر وذلك في استئثار الاولين بالرئاسة على الاحكام الاَّ فيما ندر رغماً عن ان بلوغها مباح الاستحقاق والفضل . وفي عيشتهم المنعمة البالغة حد البذخ والاسراف وفي ترفعهم عن مخالطة من هو دونهم او من هو من غير مرتبتهم — حالات قط ما وصلت اليها نبلاء واغنياء الشرق ذلك ما ادى للزحام الشديد بين طبقاتهم على ما يوصل الى هذا المقام الممتاز فلهذا ترى بينهم المخاطرين بكلما تملك ايديهم من حطام الدنيا للحصول على غنىً اوفر والمجازفين بمبلغ ما اعطوا من الفهم والفصاحة لاهاجة الخواطر او لاقناع السامعين بانهم خير من يتولى الزعامة وزمام الاحكام

" ولا خفاء ان الحضارة والتمدن الشاملين الآن الممالك الاوربية قائمان على اسس العلم والعدل والثروة فالعلم مباح للجميع على السواء . والعدل منوط بفئةٍ من القضاة يحكمون بموجب شرائع سُنَّتْ على مقتضيات الزمان والشؤون . والثروة ملك مشاع ومحجب يتهافت عليهِ كل فردٍ. فالبعض يصيب منهُ قسماً وافرًا والبعض قسماً يسيرًا والبعض يكتفي على كرهٍ منهُ بالقوت اليومي لان الاقدار لن تقسّم الحظوظ على احكام فريضةٍ شرعية"

وقال في انتقاد حكوماتها لانها تبقي على العدميين

"واني لا اعجبُ من تلك الممالك البالغة شأوًا بعيدًا في الحكمة والحضارة والعمران والدائبة على مزاولة العلاجات الشافية لادواء الناس وسائر انواع الحيوان كيف هي نفسها تسمح بسكنى العدميين القتلة بين ظهرانيها قانعة بمراقبتهم عن بعدٍ كأنَّ ضربها على ايديهم واستئصالها شأفتهم وصمة على تمدنها ومسرَّة على عدلها وانصافها . حقًّا ثم حقًّا ان في التمدن الاوربي الحالي مناقضات توجب ضحك الاجيال المستقبلة ان قُدّر لها الافاقة من غفلة ايامنا "

وقال في وصف محامد الاوربيين

"هذا بعض ما لاح لي ادراجهُ في موضوع هيئة اوربا الاجتماعية وعساني لا اكون مفرّطًا او مفرطًا فيما ابنتهُ عن المغمز في حضارتها وعسى الأيفهم من انتقادي خلو اهاليها ونظام ممالكها من الشيم الغراء والسجايا السامية والقوانين المحكمة الوضع لانهم بلغوا في عمل الاحسان والخير ما لم تبلغهُ دولة قبلهم حتى كادت عطاياهم وهباتهم السنية للمدارس والملاجيء الخيرية والمستشفيات والمعارف وجميع انواع الاكتشافات في العلوم والطب والجراحة وفي مجاهل الارض واغوارها ان تكون لجسامتها ومبالغها الطائلة من قبيل القصص والروايات البعيد تصديقها . فهم سريعو النهضة لمساعدة الجنس الانساني اينما كان وكيفما كان جنسهُ ودينهُ لا يسمعون بكارثة ألمت بهِ في اي زاوية قصيَّة من زوايا الارض الاَّ اندفعوا لاعانتهِ عليها اندفاع السيل . كرام النفوس سخاة الاكف ان وعدوا وفوا وان اوعدوا انزلوا القضاء . يجلون اهل الفضل ولا يبخسون حق المجتهد . يحسنون تربية ولدانهم ويؤاسون شيوخهم . فهم قوم في هذه الخصوصيات بلغوا اعلى طباق المحامد لا يعوزهم سوى الوجه الباش . وقد بلغوا من الحكمة والدقة والبراعة وحسن التدبير في نظاماتهم العسكرية والقضائية والملكية والمالية مبلغًا شهدت بهِ امنع الممالك واقصاها واغمض الدعاوي واغلقها واعقد المسائل السياسية واشكلها وما نزف من جيوب اهل الشرق طرًّا . فهم اقوام اتخذوا طلب المزيد في كل شيء ديدنًا وحسبوا القناعة والوقوف في ما صاروا اليهِ عيًّا وتأخرًا "

واكثر ما في الكتاب وصف كما لا يخفى لانهُ خبر رحلة وقد ادمج فيهِ حقائق تاريخية كثيرة كقولهِ في وصف بقايا بومبي

"ان بومبي كانت مدينة عامرة انيقة يسكنها علية الرومان ويؤمها كبراؤهم على مدار فصول السنة استنشاقاً لهوائها البليل واستشفاء بمائها النمير لاعتقادهم انها وما جاورها من المصايف والقصبات احسن مناخاً واطيب هواء من سائر المدن الجنوبية فلهذا اجتمعت على ما دلت الآثار كل صنوف الملاهي الرومانية واباحت ما تأباه الاعصر الحالية من انواع التهتك وضروب المجون. ففي يوم من ايام السنة التاسعة والسبعين للميلاد اطبقت بغتة عليها وعلى جارتها هركولانيوم وعلى قصبات عديدة حولها سحاب رمادٍ كثيف وظلمة من سيلهِ المتون اضاعت على الاهالي طريق النجاة. ذلك ان الجبل الناري فزوف ثار ثوراناً خارقاً للعادة وامطرها وامطر الجوار الى مسافات بعيدة ثلاثة ايام بلياليها دون انقطاع سيلاً هطّالاً من الرماد دفن المدينتين وما حوتا وارجع البحر بما القاهُ من الرماد على ساحلهِ مسافة اميال عن بومبي. وكنتُ قرأتُ اذ كنت يافعاً روايةً لكاتب من الانكليز سماها "آخر ايام بومبي" اورد فيها حكاية خادمة وُلدت عمياء فلما نزلت النازلة واظلمت الدنيا بعيون الاهالي وضلّوا عن طريق النجاة قادت هذه العمياء وليّها لان الظلمة لم تخفِ عنها طريقاً ألفت طروقها وهي عمياء كل حياتها ونجت واياهُ من التهلكة وما برحتُ الى اليوم اتذكرها واتوق الى رؤية مكانها حتى رأيتهُ"

ثم وصف ما رآهُ من آثارها فقال

"لما خرجتُ من بيت الآثار كما ذكرتُ استلمتُ طريقاً لا تحسب بعرف ايامنا وسيعة لان الاقدمين كما علمتُ لم يألفوا العرض في الطرقات فوجدتها مبلطة ببلاط كبير وسميك غير مربوع الزوايا على قول سادتنا البنائين يشبه في شكلهِ ووضعهِ ما يرى حتى الآن في ما بقي من بقايا الطرقات الرومانية في بعض انحاء سورية ورأيتُ عليهِ اثر العجلات لكن دون ان يكون في الطريق مجال لمرور مركبتين تتعارضان ولهذا يُظن ان طرقاتها لم تكن لمرور مركبات الركوب بل لمرور عجلات النقل وربما مرور هذه ايضاً كان لهُ نظام مخصوص يمنع من وقوع تعارضها

"فدخلت اول بيت ازيح الغطاء عنهُ ايام الملاك السابق فوجدتهُ بيتاً سفلياً وفي وسطهِ فسحة مربعة سماوية وحولها اروقة تظلل ابواب حجر على دائرها فمن الحجر ما هو متوسط الحجم ومنها ما هو صغيره ليس لكبيرها ولا لصغيرها كوة او نافذة غير الباب كأنهم كانوا يستغنون عنها بالنور الداخل بالابواب من الفسحة السماوية لكن لا يعلم كيف كانوا يستغنون عن دخول الهواء الى الحجر

"ورأيت الحجر مفروشة بالفسيفساء التي يسمونها موزايك لكنها دون الفسيفساء المعروفة في الشرق في الدقة والتزويق والكلفة اذ ليست هذه غير كسير حجارة مربعة الشكل سوداء وبيضاء مصفوفة صفًّا بسيطًا . ثم دخلتُ الى بيت آخر فوجدتهُ يقاربهُ شكلاً ويخالفهُ تزويقاً والى ثالثٍ فكان كسابقيهِ او يزيد بوجود اركانٍ منصوب عليها تماثيل وترافيم من المرمر او من المعدن ثم الى الرابع والخامس والسادس الخ وكلها بيوت سفلية يتوسطها فسحات سماوية في وسطها احواض من الرخام وانصاب للتماثيل والاصنام وعلى دوائرها اروقة او مماشٍ مسقوفة يُدخل منها الى المخادع والحجر الخالية من الكوى والملونة الحيطان والمنقوشة بالرسوم والتصاوير التي يستحجها الادب وينبو عنها طرف الحشمة وقد يوجد فيها تصاوير وقائع ميثولوجية كلها وقد مرَّ عليها ما يربو على ثمانية عشر قرناً دفينةً تحت الثرى زاهية الالوان واضحة الرسم كأنها خرجت اليوم من يدي المصور والنقاش"

وذكر المؤلف في هذا الفصل ان سكان بومبي كانوا يصورون عورة الرجل ويتعوذون بها من العقم والمحل ولم نستحسن نشر ما كتبهُ من هذا القبيل فحذفناهُ فكتب الينا يعاتبنا على ذلك قال " لقد استفقدتُ عبارةً كنت اثبتُّها عند الكلام على بومبي .... ولم اجدها فلحظت انكم اسقطتموها عمدًا رعاية للعادة العصرية في اجتناب كما ولو على بُعد يخدش اسماع القراء من قبيل الالفاظ الآيلة معانيها الى تلك الاعضاء . فالداعي واظنني لستُ اقل منكم ا· تعاداً من النطق بها انما اوردتها في محلها وربما على كره مني احتفاظاً بحقيقة تاريخية لا مناص لي من ذكرها مغزاها انهم كانوا يتعوذون بصورة العضو المذكور من نوازل العقم والامحال ويضعونها في ديارهم تميمة للخصب والاقبال . فالعجب من شؤون عصرنا اليوم كيف اوجب الحد على مثل تلك الالفاظ ولو تحجبت مدلولاتها بنقاب اديب يشف عنها واباح في المنتديات الصناعية والمعاهد الفنيةً وفي جميع المعارض العموميةً والخصوصيةً وضع تماثيل ابن آدم ذكرًا وانثى متهتكة الاستار وصمد صوره كما نزل من بطن امهِ عريانًا لا بل في حالة يحمرُّ منها الخد ويندى لها الجبين وتعليقها في البيوت والاخدار . أليس في ذلك نظر يستلزم البحث في غموض احكام التمدن الحالي والتأمُّل في كيف اباح للنظر الاشد قابليةً للتأثر ما لا يبيحهُ للسمع . افيدوا وتفضلوا ان شئتم باثبات كتابي هذا في مقتطفكم الاغر "

هذا وبديهي اننا حذفنا العبارة التي اشار اليها لاننا واثقون ان كتاب رحلتهِ سيشيع كثيرًا ويقرأهُ ابناؤنا وبناتنا فلم نستحسن ان نبقي فيهِ ما يخجلون من التلفُّظ بهِ على مسمع من والديهم . وهذا الخجل عادة سواء كان بالرؤية او بالتلفُّظ وهي متمكنة من اهالي بلادنا

لطول عهدهم بها فاذا حاولوا نزعها لم يتيسر لهم الاَّ بعد زمان طويل ولا بدَّ من ان يكون ذلك تدريجاً حتى لا تنفر منهُ الطباع . ويظهر لنا انهُ اذا الفت الاذن ما الفتهُ العين لم تعد تنفر ولا تخجل مما تنفر وتخجل منهُ الآن

والكتاب كلهُ فوائد وفكاهات ننصح لكل احد ان يطالعهُ ويحتفظ بهِ. وهو مطبوع طبعاً حسناً في مطبعة المقتطف

ابحاث المجتهدين
في الخلاف بين النصارى والمسلمين
تاليف نقولا افندي غبريل

هذا الكتاب من كتب الجدل النادرة التي يتوخَّى اصحابها ظهار الحق . ويظهر منهُ ان صاحبهُ واسع الاطّلاع لا يقتصر في تأييد حجتهِ على التوراة والانجيل والقرآن والحديث وكتب التفسير بل يستشهد بكتب التاريخ ومباحث العاديَّات كما ترى في كلامهِ على الصلب وصحة التوراة فقد قال في الكلام على الصلب " ان يوسيفوس المؤرخ اليهودي قد اشار في تاريخهِ الى صلب المسيح قائلاً ان بيلاطس حكم على المسيح بالصلب بطلب رؤساء الكهنة بيننا والذين احبوا المسيح اولاً لم يتركوهُ وهم باقون للآن يدعون مسيحيين نسبة اليهِ . وكتب الحاخام يوحنان بن زكا تلميذ هلال الشهير كتاباً في العبرانية منذ زمن قديم ذكر فيهِ حكم اليهود على المسيح بالصلب لادعائهِ انهُ ابن الله وانهم علقوهُ على شجرة خارج اورشليم . وكتاب التلمود ذكر عرضاً صلب المسيح . وذكرهُ تاستوس المؤرخ الوثني في الفصل الخامس عشر من مؤلفهِ المكتوب بعد المسيح بنحو اربعين سنة ناقلاً ذلك عن التقرير الرسمي المحفوظ في سجلات رومية . وقد اشار الى هذا التقرير فلافيوس جوستنيوس الفيلسوف عندما خاطب الامبراطور انطونينوس بيوس سنة ١٣٩ للمسيح واشار اليهِ العالم ترتوليانوس القرطاجني سنة ١٩٩ "

واستدلَّ على صحة التوراة من صدق ما جاء فيها من النبوات التي قيلت قبل اتمامها بسنين كثيرة كنبوة حزقيال الذي قال ولا يكون بعد رئيس من ارض مصر

اما الادلة في سائر فصول الكتاب فليست من هذا القبيل بل اكثرها قاصر على الآيات الكتابية والتفاسير النقلية والترجيحات العقلية

وثمن هذا الكتاب اربعة غروش وهو يطلب من مطبعة المعارف بالفجالة ومن المكتبة الانكليزية ومن مكاتب الاميركان بمصر والارياف ومن سائر المكاتب الشهيرة في القطر المصري

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الذكاء

ماهج . رياض افندي سليمان . هل الذكاء امرٌ طبيعي في الانسان اكتسبهُ بالوراثة من والديهِ او هو نتيجة العلم والاختبار

ج يولد الانسان وفي دقائق دماغهِ قابليات كثيرة وفي جملتها القابليات الى ما سميتموهُ بالذكاء وهي موروثة في الغالب من والديهِ واسلافهما وقد يتولد بعضها فيهِ تولداً باجتماع قابليتين مختلفتين من والديهِ او باسباب اخرى طبيعية . ثم اذا كبر فالاحوال التي تعرض لهُ والوسائل التي تستعمل لتربية عقلهِ وتهذيبهِ وتثقيفهِ تؤثر فيهِ فتزيد ذكاءهُ او تضعفهُ حسب اختلاف تأثيرها

(٢) اللغة العامة

ومنهُ . أصحيح ان العلماء آخذون الآن في التوصل الى استعمال لغة واحدة في كل اقطار المسكونة وهل ذلك ميسور لهم في الزمن القريب

ج لقد حاول البعض وضع لغة عامة للكتابة لا للتكلم ورأينا واحداً منهم منذ نحو سبع عشرة سنة جاء بيروت لهذه الغاية واسلوبهُ حسن ولكن العمل بهِ صعب ولو كان النجاح ميسوراً لهُ لنجح . اما وضع لغة عامة للتكلم ايضاً كما هو مفهوم سؤالكم فلا نظن انهُ يخطر على بال العلماء ولا على بال الجهلاء لا لانهُ مستحيل لذاتهِ بل لان احوال الناس الحاضرة وانقسامهم الى امم وممالك مخالفة متباينة يمنع اجماعهم على لغة واحدة فاذا خضع الناس كلهم لملك واحد وصاروا مملكة واحدة لا يتعذر عليهم ان يقتصروا على لغة واحدة وهذا بعيد الوقوع قد لا يحدث الاَّ بعد مئات كثيرة من السنين

(٣) الاستحمام بالماء البارد

ومنهُ . هل الاستحمام بالماء البارد مفيد صحياً وان كان مفيداً فما هو انسب وقت للاستحمام وهل يمكث الانسان في الماء طويلاً

ج نعم يفيد في الضعف العام وفي الامراض المزمنة وفي حال الصحة عموماً . واصلح الاوقات الصباح بعد القيام من النوم قبل الفطور للاقوياء وبعدهُ للضعفاء ويجب ان تكون مدتهُ قصيرة بضع دقائق . ويجب ان لا يبرد المستحم فان برد فلا فائدة من الماء

البارد بل منهُ ضرر . ولا بدَّ من فرك الجسد بعد الاستحمام بالماء البارد

(٤) وفيات النساء

المنصورة . ابرهيم افندي زكي . لماذا يزيد عدد الوفيات من النساء على عدد الوفيات من الرجال

ج اذا كان نساء بلاد اكثر من رجالها فمن الضرورة ان يزيد عدد الوفيات من النساء على عدد الوفيات من الرجال اذ لا بدَّ من موت الفريقين واذا كان عدد الرجال اكثر من عدد النساء فالوفيات من الرجال اكثر من الوفيات من النساء . والغالب ان الفرق قليل جدًّا بين عدد الرجال وعدد النساء ولذلك يكون الفرق بين وفياتهم ووفياتهنَّ قليلاً ايضاً

(٥) انكلترا والصين

ومنهُ . ان كانت انكلترا انتصرت على الصين في حرب الافيون وكسرت نفوس اهلها فلمَ لم تستولِ عليها في ذلك الحين

ج لانها لم تكن قاصدة الاستيلاء عليها ولم تدفعها الاحوال الى هذا الاستيلاء . ومن قرأ تاريخ حروب الانكليز في الهند وافريقية يجد انهم قلَّما قصدوا قصداً الاستيلاء على بلاد من البلدان بل اضطرَّهم سكانها الى ذلك اضطرارًا اي انهم ليسوا مثل الملوك الغزاة الذين نقرأ عنهم في تاريخ مصر واشور يخرجون للغزو والامتلاك بل يدخل تجارهم بلاداً بقصد الاتجار فيعتدي عليهم اهلها وترسل جنودهم قصد معاقبة المعتدين او منعهم من العود الى الاعتداء فلا يمتنعون بل يزيد اعتداؤُهم وتضرم نار الحرب وتتوالى امور كثيرة من هذا القبيل كأَنها مسخرة تسخيرًا لجعلهم يمتلكون تلك البلاد غصباً عنهم . فاذا لم يحدث شيءٌ من ذلك او اذا تلافى الوطنيون الامر بالتي هي احسن ولم يضطروا الانكليز اضطرارًا الى امتلاك بلادهم بقيت لهم من غير نزاع الاَّ اذا كانت البلاد قفرًا لا مالك لها فان رجالهم قد يرفعون عليها العلم البريطاني فيمتلكونها بالحق الاول من حقوق التملك وهو سبق وضع اليد

(٦) حرق المدن بسبب الوباء

ومنهُ . سمعت ان مدناً كثيرة احترقت في الزمن الماضي لتفشي الوباء فيها فلماذا لا تحرق كل مدينة يشتد فيها ضررهُ كبومباي

ج لان الضرر من حرقها عظيم جدًّا ولا تستأصل بهِ شأفة الوباء من الدنيا ولم نسمع ان المدن كانت تحرق لاجل الوباء . اما احتراق مدينة لندن وقت انتشار الموت الاسود فيها فلم يكن عن قصد لاستئصال الوباء منها مع ان الوباء استئصل منها بحرقها على ما قيل . واذا كان الوباء منتشرًا في قرًى صغيرة وتعذَّر تطهيرها منهُ فيكون من الحكمة حرقها والتعويض على اهلها من مال الامَّة

(٧) اعتصاب العمال

ومنهُ . هل ترون ان مستقبل العمال في

مصر يكون مشابهاً لما عليهِ العمال في الغرب من جهة الاعتصاب الناشيء عن المزاحمة الحاصلة بين العمل ورأس المال فقد سمعت ورأيت ان العمال في مصر بدأوا يشعرون بالميل الى التخلص من النير القديم والشدة الماضية

ج لا بدَّ من ان يحدث عندنا ما حدث في اوربا ولكن لا سبيل الى اتساع نطاق الاعتصاب هنا لان ليس عندنا معامل كبيرة ولا ينتظر ان توجد هذه المعامل وعسى ان لا نضطر اليها بل يبقى نطاق الزراعة واسعاً لمعيشة الاهلين ولا خوف من اعتصاب اهل الزراعة ولا سيما اذا بقي توزيع الاطيان شائعاً في البلاد

(٨) غرائب الاتفاق

ومنهُ . بماذا تعللون حدوث بعض الوقائع عقب التفكير بها فقد نُقل اليَّ واتفق لي مثل ذلك مراراً اذ كنت افكر في اشياء ثم لا يمضي قليل حتى اراها حدثت

ج لقد حاولنا ايضاح ذلك غير مرة كما ترون في الكلام على غرائب الاتفاق في المجلد الثاني عشر وفي المجلد الثامن عشر من المقتطف ولم نزل على رأينا في تعليلها وهو انها كلها اتفاقات ولو لم تتفق بعض الحوادث لكان ذلك اغرب من اتفاقها. ونعيد هنا ما قلناه في المجلد الثامن عشر وهو "حبذا لو انتبه القراء الى هذا الموضوع وكتبوا ما يقع لهم من غرائب الاتفاق وتحرَّوا الدقة التامة فيهِ لعلهُ يكون سبباً لاكتشاف حقيقة غير معروفة حتى الآن"

(٩) استخدام حرارة الشمس

ومنهُ . كيف يمكن استخدام حرارة الشمس وخزنها للاستعاضة بها عن الفحم الحجري اذا نفد من مناجمهِ

ج ان نفاد الفحم الحجري بعيد جدًّا لانهُ لا يقل في مكان حتى توجد منهُ مناجم واسعة في اماكن اخرى . لكن يمكن استخدام حرارة الشمس بسهولة بخزن مياه الامطار في اماكن مرتفعة واجرائها منها فان ماء المطر يصعد من البحر بحرارة الشمس فالقوة التي يتحدَّر منها من جوانب الجبال بعد ان يقع عليها مطراً مستمدَّة اصلاً من حرارة الشمس وفي المطر الواقع من السماء من القوة ما يساوي مئة الف مليون حصان على حسب ما قدرتهُ حديثاً جريدة ناتشر العلمية ولا يتعذَّر الانتفاع بجزء كبير منهُ

(١٠) بالون زبلن

ومنهُ . هل تصدقون ان بالون الكونت زبلن الالماني يصل يوماً ما الى نقل الاثقال من جهة الى اخرى

ج هو ينقل الاثقال الآن ولكنهُ لا ينقلها نقلاً منهُ ربح تجاريٌّ فاذا استطاع ان ينقل صندوقاً من مصر الى الاسكندرية وبلغت نفقة نقلهِ بهِ عشرة غروش وكانت نفقة نقلهِ بسكة الحديد ثلاثة غروش وكان الزمن واحداً فكل احد يفضل النقل بسكة الحديد

على النقل بهِ . ولا يظهر ان نفقاتهِ ستقل كثيرًا عما هي الآن

(١١) تعريب اوركسترا

مصر . حافظ افندي سليمان . قرأت في المقتطف رواية القلب الكسير تعريب خليل افندي ثابت فوجدت فيها كلمات افرنكية مكتوبة بالعربي لفظاً ككلمة اوركسترا ولم افهم هل ضاقت بحضرتهِ اللغة العربية حتى يضع هذه الكلمة ولاي امر لم يتعاون كتابنا على رفع شأن العربية

ج لا نظن ان اللغة العربية ضاقت على حضرة المعرّب وهو من اكتب الكتّاب بها فكان يستطيع ان يعربها بمجلس المغنين او يقتدي بكتاب مصر فيستعمل كلمة "تخت" الفارسية ولعلهُ ابقى على الكلمة الانكليزية اليونانية الاصل لان الاوركسترا تطلق على مكان المغنين وعلى مجتمع آلات خاصة من آلات الغناء . والكلمة مألوفة الآن في بلاد الشام او في مدينة بيروت خاصة . وقد نقل اسلافنا العرب كل الكلمات الخاصة بالموسيقى من اللسان الفارسي كما ترون في يكاه وعشيران وعراق ورست ودوكاه وسيكاه وجهار كاه ونوى وحسيني واوج وماهور و بزرك وماهوران ونقلوا كلمة موسيقى من اليونانية ولم يسمعوا كلمة تعنيف ولا كلمة لوم من ابناء عصرهم فهل كانوا اقل حرصاً منَّا على اللغة او كانت نفوسهم اكبر من نفوسنا وصدورهم ارحب من صدورنا

(١٢) كلمة تواليت

ومنهُ . ما معنى كلمة تواليت الموضوعة باعلان الخواجه استيفنسن بآخر المجلة ولاي شيء لم يوضع معناها العربي ايضاً مع ان الاعلان مترجم في المطبعة

ج الظاهر ان الذي ترجمها يعلم انها مستعملة في مصر بهذا اللفظ والذين يقرأُون الاعلان يفهمونها . وكلمة توالت Toilette فرنسوية الاصل لكن الانكليز يستعملونها بلفظها الفرنسوي وكذلك الطبقة العليا من المصريين . والغرض من نشر الاعلان تجاري لا لغوي فاذا اردت ان تبيع قطنك ورأيت ان المشتري لا يفهم منك اذا كلمتهُ بلسان عربي فصيح فلا يشتري القطن منك اضطررت ان تكلمهُ باللسان المصري العامي او بلسان اقرب الى التليانية منهُ الى العربية . واللغة وسيلة لا غاية

(١٣) سكان يابان

مصر . محمد افندي امين كم عدد سكان يابان وكم عدد التلامذة في مدارسها

ج كان عددهم نحو ٤٤ مليونًا منذ ست سنوات وهم يزيدون نحو نصف مليون كل سنة فيكون عددهم الآن نحو ٤٧ مليونًا وعدد سكان فرموسا التي اخذتها يابان من الصين نحو ثلاثة ملايين نفس وفي بلاد يابان نحو ٢٨ الف مدرسة ونحو اربعة ملايين ونصف من التلامذة

باب الاخبار العلمية

الأكابي

وجد السر هري جنستن حيواناً في اوغندا بافريقية متوسطاً في شكلهِ بين الزرافة والفرس يسميهِ اهالي تلك البلاد بالاكابي وقد ظُنَّ اولاً انهُ من نوع الحيوان المنقرض المسمَّى هلادوثاريوم لكن الاستاذ لنكستر اثبت انهُ نوع جديد قائم برأسهِ وهو مشقوق الظلف مخطط القوائم قصير العنق كبير الراس جدًّا لهُ فنطيسة كفنطيسة الخنزير واذنان كبيرتان كاذني الحمار ونتوان بينهما كان فيهما قرنان ولم يبقَ منهما الآن الاَّ قليل من الشعر. رأسهُ ابيض مصفر وفنطيستهُ سوداء وجبهتهُ حمراء ولون اذنيهِ اسمر ضارب الى الحمرة وكذلك لون عنقهِ وكتفيهِ وظهرهِ وبطنهِ وتشتدُّ حمرتها في بعض الاماكن وسمرتها في غيرها والخطوط على قوائمهِ الاربع بيضاء وسوداء يصحُّ فيهِ قول النابغة "من وحش وجرةَ موشيٍّ اكارعهُ" وكذلك اظلافهُ معلمة بالابيض والاسود. وعلو الاكابي سبع اقدام عند كتفيهِ فهو اعلى من اكبر الخيل بنحو قدم ونصف وطولهُ عشر اقدام وثقلهُ طنٌّ وطعامهُ من اوراق الاشجار ويقال انهُ سريع العدد يسبق الفرس ولم يتمكن احد من صيدهِ حيًّا حتى الآن لشدة نفارهِ وسرعة عدوهِ والهمة مبذولة لجلبهِ حيًّا الى اوربا

وحوش اواهل

قال السر هري جنستن انهُ مرَّ بارض في قلب افريقية كانت وحوشها تدنو منهُ ومن رجالهِ كالدواجن لانها بعيدة عن البشر فلم ترَ منهم حتى الآن ما يخيفها فكانوا يمرون وسط اسراب الافيال فلا تنفر منهم ويرون وحيد القرن افراداً وازواجاً فلا يفرُّ بهم وكانت حمر الزرد والايائل ترافقهم مسافات طويلة عن كثب والتقوا باسود كثيرة فلم تلتفت اليهم . ورأى في اطراف حراج الكنغو اناساً يشبهون القرود كثيراً وهم غير الاقزام الذين وصفهم ستانلي لانهم طوال القامة مثل سائر الزنوج

بستان الحيوانات

كان في بستان الحيوانات بالجيزة في آخر العام الماضي ٦٧٠ حيواناً من ١٤٩ نوعاً الوحوش منها ٢٥٣ والطيور ٣٧١ والزحافات ٤١ والضفدعيات ٥ وقد أُنفق على طعامها ستمئة جنيه فمتوسط نفقة الحيوان منها نحو جنيه في السنة. ونفقة البستان كلهِ على طعام

الحيوانات واجور الرئيس والعمال واصلاح اماكن الحيوانات ٢٦١٣ جنيهاً دفعت الحكومة منها ١٧٢٠ جنيهاً وحصل ٩٧٩ جنيهاً من رسم الدخول و٢٥ جنيهاً من ركب الاولاد على الفيل

هبة كارنجي العلمية

ذكرنا في الجزء الماضي ان المستر اندرو كارنجي المثري الشهير وهب مدارس سكتلندا مسقط رأسهِ مليونين من الجنيهات وقد وقفنا الآن على تفصيل ما يراد عملهُ بهذه الهبة وخلاصتهُ ان ريع الهبة السنوي ١٠٤٠٠٠ جنيه اي قدر ميزانية نظارة المعارف المصرية ينفق نصفهُ على اصلاح المدارس الجامعة في سكتلندا وتوسيع نطاق العلم فيها من حيث البحث العلمي ومن حيث التعليم وينفق النصف الثاني لتلامذة هذه المدارس يدفعونهُ اجرة تعليمهم سواء كانوا ذكورًا او اناثًا. وقد اقام على هذه الهبة تسعة اوصياء واطلق لهم الحرية لينفقوا الريع في السبيل الذي يحسبونهُ مطابقًا لغرضهِ على ما تقتضيهِ احوال الزمان ويُعمل بما يقرُّ ثلثاهم عليهِ

سكان باريس

بلغ سكان باريس الآن ٢٧١٤٠٦٨ وكانوا منذ خمس سنوات ٢٥٣٦٨٣٤ فزادوا نحو سبعة في المئة في خمس سنوات

التلوتوغراف

التلوتوغراف تلغراف تنقل الكتابة بهِ كما هي واجزاؤهُ الجوهرية في المرسل والمستقبل قلم متصل بخلين يحركان ساعدين على ريوستاتين فاذا امسك انسان القلم بيدهِ وكتب بهِ على ورقة تحرَّك الخلان المتصلان بهِ والساعدان فتتغيرت قوة المجرى الكهربائي وانتقل هذا الفعل الى ريوستاتي المستقبل فحرَّك ذراعيهِ وخليهِ والقلم المتصل بهما فكتب على قرطاس تحتهُ كتابة تشبهُ الكتابة بالقلم الاول لانهُ يتحرك مثلهُ

اخترع هذه الآلة المستر فوستر رتشي وقد رأينا صورة كتابة كتبت بها وصورتها على القرطاس الذي ظهرت عليها وكان طول السلك بين المرسل والمستقبل ثلثمئة ميل

ضرر التبغ

يظهر من مقالة نشرت في جريدة اللانست الطبية ان النيكوتين الذي في التبغ قليل الضرر او لا ضرر منهُ وان الضرر من مادة أُخرى اسمها البريدين وان تدخين التبغ في السكاير اقل اساليب التدخين ضررًا ويتلوهُ التدخين بالبيب (الحجر) فانهُ اكثر منهُ ضررًا ثم التدخين بالسيكار الافرنجي فانهُ اشد طرق التدخين ضررًا

هبة علمية

وهب المستر ركفلر خمسين الف جنيه

لاجل البحث الطبي في اميركا فتنشأ بها دار مثل دار باستور لاجل البحث في المواضيع الطبية

السفن التجارية وتلغراف مركوني

كان المظنون ان استعمال تلغراف مركوني يبقى مقتصرًا على البوارج الحربية . لكن السفن التجارية تبارت مع البوارج في هذا المضمار فصارت السفن التي تقطع الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اوربا واميركا تضع آلة تلغراف مركوني فيها ويرسل ركابها اخبارهم الى اصدقائهم في اوربا او اميركا وهم على ظهر البحر فتصل الاخبار الى الشاطئ وترسل من هناك بالتلغراف العادي الى من يراد ارسالها اليهِ واذا ابعدت السفينة عن البر كثيرًا حتى تعذر وصول الاشارات اليهِ اوصلت الى سفينة اخرى في منتصف الطريق وهذه ترسلها الى البر

مذنب انكي

مذنب انكي من ذوات الاذناب التي تتم دورتها حول الشمس في زمن قصير . ظهر آخر مرة سنة ١٨٩٨ وينتظر ظهورهُ هذه السنة في اواسط شهر سبتمبر المقبل وهو صغير لا يكاد يرى بالعين المجردة

معرض سنت لويس

يهتم الاميركيون الآن بانشاء معرض كبير في مدينة سنت لويس سنة ١٩٠٣ وقد عينوا لانشائهِ خمسة عشر مليونًا من الريالات الاميركية اي ثلاثة ملايين من الجنيهات

دواءٌ لسع البعوض

اكتشف الاستاذ فوجس مدير مجلس الصحة في بونس ايرس ان النفتالين يزيل كل الم من لسع البعوض ولا يبقي لهُ اثرًا في الجلد فهو ترياق للسائل السام الذي في البعوض

رخص الهيدروجين

اكتشف رجل انكليزي اسمهُ هوبن اسلوبًا رخيصًا جدًّا لاستحضار مقادير كبيرة من الهيدروجين وهو ان يضغط الاسيتلين في آنية من الصلب ويحرق فيها بالكهربائية فيرسب كربونهُ عليها هبابًا ويبقى الهيدوجين نقيًا . ويقال ان هذا العمل رخيص جدًّا فيسهل بهِ استحضار كيات كبيرة من الهيدوجين للبالونات ونحوها

اثمن اليخوت

من اثمن اليخوت يخت صنعهُ المستر بنت صاحب جريدة نيويورك هرلد بلغ ما انفق عليهِ مئة وخمسة وعشرين الف جنيه وغرفهُ ومقاصيرهُ ليس افخر منها في قصور الملوك

الطاعون في القطر

ظهر الطاعون في الزقازيق فجأة في السابع من ابريل وسار سيرًا بطيئًا جدًّا وظهرت

منهُ حوادث قليلة في الاسكندرية والمنيا وبورت سعيد وبلغت الاصابات كلها حتى آخر يونيو ٧١ توفي منها ٣٠ وشفي ١٣ وبقي تحت المعالجة ٢٨ اكثرهم في الزقازيق

اسرع القطرات

سار قطار في اميركا ١٤٩ ميلاً في ١٣٠ دقيقة فبلغت سرعتهُ نحو ٦٩ ميلاً في الساعة وقطع خمسة اميال من هذه المسافة بدقيقتين ونصف دقيقة فكانت سرعتهُ فيها ١٢٠ ميلاً في الساعة ·

اشعة بكرل

اكتشف المسيو بكرل العالم الفرنسوي سنة ١٨٩٥ انهُ تنبعث اشعة من عنصر الاورانيوم تشبه اشعة رنتجن فسميت بالاضافة اليهِ ثم اتضح ان هذه الاشعة لا تصدر من الاورانيوم نفسهِ بل من عنصر آخر . ويظهر الآن من بحث مدرسة الصنائع العليا في برلين ان هذا الامر صحيح وانهُ سيكون لهذه الاشعة شأن عظيم جدًّا ولا تزال نتائج البحث سرية يراد افشاؤُها الى الامبراطور قبل غيرهِ

كثرة الانتحار

ينتحر في اسوج واحد من كل ٩٢٠٠٠ وفي روسيا واحد من ٣٥٠٠٠ وفي الولايات المتحدة الاميركية واحد من ١٥٠٠٠ وفي سكسونيا واحد من ٨٤٤٦ وفي بطرس برج ولندن واحد من ٢١٠٠٠ . والانتحار آخذ في الازدياد في اكثر البلدان الاوربية فمن سنة ١٨٢٦ الى سنة ١٨٩٠ زاد ٧٢ في المئة في بلجكا و ٤١١ في المئة في روسيا و ٢٣٨ في المئة في سكسونيا و ٧٢ في المئة في اسوج و ٣٥ في المئة في الدنمارك

اكبر البواخر

صُنعت الباخرة الكبرى في بلاد الانكليز وأُنزلت الى البحر واسمها "السلتك" طولها ٧٠٠ قدم وعرضها ٧٥ قدماً وعمقها ٤٩ قدماً ومحمولها ٢٠٨٠٠ طن وفيها تسع طبقات للركاب والامتعة والوسق وهاك قياس اكبر البواخر

الاسم	الطول	العرض	المحمول
الشرقي العظيم	٦٩١	٨٢	١٨٩١٥ طنًا
باريس	٥٧٠	٦٣	١٠٥٠٠ "
كمبانيا	٦٢٠	٦٥	١٢٩٥٠ "
القيصر وليم	٦٤٨	٦٦	١٤٣٤٩ "
الاوشيانيك	٧٠٥	٦٨	١٧٢٧٤ "
الدتشلند	٦٨٦	٦٧	١٥٥٠٠ "
السلتك	٧٠٠	٧٥	٢٠٨٨٠ "

وتسع السلتك ٢٨٥٩ مسافرًا و ٣٣٥ بحارًا

خمر فرنسا

بلغ ما صنع من الخمر في فرنسا في العام الماضي ١٧٢١٠٠٠٠٠٠ جالون

اطول سكة الحديد

يراد انشاء سكة حديدية من مدينة نيويورك في اميركا الشمالية الى بونس ايرس في طرف اميركا الجنوبية طولها ١٠٢٢٠ ميلاً وتبلغ نفقات انشائها مئتي مليون ريال اي اربعين مليوناً من الجنيهات

معرض بفلو

فتح المعرض الاميركي في مدينة بفلو وهو خاص باميركا وقد قامت بهِ مدينة واحدة لكن يظهر من صور مبانيهِ المختلفة انهُ من اكبر المعارض الخاصة ولا غرابة في ذلك لان حكومة اميركا وهبتهُ مئة الف جنيه وولاية نيويورك وهبتهُ ستين الف جنيه ووهبتهُ بقية الولايات هبات طائلة من خمسة عشر الف جنيه الى الفي جنيه وحالما قرَّ القرار على انشائهِ اكتتب لهُ بعض اغنياء اميركا بمئتي الف جنيه

محاربة داء الزهري

خطب الاستاذ فورنيه في باريس فاستدعى همَّة الاطباء ورجال الدين ورجال السياسة لينهضوا كلهم نهضة واحدةً ويقوا البلاد والعباد من آفة داء يفسد البنية ويصرم حبل الحياة . وطلب من كهنة الكاثوليك وقسوس البروتستانت وحاخامي اليهود ان يبذلوا اقصى جهدهم في التعليم والانذار والترغيب في الزواج الباكر والنهي عن قراءة الروايات وحضور اماكن التمثيل . ومن رجال الحكومة ان يمنعوا المصابين بهذا الداء من ان يعدوا غيرهم قائلاً اذا كان في بلد كلب كلِبٌ وجب على رجال الحكومة ان يقتلوهُ او يمنعوهُ من عقر الناس فيجب عليهم ان يمنعوا كل مصاب ومصابة بهذا الداء من نقل العدوى الى الغير لا بالقتل بل بالحجز والمداواة وطلب منهم ايضاً ان يسهلوا السبل لتطبيب الفقراء مجاناً واعطائهم الدواء مجاناً ايضاً . قال ولا بدَّ من أن يكشف امر هذا الداء لتلامذة المدارس ويحذَّروا منهُ .تمام التحذير

النطق واليد اليسرى

ظهر للاستاذ سمدلي الاميركي انهُ اذا منع الولد الاعسر من استعمال يدهِ اليسرى ايفت قوة النطق فيهِ فنا لا يحسنهُ كأن بين استعمال اليدين وقوة النطق علاقةً ما فاذا مُنع الولد من الجري على مقتضى طبعهِ في استعمال يديهِ امتنع تكامُل قوة النطق فيهِ

مجاعة الهند

لم يزد عدد سكان الهند في السنوات العشر الاخيرة سوى ٢٨ مليوناً وكان يجب ان يزيدوا ٥٢ مليوناً فقلَّت زيادتهم ٢٤ مليوناً اربعة ملايين منها قلَّت في المواليد عمَّا ينتظر وعشرون مليوناً ماتوا بالجوع والوباء . اما الذين ماتوا منهم بالوباء (اي بالطاعون)

فنحو مليون نفس والباقون وهم ١٩ مليونًا ماتوا بالجوع او بالامراض الناشئة عنهُ

الغناء وقت التبنيج

رأى المسيو دروسنه طبيب الاسنان انهُ اذا بنّج احدًا ليقلع ضرسهُ وسمع هذا اثناء فعل البنج بهِ اصواتًا مزعجة اظهر الكدر الشديد . فجعل يُسمع المبنج اصواتًا موسيقية مطربة فرآه يطرب من ذلك ويقول حينما يفيق من فعل البنج انهُ كان في حلم مطرب جدًّا . وقد ظن انهُ يمكن استخدام الموسيقى وقت البنج في العمليات الجراحية فيكون منها فائدة كبيرة

نسبة الاطباء في اميركا

أُحصي عدد الاطباء في الولايات المتحدة الاميركية فظهر انهُ يوجد فيها طبيب لكل ٦٥٥ نفسًا من السكان وذلك نحو ثلاثة اضعاف ما يوجد في المانيا فان فيها طبيبًا لكل ٢١١٤ نفسًا من السكان

المسكرات والافيون

لما سُنّت الشرائع لمنع المسكرات في الولايات المتحدة الاميركية كثر استعمال الافيون فيها فقد وجد الاستاذ غرنل انهُ يباع كل شهر فيها ٣٣ مليون جرعة من الافيون ونحوهِ ويراد بالجرعة قمحة من الافيون او ثمن قمحة من المورفين او عشرين نقطة من اللودنوم او نصف اوقية من صبغة الافيون

معرض غلاسكو

ان معرض بفلو الذي اشرنا اليهِ في مكان آخر خاص باميركا الشمالية والجنوبية لا يُسمح لاحد من اوربا واسيا وافريقية ان يعرض فيهِ شيئًا واما معرض غلاسكو الذي فتح ببلاد الانكليز فعام دُعي كل الناس من كل البلدان للعرض فيهِ

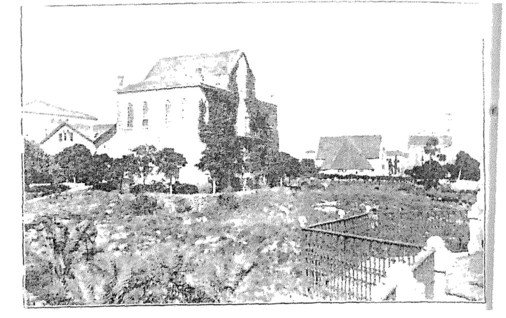
نفقات سكك الحديد

تبلغ نفقات الميل من سكك الحديد في المانيا ٢٠ الف جنيه وفي فرنسا ٢٥ الف جنيه وفي بلجكا ٢٨ الف جنيه واما في انكلترا فتبلغ ٥٠ الف جنيه لا لان نفقات السكة والمركبات تبلغ ضعفي ما تبلغهُ في فرنسا بل لان الشركات تنفق مليون جنيه فتصدر اسهمًا بمليوني جنيه اي تنفق مليونًا وتأخذ مليونًا لنفسها ولهذا فاجرة النقل في السكك الانكليزية اغلى مما هي في كل مكان آخر. و يظهر لنا ان الشركات الانكليزية عازمة ان تفعل في مصر ما فعلتهُ في بلادها وهذا غبن فاحش لا يصح السكوت عنهُ

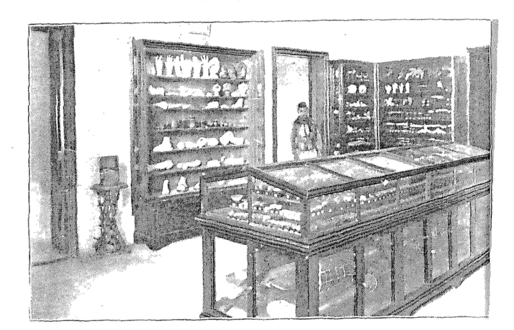
سكان لندن

كان عدد سكان لندن ٦٧٢ الف نفس سنة ١٦٢٣ فبلغوا الآن نحو خمسة ملايين من النفوس وكان سكان البلاد الانكليزية كلها نحو سبعة ملايين نفس وهم الآن اكثر من اربعين مليونًا

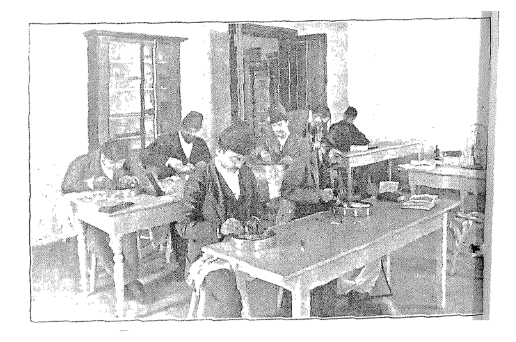
فهرس الجزء السابع من المجلد السادس والعشرين



Medical Hall. Rear view.



Surgical Museum.



Zoölogical Laboratory.

المقتطف

الجزء الثامن من المجلد السادس والعشرين

اغسطس ١ (آب) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣١٩

العلاج بالنور

اذا كتب المؤرخ السياسي اخبار الحروب التي نشبت في القرن الماضي فمهَّدت المسكونة للاوربيين والاميركيين وسلطتهم على الجانب الاكبر منها بعد ان اراقوا فيها انهاراً من الدماء فالمؤرخ العلمي يكتب اخبار المباحث الطبية التي قام بها علماء اوربا واميركا في ذلك القرن فكشفوا علل كثير من الادواء وطرق علاجها والوقاية منها لا بأنهار من الدماء اراقوها بل بتجارب قليلة في صغار الحيوان كالارانب والجرذان و بمراقبة افعال القوى الطبيعية والمواد الكيماوية فنجَّوا بها الالوف المؤلفة من ابناء جلدتهم ومن الذين تسلطوا عليهم من امم المشرق

ومن اغرب ما اكتشفوهُ في اواخر القرن الماضي فعل النور في شفاء بعض الامراض وقد اشرنا الى ذلك في الجزء الخامس من المجلد الثامن عشر من المقتطف حيث قلنا " انهُ اذا مُنعت اشعة النور الكيماوية عن المجدور لم يشتد الجدري عليهِ بل يسرع شفاؤُهُ منهُ . وتُمنع الاشعة الكيماوية اما بمنع النور مطلقاً او بادخالهِ من زجاج احمر او انسجة حمراء لان المواد الحمراء تمتص الاشعة الكيماوية . فان صحَّ ذلك ثبت ان ما يجريهِ العامَّة من منع النور عن المجدور مفيد ومبنيٌّ على الاختبار الذي هو المرشد الاول في الامور الطبيَّة " . ثم كتب الدكتور شميل مقالة مسهبة في هذا الموضوع نشرت في الجزء الحادي عشر والثاني عشر من ذلك المجلَّد جاء فيها على تاريخ استعمال النور في علاج الجدري ناقلاً ذلك عن الاستاذ فينسن مستنبط هذه الطريقة

وقد اتخذ هذا البحث الآن صورة أُخرى عملية في علاج المرض الخبيث المعروف بالذئب الأكَّال وفي علاج داء السل وايضاحاً لذلك نقول: ان الاستاذ فينسن وجد بالامتحان ان

اشعَّة النور الكيماوية تهيج اعضاء الحيوانات ولا سيما الحيوانات التي تعيش في الظلام وكان غيرهُ قد بحث في هذا الموضوع ايضاً فدار البحث على فعل النور بالميكروبات وظهر كأن النور يميتها ويشفي من كل الامراض الجلدية التي سببها المكروبات واخبث هذه الامراض الذئب الاكال الاَّ ان نور الشمس العادي لا تكفي شدتهُ لشفاء الذئب لان هذا الداء يكون في الوجه وهو اكثر اجزاء البدن تعرضاً لنور الشمس ولذلك جعل فينسن يجمع النور بعدسيَّات ويزيل منهُ الاشعة الحمراء وما تحتها ويعالج بهِ الذئب وما اشبههُ من الامراض الجلدية . وكان النور الذي جمعهُ اقوى من نور الشمس العادي خمسة عشر ضعفاً . واستعمل النور الكهربائي ايضاً فكانت نتيجتهُ مثل نتيجة نور الشمس او اعظم منها

ثم دار البحث على مقدار ما يغور فيهِ فعل النور تحت الجلد فصُنعت انابيب دقيقة وضع فيها نيترات الفضة (حجر جهنم) ووضعت تحت جلود الحيوانات وعرضت للنور المجمع فظهر انهُ يخرق الجلد ويفعل بنيترات الفضة فيسود ولو كان عمق الانبوبة خمسة عشر سنتيمترًا تحت الجلد

ووضعت ورقة من الورق الفوتوغرافي اي المعدّ لفعل النور بهِ وراء الاذن والقي النور على الاذن ليُعلَم ما اذا كان الدم الجاري فيها يمنع فعل النور بالورق الفوتوغرافي فلم تمضِ خمس دقائق حتى اسودَّ الورق . ثم اعيد الامتحان بعد ان ضغطت الاذن بين صفيحتين من الزجاج حتى خرج الدم منها فاسودَّ الورق الفوتوغرافي وراءها في عشرين ثانية فقط اي ان زوال الدم منها سهَّل اختراق النور لها وفعلهُ بالورق الفوتوغرافي

وصنع فينسن مصباحاً كبيرًا لمعالجة الذئب الاكَّال بالنور فيهِ بلورة كبيرة عدسية الشكل مجوفة تملأ بذوب كبريتات النحاس النشادري وهو سائل ازرق اللون يمتص اشعة الحرارة من النور . ونصب هذه البلورة على قائمة تدور فيها وتتجه حسبما شاء الطبيب لكي يجمع النور بها على بؤرة في مكان الذئب . ويكون في يد الطبيب او الممرض صفيحتان من البلور في حلقة من المعدن فيضغط بها المكان الذي يريد ان يجمع اشعة النور عليهِ حتى يبعد الدم عنهُ ويقوى فعل النور بهِ . وبين صفيحتي البلور فراغ فيهِ ماء بارد يجري فيهِ ويتغيَّر دواماً لانهُ متصل بانبوب من الكاوتشوك لكي تبرد اشعة النور ولا تحرق الجلد . وتدوم العملية في كل جلسة ساعة من الزمان او اكثر قليلاً يدواى بها ما تساوي مساحتهُ مساحة قطعة بخمسة مليمات او اكثر من نصف الفرنك قليلاً

وصنع قنديل كهربائي كبير لمعالجة الذئب يساوي نورهُ نور ثلاثين الف شمعة او خمسة

وثلاثين الف شمعة . يخرج منهُ اربع انابيب كلٌّ منها مثل التلسكوب وكل انبوب قسمان الاعلى منها يجعل اشعة النور متوازية والثاني يجمعها في نقطة واحدة وفي القسم الاسفل ماء ويحيط بهِ وعاء فيهِ ماء جارٍ لكي يبرد النور بمروره فيهِ . ويوضع الضاغط على الجلد كما يوضع في المعالجة بنور الشمس حتى يعصر الدم منهُ ويجمع النور الكهربائي عليهِ . وليس في هذا الانبوب من محاول كبريتات النحاس لان الماء المقطر يغني عنهُ في النور الكهربائي لقلة اشعة الحرارة فيهِ . ويستعمل البلور في الضاغط لان الزجاج يصدُّ كثيرًا من الاشعة الكيماوية . وتدوم العملية ساعة واحدة في كل جلسة فيحمرُّ الجلد فيها قليلاً واذا كررت اثنتي عشرة مرة احمرَّ كثيرًا وقد تظهر فيهِ بثور . وتكرَّر العملية الى ان تزول آثار الذئب كلها

وفي كوبنهاغن مستشفى للعلاج بالنور عولج فيهِ حتى الآن خمس مئة نفس . وقد رأت ملكة الانكليز هذا المستشفى في العام الماضي فاهدت مستشفى لندن جهازًا كاملاً لهذه المعالجة من قنديل كهربائي وعدسيات وانابيب وما اشبه . واقبل المصابون بهذا الداء الخبيث على مدينة لندن من كل حدب وصوب ليعالجوا فيهِ . والمعالجة طويلة المدة كثيرة النفقات لغلاء الكهربائية اذ تبلغ نفقة القنديل الواحد في السنة اربع مئة جنيه وقد تبرَّع المستر الفرد هرمسورث بعشرة آلاف جنيه لانفاق ريعها على قنديل واحد ولا بد من ان يحذو غيرهُ من اغنياء الانكليز حذوهُ . ومتوسط المدَّة اللازمة لشفاء الذئب الاكَّال ثلاثة اشهر اذا عولج المصاب يوميًّا . وهذه المعالجة تفيد في امراض اخرى كالقرحة القارضة وداء الثعلب

وجاء في الجزء الاخير من جريدة اللانست الصادر في ١٣ يوليو ان النتائج العظيمة الناتجة من معالجة داء الذئب بالنور دعت الى اصلاح الجهاز الذي يجمع النور بهِ وقد كانت الانابيب التي يوضع الماء فيها لا تضبطهُ جيدًا فيرشح منها ويتعب المرض او الممرضة والمصاب وكان يصعب نزع البلورات وتنظيفها اما الآن فصنع جهاز لا يرشح الماء منهُ ولا يصعب تنظيف بلوراته . ثم اتت جريدة اللانست على وصفهِ تفصيلاً واهم ما فيهِ انهُ رخيص الثمن وهو مصنوع في معمل بك Messrs. R. and J. Beck, Limt. of 68 Cornhill, E. C. London

وصنع هذا المعمل جهازًا يستعمل بنور الشمس ثمنهُ نحو ٢٢ جنيهًا وثمن الضاغط نحو جنيه

ولا بدَّ للممرض او الممرضة من وضع زجاجات سوداء امام العينين لكي لا يبهرهما النور الساطع الذي تجمعهُ البلورات

والذئب الاكَّال على خبثهِ بين الامراض لا يعدُّ شيئًا مذكورًا في جنب اخبث الامراض كلها واشدها فتكًا ألاَ وهو داء السل الذي يموت بهِ نحو خمس سكان اوربا . والميكروب

الذي يبتلي الناس بداء السل هو نفس الميكروب المسبب للذئب الاكال فلا عجب اذا قام في النفوس ان النور الساطع يميت ميكروب السل و يشفي منهُ كما يميت ميكروب الذئب و يشفي منهُ ولا سيما بعد ان ثبت بالتجارب الكثيرة في ابدان الحيوانات ان فعل النور هذا يخرق الجلد الحي واللحم الذي تحتهُ الى عمق ست عقد اي نحو ١٥ سنتمترًا فلا يعجز عن قتل الميكروب في جسم الانسان مهما كان غائرًا فيهِ اذا كان مما يُقتل بهِ . وقد ثبت ذلك بالتجارب في الكلاب والخيل فكانت تبنَّج و يشق جلدها وتوضع فيهِ انابيب فيها نيترات الفضة او ورق فوتوغرافي ويخاط الشق وتطلق هذه الحيوانات في الشمس او تجمع عليها اشعة نور الشمس وبعد نصف ساعة من الزمان تبنَّج بالكلوروفورم ثانية وتنزع الانابيب من ابدانها فيُرى جليًّا ان نور الشمس وصل اليها وفعل بملح الفضة الذي فيها فسوَّدهُ

واول من استعمل نور الشمس والنور الكهربائي في علاج السل الدكتور بلاير الاميركي فانهُ صنع مصباحًا كهربائيًّا نورهُ مثل نور خمسين الف شمعة وعكس نورهُ بمرآة شلجمية كما يعكس النور الكهربائي في السفن الحربية حتى يقع عمودًا متوازيًا ساطعًا جدًّا على صدر الانسان فوق رئتهِ المصابة . ولا بدَّ من ان يمرَّ هذا النور قبل وصولهِ الى جسم الانسان في الواح من الزجاج البنفسجي تمتصُّ اشعة الحرارة ولا تبقي الاَّ الاشعة البنفسجيَّة لانها هي التي تقتل ميكروب السل على ما يقولهُ الدكتور بلير وتقتل ايضًا ميكروب التتانوس الذي لا يموت في الماء الغالي . ولا بد من ان توقى عينا المريض والطبيب بزجاجات سوداء لكي لا تبهر بالنور الساطع

ويمكن استعمال نور الشمس في علاج السل كما يستعمل النور الكهربائي ولا بدَّ من نزع اشعة الحرارة منهُ قبل استعمالهِ والاَّ احرق المسلول قبلما يقتل ميكروب السل منهُ . ولعل فائدة الاقامة في الخلاء للمسلولين حاصل اكثرها من نور الشمس لا من غيرهِ

البابية في باريس

لحكمة لا يُعلم سببها ظهرت الاديان الشهيرة كلها من المشرق والثلاثة التي يدين بها نصف سكان المعمورة وارقاهم عمرانًا واوسعهم ثروةً واعظمهم سطوةً من بقعة صغيرة منهُ . ثم مضى اثنا عشر قرنًا ولم يظهر في المشرق دين جديد مع كثرة البدع التي نشأت فيهِ الى ان ظهرت

البابية في بلاد فارس وهي لا تقلّ عن دين جديد ولو جاهر اتباعها بغير ذلك . وكان من امرها ما نشرناهُ من تاريخها منذ ست سنوات في المجلّد العشرين من المقتطف . ولم يدُرْ في خلدنا حينئذٍ ان يكون لها دعاة واتباع في البلدان الاوربية والاميركية حتى جعل السيّاح الاميركيون يفدون على القطر المصري وهم يسألوننا عن الباب وتعاليمهِ واتباعهِ ويذهب بعضهم بعد ذلك الى عكاء يقابلون ابن بهاء الله نائبهِ ثم يروي لنا بعضهم الاعاجيب عنهُ من حيث معرفة الغيب والزهد في الدنيا . ورأينا سيدة اميركية من هؤُلاء السياح في القاهرة ثم التقينا بها في اوربا بعد زيارتها لابن بهاء الله فوجدناها مقتنعة تمام الاقتناع بصدق دعوتهِ وزعمت انهُ اخبرها بتاريخ حياتها وسبب زيارتها لهُ وما نقصد ان تسألهُ من المسائل . وهي من الشهيرات في بلادها بالعلم والخطابة والتفاني في نشر المعارف والفضائل وقفت نفسها وما ورثتهُ من ابيها على ذلك . ونحن واثقون انها من اهل التخيُّل وانها فهمت من ابن بهاء الله ما هو راسخ في ذهنها لا ما سمعتهُ منهُ كانها نامت امامهُ نومًا مغنطيسيًّا بشيء من الاستهواء الذاتي وهو شأن بعض العصبيات المزاج لا سيما وانهُ يجهل الانكليزية وهي تجهل العربية وكان المترجم بينهما ابنتهُ وهي تعرف النزر القليل من الانكليزية ولهُ مكاتبون في القاهرة يكاتبونهُ بما يعلمونهُ من امر السيّاح الذين يقصدون زيارتهُ فاذا اخبر هؤُلاء بالقليل مما علمهُ من امرهم اتسع هذا القليل في اذهانهم لشدَّة ما فيها من الاستعداد لهُ

وقد كنا نحسب ان هذه السيدة نادرة وان البابية لا يمكن ان تشيع في اميركا اكثر مما شاعت في سورية مثلاً حتى اطّلعنا على بعض الجرائد الاميركية الصادرة في الشهر الماضي ورأينا فيها صور اناس من الذين نعرفهم كالدكتور ابرهيم خيرالله من ابناء المدرسة الكلية الاميركية ومس بارني الاميركية نزيلة باريس المشهورة بفن الالقاء فقرأْنا الفصل الذي يتضمن هذه الصور واذا هو رسالة من باريس يقول كاتبها ان جماعة الباب من الاميركيين نزلاء باريس ذهبوا الى المستر برون سفير الولايات المتحدة في ايران وطلبوا منهُ ان يقنع جلالة الشاه بكف الاضطهاد والاذى عن البابيين في بلادهِ . ثم ذكر الكاتب ما سمعناهُ من مس بارني في الشتاء الماضي وهو انها باعت كل ما عندها من الحلى والجواهر وفرقت ثمنهُ على الفقراء زهدًا في الدنيا وابتعادًا عن الزخارف الفانية وتشبُّهًا بقرة العين بت حاجي ملاَّ صالح اكبر علماء قزوين التي كانت اعجوبة عصرها في العلم والفصاحة وحسن البيان وطلاقة اللسان وقد اعتنقت مذهب الباب وصارت من اعظم انصارهِ وناظرت علماء كربلا فافحمتهم بقوة فصاحتها وغزارة علمها على ما ذكرهُ السيد ميرزا فضل الله الايراني في مقالتهِ الباب والبابية المشار اليها آنفًا

ويقدَّر عدد اتباع الباب في ايران الآن بمليون نفس وقدَّر الاستاذ دنيصن روص عددهم في اميركا بثلاثة آلاف نفس وكلهم من الاميركيين ابتدأ اتباعهم للبابية سنة ١٨٩٣ في معرض شيكاغو على يد الدكتور ابرهيم خيرالله فانهُ جعل يخطب حينئذٍ عن البابية فلم يمض وقت طويل حتى اتبعهُ مئة من الاميركيين ثم زاد عددهم رويدًا رويدًا . ويقدَّر ان منهم الآن الف نفس في مدينة شيكاغو وخمس مئة نفس في كنوشا واربع مئة في نيويورك والباقون متفرقون في باقي المدن الاميركية كوشنطون وبوستون وبروكلين وسان فرنسسكو ودنفر وغيرها من المدن الكبيرة

وقد بلغنا حديثًا ان سيدة اميركية الاصل من سكان باريس مشهورة بغناها ومبراتها اعتنقت البابية وكانت مترددةً في ذلك في الشتاء الماضي وان سيدة أُخرى من اغنى نساء اميركا اعتنقت هذا المذهب ولا بدَّ من ان تنفق الاموال الطائلة على تعزيزهِ في تلك البلاد كما هو شأن النساء الاميركيات

ومن غريب الاتفاق انهُ وصلتنا كراسة من اميركا ونحن نقرأُ مسودة هذه السطور نظرنا اليها فرأينا الصفحة الثانية منها ممضاة بامضاء بهاء الله والاولى بامضاء ابنة عباس وهما ترجمة كلام قالاهُ او اوصيا بهِ

النجوم الجديدة

من رأى في السماء نجومًا لا عديدَ لها يعجب من قولنا ان بينها نجومًا جديدة لم ترَ قبلاً لانهُ يحسب تمييز نجم جديد بين النجوم القديمة كتمييز حبة من الرمل في كثيب من الرمال لكن الامر على غير ذلك وعلماء الهيئة الذين يرصدون النجوم قلما تفوتهم فائتة من هذا القبيل

ذكر هبرخس واضع علم الهيئة في اسيا الصغرى الذي نشأ في القرن الثاني قبل الميلاد انهُ شاهد نجمًا من هذه النجوم الجديدة وقال بلينيوس ان ظهور ذلك النجم حمل هبرخس على وضع زيج للثوابت تعرف بهِ مواقعها في السماء ونسبة بعضها الى بعض على ما رآهُ بعينهِ حتى اذا حدث اختلاف في عددها او مواقعها دلَّ هذا الزيج عليهِ فكان خير ما تركهُ الخلف للسلف من هذا القبيل . وكان ذلك سنة ١٢٥ قبل المسيح . ورأى الصينيون نجمًا جديدًا في صورة العقرب في سنة من تاريخهم تقابل سنة ١٣٤ قبل المسيح ولعلهُ النجم الذي رآهُ هبرخس على ما تقدَّم

وظهرت نجوم اخرى جديدة في ذات الكرسي سنة ٩٤٥ و ١٢٦٤ و١٥٧٢ والنجم الاخير منها ظهر بغتةً ورصدهُ تيخو براهي الفلكي من نوفمبر سنة ١٥٧٢ الى مارس سنة ١٥٧٤ وفاق الشعرى والزهرة لمعاناً وظهر نهاراً وكان لون نورهِ ابيض فاصفر ثم احمر ثم عاد ابيض ولم يتغير موقعهُ بين النجوم

وتلاهُ نجم لامع ظهر في صورة الحوّاء سنة ١٦٠٤ وينسب الى كبلر العالم الفلكي لانهُ كتب رسالة عنهُ وبقي ظاهراً ثمانية عشر شهراً وفاق المشتري لمعاناً لكنهُ لم يظهر نهاراً مثل النجم الذي قبلهُ

واول نجم جديد شوهد بعدما صنع غاليليو التلسكوب ظهر سنة ١٦٧٠ في صورة الدجاجة وبقي سنتين ثم اختفى لكنهُ كان صغيراً من القدر الثالث . ومرّت ١٧٨ سنة لم يذكر فيها نجم من النجوم الجديدة الى ان كانت سنة ١٨٤٨ فرأى المستر هَيْند الفلكي نجماً جديداً من القدر الخامس في الحواء وظهر نجم آخر سنة ١٨٦٠ لكن التلسكوب لم يفد كثيراً في رصد النجوم الجديدة الاَّ بعد ان اقترن بالسبكتروسكوب الذي تعرف بهِ مادة النجوم

واول نجم من النجوم الجديدة استعمل السبكترسكوب في البحث عنهُ ظهر سنة ١٨٦٦ وآخرها النجم الذي ظهر في ٢٢ فبراير الماضي في صورة فرساوس كما ابنَّا في جزء مارس هذه السنة . وقد اشتدَّ لمعانهُ في يومين حتى صار المع من الدبران والعيُّوق وبقي المع من العيوق الى الخامس والعشرين من الشهر وزاد لمعانهُ عشرة آلاف ضعف في اربع وعشرين ساعة ومئة الف ضعف في ثلاثة ايام . ثم ضعف لمعانهُ رويداً رويداً مدة ثلاثة اسابيع تتخللها اوقات كان لمعانهُ يزيد فيها قليلاً ثم يعود الى حالهِ . وفي التاسع عشر من شهر مارس قلَّ اشراقهُ بغتةً فزال ثلاثة ارباع نورهِ في ليلة واحدة ثم زاد اشراقاً في اليومين التاليين وتكرَّر ذلك ثلاثاً في تسعة ايام ثم صارت هذه النوبات تنتابهُ مرةً كل خمسة ايام

وكان نورهُ في اول ظهورهِ ابيض الى الزرقة ثم مال الى البرتقالية واشتدَّت حمرتهُ في الثالث من شهر مارس ثم صار يختلف بين الحمرة والبرتقالية وكانت حمرتهُ تزيد كلما زاد نورهُ اشراقاً

وغنيٌّ عن البيان ان ظهور هذه النجوم الجديدة بغتة واختفاءها بعد ظهورها بايّام او شهور دعا العلماء الى البحث عن اصلها وسبب ظهورها واختفائها ولهم في ذلك اقوال لا محل لايرادها كلها بالاسهاب اشهرها ان نجمين مظلمين يصطدمان فيحترقان من شدة اصطدامهما وينيران فيظهران كنجم جديد منير . ويرَدُّ عليهِ بان الابعاد بين النجوم شاسعة جداً بالنسبة الى اجرامها

حتى يبعد عن الاحتمال انها تصطدم بعضها ببعض . وهب انها التقت واصطدمت واشتعلت فيبعد عن العقل ان نورها يزول في ايام او شهور قليلة بعد احتراقها

ومن هذه الآراء ان نجمين مظلمين يدنو احدهما من الآخر في سيرهما فيزيد تجاذبهما ويمرُّ احدهما بجانب الآخر مسرعاً فتضطرب المواد الغازية او السائلة التي في احدهما او فيهما كليهما فتحمى وتنير وهذا القول يؤيدهُ ما يرى من الخطوط في السبكتروسكوب ولكنهُ يقتضي ان يكون احد النجمين مقترباً منا بسرعة فائقة جدًّا تبلغ الف ميل في الثانية من الزمان وهذا بعيد الاحتمال ويقتضي ان يبقى احدهما مبتعدًا عن الآخر على معدَّل واحد من السرعة مدة ظهور النجم الجديد وهذا بعيد عن الاحتمال ايضاً

ومنها ان نجماً مظلماً يمرُّ في سيرهِ بمجموع كبير من النيازك فتنقضُّ عليهِ وتلتهب حينما تدنو منهُ وتصير غازًا منيرًا فتنير جوَّهُ ويظهر بها منيرًا من سطح الارض

والرأي المعوَّل عليهِ لانهُ يسلم من الاعتراضات التي وردت على غيرهِ وينطبق على كل ما ظهر بالحل الطيفي حتى الآن هو ان ظهور النجوم الجديدة حادث من ثوران عظيم فيها يدفع الغازات منها الى ابعاد شاسعة كما تندفع الغازات المشتعلة احياناً من الشمس او كما تندفع الغازات والحمم من براكين الارض لكن بقوة اعظم ومقدار اكبر . ومعلوم ان الثوران على سطح الشمس يدفع الغازات المشتعلة منها بسرعة ٣٠٠ ميل في الثانية فلا عجب اذ حدث في بعض النجوم ثوران اعظم منهُ دفع الغازات منها بسرعة ٥٠٠ ميل الى ١٠٠٠ ميل في الثانية . واندفاع الغازات بهذه السرعة يصحبهُ تولُّد كهربائية وحرارة ونور ساطع فيظهر النجم منيرًا بعد ان كان مظلماً لا يرى ويتوالى الثوران اياماً او شهورًا كما يحدث في براكين الارض فيزيد وينقص الى ان يخمد ويبقى لهُ اثر ظاهر . وهذا التعليل يربط النجوم بالارض والشمس والسيارات ويجعلها كلها من قبيل واحد ويدلُّ على انها خاضعة كلها لنوع واحد من القوى والنواميس

اما لماذا يحدث هذا الثوران في النجم وما هو السبب المباشر لهُ هل هو اقتراب نجم آخر منهُ او سقوط النيازك عليهِ او مرورهُ في سديم من الحجارة النيزكية او من المواد الغازية او هو دور من الادوار الطبيعية التي يمرُّ عليها في تكوينهِ كما مرَّت الارض في ادوارها الجيولوجية فذلك مما يتعذَّر الحكم بهِ الآن ولا يعلم هل يكشف العلم النقاب عنهُ في مستقبل الزمان . ومن رأي المستر لوجر الفلكي ان مرور النجم في سديم من المواد الغازية هو اقرب الاسباب لاحداث الثوران فيهِ والله اعلم

احوال السودان

المباني في الخرطوم والمديريات

عُيّنت المبالغ التالية للبناء وهي

١٤٠٠٠ ج . م من ميزانية الحربية
٢٠٠٠٠ « « « الميزانية الملكية
١٥٠٠٠ « « « المال الممنوح للثكنات
١٣٠٠٠ « « « مال مدرسة غوردون
٨٠٠٠ « « « الجوامع

هذا عدا المال المخصص لبناء الثكنات للجنود البريطانية والغرض في سنة ١٩٠١ ان يشرع في اتمام الثكنات للجنود والمساكن للضباط وانشاء مكان يكفي المرضى ومخازن للمهمات وجلب الماء الى الثكنات الجديدة في الخرطوم والاهتمام بمشروع لتوزيعهِ في كل المدنية .

ولا بدَّ من الاهتمام باصلاح المشروع الصحي وتوسيع نطاقهِ سنة ١٩٠١

والمباني اللازمة للادارة الملكية اخصها مباني المديريات ومكاتب البوليس ومساكن للموظفين والمستخدمين . وقد استخدمنا اربعة مهندسين ملكيين لادارة هذه الاعمال في دنقله وكسلا وبربر وود مدني

الغابات

من اهم ما لدينا من المسائل في السودان تقديم الوقود للبواخر والورش وشي الطوب والخشب للبناء

اما الوقود فثمن الفحم الحجري واصلاً الى محطة سكة الحديد في حلفا غالٍ جداً يمنع استعمالهُ ولذلك استُعمل الحطب بدلاً منهُ . ويحرق من الحطب مقادير فاحشة

وقد خلت البلاد من الاشجار حتى الدويم على البحر الابيض مسافة ١٠٠ ميل وحتى الكاملين على البحر الازرق مسافة ٧٥ ميلاً اذ قطعت اشجارها حطباً . ويوجد الحطب على مقربة من شلال شبلوكة ولكنهُ قليل

ولا بدَّ من ابطال قطع الاشجار من مديرية الخرطوم مخافة ان يقل بقطعها وقوع الامطار اما في اعالي البحر الابيض والازرق فقد تستفيد البلاد بقطع الاشجار منها ولكن الضباط والموظفين قلال الخبرة جداً في المسائل المتعلقة بحفظ الغابات والحراج ولذلك دعت الضرورة الى استخدام

رجل خبير في هذا الامر فسمحت لنا حكومة الهند بالمستر موربال من مصلحة الغابات في برما وهو الآن يطوف في مديريات البحر الازرق والابيض ثم يزور كردفان

وقد طُلب منهُ ان يبين ما يرتئيهِ في مسألة الوقود وفي مسألة جلب الخشب للبناء من حراج الجنوب الكبيرة الذي يمكن ان يؤتى بهِ في النهر ارماثاً الى الخرطوم. وخشب البناء غالٍ جدًّا وقليل وكل ما استعمل منهُ في الخرطوم حتى الآن أُتي بهِ من موانئ البحر الاسود

وواضح من ذلك ان لهذه المسألة شأناً جوهريًّا في احوال السودان في الحاضر والمستقبل ويحتمل ان يقوم زيت البترول مقام الحطب . ولكن جُرِّبت بعض التجارب فيهِ فلم تنجح حسب المنتظر لاسباب مختلفة . وقد يتعذَّر استعمالهُ لغلاء اجرة نقلهِ

الضرائب

اشار اللورد كرومر في تقريرهِ عن سنة ١٨٩٩ الى نظام الضرائب الذي ظهر بعد امعان النظر انهُ اصلح من غيرهِ لبلاد السودان وزاد على ذلك ان هذا الاسلوب لا يزال في دور الامتحان فالاعتماد عليهِ يتوقف على ما يظهر من امتحانهِ

ويمكنني ان اقول الآن بعد امتحان سنة من الزمان ان هذا الاسلوب كان مرضيًا بوجه الاجمال مع ان تقارير المديرين تشير الى وجوب بعض التحوير في اماكن مختلفة . ويراد اجراء التحوير الذي تنتظر منهُ النتائج المطلوبة من حيث ازدياد الايراد وجعل حمل الضرائب على الاهالي على اقلهِ

ولم ينفَّذ الامر الخاص بضرائب الاطيان على اكملهِ الاَّ في مديرية دنقلة ونفّذ في مديرية بربر في مركز الرباطاب ومركز بربر فقط . واما باقي المديريات فاماً لم تؤخذ منها ضرائب الاطيان والحاصلات او أُخذ منها العشر

واذا نظرنا في كل مديرية على حدتها بانت لنا كيفية عمل الاوامر المتعلقة بالضرائب فيها

فقد قرَّر مدير دنقلة ان نيل سنة ١٨٩٩ كان اوطأ ما رآهُ السكان في حياتهم ونتج عن وطوئهِ نقص كبير في موسم الشعير ومحل موسم القمح وتركت مئات كثيرة من الفدادين من غير زرع لقلة الماء وهي مما يزرع عادةً ولذلك لم يؤخذ المال الاَّ عن الارض التي زُرِعت . ورُبط مال آخر من الدرجة الثالثة على اطيان الجزائر وهو اربعون غرشاً للفدان . وقد وفر مال الاطيان الذي جُمع من مديرية دنقلة رغماً عن كل المصاعب فزاد على النفقات ٤٣٠٠ ج . م وهذا شيءٌ مرضيٌّ

وبلغت اموال الاطيان اكثر من ١٧٠٠٠ ج . م وكان يمكن ان تزيد ٨٠٠٠ ج . م لو أُخذت الاموال عن كل الاطيان التي رُبط عليها المال

وكان مال النخيل ٧٠٠٠ ج . م على ٤٦٨٧٢٥ نخلة سنة ١٨٩٩ فبلغ ٩٣٠٠ ج . م على ٤٦٩١٢٢ نخلة سنة ١٩٠٠

وبلغ المال المجموع من جهات حلفا ٣٤٠٠ ج . م اكثره من مال الاطيان والنخيل . ودفع الناس ما يطلب منهم عن طيب نفس ولم يشكُ الاَّ قليلون وظهر لدى البحث ان شكواهم كانت في محلها غالباً

اما في مديرية بربر فلم يبلغ الايراد ما قُدّر له وذلك لانخفاض النيل الانخفاض الذي لم يعهد له مثيل وضرورة رفع جانب من ضرائب الاطيان واموال النخيل

وقد اشار مدير بربر الى ان الحاجة ماسَّة الى زيادة المواشي في مديريتهِ فان كثيراً من السواقي واقف لقلة المواشي . ولدينا مشروع لبيع بعض الاطيان وابتياع المواشي بثمنها واعطائها للاهالي ولكن لا يمكن العمل بهِ الآن ما دام طاعون المواشي في السودان

وربطت الضرائب على مراكز الرباطاب وبربر فقط ثم رفع نصف مال النخيل في الرباطاب لان المحصول كان قليلاً جدًّا فقلَّ الايراد بسبب ذلك ٩٠٠ ج . م

وسيسهل تنفيذ قانون اموال الاطيان والنخيل بكليتهِ في المديرية كلها في العام المقبل لغزارة الامطار وجودة الحاصلات ولا ينتظر ان يثقل ذلك على عاتق الاهلين

وفي هذه المديرية اكثر من ٥٠٠٠٠ فدان متروكة من غير زرع . وفي النية عرض مقدار كبير منها للبيع في العام المقبل وهي تجود بقليل من النفقة

وقلَّ الايراد كثيرًا في سواكن فبلغ عجزهُ ٥٧٠٠ ج . م عما كان سنة ١٨٩٩ لبوار التجارة وقلة رسوم الجمارك المترتبة على ذلك لكنَّ المصروفات قلَّت ايضاً اكثر من ٥٠٠٠ ج . م

وجاء الجراد فاتلف زراعة ٥٠٠٠ فدان او اكثر من الذرة والدخن في مركز طوكر فدعت الحال الى رفع الضرائب عنها

وستدعو الحال الى تقليل رسم التجارة او الغائهِ مناظرةً للتجارة بين مصوع وكسلا وبين كسلا وبربر ويبقى رسم الطرق يدفع الى مشايخ بربر وكسلا على السواء لتأمين التجارة في نقلها وحفظ الطرق والآبار

وظهر في ايرادات مديرية كسلا عجز اكثر من ٤٠٠٠ ج . م وذلك لمحل الموسم الشتوي سنة ١٨٩٩ على ما قرره مديرها حتى تعذَّر جمع شيء من العشور في بعض الاماكن واكتفي

بجمع نصفها في اماكن اخرى . وما جمع وزّع اكثرهُ على الجياع في يونيو ويوليو . فقلّ الايراد بسبب ذلك من وجهين

فاذا غضّ الطرف عن ايراد العشور لانهُ كان طفيفاً جدًّا بقي ان اكثر الايراد من رسوم الصمغ وريش النعام والعاج وعوائد الجمارك ورسوم الاسواق والمسالخ ورخص الاشربة والايجارات

اما الرسوم الجليلة فبلغ رسم الصمغ منها ٩٨٦ ج . م

وبلغت عوائد البضائع الواردة من المستعمرة الايطالية ٢٥٨ ج.م ومن الحبشة ٢٠٦ جنيهات

وينتظر ان يزيد الايراد سنة ١٩٠١ بسبب غزارة الامطار وقد هبط ثمن الذرة الآن فبلغ ثمن الاردب في القضارف ٥ اغرشاً فقط ولكن منيت الزراعة بالعصافير في مركز كسلا فاكلت نصف الغلة

ولم يكن في الامكان جمع شيء من الضرائب في مركز فشودا لاشتداد القيظ في العام السابق ومحل المحصول . وبقيت الحاجة الى الحبوب شديدة في البلاد كلها فدعت الحال الى ارسال كمية من الذرة من الخرطوم مساعدةً للاهالي

وقد اشار المأمور الذي هناك في تقريرهِ الى ان الامطار الغزيرة التي هطلت في الصيف الماضي جادت بها المواسم فزادت القطعان وظهر الرضى والسرور على وجوه الاهلين فقد يحسن ان تربط عليهم ضريبة خفيفة في العام المقبل ولكني سانتظر تفصيلات اخرى قبل الاقرار على ذلك

ووردت اخبار حديثاً من مركز بحر الغزال تشير الى القحط في تلك المديرية وسترد الاخبار الموثوق بها عن حقيقة الاحوال هناك من الحملة التي تحت قيادة الكولونل سباركس . ومن الواضح الجلي انهُ لا ينتظر ارسال الاسعاف من هذه المديرية الى المراكز الاستوائية لان ليس فيها على ما يظهر ما يقوم بحاجات اهلها اذا صحَّ ما قيل عن وجود الفاقة في لادو التي تحيط بها ولاية الكنغو الحرَّة ولا يبقى سبيل لاغاثتها الاَّ ارسال البواخر من الخرطوم بالحبوب وغيرها من المؤن . وقد أُرسلت كمية كبيرة من الذرة جنوباً اجابة لطلب جلالة ملك بلجيكا . وسيُبذل كل جهد لاجابة رجال حكومة البلجيك هناك الى كل ما يطلبونهُ من هذا القبيل

وقد احتلّت الابيض منذ اكثر من سنة قليلاً فلم تكد تنتظم ادارتها وأُرسل الطوافة الى اطراف البلاد واخذ سكانها الاولون يعودون اليها افواجاً . وكانت المدينة القديمة قد خربت وهُجرت فصار فيها الآن بين خمسة آلاف وستة آلاف نفس وقد تعذَّر طبعاً اخذ الضرائب من هناك من اي نوع كان ولكن أُخذ قليل من رسوم الصمغ والعاج وريش النعام غير ان القسم الاكبر من هذه الرسوم يؤخذ في الخرطوم فيكون ايراد مديرية كردفان من هذا القبيل طفيفاً جدًّا

وقد ارتأى السر رودلف سلاتين باشا الذي يطوف الآن للتفتيش في تلك البلاد رأياً مفيدًا

من حيث وضع جزية خفيفة على القبائل الرحل و يرجح انهُ يُعمل برأيهِ . ثم ان غزارة الامطار صيفاً وزيادة السكان وما يحتمل حدوثهُ من كثرة اصدار الصمغ كل ذلك يدلُّ على ان كردفان ستكون من المديريات الكثيرة الايراد ولكن يبقى ارتقاؤها بطيئاً اذا لم تصلح طرق النقل منها الى النيل

وقد ابقيت الكلام على اموال المديريتين الكبيرتين الخرطوم وسنار الى الآخر لان قلة النقود دعت الى جمع الايراد منها صنفاً ولان في ما يلي مجالاً للنظر في هذا النوع من الضرائب

فيظهر من حسابات سنار ان الايرادات زادت على المصروفات فبلغت الزيادة ٦٠٠٠ج.م وهذا تقدُّم بيّن على ما كان في العام السابق

وبلغ عشر الذرة ٧٠٠٠ ج.م على فرض ثمن الاردب ٤٠ غرشاً وعشر السمسم ١٢٠٠ج.م وبقية الايرادات من الرسوم الجليلة وعوائد القوارب والمعادي والاسلحة والمصايد والاسواق

وزادت ايرادات مديرية الخرطوم على مصروفاتها ٤٠٠٠ ج . م وبلغ ثمن الذرة المأخوذة عشراً ٩١٥٣ ج . م . ورسوم الصمغ كثيرة وهي ٧٦٦٩ ج.م ولكن هذا الصمغ ليس كلهُ من مديرية الخرطوم بل اكثره وارد من مديرية كردفان وقليل منهُ من سنار . وبلغ ثمن الذرة المأخوذة عشراً من كردفان وسنار معاً ١٦٤٥٣ ج . م ورسوم الصمغ ٧٨٠٠ج . م

فاكثر الايراد في هاتين المديريتين من عشور الذرة لانها اهم ما يزرع فيها ولذلك فارتقاؤها يقوم اكثره بتسهيل سبل الري فيها . وعلى النهر بعض السواقي ولكن اكثر المزروعات يسقى بماء المطر . وقد ركبتُ حديثاً وقطعت الجزيرة من ود مدني على البحر الازرق الى الدويم قبالتها على البحر الابيض مسافة ثمانين ميلاً فوجدت الارض سهلاً منبسطاً مزروعاً كلهُ ذرة . ولا تزرع الارض الآن الا زرعة واحدة تقيم فيها من ستين يوماً الى ثمانين فاذا تيسر ادخال اسلوب متقن للري فيها صارت غلاتها تكفي بلاد السودان و يرسل منها الى غيرهِ من البلدان

ولكن اذا لم تصلح وسائل النقل بقيت هذه البلدان الخصيبة قليلة الفائدة من حيث ايراد الحكومة . فقد بلغت الذرة المجموعة عشراً من مركز عبود في الجزيرة ٥٠٩٤ اردباً فاخذ الجمالة ١٩٦٠ اردباً منها اجرة نقلها الى الدويم . ومعلوم انهُ اذا انشئت سكة حديد ضيقة هناك وفت بالمراد ولكن يُرتاب في ربحها قبلما تُصلح اساليب الري فتزيد المواسم السنوية

ولا يمكن الاعتماد على البواخر الموجودة عندنا الآن لنقل الحبوب في البحر الازرق فاذا وجدت بواخر تسير في الماء القليل الغور زالت هذه الصعوبة ولكن قلة المال تمنع ابتياعها

وما تقدَّم يُطلق ايضاً على نقل الصمغ من داخلية كردفان الى البحر الابيض . فسكة حديد ضيقة تفيد جدًّا ولاسيما اذا صحَّ ما يبلغنا من ان الصمغ كثير في حراج كردفان لا يمكن استنزافهُ منها

ملكية الارض

ان الاسلوب الذي ذُكر في التقرير السابق لملكية ارض الزراعة وارض المراعي جاء وافياً بالمراد بنوع عام

وقد تمَّت اعمال لجنة الاراضي في مدينة الخرطوم منذ ٣١ يناير سنة ١٩٠٠ ولكن مجلسها بقي يجتمع ثلاث مرات كل اسبوع الى آخر مايو لفض بعض المشاكل . ولا يزال يضطرُّ الى الاجتماع من وقت الى آخر للنظر في ما يرفع اليهِ من العرائض . وقد اعطي الاراضي للذين ادَّعوها ما عدا ٢٥٠ ادَّعوا ولم يحضروا لاستلام ما ادَّعوا بهِ مع انهم دُعوا لذلك مراراً. وعندي ان الكولونل دراج رئيس هذا المجلس جدير بكل مدح على ما تمَّ من النجاح في هذا العمل الشاق

وقامت اللجنة الى كردفان في ابريل الماضي لتسجيل ملكية الاراضي فيها برئاسة ضابط انكليزي . وقد حكمت حتى الآن في ٤٤٠ قضية والمرجح انهُ لا يتم عملها قبل سنة او سنتين لان كثيراً من الحجج التي تقدَّم اليها لاثبات الملكية كتب منذ ثمانين او تسعين سنة ومن ثم تظهر صعوبة هذا العمل

ويشكو البعض في الحلفاية وجوار الخرطوم من ان الحكومة اخذت بعض الاراضي لتوسيع المدينة او لبناء الثكنات ونحوها وقد عُرض على بعض هؤلاء ثمن لم يغبنوا فيهِ وعُرض على البعض الآخر اراض ثمينة في اماكن اخرى لكنهم ابوا ان يأخذوا العوض ثمناً او ارضاً لعلمهم ان اراضيهم سيغلو ثمنها كثيراً في المدينتين

وفصلت لجنة الاراضي في بربر في ٣٥٩ قضية ولقيت مشقة شديدة في جعل الاهلين يرضون بحكمها . وقد كتب المدير انهُ كان يحضر بنفسهِ جلسات اللجنة وهو مقتنع بان دعاوي الناس حُكم فيها بالانصاف بعد التروي . واشار الى الصعوبة في وجود المساحين الذين يُعتمد عليهم لتتميم تسجيل الاراضي. وهذه الشكوى عامة في كل الاراضي التي يراد مسحها لربط الضرائب عليها حتى في مصر لا يوجد من المساحين الاكفاء مَن يفي بالحاجة

واتمت لجنة كسلا عملها في تلك المدينة وستنتقل الى القضارف . وفصلت في كسلا في ٥٥ دعوى بملكية البيوت والسواقي والبساتين . وآل كثير من اراضي البساتين واراضي البناء الى الحكومة لانهُ لم يتقدَّم احد للادعاء بها وهي تمسح الآن ثم ينظر في تأجيرها او بيعها

والدعاوى بالملكية في القضارف مثل الدعاوى في كسلا ولكن تملك الاراضي الزراعية هناك

وفي اكثر البلدان التي تسقى بماء المطر ليس حقيقيًّا بل الارض مشاع للقبيلة

وقد قرَّر مأمور حلفا ان كل اراضيها سُجِلت باسماء اصحابها ويقع بينهم اختلاف احيانًا ولكنهُ ليس هامًّا

وقد سُجِل قليل جدًّا من اسماء ملاَّك البيوت والاراضي في سواكن ولعلَّ سبب ذلك ان الطريقة المصرية بقيت مستعملة في هذه المدينة الى عهد قريب ولم يجبر الاهالي على العمل بها

وعُينت لجنة لسنار ولكنها لم تشرع في عملها حتى الآن وقد قُدمت لها طلبات من كثيرين يدَّعون الامتلاك فيها

التجارة

ان في طريق التجارة في السودان عقبات كثيرة اخصها صعوبة النقل الى الاماكن البعيدة وقصور الري عن حاجة البلاد وقلة العمَّال وتقاعد التجار عمَّا يحسبونهُ مخاطرةً باموالهم

وكانت تجارة السودان القديمة قاصرة على جلب المنسوجات من منشستر واصدار الصمغ والريش والعاج والصمغ الهندي . وقد جرت التجارة الحديثة هذا المجرى ولكن وصول سكة الحديد الى الخرطوم افاد التجار فائدة حُرِم منها اسلافهم

ومسألة الري من اهم المسائل للسودان ولمصر ايضاً . وكل مشروع يحرم مصر من جانب من مائها يُمنع العمل بهِ الآن الى ان تتم خزانات النيل ويصير الماء الكافي لمصر بأمن من كل نقص . وهذا لا يستلزم منع الري في السودان بل ان السر وليم جارستن المطالب باجراء الماء الكافي للقطر المصري لا يعترض على اقامة السواقي والطلمبات واستخدام اساليب الري الاخرى حسبما تقتضيهِ حالة السودان الحاضرة

ويمكن الاعتماد على ري الحياض في اراضي البحر الازرق من غير ان يقل ماء مصر قلَّة مضرَّة . ويُرجَى ان تستخدم حكومة السودان مهندساً ماهرًا في الهندسة المائية ليشير عليها باحسن الطرق التي يمكن الجري عليها من هذا القبيل ثم تعمل بما يشير بهِ

ولا يبرح من الاذهان ان سكان السودان قلَّ عددهم كثيرًا مدة حكم الدراويش فلا يوجد فيهِ عمَّال لاتمام الاعمال العمومية الكبيرة التي من هذا النوع ولا عمال لزرع الارض التي تستفيد من اعمال الري ولذلك لا بدَّ من السير في الاعمال تدريجًا وترك كل عمل يقتضي نفقات كثيرة لا تحتملها البلاد

ويظهر من تقارير المديرين ان عندهم ابوابًا واسعة للتجارة بغير الحبوب . والتاجر الذي يسبق غيرهُ الى تلك البلاد يجد امامهُ الحاجة الى مطاحن الهواء والطلمبات البخارية

ومعديات النيل والكباري الصغيرة والمباني من كل الانواع واستعمال الغابات وانماء تجارة الصمغ ونحو ذلك مما يلوح امام الخاطر . ولا بدَّ من منع كل ازدحام في الاقبال على بلاد لم تشفَ حتى الآن مما حلَّ بها من سوء الادارة مدة السنين التي ساد فيها فساد الاحكام . لكن البلاد قد اخذت تنتعش بسرعة فائقة واراني مقصرًا في ما يجب عليَّ كنائب عن بريطانيا العظمى والقطر المصري اذا لم اقل علانية ان الابواب مفتوحة في السودان للتجارة والصناعة من كل نوع و بعضها مما ينتظر منهُ ربح وافر

وقد أُشير سابقاً الى ان سكك الحديد الضيقة تفيد البلاد فاذا انشئ خط بين الابيض والدويم على البحر الابيض كان منهُ نفع كبير من وجوه كثيرة وربح وافر من نقل الصمغ. وينقل الصمغ الآن على الجمال الى النيل ويؤتى بهِ بالبواخر والقوارب الى ام درمان او الحلفاية ثم يرسل بسكة الحديد الى حلفا . وقد خفضت اجرة النقل من السودان في سكة الحديد ويراد تخفيضها ايضاً ان امكن . وكل المهمات ومواد البناء ونحوها تنقل الى الابيض على جمال الحكومة ونفقات هذه الجمال كثيرة فاذا انشئت سكة الحديد لم يعد للحكومة حاجة الى هذه الجمال ولكن لابدَّ من ان تضمن الحكومة ربحاً ما لكل شركة تنشئ هذه السكة وتتولَّى ادارتها

وكذلك يسهل مد سكة اخرى في بلاد الجزيرة تجاه الدويم الى ود مدني على البحر الازرق تمتدُّ على طول البلاد التي تزرع فيها الحبوب في معتوق وعبود ومناجل ولكن لابدَّ من اصلاح الري قبل ذلك والاَّ خيف من ان هذه السكة لا تربح

ويمكن ان تمدَّ سكة اخرى توصل بلاد القضارف الخصيبة بالبحر الازرق في ابي حراز ولكن السكان قلال في تلك البلاد وهذا لا بدَّ من اعتبارهِ عند تقدير ربحها

ولا يبعد ان تتسع التجارة مع بلاد الحبش من عند فمكا والرصيرص وبطريق القلابات والقضارف ولذلك يجب الاهتمام باصلاح سبيل الاتصال مع حدود الحبشة في البر وفي النهر

وكسلا ابعد مديريات السودان عن مراكز التجارة الكبيرة الآن ولها ثلاثة طرق طريق ابربر وطريق سواكن وطريق مصوَّع اولها اكثرها استطراقاً بقوافل الجمال ومن الطريقين الآخرين طريق مصوع اقلها نفقة لنقل البضائع ولا سيما لسهولة الاتصال بين مصوع وبقية الموانئ البحرية . وقد بلغني ان في النية مد طريق مصوع الى جهة كسلا

وقد تم الاتفاق مع الحبشة على اقتسام عوائد الجمرك التي تؤخذ عند القضارف مناصفةً

اشير في مكان آخر الى حالة التجارة بين نقط النيل في اوغندا وبين النقطة البلجية في الرجاف لكن قلة البواخر تمنع الآن توسيع التجارة ولا يصلح بالحكومة ان تتولى التجارة هناك بنفسها

دواماً بل هي تفضل ان يتولأها غيرها لان ذلك اصلح لهُ ولها . والعقبة الوحيدة في سبيل التجارة هناك الآن قلة الحطب وغلاء الفحم الواصل الى الخرطوم . ثم ان حالة سكة الحديد الحاضرة وقلة العربات فيها امران يجب ان لا يغفلا اذا اريد الشروع في عمل من مقتضاهُ جلب مواد كثيرة بسكة الحديد

ولم يمد التلغراف بعد القضارف (وهي على ٢٣٠ ميلاً من الخرطوم جنوباً) ولكن قد يمكن استعمال تلغراف مركوني في محطات ثابتة وعلى بواخر البحر الابيض

صحة الجنود

اقتبستُ ما يلي من التقرير السنوي للماجور بنتون حكيمباشي الجيش المصري عن صحة الجنود "قال كثر المرضى هذه السنة بين الجنود التي في السودان لان الحمَّى الملارية انتشرت كثيراً . فقد كثر المطر في كل بلاد السودان وفي جملة ذلك كردفان وجهات البحر الابيض والبحر الازرق وكسلا فزادت الامراض مدة المطر وبعدهُ حتى بلغت اكثرها في شهر سبتمبر ثم اخذت تتناقص بالتدريج وكان اكثر الامراض الحمى الملارية المتفترة والمتقطعة ويتلوها الجدري والدوسنطاريا والرمد والدود (ولا سيما دودة غينيا) وفقر الدم والخنازيري . وخيف من انتشار الجدري . وحدثت حادثة واحدة من التيفويد في ام درمان وحادثتان في الخرطوم وحدث في الربيع ثلاث حوادث من التهاب اغشية الدماغ

وهذا المرض العضال انتشر في ام درمان والخرطوم في شهور الشتاء منذ احتلال السودان لكنهُ زال منها الآن تماماً ولم تحدث حادثة منهُ في الشتاء الماضي وتدلُّ الادلة على انهُ لم يعد ينتشر بعد اجراء التدابير الصحية

الخاتمة

يظهر مما كتبهُ المديرون والمأمورون عن احوال البلاد التي هم فيها ان النجاح مستمر والجرائم قليلة والثقة بالحكومة تزداد يوماً فيوماً . لكن الشكوى عامة من قلة المال والحاجة شديدة الى اصلاح الري والمواصلات وبغير ذلك لا ترتقي البلاد مالياً

وقد نجحت ادارات الحكومة المركزية وجُعل الكولونل جكسن نائباً للحاكم العام سكرتيراً للحكومة الملكية ومعهُ رجال اكفاء لمساعدتهِ . وفي السودان سكرتير مالي وسكرتير قضائي وسكرتير للمعارف وكلٌّ منهم ناجح في ادارة الفرع المختص بهِ نجاحاً بيناً

وكان الفرق غير واضح بين اختصاصات الضباط والموظفين الحربية والملكية وذلك مما لا بدَّ منهُ في الادوار الاولى من تنظيم البلاد . ثم اخذ هذا الفرق يتضح رويداً رويداً . ويُفصل الآن بين الواجبات الملكية والحربية على قدر الامكان . وقد كانت نتيجة هذا الفصل حسنة جدًّا فانشئت حكومة ملكية في السودان تختلف عن الحكومات الملكية في ان موظفيها من رجال الحربية . ولا شبهة في ان الحكومة التي يتولاها رجال اشداء يوجبون الطاعة على الرعية لازمة للبلاد في اول انتظامها وارتقائها ونافعة لها من كل وجه

لكن الضباط مقيدون بالخدمة في الجيش الانكليزي فهم عرضة لان يُطلَبوا من السودان لاسباب مختلفة . او قد يتعبون من الشغل الشاق و يودون الرجوع الى فرقهم وما هو احب اليهم من السودان . فلا يصح الاعتماد على الضباط الانكليز للبقاء في هذه المناصب ولذلك تدعو الضرورة الى تغيير هذه الحال تدريجاً وتعيين شبان منتقين من الملكيين يأتون السودان على نية الاقامة فيهِ . وقد عين البعض من هؤلاء وسيتأهلون رويداً رويداً للمناصب التي يشغلها الضباط الآن

واني اغتنم هذه الفرصة لتقديم شكري لرجال نظارة الحربية البريطانية على مبادرتهم الى اجابة طلبي بتغيير القوانين التي يرتبط بموجبها الضباط في الخدمة حتى يسهل عليهم البقاء في هذه البلاد من غير ان يخسروا حقوقهم في الجيش البريطاني . ولي الثقة ان هذا التغيير يرغب الضباط في البقاء في السودان ليزيد انتفاعهُ منهم

ولا يمكنني ان اختم هذا التقرير من غير ان اعترف بما قام بهِ الضباط وصف الضباط والجنود والموظفون من بريطانيين ومصريين وسودانيين من غير فرق بينهم مدة السنة الماضية لاحياء هذه البلاد وكذلك بما قام بهِ العلماء والمشايخ والاعيان الذين ابدوا تمام الولاء والمساعدة واعربوا عن رغبتهم الشديدة في ان يروا بلادهم سائرة في طريق التقدم والارتقاء ماديًّا وادبيًّا

واذكر بنوع خاص خدم الكولونل جكسن الذي ناب عني مدة اضطراري لمغادرة البلاد واليهِ ينسب كثير من النجاح الذي نجحهُ السودان

واقدم شكري الخاص ايضاً للكولونل فرغوصن ولكل المديرين والمأمورين ورؤساء المصالح وغيرهم من الضباط والموظفين البريطانيين والوطنيين الذين تظهر نتائج اعمالهم المفيدة من هذا التقرير

(الامضاء) رجينلد ونجت

الحاكم العام

الخرطوم في ٣٠ يناير سنة ١٩٠١

عمران دمشق

في القرون الحديثة

بعد وقعة مرج دابق قرب حلب بين العثمانيين والجراكسة وقتل الغوري استولى السلطان سليم على دمشق صلحاً سنة ٩٢٢ فمكث بها اشهراً وعمر بها بعض المباني . وبعد مُنصَرفِهِ قام جان بردي الغزالي كافل دمشق وغيرها من بلاد الشام للدولة الجركسية طامعاً بدمشق فامر ان يُخطب لهُ على المنابر فنُعل وجيَّش جيشاً من العامة فقاست دمشق في هذه المدة الوان العذاب والجوف حتى بعث العثمانيون بجيش لمحاربتهِ فدخل — على رواية صاحب الكواكب السائرة — ونهب البلد ولم يسلم منها الاَّ ما قلَّ وجرت وقائع بين الجيش التركيّ والجيش الجركسيّ انتهت بقتل جان بردي وتفرُّق اصحابهِ تحت كل كوكب ثم نُودي في البلدة بالامان سنة ٩٢٧

ومن مبدإِ الدولة العثمانية انها كانت تكتفي من البلاد التي تفتحها بالخضوع والاموال ومن بعضها بالسكة والخطبة فقط وتترك لها ما وراء ذلك من تغيير العوائد والادارة تُدبِّر نفسها بنفسها فلا تزيد الاَّ ما تمس حاجتها اليهِ من انشاء بعض الشكن للجند كأَن وقتها كان عزيزاً تصرفهُ غالباً في الغلبة وتكبير رقعة الملك وقتال القائمين عليهِ وقطع دابر من يُخشى بأْسهم في مجاذبة حبل السلطة من امراء الاسلام . وكانت ايضاً طامحة الى توسيع املاكها في اوربا لايقانها بانَّ آسيا وهي عش عنصرها الاسلامي في قبضتها تدوّخها بعد تدويخ اوربا

فاستلم البلاد ولاة حكموها برأْيهم غالباً واخذوها اقطاعاً لقاء مبلغ يؤَدى الى الخزانة فتعدَّى اكثر العمَّال طورهم وضربوا المكس على الاحكام الشرعية وعطلوا الحدود فاستاء اكثر العقلاء لتغيّر الاحكام تغيراً فجائياً . ومما ساعد على ذلك قلة المواصلات وبعد دار السلطنة عن اكثر مراكز الولايات وان قُدّر لارباب الظُّلامات فوصلوا العاصمة رغم هذه المصاعب لعرض شؤُون حريَّةٍ بالعرض على مسامع الحاكم الاعظم كان ولاة الامور يحولون دون ذلك. ذكر صاحب تاريخ بغداد ان العجم استولوا على البصرة واستبدَّ الوزراء الذين انفذتهم الدولة لإِنقاذ البلاد من مخالب الفرس فزوَّروا منشوراً على لسان السلطان ونصبوا مَن ارادوا من الحكام ولم تبلغ هذه الاخبار مسامع السلطان عبد الحميد الاول الاَّ بعد اربع سنين

وللجند غير المنظَّم يدٌ في التخريب عرفها الملوك العظام فيما بعد ويزعم بعض من قراء التاريخ ان الانكشارية خدموا الدولة في مبدإِ امرهم خدمة نصوحاً اتت الامة بفوائد جُلَّى ولكن ما

بدر من سيئاتهم بعدُ يمحق كل حسنة سلفت ويتلف كل بلاد افتتحت . ولو وقفوا عند حدّ التوفُّر على الظلم وايذاء الاهلين لما استحقوا ما استحقوهُ من التمثيل والتنكيل غير انهُ بلغت بهم القحة ان صاروا يُطيلون يد التعدّي على الوزراء وانكى من ذلك انهم صاروا يتداخلون في خلع السلاطين ونصبهم ويقتلون من شاءوا مثل سليم الثالث ومصطفى وغيرهما ويبقون في منصَّة الحكم من تروقهم سياستهُ . ولما طفح الكيل منهم وقهروا البلاد والامة استفتى السلطان محمود خان في إبادتهم فافتتهُ المشيخة الاسلامية بذلك فدمَّروا سنة ١٢٤١ عن بكرة ابيهم في الاستانة والولايات بيد الجند النظاميّ والاهليّ واستراحت الامة من شرورهم وحمد الناس هذه العناية

ولقد تحكك الخوارج على السلطنة بالفيحاء فقاست الأمرّين من ذلك ما رواهُ الغزيّ والمحبي من فتنة سنة ١٠١٥ ابان حمل عليها الامير علي بن جانبولاذ — وفي نسخة ابن جان بلاط — وخلت البلاد من أذاتهِ الى حدود صفد عن حكامها فحكمها هو سنتين ولما اراد احتلال دمشق حلّ بالمزّة فاستمرّ النهب في اطراف دمشق ثلاثة ايام متوالية وكانوا يأخذون الاموال والاولاد . ووردت السكبانية او السكمانية والدروز افواجاً الى خارج المدينة وشرعوا في نهب الضاحية فصولح ابن جان بلاط على مال اداهُ اليهِ حكام دمشق بعد ان حدث ما حدث وجرى لدمشق من المخاوف ما يجلُّ عن الوصف واجتمع فيها معظم سكان الارباض وتشتت بعضهم تاركين ارزاقهم واموالهم . وكذلك الفتنة التي جرت بين عساكر دمشق والامير يونس الحرفوش وكرد حمزة سنة ١٠٣٣ فاغتنم الانكشارية الفرصة واغاروا على المستضعفين من الاهالي وتعاقب تغيير الولاة وانحاز بعض الخوارج اليهم ونقل الناس امتعتهم واثقالهم من خارج المدينة الى داخلها مراراً

وفي غضون ذلك كان اعداء دمشق ينهكون قواها من الداخل فقد ذكر المؤرخون ان كيوان احد كبراء الاجناد فيها المتوفى سنة ١٠٣٣ نزع الى التعدي ولا شكيمة تردُّ جماحهُ ولا وازع يكفُّ من عزبهِ فأخذ الناس بالتُّهمة وتطاول الى اخذ املاكهم حتى استولى على اكثر بساتين الربوة والمزّة وضمَّ بعضها الى بعض وكان اذا اخذ حصة في مكان احتال على الشركاء فيهِ حتى يأخذ حصصهم طوعاً او كرهاً وكان نوَّاب محكمة الباب واعيان شهودها يساعدونهُ على عدوانهِ حتى هلك الحرث والنسل

ظفرتُ عند احد شيوخ العلم بتاريخ مُهم لاحمد بن بدير الحلاَّق ذكر فيهِ حوادث دمشق الشام اليومية من سنة ١١٥٤ الى سنة ١١٧٦ فجاء عبارة عن جريدة يومية تنشر الغثّ

والسّمين من الانباء ولا تغادر صغيرة ولا كبيرة فقرأت فيهِ عجباً من حوادث القتل والقتال بين الرعاة والرعايا يبعث فيها الارواح والاعراض والعروض بيع الكساد . هذا وابن بديرلم يؤرخ سوى حوادث اثنين وعشرين عاماً فياليت عمره طال على الاقل مائة سنة وياليتنا نرى ما ألفهُ عبد الله البصروي المتوفى سنة ١١٧٠ من تاريخ ابناء عصرهِ ذاك المؤلف الذي احرقهُ بعض الاعيان على اعين القوم قبل ان يُدفن مؤلفهُ مخافة ان ينتشر التاريخ بعد موت صاحبهِ فتنكشف سيئاتهم و يظهر عارهم وعرّهم . بل ياليت ابن خلدون تأخر عصره الى هذه القرون وجاء البلاد قبل ان يكتب مقدمتهُ المشهورة في فلسفة العمران لتتوفر لديهِ الشواهد الكثيرة ويحصل على مادة عيانية يبني عليها فصوله الرائقة ويتنبأ لهذا القطر كما تنبأ على غيرهِ

قال ابن بدير بلغ متسلم الشام سنة ١١٦٢ ان بعض الدروز من جماعة ابن تلحوق جاءوا الشام ينهبون و يحرقون فارسل الى الموالي والمفتي والقاضي يأمرهم بان يأخذوا معهم الاعلام وينادوا هؤلاء خوارج فمن كان يحب الله والسلطان ليخرج الى قتالهم فخرج الناس فقتلت الحامية منهم جماعة وكان الدروز يحتجون بأن قدومهم الشام كان بغية إخراج إخوان لهم كانوا مسجونين فلما موطلوا نادوا في حارة الميدان والقُبَيبات كلٌ من لا يخرج للقتال معنا ننهب ماله وداره فانضمَّ جماعة من الحارات ونزلوا الى السويقة ووقع القتال بينهم وبين القبوقول والدالاتية وأغلقت البلد حوانيتها وحصرت الحارات ونبَّه المتسلم على اهلها ان لا يخرجوا الى الازقة ليحرسوا دورهم ثم جرت مقتلة عظيمة بين الفريقين قتل فيها نحو خمسين قتيلاً من جماعة المتسلم والقبوقول وجرح واحدٌ من الدروز وقتل غلامان من العامة

ثم فتح عسكر الباشا الدكاكين في باب الجابية ليلاً ونهبوا ما فيها من طعام وإدام وهدموا مصاطبها وصيروها متاريس ومن الغد باكروا القتال وزحفوا الى السويقة ومعهم العملة والبناؤون فحرقوا الدور والقصور واطلقوا المدافع على الاشقياء فولّوا الادبار فامر المتسلم عسكره ان يقعوا في نهب الدور والدكاكين ورُوي انهُ اخرج فتوى وحجة وامراً قاضياً بان ينهب الجند من حد السويقة ويقتلوا و يهدموا ولا يعفوا عن انسان فسلبوا الاموال وسبوا الحريم ودام الامر الى وقت العصر فردّهم الاشقياء والدروز ونصرهم اهل الميدان

ولما هرب الدروز نودي في البلد بالأمان وان تفتح الاسواق و يكفَّ عن النهب . قال ابن بدير وقد سرتُ مع من سار فرأيت فضائح الميدان والقتلى مجدّلة والابواب محطّمة والدكاكين مقفرة ثم اضطرب اهل القبيبات والميدان والسويقة وباب المصلّى واخذوا ينقلون اثاثهم الى داخل المدينة مثل باب السريجة والقنوات وغيرها من الحارات . وخاف الاكابر والحكام

والعامة فجعلوا يعزلون الدكاكين ويخبأون ما حوتهُ في البيوت وبلغ عدد الدور المنهوبة في هذه الوقعة كما قيل الفًا وتسعمائة دار واما الحوانيت فلا تحصى كثرة . هذا وقد اخذ القبوقول يمسكون الناس ويأتون بهم الى الحاكم ويقولون هذا كان يقاتل مع الاشقياء فيقتلهم المتسلم من غير حجة ولا إثبات ولا قصد للقبوقول الا اخذ ثارات لهم مضت مع الانكشارية الى آخر ما اصاب الشام في ذاك العام من حرق ونهب وغلاء وفضائح وفظائع

وهكذا كانت تغلق ارتجة الفيحاء وحوانيتها جملةً عند اندلاع لسان الفتن بين القبوقول والانكشارية وبينهم وبين الدالاتية والاشراف والاكراد والدروز حتى ينادي منادٍ من قبل الحاكم يأمر بفتح الدكاكين ويطمن الناس

وفي شهر صفر سنة ١١٥٨ ملك الدالاتية القلعة فقاتلهم الانكشارية وامر اسعد باشا العظم حاكم الشام ان يقصدوا سوق ساروجا وهنا أطلقت المدافع فوهاتها فخربت الدور خصوصًا دار رأس الفتنة فانها نهبت كلها ثم جرَّت القافية بقية الدور ولم يبقَ من سوق ساروجا الاَّ القليل وراح الصالح بين رجلي الطالح ثم اعمل اسعد باشا السيف بكل عاصٍ وقتل عسكرهُ اناسًا وسلبوا دورًا واحرقوا بعضًا ثم شرع في صلب كثيرين وبقيت المشنقة اياماً لا تخلو ساعة من مصلوب اتُّهم بانهُ كان يمالئ ارباب الدعارة على رغائبهم وتركت جثثهم اياماً امام السراي تأكلها الكلاب وسلخت رؤوسهم وجعلت أكوامًا وصارت المدافع تُطلق بكرةً وعشيةً مدة شهرين وكثر العزف بالأبواق واطلاق السهام النارية في الفضاء

وفي هذه السنة جاء دمشق احد طغاة موالي اسعد باشا العظم وكان نُقل بعد ولايته الشام الى حلب فذكر الانكشارية والعامة ظلمهُ ايام كان سيدهُ حاكمًا على هذه الحاضرة فقاموا عليهِ كرجلٍ واحد فالتجأ الى القلعة وحماهُ القبوقول ولما أُريد على الخروج من دمشق أبى واستكبر فأغلقت البلدة دكاكينها ومحالها وتجمع الانكشارية وتبعهم الناس وتعصب العناتبة والاكراد والدالاتية مع القبوقول واهل حارة العمارة وحدثت غارة في سوق الدرويشية وأُطلقت النيران على الانكشارية ثم قاموا على اهل العمارة فانهزم اهلها منها واحرقوها حتى صارت ساحة وراح اهلها الى الجامع الاموي ودامت الفتنة اياماً حتى قرَّ رأي الاكابر والامراء على إخراج مولى ابن العظم من دمشق فأُخرج ولم تطفأ جذوة الفتنة لان الثائرين ما زالوا يتلمظون بحلاوة الغنائم ويزدردون حلواء الغارات . وجاء الخبر بانَّ الجالين عن دمشق نهبوا الضياع في طريقهم وقتلوا الانفس وهتكوا الاعراض وصادقوا جماعة من المنتسبين للحكام فسلبوهم وقتلوا منهم فريقًا

ثم اخذ القبوقول يطلقون النار على الرعية وظلّت الفتنة قائمة على ساقها في البلد بين القبوقول والانكشارية والاشراف فقتل من هؤلاء نحو ثلاثين وبضعة اولاد وثارت الحرب في اسواق المدينة اياماً ثم عنا الانكشارية على حاكم الشام فصاح في جندهِ وركب الى الميدان فهربوا امامهُ فاعمل وجنودهُ السيف فيهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً. ومن لم يمت بالسيف قادوهُ بالاغلال والسلاسل . وعمَّ نهب العسكر الكبير والصغير والناس بين قتيل واسير ونهبت الدور والدكاكين وانتكبت الشام هذا العام نكبة عظيمة فانضبت ثياب النساء وخُطفت الجواري والعذارى وتمنى العقلاء الموت ولا هذا الحال

ثم نهض جماعة الباشا الى النهب فنعهم وامر بجمع ما نهبوهُ فما وصل الاَّ القليل اودعهُ بعض الجوامع وامر منادياً ينادي لتأخذ الاسلاب اصحابها فأخذ البعض وذهب الاكثر واما اتباع الباشا فطفقوا يقتلون كلَّ من يصادفونهُ ويقطعون رأسهُ او يحبسونهُ وتناول أذاهم من في الدور وتعست الحال حتى قدرت البيوت المنهوبة بنحو اربعة وعشرين الف دار واكثر من ذلك من الدكاكين — كذا قال ابن بدير وكلامهُ فيهِ نظر لان عدد المساكن بدمشق كلها لهذا العهد بحسب احصاء الحكومة هو ١٨ الف دار حسب الاحصاء الاخير

وعدَّد ابن بدير كثيراً من مظالم الدفتر دار فتحي افندي قال ان الاهلين لما ضاقوا بهِ ذرعاً استعدوا الباب العالي فاعداهم فأحضر الى العاصمة ليمثل بين يدي السلطان فاخذ يمنح المنائح لارباب المظاهر اذ ذاك حتى أدخلوا على السلطان شخصاً آخر مكانهُ واوهموهُ انهُ فتحي فامر بقتلهِ فقتل للحال اما فتحي فسفرَّهُ اعوانهُ من النظار تحت جنح الدجى فآب الى الشام يفعل الافاعيل المنكرة حتى اذا ضاق الخناق ورد الامر بقطع رأسهِ فقطع وجرَّ في شوارع المدينة وترك للكلاب تنهشهُ ومُثّل ببعض اعوانهِ وصودر

وكذلك قل عن سليمان باشا العظم المتوفى سنة ١١٥٦ الذي ولي هذه الحاضرة سبع سنين فانهُ مع ما كان عليهِ من طول الاناة ورزانة الحصاة وإبطال بعض المظالم — على قول ابن بدير — لما قضى نحبهُ صودر ما ادَّخرهُ من مال وحليّ واوقع المفوَّض بذلك في امرتهِ ضرباً وتعذيباً على ابشع وجهٍ حتى أيقن باحتياز المدَّخر . فلما تسامع الناس بخبر ما استولى عليهِ من الاموال قاموا يحدّدون شفار المطاعن بالمتوفَّى لاحتكارهِ مدة حكمهِ البضائع والغلاَّت حتى غلت اسعار الارزاق والبضائع وذكروا انهُ كان متعدياً حدود الشرع ومراسيمهُ

وما قلتهُ عن سليمان باشا ومعاملة أُسرتهِ من بعدهِ قلهُ عن ابن اخيهِ اسعد باشا ذاك الذي حكم الفيحاء ١٤ عاماً متوالية جرى فيها على قدم عمهِ فلما اغتيل فُوّض الى من ضبط امواله

واموال جميع أتباعهِ فأخرجت الدفائن من سراياه' وكان بعضها مخبوءًا في الارض والجدران والاحواض وبيوت الخلاء

ولا تسل عن إثارة الرأي العام اذ ذاك والعامة هنا وفي اكثر البلاد اذا وقفوا على طرف من الاحوال يشتدُّ بهم الحنق ولذلك يرى اكثر قادة الامم ان لا يطلعوهم على شيءٍ من حقيقة السياسة بداعي أنَّ بحثهم فيها يُعطّلهم عن أشغالهم ولا يزيد الحال الاَّ ارتباكاً . قال ابن بدير ولما دخل الشام حسين باشا المكي الغزيّ واليًا خلفًا لاسعد باشا العظم بالاحتفال المعتاد جاء الاعيان من الغد الى قدومهِ فوقف العامة في دروبهم وسبُّوهم وشتموهم ورجموهم بالاحجار لانهم كانوا يدخلون الى اسعد باشا من قبل على تلك الكيفية من الخضوع وصاحوا خطابًا للاعيان انتم منافقون تعاوّن الحكام الظلم وتعينونهم على الفقراء والمساكين

ولا يذهبنَّ ذاهب الى أنَّ كلَّ من ولي دمشق كان على هذه الشاكلة من الرغبة عن مصالح البلاد ويقولن ان الظلم من شيم النفوس فلعلهُ قد لا يظلم الظلوم او ان يقرأ ترجمة المتصف المصلح من العمال فلا يرى لهُ من المادح الاَّ جامعاً او مدرسة او مقبرة بناها في حياتهِ بالسخرة وأموال المغارم وجسرًا من خشب او كوخًا من قصب او انهُ كان يلازم صلواتهِ ويقرب الصلحاء والعلماء فقد ذكر المرادي عن الوزير محمد باشا العظم المتوفَّى سنة ١١٩٧ وقد ولي الشام احدى عشرة سنة منها عشر متوالية انَّ لهُ من المآثر والآثار في كلّ ولاية وليها خصوصاً في دمشق ما يحسن ذكرهُ ثم عدد مآثرهُ فقال انهُ رفع المظالم وانشأ المعالم وبالجملة فهو احسن من ادركناهُ من ولاة دمشق واكملهم رأيًا وتدبيرًا

وعلى هذا يتصرَّف ما قالهُ المحبي في ترجمة سنان باشا المتوفى سنة ١٠٠٤ وهو صاحب الآثار العظيمة في البلاد ومن جملتها الجامع بدمشق خارج باب الجابية والحمام والفرن المتفق على حسنهما ودقة صنعتهما ولهُ مثل ذلك في كل من القطيفة وسعسع وعيون التجار وعكاء مع خانات ينزلها المسلمون ولهُ ببولاق مصر جامع عظيم ومثلهُ باليمن وقسطنطينية وغيرها من البلاد جوامع ومدارس وخانات وحمامات تنيف على المائة . قال وبالجملة فهو اكثر وزراء آل عثمان آثارًا واعظمهم نفعاً للناس . قلت وما ادري من اين جلب سنان باشا كل هذه الاموال ولعلهُ كان موسرًا قبل ان يليَ شيئًا من امر الامة

ولاسعد باشا العظم حاكم الشام دار تعدُّ اليوم من صروح الفيحاء يقصدها السيَّاح للتفرّج على قاعتيها المشهورتين بجمال الصنعة ولطافة الاحجار وتحلية الجدران بالذهب مما يندر مثلهُ في هذه البلاد إلاَّ ما كان من قاعة بناها هو ايضاً في حماة قبل ان يتولى دمشق فان تلك

على ما نقل لي احد الثقات اعظمَ رواء وافخم بناء من هاتين. واليك الآن ما رواهُ ابن بدير في كيفية اقامة هذه الدار قال

في سنة ١١٦٣ شرع اسعد باشا في بناء دارهِ جنوبي الجامع الاموي فهدم الدور التي حولها وادخلها فيها وجدَّ في العمارة ليلاً ونهارًا واحضر لها ١٢ الف عمود خشب عدا ما اهداهُ اياهُ اعيان البلد وأوعز الى الاطراف بان لا يباع القصرمل إلاَّ اليهِ وشغل غالب بنائي البلدة ونجاريها ونقاشيها وجلب البلاط من اكثر دور المدينة وحيثما وجد بلاطًا ورخامًا واعمدة وفساقي يبعث بمن يقتلعها و يُعطي القليل في ثمنها . وكان على مقربة من مقبرة البرامكة فوق نهر بانياس قصر يقال لهُ الزهرائية مطلٌ على المرجة الخضراء قيل إنهُ من بناء الملك الظاهر كان من المتنزهات العظيمة تهدم فاخذ انقاضهُ

ونمي اليهِ ان في وادي كيوان طاحونًا قديمة على نهر بانياس تهدَّمت ولم يبقَ سوى اساسها فقطع ماء النهر واخرج ما هناك من اعمدة واحجار وظلَّ العملة والحجَّارة واهل البساتين يقلعون وينقلون والنهر مقطوع ماؤُهُ ١٢ يومًا . وفي خلال ذلك اولم حسن السفرجلاني وليمة شائقة لوالي الشام المشار اليهِ في قاعة ابن تُرْنق بالصالحية فرأى فيها ثلاث سروات طوال ضخام فطلبها لدارهِ ودفع لصاحبها شيئًا من المال فأبى فأخذها . ثم نقل الباشا من بصرى احجارًا وعمدًا من الرخام كثيرة العدد واخذ من مدرسة الملك الناصر في الصالحية عمدًا غلاظًا حملها على عجلات وجرَّها بالثيران وهدم سوق الزنوطية فوق حارة العمارة وكان كلهُ معقودًا بالاحجار كالقبو ففكهُ واخذ احجارهُ ونقل احجارًا من جامع يلبغا تحت القلعة واينما سمع ببلاط لطيف او عمد حسنة يأتي بها شراء و بلا شراء و يشغل العملة بكراء و بلا كراء

على هذا النحو تمَّ بناء هذه الدَّار بخراب كثير من الدور والآثار شأن كل المباني الضخمة هنا كالخانات والجوامع لا تستقل بعمارتها اليد الواحدة ولكن اذا جرى حكم السخرة المحظورة في قوانين الامم المتمدنة تتأتى إقامة كل اثر على اعظم هيأ كلهِ

وغير خاف ان الجوائح السماوية كالزلازل والاوبئة والمجاعات لا تعمل في خراب البلاد عمل الجوائح الارضية من ظلم وضياع حقوق وقلة امن كما ان الفتن الداخلية تكون في الغالب ابلغ نكاية وإغراقًا في نسف العمران من الفتن الخارجية . وفي التاريخ شواهد كثيرة تنهض دلائل على صحة هذه الدعوى فقد أُصيبت اوربا في القرون المتوسطة باوبئة لم تُبقِ ولم تَذر فلما هبت من رقدتها كانت كلا شيء وكذلك حدثت في اوائل النصف الثاني من القرن السادس في بر الشام زلازل خرَّبت المدن ودكت المعالم فقام نور الدين محمود بن زنكي واعادالبهِ بعدلهِ

رونقها احسن من ذي قبل ومثل ذلك قل عن الوباء الذي فشا سنة ٧٤٩ والقحط الذي سبقهُ

فما اصاب الشام اذًا من زلازل عام ١١٨٣ فهدم معظم المآذن والوفًا من الدور والجوامع والمحال العمومية والقرى التي ذهب بعضها بما فيهِ من حيوان وانسان والغلاء ضارب بجرانهِ والطاعون الجارف يودي بالانفس حتى صار يخرج من كل باب من ابواب المدينة كلَّ يوم الف جنازة وكذلك ما كان من الزلازل والاوبئة والمجاعات في القرن الماضي كان يمكن بعدهُ للبلاد إرجاع مجدها السالف لو لم تتغلب تلك الاسباب الارضية وتصح الامور صورية

محمد كرد علي

رواية امينة

الفصل الثامن

مضت عليَّ ساعة زمانية وانا افكِّر في ما صمَّمتُ عليهِ وفي ما ينال نافذ بك من فراقي وما ينالني من فراقهِ واذا انا بواحد يناديني باسمي ففتحت عينيَّ فرأيت نصرالله باشا نفسهُ واقفًا امامي فنظرت اليهِ والى ادهم بك وراءهُ مبهوتةً وانا اقول في نفسي ما اتى بهِ اليَّ وكيف تنازل الى هذا الحدّ . وكأنهُ رأى اضطرابي فتناول كرسيًّا وجلس وقال لي تعالي اليَّ يا امينة فقد قال لي ادهم بك انك تريدين مفارقتنا . فقلت "نعم" ولكن بصوت منخفض جدًّا حتى اضطرَّ ان يحني رأسهُ اليَّ ليسمعني . ثم قال احسنتِ فانهُ صار يتعذَّر عليكِ البقاء هنا بعد ان حدث ما حدث امس . واظن ان ادهماً مصيب في انكِ تجدين راحةً في بيت بنتي . ولا احب ان تتركينا مطلقًا ولكن ما دمتِ في بيت بنتي فانتِ في بيتنا كواحدة منا

وحاولت ان اشكرهُ على معروفهِ لكنهُ اسكتني قائلاً انتِ تعلمين بابنتي ان نافذًا لا يستطيع ان يتركك بسلام لانهُ مجنون ولا اظن انك تسلمين معهُ اذا طلب ان يكتب كتابهُ عليك سرًّا. وامرأتي مغتاظة جدًّا من مسألة هذه الورقة التي وجدتها تحت عتبتهِ. فهل تستطيعين ان تذهبي الآن

فذهلتُ من هذا السؤَال وقلتُ لهُ كيف استطيع ان اذهب الآن

فقال الامر سهل جدًّا ولا اعني ان تمضي الى بيت بنتي حالاً اذ لا بد من انتظار المركب الذي يذهب الى هناك ولكن يسهل عليَّ ان ارسلكِ الى بيت رجل اعرفهُ في قباطاش

وهو طبيب ويقابلك على الرحب والسعة وترسل امتعتك الى هناك والدراهم التي تركتها لك جدتك الا اذا فضلت ان تبقى عندي

فقلت " هذا هو الاحسن " وانا لا ادري ما اقول . والتفت هو الى ادهم بك وقال له ايقظ سليماً وقل له ليهيئ القايق -

فمضى ادهم بك وبقيت مع نصرالله باشا فقلت له الا يستغرب الطبيب ذهابي اليهِ في هذا الوقت من الليل

فقال لم يبقَ الوقت ليلاً فقد طلع الفجر ولا نصلين الى هناك حتى تشرق الشمس وسأرسل معك كتاباً اليهِ اخبره بواقعة الحال . ولما قال ذلك نهض ودنا مني ووضع يده على كتفي وقال صديقيني يا بنتي اني افعل ذلك رغماً عني ولاجل خيرك والله يعلم ان ما يظهر من الجفاء في معاملتي لك انما الغرض منهُ خيرك لا غير

فقلت نعم اني اعرف ذلك ثم وقفت عن الكلام لانني رأيتهُ يتبسم ورابني هذا التبسُّم لا سيما وانني كنت اظن ان ادهم بك اطلعهُ على كل ما اطلعتهُ عليهِ

وصمت دقيقة ثم قال . ولكن لا تستطيعين ان تمضي كما انتِ اين فرجيتك . فقلت له هُنا وقمت واتيت بها من وراء الباب

فقال حسناً البسيها . ولم يستغرب وجودها هناك فجزعت من ذلك لانني رأيت ان ادهم بك لم يخفِ عنهُ شيئاً فلبستها وانا اتصبب عرقاً من الخجل . وعاد ادهم بك حينئذٍ وقال اعددنا القايق فتعالي يا امينة . وتقدمت الى نصرالله باشا لالثم يده فانحنى وقبلني كأني ابنتهُ وقال لي بحفظ الله يا بنتي واستري ما رأيتِ منا وسامحي نافذا على طيشهِ . وسيرافقك ادهم الى بيت الطبيب

فشكرت فضله ثانية ومشيت مع ادهم بك فنزلنا الى الطابق الاسفل وسرنا الى الحديقة وكان القايق في انتظارنا عند الرصيف فلما نزلنا فيهِ التفت الى الدار التي اويت اليها وقضيت فيها اويقات السرور وقد خرجت منها كاني مطرودة طرداً ولا احد يعلم بخروجي منها لا ولية هانم ولا وحيدة هانم ولا كبجه ولا غيرها من الجواري ولم اودّع احداً منهن . نظرت طويلاً الى الدار والحديقة وقلبي يكاد ينفطر ثم غطيت وجهي بيديَّ واخذت ابكي وانتحب وجاس ادهم بك بجانبي ولم يفه بكلمة . ولما ابعدنا عن البيت ولم نعد نراه اخذ يديَّ بيديهِ وقال لي الله يعلم ان هذا خير لك

فقلت له وتكاد العبرات تخنقني نعم وانا اعلم ذلك ولكن ما حيلتي 'واء بك افندي هل

يليق بي ان اتركه على هذه الصورة من غير ان اقول له كلمة ومن غير ان ابين له سبب ذهابي فقال نعم وهذا خير له ايضاً لان مستقبله كله يتوقف على ما تظهرينهُ من الجلد هذه الليلة

فبقيت صامتة وانا احسب اني مخطئة في ما فعلتُ ولا اقدر ان ابرّر نفسي وخطر لي انهُ يحسب انني خفتُ من امهِ فهربت من وجهها من غير ان اهتم بهِ او براحة بالهِ . ولما خطر ببالي ذلك صغرتُ في عيني نفسي ولكنني رأيت ان لا سبيل الى رد ما فات لان القايق وصل حينئذٍ الى قباطاش فنزلنا منهُ ومشينا الى بيت الطبيب وهو قريب من الرصيف وكان النهار قد طلع ولكننا لم نرَ احداً لحسن الاتفاق والاَّ لحُلَّ ادهم بك على السنة الناس لخروجهِ معي في تلك الساعة . اما هو فلم يكن يبالي بذلك على ما ظهر لي بل مشى معي الى الباب وقرعهُ بيدهِ ففتح لنا خادم وقابلنا مدهوشاً من رؤيتنا فسأله ادهم بك عما اذا كان الطبيب في البيت فقال نعم ولكنهُ لم ينزل حتى الآن فقال قل لهُ ان ادهم بك هنا وخذ هذه السيدة معك الى غرفة تستريح فيها

فدخل الخادم وطلب منا ان نتبعهُ فتبعناه الى غرفة الاستقبال ثم اشار اليَّ ان اسير وراءه وصعد على سلم وقرع باباً في اعلاه فقالت له امرأة ماذا تريد يا علي آغا فقال ان ادهم بك بن نصرالله باشا هنا ويريد ان يرى الافندي فقولي له لينزل وافتحوا الباب حتى تدخل هذه السيدة

ففُتح الباب واذا انا بامرأة عمرها نحو ثلاثين سنة لابسة ثياب النوم فنظرت اليَّ مستغربة امري وقالت لي ادخلي يا حبيبتي وسانادي زوجي الآن . وادخلتني غرفةً مثل كل غرف الاستقبال في الاستانة فيها كنسول عليهِ ازهار من الشمع وفوقهُ مرآة كبيرة تحيط المقاعد والكراسي بجدرانها . وكان فيها شباك مفتوح فوقفتُ امامهُ واتكأتُ عليهِ ولم اشعر في حياتي كلها بما كنت اشعر بهِ تلك الساعة من الغم والكآبة وصغر النفس . وكان اكثر غمي خجلاً من نفسي . ثم دخلت صاحبة البيت ونظرت اليَّ وكأنها علمت ما بي فلم ترد ان تشير اليهِ في كلامها بل قالت اجلسي يا حبيبتي هل انت صائمة او آتيك بفنجان قهوة

فقلت بل انا صائمة . فقالت انزعي يشمكك ثم نزعتْ عني اليشمك والفرجية ونظرتْ الى ثيابي وهي الثياب التي كنتُ فيها في البستان ولم اكن قد غيرتها ولعلها استدلّت منها على انني لستُ من الهوانم لكنها بقيت على مؤانستها ومجاملتها وجلست امامي وجعلت تتكلم عن رمضان والحر وجامع قباطاش وعن كل موضوع خطر على بالها كل ذلك وهي حافية بقميص النوم ولا تبالي. فجاريتها في الكلام على قدر استطاعتي لان قلبي لم يكن فاضياً لها . وبعد ان

كلمتني ربع ساعة على هذا النسق سألتني من انا وقبل ان تتم سؤالها سمعت صوتاً يناديها باسمها صفيّة فقامت واعتذرت وخرجت قائلة هذا زوجي

واظنها خرجت تسأله عني فاسندت رأسي على الكرسي الذي كنت جالسة عليهِ وغصت في بحار الافكار وراجعت تاريخ حياتي من اولهِ الى آخرهِ كانهُ صورة مرّت امام ناظري و بعد نحو ربع ساعة عادت اليَّ مسرورة وضمتني الى صدرها واخذت تقبّلني . وقالت لي انكِ ستقيمين عندنا وانا مسرورة بذلك جدًّا وسترسل امتعتكِ اليكِ الآن وقد قلت للخادمة ان تسخن الحمام وانتِ طولي فاذا اردتِ ان تستحمّي يمكنكِ ان تلبسي ثيابي . ثم سارت بي الى الحمام وساعدتني في خلع ثيابي وخرجت واتتني بثياب غيرها وقالت لي اغتسلي والبسي هذه الثياب وانا ذاهبة الآن لاعدّ غرفتكِ

فشعرت بشيء من النشاط بعد الحمام وتبعتها فرأيتها ترتب غرفةً صغيرة فاخذت اساعدها في ترتيبها ولما اتمتها التفتت اليَّ وقالت عسى ان تنبسطي وتبقي عندنا مدة طويلة فاتسلّى بكِ لاني وحيدة . ثم تركتني ومضت فاستلقيت على ديوان صغير كان هناك واغمضتُ عيني وانا كأني في بحر ولم يكن الاَّ قليل حتى غلب عليَّ النعاس فنمت وبقيت نائمة الى قرب الغروب . وجاءت حينئذٍ ووضعت يدها على جبيني فاستيقظت فقالت لي حان وقت صلاة العصر ألا تصلين فنظرت الى ما حولي مدهوشة و بقيت لحظة لا ادري اين انا . ثم قالت لي لم تأتِ صناديقكِ حتى الآن ولكن جاء ادهم بك الى هنا منذ ساعة من الزمان وسأل عنكِ وقال ان صناديقكِ تأتي في المساء

فقمتُ وصليت وهي جالسة امامي ولما اتممت صلاتي نادتني لاجلس معها امام الشباك قائلة اننا نرى المأذنة والمؤذن من هنا حتى اذا اذّن المغرب ننزل حالاً ونفطر وانا احب هذا الشباك لاننا نرى منهُ الاحتفال بليلة القدر وسيحتفل بها بعد تسعة ايام ولا بدَّ من ان تكوني هنا و يزورني حينئذٍ كثيرات من الهوانم فاولم لهنَّ وليمة كبيرة . ثم سألتني عن يوم سفري فقلت لها لا اعلم لان ذلك متوقف على امر نصرالله باشا

فقالت نعم من غير شك وليس في الدنيا رجل مثلهُ . اظن ان جدتك كانت خادمة في بيتهِ فقلت لها " نعم " وانا اسأل نفسي ترى كم تعرف من امري . فقالت ولما رآكِ وحيدة بعد موتها اراد ان يرسلكِ الى بيت واحدة من اقاربهِ الله يرضى عليهِ

فقلت في نفسي اذًا لا تعرف من قصتي شيئًا

ثم قالت ألكِ احد من الاقارب هناك ولماذا لم يبقكِ في بيتهِ فانهُ غني جدًّا وما هي

نفقة اكلكِ وشربك بالنسبة اليهِ

فقلت لها لانني لم احب ان ابقى في بيتهِ

فحملقت فيَّ وقالت ولماذا ألا تحبين اسلامبول . انا ولدت هنا وكان ابي تاجرًا في طرابزون ولم يكن يريد ان يزوجني بالافندي ولكن لما رآهُ عاقلاً مواظبًا على شغلهِ قال انهُ الاحسن لي ان اتزوج بهِ ولو كان فقيرًا لان مستقبلهُ حسن ولا بدَّ من ان يرتقي مع الزمان لانهُ مجتهد . وانا أؤكد لكِ انهُ مجتهد جدًّا ولا بدَّ من ان يصير باشا و بالاخص لان نصرالله باشا صار يساعدهُ من الآن فصاعدًا بسببك . ثم وضعت ذراعها حول عنقي و باستني

وعند ذلك ضرب المدفع فنهضت وقالت ضرب المدفع ولا بدَّ من ان يكون الافندي في انتظاري

قالت ذلك وخرجت وتركتني مطمئنة البال لانني رأيت انها لم تعلم شيئًا من امري

الفصل التاسع

وقفت صفيَّة امامي وهي تقول اتدرين يا امينة من اتى الآن وسأل عنكِ وطلب ان يراكِ . قالت ذلك باسمةً مسرورةً . وكان في يدي منديل اطرزهُ فالتفتُّ اليها وقد خفق فؤادي وكان قد صار لي في بيتها ثلاثة ايام وقلت لها مَن . قلتَ ذلك وانا احاول ان اخفي اضطرابي

فقالت احزري . ان نصرالله باشا ارسل ابنهُ الثاني نافذ بك لكي يقول لكِ شيئًا . ما اغرب ذلك لماذا لم يرسل واحدًا من الخدم

فلم اجبها لانني رأيت ان ما خفت منهُ وقعتُ فيهِ فقد عرف اين انا . وجعلت اقول في نفسي هل انزل واقابلهُ او ارفض مقابلتهُ . ثم رأيت انني اذا رفضت مقابلتهُ اثير الظنون والشبهات في نفس الطبيب وزوجتهِ فانهما كانا يحسبانني مكرمة معززة من الباشا ماذا رفضت مقابلة ابنهِ ظنوا بي ظنونًا كثيرة. ثم قلت في نفسي ترى ألا يجب عليَّ ان ابين لهُ سبب خروجي من بيت ابيهِ على هذه الصورة أوَ يستحق مني هذا الجفاء وقد خاطر بكل عزيز لديهِ لاجلي وكان يصعب عليَّ ان اقول في وجههِ انني صممت النية على عدم الاقتران بهِ ولكن ما دمتُ قد صممت نيتي فما الفائدة من اخفائي ذلك عنهُ

وقمت لانزل معها فنظرتْ اليَّ مستغربةً وقالت اتنزلين هكذا من غير ان تغطي رأسك . فوقفتُ مضطربة والتفتُّ الى الديوان واخذتُ منديلاً كان ملقى عليهِ ووضعتهُ على رأسي فلم امنعها ولكنني اشمأززت من هذا التظاهر بالحياء ومن نفسي ايضًا . ثم قالتْ لي انزلي الآن

فانهُ في السلاملك فنزلت ورأيت علي اغا فسألتهُ عما اذا كان سيدهُ هناك فقال لا ففتحت الباب وانا لا ادري هل يجب ان أُسرَّ او اساء لانني التقيت بهِ وحدنا . وكان واقفاً بجانب طاولة فلما دخلت دنا مني وامسك بيديَّ ونظر في وجهي وضمني الى صدرهِ وقال لي ماذا فعلت بنفسكِ يا امينة فقد صرتِ كالخيال

فقلت لهُ ما اتى بك الى هنا لماذا أتيت ألم يكن الافضل لك ولي ان لا تأتي الى هنا

فقال لماذا تقولين ذلك اتصدقين اني اتركك تذهبين من غير ان اعرف سبب ذهابكِ

فقلت لهُ وما الفائدة من ذلك فان اباك قد رفض رفضاً باتاً

فقال لماذا اريتِ ورقتي لادهم ولماذا لم تثقي بي

فقلت لانني لا اريد ان ادخل بيتاً غصباً عن اهلهِ

فقال هل هذا هو الكل . اعلمي يا حبيبتي انكِ متى صرتِ زوجتي اضطرَّ ابي وامي وكل احد ان ينظر اليكِ كما ينظر اليَّ فلا تدعي هذا الوهم يغلب عليك . ومتى كُتب كتابنا نذهب من هذه المدينة فلا تعودين تخافين من امي . تعالي يا امينة ألا تؤكدين اني احبك صدقيني اني اتوسل اليكِ بذلك من اجل نفسي فانكِ انتِ وحدكِ قادرة من تخليصني من عاقبةٍ الموتُ خير منها . نعم اذا رفضتِ الاقتران بي لا اموت وما من احد مات حباً بل ربما اسلوك واقترن بامرأة أُخرى لا اعرفها ولا توافق ذوقي امرأة تنظر اليَّ كأني سيد لها وانا انظر اليها مثل ام لاولادي لا غير

فقلت لهُ لا بدَّ من انك تجد كثيرات من بنات الاتراك اصلح لك مني كثيراً . قلت ذلك على غير ارادتي لانني كنت اراهُ يتكلم بجد وصراحة وكلامهُ خارج من اعماق قلبهِ

فقال اني لا انكر ذلك ولكن ما ادراني كيف تكون طباع التي تكون من نصيبي فان امي تذهب الى بيت فترى ابنة تعجبها وهي لا تعرف شيئاً من اخلاق النساء وطبائع الناس وكيف تستطيع ان تفرق بين الحشمة الحقيقية وبين التظاهر بها كما يتظاهر اكثر البنات امام من تأتي لخطبتهنَّ . وَهي انني وجدتُ ابنة عاقلة ادبية تستحق كل محبتي واكرامي فهل يجوز لي ان اقترن بها بعد ان تعلق قلبي بكِ . صدقيني يا امينة انني لا استطيع ان احب ابنة أُخرى كما احبكِ

فوضعت رأسي على كتفهِ والدموع ملءُ عينيَّ وقلتُ لهُ بصوت منخفض وانا احبك ايضاً ومع ذلك ارى ان لا بدَّ من افتراقنا اتظن انهُ يمكنني ان احب شخصاً آخر لو كان ذلك في استطاعتي ما رفضت داود

فقال كيف رفضتهِ وقد سمعتُ انك اتيتِ الى هنا لتقترني بهِ فان كنتِ تحبينني لماذا لا تصدقينني ان البيوامي يعترفان بك حالما يكتب كتابي عليكِ ولا يعودان يقولان شيئاً

فقلت لهُ اني لا انكر معروفهما فقد قبلاني في بيتهما وعاملاني مثل بنتهما

فقال وختما هذه المعاملة بهجوم امي عليكِ حتى لولا قليل لقتلتكِ و بطردها اياكِ من بيتهما في ظلمة الليل كانكِ من اللصوص ولذلك تضحين نفسكِ وحبكِ مرضاةً لها .

فقلت انَّ الباشا لم يكن يقصد الاَّ خيري ووقايتي من امك

فقال "بالله عليكِ لماذا لم يقف مثل رجل ويقل لزوجتهِ اليكِ عن هذه الفتاة . أخوفهُ من زوجتهِ جعلهُ يأمر القابجي لكي لا يخبرني الى اين اتى بكِ حتى اضطررت ان ارشيهُ لكي يخبرني" . وحاولتُ ان اتكلم فاسكتني قائلاً اني لم آتِ الى هنا لاسمع صدى صوت ادهم بك . الله يعلم انهُ وعظني مواعظ لا يزال صوتها يرنُّ في اذنيَّ . وغاية الامر اني لا اسمع لوم احد فقد قلتِ لي الآن انكِ تحبينني وما دمتِ تحبينني فانتِ لي ولا يفرق بيننا الاَّ الموت

فقلتُ لهُ ما دام ابوك يرفض اقترانك بي فانا لا يمكن ان اقترن بكَ وهذا ختام الامر

فقال مازحاً لماذا لا تضعين ورقةً أُخرى تحت عتبة غرفتهِ حتى يسلم باقترانِي بكِ . انتِ تعلمين اني لا اصدق بهذه الخرافات ولكنني احبُّ ان اعرف لماذا تكتبين لي ورقة محبة اذا لم تكوني مهتمة بالاقتران بي

فعلتني حمرة الخجل حينئذٍ ونظرت اليهِ وقلت ان بوار هي التي جلبت تلك الورقة ووضعتها . وقد كذبتْ هي وشاكر آغا لما قالا اني انا جلبتها ووضعتها

فقال لقد صدقتِ وكان من جنوني اني صدقتُ ان حبكِ لي يدعوكِ الى مثل هذا العمل فان حبكِ لي لا يحملكِ على ان تشغلي بالكِ لاجلي

فقلت لهُ ودموع الغيظ تجول في عينيَّ لقد ظلمتني يا نافذ بك ولم تنصفني اتحسب اني لا احبك لاني لم اشأ ان ادعك ترسل اليمن حيث تدفن حيًّا

فقال ومَن قال لكِ ذلك . فلم اجبهُ فقال اذًا ادهم . امينة اسمعي كلامي ولا تدعي هذا الرجل يدجِّل عليكِ فاني اعرف مقاصدهُ ونياتهِ

فقلتُ لهُ اليكَ عن هذا الكلام فان ادهم بك من اشرف الناس واجلهم وهو الرجل الوحيد الذي امكنني ان ألجأ اليهِ وقت الشدَّة

فقال بارك الله لكِ فيهِ . وسار نحو الباب ليخرج لكنهُ عاد ونظر اليَّ نظر مَن ثقلت عليهِ الهموم والغموم وامسك بيديَّ وقال "كيف استطيع ان ابين لكِ اني لا استحق هذه المعاملة

منكِ اني احبكِ من صميم قلبي حبًا طاهرًا نقيًا وانتِ تعاملينني كأن حبي لكِ عارٌ عليكِ .
ألا تصدقين ان مستقبلي كلهُ في يدكِ ". واردتُ ان اتكلم فمنعني عن الكلام قائلاً نعم نعم
ان ابي توعدني بارسالي الى اليمن والحياة هناك تعب وهلاك فهل رأيكِ فيَّ ضعيف الى هذا
الحد حتى تحسبي اني اخاف من الذهاب الى هناك

فقلت انك لا تخاف من الذهاب ما دمتَ في سبيل الشهرة والمجد ولكن اذا نُفيت الى هناك
نفيًا فاي نفع تنتظر . وحالما يُعلم ان نصر الله باشا اقصاك عنهُ لا يعود رؤساؤك يحسبونك الاَّ
واحدًا من عامة الجند

فقال وما ضرَّني فاني احبُّ شغلي واسرُّ بهِ هنا وفي اليمن على حدٍّ سوى وما دمتِ معي لا
فرق عندي بل امضي الى جهنم مسرورًا

فقلت لهُ هذا تقولهُ الآن ولكن مَن يعلم ما تقول بعد عشر سنوات او عشرين سنة لان
مدة نفيك قد تطول اكثر من ذلك

فقال هبي اني عشت عمري كلهُ منفيًا فهذا لا يهمني ألا تصدقين يا امينة انني لو بقيت
هناك ثلاثين سنة لا يمكن ان تسمعي مني كلمة لوم او تذمُّر

فقلت ولكن أيقلُّ ألمك اذا لم تشكُ أوَ لا يكون اسهل عليَّ ان اسمع اللوم والتذمر من
ان اعلم انك تحتمل في قلبك ولا تتذمَّر علانيةً

فامسك يديَّ بيديهِ ونظر في وجهي وقال قولي لي الحق أتحبينني

فنظرت في وجههِ ولم اتمالك ان نزعت يديَّ من يديهِ وادنيت رأسهُ مني وقبلتهُ وقلت لهُ
هذا جوابي اصدَّقت اني احبك

فقال ما دمتِ تعلمين ما هو الحب فلماذا تبقين على هذا الاصرار وتخافين اني اندم يومًا ما
على ما فعلت

فلم اجاوبهُ لانني شعرت بخجل شديد مما فعلت وقامت عليَّ كل التعاليم التي تعلمتها وكل
الوصايا التي سمعتُها توبخني وتونبني على ما فعلت . والظاهر انهُ اتخذ سكوتي تسليمًا لهُ فقال
الحمد لله لقد رأيتِ بنفسكِ ان لا فائدة من هذا العناد تعالي وغدًا نذهب الى القاضي
فيكتب كتابنا

فقلت لهُ كلاَّ كلاَّ لماذا تريد ان تزيد مرارتي مرارةً . وقبل ان يجيبني قُرع باب البيت فسار
اليهِ وفتحهُ وقال جاء ادهم والتفت اليَّ عابسًا وقال قولي لهُ انكِ كنتِ تدافعين عنهُ . فلم
اجبهُ اولاً لانني كنتُ اقول في نفسي ترى ماذا يقول ادهم بك عن وجودي مع اخيهِ وحدنا

ثم قالت لهُ ألا تستطيع ان تخرج قبل دخولهِ . فقال ولماذا ألا تظنين اني اقدر ان اقول لهُ ان لا بد لكِ في مجيئي الى هنا

وقبل ان اجيبهُ دخل ادهم بك وهو عابس ولكنهُ لم يبدِ اقل استغراب من وجود اخيهِ معي بل قال لي سألتُ علي آغا عنكِ فقال انكِ مع نافذ فلم احسب انكِ تعدّين دخولي تطفلاً ولذلك دخلتُ

فحاولت ان اجيبهُ ولا اعلم ماذا قلتُ لانني رأيت الغضب في وجههِ . ثم قال ارى ان مجيء نافذ الى هنا قد المكِ كثيرًا ولكن الحمد لله سنضع حدًّا لذلك

فقال لهُ نافذ بك لا تعِد باكثر مما تستطيع ان تفي واحبُّ ان اعرف ماذا تفعل حتى تمنعني من المجيء الى هنا اذا اردت المجيء

فاجابهُ اني سآخذها الى حيث لا تستطيع ان تصل اليها وتعذبها فقد ارتني هذه الشهور الثلاثة انهُ من العبث ان نعتمد على شهامتك وحسن ذوقك

فقال نافذ بك واي نقص رأيتهُ في شهامتي وحسن ذوقي ولا انكر انك من اعرف الناس بهذه الامور فاذا اريتني موضع النقص سلمتُ لك حالاً

فقال ادهم بك ألا ترى ان كل ما اصاب هذه البنت اصابها بسبب حبك لنفسك ألا ترى انهُ لولاك ما كانت اضطرَّت ان تترك البيت الذي ربيت فيهِ حيث كانت مكرَّمة معزَّزة

فقال نافذ بك نعم اني احب نفسي ولكني اقصد بحبي لنفسي ان اعطي أمينة بيتًا آخر ارجو ان تعيش فيهِ اسعد مما عاشت في البيت الذي تركتهُ وتكون مكرَّمة معززة كما كانت في البيت الذي تركتهُ فهل عدم حبك لنفسك يعدها بشيء احسن من هذا

فنظر اليهِ ادهم بك نظر الاستغراب والاستفسار ثم قال لهُ لقد امرني ابي بحمايتها فصار ذلك فرضًا عليَّ ولا بدَّ من القيام بهِ الى النهاية . وهذا اقل ما يجب علينا لها بعد ان عادتها امي بسبب طيشك ولذلك لا بدَّ لي من ان انظر في راحتها وسلامتها. ثم التفت اليَّ وقال اراكِ صفراء شاحبة يا بنتي اجلسي مكانكِ ألا تظنين انكِ تستطيعين الذهاب الآن . والتفتَ الى نافذ بك وقال لهُ هل اعماك جهلك حتى لا ترى انك تكاد تقتلها فهل من المروَّة وحسن الذوق ان تجبرها على مقابلتك وانت ترى انها ما عادت تستطيع الوقوف على قدميها

فقال لهُ نافذ بك ان مرضَتْ فانت تكون سبب مرضها لا انا لانها تحبني كما احبها وانت تشير عليها ان تعمي قلبها وتميت عواطفها ارضاءً لابي وان تضحي كل ما تنتظر من السعادة في هذه الحياة واراك تستغرب مع ذلك انها رزحت تحت هذا الحمل وخارت قواها . تقول اني

اجب نفسي فهل تقسم بشرفك انك لم تكن تحب نفسك وتسعى في مصلحتك حينما اخبرتها ان اقترانها بي يعود بالعار عليها

ولما قال ذلك نظرت اليهِ مبهوتة مرعوبة واصفرَّ وجه ادهم بك فصار كالاموات وكان جالساً امامي فرأيت في وجههِ علامات من يحاول كظم غيظهِ فلا يستطيع وكان مطرقاً الى الارض حتى لا ارى من عينيهِ الا رموشهما ثم رفع رأسهُ وفتح عينيهِ بغتة فخفق فؤادي وكأنهُ كان يراجع نفسهُ بين ان يتكلم او لا يتكلم ثم قال ماذا تعني قل لي ماذا تعني. هذه هي المرة الثالثة التي لحت فيها هذا التلميح قل لي صريحاً ماذا تعني وبماذا تتهمني

فتوقف نافذ بك عن الجواب وكنت ارى في اضطرابهِ ان عقلهُ كاد يغلب على حدة طبعهِ واخيراً حوَّل جوابهُ الى صورة سؤال وقال اني اسألك واطلب منك الجواب لو كانت بوار صاحبة الشأن في هذه المسألة أكنت تدافع عنها أو كانت قلة شهامتي ومروءتي تلجئك الى ان تعاملني هذه المعاملة

سكوت تام . كان ادهم بك جالساً امامي على جانب من الطاولة واخوهُ على الجانب الآخر مقابلهُ وكان النور واقعاً عليهما كليهما على السواء ورأيت على وجه نافذ بك اشارة الابتسام وهو ينظر الى اخيهِ اما اخوهُ فالظاهر انهُ لم يرَ ذلك لانهُ كان ينظر الى الحائط من فوق رأس اخيهِ وعلى وجههِ امارات الكرب الشديد كأنهُ كان يحارب نفسهُ وقد ذهل عمن حولهُ . فلم يجب اخاهُ ولا نفى التهمة التي اتهمهُ بها وكأنَّ نافذ بك ندم على ما فرط منهُ فلم يكرر السؤال بل التفت اليَّ وقال انا ذاهب الآن يا امينة افتكري بكلامي يا حبيبتي وغداً اعود وارى جوابك الاخير . ثم سار نحو الباب وقبل ان يخرج ناداهُ ادهم بك قائلاً انك اتهمتني تهمة فظيعة فتعال واسمع جوابي . لو طلبتَ ان تقترن ببوار او باية امرأة كانت ضد خاطر ابي لكنتُ اشير عليها ان ترفض طلبك وكنت احسب نفسي مصيباً في ما فعلتُ . ولا يمكنك ان تقترن بامينة من غير رضى ابي لانك تكون قد خرقت خرقاً اوسع من ان يرقع عدا عما ينالك من الضرر بسبب ذلك لانك تتلف مستقبلك . ولو علمتُ ان كلامي يؤثر في ابي الآن او في مستقبل الايام لكنت احثها على البقاء ثابتةً في محبتك ولكنك تعلم ابي كما اعلمهُ انا وهو وان كان بعيد الغضب لكنهُ بعيد الرضى ايضاً ولا يرضى ابداً على من يخالف لهُ قولاً عن عمد فان كانت ذمتك تطاوعك حتى تقول انك قادر ان تجعلهُ يحول عن عزمهِ يوماً من الايام فانا معك واساعدك على الاقتران بها غداً . فهل تنتظر مني اكثر من ذلك دليلاً على حسن نيتي وخلوص طويتي

فمدَّ اليهِ نافذ بك يده' وقال ارجو المعذرة اغا بك كان يجب عليَّ ان لا اتكلم كما تكلمت ولو لم اصر نصف مجنون بالفشل الذي نالني ما كنت' تكلمت' هذا الكلام . ومع ذلك فخير لك ان لا تتعرَّض لهذهِ المسألة بل دعني وابي نختصم ونفتصل وتعرُّضك لهذه المسألة لا يجدي نفعاً بل يعرضك للشبهات . واني اعلم كما تعلم ان ابي لا يصفح عني ولكن تصرُّفهُ هذا لا يوجب عليَّ طاعتهُ وخير لك ان لا تنتصر لي ولا له'

فلم يجبهُ ادهم بك وتظاهر بانهُ لم يرَ يده' ممدودة اليهِ لتصافحهُ فانزل نافذ بك يده' الى جنبهِ وانتظر دقيقة من الزمان ولما لم يرَ من اخيهِ جواباً دار وسار حتى اذا بلغ الباب التفت الى اخيهِ ثانيةً وقال له' ان كنتَ تبقى ضدي فلا تعجب اذا اضطررت ان انظر اليك نظر العداء وان انسى الاحترام الواجب عليَّ لك. اما من حيث صرفي عمّا عزمت عليهِ فاعلمْ انك لا تقدر على ذلك مطلقاً . قال ذلك وخرج وغطيت انا وجهي بيديَّ ووددت ان اكون وحدي حتى لا ارى احداً

وبقي ادهم بك في الغرفة ومشى الى الشباك وتطلّع الى البحر كانهُ يريد ان يكون على ثقة من ذهاب اخيهِ . ولبث هناك مدة ثم التفت اليَّ وقال متمهلاً مع ان الغيظ كان اخذاً منهُ كل مأخذ اراكِ غير قادرة على ان تحتملي اكثر من ذلك وقد اتيت الآن لاخبركِ ان امي سلّمت بذهابكِ الى بيت اختي . وستمضي السفينة غداً ولذلك يظن الباشا انهُ خير لكِ ان تسافري فيها افتستطيعين السفر غداً

فقلت نعم لان صناديقي لا تزال مربوطة فهل نذهب غداً صباحاً . فقال نعم وساستدعي الطبيب الآن واوضح له' الامر . فقمت ومشيت نحو الباب وخرجت ولم يقل لي كلمة اُخرى وصعدت الى غرفتي واقفلت بابي وانطرحت بجانب سريري

الفصل العاشر

قمت في الصباح التالي ورأسي يكاد ينصدع وانا كريشة تهب الرياح لا ادري الى اين امضي ولا ما يأتيني بهِ الغد ولذلك ودَّعت صاحبة البيت وانا لا اعلم اني اودعها وجاءني سليم آغا وهو من خوَل نصر الله باشا وقال لي ان مولاه' امره' ليمضي معي الى بيت ابنتهِ ويوصلني الى هناك . ورأيت ادهم بك في انتظاري على الرصيف فامسك بيدي واصعدني على السلم الى السفينة ثم انزلني الى الغرفة المعدة لي وقال ستصلين المدنية قبل المساء وتنتظرين القافلة هناك يوماً او يومين وقد كتبتُ الى اختي مع البريد الماضي ولكني لا اظن ان كتابي يصل اليها في الوقت لترسل لكِ ركوبةً ولكنها تعلم الآن بذهابك اليها وتنتظركِ وقد اخبرتها من قصتكِ

ما يغنيكِ عن الاجابة عن مسائل يصعب عليكِ الجواب عنها . ووقف عن الكلام قليلاً ثم قال ان ابي يسلّم عليكِ وكان يحبُّ ان يأتي بنسهِ لوداعكِ ولكنهُ خاف ان يلحظ نافذ ذلك وقد بعث اليكِ هذه المئة الليرة وهي ليست من دراهمكِ واعطتني امي هذه الصرة لكِ وفيها الحلى التي تركتها جدتكِ

وكان من عادتهِ ان يتكلم متمهلاً اما الآن فكان يتكلم على غاية السرعة وكانت امارات الكدر الشديد على وجههِ وتحت عينيهِ دائرتان سوداوان دلالة على انهُ لم ينم في الليل الفائت

وقال بعد ان سكت مدةً مع السلامة يا بنتي ديري بالك لنفسكِ

فامسكت يدهُ وقبّلتها وافتكرت حينئذٍ باخيهِ فضاق صدري ولكنني صرفت هذا الفكر عن بالي حالاً لكي لا ادعهُ يلحظ عليَّ شيئاً . ومشى خطوةً نحو الباب ثم عاد اليَّ وامسك يديَّ بيديهِ ونظر في وجهي ملياً كأنهُ يتضرَّع اليَّ فاستغربت ذلك منهُ لانني كنت اراهُ قبلاً من اصلب الناس ثم قال اتصدقين يا امينة انني لم افعل الاَّ ما يجب فعلهُ في هذه الاحوال واني كنت اودُّ من كل قلبي ان تقترني بنافذ ولكني لم اجد الى ذلك سبيلاً

فقلت لهُ نعم اعرف انك فعلت ما يجب فعلهُ ولا انكر جميلك ومعروفك يا ادهم بك ولاسيما في ساعة الضيق وساحفظ لك ذلك ما دمت حيَّة

فاشرق وجههُ قليلاً وانحنى وقبَّلني في جبيني وقال لي الحمد لله فقد فرجتي غمومي ثم دار وخرج وتركني وحدي

ستأتي البقية

اغنياء اميركا

(تابع ما قبله)

(٤) يوسف ليتر ملك الحنطة

هو شاب في مقتبل العمر وابوهُ من سكان الشارع الخامس في نيويورك اي من اغنياء اميركا المعدودين . بدأ الاحتكار وهو دون العشرين من عمرهِ وذلك انهُ اشترك مع بعض المضاربين في شراء الحنطة من اميركا واوربا في ٢ ابريل سنة ١٨٩٧ وكان ثمن البشل اولاً ١٥ غرشاً فلم يمضِ على ذلك اربعون يوماً حتى بلغ ٣٥ غرشاً . ثم هبطت الاسعار بالمضاربات فعاد ليتر الى شراء الحنطة البشل بثلاثة عشر غرشاً وظلَّ يفعل ذلك حتى اجتمع لديهِ ٣٥ مليون بشل . واتفق نزول الارزاء على الولايات التي يرد القمح منها كجيورجيا وفلوريدا واحترق

كثير من مخازن الحنطة فارتفع سعر البشل الى ٣٨ غرشاً فباع نحو ٢٥ مليون بشل في اوربا وبلغ ربحهُ من هذه التجارة مليون جنيه قبل ان يمضي عليهِ ١٤ شهراً

غير ان هذا الاحتكار لم يدم طويلاً فان المضاربين في الحنطة لما رأوا ان كثيرين منهم افلسوا بسبب ليتر اعتصبوا عليهِ وكان لا يزال عندهُ ١٥ مليون بشل وساعدهم في اعتصابهم اقبالِ المواسم سنة ١٨٩٨ فلم يمضِ ستة اسابيع حتى نزلت الاسعار فخسر ما كان قد ربحهُ ونحو مئتي الف جنيه فوقهُ لان بقية شركائهِ تخلوا عنهُ فوقعت الخسارة كلها عليهِ وعاد الى والدهِ وقد ملأَت شهرتهُ البلاد رغماً عن فشلهِ الاخير

ولم تؤثر هذه الخسارة فيهِ لانهُ لم تمضِ اسابيع قليلة حتى شرع في احتكار اللبن فربح منهُ كثيراً

وعائلة ليتر اسرائيلية الاصل وكان ابوهُ ليثي ليتر احد ملوك الفضة وهو من اكبر اغنياء الشارع الخامس ووالدتهُ يضرب بها المثل في البساطة وقد ساحت في الشتاء الماضي في القطر المصري واختهُ ماري ليتر هي اليوم لادي كرزون زوجة حاكم الهند ويفتخر الاميركيون ان منهم زوجة رجل يحكم على ٣٠٠ مليون من النفوس

ومما يحكى عن سذاجة والدتهِ انها سُئلت يوماً بعد عودتها من سياحتها في الشرق عمَّا اذا كانت زارت الدردنيل فاجابت نعم وهو غاية في الرقة وقد تعشيتُ عندهُ مرتين

ولم اقف على تقدير ثروة هذا البيت ولكن الذي يضارب بالملايين يكون عندهُ كثير منها

(٥ و ٦) جاي جولد وكرنيليوس فندربلت ملكا السكك الحديدية

بقي هذان المثريان سنين عديدة قابضين على جميع السكك الحديدية في اميركا يرفعان اجورها ويخفضانها فيحكمان على اسعار اسهمها وعلى اثمان جميع البضائع حتى المأكولات التي عليها مدار الحياة . وقد توفي الاول منهما وبقي الثاني سنين عديدة يدير اعمالهُ من منزلهِ في الشارع الخامس في نيويورك لانهُ كان مقعداً حتى توفي منذ مدة قصيرة . وكثيرون في مصر يذكرون مجيئهُ الى هذا القطر منذ عامين تبديلاً للهواء

والفرق بين جولد وفندربلت ان اولهما عصامي والثاني ورث المال عن ابيهِ وجدهِ . ولم يكن جولد يعرف شيئاً عن السكك الحديدية وكيفية ادارتها فلذلك لم ينظر اليها من حيث ادواتها ومهماتها وطرق تشغيلها بل من حيث اسهمها اذ كان معظم همهِ موجهاً الى جمعها وكان حقيقةً ملك البورصة ايضاً يتلاعب بالاسعار كما يشاء فيخفضها تارة ويرفعها اخرى وبذلك يزيد ممتلكاتهِ من السكك الحديدية يومياً

اما فندربلت فالتجأ في اعماله الى الاحتكار فاذا القى شباكهُ ليصيد بها شركة ما لم يهنأ لهُ عيش حتى يقبض عليها فيهددها بانشاء شركة اخرى و يشتري ديونها حتى تصبح تحت رحمتهِ. وقد اتعبتهُ الشركات في اول الامر وقاومتهُ طويلاً حتى تمكن من عدة منها فلما رأت البقية ما حلَّ برفيقاتها سلَّمت اليهِ عند اول اشارة بدت منهُ

وكان لكلٍّ من جولد وفندربلت سكة حديدية تصل بين نيويورك وحدود كندا فجعل الناس يفكرون في ما عسى ان يكون من امر هذين المثريين. ايبتلع احدهما الآخر ام يبقيان سلماً من غير ان يزاحم احدهما الآخر. وقد ادرك جولد وفندربلت ان نتيجة المزاحمة خراب المغلوب منهما فامتنعا عنها حتى اتفق يوماً انهما اختلفا على امرٍ ما في الكلوب واضمر كلٌّ منهما الشر لصاحبهِ. وكانت اكثر اعمال سكتيهما مقتصرة على نقل المواشي من كندا الى نيويورك وهما ينقلانها بتعريفة واحدة وهي خمسة جنيهات اجرة شحن العربة الواحدة فاعلن فندربلت انهُ خفض الاجرة وجعلها اربعة جنيهات فخفضها جولد وجعلها ثلاثة ثم انزلها فندربلت الى جنيهين وزادا في التخفيض حتى اوصلها فندربلت الى ٢٠ غرشاً صاغاً فلم يوصلها جولد الى ذلك فاضطرَّ ان يوقف عملهُ وظهر ان قد ثبت الفوز لفندربلت غير ان فوزهُ كان وهمياً فان خسارتهُ زادت بازدياد الشحن في قطراتهِ اما جولد فلم تعد قطراتهُ تنقل شيئاً كما تقدَّم ومع ذلك لم يظهر عليهِ انهُ كان يخسر شيئاً. وعرف فندربلت سرَّ المسألة وهي انهُ لما رأى جولد ان اجرة الشحن بقطرات فندربلت صارت دون الطفيف وان منها خسارة لا ربحاً اغتنم الفرصة لشراء المواشي في كندا وجعل يشحنها بقطرات فندربلت فتصل الى نيويورك ويبيعها للجزارين فيربح بها ما يخسرهُ فندربلت بنقلها. وقد قدرت ثروة جولد منذ اثنتي عشرة سنة بخمسة وخمسين مليوناً من الجنيهات كما ترى في المجلد الثالث عشر من المقتطف وقدرت ثروة فندربلت حينئذٍ بخمسة وعشرين مليوناً وكانت ثروة ابيهِ خمسين مليوناً. ولفندربلت وابنة جولد حسنات ومبرات كثيرة

وللسكك الحديدية ملك آخر ظهر حديثاً وهو

(٧) جيمس هل

ولد في كندا وكان ابوهُ فلاحاً ولكنهُ تعلم في المدارس العالية بخلاف زملائهِ من ارباب الثروة العصاميين. وقصد والداهُ اولاً ان يجعلاهُ قسيساً غير انهُ غيَّر رأيهُ بغتة فترك مدرسة اللاهوت واستخدم كاتباً في دكان بدَّال ثم في شركة وابورات على نهر المسيسبي باجرة عشرة غروش في اليوم ولما لم يقنعهُ ذلك صار وقاداً في تلك الوابورات ورأى رؤساؤهُ فيهِ

النباهة فجعلوهُ من مستخدميهم ولما نشبت الحرب الاهلية ساعد كثيرًا في نقل الجنود والمهمات الى الولايات الشمالية وارتقى رويدًا رويدًا حتى صار مديرًا للسكة الحديدية من سان بول الى الباسيفيكي فظهرت قوى عقلهِ المالية والاقتصادية واشترك معهُ بعض ارباب الاموال فبنى خطوطًا حديدية جديدة وامتاز بالصدق والامانة فاتسع نطاق اعمالهِ واتسعت ثروتهُ فبلغ طول الخطوط الحديدية المنوطة بهِ ادارتها اكثر من ١٨٠٠٠ ميل وبلغ دخلهُ اليومي منها نحو الف ومئتي جنيه عدا عن دخلهِ من اعمالهِ الصناعية . وتحت امرهِ الآن ثلاثون الف عامل تبلغ اجورهم ثلاثة ملايين من الجنيهات في السنة ولهُ ١٥٠٠ قاطرة و ٤٠٠٠ مركبة من مركبات الركاب و ٨٠٠٠٠ من عربات البضائع وتبلغ ثروتهُ التجارية وثروة شركائهِ اكثر من ١٧٠ مليون جنيه ولهُ شغف بالفنون الجميلة وفي منزلهِ اثمن الاثاث وكثير من صور المصورين المشهورين مما تقدر قيمتهُ بالملايين من الفرنكات

(٨) عائلة استور ملوك الاملاك العقارية .

وهي العائلة الوحيدة التي لم تستعمل الاحتكار والمضاربات في جمع الاموال . اصلها المالي هاجر مؤسسها جون استور الى اميركا واقام سنة ١٧٩٠ في نيويورك يتاجر بالآلات الموسيقية فنجح كثيرًا . وكانت نيويورك اذ ذاك مدينة صغيرة وحولها اراضٍ واسعة فبلغهُ ان كثيرًا من هذه الاراضي معروض للبيع فباع مخزنهُ وجمع ما لهُ من الاموال واشترى ارضًا بخمسة وعشرين الف جنيه ثم زاد عليها ارضًا اخرى بعد ذلك . وعلم ان مصير تلك المدينة الى النمو والعمران فجمع اولادهُ قبيل وفاتهِ واستحلفهم ان لا يبيعوا شيئًا من اراضيهم مهما كانت الحال فحافظوا على وصيتهِ وكان ذلك سبب ثروتهم

وكان من جون استور حينما اشترى تلك الارض انهُ باشر حالاً بناء المنازل فيها ولما كانت نيويورك تنمو بسرعة كانت اجور المنازل فيها ترتفع ايضًا فيزيد استور البناء وشراء الاراضي الجديدة حتى قال عنهُ معارفهُ انهُ يشمُّ رائحة الاراضي الموافقة لبناء المنازل على بعد الف ميل ولو كان مصابًا بزكام شديد

واتفق ان احد اصحاب الاملاك اراد المهاجرة الى المكسيك فاشترى استور املاكهُ بنحو خمسة عشر الف جنيه ومن ثمَّ اتسع نطاق ثروتهِ . ولو اقتصرنا في حسابنا على الارض التي اشتراها اولاً بخمسة وعشرين الف جنيه وشيَّد فيها المنازل الشامخة لوجدنا ان دخلها يبلغ اليوم نحو اربعة ملايين من الجنيهات وكلها واقع الآن في قلب المدينة فهي اشبه بساحة الاوبرا في القاهرة . ولم يقتصر اولادهُ على ذلك بل اضافوا الى اعمالهم تسليف النقود برهون

على عقارات فاذا جاء الميعاد ولم يدفع الدائن استولوا على العقار المرهون

وقد حسب بعضهم كيفية نمو ثروة هذه العائلة فرأى ان مؤسسها جون استور كان يمتلك نحو اربعين الف جنيه في اوائل هذا القرن ثم بلغت ثروة ابنهِ اربعة ملايين جنيه وبلغت ثروة حفيديهِ اربعة عشر مليونًا من الجنيهات . وترك هذان الحفيدان خمسة اولاد بلغت ثروتهم ٥٦ مليونًا من الجنيهات وترك هؤلاء ١٣ ولدًا تبلغ ثروتهم الآن ٧٥ مليونًا من الجنيهات وهي في زيادة مستمرة . ولا يدخل ضمن هذا المبلغ ما ذهب الى الاصهار صداقًا او انتقل الى غيرهم بطريق الارث ولا ما صُرف في شراء الاملاك خارج نيو يورك كالقصر الذي اشتراهُ وليم ولدروف استور في انكلترا بنصف مليون جنيه وهو يسكنهُ الآن . وثروة هذه العائلة هي نتيجة عمران الولايات المتحدة وخصوصًا مدينة نيو يورك

(٩) تشارلس فايروَل ملك المزارعين

واصلهُ من اعضاء مجلس الشيوخ في اميركا . حدث منذ اربع عشرة سنة ان سكان ولاية تكساس وهي اكبر الولايات المتحدة مساحة واقلها سكانًا بالنسبة الى مساحتها ارادوا بناء دار لمجلس نوابهم ولم يتيسر لهم تدبير المال اللازم فاتفقوا على ان تشارلس فايروَل واخاهُ وبعض الماليين يبنون لهم الدار المطلوبة مجانًا واعطوهم عوضًا عما انفقوهُ ارضًا واسعةً طولها مئتان وستة وستون كيلو مترًا وعرضها ثلاثة وثلاثون كيلو مترًا اي نحو مليوني فدان. وهي غاية في الخصب بعضها اراضٍ زراعية وبعضها مراعٍ للمواشي فاعتنى فايرول بهذه الارض وحوَّطها بسياج من الاسلاك المعدنية وبنى فيها البيوت للمزارعين وحفر الآبار واقام عليها المضخات وبنى الطواحين ووضع فيها مئة وعشرين الف رأس من البقر واكثر من الف وخمسمائة حصان. ولا يزال اكثر هذه الارض غير مزروع ولكن العمل في اصلاحها جارٍ بسرعةٍ . وقد قدروا انهُ لا تمضي بضع سنوات حتى يصير دخلها نحو اربعمائة الف جنيه في السنة فاذا حسبنا ان دخلها ١٠ في المائة من ثمنها تكون قيمتها اذ ذاك نحو اربعة ملايين من الجنيهات مع ان صاحبها لم يدفع شيئًا من ثمنها سوى الثلاثين الف جنيه التي صرفها في بناء دار لمجلس نواب الولاية . والظاهر انهُ استأثر بها وحدهُ دون شركائهِ

ومن نوادرهِ انهُ لا يسمح لمزارعيهِ بالمبيت داخل المساكن بل يبيتون كلهم في الخلاء وينتقلون من محل الى آخر فتتبعهم عربات المؤونة والمهمات اينما ساروا

(١٠) كلارك

ومن اغنياء اميركا المعدودين المستر كلارك وهو من الذين جمعوا المال بجدهم واجتهادهم .

ولد في بلدة فلاحين في بنسلفانيا سنة ١٨٣٩ وتعلم الهندسة . وسنة ١٨٥٧ هرع الناس الى كالفورنيا لاستخراج الذهب فلم يتمكن من الذهاب مع من ذهب لفقرهِ فاشتغل وجمع شيئًا من المال وعزم على المهاجرة مع اخوتهِ سنة ١٨٦٠ لكنهُ مرض ثم بعد شفائهِ عين معلماً في مدرسة احدى القرى المجاورة وبقي فيها اقل من سنة ثم سافر الى كولورادو حيث اشتغل اولاً بالزراعة ثم بالتعدين ثم بالتجارة حتى جمع نحو الف جنيه فاشترى شيئًا كثيرًا من الزاد وسار الى بلدةٍ من ولاية مونتانا اشتهرت بغنى معادنها فجعل يبيع الزاد للعملة . وغلا ثمن الزاد حتى بلغ ثمن الرطل من البطاطس خمسة فرنكات ومن التبغ ثلاثين فرنكاً وثمن البيضة خمسة فرنكات وقس عليهِ . فجمع بذلك مالاً وافرًا واشترى معدن ذهب وفضة ودفع ثمنهُ مبلغاً وافرًا ولما شرع في العمل بهِ لم يجد للذهب اثرًا ورأى ان مقدار الفضة زهيد جدًّا لا يفي ثمنهُ بنفقة استخراجهِ فندم على ما فعل وظن ان البائعين غشوهُ بهذه الصفقة الخاسرة حتى دخل عليهِ ذات يوم احد عمال المعادن القدماء وقال لهُ لماذا اقفلت هذا المعدن . فقال اتهزأُ بي ألا تدري ان اصحابهُ غشوني واخذوا دراهمي وهربوا فاني لم اجد في المعدن اثرًا للفضة ولا للذهب فاجابهُ العامل ان هذا معدن نحاس والنحاس الذي فيهِ كثير بنسبة ١٥ في المائة اي في كل مئة رطل من الصخر والتراب خمسة عشر رطلاً من النحاس

وكان طول ارض هذا المعدن نحو ٥٥ مترًا وعرضها نحو ثلاثين مترًا فاستخرج منهُ كلارك في سنتين ثلاثين مليون رطل من النحاس وهو اليوم من اغنى معادن النحاس في العالم وربح منهُ حتى الآن نحو مليون ونصف من الجنيهات وثمنهُ في الوقت الحاضر نحو مليونين . ولهُ معادن أُخرى اهم من هذا المعدن بكثير وبنك كبير كثير الربح

ويسكن كلارك في مدينة نيويورك وقد بنى ضريحًا لزوجتهِ انفق عليهِ اكثر من ثلاثين الف جنيه . وهو يبني لنفسهِ منزلاً في نيويورك سيكون من اعظم ابنية تلك المدينة فقد صنعت رسومهُ في فرنسا على شكل المباني المعروفة بطراز لويس الرابع عشر وسينفق نحو مئة الف جنيه على نقشهِ من الداخل ويبلغ كل ما ينفقهُ على بنائهِ ونقشهِ اكثر من مليون جنيه . واراد حديثًا ان يشتري احدى الصور الشهيرة وكان جولد قد دفع بها ثمنًا باهظًا فزاد كلارك حتى رسا عليهِ المزاد بنحو ثمانية آلاف واربعماية جنيه نسيم برباري

[المقتطف] الظاهر ان كلارك هذا هو غير جونس كلاك الذي وهب مدرسة كلاك التي انشأها مليونًا ومئتي الف ريال على ما ذكرنا في الصفحة ١٨٩ من المجلد الخامس والعشرين من المقتطف

الكونت تولستوي الروسي

(تابع ما قبله)

اثبتنا في الجزئين السابقين وصف الحالة التي يُرى فيها الكونت تولستوي في مصيفهِ حيث يقضي نصف السنة مع الفلاحين يشاركهم في اعمالهم ويثبت اقوالهُ بافعالهِ . ونحن مثبتون الآن وصف الحالة التي يُرى فيها في دارهِ بمدينة موسكو حيث يقضي النصف الآخر من السنة اي فصل الشتاء يقابل الزوّار ويشرح لهم آراءهُ ويراجع كتبهُ التي الَّفها وينقحها ويقرأ مسودات طبعها . زارهُ الكاتب لونج الانكليزي منذ سنتين في مدينة موسكو وكتب عن هذه الزيارة ما ملخَّصهُ قال

ان كل ما كُتب عن تولستوي حتى الآن كتب عنهُ وهو في مصيفهِ بيسنايا بوليانا ولم يكتب عنهُ شيء وهو في دارهِ بموسكو لان الرجل الذي تراهُ في موسكو ليس تولستوي نفسهُ بل ظلهُ ترى فيها الرجل النظري لا الرجل العملي فلا تفهم حقيقة آرائهِ وتعاليمهِ الا في مصيفهِ حيث يقرن العلم بالعمل والقول بالفعل . والناس في الغالب قوّالون لا فعّالون فاذا رأيت رجلاً فعّالاً يفعل كما يقول ويعمل كما يعلّم فاعلم انهُ من النوادر التي يتوق المرء الى معرفتها ولذلك كثر قصّاد تولستوي الى مصيفهِ ووصفهم اياهُ فيهِ حيث يرونهُ يفلح الارض ويحصد الغلال ويربي المواشي ويصنع الاحذية ويعلم الاولاد واما تولستوي النظري الذي يسطر آراءهُ في كتبهِ ويصححها وينقحها فقلَّما يعرفون من امرهِ شيئًا

وهو يقيم في موسكو فصل الشتاء كلهُ كما تقدَّم ولكن كانهُ ليس من اهلها حتى رجال العلم والفضل فيها لا يعرفون من امرهِ كثيرًا . اقمت فيها شهرًا ولم اسمع من اخبارهِ ما يشفي الغليل فكان البعض ينسب اليهِ امورًا في حد الغلو ويقول غيرهم ان الحكومة الروسية عازمة على نفيهِ قريبًا ويقول آخرون بل ان ولاة الامر راضون عنهُ لانهُ يقاوم آراء الماديين الشائعة بين تلامذة المدارس

والظاهر ان اهل بيتهِ لا يدعون الناس يقابلونهُ الا من ندر منهم لعلمهم انهم اذا اباحوا لكل احد ان يدخل ويراهُ ضاع وقتهُ كلهُ في مقابلة الزوار لكن للاجانب امتياز حيث كانوا لقلة عددهم . وقد بلغني ان الكونت يرحّب بالانكليز خاصةً ولعل سبب ذلك قلة من يراهُ منهم فسمح لي بزيارتهِ حالما طلبتها . وبيتهُ في اطراف المدينة على نحو نصف ساعة في وسطها وهو من البيوت القديمة يشبه من ظاهرهِ بيوت التجار وحالما دخلتهُ رأيت في دارهِ كثيرًا من

اردية ضباط الجيش معلقة فيها كأنهم كانوا زوَّارًا في تلك الساعة . والبيت دوران وغرفة الكونت حيث يقيم ويستقبل زواره في الدور الاعلى لكن لا بدَّ لمن يدخل اليها من ان يمرَّ في كثير من غرف البيت لان الغرف تفتح بعضها الى بعض لكي تتوزَّع الحرارة فيها على السواء. وقد رأيتها في زيارتي الاولى وزياراتي التالية غاصة بجمهور الزوَّار من الطبقة العليا في المدينة وهم يلعبون العابًا مختلفة وتبدو عليهم سيماء البهجة والحبور كأن زوجة الكونت واولاده لا يشاركونهُ في آرائهِ بل يعيشون مثل سائر الناس الذين من طبقتهم . وفي هذه الغرف من القماش والرياش ما في بيوت الطبقة العليا من الروسيين فكأنَّ تولستوي يحلل اقتناء هذه الحطام ولو كان لا يشارك في استعمالها . ووصلت الى غرفتهِ فوجدتها صغيرة فيها اثاث بسيط ولكن لا الى الدرجة القصوى . فيها خزانة للكتب ومقعد وكراسي وطاولتان عليهما كتب وجرائد . غرفة رجل يطلب الراحة ويزدري الفخفخة لكنها تخالف سائر الغرف التي مررت فيها مخالفة كبيرة فكأن غرفتهُ مثلهُ واما بيتهُ فمثل العالم الذي يعيش فيهِ . عالم حقيقي لا ينكرهُ ولا يستطيع الانقطاع عنهُ بل لا بدَّ لهُ من السير فيهِ كما لا بدَّ لهُ من المرور في غرف بيتهِ قبل الوصول الى غرفتهِ وبذلك امتاز على كل المعلمين لانهُ وفق بين الآراء الفلسفية والمصالح المادية او لم يدع الواحدة منها تلاشي الاخرى

ومنظرهُ ينطبق على ذلك فانهُ منظر رجل حكيم كبير العقل ولكنهُ ليس منظر رجل متخيل متفلسف . رأيتهُ بقميص الفلاحين كما رآهُ غيري في مصيفهِ ولكن لا شيء من المشابهة بينهُ وبين فلاحي الروس فهو معتدل القامة عريض الانف واسع المنخرين غليظ الفم واسع الجبين صغير العينين غائرهما تتلألأ عيناهُ تحت حاجبين كثين تدلُّ ملامحهُ على انهُ حاد الطبع فيهِ شيء من دم التتر لو هذَّب لحيتهُ وشاربيهِ لظهر وجههُ مثل وجوه ضباط القوازق لا مثل وجوه الفلاحين الودعاء

لما دخلت غرفتهُ لم يكن فيها ثم جاء مسرعًا بعد بضع دقائق ومعهُ نسخة من المجلة البيضاء الفرنسوية واوراق كثيرة تحت ابطهِ فحيَّاني وجلس في كرسي كبير وشرع يذمُّ قصةً كان يقرأها حاسبًا اني قرأتها قبلهُ . وهو يحسن التكلم بالانكليزية لكن لهجتهُ فيها روسيةٌ ثم اخذ يسألني عن غرضي من زيارة روسيا ولما وجد اني اتكلم الروسيةَّ لم يعد يكلمني الاَّ بها وكلامهُ فيها بسيط فصيح جدًّا خالٍ من التصنع يملحهُ بالنكات الادبية والامثال ويميل فيهِ الى لهجة الفلاحين حتى اذا عرض ذكر المظالم والمغارم صعد الدم الى وجههِ واحتدَّ في كلامهِ كأنهُ خُلق ليحارب الظلم والبطل ويدافع عن العدل والحق . وهو سموح لا يعارض مَن يخالفهُ

في الرأي ولكنهُ غيور لا يحتمل المقاومة والمعارضة ولا سيما اذا عارضهُ احد في المبادىء العامة. واذا تكلَّم عن شيء يكرههُ تكلّم عنهُ بالاحتقار والازدراء

وقد علمتُ من امرهِ انهُ ينهض باكرًا و يشتغل في كتبهِ ودفاترهِ ولا يقابل زوارهُ الاَّ في المساء و يعاملهم كلهم معاملة واحدة اقارب كانوا او اباعد اغنياء او فقراء . وهو جلود على الشغل ينقح ما يكتبهُ مرارًا ثم ينقح مسوداتهِ كثيرًا حتى يفضل الطباعون ترتيب حروفها ثانية على تصحيحها و يساعدهُ اولادهُ في نسخ ما يكتبهُ . وهو لا يحتمل ان ينتقد احد آراءهُ في كلياتها ولكنهُ يسرُّ بانتقاد الجزئيات و يرغب فيهِ

ولما زرتهُ المرَّة الثانية رأيتهُ وقد اتمَّ كتابة كتاب الى البعض من اعضاء مجلس النواب الاسوجي وكانوا قد كتبوا يسألونهُ عن رأيهِ في دعوة القيصر الى عقد مؤتمر السلم فاجابهم ان ما عرضهُ القيصر باطل ولا يمكن العمل بهِ لان الحكومات الحاضرة لا تستطيع ان تبطل الحروب ولا ان تخفف ويلاتها . ثم قرأ لي جوابهُ وكان كلما قرأ فصلاً منهُ يقف و يقول لي افهمتَ مرادي حتى أتى على آخرهِ فقال هذا ما ارتأيهِ في مؤتمر القيصر فانهُ كلهُ سخافة ورياء لا غير . ولا تستطيع الحكومات الحاضرة ان تبطل الحروب ولا تريد ابطالها لان الحروب ليست عرضًا طارئًا عليها بل هي جزءٌ جوهري من قوامها لازم لوجودها فاذا قلتُ ان هذا المؤتمر رياء برياء لا اعني ان الحكومات التي اشارت بهِ واشتركت فيهِ قصدت ان ترائي قصدًا ولو كان عملها رياء . اذا قلتَ انك عازم على تغيير شيء لا يغيَّر ما لم تغير طبعك وانت غير عازم ان تغير طبعك فانت مراءٍ. فاقتراح القيصر رياءٌ وقبول حكومات اوربا بهِ رياءٌ ومامنهم من يعتقد نجاحهُ وكأن الحكومات تريد ان تخفي اعراض دائها لكي تحوّل اذهان شعوبها عن العلاج الشافي لكنها لا تفلح في ذلك ولا يستطيع هذا المؤتمر ان يقلل الحروب ولا ان يقلل مضارها . اذا تسلح رجلان وكان كلٌّ منهما يعتقد ان مصلحة الآخر ضد مصلحتهِ فلا يأتمن احدهما الآخر ولا يركن اليهِ ولا يصدق كلامهُ اذا عاهدهُ على السلم لانهُ لو صدَّق كلٌّ منهما الآخر لما بقي داعٍ للسلاح. واذا استطاعت الممالك ان تعيش بالسلم من غير ان يكون عند كلٍّ منها مليون جندي تستطيع ان تعيش بالسلم من غير ان يكون عند كلٍّ منها الف جندي لان القلة لا تمنع الحروب اذا كانت الكثرة لا تمنعها . لما حوصرت سفستوبول رأى البرنس اورسوف ان احد الحصون أُخذ واستُرِدَّ مرارًا فقال للقائد العام دعنا نطلب من الاعداء ان يعينوا رجلاً منهم يلاعب رجلاً منا بالشطرنج فمن غلب كان الحصن لهُ . ولا شبهة في ان القائد ضحك من هذا الاقتراح لانهُ يعلم ان الفريق الذي يخسر الحصن بالشطرنج لا يكف عن

استرجاعهِ بالسلاح اذا استطاع . والناس يفصلون خصوماتهم بقتل بعضهم بعضاً لا بلعب الشطرنج لان الغالب هو الذي يثخن في خصومهِ ويضطرهم الى الكف عن مقاومتهِ . والمغلوب يتربَّص بغالبهِ الفرص حتى اذا استقوى واستضعف خصمهُ عاد الى الاخذ بالثار . وقد يضع المؤتمر قواعد وقوانين لمنع الحروب ولكن هذه القواعد والقوانين لا تمنع دولة من ان تدَّعي ان خصمها هو الذي نكث العهود اولاً

وقلت لهُ ان الحكومات قد لا تمنع الحروب ولكنها تقلل مضارها . فقال هذا وهم ورياء من الذين يدَّعونهُ ومصلحتهم قائمة بابقاء الحروب وقد قلت انهُ رياء لان الغرض منهُ اقناع الناس بان مضار الحرب يمكن ان تقلَّ كثيرًا فانك ترى الحكومات تمنع استعمال الرصاص المنفجر لانهُ يجرح ولا يقتل حالاً ولكنها لا تمنع استعمال الرصاص العادي مع انهُ كثيرًا ما يجرح ويؤلم والسبب الحقيقي لمنع الرصاص المنفجر انهُ لا يقتل حالاً فلا يفي بغرضهم وهو التنكيل بعدوهم حتى يضطر الى التسليم والخضوع . ولذلك لا اريد ان ينجح هذا المؤتمر ولا انا معتقد بنجاحهِ وان نجح فيكون منهُ ضرر لانهُ يحول افكار الناس عن الحل الحقيقي الذي يمكن العمل بهِ في كل مكان وهو ان يخضع كل انسان لضميرهِ والضمير يقول لهُ ان قتل الناس غير جائز فاذا اقتنع كل انسان بذلك بطلت الحروب من نفسها وعجزت الحكومات عن اثارتها

فقلت لهُ ولكن هبْ ان امةً من الامم اقتنعت بصحة رأيك وعملت بهِ فلا ينتظر ان امم العالم كلها ترى رأيها حينئذٍ وتفعل مثلها وهب ان امة من هذه الامم اعتدت على الامة الاولى وحملت عليها أفلا تضطر الامة الاولى الى حمل السلاح للدفاع عن نفسها

فقال لا لانهُ يجب عليها ان لا تقتل غيرها والواجب واجب كيفما كانت الحال

وكنت اقرأُ كتاباً لاحد الروسيين اقام مؤلفهُ الادلة الكثيرة على ان الحرب تجارة خاسرة ولا بدَّ من ان تبطلها الدول لهذا السبب . وبلغني ان هذا الكتاب اثَّر في القيصر تأثيرًا شديدًا وانهُ هو الذي دعاهُ الى اقتراح عقد المؤتمر . وليس في الكتاب دليل واحد ادبي على وجوب ابطال الحرب بل كل ما فيهِ ادلة عملية على ان الحرب تجارة او مضاربة لم يعد منها ربح بسبب الاحوال الحاضرة فصار تركها واجباً من هذا القبيل . فسألتُ الكونت عن رأيهِ في هذا الكتاب وكنت احسب انهُ يلوم المؤلف ويقول انهُ اخطأ خطأً فظيعاً لانهُ لم يذم الحرب من باب ادبي ويطلب منعها لانها غير جائزة بالذات اما هو فلم يقل ذلك بل قال انهُ كتاب كثير الفكاهة والفائدة ولا بدَّ من ان ينفع كثيرًا اذا قرأهُ كل احد

وهذه اول مرة تجلَّى لي فيها تولستوي كرجل نظري وعملي في وقت واحد . ثم اتضح لي ان

نظرهُ الى الكليات يختلف عن نظره الى الجزئيات فاذا نظر الى الامور الكلية التفت الى المبادىء الاصلية ولم يحد عنها شعرة ولا قبل فيها معارضة واما اذا نظر الى الجزئيات تساهل فيها وتسامح وراعي احوال الزمان والمكان

وافاض الكاتب بعد ذلك في الكلام على آراء تولستوي الدينية وتفضيلهِ الروسيين على غيرهم لانهم لا يزالون على السذاجة الفطرية البعيدة عن مساوىء العمران ولما ذكر لهُ الكاتب مزايا العمران الاوربي وما فيهِ من الروابط التي تكفل للناس راحتهم ورفاهتهم قال لهُ ان هذا العمران لا يصلح لروسيا ومن اكبر الخطإ ان نحاول النسج على منوالهِ. ومن رأي الكاتب ان تأثير تولستوي في روسيا قليل جداً الآن

وزارهُ المستر اندرو هويت العالم الشهير سفير اميركا في بطرس برج وفي المانيا وذاكرهُ في مواضيع مختلفة وبقي يتردد عليهِ الى ان عجم عودهُ وعرف خلَّهُ وخمرهُ وكتب عنهُ الآن مقالة مسهبة في مجلة مكلور ومما عزاهُ اليهِ انهُ لا يحسب النساء اهلاً للقيام بالمهام السياسية مطلقاً . وان من اكبر المشاكل الآن كثرة الاهتمام بامر النساء ومطالبهن. واعتراضهُ الاكبر على المرأة انها لا تستطيع ان تضحي مصلحتها لاجل غرض من الاغراض العامة النافعة . وقال انهُ لا يعرف الاَّ امرأتين او ثلاثاً من اللواتي ضحين انفسهن لمصلحة عمومية . والمرأة لا تعمل بمقتضى العقل غالباً بل تراها دائماً ميالة الى الخرافات والاوهام كالاعتقاد بالارواح والطب الهوموباثي وما اشبه

وقال المستر هويت انهُ رأى تولستوي يختلف عن كل الرجال المشهورين الذين لقيهم بافتقارهِ الشديد الى تحوير الآراء الذي ينتج عن مقابلة كثيرين من بلدان مختلفة وموازنة آرائهم بعضها ببعض . فان لكل امرئ اراء ومذاهب خاصة بهِ فاذا اقتصر على التفكير بها ولم يقابلها بآراء غيرهِ صارت في نفسهِ كالولد المدلل الذي لا يحتمل اقل مقاومة وصار يراها عين الكمال خالية من كل عيب . وختم المستر هويت مقالتهُ بقولهِ

اننا نرى هنا رجلاً نابغة يحتقر العلوم كلها ويحث الناس على الرجوع الى الفطرة . يحرّم الزيجة وهو متزوج وعائش مع زوجتهِ على اتم الوفاق ولهُ ١٦ ولداً . لا يحسب اسكيلوس ودانتي وشكسبير من نوابغ الشعراء لكنهُ يحسب ادين بالو من نوابغهم ولا يحسب ميخائيل انجلو ورفائيل من مشاهير النحاتين والمصورين و يفضل عليهم اناساً خاملي الذكر . ولا يحسب بتهوفن وهندل وموزارت وهيدن من كبار الموسيقيين و يفضل عليهم اناساً لا تعرف اسماؤُهم . ولكن هذه السخائف وامثالها تنسى حالاً ويبقى من ذكر تولستوي ما امتاز بهِ من سمو الافكار ونبالة المقاصد

هذا يبقى منهُ على كرور الدهور وبهِ تستنير بلاد الروس ومنهُ تستفيد

وكتب تولستوي حديثاً في مجلة اميركا الشمالية يصف اصول الشرور فقال ان الغنى لا ينال بالعناء والاجتهاد بل بالغش والخداع وها ترجمة كلامهِ.

"ان الفلاح الذي يفلح ارض غيرهِ ويبتاع ضروريات الحياة بالثمن الذي يُطلب منهُ لا يستطيع ابدًا ان يصير غنيًا مهما كان مجتهدًا مقتصدًا. واما الرجل السريف المبذر الذي يتسرَّب في مناصب الحكومة او ينال الحظوى لدى اربابها او يصير مرابيًا او صاحب معمل او بنك او تاجر خمر او يقتني بيتًا للمومسات فهذا ينال الغنى من اقرب طريق وامثلة ذلك كثيرة حولنا"

ثم قال "على مَ نرى الرجال الاقوياء الماهرين المعتادين التعب هم والفريق الاكبر من بني البشر يخدمون لاناس ضعفاء الابدان لرجال اخناث او شيوخ عجزة. لماذا نرى الاقوياء يتعبون لهؤلاء الضعفاء. لان الضعفاء قد امتلكوا الارض وخيراتها والمعامل وما فيها. والحق الذي يمتلك بهِ الغنيُّ الارض ويجني ثمار ما يتعب بهِ غيره لا ينطبق على مبدإٍ من مبادئ العدل والانصاف وما هو الا اغتصاب تؤيدهُ القوة الحربية

وقد صار العمال آلات لقهر اخوانهم بصيرورتهم جنودًا للحكومة وآلات في يدها للقتل والفتك. وما دام الناس يحللون قتل غيرهم تبقى الجنود في يد رجال الحكومة اي في يد فريق صغير من الناس ويبقى هذا الفريق مستعينًا بهم على ابتزاز الاموال من الذين يكسبونها بعرق جبينهم. وشرٌّ من ذلك ان رجال الحكومة يفسدون جمهور الناس ولولا ذلك ما استطاعوا التسلط عليهم وابتزاز اموالهم. واصل كل الشرور ما رسخ في الاذهان من ان تجنيد الجنود لقتل الناس ليس اثمًا بل هو شرف كبير وعمل نبيل لذلك لا تزول الشرور من الدنيا بتحرير الفلاحين ورفع الضرائب وتكثير الآلات والادوات ولا بابطال الحكومات الحاضرة بل بابطال كل تعليم ديني يجيز للناس ان يحملوا السلاح لقتل غيرهم"

وغنيٌّ عن البيان ان اقوالًا مثل هذه لا يترك قائلها وناشرها لا سيما وان لكلامهِ وقعًا كبيرًا في النفوس ولذلك حرمهُ المجمع المقدس في بلاد الروس لاعتقادهِ انهُ ضلَّ عن سبيل الهدى. ولم يغظ هذا الحرم تولستوي لانهُ هو لا ينفي صحة الدين بل يقول ان دعاتهُ ضلوا عنهُ وعلَّموا الناس تعاليم منهم لا منهُ. واما زوجتهُ فاغتاظت من هذا الحرم وكتبت الى رئيس المجمع المقدَّس تعترض على ما فعل وتلومهُ لومًا شديدًا. واعتصب التلامذة وذهب خمس مئة منهم الى كنيسة قازان وطلبوا ان يحرَموا مثلهُ ولذلك أُتبع الحرم بمنشور يقال فيهِ ان سبيل

الخلاص لا يزال مفتوحاً امامهُ اذا تاب ورجع عن ضلالهِ

اما هو فكتب كتاباً مسهباً الى القيصر يعترض فيهِ على نظام الحكومة الحاضر و يطلب مطالب كثيرة للاصلاح وهاك بعض فقراتهِ

اليكم نرفع خطابنا ياولاة الامور من القيصر واعضاء مجلس الحكومة الاعلى والنظار الى اقارب القيصر اعمامهِ واخوتهِ وكل الذين يستطيعون ان يكلموهُ . اليكم نرفع خطابنا لا كاعداء بل كاخوان مرتبطين معنا ارتباطاً متيناً (اردتم ذلك او لم تريدوهُ) حتى اذا حلّت بنا البلايا اصابكم شيء منها . ليس اللوم على الذين يثورون بل اللوم كلهُ عليكم لانكم لا تفتشون الاَّ عن راحتكم ورفاهتكم وقد كان الواجب عليكم ان تفتشوا عن سبب الثورة والشكوى وتزيلوهُ . والناس مسالمون بالطبع لا يطلبون الخصام والعداء بل يفضلون الوفاق والمسالمة فان كانوا قد ثاروا عليكم الآن وطلبوا الايقاع بكم فلا يكون ذلك الاَّ لانهم وجدوكم مانعاً يمنع عنهم وعن الملايين من اخوانهم اعظم نفع يطلبهُ الانسان في هذه الدنيا وهو الحرية والعلم . وغاية ما يُطلب منكم لكي لا يبقى سبيل لثورة العامة عليكم وهو نافع لكم ايضاً لاجل راحتكم وسلامتكم هذه الامور الطفيفة وهي

اولاً . المساواة بين الفلاحين والعمال وغيرهم من اهل الطبقات العليا (في امور ذكرها بالتفصيل مثل الغاء القوانين التي تربط العمَّال باصحاب الاعمال واعفاء الفلاحين من الاموال الاميرية التي تأخرت على غيرهم ومن اخذ الجواز اذا ارادوا الانتقال من مكان الى آخر . ومن تقديم الخيل والعلائف لرجال الحكومة ولا سيما رجال البوليس ومن العقاب بالضرب)

ثانياً . الغاء الحكومة العرفية التي تلجأون اليها آونةً بعد أُخرى فتسلطون على الرعية اناساً ظالمين فاسقين مخاف العقول الخ

ثالثاً ازالة كل الموانع التي تمنع تعليم اولاد العامة لكي يتحرَّر جمهور الروسيين من ربقة الجهل . والجهل اكبر معين للحكومة على الاستبداد بهم

رابعاً واخيراً اطلاق الحرية الدينية

والكتاب طويل وعلى كل بند من هذه البنود شرح مسهب فاجتزينا بما تقدَّم . و يظهر منهُ ان تولستوي اعتدل كثيراً فصار يحسب للحكومة حساباً كبيراً و ينتظر منها نفعاً عميماً اذا عملت بمشورتهِ . وهذه المطالب التي طلبها معقولة كلها وان خلت منها مملكة الروس لا يخلو منها سواها من الممالك الاوربية . ولا بدَّ من ان تنتفع بلادهُ نفعاً كبيراً باقوالهِ وتحيي ذكرهُ مثل ذكر اعظم المصلحين الذين اصلحوا شؤُون الناس

المدرسة الكلية والعلم العملي

لما جاء الدكتور اليوت رئيس مدرسة هارفرد الجامعة الى هذا القطر منذ بضع سنوات ورأى مدارس الحكومة المصرية اقترح عليهِ ناظر المعارف ووكيلها ان يكتب تقريراً مسهباً عما يراهُ لازماً لهذه المدارس فكتب التقرير المطلوب وبعث الينا بنسخة منهُ فترجمناهُ ونشرناهُ في المقتطف . واهمُّ ما فيهِ ان لا بدَّ من قرن العلم بالعمل في مدارس الحكومة العلمية والاَّ كان العلم عقيماً . ويسرُّنا ان مدرسة قصر العيني الطبية ادركت هذا الامر وقد شاهدنا تلامذتها بالامس يشتغلون بالتحليل الكيماوي والبحث الميكروسكوبي كما ينتظر منهم

ومن المدارس التي ادركت ذلك قبل غيرها في ديار المشرق المدرسة الكلية الاميركية في بيروت فان اساتذتها وتلامذتها حاولوا قرن العلم بالعمل من حين نشأتها ولا يزالون جارين في هذا المضمار

لما دعي كاتب هذه السطور لتدريس الفلسفة الطبيعية في تلك المدرسة قال لهُ رئيسها أتدري ما ذكرني بك حينما احتجنا الى من يدرّس الطبيعيات فقال لا فقال الرئيس هو انك لما كنتَ تتعلم هذا العلم ووصلت في درسك الى مطحنة باركر في فرع السائلات صنعت مطحنة حسبما هو مشرح في الكتاب فقلت في نفسي ان تلميذاً يقرن العلم بالعمل من تلقاء نفسهِ لحريٌّ بان يُندب الى تعليمهِ وبقي ذلك في ذاكرتي الى الآن

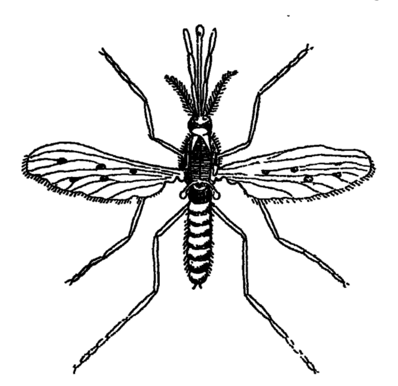
وبمثل ذلك يُرغب تلامذة المدرسة الكلية في قرن العلم بالعمل لكي ترسخ قواعد العلم في نفوسهم ففي القسم العلمي يمرَّنون على الانشاء والخطابة ويحثون على البحث والتنقيب في كتب العلم والفلسفة ولذلك يكثر اختلافهم الى مكتبة المدرسة ومطالعة ما فيها من الكتب العلمية والادبية حتى اذا وصلوا الى العلوم التي تقتضي المشاهدة كعلم النبات وعلم الحيوان جعلوا يطوفون في الحقول والمزارع يقتلعون النباتات ويجففونها ويبوّبونها حسب انواعها وعيالها ويضربون في الفيافي ويخوضون لجج البحار يجمعون الحشرات والدبابات ويشرحونها ليروا تركيب ابدانها. ولولا خطأٌ ارتكبهُ اصحاب هذه المدرسة يوم قرَّ قرارهم على ان لا يكون احد من اساتذتها من الوطنيين لانقطع بعض الوطنيين الآن الى الاشتغال بالعلم وحققوا وكشفوا كثيراً من القضايا العلمية التي تخلد اسمهم واسم مدرستهم في تاريخ العلوم الطبيعية. وان قيل لماذا لم يفعل اساتذتها الاميركيون ذلك قلنا ان هؤُلاء لا يقيمون فيها الاَّ سنين قليلة ثم يتركونها

غالباً. قبلما تقوى رغبتهم في العلم ويتمكنون من البحث العلمي واما الذين اقاموا السنين الطوال فيها كالمرحوم الدكتور فان ديك والدكتور بوست والدكتور لويس والدكتور بورتر فان كلاً منهم اشتغل بفرع او اكثر وجمع وحقق ما تفتخر بهِ كل مدرسة كلية . وكان اكثر اشتغال الاول بالفلك والمتيورولوجيا والثاني بالجراحة والنبات والثالث بالجيولوجيا والرابع بالاركيولوجيا وجمعوا المجاميع الكبيرة الشاهدة لهم بعلو الهمة وطول الباع . وقد توفي الاول واستعفى الثالث و بلغنا ان خليفتيهما سارا في خطتيهما ووسَّعا نطاق مباحثهما ومجاميعهما . ومَن كان في ريب من ذلك فليشاهد معارض المدرسة الكلية او فليفتح كتاباً علمياً مثل كتاب نبات سورية وفلسطين فانهُ يجد فيهِ اسم الدكتور بوست وارداً مراراً كثيرة بجانب النباتات التي سبق غيره الى اكتشافها وشرحها او ليفتح الكتب العلمية المختلفة التي ألفها اساتذة المدرسة الكلية وتلامذتها والمجلات العلمية والادبية التي انشأُوها

واكثر العلوم اعتماداً على العمل علم الطب ولذلك تجد اساتذتهُ وتلامذتهُ يشتغلون بتطبيق قواعدهِ على العمل يومياً في غرف المدرسة وفي المستشفى الالماني القريب منها . ترى في الصورة التي صدَّرنا بها هذا الجزء رسم بناء القسم الطبي حيث تدرَّس العلوم الطبية وهو بناء جميل متين قائم على اكمة مطلقة الهواء تعرّش اللبلاب على وجههِ الغربي فزاد منظرهُ مهابةً فيهِ مشهدان وسيعان في كلٍّ منهما مقاعد في شكل دوائر متراكزة يعلو بعضها بعضاً كالمشاهد الرومانية القديمة يجتمع التلامذة فيهما لاستماع الخطب ومشاهدة العمليات والامتحان في الدروس . وفي غرفهِ المختلفة معمل الزولوجيا والبكتيريولوجيا ومجاميع التشريح والجراحة والباثولوجيا والزولوجيا والمترالوجيا . وقد رسمنا في الشكل الاوسط من الصورة غرفة المجموع الجراحي وما فيهِ من الحصى والعظام ونحوها مما استخرجهُ استاذ الجراحة في العمليات الجراحية . وفي الشكل الاسفل المعمل الزولوجي حيث يدرس التلامذة ابنية الحيوانات واوصافها بالنظر فيها و بتشريحها بايديهم . وهذا هو الدرس المفيد الذي يرسخ في الذهن وينبه قوى العقل ويقويها ولا سيما قوَّتي الانتباه والاستدلال . هذه خير صورة شاهدناها لطلبة العلم في مدرسة من المدارس الجامعة ولم نعنَ بنشرها و بكتابة هذا الشرح الوجيز لكي نمدح المدرسة الكلية بل لكي نحث اصحاب المدارس الاخرى في مصر والشام على ايجاد الوسائل التي يقترن بها العلم بالعمل في مدارسهم حتى ترسخ الحقائق العلمية في اذهان الطلبة وتنمو فيهم ملكة البحث والاستقصاء وطلب الادلة والوقوف عند الحقائق و بغير ذلك لا يصير في الشرق الرجال الذين يستعزُّ بهم و يجاري امم المغرب

بعوض الحمّى في بيروت

جاءنا من بيروت نبأ كنا ننتظرهُ منذ شهور ونعجب من تأخر اساتذة المدرسة الكلية عن تحقيقهِ . فقد نشرنا في المقتطف الصادر في شهر ابريل (نيسان) سنة ١٨٨٤ اي منذ ١٧ سنة ما يدلُّ على علاقة البعوض بالحمّى الملاريّة . ثم اثبتت التجارب الحديثة في الهند واوربا وافريقية ان لنوع خاص من البعوض علاقةً سببيةً بالحمّى الملارية اي انهُ يلسع المحموم وينقل جراثيم العدوى منهُ الى السليم مع ما يمتصهُ من دمهِ كما اوضحنا ذلك في العام الماضي وما قبلهُ في مقالات عديدة

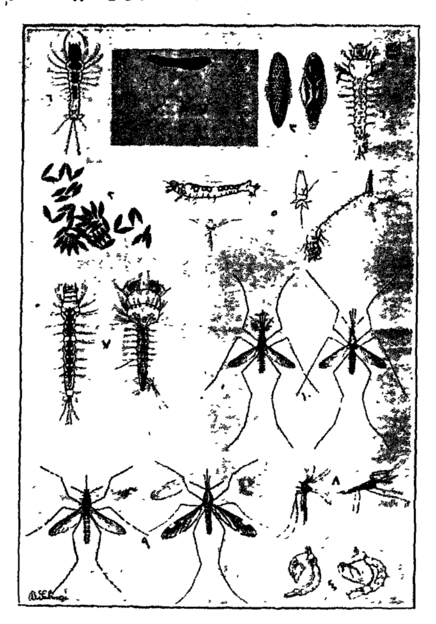


(الشكل الاول)

وهذا النوع من البعوض قليل جدًّا قلما يتولّد حول منازل الناس ويختلف عن البعوض العادي ويمتاز عنهُ امتيازًا بيّنًا بنقط سوداء على جناحيهِ كما ترى في الشكل الاول المرسوم هنا فانهُ صورة بعوضة منهُ مكبَّرة كثيرًا لكي يظهر جناحاها ونقطها ظهورًا واضحًا . و يمتاز عنهُ ايضًا في وضع بيضهِ في الماء فان البعوض العادي يجمع بيضهُ بعضهُ مع بعض في شكل قارب مقعّر يطفو على وجه الماء و يرتفع عنهُ قليلاً كما ترى فوق الرقم ١ في الشكل الثاني المرسوم

ههنا واما بعوض الحمّى فيضع بيضهُ متفرقًا كما ترى فوق الرقم ٢

وفي هذا الشكل صور اخرى تظهر فيها سائر الفروق بين بعوض الحمّى والبعوض العادي فترى على جانبي الرقم ٤ في اسفل الشكل مما يلي اليمين صورة عُوَمتين في الحالة الزيزية او الشرنقية اليمنى منهما عومة البعوض الاعتيادي واليسرى عومة بعوض الحمى. وعند الرقم ٦ صورة



(الشكل الثاني)

عومة بعوض الحمى اليسرى صورتها حالما تخرج من البيضة واليمنى بعدما تنمو. وعلى جانبي الرقم ٧ عومتان اليسرى منهما لبعوض الحمى واليمنى للبعوض الاعتيادي

والفرق بين هذه العُوَم واضح جدًّا فان عُوَم بعوض الحمّى تختلف عن عُوَم البعوض العادي في بنائها وغذائها وشكل وقوفها في الماء فتقضي اكثر وقتها عند سطح الماء وفي ذنبها انبوب للتنفس قصير جدًّا فتراها لاصقة بسطح الماء في شكل افقي كما ترى عن يسار الرقم ٥ ورأسها يتحرك في عنقها فتدير فاها الى سطح الماء وتأكل ما تجدهُ عليهِ مع ان بطنها يكون الى الإسفل وتحرك اهداب فمها حركة سريعة فتندفع اليهِ الاجسام الصغيرة الطافية على وجه الماء ولون هذه العوم اسمر قاتم يكاد يكون اسود والظاهر ان جسمها خفيف ثقلهُ كثقل الماء فلا تستطيع الغوص فيهِ الاَّ بتعب . واما عوَم البعوض العادي فتصعد الى سطح الماء للتنفس حتى اذا بلغ انبوب التنفس الذي عند طرف ذنبها وجه الماء ثبتت تحتهُ مائلةً على زاوية حادةٍ كما ترى الى يمين الرقم ٥ وتبقى هناك لحظة من الزمان ثم تغوص في الماء تفتش عن شيء تأكلهُ وتعود الى وجه الماء كل دقيقة او دقيقتين وكأنها اثقل من الماء فتضطر ان تتلوَّى حتى تستطيع الصعود الى سطحهِ واما اذا ارادت النزول فيهِ تركت نفسها لثقلها فتنزل من غير تعب كأنها جسم ثقيل طُرِح في الماء ولونها رمادي ضارب الى الصفرة . وكل ما شاهدناهُ في بيروت من العُوَم كان من هذا القبيل وقد كنا نراقبهُ ساعةً بعد ساعة ويومًا بعد آخر من حين يوضع بيضًا في الماء الى ان يصير بعوضًا ويطير وكنَّا نأتي بقواربهِ من بركة في المدرسة الكلية ونربيها في آنية زجاجية مغطاة بشباك دقيقة لكن البيض الذي كنا نجمعهُ من البيوت في رأس بيروت كنَّا نراهُ متفرقًا على وجه الماء لا مجموعًا في شكل قوارب فهل كان من بعوض الحمَّى او من البعوض العادي ذلك ما لا سبيل لنا الآن الى تحققهِ ولم يكن الفرق بين هذين النوعين معلومًا حينئذٍ

وكما يختلف بعوض الحمى عن البعوض العادي في وضع بيضهِ وشكل عُوَمهِ يختلف ايضًا في شكلهِ نفسهِ وشكل وقوفهِ على الحائط فترى تحت الرقم ٨ بعوضتين واقفتين على حائط قائم اليسرى واقفةً موازية لهُ وهي من البعوض العادي واليمنى واقفة عمودية عليهِ وهي من بعوض الحمى . وعند الرقم ٩ بعوضتين آخريين اليمنى منهما جناحاها مرقطان وليس كذلك اليسرى ولليمنى قرنان طويلان على جانبي خرطومها واما قرنا اليسرى فقصيران جدًّا . وللذكر من بعوض الحمى ريش كثير على جانبي خرطومهِ كما ترى فوق الرقم ١٠ فان اليمنى صورة انثى هذا البعوض واليسرى صورة ذكرهِ

وبعوض الحمَّى المرسوم ههنا هو بعوض حمَّى الربع اي التي تنوب يومًا وتترك يومين والظاهر ان لكل نوع من الحميات الملارية نوعًا خاصًّا بهِ من البعوض لكن هذه الانواع

متشابهة في الخواص المتقدمة على ما يظهر اذ لم يميَّز بعضها عن بعض حتى الآن في ما نعلم

وفي ضواحي بيروت مكان يسمى البوشرية ولعل اسمهُ فرنسوي الاصل (امبوشير) معناهُ مصب النهر لانهُ قريب من مصب نهر بيروت حيث كان يصبُّ قديمًا وهذا المكان مشهور بالملاريا حتى لا يبيت احد فيهِ ويسلم من الحمى . وفي ساحل بيروت كلام يتناقلهُ الناس وهو " قالت حارة حريك للبوشريًا مَن عجزتِ عنهُ رديهِ عليَّ " دلالة على ان هذين المكانين يتباريان في قتل الناس بالحمى ولذلك لا يستغرب وجود بعوض الملاريا فيهما . وقد اتصل بنا الآن ان المستر داي استاذ التاريخ الطبيعي في المدرسة الكلية الاميركية وجد هذا البعوض هناك فلم تبقَ شبهة في انهُ هو سبب انتشارها بهِ

ويصعب على السكان في تلك المنخفضات ان يتخلصوا من هذا البعوض لان القنوات التي يجري فيها ماء نهر بيروت لري بساتين الساحل طويلة مستوية اذا انقطع جري الماء منها بين عدَّان وعدَّان بقي فيها من الماء الراكد ما يكون محضنًا لبعوض الحمى وعوَمهِ فيبيض فيهِ ويتكاثر. ولا سبيل لهم للتخلص منهُ الاَّ بتدبير ماء الري حتى لا ينقطع جريهُ من تلك القنوات. ولو تمَّ اجراؤُهُ كلهُ في القناة العليا وتفرَّعت منها فروع جانبية على طولها تروي كل الاراضي التي تحتها لبقي الماء جاريًا فيها كما في نهر وامتنع تولُّد البعوض منهُ لا سيما وان بعوض الحمى لا يتولد الاَّ في الماء الراكد القليل

تاريخ الفلسفة الحديثة

يعتبر المؤرخون زمن ابتداء الفلسفة الحديثة منذ ظهور الفيلسوفين العظيمين باكون وديكارت وهما اللذان ناصبا الفلسفة المدرسية حربًا عوانًا فدكا معاقلتها ونسفا حصونها وجعلاها اثرًا بعد عين

على انَّ هذا النصر المبين لم يعقد لهما بنودهُ الاَّ وكانت الايام من قبل ظهورهما قد هيأت النفوس واعدت الخواطر للاخذ بناصرهما ولتلبية ندائهما لنسخ القديم نسخًا مطلقًا والنسج على منوال جديد يعتق العلم من رق الحدس الباطل والوهم الفارغ ويجعلهُ حليف الحقائق الراهنة المبنية على الاختبار الطويل والبحث الدقيق

وقبل اطلاق الكلام عن الفلسفة الحديثة وما كان من امرها نذكر تمهيدًا لمعةً من حالها قبل تقمصها الثوب الجديد وظهورها على هذا الشكل البديع الذي رفع شأن الانسانية واعلى

منارها وادرَّ على الانسان من المنافع ما لا يقع تحت حساب

لا يخفى ان سقوط الدولة الرومانية الغربية اسقط معهُ التمدن الروماني واصبحت أوربا اثر ذلك السقوط في حالة اقرب الى البداوة منها الى الحضارة كما شهد لنا تاريخها وشهادتهُ حق وهي ان انتشار الدين المسيحي في هاتيك الاصقاع وما في تعاليمهِ من المبادئ السامية والآداب العالية دفع عن أوربا استفحال البربرة والخشونة وامسكها عن التهالك في الجهالة وصيَّر مجتمعها الانساني في حالة ارقى كثيرًا من حالتها يوم لم تكن بعدُ قد بزغت اشعة الدين المسيحي في ارجائها

ولما عمَّ الدين المسيحي اوربا بجملتها نهض نفر من رجالهِ واخذوا في درس الفلسفة وتعليمها وما توالت الايام حتى سنة ٨٠٠ م الاَّ وكانت الفلسفة والعلم بيد رجال الدين ودعاتهِ على ان تلك الفلسفة لم تكن الفلسفة اليونانية بتمامها وسائر مذاهبها وطرقها وانما اتخذت عندهم شكلاً خاصاً حيث انحصرت في منطق ارسطو وفلسفة اوغسطينوس . وجملة القول ان هذه الفلسفة لم تكن الاَّ الادلة على حقيقة الايمان ولم تكن تتوخى الاَّ تلك الغاية وهي خدمة الدين والخضوع التام لهُ وذلك شأن كل فلسفة في بدء امرها ان تكون والدين يدًا واحدةً ثم تنفصل عنهُ تدريجيًا وتستقل مع الايام بذاتها. اعتبر ذلك في فلسفة الهند واليونان فانها خرجت من الدين ولكنها لم تخرج منهُ دفعةً واحدةً وانما قضت دهرًا طويلاً حتى تهيأ لها الاستقلال

وليس بالمستغرب خضوع الفلسفة للتعاليم الدينية زمن العصور الوسطى اذ كان كل المجتمع الانساني بسائر شؤونهِ تحت حكم الكنيسة ومطلق تصرفها . وقد عرفت فلسفة هاتيك الايام بالفلسفة المدرسية ولا يعنى بهذا الاسم الاشارة الى مذهب خاص وانما يراد بهِ الفلسفة التي كانت تُعلَّم في الصوامع والاديرة من القسس والرهبان وسائر القائمين على خدمة الدين

وقد قسم مؤرخو الفلسفة العصر المتوسط الى ثلاثة ادوار الدور الاول يبتدئ من ايام شارلمان سنة ٨٠٠ م وينتهي سنة ١٢٠٠ م وكانت الفلسفة في غضون هذه الاعوام خاضعة للدين كل الخضوع كما سبق فقلنا واما في الدور الثاني الذي ينتهي سنة ١٤٠٠ م فانها اتحدت بهِ اتحادًا تامًا وهي في كلا الدورين على منهاج واحد وحالة مستقرة اي انها لا تتجاوز في ابحاثها الى ما وراء منطق ارسطو وفلسفة اوغسطينوس . وقد نقل في الدور الثاني بضعة من يهود الاندلس الى أوربا شيئًا من مؤلفات ارسطو عن الطبيعة ورسالتهُ عن النفس ونبذًا اخرى من محاورات افلاطون مشروحة شرحًا دقيقًا من نوابغ العرب وفلاسفة هاتيك القرون كابن رشد وابن سينا وغيرهما ومع ذلك ظلت الفلسفة المدرسية صاحبة السيادة المطلقة

ولها المحل الاول

هذه هي الحالة الفلسفية مدى الدورين ولا ريب ان خضوع العقل الإنساني لعلمٍ واحد وبقاءهُ السنين الطوال ضمن دائرة ضيقة لا يباح لهُ الخروج منها ولا التطلع الى ما وراءها لَمِما يذهب بمضاء الذهن و يكسب الخواطر الخمول ويجعلها في حسبان الجماد لان الحركة والنماء من خصائص الحياة

اما الدور الثالث الذي ينتهي سنة ١٦٠٠ م والمعروف بزمن النهضة فيباين الدورين الاولين من حيث انهُ استهلّ ايامهُ بافتراق الفلسفة عن التعاليم الدينية افتراقاً ضيقاً ثم اخذ ذلك الافتراق بالاتساع شيئاً فشيئاً حتى انتهى الامر باستقلال كلٍّ منهما استقلالاً تاماً . على ان من اسباب هذا الافتراق سقوط الدولة الرومانية الشرقية فانهُ لدى دخول محمد الفاتح الى القسطنطينية رحل كثيرون من علمائها الى ايطاليا والبلاد المجاورة لها ونقلوا معهم اليها الفلسفة اليونانية وسائر فنونها بحيث لم يأتِ القرن السادس عشر الاَّ وانتشرت المذاهب الفلسفية اليونانية القديمة في كل اوربا وانضمَّ تحت لواء كل منها نفر من جهابذة العلماء وخيرة الاذكياء على ان هذا الدور لم يحدث في الفلسفة شيئاً جديداً غير اعادة القديم والتفاني في اتباعهِ وتهيئة الخواطر لاقتبال الانقلاب الفلسفي

ولا جرم ان ذلك الانقلاب العظيم نتيجة لازمة عن النمو المعنوي الذي سُتر في طيات القلوب زمن النهضة ثمَّ تجلى للعيان اوائل القرن السابع عشر بمظهر جديد من القوة غار بها على القديم فزعزع اركانهُ ونسف دعائمهُ نسفاً

هذا وقد انتهت العصور المتوسطة وانتهت معها الفلسفة المدرسية وجاء القرن السابع عشر بفلسفتهِ الحديثة التي من خصائصها المميزة لها الاستقلال فانها استقلّت اولاً عن علم الدين واتبع كل منهما الغاية التي وضع لاجلها فغاية العلم البحث عن حقائق الموجودات وغاية الدين سامية وهي نشر الحقائق التي فوق الطبيعة والدفاع عنها وصار العلم لهذا العهد مباحاً للطالبين من اي صنف كانوا ولم يعد مخصصاً بدعاة الدين ولا محصوراً في صوامعهم وحسبك ان مؤسسي الفلسفة الحديثة لم يكونا من خدمة الدين ودعاتهِ بل كان الواحد منهما متشرعاً والثاني جندياً

ثانياً انها رفعت عنها سلاسل التقليد وسعت وراء الحقائق سالكة اليها سبيل الامتحان والاستقراء . ألا ترى انهُ كان في مجرد الاسناد الى كلام سقراط واقوال افلاطون وغيرهما من اقطاب العلم ما يغني عن الحجة القاطعة والبرهان الدامغ كما كان زمن النهضة اي في القرنين

الخامس عشر والسادس عشر فان رجال ذينك العصرين بالغوا في الانقياد الاعمى للفلسفة اليونانية ولآراء رجالها بحيث كانوا يسترسلون لكل قضية قال بها فيلسوف من اولئك الفلاسفة ولو ان الادلة تكذّب بها وظواهر الحال تنقضها. وسبب ذلك الغلو في التقليد والمتابعة ظاهر لمن اطّلع على حالة الفلسفة في اوربا قبل زمن النهضة وعرف مكانها من الخلل ومحلها من القصور ثم نظر الى الفلسفة اليونانية فراها مع ما هي عليهِ تسمو الفلسفة المدرسية من وجوه كثيرة فلا يعجب بعد هذا من تهافت الافرنج على درسها وانزالها من التجلّة مكاناً رفيعاً وحسبان اقوال رجالها فصل الخطاب في كل بحث فذلك طبيعي في كل امة تتصل بامة تعلوها حضارة وتفوقها ادراكاً ان تأخذ في تقليدها في سائر احوالها وتتابعها في جميع شؤُونها. اما زعماء الفلسفة الحديثة كباكون وكساندي وليبنتيز وسبينوزا وديكارت ومن جاء بعدهم فلم يستندوا في ابحاثهم الى آراء الفلاسفة المتقدمين ولم يتخذوا كلامهم حجة لتأييد ما يذهبون اليهِ بل لم يكن لها عندهم اقل اعتبار

قلنا ان مؤسسي الفلسفة الحديثة هما باكون وديكارت فانهما رأَيا انحطاط العلم ووهن اصولهِ ووجوب اصلاحهِ فسعيا الى ذلك جهدهما حتى بلغا الغاية الاَّ ان كلاًّ منهما سلك الى ذلك سبيلاً غير سبيل الآخر فانهما وان اتفقا في سلوك طرق التحليل فقد افترقا بان اتخذ ديكارت شهادة العقل فكان ابًا للمذهب الصوري Idéalisme وباكون تخير شهادة الحس فحسب ابًا للمذهب الحسي Sensualisme وسنورد هنا شيئًا من اراء كلٍّ منهما مبتدئين اولاً بباكون لسبق عهدهِ

باكون

هو فرنسيس باكون فيكونت سان البنس وبارون فرولام ولد في لندن سنة ١٥٦١م وهو اصغر اخوتهِ ورأى فيهِ ابوهُ منذ نعومة اظفارهِ توقّد خاطرٍ ومضاء ذهنٍ لا يكونان الاَّ في اعاظم الرجال ونوابغ الدهر فارسلهُ وهو في الثانية عشرة من سنيهِ الى مدرسة كمبردج حيث تلقى العلم ثمَّ خرج منها وأُرسل الى سفارة دولتهِ في باريز ولم يقم هناك طويلاً حتى اضطرَّ الى الرجوع بسبب موت ابيهِ ولأنهُ لم يتركلهُ من الثروة ما يقوم بهِ ولهذا درس الحقوق ليحصل على المال فجعلتهُ الملكة اليصابات محامياً في مجلسها الخاص ثمَّ انهالت عليهِ الالقاب والرتب جزاء تفوُّقهِ وبلاغة عبارتهِ حتى قال فيهِ احد واصفيهِ : لم يكن سامعوهُ يخشون الاَّ انتهاء كلامهِ: وكان في تضاعيف تلك المدة ينشر تآليفهُ الشهيرة التي كان يقبل الناس عليها اقبالاً عظيماً وتترجم الى لغات كثيرة . ولامور لا محل هنا لذكرها حُكم عليهِ بالسجن ثم عفى الملك عنهُ فانقطع

الدرس والتأليف ومات سنة ١٦٢٦م وترك في الوجود اسماً عطراً يبقى بقاء الدهر

هذه لمحة من حياة باكون في مظهرها العالمي بقي علينا ان نذكر الرجل في مظهرهِ الفلسفي فانهُ اخذ على نفسهِ محو الفلسفة القديمة محواً مطلقاً ولاجل ذلك وضع مؤلفهُ الشهير المعنون Instauratis Magna اي الاصلاح العظيم والكتاب مقسوم الى ستة اجزاء ابان في الجزء الاول منهُ وهن دعائم العلم لذلك العهد ثم ذكر في الجزء الثاني امكنة الضعف وقال بوجوب اتخاذ الملاحظة بدل الحدس والاستقراء عوض القياس واوضح في الجزئين الثالث والرابع انهُ يجب على الانسان الا يكتفي بالطريقة المار ذكرها بل يتعلم كيف يستخدمها وذلك ان يجمع اولاً بواسطة الملاحظة والامتحان الحوادث الطبيعية ثم يرتقي منها صعداً الى معرفة اسبابها واكتشاف شرائعها العامة ثم يعود نزولاً من الشرائع العامة الى الخصائص الخاصة . وابان في الجزئين الخامس والسادس انهُ لم يأتِ بعد الوقت الذي تعزز فيهِ طريقتهُ بالاكتشاف ثم بيَّن اوجه الفرق بين الفلسفة الحقيقية والعلم المدعوم على اسس واهية وسمَّى الجزء الخامس دليل الفلسفة والجزء السادس الفلسفة الحقيقية

ولم يكن لهُ مذهب خاص في الفلسفة وان حسبوهُ ابًا للمذهب الحسي الجديد وانصرف معظم ابحاثهِ ان لم نقل كلها نحو الفلسفة الطبيعية وانحصر في الطبيعيات جملةً ولم يرَ لهُ في مؤلفاتهِ الكثيرة كلام عن الفلسفة البحتة وانما عرَّفها في بعض مقالاتهِ انها من الآثار القديمة التي ليس في درسها شيء من الفائدة سوى ضياع الوقت عبثاً . ولربما كان استغراقهُ في درس الطبيعيات وسكوتهُ عما سواها من العلوم الفلسفية مما حمل عداتهُ وحسادهُ على رميهِ بالكفر وحسبانهِ من اعداء الديانة كذبًا وافتراء وهو على الضد من ذلك فانهُ كان معروفًا لدى مريديهِ بقوة العقيدة تشهد لهُ كتاباتهُ بشدة تمسكهِ بعروة مذهبهِ وطالما كرر العبارة الآتية وهي ان معرفة الشيء القليل من الفلسفة الطبيعية تقود الانسان الى الكفر ولكن التعمق فيها يرجع بهِ الى حظيرة الدين القويم . وليس باكون بالفيلسوف الوحيد الذي قام عليهِ حسادهُ يناصبونهُ العدوان و يرمونهُ بالكفر ظلما وبهتانًا فكثيرون من قبلهِ ومن بعدهِ ثارت عليهم احقاد الحساد فاذاقتهم مرَّ العذاب

هذا وقد جعل باكون المعارف على ثلاث مراتب وكل مرتبة منها تختص بقوة من قوى النفس فالذي يختص بالذاكرة من المعارف هو العلوم التاريخية على قسميها المدني والطبيعي والذي يختص منها بالمخيلة الشعر وما بقي من الفنون الجميلة والذي يختص بالعقل الفلسفة الطبيعية والعقلية واللاهوت

على ان غايتهُ ان يكون العلم ذا فائدة عملية لا علمًا نظريًا بحثًا لا فائدة منهُ غير ملء الذهن بالاوهام الفارغة والتخرصات الكاذبة ولذلك اشار على قومهِ ان ينصرفوا الى درس الطبيعة اكثر من انصرافهم الى درس كتب تلك الايام وان يستشيروا الحوادث بدلاً من استشارة المؤلفين. ثم شنّ على قياس ارسطو غارةً شعواء لم تبقِ عليهِ ولم تذر فنعتهُ بالعقم ورماهُ بالعجز عن ابلاغ الانسان الى اكتشاف الشرائع الحاكمة في الكون. على ان مؤاخذة باكون للقياس من هذه الوجهة مؤاخذة حقيقية لا ريب فيها فانهُ منذ ايام واضعهِ والعلماء يحسبونهُ الآلة الوحيدة للاحاطة بالصحيح وتبيان الحق . وحتى الآن لم نرَ لهُ من الحقائق والاكتشافات ما يحملنا على التمسك بهِ شديدًا وانزالهِ منا منزلة الذين اقتصروا من العلم عليهِ وظنوا ان لا حقيقة الاَّ حيث انتظمت مقدمات القياس وكانت الحدود طبق ما رسم الميزان وعرّف المناطقة

ولما كانت غاية باكون تقويض اركان القياس وادالة سطوتهِ رأى من الضرورة ان ينشئ طريقة جديدة تقوم مقامهُ وتكفي الباحثين مؤنتهُ ولاجل ذلك وضع طريقتهُ المسماة بالملاحظة والاستقراء في كتابٍ لهُ يعرف بالقانون الجديد Novum Organum وقد ابدع في تأليفهِ ونسقهُ نسقًا خاليًا من الحدس عن مبدإ العالم وكيفية تكوينهِ كما جرت عادة كثير من العلماء قبل زمانهِ وبيَّن فيهِ ببلاغة تسحر الالباب وادلة قاطعة ان للطبيعة نظامًا لا تتعداهُ وليس متناهيًا غير محكوم بشرائع ولا مقيد بنواميس وانها موجودة وحوادثها تقع امامنا ونشاهدها بحواسنا . ثم اسهب في ذكر المنافع التي تحصل للانسان من اكتشاف نظام الطبيعة ومعرفة قواها وان لا سبيل الى ذلك الاَّ في اتباع طريقة الملاحظة والاستقراء وعرّف الملاحظة بانها مراقبة ما يجري من الحوادث مراقبة تامة وتحققها جيدًا حتى تميز الواحدة عن الاخرى تميزًا فاصلاً وامتحان كلٍّ منها امتحانًا مدققًا على اوجه مختلفة ومتى تسنى لهُ معرفة الحوادث الطبيعية بطريقة الملاحظة والامتحان عليهِ ان يتخذ الاستقراء لمعرفة شرائعها وقواها . والاستقراء هو التوصل الى الحقائق العامة من معرفة الامور الخاصة او هو انتقال الفكر من معرفة الجزئيات الى الحكم على الكليات مثال ذلك اذا شاهدنا ان البرودة جمدت الماء ثم تأيدت تلك المشاهدة بالتكرار وبالامتحان في احوال متباينة وكذلك شاهدنا ان الحرارة اذا اصابت الماء على درجة معلومة حولتهُ بخارًا نحكم حينئذٍ ان ما فعلتهُ البرودة والحرارة في هذا الماء تفعلهُ في كل المياه ومن هذا الحكم ايضًا ننتقل الى حكم اعم بان البرودة والحرارة تفعلان بالزيبق والزيت والحليب ونحوها من السوائل فعلهما بالماء مع اختلاف قليل ثم ننتقل من حكم عام الى حكم اعم منهُ وهو ان كل السائلات تمددها الحرارة وتجمدها البرودة وتلك المشاهدة هي الملاحظة والحكم على العام من

الحكم على الخاص هو الاستقراء

هذه خلاصة طريقة باكون بسطناها اجمالاً . على ان الاستقراء قديم العهد في الوجود بدليل ان هيبوقراط ابا الطب والفلسفة الطبيعية اتخذهُ مشكاة في معظم ابحاثهِ وقد ذكرهُ ارسطو مراراً وعرّفهُ بانهُ نقيض القياس. اما رجال العصور الوسطى فما عولوا عليهِ ولا اتبعوا منهاجهُ بل ظلّ مجهولاً حتى زمن باكون الذي لم يبعثهُ من العدم المطلق بل انما ابرزهُ من الخفاء بمظهر الشباب من القوة والحياة فظهر للعالمين في شكل جديد بالغاً من الإحكام والدقة ما قلب هيئة الفلسفة وغيَّر وجه العلم وجاء بالفوائد الغزيرة التي محَّصت معارف الاقدمين فاثبتت الصحيح ونسخت الفاسد واضافت اليها حقائق كثيرة ثم اكتشفت النواميس العامة والخاصة المتسلطة على الطبيعة ودفعتها للانسان فاستخدم قواها وحوّل الماء بخاراً تطوى بهِ الفيافي والقفار باسرع من لمح الابصار وسيَّر منهُ البواخر في عرض البحر تشق عبابهُ ولا تخاف شدة هياجهِ ولا تخشى تلاطم امواجهِ وذللت لهُ الكهرباء فجعلت البعيد قريباً فصار الانسان يحادث اخاهُ وهو في مشرق الارض وذاك في مغربها كأَنهُ اقرب اليهِ من حبل الوريد وعرفتهُ ماهية البرق فلم يعد يحسبهُ عفريتاً ولا الرعد شيطاناً مريداً واقام لقصورهِ الباذخة قضباناً تقيهِ شر الصواعق اذا انقضت ثم نظر الى الظلمة الدامسة فصير المساء صباحاً

-وهذه الكيمياء التي كان للاقدمين فيها من الآراء ما يضحك الثكلى ومن المباحث ما تنبذها عقول صغار الطلبة لعهدنا هذا من نحو بحثهم عن حجر الفلاسفة الذي يحوّل الحديد والقصدير الى ذهب وفضة ومن مثل تفتيشهم عن اكسير الحياة الدواء الذي يدفع عن مستعمله الموت والمرض فلما جاءها الامتحان والاستقراء جعلها حقائق راهنة لا يشوبها الخزعبل ولا يعتورها التمويه فدخلت الصناعة فاحيت الصباغة والصياغة والدباغة وعمل الانوار والادهان والتفتت الى الزراعة فحسنت الزرع والغرس وعالجت امراضها فصارت الارض تفيض لبناً وعسلاً وامّت دار الطب فاكتشفت العقاقير الناجعة وحللت مواد الطعام فبينت المفيد منهُ والضار والفاسد من الماء والنقي الى غير ذلك مما يطول بنا شرحهُ ويستغرق المجلدات تعدادهُ

هذا وان لم يكن باكون قد اكتشف اكتشافاً عظيماً يؤيد فيهِ طريقتهُ الاّ ان فضلهُ عظيم حيث ارشد الباحثين الى الطريق المؤدية الى ذلك فكان كما قال فيهِ احد واصفيهِ انهُ يشبهُ جندياً ينفخ بالبوق لحشد الجند في ساحة الوغى ولكنهُ لا يقاتل بنفسهِ

صموئيل يني



جمعيتان ونادٍ في اسيوط

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اتحد فريق من شبان اسيوط الادباء فأسسوا جمعية دعوها جمعية الاتحاد الادبي واضافوا اليها نادياً للقراءة جمعوا فيهِ اكثر المجلات والجرائد العربية وعدداً كبيراً من الجرائد الانكليزية وافتتحوا هذا النادي يوم الجمعة الواقعة في ٦ الجاري فدعوا وجهاء البلدة وادباءها الى حفلة اقاموها لهذا الغرض فخطب بعض اعضائها في القوم في مواضيع مختلفة وكانت الجمعية قد دعت غيرهم للغاية عينها فاجمع الخطباء على وجوب الاتحاد ونظروا في خير الوسائل المؤدية اليهِ والتي تكفل تقدم البلاد في صناعتها وزراعتها وعلمها

ولمّا انتهت الحفلة دعا رئيس الجمعية الزائرين لزيارة النادي فأمّوهُ فاذا هو مؤلف من غرفتين لمطالعة الجرائد في كل منهما خوان قد رتبت عليهِ تلك الصحف وغرفة ثالثة وضعت فيها مكتبة الجمعية الصغيرة وغرفة رابعة للسكرتارية ولما كان شرب المسكرات في النادي ممنوعاً بموجب نص قانونهِ فقد اضافت الجمعية اليهِ غرفة أُخرى وضعت فيها المشروبات المحللة والمرطبات لمن يرغب ذلك وتركت دكاناً لطيفاً يشرف على بستان جميل لجلوس من يريد الحديث والمسامرة من الاعضاء

والنادي بسيط الاثاث واقع في نقطة مطلقة الهواء بجانب محطة سكة الحديد والظواهر تدلُّ على ان الاعضاء المؤسسين قد اعتمدوا ان يسيروا في خطة الارتقاء الاكيد فلم يندفعوا الى الاسراف المذموم وهم يرجون لناديهم النمو شيئاً فشيئاً عالمين ان الفائدة انما هي من الاقبال على النادي والمطالعة والاستفادة مما فيهِ من الكتب والجرائد هذا عدا الفائدة الادبية المتحصلة من انضمام هذا الفريق من الشبان واتحادهم لترقية شؤونهم وتعميم المعارف على ابسط الطرق واسهلها

ولما كان تقدير اعمال اولي الفضل من الواجبات رأيت ان اشير هنا الى ما فعلهُ حضرة حبيب بك شنوده من اعيان البلدة مساعدةً لهذا النادي فإنهُ قدَّم منزلاً لهُ مجاناً لستة اشهر حتى ترسخ قدم الجمعية وتستطيع ان تقوم بنفقاتهِ عن سعة وعندي ان وجهاء الاسيوطيين

لا يغمضون الطرف عمّا لهذا العمل من النفع فيشدون ازر القائمين بهِ بالاسعاف المادي والهدايا من الكتب ونحوها وينشطون مؤسسيهِ الذين قاموا بهذا المشروع غير حافلين بالصعوبات التي تحول دون بلوغهم غايتهم حتى تحققت امانيهم وشروط النادي تمكنهم من القيام بهذه المساعدة ومكتبتهُ في حاجة الى الكتب الكثيرة والقواميس والانسكلوبيذيات والنادي يقبل ما يهدى اليهِ منها بكل شكر وارتياح

وقد شاهدت من اجماع القوم على امتداح هذا العمل واعجابهم بهِ ما يحملني على الظن انهُ سيصادف نجاحاً واقبالاً وان اسيوط ستكون قدوة لغيرها من المدن المصرية فيهِ. فتزداد هذه الاندية ليؤمّها الشبان في ساعات الفراغ ينفقون اوقاتهم في خير الامور وابقاها فيغذون العقول ويكتسبون ما فيهِ النفع لهم ولوطنهم

على اننا نحن الشرقيين مشهورون بسرعة التغيُّر وعدم الثبات وكثرة الانشقاق واني بلسان مجلتكم اعزم على اعضاء جمعية الاتحاد الادبي ومؤسسي ناديها ان يذكروا على الدوام الشعار الذي اتخذوهُ لها وان يهزأُوا بالصعوبات التي تعرض لهم فيظهروا للعالم باسرهِ ان العلم اخذ يثمر في الشرق وان المتعلمين اصبحوا اكفاء قادرين على مجاراة اخوانهم الغربيين واطلب الى الاسيوطيين ان يبدوا في هذا النادي ما هو مشهور عنهم من الثبات وصدق العزيمة

وفي اسيوط جمعية أُخرى حميدة الغاية تضم اليها فريقاً من النجباء وقد علمت ان اعضاءها ساعون في ايجاد مكان مناسب متوسط ليجعلوهُ داراً للمطالعة والقراءة حقق الله آمالهم وبلّغوا غايتهم فان النجاح قرين الجدّ والثبات

وعندي ان مجلة المقتطف التي خدمت الشرق خدمات علمية وادبية جزيلة لا تتأخر عن النظر في هذا العمل وامثالهِ من باب الارشاد والحث والتنبيه لعلها توقظ الهمم الناعسة بين الناطقين بالضاد كما هي عادتها في مثل هذه الاحوال وعسى سائر الجرائد والمجلات ان توافي قراءها بما يزيدهم علماً بفضل هذه الجمعيات والاندية

اسيوط ٧ يوليو ١٩٠١ خليل ثابت

عربات الاوتوموبيل

اقتراح لغويّ

ظهرت بمصر هذه العربات وكثر الآن تحدث الناس عنها بسبب مسابقاتها بين باريس وبوردو وبين عاصمتي الفرنساوية والالمان بل بين القاهرة والاسكندرية فوجب على الذين

يغارون على العربية ان يبادروا بوضع لفظ عربي يدل على هذه العربة قبل ان يشيع اسمها الطمطماني على ألسنة الناطقين بالضاد و يتعذر تلافي هذا الفساد كما استحال استئصال الكثير من الكلمات الاعجمية المبهمة التي رسخت بالرغم عن أنوفنا في لغتنا الشريفة ونحن ندّعي أننا القائمون بحمايتها وصيانتها

هذا والذي يجول بخاطري من زمان بعيد وقد حانت الآن فرصة التعبير عما في الضمير أنّ معاشر الكتاب وفريق المتعلمين يجب عليهم ان يتكاتفوا لرفع شأن اللغة العربية والسير بها في طريق التقدم العصري لتكون وافية بحاجاتنا في التفاهم والبيان . وذلك بان يقفوا بجانب بعضهم كالبنيان المرصوص حتى يتألف منهم نطاق يشابه نطاق الكمارك والدخوليات لمنع كل كلمة غريبة جديدة من الدخول الى حظيرة لغتهم قبل ان يمحّصوها تمحيصاً وينقبوا لها عن اسم عربي أصيل او موضوع . ويا حبذا لو فعلوا ذلك فرادى اولاً ثم تألفت منهم الجماعات ثانياً فتتحقق الفائدة المقصودة بفضلهم وباذن الله

والذي اقترحهُ الآن على عموم المتأدبين ان يوافقوني على اختيار اللفظ العربي المبين للأوتوموبيل كما وافقوا من قبلُ على استعمال " صحافة " لتعريب كلمة (Presse) دلالة على مجموع الجرائد من باب اسم الجنس و " صحافي " للقائم بخدمة الجرائد و " درّاجة " لتلك العجلة التي يركبها الانسان و يسير عليها كالشيطان وهي البيسيكليت (Bycicletté)

اما اللفظ العربي الاصيل الذي اقترحهُ اليوم لتعريب كلمة اوتوموبيل (Automobile) ومعناها " المتحركة بنفسها " او " الجارية من نفسها " فهو " السيارة " ومن الغريب ان كلمة السيارة قد تجمعت فيها كل المعاني التي يشملها اللفظ الافرنكي وكافة الدلالات المقصودة من تلك العربات . هذا وان مجرد الفكر القليل في " السيارة " وفي مادتها الاصلية اللغوية وفي تركيبها وفي المعاني التي تدل عليها وفي طائفة من الكواكب خصوصاً يكفي لموافقتي على هذا الاقتراح

لذلك جئتكم راجياً التكرم بعرض هذه اللفظة في جريدتكم " السيارة " ليسير عليها الكاتبون والمعرّبون كما درجوا من قبل على استعمال " الدرّاجة " وعساكم تستعينوا بصحيفتكم البيضاء الكثيرة الشيوع والكبيرة التأثير على ضم صوتكم العظيم الى صوتي الضعيف ليسمعهُ و يصيخ لهُ جميع الناطقين بالضاد والسلام احمد زكي

عن رمل الاسكندرية في ٨ يوليو سنة ٩٠٩ بمجلس النظار

[المقتطف] طلب الينا حضرة الكاتب الفاضل ان نضم صوتنا الى صوته لكي نمنع

الدخيل من اللغة اي لكي تمنع عنها احدى طريقتي النمو فان اللغات الحية تنمو بالاضافة اليها من الخارج كما تنمو بالتوسع فيها من الداخل شأن كل الاجسام الحيَّة . وهو مصيب في منع الدخيل حيث لا تدعو الحاجة اليهِ وحيث يسهل الاستغناء عنهُ بكلمات اللغة لئلاَّ تكثر المترادفات فيها فيزيد تعب الذهن في ادراكها على غير زيادة في المعاني ولكن اذا كان الدخيل علماً او قائماً مقام العلم فادخالهُ بلفظهِ خير من محاولة تعريبهِ او ترجمتهِ ان لم يكن واجباً

ولقد كثرت المكتشفات والمخترعات في هذا العصر حتى لو اردنا ترجمة كل الاسماء التي يضعها الاوربيون يوماً بعد يوم لما يكتشفونهُ ويستنبطونهُ من الآلات والادوات والمواد الجديدة وما يصفونهُ من انواع الحيوان والنبات والجماد لضاق علينا نطاق العربية واضطررنا ان ننحت منها ونصرف كلمات تربو على كلماتها الواردة في كتب اللغة وتعدُّ بمئات الالوف

وغنيٌّ عن البيان ان المخترع الذي يقضي الايام والاعوام في اختراع آلة واتقانها حريٌّ بان يضع لها الاسم الذي يريدهُ لتعرَّف بهِ . وقد يحاول الكتَّاب تغيير هذا الاسم او ترجمتهُ بما يدلُّ على معناهُ اذا لم يحلُ لهم لفظهُ لكنهم قلَّما يتوخون ذلك في غير المقالات الادبية التي للفظ فيها مقام رفيع تضحَّى لهُ المعاني اما اذا كتبوا كتابة علمية او صناعية او تجارية لم يروا لهم بدًّا من الاعتماد على الاسماء التي وضعها اصحابها خفيفة كانت على اللفظ او ثقيلة معربة او معجمةً . وهذا شأن عام للناس في كل العصور فالعرب لما ترجموا كتب العلم عن اليونانية ابقوا على كثير من الاسماء العلمية كالاسطرلاب والدوسنطاريا والقنطاريون ولم تزل هذه الاسماء شائعة الى يومنا هذا حتى في كلام العامة . والافرنج لما ترجموا كتب العلم عن العربية ابقوا على الاسماء العربية كالجبر والمقنطر والنظير

وقد حاول البعض من كتَّابنا ترجمة بعض الكلمات العلمية والصناعية التي وضعها الاوربيون حديثاً كالميكرسكوب والفونوغراف وهم انما يفعلون ذلك حيث المقام الاول للفظ لا للمعنى ولو كان احدهم تاجراً يبيع هذه الآلات وخطر لهُ ان يكتب على باب مخزنهِ هنا تباع المجاهر والمقاول وكان لهُ مناظر يناظرهُ ويضاعتهما واحدة وكتب هذا على باب مخزنهِ هنا تباع انواع الميكرسكوب والفونوغراف لظهر الفوز للثاني على الاول بعد زمن قصير

وهذا لا ينفي جواز الترجمة والتعريب واستعمال الاسماء المترجمة والمعرَّبة حيث يؤمن اللبس وحيث لا خوف من ضياع المعنى او من ضياع الفائدة . وما دامت العربية واسعةً جدًّا وفيها كثير من الالفاظ التي ضاعت مدلولاتها وما دام باب النحت والتصريف فيها واسعين فلا يكون من الحكمة استعارة كلمات كثيرة الاستعمال لتدل على غير ما تستعمل فيهِ ككلمة

سيَّارة التي اختارها حضرة الكاتب الفاضل للدلالة على مركبة استنبطت بالامس وهي مستعملة منذ الف سنة فاكثر للدلالة على نوع مخصوص من كواكب السماء . وهذا الحكم لا يصدق على الدرَّاجة لانهُ اذا اريد بها آلة الحصار فقد بطل استعمالها الآن ولا تجدها مذكورة بهذا المعنى في كتاب من كتب المحدثين الاَّ نادرًا جدًّا واذا اريد بها العجلة التي يدرج عليها الطفل فهي اشبه شيءٍ بالبيسكل فتعريب البيسكل بها من التوفيقات الغريبة . ولو عُرّب الاتوموبيل بالدوَّامة مثلاً او بالدوَّارة لكان ذلك اولى لان الدوَّامة قليلة الاستعمال في ما وضعت لهُ وهي تدلُّ على حركة مكتسبة تصير ذاتية وتدوم طويلاً . والدوَّارة قليلة الاستعمال بمعناها الاصلي وتدلُّ على كثرة الدوران . ولا بدَّ من الاحتفاظ بكلمة الاوتوموبيل في كل المعاملات التجارية والصناعية . وحبذا لو اختار واضعها كلمة اقل منها حروفًا واسهل لفظًا واقرب الى الاوزان العربية ليسهل تعريبها والنطق بها لكننا لم نخطر ببالهِ يوم وضع هذا الاسم ولا نحن في الوجود شيئًا مذكورًا. وحبذا لو اقترح علينا حضرة الكاتب ان ندعو قراء المقتطف الى تأليف شركة وطنية تنشئ معملاً كبيرًا لعمل الاوتوموبيل اسوة باهالي يابان الذين انشأُوا معامل البيسكل في بلادهم وناظروا بها المعامل الاوربية وهم يهتمون الآن بانشاء معمل للاوتوموبيل . ولكن هيهات ان نحذو حذوهم او نجاري اصغر الممالك الاوربية ما دامت اللغة ديننا ومعبودنا

المدرسة الكلية الاميركية في بيروت

احتفلت المدرسة الكلية في بيروت احتفالها السنوي الثاني والثلاثين في ناديها الكبير مساء الاربعاء في ١٠ يوليو (تموز) فافتتح حضرة الدكتور هنري جسب الاحتفال بقراءة فصل من التوراة والصلاة وخطب منصور افندي جرداق من منتهي القسم العلمي في تقدُّم العمران وازدحام السكان . وسوتيري افندي دوماني من منتهي القسم الطبي في الطاعون ثم نهض حضرة الاستاذ جبر ضومط استاذ العربية والبيان في المدرسة الكلية وخطب الخطبة السنوية وموضوعها سورية فاجاد وافاد كثيرًا . ووزع جناب رئيس المدرسة الدكتور باس الشهادات على مستحقيها وهم ستة من منتهي القسم الطبي

اسعد سليم ايوب	ومحمد امين يوسف فرعون
وقروبت بابكيان	ونعمة خليل نخو
وسوتيري نقولا دوماني	ونظرت كفورق نعلبنديان

واربعة عشر من منتهي القسم الصيدلي وهم

روبين بدروس اجزاجيان	وتوفيق ملحم رعد
وسقراط ابرهيم اماسليدس	وجدديه موسى روبوفيتس
واسكندر كيفورق بيراميان	وسليم خليل شديد
ورشيد جرجي بدوره	وايليا متري صليبي
وملحم موسى جريصاتي	ويعقوب ماركوس كولاروس
وناصيف خليل جمل	وميخائيل فضل الله نجار
وسليمان اسعد الخوري	وتريانتوفيلو قسطنطين لاداكس

واثنا عشر من منتهي القسم العلمي وهم

اسكندر ابرهيم ابو ريحان	وامين متري صليبي.
ودكران قروبت اتمكجيان	والياس خليل عيساوي
وخالد الياس ثابت	ونيقولاوس فلامباس
وسليم الياس ثابت	وروفائيل جورج كساب
ومنصور حنا جرداق	واسعد نقولا مدري
وعبد الرحمن صالح شهبندر	وتوفيق ابرهيم مشاقة

وستة واربعون تلميذًا من منتهي القسم الاستعدادي. والمجموع ٧٨ تلميذًا وهم كل التلامذة الذين تقدموا الى الامتحان الانتهائي

ثم منحت المدرسة الكلية رتبة معلم في العلوم (ارتيوم مجستر) لحضرة الاستاذ الفاضل جبر افندي ضومط وهي اول مرة منحت هذه الرتبة لاحد من ابنائها

والتلامذة الذين نالوا شهادتها هذه السنة مختلفو البلدان من سورية ومصر وحلب و بغداد وعينتاب و بر الاناطول و بلاد اليونان وجزيرة قبرص . وقد عادت بها بيروت الى ما كانت عليهِ في عهد الرومان مرضعة للعلوم في ديار المشرق

احد ابناء المدرسة

المدارس الانكليزية في الشويفات

احتفلت المدارس الانكليزية في الشويفات احتفالها السنوي في ٢١ يونيو (حزيران) بحضور جم غفير من وجهاء بيروت ولبنان . جرى الاحتفال صباحًا في مدرسة البنات و بعد الظهر في مدرسة الصبيان وقُدّمت في كلتيهما الخطب الادبية والمحاورات المفيدة بالعربية

والانكليزية والفرنسوية فاظهر التلامذة والتلميذات تمام البراعة وصفق لهم الحضور مراراً . ولا غرابة في ذلك لان مؤسسة هذه المدارس السيدة لويزا بروكتر ومديرها الاديب انطونيوس افندي سعد ومعلميها ومعلماتها ساهرون عليهم سهر الوالدين على اولادهم يساعدهم على ذلك جمال مكان المدارس وجودة هوائهِ فان الصحة تجود بهما ومتى جادت الصحة قوي العقل وسهل عليهِ الدرس والحفظ . ودام الاحتفال الى الساعة الخامسة بعد الظهر وحينئذٍ خطب بعض الحضور شاكرين حضرة مؤسسة هذه المدارس وحضرة مديرها ومعلميها ومعلماتها وداعين لبيوت العلم بالعمران الدائم حنا صروف

باب تدبير المنزل

الرضاعة

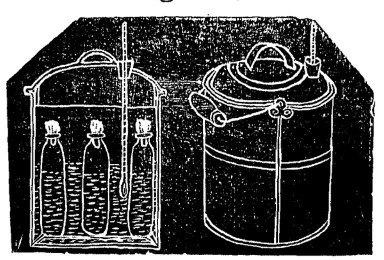
لما اخذنا القلم لكتابة هذه السطور ورد تلغراف روتر من بلاد الانكليز وفيهِ ان الاستاذ كوخ قال في مؤتمر السل ان ميكروبهُ لا يدخل البدن من لبن الحيوان المصاب بهِ ولا من لحمهِ . وهذا قول رجل ثقة تطمئن لهُ قلوب الذين صاروا يحسبون اللبن اكبر عدو لنوع الانسان بعد ان كانوا يعدونهُ صديقهُ الاكبر . لكننا لا نظن الدكتور كوخ قطع بصحة قولهِ فان ميكروب السل يوجد في لحم الحيوانات المصابة بهِ وفي لبنها ايضاً اذا كان التدرُّن في ضرعها فلا يعقل انهُ لا يتصل باللبن ولا انهُ يوجد في اللبن و يكون اللبن سليماً . ثم اذا انتفى وجود ميكروب السل من اللبن لا ينتفي وجود غيرهِ من الميكروبات ولا سيما التي تقع في اللبن بعد حلبهِ وتتصل اليهِ من مزجهِ بماء قذر ووضعهِ في آنية وسخة ولذلك لا يجوز ان يرضعهُ الاطفال اذا تعذَّر ارضاعهم من امهاتهم او من مرضع اخرى الاَّ اذا سُخِّن الى درجة تميت الميكروبات منهُ لو كانت فيهِ

ويختار لبن البقر على غيرهِ ويجب ان يكون جديداً وان يحلَّى بالسكر ويمزج بالماء ففي الشهرين الاولين يمزج بضاعف وزنهِ من ماء الشعير ثم يقلل الماء و يزاد اللبن رويداً رويداً حتى يصير اللبن كالماء في الشهر الخامس . و يُصنع ماء الشعير بان يصبَّ رطل (مصري) من الماء على ملعقة صغيرة من مدقوق الشعير و يغلى هذا الماء عشر دقائق . والسكر اللازم هو ملعقة

صغيرة لكل رطل من اللبن وماء الشعير . ولا يضاف السكر الى اللبن الاَّ قبلما يُسقاهُ الطفل ببضع دقائق

ولا يسخَّن اللبن بوضعهِ على النار مباشرة بل يوضع في زجاجات وتوضع الزجاجات في اناء فيهِ ماء يسخَّن على النار كما ترى في هذه الصورة فيسخن الماء ويسخن اللبن . ولا بدَّ من اغلاء الماء ايضاً قبل مزج اللبن بهِ ويحسن ان يمزج اللبن بهِ ثم يسخَّن الاثنان معاً

واذا كان اللبن كثير السمن كلبن الجاموس وجب ان يزاد مقدار الماء الذي يمزج بهِ او ان يترك مدة حتى تطفو القشدة على وجههِ فتنزع عنهُ



ومتى ظهرت اربع اسنان من اسنان الطفل يضاف الى لبنهِ شيءٌ من الطعام كدقيق الارز والسميد والكورن فلور والاروروط وطعام ملن وما اشبه ويحلَّى هذا الطعام بقليل من السكر ويصنع حالما يراد ان يطعمهُ الطفل فلا يترك من يوم الى آخر

واذا أُريد ان يرضع الطفل اللبن بالرضَّاعة تفضل ان تكون حلمتها قصيرة متَّصلة بفمها حتى يسهل تنظيفها . وتغسل القنينة وحلمتها كلما اريد وضع اللبن فيها وكلما رضع الطفل منها واتمَّ رضاعتهُ حتى لا يبقى فيها شيءٌ من اثر اللبن . ومن الحكمة ان يكون للطفل رضَّاعتان يستعمل احداها بينما تنظَّف الاخرى . ولا بدَّ من ان توضع الرضاعة في يد الطفل مائلة حتى يبقى عنقها مملوءًا باللبن ويجب ان يحمل حينئذٍ كما تحملهُ امهُ وهي ترضعهُ

والارضاع بالرضاعة خير من سقي اللبن بالملعقة لان مصَّ اللبن مصاً يدعو الى افراز اللعاب فيمتزج باللبن و يساعد على هضمهِ واما شربهُ فلا يدعو الى افراز اللعاب

ويختلف مقدار اللبن باختلاف سن الطفل وقوتهِ فاذا كان قوي البنية وعمرهُ من شهر الى ثلاثة اشهر كفاهُ كل مرة نصف رطل من اللبن وماء الشعير اي نحو سبعين درهماً واذا

كان عمره من ثلاثة اشهر الى ثمانية كفاه كل مرة ثلاثة ارباع الرطل اي نحو مئة درهم ولا بدَّ من الاعتناء حتى لا يُغصَب الطفل على الاكل غصباً لان الطعام اذا زاد على الحاجة فمنهُ ضرر كبير . فاذا ترك الطفل الثدي او الرضّاعة ولم يعد يرضع فذلك دليل على انهُ شبع . وقد يترك الثدي والرضّاعة اذا اصابهُ مغص ولو لم يشبع ويعالج منهُ بان تقلبهُ امهُ على بطنهِ على يدها اليسرى وتفرك ظهرهُ بيدها اليمنى ثم تعيدهُ الى الثدي او الى الرضاعة فاذا ابى الرضاعة ايضاً فلا يغصب عليها

والطفل الذي يرضع بالرضاعة يُرضَع مراراً كالذي يرضع من الثدي ومتى ظهرت اربع من اسنانهِ يمزج اللبن لهُ بشيء من الطعام كما لو ربي على ثدي امهِ

السندويش

خير طعام يأخذهُ الانسان معهُ اذا سافر في سكة الحديد او ذهب الى النزهة الخبز المحشو بقليل من اللحم والزبدة وهو المعروف بالسندويش . واذا كان هذا الخبز ابيض جيداً وأُحسن قصُّهُ ووضعُ دقيق اللحم او شرائحهِ فيهِ وكان اللحم ممزوجاً بقليل من الزبدة والتوابل كالخردل والفلفل وما اشبه فهو من اطيب الاطعمة والذي يأكلهُ لا يحتاج الى سكين وشوكة ولا الى صحاف ولا تتّسخ يداهُ فيأكلهُ وهو مسافر او وهو في النزهة ولا يحتاج معهُ الاَّ الى ماء يشربهُ فيكون غذاءه طيباً كافياً

وخير انواع الخبز لعمل السندويش الخبز النمسوي المربع والخبز الاسمر والخبز الرومي الكبير اي الخبز الذي ثقوبهُ صغيرة حتى يسهل دهنهُ بالادام واما الذي ثقوبهُ كبيرة فاذا دُهن بالادام تجمَّع كثير منهُ في ثقوبهِ

وكل انواع اللحم المقلو (روستو) يصلح لعمل السندويش والأولى ان يفرم فرماً ناعماً جدا ويمزج بقليل من الزبدة والخردل والفلفل والملح ويدهن الخبز بهِ من ان يشرَّح شرائح ويوضع في قلب الخبز . وما يصدق على اللحم يصدق على اللسان وعلى اللحم المقدَّد والمحفوظ على انواعهِ . ويحسن ان يضاف الى اللحم قليل من البيض المسلوق او يعمل بعض السندويش باللحم وبعضهُ بالبيض . ولا بدَّ من اضافة قليل من التوابل والبهارات الى البيض ايضاً . ويحسن ان يضاف اليهِ والى اللحم قليل من الخيار المفروم والطماطم المفروم فرماً دقيقاً فيغني عن السلطة . ولحم الدجاج والطيور والسمك تقوم مقام لحم الضان ولحم البقر

وقد يوضع في السندويش زبدة وسردين بعد مزجهما بقليل من البقدونس والكرفس .

يفرم البقدونس والكرفس فرماً ناعماً جدًّا و يزجان بالزبدة والسردين بعد نزع عظامهِ و يدق الجميع في هاون حتى يصير مزيجاً كالعجين فتدهن بهِ قطع الخبز . او يوضع فيهِ زبدة وجبن يبرش الجبن اولاً كما يبرش للمكرونة ويزج بالزبدة وبقليل من الملح والفلفل والكرفس . ويحسن ان يفرم الخيار المخلل او غيرهُ من المخللات فرماً ناعماً و يضاف قليل منهُ الى كل ما يوضع في السندويش

ويوضع في بعض السندويش مربيات حلوة من مربى المشمش والتفاح والعليق وقشر البرتقال وما اشبه فتقوم مقام الحلوى بعد الطعام

الخبز الجديد والخبز العتيق

جاء في جريدة اللانست الطبيَّة ان الخبز الجديد اعسر هضماً من الخبز العتيق مع انهُ اطيب منهُ طعماً لكن الخبز الجديد لا يكون عسر الهضم الاَّ اذا ابتلعهُ آكلهُ من غير ان يمضغهُ جيدًا واما اذا مضغهُ جيدًا كما يمضغ الخبز العتيق حتى امتزج بلعابهِ صار سهل الهضم مثل الخبز العتيق . اما الخبز العتيق فلا يستطيع بلعهُ ما لم يلكهُ ويمضغهُ جيدًا ولذلك يمتزج باللعاب ويسهل هضمهُ . وهذا سبب الفرق الظاهر بين الخبز الجديد والخبز العتيق من حيث سهولة هضم الثاني وصعوبة هضم الاول

هذا ما ذكرتهُ جريدة اللانست ويقول غيرها ان الخبز العتيق اسهل هضماً من الخبز الجديد لان تركيبهما الكيماوي بين مختلفان. واذا سُخِّن الخبز العتيق صار كالجديد في طيب طعمهِ وبقي سهل الهضم كما كان . ولا يبعد ان يكون قول اللانست هو الاوجه اي ان الخبز الجديد سهل الهضم كالعتيق اذا مُضغ جيدًا كما يمضغ العتيق

ليموناضة الاناناس

افتح علبة من علب الاناناس وقطّع الاناناس الذي فيها قطعاً صغيرة جدًّا واضف اليهِ والى السائل الذي معهُ عصارة اربع ليمونات ونحو اقة ونصف اقة من الماء الغالي وما يكفي من السكر لتحليتهِ حسب المراد واترك الجميع في اناء ثلاث ساعات ثم صفهِ واضف اليهِ قليلاً من الثلج

اتّقاء النمل

وضعنا اربع صحاف تحت قوائم خزانة كبيرة من اول هذا الصيف حيث يكثر النمل ووضعنا في الصحاف رماداً وقليلاً من المسحوق الفارسي ونحن نضع في هذه الخزانة وعليها من كل انواع الطعام والنمل عاجز عن الوصول اليها



بعض الحشرات وعلاجها

زيز ورق الكرم

هو حشرة حمراء قرمزية اللون رأسها اسود وكذلك قوائمها طولها نصف سنتمتر او اكثر قليلاً على جناحيها غطاء ان مسند يران تقع هذه الحشرة على اوراق الكرم فتأكلها او تتلفها ثم تلف ورقة وتصنع فيها عشًّا كقمع الخياط وتبيض فيهِ وتخرج صغارها منهُ وتأكل ورق الكرم

العلاج — تهزُّ قضبان الكرم فتقع الحشرات عنها وتُقتل واذا كانت على شجرة اخرى غير الكرم ترش بمذوب اخضر باريس رطل من اخضر باريس في الف وستمئة رطل من الماء يحرك المذوب جيداً ويرش الشجر بهِ بمضخة تدفعهُ اليهِ نقطاً صغيرة جداً. واسم هذه الحشرة العلمي *Rynchites bicolar*

سوس الفول

سوس الفول معروف وهو صغير جداً لونهُ اسمر يكاد يكون اسود وعلى غطاء جناحيهِ خطوط دقيقة

العلاج — اذا وضع الفول في ماء سخن مات كل السوس منهُ ولكنهُ لا يعود ينبت اذا زرع سواء كان منخوراً بالسوس او غير منخور واما اذا عولج ببي كبريتيد الكربون مات السوس منهُ وبقيت جرثومتهُ حية اي انهُ ينبت اذا زرع ولو كان منخوراً قليلاً. وهو يعالج بهذه المادة هكذا تصنع صناديق كبيرة من الخشب يسع الصندوق منها مئة قدم مكعبة من الفول اي يكون طولهُ خمس اقدام وعرضهُ خمس اقدام وعلوهُ اربع اقدام ويوضع في اسفلهِ اناء من الخزف يوضع فيهِ رطل من بي كبريتيد الكربون ثم يملأ بالفول ويقفل ويترك كذلك اربع ساعات فهذا السائل يتبخر حالاً ويطرد الهواء من الصندوق ويملأ الفراغ بين حبوب الفول ويقتل السوس الذي فيها ويكون للصندوق فتحة جانبية في اسفلهِ تفتح ليخرج الفول منها. ويتم هذا العمل في الخلاء. ولا يخفى ان بي كبريتيد الكربون سريع الالتهاب فلا يجوز ان تدنى منهُ نار او سيكارة مشتعلة ويجب ان يقف العامل الى الجهة التي تهبُّ منها الريح حتى لا يتنفس بخارهُ واسم هذا السوس العلمي *Bruchus fabae*

دود الشجر

هو دود صقيل يشبه دود القطن طوله' اذا بلغ نحو اربعة سنتمترات يظهر في الربيع ويختفي نهارًا تحت الارض ويخرج في الليل ويأكل ورق الاشجار ولا سيما الاشجار المثمرة

العلاج — تلف ورقة متينة حول ساق الشجرة وتدهن بحبر الطباعة الممزوج بزيت الخروع حتى لا يجمد ويعاد دهنها مرتين او ثلاثاً في الاسبوع . او توضع قطعة من الكرتون الصقيل حول ساق الشجرة وضعاً افقياً حتى تكون كالمظلة المفتوحة بالنسبة الى عصاها فان الدود يصل اليها ويعجز عن الصعود على الشجرة . واسم هذا الدود العلمي *Agrotis atomaris*

الدود الكبير

فراش هذا الدود كبير يبلغ اتساعه' اذا بسط اجنحته' عشرة سنتمترات او اكثر جناحاه' المقدمان اسمران رماديّان والمؤخران ورديّان حواشيهما سمراء وهو سريع الطيران يطير بعد الغروب و يضع بيضه' على اوراق العنب وبيضه' مستدير اخضر باهت يلصق بالورق بمادة غروية . ويكون الدود في اول امرهِ اخضر وعلى مؤخرهِ نتوء بارز شعري او قرني ثم يتغير لون الدود فيصير اسمر ضارباً الى الحمرة واخيرًا يتولد على جسم الدودة ستة خطوط الى ثمانية خطوط من النقط البيضاء مائلة على جنبيها ومتى بلغت اشدها تغور في الارض وتستحيل فيها زيزًا ثم تظهر في الربيع التالي فراشة

العلاج حرث الارض قبلما يظهر الفراش وقتل الزيزان منها . واذا ظهر الدود فهو كبير قليل العدد ولا بدَّ من قتلهِ واحدة فواحدة يمسك واحد مقراضاً بيدهِ و يفتش عن الدود وكلما وجد دودة قطعها بالمقراض

واسم هذا الدود العلمي *Philampelus* اي محب الكرم

تربية العجول للذبح

لقد شاع اكل لحم البقر في هذا القطر والقطر السامي بعد ان كان اكله' قليلاً وصار لحم العجل اغلى من لحم الضان لا لانهُ اطيب منهُ طعماً ولا لانهُ اكثر منهُ غذاء بل لان الناس يقلدون الاوربيين وهؤلاء يفضلون لحم العجل على غيرهِ حتى صارت تربية العجول عملاً رابحاً . وقد كتب المستر تشارلس بروس مقالة في خير الطرق التي تستعمل لتربية العجول وتسمينها نشرها في مجلة الشركة الزراعية وقد لخصنا منها ما يأتي

العجول التي يراد تربيتها للذبح تختار من حين ولادتها وتربى تربية خصوصية . توضع في مكان مظلم لا صوت فيهِ حيث تأكل وتنام ولا تحتاج الى الحركة فتربو قليلة الحركة كأنها مخازن يخزن الغذاء في بدنها . ويجب ان لا تزعج بوجه من الوجوه بل تعوَّد على السكون التام بكل واسطة

وتطعم كل ما يمكنها ان تأكلهُ من الطعام اي يجب ان يكون الطعام زائداً عن حاجتها. ولهم في تربيتها اسلوبان الاول أن تطعم اللبن فقط الى ان تذبح ولكن نفقة ذلك كثيرة جداً.والثاني ان يجعل بعض طعامها لبناً و بعضهُ علفاً . وعلى كل حال لا تترك العجول لترضع اماتها اذا اريد ذبحها لانها تجهد نفسها حينئذٍ في الرضاعة وفي اتباع اماتها اجهاداً يزيد حركتها ويمنع سمنها . ولكن تسقى من لبن امها سقياً سبعة ارطال الى ١١ عشر رطلاً (مصرياً) كل يوم مدة الشهر الاول يضاف اليها رطلان من دقيق الفول او دقيق الذرة في الاسبوع الثاني ثم يزاد مقدار اللبن والدقيق رويداً رويداً كما ترى في هذا الجدول

الاسبوع	ارطال اللبن يومياً	ارطال الدقيق اسبوعياً
الاول	٧	
الثاني	٨	٢ ١/٣
الثالث	٩ ١/٢	٥
الرابع	١١	٦ /٣
الخامس	١٢	٨
السادس	١٣ ١/٢	١٠
السابع	١٥	١٢
الثامن	١٦	١٣

ثم يزيد مقدار اللبن فيبلغ في الشهر الثالث ٤٧٦ رطلاً والدقيق فيبلغ ٦٦ رطلاً وفي الشهر الرابع فيبلغ مقدار اللبن ٤٨٠ رطلاً ومقدار الدقيق ٨٢ رطلاً . وجملة ما يطعمهُ العجل في ١٦ اسبوعاً ١٦٠٠ رطل من اللبن و ٢٢٠ رطلاً من دقيق الفول او الذرة وهو يباع حينئذٍ باربع مئة غرش اذا بيع العجل الذي لم يسمن بمئتي غرش واللبن يصلح ان يكون مخيضاً كلهُ اي مما نزعت قشدتهُ ولكن الاولى ان يكون نصفهُ فقط مخيضاً الاَّ في الاسبوع الاول فيكون غير مخيض . ويطعم العجل فوق ذلك قليلاً من العسل (دبس قصب السكر) يبتدأ بشيء قليل منهُ ثم يزاد قليلاً قليلاً حتى يبلغ رطلاً وربع رطل في اليوم ولا بدَّ من

اضافة الملح الى طعام العجول فانهُ يقلل طعم الدبس و يساعد الهضم . اما دقيق الحبوب فيطبخ باللبن طبخاً اي يغلي بهِ قليلاً ثم يضاف العسل اليهِ بعد ما يبرد

ويزعم الفلاحون في مصر انهم اذا تركوا العجول مع اماتها زاد لبنها وهذا خطأٌ والعجول نفسها لا تسمن ما دامت مع اماتها ولا يعود تسمينها سهلاً لانها تعتاد كثرة الحركة وكذلك لا تربو صالحة للشغل . نعم اذا اعتادت البقرة ان تدر لبنها وعجلها معها صارت تمتنع عن الادرار اذا أُبعد عجلها عنها ولكنها تمتنع عن ذلك بضعة ايام ثم تعود اليهِ وقد تمتنع عن الادرار اذا غاب عنها من اعتاد حلبها واذا اعتادت ان ترى كلباً او حيواناً آخر وهي تحلب ثم غاب عنها . والعادة المتبعة في هذه البلاد وهي حشو جلد عجل واقامتهُ امام البقرة متبعة في بلدان اخرى ولا بأس بها وهي تغني البقرة عن رؤية عجلها وخير من ذلك انهُ حينما تلد البقرة يبعد عجلها عنها حتى لا تراهُ ابداً ولا يسمع صوتها ولا تسمع صوتهُ ويبقى مبعداً عنها الى ان تعتاد ان تدر لبنها لكل من يحلبها ويتم ذلك في بضعة ايام ثم لا تبقى صعوبة في حلبها من غير ان يكون عجلها معها

تربية الغنم

دخل القطر المصري في العام الماضي ٨٥ الف راس من الغنم . أتي بها من سورية وبني غازي وروسيا والقرم وبلغ عددها في العام الذي قبلهُ ٦٥ الفاً ولا بدَّ من ان يزيد عدد الغنم التي تجلب الى القطر المصري عاماً بعد عام ما لم يعتنَ بتربية القطعان فيهِ

وقد بلغنا من كثيرين من ارباب الزراعة ان تربية مئة رأس من الغنم في ارض مساحتها مئة فدان لا يكاد يكلّف شيئاً فان الغنم تأكل من فضلات الزراعة وما ترعاهُ من حافات الاطيان واذا أُطعمت قليلاً من الفول والبرسيم فزبلها وصوفها يفيان بما تأكلهُ وباجرة الولد الذي يرعاها ويخدمها وتبقى خلائفها ربحاً . فان كان ذلك صحيحاً فالربح منها يزيد كثيراً اذا زادت العناية بتربيتها وخدمتها

وتلد النعجة وعمرها سنتان ويحسن ان تترك في القطيع ثلاث سنوات ونصف سنة فتلد في غضونها ثلاث مرات ثم تذبح وعمرها اربع سنوات ونصف سنة لان خلائفها لا تحسن بعد ذلك غالباً الا اذا كانت من نوع جيد جداً او ظهرت جودة غير عادية في لبنها وخلائفها فتترك لتلد حملاً آخر او اثنين او اكثر حسب جودتها . واذا كانت سقيمة ولبنها قليلاً او خلائفها سقيمة تذبح حالاً ولو بعد ان تلد اول مرة . ولا بد من فحص كل نعجة قبلما يشال عليها وينظر

في ضرعها ليُرَى هل هو سليم او حدث فيهِ تشويه او تقرُّح ما وفي اسنانها وفي عموم بدنها وصوفها فلا تترك للنتاج الاَّ اذا كانت سليمة من كل العيوب

وحالما تفطم الحملان (الرمسان) في اوائل شهر مارس تنقل النعاج الى مراعٍ قليلة المرعى لكي يجف لبنها وتطعم الحبوب وفضلات الخرفان التي تسمن للذبح ثم يزاد علفها في شهر مايو وتطلق عليها الكباش في يونيو والغالب انها تحمل حالاً ومدة الحمل ٢١ اسبوعاً او نحو خمسة اشهر فتلد في شهر نوفمبر حينما يكون المرعى كثيرًا

هذا في القطر المصري واما في القطر السوري فيجعل زمن الولادة في الربيع حينما يكثر المرعى والغالب انهُ يطلق كبش واحد على كل ستين نعجة ولكن اذا كانت الكباش كثيرة يفضل أن يطلق الكبش منها على عدد قليل من النعاج وتختار لهُ النعاج التي يراد اصلاح نتاجها بهِ . واذا كانت النعاج صحيحة قوية فالغالب انها تتئم اي تلد اثنين معاً وقد تلد ثلاثة. وتبقى الكباش مع النعاج ستة اسابيع او سبعة ثم يفصل بينها ستأتي البقية

القطن المصري والاميركاني

نما القطن المصري احسن نمو حتى الآن وظهرت الدودة فيهِ في الشهر الماضي ولكنها زالت منهُ حالاً كأن الحرَّ اماتها قبلما تنمو وتكثر . وقد رأينا اللوز في القطن العفر في آخر يوم من يونيو وهو جيد طويل الشعر ابيضهُ ودخلنا اطياناً مزروعةً قطناً في الثاني والعشرين من هذا الشهر فكان شجر القطن اعلى منا ولكن لوزهُ غير كثير لقرب اشجارهِ بعضها من بعض . ولا يبعد ان تبلغ غلة القطن المصري هذا العام ستة ملايين ونصف مليون قنطار الى سبعة ملايين اذا سلم من العوارض الجوية والندوة . اما محصول العام الماضي فبلغ الوارد منهُ الى الاسكندرية حتى السادس والعشرين من شهر يوليو ٥٤٤٣٠٣٨ قنطارًا والوارد من بزرتهِ ٣٣١٧٣٢٣ اردبًا فزاد المحصول عمَّا قدّر لهُ كل احد ولكنهُ بقي اقل من محصول العام الذي قبلهُ بنحو مليون قنطار . والموجود من القطن المصري في الاسكندرية الآن ٦٨٧٧٦٤ قنطارًا وكان الموجود فيها في مثل هذا الوقت من العام الماضي ٦١٩٤٥٨ قنطارًا . والموجود منهُ في لفربول الآن ٧٤٠٠٠ بالة يقابلها في العام الماضي ٥٥٠٠٠ بالة

اما القطن الاميركاني فاضرَّ بهِ القيظ الشديد الذي طالت مدتهُ في الولايات التي تزرع القطن وبقيت اسعارهُ مرتفعة الى حين كتابة هذه السطور فهبطت في اميركا وانكلترا وهبط معها سعر القطن المصري نحو نصف ريال ويقال ان سبب هذا الهبوط في سعر القطن الاميركاني هطول الامطار في الولايات التي تزرع القطن

باب التقريظ والانتقاد

كتاب المجال

(1) The Book of the Rolls.

هذا كتاب ديني قديم وجدتهُ السيدة مرغريت جبسن في دير جبل سينا فصورتهُ بالفوتوغرافيا في زيارتها الثانية لذلك الدير سنة ١٨٩٣ ثم اعادت تصويرهُ وتنقيحهُ في زيارتيها التاليتين سنة ١٨٩٥ و ١٨٩٧ ونسختهُ وترجمتهُ وطبعتهُ بالعربية والانكليزية وقالت انها ظنتهُ اولاً كتاب آدم وحواء الذي منهُ نسخة عربية في مكتبة مونخ وقد ترجم من اللغة الحبشية حديثاً فاذا هو ليس كذلك . ثم بلغها انهُ ترجم سنة ١٨٨٣ وطبع بالسريانية والعربية سنة ١٨٨٨ لكن النسخ التي طبع منها تختلف كثيراً عن النسخة التي وجدتها . وليس على هذه النسخة تاريخ يعلم منهُ وقت كتابتها ولكن مسز جبسن تظن انها كتبت في اواخر القرن التاسع للميلاد لان خطها يشبه خط كتاب آخر كتب سنة ٨٨٥ للميلاد . والخط متوسط بين الكوفي والنسخي ونظنهُ اقدم كثيراً مما ظنَّت الاَّ اذا كان كاتبهُ قد قلَّد بهِ خطاً قديماً متقناً فقد رأينا كتباً مخطوطة قبل هذا التاريخ وخطها اقرب الى النسخي من خطهِ . ثم ان مسز جبسن حسبت المجال جمع مجلة فترجمتها Book of the Rolls ولكن يظهر لنا ان الكلمة مكتوبة مجال وحقها ان تكتب مجالي ومعناها كتاب الرؤى Book of Revelations فان العرب ترجموا سفر الرويا سفر الجليان ونظنهم استعملوا كلمة مجلى ومجالي بهذا المعنى ولو لم نرَها واردة كذلك في كتب اللغة

قد الحقت بهِ نسختين من قصة افيقا زوجة يشوع بن سيراخ ولغتها سقيمة جداً ولم تحسن الترجمة بعض الاحيان فترجمت " وكان الفراغ من نسخ كتاب يشوع بن سيراخ وخبر زوجتهِ افيقا " بما معناهُ ان الفرّج هو الذي ترجم كتاب يشوع بن سيراخ . وترجمت " ثاني يوم عيد البشارة " بما معناهُ ثاني يوم عيد الانجيل . وترجمت دمشق المحروسة بما معناهُ حصن annunciation دمشق . لكن الغلط الذي من هذا القبيل لا يحطُّ من اكرامنا لسيدة انكليزية تقضي الايام والاسابيع راكبة على الجمال تزور الاديرة القديمة البعيدة عن السكان لعلها تجد فيها كتاباً عربياً فتنسخهُ او تصورهُ وتطبعهُ على نفقتها وتوزعهُ على رجال العلم والمكاتب العلمية . جزاها الله خيراً

(1) Edited and translated into English by Margaret D. Gibson M.R.A.S. LL.D.. London C. J. Clay and Sons.

علم الفراسة الحديث

وضع هذا الكتاب حضرة رصيفنا الفاضل جورجي افندي زيدان منشيء الهلال الاغر وقال انهُ اعتمد في تأليفهِ على كتاب لافاتر وكتاب صموئيل ولس وعلى غيرهما من الكتب الافرنجيَّة والعربيَّة وما وقف عليهِ من آراء اهل العلم وما رجع اليهِ من كتب المراجعة كالموسوعات والقواميس والفهارس وما اختبرهُ بنفسهِ او استدلَّ عليهِ بمطالعتهِ

وعلم الفراسة مثل علم السحر والتنجيم من الموضوعات التي يرغب الناس في مطالعتها وتشغلهم سخائفها عن الجواهر واهل الجد يحرمونهُ ويعدون المشتغلين بهِ من المتشردين فقد سُنَّ قانون في عهد الملكة اليصابات ملكة الانكليزية يحكم على من يدَّعي علم الفراسة بان يعرى من وسطهِ فما فوق ويُجلد علانية الى ان يدمى بدنهُ . ونُقح هذا القانون في عهد الملك جورج الثاني " بان كل من يدعي علم الفراسة يحسب متشرداً نصَّاباً ويجلد علانية ويسجن "

وهذا العلم قديم جدًّا كما قال المؤلف في مقدمة كتابهِ اشتغل بهِ اليونان والرومان والعرب والافرنج ولكنهُ لم يصر علماً حتى الآن ولم يكشف العلماء لهُ الاَّ قليلاً من الاصول العلميَّة من ايام السر تشالس بل الذي وضع رسالة في تشريح الملامح سنة ١٨٠٦ . وقد قام الشهير دارون بعد ذلك ووضع كتابهُ المشهور في دلالة الملامح على العواطف سنة ١٨٧٢ . واذا اقتصر البحث في هذا الموضوع على ما اثبتهُ دارون ومن جرى مجراهُ من العلماء فهو حسن مفيد ولكن اذا تجاوزهُ شمل كثيراً من دعاوي المتقدمين والمتأخرين التي لا قيد لها . مثال ذلك ماجاء في هذا الكتاب عن تغضُّن ما بين الحاجبين وهو قولهُ صفحة ٧٠ " اذا اشرف التغضُّن فوق الانف وكان متعدداً كان صاحبهُ متعقلاً حازماً . واذا كان مفرداً دلَّ على شرف النفس والانفة واذا كان مزدوجاً كان صاحبهُ طلاباً للعدل لا يطيق الضيم يحكم بالانصاف ولو على نفسهِ كذلك كان لوتيروس المصلح المسيحي المشهور وكان التغضُّن بين حاجبيهِ مزدوجاً . وافضل الجباه دلالةً على الاخلاق الحسنة عند العرب المعتدلة الموافقة لوجه صاحبها التي ليس فيها تربيع ولا تعرف ولا هي مسحاة الى الراس ولا مشرفة على الوجه ولا عظيمة . لا صغيرة ولا ضيقة ولا واسعة ولا طويلة ولا جلحاء ولا قصيرة الشعر ولا مستدقة ولا هي مخفة ولا خشنة ولا شعر الرأس مالك اعلاها بكثرة بل مستوية الخلق لينة عالية في وضعها حسنة المنظر نقية من الشامات ومن الخيلان ومن الشعر النابت بها كالزغب "

فالقول الاول عن الغضون وتقدير اخلاق المرء الادبية بعددها يكفي لنقضهِ ان هذه

الغضون تزيد او تنقص في الشخص الواحد تبعاً لاحوالهِ من حيث التعب والراحة وكثرة الاشتغال وقلتهِ ولا تكون فيهِ شاباً بل تظهر اذا اكتهل . وهذا القول مثل كل الاحكام المبنية على الاستقراء الناقص يصدق احياناً ولا يصدق احياناً اخرى لان ليس من علاقة سببية محدودة بين عدد الغضون والاخلاق

والقول الثاني المنقول عن العرب مثل كل الاقوال المبهمة في كتب السحر والتنجيم والمحدود منهُ ان صدق مرةً لا يصدق مراراً واي علاقة يمكن ان تكون بين شامة في الجبهة وبين اخلاق المرء الادبية

واكثر ما في الكتاب حسن نافع او لا يضر ان لم ينفع وبعضهُ يضرُّ حتماً لان المطَّلع عليهِ يعتقد صحتهُ ويبني حكمهُ عليهِ فاذا تزوجت امرأة برجل مقرون الحاجبين ثم قرأت في هذا الكتاب ان اقتران الحاجبين " دليل الحسد فاذا رافقهما غور العينين واسودادهما مع خشونة الملامح كان صاحبهما كتوماً عبوساً عاتياً ظالماً سيء الخلق طماعاً " رسخ في ذهنها ان زوجها كذلك وصارت تحمل كل عمل من اعمالهِ على العتو والظلم وسوء الخلق فيقوم الخصام بينهما ويسوء خلق الرجل ولو كان رضياً . كذلك اذا قرأ رجل ما قيل في الصفحة ٣٩ من ان "رقة الشفتين تدل على ضعف عاطفة الحب في صاحبها" وكانت امرأتهُ رقيقة الشفتين اتهمها بضعف حبها لهُ وصار يعزو اعمالها كلها الى ضعف حبها . واذا قرأت امرأة ما في الصفحة ٤٠ عن تدلي الشفة السفلى وبروز العليا وان ذلك دليل النهم والميل الشديد الى الملذات الشهوانية وكان زوجها بارز الشفة العليا متدلي السفلى اتهمتهُ بالنهم والملذات الشهوانية واساءت الظن بهِ ولو كان من اعف الرجال . وقد يحسب المرء انهُ لم يصدق شيئاً مما قرأهُ ولكن لا بدَّ من ان يبقى اثرهُ في ذهنهِ فيتغلَّب عليهِ في وقت يضعف فيهِ سلطان العقل على العواطف . كذلك اذا كانت عينا فتاة وحاجباها مثل المرسوم في الشكل الخامس على الصفحة ٦٤ وقرأ فتى يرغب في خطبتها ما وصفها بهِ المؤلف من انها " غير صالحة للزواج لانها لا ترضي زوجها ولا هو يرضيها ولو كان اغنى من قارون واحكم من سليمان بل هي اصلح للتمريض في المستشفيات او التدريس في المدارس " فانهُ يبتعد عنها وينفر منها. ولا عبرة بما استدرك بهِ المؤلف حيث نصح العزَّاب لكي يتبصَّروا لئلاَّ يخلطوا بين الاشكال او يحسبوا هذه القواعد بلا استثناء فضلاً عما تؤثرهُ التربية والتعليم مما قد يقوم مقام خلق جديد لان القاعدة الاولى ترسخ في الذهن اكثر من هذا الاستدراك ولانهُ عاد فاضعفهُ او نفاهُ بقولهِ " اما اذا ثارت ثائرة الغضب او اتقدت شعلة الحدَّة فيرجع كل خلق الى اصلهِ "

وربَّ قائل يقول ان كانت هذه الامور صحيحة وجب نشرها مهما كانت نتيجتهُ. والجواب ان الادلة على صحتها ضعيفة جدًّا وكلها من نوع الاستقراء الناقص والغالب ان دعاتها يتمسكون بما يوافقهم و يغضون الطرف عمَّا لا يوافقهم و يرون مشابهة تامة حيث لا يرى غيرهم اقل مشابهة

هذا من حيث ما يؤَاخذ بهِ حضرة المؤَلف لكنَّ في الكتاب حسنات كثيرة ليس من الانصاف الاغضاء عنها فقد جمع فيهِ زبدة ما ذكرتهُ كتب الفراسة وادمج فيهِ اقوالاً كثيرة من اقوال العرب في هذا الموضوع مما يتعذَّر العثور عليهِ في غير المكاتب الكبيرة كالفقرة التي نقلناها آنفًا عن الجبهة . ورصَّعهُ بكثير من الاشعار العربية التي جاء اكثرها منطبقًا على ما ذكرها فيهِ اشد الانطباق كاستشهادهِ على الشمم بقول كعب بن زهير

شم العرانين ابطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل

و بقول الفرزدق

في كفهِ خيزران ريحهُ عبق من كف اروع في عرنينهِ شممُ

وبقول التعاويذي في دلالة العين

عيناك قد دلَّتا عينيَّ منكَ على اشياء لولاهما ما كنت رائيها

والعين تعلم من عيني محدثها ان كان من حزبها او من اعاديها

وقول المتنبي في هجاء اسحق بن ابرهيم بن كيغلغ

وجفونهُ ما تستقرُّ كانها مطروفة او فُتَّ فيها حصرم

وقول جواش في قصر القامة

واورثهم شر التراث ابوهمُ قماءة جسم والرواة ذميمُ

وقول كثير عزَّة "شر النساء البحاتر"

واوضحهُ بمئتين واربعة وسبعين رسماً وبينها صور اكثر المشاهير كالفلاسفة والقواد والخطباء والمخترعين والمكتشفين من اقدم العصور الى الآن وهي مزية كبيرة لهذا الكتاب . وحبذا لو خلا مما من ذكرهِ ضرر كما تقدَّم وأُفرغ باقيهِ في قالب الشك او اليقين حسبما يقتضيهِ حال هذا العلم الآن عند العلماء المدققين . وهو مطبوع في مطبعة الهلال وقد نشر ملحقًا بهِ

شجرة الدُّر

مجلة نسائية علمية ادبية فنية فكاهية تصدر في اول كل شهر بالتركية والعربية لمنشئتها سعديه سعد الدين

خير وصف نصف بهِ هذه المجلة نقل الفصل التالي عنها وهو وارد في الجزء الثاني منها "الزواج يقيد الامرأة بامور خطيرة فاذا لم تحسن ادارتها هوت بالرجل من شامخ العز والمجد الى قاع الفقر والهوان فان وقع الخطأ وعدم التدبير في ادارة المنزل زالت الثروة وتبددت وان حدث في التربية والتهذيب ادّى الى ضياع الشرف والاعتبار فالامرأة الحكيمة ترتب الاطعمة وتنظف الملبوسات وتزين المنزل وتؤنقهُ وتشارك رجلها في السعادة والرخاء وتشاطره والضيم والشقاء فتخفف عنهُ الكدر وتسكن روعهُ عند الحدة وتقتصد داخل بيتها وخارجهُ وقايةً واحتياطاً ليوم مظلم يهاجم زوجها فيلقيهِ في العناء وضيق ذات اليد فهي تبالغ في الاقتصاد متحملة كل صعوبة وعذاب لتحفظ بيتها وزوجها ومقامهُ امام الناس كما كان وتجهد نفسها في تسليتهِ فتنشط همتهُ وتوقد غيرتهُ فيجتهد حتى تدب فيهِ روح النشاط وهكذا بحسن ادارتها تنشله من مخالب الدهر وغدره وتحفظ شرفه وكرامته

ثم ان اكثر الرجال لا يسمحون ولا يصفحون عن هفوة تكاد لا تذكر اذا صدرت عن الزوجة ولذلك يعاملونها بالشدة والتحقير ويذيقونها من العذاب الواناً واشكالاً فتحتمل المرأة بكل صبر واناءة كاتمة قساوة زوجها وافعالهُ الغير اللائقة حتى عن والديها . وقد نشاهد كثيرين من الرجال الذين لا تقف دناءة انفسهم عند حد تبذير اموالهم وذهاب ثروتهم بل يمدون ايديهم الى مال الزوجة فيسرفون بهِ و يبددونهُ في طرق الدناءة والخيانة وقد يغيب الرجل عن زوجتهِ واولاده ليالي واياماً حتى اذا صحا من سكرتهِ ورأى جيوبهُ فارغة انثني عائداً الى البيت بوجه عبوس فتقابلهُ المرأة بكل لطفٍ واكرام وتصفح عما اتاه وتسامحهُ عما جناه وبحكمتها وتدبيرها تقرر في نفسه حاسات الامانة والشهامة فكانها بذلك تربيه وتهذبه وهو رجل واب وهي امرأة دونه سناً

والخلاصة اننا نرى الرجل محتاجاً في كافة احواله وادواره الى المرأة وسيطرتها فهي التي تخلصه بحسن تدبيرها من كل بليةٍ وتدفع عنهُ اية مصيبة حدثت وقد رأينا اطفالاً فقدوا اباءهم فقامت والدتهم بتربيتهم وتهذيب اخلاقهم حتى بلغوا سن الرشد فشبوا على مبادىء الشرف والمروءة وكانوا عنواناً للادب جديرين باعلى المقامات واشرف الرتب بينما نرى الاطفال الذين فقدوا والدتهم مهملين ولو تزوج الاباء بامرأة ثانية قصد الاعتناء بهم حتى لو غذي الاطفال بلبن الغنم والبقر فالفضل على كل حالٍ للاناث. فاذا تقرر ذلك من جهة غذاء الجسم بقي علينا ان ننظر الى البون الكائن بين التربية المستفادة من الام لدى فقد الآب وبين التربية المستفادة من الآب لدى فقد الام وهنا نترك الحكم لاولي لانصاف وعليهِ فلا شك

ان الرجل محتاج الى المرأة لغذاء جسمهِ وعقله كما تقدم

فالامرأة اذًا صاحبة المقام الاول في الهيئة الاجتماعية وهي التي تترقى بها الممالك وتعمر ويسعد الانسان ويتوفر شرفهُ وتحسن اخلاقهُ وعليها تتوقف نشأة العلم وعلى الجملة فهي روح الانسانية

فقد اوضحت ما هي المرأة وبينت اوصافها ومقامها قبل النظر الى حقها لتصح الدعوى فلا نعتسف بالحكم عليها بحجة الانصاف

وهنا اختم مقالتي هذه الاولى مؤملة من الرجال الذين ختم الله على قلوبهم وابصارهم بنسبتهم الى المرأة العجز وعدم المدارك ان ينصفوا ولا يعيدوا القول "ان المرأة طويلة الشعر قصيرة العقل" فلو كان طول الشعر يؤدي الى قصر العقل لكان الذين يقصون شعورهم منذ ولادتهم اقل عقلاً من اللواتي يرسلن شعورهن بقطع النظر عن قص اللحى والشوارب ولو ارسل الرجال شعرهم كالنساء لطال فراسخ واميالاً ومع ذلك ارجو من فضل هؤلاء ان يدلونا نحن النساء على آلة نقص بها شعرنا وهنيئاً لهم باتباع الازياء والمودة في قص شعرهم وتزيين لحاهم كل يوم مرة او مرتين لكي تزداد عقولهم كمالاً والسلام"

وفصول المجلة من هذا القبيل بعضها باقلام النساء وبعضها باقلام الرجال ومن ذلك مقالة موضوعها القول بالموجب قال كاتبها فيها "اذا كان الافرنج يعيبون الشرقيين بانهم يمتهنون نساءهم و ينسبون انحطاطهم وتأخرهم الى سوء معاملتهم هذا الجنس الموصوف باللطف والضعف فالخطب يسير في جنب ما يصف بهِ الشرقيون النساء عموماً من المكر والكيد والخداع وقلة العقل الى غير ذلك من الصفات التي وضعت شأن النساء وايسير من ذلك في جنب ما يتقولهُ بعض اصحاب السيادة الجارين على خطة التقليد الراغبين في بقاء حجاب الجهل مسدولاً على الابصار والبصائر فانهم يتستّرون بالمدافعة عن الدين في بث آرائهم المخالفة لهذا الدين الحنيف و يحتجون بما جرى عليهِ السلف والاحوال تتبدَّل فرُبَّ عادة حمدت في طور استهجنت في آخر و يأبى الله ان يكون الدين المحمدي مانعاً من ارتقاء نصف هذه الامَّة المتوقف عليهِ ارتقاء النصف الآخر وثباتها بجملتها لدى مباراة سائر الامم ونحن نعلم ان هذا الدين لم يبخس النساء حقوقهنَّ وهو انما قام وثبت في بدء امره وانتشر بواسطتهنَّ"

وعسى ان تبقى هذه المجلة ساعيةً سعياً حميدًا فتفيد الفائدة المقصودة منها. وهي باللغتين العربيَّة والتركيَّة ولا ندري ما الفائدة من انشائها بالتركيَّة في هذا القطر بعد ان كادت اللغة التركية تضيع منهُ تماماً

فصل الخطاب في المرأة والحجاب

وضع هذا الكتاب حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي طلعت حرب بدأه بعبارة لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية قال فيها " خلق الله النساء لتدبير امر المنزل وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها ازواجهن تخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن اليهِ في هذا وجاء الشرع مطابقاً للفطرة فكنّ في احكامهِ غير لاحقات للرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث " وهو بمثابة فتوى افتى بها مفتي الديار المصرية

وقد توخى مؤلف فصل الخطاب نقض اقوال قاسم بك امين في كتابهِ الاخير المرأة الجديدة بما جاء في كتاب لهُ قديم ردَّ بهِ على دوق داركور . والظاهر انهُ استاء من قول قالهُ بعض الكتَّاب وهو " ان الله اتاح للشرق اثنين بهما اصلاحهُ احدهما اصلح النصف الاول من الامَّة وهو المرحوم جمال الدين الافغاني فانهُ اصلح الرجال والثاني هو صاحب المرأة الجديدة فان بهِ صلاح القسم الثاني " ولا ندري من قال هذا القول ولا نسبة المرحوم جمال الدين الافغاني الى اصلاح الامة لاننا لم نرهُ ولا قرأنا الاَّ النزر من اقوالهِ واما كتاب المرأة الجديدة فلا شبهة عندنا في انهُ سيدعو الى بحث وتنقيب كثير وتغيير عادة لها شأن كبير في تقدُّم الشرق وتأخرهِ و يستبعد ان يُجمِع قوم على ضلال اذا بحثوا ونقَّبوا طويلاً

ولا ريب في ان المؤلف بلغ مرادهُ من المقارنة بين كتابي قاسم بك امين واضعف حجج المنتصرين لهُ بما اوردهُ من كتابيهِ من الاقوال المناقضة لاقوالهم حيث ارادوا الدفاع عنهُ . ولكن كتاب المرأة الجديدة غير مسؤول عمَّا في الرد على كتاب داركور ولو كان مؤلفهما واحداً لأن المرء يستطيع ان يغير رأياً تبيَّن ضعفهُ او فسادهُ وخير لهُ ان يغيرهُ من ان يبقى مصرًّا عليهِ . وكما يغير المرء آراءهُ بغير نظرهُ الى الاشياء بزيادة البحث والتدقيق واطراح اسباب التشيع فيغير اخبارهُ عنها ولا يلام على ذلك قدر ما يلام مَن ينسب كل تأخر تأخرناهُ الى اختلاطنا بالاجانب كما قال المؤلف في الصفحة ٣٦ وما بعدها . وانا نلتمس منهُ ان يقرأ ما جاء في هذا الجزء من المقتطف عن عمران دمشق قبل العصر الذي يشير اليهِ او فليقرأ تاريخ ابن اياس او تاريخ الجبرتي او غيرهما مَن التواريخ التي يذكر اصحابها حوادث زمانهم كما حدثت في ايامهم و يصفون الموبقات كما كانوا يرونها ويخبرنا عن اسبابها وعن الامم الاوربية التي اوصلتها الينا . لكنهُ احسن حيث قال " لنترك الجدال واللجاج ولنشمر عن ساعد الجد ونبحث عمَّا ينفعنا وطرق الفوز بالمراد ونيل المرغوب " وعسى ان لا ينشد الكتَّاب غير هذه الضالة

العذراء الوردية

La Vierge Rose.

يمتاز ابناء المشرق بمقدرتهم على تعلّم اللغات الاجنبية واتقانها حتى لقد يؤلفون فيها وينظمون الشعر المكين واكثر ما برعوا فيهِ اللغة الفرنسوية وبالامس كنا نقرأ عن رواية افرنسية نظمها احد السوريين وهي تمثَّل اليوم في مدينة باريس . ولدينا الآن كراسة باللغة الفرنسوية فيها قصة عربية الاصل فرنسوية الوصف والنثر واشعار بديعة الانسجام وخطبة قُدّمت للمرحوم الخديوي السابق وذلك كلهُ من انشاء حضرة الفاضل فريد بك بابازوغلي رئيس قلم الادارة في نظارة الاشغال العمومية كتبهُ وهو فتيً حين خروجهِ من المدرسة بعدان قرأ المؤلفات الفرنسوية البليغة وطلبت نفسهُ الكبيرة الظهور في عالم الانشاء. والظاهر ان اشتغالهُ بمهام منصبهِ في الحكومة شغلهُ عن التأليف فترك هذه المنظومات في زوايا النسيان الى ان اطلع عليها بعض اصدقائهِ فحثهُ على طبعها ونشرها . ونحن نقول مع كل من اطّلع عليها ان ارباب الاقلام خسروا كاتباً بليغاً لكن نظارة الاشغال العمومية كسبت رجلاً ماهراً في ادارة اشغالها كما شهد لهُ رؤساؤهُ ويشهد كل مرؤوسيهِ

الباكورة

وهو تقرير جمعية مساعدة المرضى في مستشفى القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس سنة ١٩٠٠ .

بلغت الاموال المجموعة لهذا المستشفى في العام الماضي اكتتاباً وصدقات ٢٧١١٩ غرشاً عدا كثير من الامتعة والاكسية والاطعمة فترى بينها فرشاً وساعات وثياباً مختلفة واكياساً من الطحين والارز وما اشبه . وبلغ الدخل كلهُ من الصدقات والاوقاف ونحوها ٦٤٤١٥ غرشاً وبلغت نفقات المستشفى ٥١٦٦٧ غرشاً ونفقات الصيدلية التابعة لهُ ٦٤٧٦ وبقي في صندوقهِ ٦٢٧٢ غرشاً . ورئيس هذه الجمعية واعضاؤها من اوجه وجهاء بيروت وهم الخواجات نخله جرجس تويني وديمتري يوسف دباس والياس ربارط ونجيب جهشان وميخائيل مسرة واطباء المستشفى الدكاترة اسكندر بك رزق الله وحبيب افندي طبجي ونقولا افندي فياض ونجيب افندي بتلوني ونجيب افندي عفيش ويني افندي باسيلا جزاهم الله خيراً عمّا ينفقونهُ من مالهم ووقتهم في مساعدة الفقراء

باب المسائل

(١) تربية دود الحرير

قلين . م . ز . س . ما هو احسن كتاب في اللغة العربية او الفرنسوية لتربية دود الحرير

ج ان تربية دود الحرير بسيطة جداً لا تقتضي تأليف كتاب وكل ما تقتضيهِ يُشرح في صفحة او صفحتين كما ترون في جوابنا على السؤَال ١٣ في الصفحة ٩٣٩ من المجلد العشرين من المقتطف . وقد وضع حضرة الوجيه خطار افندي ثابت كتاباً في دود الحرير وزرع التوت طبع في مطبعة المقتطف منذ ثلاث سنوات وحضرة الدكتور اسعد سليم كتاباً آخر طبعهُ في بيروت منذ سنتين فعليكم بهما

(٢) المدرسة الزراعية

بيروت . جرجي افندي نقولا باز . باي لغة تعلم المدرسة الزراعية المصرية أبالعربية ام بالانكليزية ام بغيرها وكم نفقة التدريس فيها وفي كم سنة يتم التلميذ دروسها القانونية

ج تدرّس بالانكليزية ويتم التلميذ دروسهُ في ثلاث سنوات واجرة التدريس ١٥ جنيهاً مصرياً في السنة اذا كان خارجياً ويأكل الظهر و ٣٠ اذا كان داخلياً

(٣) عنوان كارنجي

اسكندرية . احمد افندي كامل مراد . ما هو عنوان المثري الشهير المسيو كارنجي

ج لا نعلم وقد سألنا كثيرون عن عنوانهِ فاجبنا بأننا لا نعلم ذلك . والرجل لا يساعد احداً بمالهِ ولكنهُ يفعل للشعوب والجماعات ما يعلم انهم عاجزون عن فعلهِ وهو مفيد لهم مثال ذلك انهُ اذا علم ان وجود مكتبة عمومية في الاسكندرية مفيد لها وان اهالي الاسكندرية عاجزون عن انشاء هذه المكتبة فانهُ ينشئها لهم ولكن اذا علم ان فيهم من اصحاب اليسار القادرين على انشاء المكتبة فانهُ لا ينشئُها ولو علم انها مفيدة لهم

(٤) معاش المستخدمين

ومنهُ . رجل خدم الحكومة خمسين سنة وتوفي تاركاً عائلة ارشدها كفيف البصر فاخذ معاشاً ثلث مرتب والدهِ ثم توفي تاركاً جملة اولاد قصَّراما تتبرع لهم الحكومة بشيء يقتاتون بهِ او القانون لا يجيز ذلك

ج لا يوجد قانون يمنع التبرع . وقانون المعاشات في الحكومة المصرية مخيف جداً بعيد عن العدل والعقل فان المعاش الذي يستحقهُ الانسان اذا خرج من خدمة الحكومة حقٌّ شرعي لهُ اخذتهُ الحكومة من راتبهِ السنوي وجمعتهُ لهُ عندها كانهُ في بنك التوفير فلا يجوز لها ان تحرمهُ اياهُ بعد موتهِ وان كانت مضطرة شرعاً ان تردهُ لهُ اذا اخرجتهُ

من خدمتها بسبب مرض او آفة او باستغنائها عنهُ وهو قادر ان يسعى لاولادهِ في طلب رزقهم فمن باب اولى يجب عليها ان ترد هذا المال لاولادهِ اذا اخرجهُ الموت من خدمتها ولم يبقَ مَن يسعى لهم

(٥) معاش الزوجة

ومنهُ . رجل خدم الحكومة ٥٥ سنة وتوفي تاركاً زوجة مقعدة وولدين فاخذ اكبرهما ثلث معاش ابيهِ لانهُ كفيف ولم يأخذ الثاني شيئًا لانهُ بالغ ومتوظف في الحكومة ولم تعطَ الزوجة شيئًا مع ان عمرها خمسون سنة وهي مقعدة لا تستطيع عملاً فما سبب حرمانها

ج لا نعلم ولكننا نرجّح انها اذا رفعت شكواها الى نظارة المالية نظرت في امرها وانصفتها

(٦) توزيع الميراث

المنصورة . ابرهيم افندي زكي . ايهما افضل في نظركم اتوزيع الثروة المخلَّفة عن الآباء على كل من يستحق فيها شيئًا بالسواء او حصرها في اكبر الابناء

ج يظهر من النظر في احوال الامم ان النظام الانكليزي آل الى نجاح الانكليز وحفظ بيوتاتهم اكثر من غيره وهو يقضي باعطاء الجانب الاكبر من الثروة للابن الاكبر واما بقية الاولاد فيعلَّمون ويهذَّبون ويعطون ما يكفيهم من ثروة ابيهم ليكون رأس مالٍ لهم فان كانوا من اهل الفلاح وسعوا في انمائهِ زادت بهم البيوت المثرية وان كانوا من اهل التبذير والاسراف بقي جانب كبير من ثروة ابيهم محفوظًا للعائلة ولاسمها . وخير ما يتركهُ الوالدون لاولادهم ليس المال بل المقدرة على اكتساب المال

(٧) الافاعي الاليفة

ومنهُ . كيف تكون الافاعي اليفة ويمكن استخدامها في قتل الجرذان واتقاء شرها على ما وصفتم في الجزء السادس من المقتطف هذه السنة

ج ان هذا الامر غريب ولكنهُ ليس بعيداً عن التصديق لان جانباً كبيرًا من الافاعي غير سام واذا رُبيت الافعى صغيرة فلا يبعد ان تصير اليفة . والافعى تأكل الجرذان ونحوها فلا عجب اذا رُبيت في البيوت كما تربى القطط لهذه الغاية

(٨) التنويم المغنطيسي

ومنهُ. لماذا لا تستعمل بعض الحكومات ومنها الحكومة المصرية طريقة التنويم المغنطيسي لكشف الجرائم

ج لان الذي يُنوَّم لا يعلم ما فعلهُ غيرهُ بل ما فعلهُ هو او ما وُضع في ذهنهِ بالكلام او بالاشارة فلا بدَّ اذًا من تنويم المجرم نفسهِ لكي يعترف بجريمتهِ الاَّ ان الذي

بنوّم قد يعترف بجريمة لم يرتكبها اذا اقنعهُ المنوّم انهُ ارتكبها فاذا قلت لنوّم انك سرقت امتعة فلان وذكرتَ لهُ ظروف السرقة ثم سألتهُ قائلاً هل سرقت امتعة فلان فقد يجيب نعم ويسرد ظروف السرقة كما ذكرتها ولذلك ولان التنويم يضرُّ بالمنوَّم ضرراً اكيداً لا يجوز الاعتماد عليهِ ولا الالتجاء اليهِ

(٩) جنسان في شجرة واحدة

ومنهُ . هل يمكن ان يستخرج من شجرة واحدة جنسان من الثمر

ج كلاَّ ولكن يمكن ان يستخرج منها صنفان من نوع واحد كالليمون البرتقال والليمون الحلو وكالمشمس والخوخ

(١٠) الطبع القليل النفقة

ومنهُ : يقال ان عند الاميركيين طرقاً تجعل الطبع قليل النفقة فهل تعلمون شيئاً عنها

ج نعم فقد رأينا عندهم آلات لترتيب الحروف يعمل العامل الواحد بها قدر ما يعملهُ ستة عمَّال بايديهم ومطابع سريعة تطبع الواحدة منها سبعين الف نسخة في الساعة فلا عجب اذا كان ذلك يرخص الطبع والمطبوعات . ولا يخفى ان حروفنا العربية كثيرة الاشكال جدًّا لا تصلح لها آلة ترتيب الحروف وعدد قرائنا قليل جدًّا لا يمهد سبيلاً لاستعمال المطابع السريعة فلا امل لنا بترخيص الطبع مثلهم

(١١) اميركا والادريسي

ومنهُ . يقال ان الشريف الادريسيَ اخذ علمهُ عن وجود قارة اميركا عن العرب وهؤلاء عن الصينيين الذين رحلوا الى اميركا فما رأيكم في ذلك

ج من قال ان الشريف الادريسي اخذ علمهُ عن وجود قارة اميركا عن العرب ومن قال ان الشريف الادريسي كان يعلم بوجود قارة اميركا . فهل قال ذلك هو او قالهُ غيرهُ وان كان هو القائل فاين قالهُ من كتابهِ وان قالهُ غيرهُ فمن هو الذي قالهُ . هذا وقد نشرنا صورة الخريطة التي صنعها الشريف الادريسي وليس فيها رسم قارة اميركا وذلك دليل نفي على انهُ لم يكن يعرف بوجودها

(١٢) الجغرافية العمومية

دمشق . عبد الجليل افندي القصري . هل أُلِّف كتاب حديث في الجغرافية العمومية مثل كتاب ملطبرون الذي ترجمهُ رفاعه بك وهل عُرِّب او لم يعرب

ج في الفرنسوية جغرافية واسعة للشهير ركلوس Reclus تسمى الجغرافية العمومية الجديدة ظهر منها ١٤ مجلداً كبيراً بين سنة ١٨٧٦ وسنة ١٨٨٩ ولم تترجم الى العربية

(١٣) وفاة ملطبرون

ومنهُ . متى كانت وفاة ملطبرون

ج توفي في ١٤ دسمبر سنة ١٨٢٦

(١٤) قاموس للعبراني بالعربية

ومنهُ . لا تزال اكثر الالفاظ العبرانية مستعملة في الطوائف الثلاث في الكتب العلمية والاعلام الشخصية فهل اطلعتم على قاموس للغة العبرانية ترجمت مفرداتها فيه الى اللغة العربية نظير ما جاء في خاتمة كتاب مرشد الطالبين فقد اورد جملة من الاسماء العبرانية

ج كلاَّ ولم نسمع ان للعبرانية قاموساً في العربية

(١٥) شرح الكتاب المقدس

ومنهُ . اي شرح ادق للكتاب المقدس باللغة العربية

ج للمطران اغابيوس صليبا الارثوذكسي وللمطران يوسف الدبس الماروني وللدكتور وليم ادي الانجيلي شروح كبيرة للاناجيل وبعض الرسائل وللدكتور كابن تفسير لانجيل لوقا وهذه التفاسير الاربعة اوسع ما رأيناه في العربية وادق شروح الكتاب المقدس فيها

(١٦) الارعواء عند الوفاة

العزازي . حافظ افندي سليمان نرى البعض يطلبون تتميم الواجبات الدينية عند الوفاة ولو كانوا في حياتهم لا يعتقدون بالبعث والنشور ولا بشيء من هذا القبيل فما سبب ذلك

ج ان التربية الدينية التي يترباها الانسان صغيراً تبقى اصولها راسخة في نفسهِ واذا حدث لهُ في شبيبتهِ وكهولتهِ ما زعزع ايمانهُ او المّ عنهُ عاد في شيخوختهِ وفي اخريات ايامهِ الى تذكر الافكار القديمة التي شغلتهُ مشاغل الدنيا عنها لان سلطان هذه المشاغل يكون قد ضعف حينئذٍ . هذا هو الغالب

(١٧) مصر والقاهرة

ومنهُ . ان تذاكر سكة الحديد المنصرفة من المحطات الى القاهرة مكتوب عليها الى مصر وبالافرنكي Caire مع ان حقيقة ترجمة هذه الكلمة القاهرة واما كلمة مصر فتقوم مقام كلمة Egypte فهل من سبب يجعل كلمة مصر مقابل كاير

ج لا يظهر ان لذلك سبباً غير اصطلاح اهالي مصر انفسهم فانهم يسمون عاصمتهم مصر وان كان اسمها الحقيقي القاهرة واسم مصر هو اسم القطر المصري كلهِ . والذين كتبوا تذاكر سكة الحديد وختوم البوستة جاروا اصطلاح الناس

(١٨) النجوم وضوءها

ومنهُ . ان النجوم بعيدة عنا بعداً شاسعاً جداً ولا يصلنا ضوءها الا في الوف من السنين فكيف نعلم انها في الوجود الآن ولماذا لا نقول انها تلاشت منذ سنين كثيرة

ج ان النجوم التي تشيرون اليها لا دليل عندنا على انها باقية على حالها لان

الضوء الذي يصلنا الليلة منها وبهِ نراها ونستدلُّ على وجودها يحتمل ان يكون قد صدر منها قبلما انطفأ ضوءها ان كان قد انطفأ. هذا من حيث وصول ضوئها الينا اما ملاشاتها من الوجود فمسألة اخرى لان كل ما نعلمهُ من امر المادَّة يدلُّ على انها لا تتلاشى ولو تحوَّلت من صورة الى صورة أُخرى

(١٩) ثآليل الخضر

ومنهُ . هل من طريقة لازالة الثآليل من جذور الخضر كالطماطم ونحوهِ

ج ان هذه الثآليل تتكوَّن في الغالب من حشرات او مواد فطرية تنمو في الجذور فاذا كانت الارض مخدومة جيدًا والنبات قويًّا فالغالب انهُ يقوى عليها ولا تتولد الثآليل فيهِ

(٢٠) اليقطين والسماد

ومنهُ . من المعلوم ان السماد يفيد الزرع. وفي الشهر الماضي زرعت نوعًا من اليقطين وسمدت بعضهُ ولم اسمد البعض الآخر . والتسميد بطريقة التكبيش والسماد من زبل الطيور فكان المحصول هكذا

المسمَّد يقطينة واحدة لكل شجرة واليقطينة زنتها ١١٥ رطلاً

وغير المسمَّد يقطينتان لكل شجرة واليقطينة زنتها ٢٠ رطلاً

فهل السماد يجيد الثمر الى هذه الدرجة ويقلل المحصول في عددهِ حتى لو سُمّدَ الزرع كلهُ كانت غلتهُ يقطيناً كبيرًا قليل العدد

ج لا شبهة في ان السماد يغذي النبات ويقويهِ وحبذا لو كررتم هذه التجارب في كثير من اليقطين واخبرتمونا بنتيجتها ووزنتم السماد حتى يعرف مقدارهُ وانَّا نشكركم على ذلك سلفًا

(٢١) ملك اسبانيا

مصر . احد المشتركين . ما اسم ملك اسبانيا الحالي وكم عمرهُ وقد بلغني ان اختهُ ملكت مدة وجيزة قبل ولادتهِ فهل ذلك صحيح

ج اسمهُ الفونصو الثالث عشر وهو ابن الفونصو الثاني عشر وماريا كرستينا بنت كارل فرديناند ارشديوق اوستريا . توفي ابوهُ في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٨٥ قبل ولادتهِ فانتقل الملك الى ابنتهِ الكبرى وبقيت ملكة الى ان ولد اخوها في ١٧ مايو سنة ١٨٨٦ فانتقل الملك اليهِ حسب قانون البلاد وعمرهُ الآن خمس عشرة سنة ونحو ثلاثة اشهر

(٢٢) سكان روسيا

ومنهُ . كم عدد سكان روسيا الآن وكم كان عددهم منذ خمسين سنة . الجواب بلغ في الاحصاء الذي تم سنة ١٨٩٧ نحو ١٣٥ مليونًا والمرجح ان عددهم الآن يبلغ ١٤٠ مليونًا وقد كان عددهم منذ خمسين سنة ٦٨ مليونًا اي انهم تضاعفوا في هذهِ السنين



مؤتمر السل

التأم مؤتمر السل في بلاد الانكليز في ٢٢ يوليو وافتتحهُ دوق كمبردج بالنيابة عن جلالة ملك الانكليز ووقف معهُ كثيرون من رجال السياسة ورجال العلم مثل سفراء فرنسا واميركا وهولندا واسوج والدنمرك والبرتغال واليونان ورومانيا والسرب ومركيز لنسدون وارل دربي ولورد لستر والاستاذ شروتر النمسوي والاستاذ فن ليدن الالماني والاستاذ أسلر الاميركي والدكتور سكرتان السويسي والاستاذ بروردل الفرنسوي والاستاذ سمس ودهد الانكليزي والدكتور اسبيناكابو الاسباني والدكتور رواتا الايطالي والدكتور كلادو اليوناني والدكتور هلبوي النروجي والاستاذ تومسان الهولندي والاستاذ غرام الدنمركي والاستاذ كوراني المجري والاستاذ كوخ الالماني وغيرهم من كبار العلماء ورجال السياسة . ولم نرَ بينهم اسم رجل من مصر ولا من كل بلاد الدولة العلية كأن داء السل لا يوجد في هذه البلاد او لا يستحق عناية حكومتها واطبائها

وقرأ كاتب المؤتمر تقريرًا ابان فيهِ ان مؤتمر السل الذي عُقد في برلين سنة ١٨٩٩ قرَّر ان يعقد هذا المؤتمر في مدينة لندن في ٢٢ ابريل سنة ١٩٠١ ورضي سمو ولي العهد (وهو الملك الآن) ان يكون رئيسًا لهُ ثم الجأهم موت الملكة الى تأخيرهِ حتى ٢٢ يوليو وانتدب جلالة الملك سمو دوق كمبردج ليقوم مقامهُ وشكر الدول التي لبَّت دعوة المؤتمر وقال انهُ سيُتلى فيهِ خطب كثيرة يتلوها نخبة رجال العلم المشتغلين بمعالجة داء السل ففي يوم الثلاثاء يخطب الدكتور كوخ النسيب اكتشف باشلس السل وفي يوم الاربعاء يخطب الاستاذ بروردل رئيس مدرسة باريس الطبية الذي لهُ فضل كبير في تقدم التدابير الصحية الواقية من السل . و يوم الخميس يخطب الاستاذ مكفديان واللورد سبنسر وهما من المشتغلين بالبحث عن انتشار داء السل في المواشي . و يوم الجمعة يرئس اللورد دربي الاجتماع الختامي الذي تتلى فيهِ نتائج مباحث العلماء وما يقر المؤتمر عليهِ

ثم قام لورد كمبردج وقال مخاطبًا السفراء واللوردات والسيدات والعلماء الذين هناك

يا اصحاب السعادة ويا ايها اللوردات والسيدات والسادات ترتَّب عليَّ ان افتح هذا المؤتمر بطلب جلالة الملك الذي كان عازمًا ان يرئسهُ بنفسهِ لو لم تمنعهُ الاحوال الحاضرة ولما رأى انهُ لا يستطيع ذلك طلب مني ان

انوب منابهُ فرأيت من الفرض عليَّ ان اطيع امرهُ وارجو ان يعذرني هذا المحفل اذا توخيت عملاً اشعر من نفسي انني لا استطيع القيام بهِ على ما احبُّ فاني وان كنت مقصِرًا جدًّا في مثل هذه المباحث المفيدة لكنني شديد الاهتمام بها مثل جلالتهِ ولذلك سأبذل جهدي في مساعدة الذين حولي على انتشار النفع الذي يتوخونهُ في هذه البلاد وفي كل البلدان لكي تقل الامراض والآلام

وتلاهُ لورد لنسدون فتكلم بالنيابة عن الحكومة ورحب باعضاء المؤتمر ثم قال ان هذه البلاد اشتبكت حديثًا في حرب طويلة جلبت الحزن والغم الى كثير من بيوتها ولكني اقول ولا ابالغ انهُ ما من حرب فتكت بالناس فتك السل او ابتلتهم بما ابتلاهم بهِ هذا الداء الخبيث من قديم الزمان الى الآن فهو عدو موجود في كل مكان ومترصّد كل احد لا مثيل لهُ في ذلك بين سائر الاعداء . ونحن كلنا مديونون لاولئك العلماء الذين بيّنوا لنا ان هذا العدو ممَّا يمكن قهرهُ وانهُ لم يتغلّب علينا حتى الآن الا لاننا اهملنا بعض الاحتياطات وسلّمنا انفسنا لهُ صاغرين يئسين لذلك استميح منكم ان ارحب بهؤلاء الزوار الفضلاء الذين تجشّموا المشاق وجاءوا هذه المدينة لكي يشاركوا رجالنا في الاشارة بالوسائل التي يمكن الاعتماد عليها في مقاومة هذا العدو الالد وارجو من صميم الفؤاد ان تكلل اعمالكم بالنجاح

وقام بعدهُ لورد كدوغان الارلندي ومحافظ لندن ولورد ستراثكونا وتكلم كل منهم كلامًا وجيزًا ثم قام لورد لستر الجراح الشهير فرحّب بهِ الجميع وخطب فيهم خطبة وجيزة قائلاً انهم اجتمعوا في طالع سعيد لم يكن اجتماعهم مقرونًا بهِ لو وقع منذ سنوات قليلة والفضل في ذلك لكوخ الشهير الذي كشف لهم حقيقة عدوهم وكان علاج السل قبل اكتشافهِ ميكروبهُ خبطًا في ظلام دامس . وعرفوا ايضًا من فضل باستور ان الميكروبات لا تتولَّد من نفسها في جسم الانسان وان بعض الاجسام اصلح لها من البعض الآخر وهي على كل حال تولد من ميكروبات اخرى موجودة خارج جسم الانسان ومن ثم فُتح الباب للوقاية من السل . ولكن غرض الاطباء لا ينحصر في الوقاية منهُ بل يتناول معالجتهُ وشفاءهُ وقد صار الامل بنجاح المعالجة اقوى مما كان قبلاً في كل عصر من العصور . والطبيب يستفيد كثيرًا من اختبار الجرّاح من وجوه شتى . ومن الآفات الجراحية ما اصلهُ تدرُّني مثل السل الرئوي لانها كلها ناتجة عن فعل باشلس التدرُّن . ويعلم الجراح الآن ان كثيرًا من هذه الآفات يشفى شفاء تامًّا اي ان ميكروب التدرُّن يزول من الجسم بالوسائط التي يقاومهُ الجسم بها فتعود انسجتهُ الى حالتها الصحية الاصلية . وقد تبيَّن من

ذلك ان التدرُّن من الادواء التي تقبل الشفاء وهذا امر كبير في ذاتهِ ولذلك قوي امل الاطباء بشفاء السل اذا عالجوهُ على الاسلوب الذي يشفى بهِ التدرُّن الجراحي وقال انهُ قلما اهتمَّ بمعالجة المسلولين لانهُ جرَّاح لا طبيب ولكنهُ رأَى كثيرين بين الذين يعالجهم كانوا مصابين بالسل فنجوا منهُ وعاشوا متمتعين بالصحة التامَّة وهو يحسب ذلك شفاءً من داء السل والان يحاول البعض معالجة الدرجات المتقدمة من هذا الداء لشفائها وتظهر في اعمالهم تباشير النجاح وستذكر اساليبهم في المؤتمر بالتفصيل واذا اريد منع السل منعاً تامًّا فلا بدَّ لجمهور الناس من مساعدة الاطباء والجراحين في ذلك

وتلاهُ الاستاذ أُسلر الاميركي والاستاذ فون شروتر النمسوي والمسيو منتفيوري لأفي البلجي والاستاذ غرام الدنمركي والاستاذ برووردل الفرنسوي والاستاذ فون ليدن الالماني والاستاذ رواتا الايطالي وتكلَّم كلٌّ منهم بالايجاز وكان دوق كمبردج قد بعث تلغرافًا الى الملك حينما افتتح المؤتمر يخبره بافتتاحهِ فورد اليهِ الجواب حينئذٍ وقرأَهُ على الحضور وهو

الى دوق كمبردج . وصلني تلغرافك واشكرك لانك رضيت ان تفتح المؤتمر باسمي ولقد سررت بنجاح عملك وارجوان ترحب عني بكل الافاضل التابعين لكل امةٍ تقريبًا من امم الارض الذين اجتمعوا الآن برئاستك واعرب لهم عمَّا ارجوهُ وهو ان الفوائد التي تنتج عن هذا المؤتمر تساعد على تخفيف وطأَة هذا الداء الخبيث الذي عجز عنهُ مشاهير الاطباء زمانًا طويلاً

هذا وسنترجم اكثر الخطب التي تليت في ذلك المؤتمر وننشرها في الجزء التالي وما بعدهُ حتى ينتفع ابناء المشرق بما اجمعت حكوماتهم عن إشراكهم فيهِ

وزن الفكر

صار وزن الفكر امرًا واقعيًا في الولايات المتحدة الاميركية بلاد الغرائب فقد رأينا صورة ميزان يستلقي عليهِ المرءُ فيظهر منهُ ما اذا كان خالي البال او مشغولاً بامرٍ من الامور يفكر فيهِ ويقلّب . والميزان كفة طويلة طولها نحو مترين قائمة في وسطها على دارك تتوازن عليهِ بساعدين تحتها يطولان ويقصران . فيستلقي المرءُ على هذه الكفة ويطوَّل ساعداها او يقصَّران حتى تصير افقية اي حتى يتوازن طرفاها ثم يؤمر بان يفكر في امرٍ من الامور التي تشغل بالهُ فحالما يشرع في التفكير يرتفع الطرف الذي عليهِ قدماهُ وينخفض الطرف الذي عليهِ رأسهُ وما ذلك الاَّ لأن الدم الذي كان متوزعًا في بدنهِ كلهِ على السواء او على صورة ما قبلما اخذ في التفكير وحينما استلقى على كفة الميزان جرى كثير منهُ الى رأسهِ لكي يغذي دقائق دماغهِ وهو

يفكر فيثقل رأسهُ من جرَّاء ذلك وينخفض طرف كفة الميزان الذي تحتهُ ويرتفع الطرف الآخر الذي تحت قدميهِ

وجريان الدم الى الدماغ وقت اعمال الفكرة امر كان يعتقدهُ العلماء حتى كأنهم رأوهُ بعيونهم ولكن لم يثبت فعلاً بدليل حسي على صورة موزونة الاَّ الآن

وقد ثبت بهذه الآلة امر آخر كان العلماء يقولون بهِ ولو لم يثبت لهم بالامتحان وهو ان الدم يغادر الراس وقت النوم فاذا استلقى المرء على هذا الميزان وتولاَّهُ النعاس فنام ارتفع رأسهُ وانخفضت قدماهُ دلالةً على ان دمهُ جرى من رأسهِ نحو قدَميهِ ويحدث فيهِ مثل ذلك اذا نوّم تنويمًا مغنطيسيًّا بالاستهواء ولذلك يقلُّ افتكار الانسان وهو نائم لان الدم يكون قليلاً في دماغهِ . والظاهر ان جريان الدم من الراس الى البدن نتيجة عن النوم لا سبب لهُ

والآلة عند الدكتور ارثر مكدُنلد في ديوان المعارف الاميركي وهو يستعملها في المباحث العلمية وقياس الافكار وما تقتضيهِ المسائل العويصة من اجهاد العقل . وعندهُ آلات كثيرة من هذا القبيل اثبت بواحدة منها ان ضربان القلب يكون على اقلهِ اذا استلقى الانسان او وضع نفسهُ وضعًا افقيًّا وعلى اكثرهِ اذا انتصب فالاستلقاء خير الوسائل لراحة القلب

ومن الحقائق العلمية الكثيرة التي اثبتها ايضًا ان الاولاد الذين يولدون صيفًا يكونون اطول من الذين يولدون شتاء وان الاولاد النبهاء اثقل من البلداء وان سكان المدن اقصر من سكان الارياف وهم في سن البلوغ وانهُ في السنة الثالثة عشرة والرابعة عشرة يكون الاناث اطول من الذكور وقبل ذلك وبعدهُ يكون الذكور اطول من الاناث وان الدماغ يبلغ اعظمهُ وزنًا في السنة الثامنة من العمر

الاستاذ تايت

نعت الجرائد العلمية والسياسية الاستاذ تايت العالم الطبيعي الرياضي المشهور استاذ الفلسفة الطبيعية في مدرسة ادنبرج وهو من اشهر علماء الانكليز وادقهم بحثًا توفي في الرابع من يوليو عن سبعين سنة من العمر قضى اربعين سنة منها في تعليم الفلسفة الطبيعية وتوسيع نطاقها . درس في مدرسة ادنبرج وكان من انبغ النابغين فيها ومن اكبر اصدقائه كلارك مكسول العالم الرياضي الشهير وبقي هذان الكوكبان النيران ينيران ظلمة المسائل الرياضية الغويصة الى ان توفي مكسول واشترك مع اللورد كلفن والّفا كتابًا في الفلسفة الطبيعية طبعاهُ سنة ١٨٦٧ فقلب هيئة هذا العلم وصار من ذلك الحين علمًا طبيعيًّا رياضيًّا ثم نقحاهُ ووسَّعاهُ ونشرا بعدهُ

فصولاً كثيرة تضاف اليهِ في موضوعها ولا يعلم الآن اي اقسام هذا الكتاب كتبهُ تايت ولا ايها كتبهُ كلفن وهما يشيران اليهِ كانهُ كتاب مؤلفٍ آخر غيرهما

ولتايت كتب أُخرى في النور والحرارة والقوات وخواص المواد ومقالات شتَّى في الانسكلوبيذيا البريطانية . وهو الذي الَّف الكتاب المشهور المعنون بالعالم الخفي "Unseen Universe" الَّفهُ هو وبلفور ستورت ونشراهُ غفلاً من اسميهما وهو الكتاب الذي اعتمدنا عليهِ في ما اوردناهُ من الادلة العلمية على الخلود . وكان صديقاً حميماً لكل العلماء الرياضيين على ما بينهُ وبينهم من المناظرات العنيفة في مواضيع شتَّى

الدكتور شبلي ايلاً

عرفنا هذا الفاضل في مدينة صيداء منذ ثلاثين سنة وكان قد درس علم الطب على المرحوم الدكتور ثمان ديك من غير مدرسة ونال الشهادة الدكتورية وحصَّل كثيرًا من العلوم واللغات وهو مع ذلك يدير اعمال املاكهِ الواسعة واشغال القنصلية الاميركية التي كان وكيلاً لها ويعالج المرضى بحذق ومهارة . وكان اصغر اخوتهِ فضموا الى آبائهم الواحد بعد الآخر وقنصلية انكلترا في صيداء التي يتولونها بالارث تنتقل من الواحد الى الآخر الى ان وصلت اليهِ وقد توفاهُ الله في التاسع عشر من شهر يوليو عن ٦٦ عاماً وكان وجيهاً في قومهِ عالي الهمَّة اصيل الرأي حاد الذهن عزَّى الله حضرة قرينتهِ الفاضلة واولادهُ وسائر آل ايلاً الكرام عن فقدهِ

تجارة القطر في نصف عام

يظهر من تقرير الجمارك عن شهر يونيو الماضي إن صادرات القطر المصري بلغت في الشهور الستة الماضية من هذه السنة ٧٨٠٩٤٨١ جنيهاً فنقصت ١١٧٣٠٣٠ جنيهاً عمَّا كانت عليهِ في العام الماضي ووارداتهِ بلغت ٦٩٠٩٤١٧ جنيهاً فزادت ٧٦٢٣٢٨ جنيهاً عمَّا كانت عليهِ في العام الماضي. والزيادة في قيمة الواردات والنقص في قيمة الصادرات من دلائل التأخر فاذا بقيت الحال على مثل ذلك في النصف الثاني من السنة وقعت البلاد في ضيقة مالية شديدة لكن من ينعم نظرهُ في ما زادت قيمتهُ من الوارادت يجد اكثرهُ من الدقيق والارز والذرة مما كان لابدَّ من زيادتهِ بسبب انخفاض النيل في العام الماضي والذي قبلهُ

اسمعيل باشا الفلكي

فجعت مصر بعالم فاضل من خيرة علمائها ألا وهو المرحوم اسمعيل باشا الفلكي توفاهُ الله عن ثمانين عاماً قضاها في خدمة العلم وكان في جملة الذين ارسلتهم الحكومة المصرية لتلقي العلوم في اوربا فنبغ فيها وخصوصاً في علمي

الهندسة والفلك فلما عاد الى مصر انشأ المرصد الخديوي وعُين ناظرًا لهُ ولمدرسة المهندسخانة ومدرسًا للعلوم الهندسية فيها وفي المدرسة الحربية . توفاهُ الله في السابع والعشرين من شهر يوليو وشيعت جنازتهُ عصر ذلك اليوم ودفن في قرافة العفيفي وقد ابنهُ سعادة اباتا باشا في المدفن بالنيابة عن الجمعية الجغرافية والجمعية العلمية وذكر مآثره وافضالهُ العلمية وقال انهُ مات ولكن ذكرهُ يبقى حيًّا بمؤلفاتهِ وخدماتهِ العلمية التي خدمها لهذا القطر وللعلم

تاريخ الامير حيدر

يسرُّنا ان هذا التاريخ الفريد في بابهِ قارب النجاز فقد طُبع منهُ حتى الآن ٩٣٦ صفحة كبيرة والمنتظر ان طبعهُ يتم في غضون هذا الشهر فيكون مجلدين كبيرين حاويين زبدة التواريخ الشرقية القديمة والحديثة ولاسيما الحوادث السورية والمصرية التي حدثت في عهد الامير حيدر وقد اضاف اليهِ حضرة منقحهِ الفاضل نعوم افندي مغبغب حواشي كثيرة وألحق بهِ حوادث عديدة مما اغفل المؤلف ذكرهُ فجاء كتابًا جامعًا في بابهِ وافيًا بحاجة لايفي بها تاريخ آخر سواهُ

السيدة الينور اورمرود

عالمة انكليزية مشهورة بمباحثها عن الحشرات الضارة بالمزروعات وكيفية اتقائها وقتلها كانت اكبر ثقة في هذا الموضوع ولها مؤلفات كثيرة فيهِ منها كتاب في الحشرات الضارة ودليل حياة الحشرات طبع سنة ١٨٨٤ وكتاب زراعي في علم الحشرات طبع سنة ١٨٩٢ والحشرات الضارة في جنوبي افريقية طبع سنة ١٨٨٩ وتقارير سنوية عن الحشرات الضارة من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٩٧ وكتاب عن الحشرات التي تتلف البساتين والاشجار المثمرة طبع سنة ١٨٩٨ . وكتاب في الظواهر الجوية طبع سنة ١٨٨٠ وافتها المنية وعمرها ٧٤ سنة

فيل سيبيريا

سيبيريا بلاد باردة جدًّا لا يعيش فيها الفيل الآن لكن الافيال كانت تسرح وتمرح فيها من عهد غير بعيد كما ظهر من بقاياها التي وجدت مدفونة تحت الثلوج . وقد جاء الآن في خبر من بطرس برج انهم وجدوا فيلاً من هذه الافيال لا يزال لحمهُ وعظمهُ وجلدهُ وشعرهُ سالمة كلها وفي معدتهِ طعام غير مهضوم كأنهُ مات بالامس وقد يكون مضى عليهِ الف سنة مدفونًا في تلك الثلوج

كرة قديمة

وجد في مدينة بروسيا قرب بطرس برج كرة كبيرة من النحاس قطرها ١١ قدمًا اي اكثر من مترين ونصف بدئ بعملها سنة ١٦٥٤ وتمت في عشر سنوات . ظاهرها يمثل كرة الارض وباطنها السماء وكواكبها وفي داخلها مجلس لاثني عشر رجلاً وهي تدور على محورها وثقلها نحو ثمانين قنطارًا مصريًا

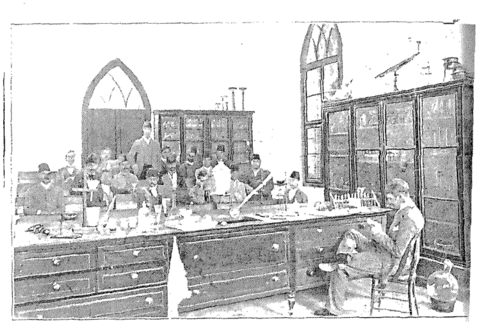
فهرس الجزء الثامن من المجلد السادس والعشرين

دار الكيمياء في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت (انظر الصفحة ٨١٧)

دار الكيمياء

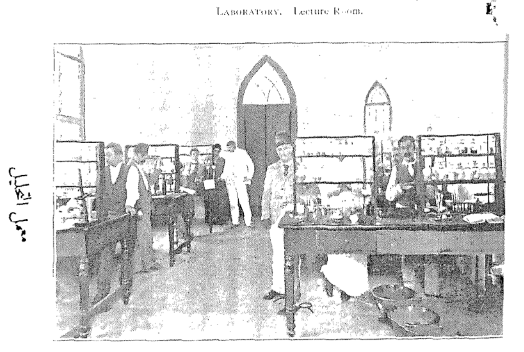
CHEMICAL LABORATORY. Side view.

معمل التدريس



LABORATORY. Lecture Room.

معمل التحليل



ANALYTICAL LABORATORY.

المقتطف

الجزء التاسع من المجلد السادس والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣١٩

استئصال السل [1]

خطبة الاستاذ كوخ في مؤتمر السل تلاها في ٢٣ يوليو الماضي

ان العمل المفروض على هذا المؤتمر من اصعب الاعمال لكنهُ من الاعمال التي لا يذهب التعب فيها سدًى .

ولا داعي لان اشير الى عدد الذين يفتك بهم السل سنوياً في كل البلدان ولا الى مقدار الشقاء الذي يصيب العيال بسببهِ فانكم تعلمون انهُ ما من داء يصدع قلوب البشر مثل السل ولذلك يعظم سرورنا اذا رأينا ان الوسائل التي اشير بها لتخليص الناس من هذا العدو الالد الذي ينخر عظامهم قد تكالَّلت بالنجاح

ولقد يرتاب كثيرون من نجاح الوسائل التي يقصَد بها استئصال داء وُجد منذ الوف من السنين وهو منتشر الآن في كل اقطار المسكونة اما انا فلستُ من هؤلاء المرتابين ويقيني بالفوز لا يخامرهُ ريب لاسباب سأبسطها لديكم

منذ سنين قليلة كنا نجهل علة السل وكان المظنون انهُ ناتج عن فساد في حال المجتمع الانساني فمتى صلحت حال الناس زال هذا الداء من نفسه ولذلك نيطت الآمال

(١) [المقتطف] الكلمة الاصلية التدرُّن وهي اعم من كلمة السل لانها تطلق على التدرُّن الرئوي الذي هو السل وعلى التدرن المعوي وغيره من انواع التدرن ولكننا فضلنا كلمة السل واقتصرنا عليها غالبًا من باب تسمية الكل باسم البعض لان مدلولها اوضح لدى جمهور القراء

بالوسائل التي تستعمل لإسعاد الناس . اما الآن فتغير ذلك كلهُ وصرنا نعلم ان شقاء الناس انما يمهد السبيل لهذا الداء ولكنَّ علتهُ الحقيقية نوع من الاحياء الصغيرة التي تعيش على غيرها من الاحياء الكبيرة اي انها عدو محسوس يمكننا ان نتَّبعهُ ونستأْصلهُ كما يمكننا ان نتبع ونستأْصل غيرهُ من الاحياء التي تسطو على نوع الانسان

وكان المنتظر ان يرى كل احد امكان استئصال السل حالما كُشف الميكروب الذي هو علتهُ وعُلمت خواصهُ وكيفية انتقالهِ . وقد علمتُ فائدة هذا الاكتشاف من اول الامر وكذلك كلٌّ مَن اقتنع من الاطباء بان نسبة هذا الميكروب الى السل نسبة العلة الى المعلول . ولكن عدد الاطباء قليل لا يكفي لمقاومة داء متأَصل واسع الانتشار ولا بدَّ من ان يشترك في هذه المقاومة جميع الناس الاطباء ورجال الحكومة والسكان اجمع . وقد حان الوقت لهذا الاشتراك ولا اظن ان احدًا من الاطباء ينكر ان السل ناتج عن نوع من الميكروبات بل هذا معروف ايضًا لدى كثيرين من غير الاطباء

ومما يعين على ذلك النجاح الذي نجحهُ الاطباء حديثًا في مقاومة كثير من الامراض الميكروبية الاصل فقد علمنا منهُ كيف تقاوم الاوبئة . واهم ما تعلمناهُ من ذلك ان مقاومة الاوبئة لا تكون على اسلوب واحد ففي العهد القديم كانت الوقاية من الكوليرا والطاعون والجذام تجري مجرًى واحدًا بالعزل والكورنتينا والتطهير الخالي من كل نفع اما الآن فنعلم ان كل مرض مستقلٌّ عن الآخر ويجب ان يُعالج على اسلوب خاصٍ بهِ وتُتَّخذ للوقاية منهُ اساليب خاصة . ويحق لنا ان ننتظر النجاح من مقاومة السل اذا جرينا هذا المجرى وايضاحًا لذلك اذكر الامثلة التالية

ان الوباء الذي لهُ الشأْن الاكبر الآن هو الطاعون الدبلي . وقد كان الناس يعتقدون ان العدوى تنتشر من المطعون نفسهِ وتنتقل بهِ وبامتعتهِ . وما قرَّ عليهِ قرار الدول اخيرًا من التدابير الصحية الواقية مبني على هذا الاعتقاد . وقد صرنا نميز كل حادثة من حوادث الطاعون بواسطة الميكروسكوب وبواسطة التجارب في الحيوانات وصارت السفن تُفتَّش التفتيش الصحي الدقيق ويحجز على الناس في الكورنتينا ويُعزل المرضى عن الاصحاء وتطهَّر المنازل والسفن بقاتلات الميكروبات ومع ذلك كلهِ انتشر

الطاعون في اماكن كثيرة واشتدَّت وطأتهُ في بعضها وقد عُرف سبب ذلك الآن لانهُ عُرف كيف ينتقل الطاعون حقيقةً . فقد كُشف ان المطعون لا يُعدي الاَّ اذا كان مصاباً بالطاعون المصحوب بالتهاب الرئة وذلك نادر لحسن الحظ وان الذي ينقل العدوى هو الجرذ . ولم تبقَ شبهة في ان اكثر اوبئة الطاعون التي انتقلت بواسطة التجارة البحرية كان الناقل لها الجرذان التي تكون في السفن . وقد وُجد انهُ حيث استئصلت الجرذان عن قصد او عن غير قصد زال الوباء سريعاً وحيث لم تبذل الهمة لاستئصال الجرذان بقي الطاعون منتشراً . وهذا الارتباط بين طاعون الناس وطاعون الجرذان لم يكن معروفاً من قبلُ ولذلك لا لوم على الذين اشاروا بالوسائل التي تستعمل اليوم لمقاومة الطاعون اذا لم تجدِ نفعاً . ولكن قد حان الوقت للاعتماد على المعارف الحديثة في مقاومة الطاعون بنوع عام وفي نقل البضائع من بلاد الى اخرى ولاسيما في نقلها في البلاد الواحدة . ولما علم ان طاعون البشر متوقف على طاعون الجرذان اتضح لماذا كانت الفائدة قليلة من استعمال التلقيح الواقي والمصل المضاد لسم الميكروب . ويحتمل ان البعض نجوا من الطاعون بهاتين الواسطتين ولكن ذلك لم يمنع انتشارهُ مطلقاً

والكوليرا تجري على اسلوب آخر فقد تنتقل عدواها من انسان الى انسان ولكن طريق العدوى الغالب هو الماء فلابدَّ من الاهتمام بالماء اولاً في مقاومة الكوليرا وبناء على ذلك نجحنا في استئصالها من المانيا اربع سنوات من غير ان نصدَّ سبيل التجارة مع انها كانت تدخل بلادنا من البلاد المجاورة لنا

والنظر في الكلَب لا يخلو من فائدة فان التطعيم الواقي منهُ يمنع ظهورهُ في الذين أُعدوا بهِ ولكنهُ لا يمنع انتقال العدوى الى الانسان ولو منع ظهور نتيجتها فيهِ وانما يمنع انتقالها الى الانسان كمُّ الكلاب لمنعها من عضّ الناس . وقد نجحنا في ذلك نجاحاً تاماً في المانيا ولكن لا يمكن استئصال الكلَب تماماً ما لم تتفق البلدان كلها على مقاومتهِ لاننا اذا منعناهُ من بلاد اتاها من بلاد اخرى

واسمحوا لي ان اذكر مرضاً آخر سببهُ يشبه سبب السل ومن ذكر الوسائل التي نجحت في مقاومتهِ فائدةٌ كبيرة وهو مرض الجذام . سبب هذا المرض ميكروب يشبه

ميكروب السل . وهو مثل السل لا يظهر الاَّ بعد وصول العدوى بزمن طويل . وسيرهُ ابطأُ قليلاً من سير السل وهو انما ينتقل من انسان الى آخر اذا اقاما معاً في غرفةٍ واحدة او في بيتٍ ضيّق . وقلما تنتقل عدواهُ الاَّ مباشرةً فلا يُنظَر فيها الى الحيوانات والمياه وما اشبه. فطرق المقاومة تكون بمنع هذا الاتصال بين المرضى والاصحَّاء وذلك بعزل المجذومين عن غيرهم . وقد جرى الناس على هذا الاسلوب في القرون الوسطى وكان الجذام قد انتشر في اوربا فاستئصل من اواسطها تماماً. وجرى اهل نروج على هذه الخطة حديثاً وسنُّوا قانوناً لعزل المجذومين عن غيرهم وقد رأَوا انهم غير مضطرين الى عزل كل المجذومين بل الى عزل الذين تمكَّن منهم الجذام اكثر من غيرهم او الى عزل بعضهم فيقل عدد المجذومين رويداً رويداً . ولو فعل اهالي نروج كما فعل الناس في القرون الوسطى وعزلوا كل المجذومين لزال الجذام من بلادهم سريعاً لكنهُ سيزول بطيئاً من غير قسوة على الناس

ويظهر من هذه الامثلة ما ارمي اليهِ وهو اننا اذا اردنا مقاومة الاوبئة واستئصالها وجب علينا ان نفتش عن اصلها ونزيلهُ ولا نبدد قوتنا في الوسائل التي لا تجدي نفعاً . فبل فعلنا ذلك او نحن عازمون على فعلهِ اي هل استخدمنا الوسائل التي تقاوم داء السل من اصلهِ . ولابدَّ لنا في الجواب عن هذا السؤَال ان نبحث اولاً عن كيف تنتقل عدوى السل او التدرن

يقع السل غالباً في الرئتين وهو يبتدئُ فيهما . ويستنتج من ذلك ان ميكروبهُ يصل اليهما بالتنفُّس . ولسنا في ريب من حيث المكان الذي يأتي منهُ ميكروب السل الى الهواء فاننا نعلم انهُ يأْتي الهواءَ من نفث المسلولين (اي بصاقهم) فان نفث المسلول الذي صار سلهُ في الدرجات الاخيرة يحوي دائماً كثيراً من ميكروبات السل واذا سعل او تكلم خرج الميكروب من فيهِ مع ما يخرج منهُ من نقط النفث حتى اذا كان امام المسلول شخص سليم وتنفَّس الهواءَ الذي امتزج بهِ هذا النفث أُعدي بداء السل . ثم ان النفث الذي يقع على الارض وعلى الثياب والمناديل ونحوها يجف ويتفتَّت ويطير في الهواءِ ومعهُ ميكروب السل فيُعدي الذين يتنفسونهُ

فالرئة المصابة بالسل يخرج منها بلغم وقيح فيهِ ميكروبات السل وهذه الميكروبات صغيرة جدًّا فتبقى منتشرة في الهواء زمانًا طويلاً قلما ترسب منهُ وتدخل معهُ رئات الذين يتنفسونهُ وتولّد السل فيها. وقد تصل الى اعضاء اخرى من اعضاء الجسم وتكوّن فيها اشكالاً اخرى من التدرن لكن ذلك نادر . فنفث المسلولين هو السبيل الأكبر لعدوى السل . ولا اظن احدًا يخالفني في ذلك . وهنا نسأل عمَّا اذا لم توجد سبلٌ اخرى واضحة لنقل العدوى يجب اعتبارها في مقاومتهِ

كان المذهب الشائع ان السل ينتقل بالوراثة وكان لذلك شأن كبير لكن التجارب المدققة ابطلت هذا المذهب واثبتت ان انتقال السل بالوراثة نادر جدًّا جدًّا حتى يصح اغفالهُ

والجمهور على ان السل ينتقل من الحيوان المصاب بهِ الى الانسان وعلى ان هذا الانتقال مثبَت حتمًا وانهُ كثير الوقوع جدًّا حتى يحسبهُ البعض اكثر طرق العدوى انتشارًا . وسيكون لهذا الموضوع اي انتقال السل من الحيوان الى الانسان شأن كبير في مباحث هذا المؤتمر . الاَّ ان تجاربي اقنعتني بما يخالف مذهب الجمهور فاسمحوا لي ان ابيّن ذلك بالتفصيل لما لهُ من الشأن الخطير

لقد شوهد السل (التدرن) في كل الحيوانات الاليفة ولاسيما في الدجاج والبقر الاَّ ان سل الدجاج يختلف كثيرًا عن سل البشر حتى يصح لنا ان لا نحسب لهُ حسابًا في انتقال العدوى الى الانسان فيبقى سل البقر وهو اذا كان ينتقل الى الناس حقيقةً فلهُ سبيل واسع بشرب اللبن واكل اللحم من البقر المصابة بهِ

لما نشرتُ اول شيءٍ كتبتهُ عن اصل السل لم اقطع بان ميكروب سل الانسان وميكروب سل البقر واحد ولكن لم يكن عندي امور مثبتة تدل على انهما مختلفان كما لم يكن في الامكان ان اثبت انهما متماثلان فتركت هذه المسألة من غير ان اقطع فيها . ثم كرَّرتُ التجارب مرارًا لعلي احلّها ولكن لم اصل الى نتيجة مرضية لان تجاربي كانت مقصورة على صغار الحيوان كالارانب وخنازير الهند مع ان الدلائل كانت كثيرة على اختلاف النوعين . ثم لما مكنتني نظارة الزراعة من اجراء التجارب في المواشي وصلتُ الى

نتائج قاطعة وهنذا اتلو على مسامعكم خلاصة ما وصلت اليهِ من التجارب التي اجريتها مع الاستاذ شاتز مدة السنتين الاخيرتين

اتينا بعجول ثبت لنا بالامتحان بالتوبركولين(٢) انها سليمة من السل واوصلنا اليها ميكروب السل على طرق مختلفة بعد ان اتينا بهِ من اناس مصابين بالسل—اوصلنا الى بعضها نفث المسلولين حقناً تحت الجلد او في التجويف البريتوني او في الوريد الوداجي. ومزجنا طعام ستة عجول بنفث السل يومياً سبعة اشهر او ثمانية. وجعلنا اربعة تُتنفَّس هواء ممزوجاً بميكروب السل بعد مزجهِ بالماء ورش الماء في الهواء. وجملة العجول تسعة عشر ولم يظهر السل في عجل منها بل بقيت كلها سليمة وزاد وزنها كثيراً. ثم ذُبحت فلم يوجد أثر لميكروب السل في اعضائها الباطنة غير ان العجول التي حقنت بميكروب السل وجد فيها مكان الحقنة بؤرة متقيحة فيها قليل من ميكروب السل كما يوجد في حيوان حقن بميكروبات ميتة اذا كان مما يُعدى اي ان هذه العجول تأثرت من ميكروب السل الانساني كما تتأثر من ميكروب ميت

. ولكن كانت النتائج على ضد ذلك حينما جرَّبنا فعل الميكروب المستخرج من بقر مصابة به بعجول سليمة فان داء السل كان يظهر في اعضائها الباطنة بعد مدة الحضانة وهي اسبوع وتكون اعراضهُ شديدة جداً وكانت النتيجة واحدة سواء كان الحقن بالميكروب تحت الجلد او في التجويف البريتوني او في النسيج الخلوي. اشتدت الحمَّى وضعفت الحيوانات وهزلت ومات بعضها بعد شهر ونصف او شهرين وذبح البعض الآخر بعد ثلاثة اشهر وكانت هزيلة جداً وظهر ان الميكروبات كانت كثيرة جداً حيث دخلت الحقنة وفي الغدد اللمفاوية المجاورة لها وانهُ حدث تغيُّر عظيم في اعضائها الباطنة ولاسيما في الرئتين والطحال. وحيث أُدخلت الحقن في التجويف البريتوني وجد النموّ التدرني الذي يمتاز بهِ سل البقر في الترب والبريتون اي ثبت ان العجول تُعدى بسل البقر ولا تُعدى بسل البشر

وظهر الفرق بين سل البقر وسل البشر بتجربة اخرى في الخنازير. اتينا بستة خنانيص

---

(٢) [المقتطف] لقاح من ميكروب السل الممزوج بالغليسرين يعرف بهِ ما اذا كان الحيوان مسلولاً او غير مسلول

اطعمناها طعاماً ممزوجاً بنفث المصابين بالسل كل يوم على ثلاثة اشهر وأُتي بستة اخرى مزج طعامها بميكروب سل البقر ثلاثة اشهر ايضاً فبقيت الخنانيص الاولى اي التي أكلت نفث المصابين بالسل سليمة وزادت نمواً وغضاضةً واما الستة الاخرى التي مُزِج طعامها بميكروب السل من بقر مصابة بهِ فمرضت وتوقف نموها ومات ثلاثة منها وبعد ثلاثة اشهر ونصف ذُبحت الثلاثة الباقية والستة الاولى . فالستة الاولى لم يوجد فيها اثر للسل سوى درنات صغيرة متفرقة في عنقها . وكان في واحد منها نقط صغيرة ومادية في رئتيهِ اما الثلاثة الباقية من الخنانيص التي أكلت ميكروب سل البقر فوجد مرض التدرن شديداً فيها والارتشاح الدرني في غدد العنق الكبيرة والغدد الماسيريقية ووجد التدرن كثيراً في الرئتين والطحال .

وظهر هذا الفرق بين سل البقر وسل البشر في الحمير والغنم والمعزى فانها حقنت بالنوعين ففعل بها الاول ولم يفعل الثاني

وتجاربنا ليست التجارب الوحيدة من هذا القبيل التي انتجت هذه النتيجة فان من يطالع ما كُتب عن التجارب القديمة يجد ان شوفو وغنثر وهرميس وبولنجر وغيرهم اطعموا العجول والخنازير والجداء مواد تدرنية فالتي كانت تسقى لبناً فيهِ قطع من رئة بقرة مصابة بالتدرن كانت تصاب بالتدرن واما الحيوانات التي كانت تسقى لبناً فيهِ من نفث الناس المصابين بالتدرن فلم تكن تصاب بهِ . وقد جُرّبت تجارب اخرى حديثاً في اميركا من هذا القبيل فكانت نتيجتها مثل النتيجة التي وصلتُ اليها . ولا شبهة في صحة النتيجة التي وصلنا اليها لاننا تجنبنا كل ما يوقع اقلَّ خطإٍ فيها

فاذا اعتبرت هذه الامور كلها ارى نفسي مصيباً بقولي ان سل البشر يختلف عن سل البقر ولا يمكن نقلهُ اليها ولكني أودُّ ان يكرّر غيري هذه التجارب في اماكن أخرى حتى لا تبقى شبهة في صحّة قولي وصحة النتيجة التي وصلت اليها . وبناءً على ذلك قد عينت الحكومة الالمانية لجنة للبحث في هذا الموضوع

ولكن ماذا نقول من حيث عدوى البشر بسل البقر. فان هذه المسألة اهم جداً من المسألة الاولى . ويستحيل ان نحكم فيها حكماً باتاً مبنياً على الامتحان ولكن لا يصعب

علينا ان نصل الى النتيجة المطلوبة بغير الامتحان. فمن المعروف ان اللبن والزبدة اللذين يباعان في المدن الكبيرة يحتويان غالباً كميَّة كبيرة من ميكروب سل البقر وهو حيّ فيهما كما ثبت من امتحانهِ في الحيوانات . واكثر سكان هذه المدن يشربون من هذا اللبن ويأكلون من هذه الزبدة يومياً فيدخل ابدانهم كثير من ميكروب سل البقر وهم لا يدرون فكأنهم يجربون في انفسهم التجارب التي نحجم نحن عن تجربتها فيهم. فلو كان ميكروب سل البقر يُعدي البشر لوجب ان يصاب كثيرون بالسل من اكلهم اطعمة فيها من ميكروبهِ ولاسيما الصغار منهم. ويظن اكثر الاطباء ان هذا الامر واقع فعلاً. ولكن الامر على خلاف ذلك فاذا اصيب انسان بالسل من طعام اكلهُ ظهر السل في امعائهِ اولاً ولكن السل الذي يظهر في الامعاء اولاً نادر جدًّا . وقد بحثتُ في رمم كثيرين من الذين ماتوا بالسل فلم اجد ان هذا الداء ابتدأ في الامعاء الاَّ في اثنين منهم . وكل الذين بُحث في رممهم في مستشفى الرحمة ببرلين مدة خمس سنوات لم يوجد ان السل ابتدأ في امعائهم الاَّ في عشرة منهم. ومن ٩٣٣ ولدًا مصاباً بالسل في مستشفى الاطفال لم يوجد السل في امعاء احد منهم الاَّ وكان موجودًا في رئتيهِ ايضاً وغددهِ الشعبيَّة . وقد فتح بيدرت رمم ٣١٠٤ اولاد من الذين ماتوا بالسل فلم يجد ان السل ابتدأ في الامعاء الاَّ في ستة عشر ولدًا منهم. واستطيع ان اذكر احصاءات كثيرة من هذا القبيل تدلُّ كلها دلالة قاطعة على ان وجود السل في الامعاء ابتداء نادر جدًّا ولاسيما في الاطفال. والذين ظهر في امعائهم ابتداء لادليل على انهم أُعدوا من البقر بل يحتمل ان ميكروب سل البشر وصل الى طعامهم اوشرابهم بطريقة من الطرق ويكفي لذلك ان يبلعوا لعابهم بعد ان يدخل ميكروب السل أفواههم مع الهواء . ولم يكن احد يستطيع ان يحكم في ما اذا كان ميكروب السل الذي اصاب الامعاء من سل البشر او من سل البقر اما الآن فصرنا نستطيع ان نفرق بينهما بتطعيم العجول ونحوها بستنبت نقي من ميكروبات سل الامعاء . وأشير ان يكون ذلك بالحقن تحت الجلد لان نتائجهُ واضحة مقنعة فاذا فعل هذا الميكروب بالعجول فاصلهُ من البقر والاَّ فلا . وقد اشتغلت بذلك مدة الاشهر الستة الاخيرة ولكن تدرُّن الامعاء نادر جدًّا

ولذلك فالحوادث التي بحثت فيها قليلة والنتائج التي وصلت اليها لا تدلُّ على ان سل البقر يصيب البشر

فلا يمكننا الآن ان نحكم حكماً قاطعاً ان سل البقر لا ينتقل الى البشر . ولكن يحقُّ لمن وقف على الامور المتقدمة ان يقول انهُ ان كان البشر يُعدَون من سل البقر فذلك نادر جدًّا . ولا احسب ان العدوى من اكل لحم البقر المصابة بالسل وشرب لبنها واكل الزبدة المصنوعة منهُ اكثر من العدوى بالوراثة ولذلك لا ارى موجباً للاهتمام بمقاومتها

فاتضح ممَّا تقدَّم ان السبب الاكبر لانتقال عدوى السل هو نفث المسلولين او بصاقهم فاذا أُريد استئصال السل وجب منع انتشارهِ بهذه الواسطة

وكيف يكون ذلك . اول ما يخطر بالبال عزل المسلولين الذين في نفثهم ميكروب السل ووضعهم في مكان خاص مناسب لهم . وهذا عمل صعب لا يستطاع ولا هو لازم لان المسلول الذي يوجد في نفثهِ ميكروب السل يستطيع أن يستاقي نفثهُ كلهُ حتى لا يبقى منهُ اقل ضرر وهذا سهل ولاسيما في الدرجات الاولى من السل وحيث يكون المسلولون من اهل اليسار ويكون في طاقتهم استخدام الممرضات الماهرات . ولكن ماذا يكون شأن المسلولين الفقراء فان كل طبيب دخل بيوت المسلولين الفقراء يعلم ما فيها ممَّا تدمى لهُ الافئدة فقد تضطر عائلة كبيرة ان تقيم في غرفةٍ واحدة او غرفتين صغيرتين وليس مَن يعتني بالمسلول وبمرضهِ لان الاصحاء من عائلتهِ يجب ان يسعوا في طلب رزقها فكيف تحفظ النظافة في هذه الحال وكيف يمنع المسلول نفثهُ لكي لا يُضرَّ بهِ احد . ثم ماذا تكون حال هذه العائلة في الليل حينما تنام كلها في غرفةٍ صغيرة مع المسلول . مهما كان حذرهُ شديدًا لا يستطيع الاَّ ان يسعل وينفث وتنتشر نقط نفثهِ في هواء الغرفة فيتنفسهُ النيام فيها ولذلك تعدى عيال بجملتها ويموت واحد منها بعد الآخر ويتوهم في اذهان الذين لا يعرفون كيفية انتقال العدوى ان السل اتاهم بالوراثة مع انهُ اتاهم بابسط اساليب العدوى وهذا الاسلوب لا يُنتبه لهُ لان نتيجة العدوى بهِ لا تظهر الاَّ بعد سنين

والغالب ان العدوى لا تنحصر في عائلة واحدة بل تنتشر بين عيال كثيرة من العيال

المجاورة كما ظهر من بحث الدكتور بغز في اكثر احياء نيويورك ازدحاماً . ولكن اذا امعن الباحث نظره وجد ان انتشار السل ليس ناتجاً عن الفقر نفسه بل عن ازدحام الفقراء في مساكنهم في المدن الكبيرة لانهُ يظهر من الاحصاءات في المانيا ان انتشار السل بين الفقراء قليل اذا لم يكونوا مزدحمين ويكثر انتشارهُ بين الاغنياء اذا لم تكن مساكنهم على ما يرام ولاسيما غرف النوم فيها . فازدحام الفقراء في مساكنهم هو الذي يعرّضهم لداء السل والى ذلك يجب أن تنضى الهمم وفيه تبذل الوسائل حتى يزال الشرّ من اصله

ولما كان الامر كذلك اهتمَّت الممالك كلها باتخاذ الوسائل لاصلاح مساكن الفقراء وانا واثق ان هذه الوسائل التي لا بدَّ من بذل الجهد في توسيع نطاقها ستقلل انتشار السل كثيراً ولكن لا بدَّ لذلك من زمن طويل ويمكن الوصول الى الغاية المطلوبة بطريق اخصر كثيراً

اذا لم نستطع في الوقت الحاضر ان ننجو من مضار المساكن الضيقة التي يزدحم فيها الفقراء امكننا ان نخرج المسلولين منها وننقلهم الى اماكن اصلح لهم وذلك نافع لهم ولبقية السكان وهذه الاماكن هذه المستشفيات ولا اشير بنقلهم الى المستشفيات رغماً عنهم لان ذلك ليس من مذهبي بل اشير بان يمهَّد لهم سبيل التمريض الذي هم محرومون منهُ الآن

والجمهور الآن على ان المسلول الذي تمكَّن السل منهُ لا يُرجى شفاؤهُ ولا يصلح ان يقيم في المستشفى ولذلك يقبل فيهِ على غير رضى الاطباء والممرضين ويخرج منهُ حالما يوجد سبيل لاخراجهِ . وحينما يرى المسلول ان العلاج لا يجديهِ نفعاً وان النفقات كثيرة عليه لطول مدة المرض تشتدّ رغبتهُ في الخروج من المستشفى . وهذا يتغيَّر كلهُ اذا كان عندنا مستشفيات خاصةٌ بالمسلولين ومجَّانيةٌ ايضاً او قليلة النفقة فيدخل المسلولون هذه المستشفيات عن طيب نفس ويعتنى بهم فيها اكثر مما يعتنى بهم في غيرها . ولا يخفى عليَّ ما دون ذلك من المصاعب لكثرة ما يقتضيهِ من النفقات ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك جلهُ فيمكن ان تخصَّص اقسام للمسلولين في المستشفيات التي تقبلهم الآن

يساعَدون فيها ماليًّا . فاذا دخل جانب منهم هذه المستشفيات قلَّت العدوى كثيرًا . واسمحوا لي ان اذكّركم بما قلتهُ آنفًا عن الجذام فان عزل جانب من المجذومين في مستشفيات خاصة بهم قلَّل عدد المجذومين كثيرًا . والبلاد الوحيدة التي فيها مستشفيات خاصة بمرض السل هي انكلترا ولا شبهة في ان قلة المسلولين فيها عمَّا هم في غيرها ناتجة عن وجود هذه المستشفيات . ولذلك ارى ان افضل الوسائل لمقاومة السل واستئصالهِ انشاء مستشفيات خاصة بالمسلولين واصلاح المستشفيات الموجودة الآن حتى يكون فيها اماكن خاصةٌ بهم . وهنا مجالٌ واسع تتبارى فيهِ همم رجال الحكومة والمجالس البلدية واهل البرّ والاحسان . ويود كثيرون من كبار الاغنياء ان يساعدوا الفقراء والمساكين من ابناء نوعهم . ولكنهم لا يعرفون السبيل لذلك فهنا مجال واسع لهم يخدمون بهِ نوع الانسان خدمةً لا تقدَّر بانشاء مستشفيات للمسلولين يمرَّضون فيها مجانًا او بالانفاق على بعض المسلولين في المستشفيات الموجودة الآن

ولكننا نخشى ان لا ننال مساعدة الحكومة والمجالس البلدية واهل البرّ في وقت قريب فيجب علينا ان نلجأَ الى وسائل اخرى تمهد السبيل لهذه المستشفيات وتقوم مقامها ولو الى وقت

ومن هذه الوسائل الزام الاطباء باخبار الحكومة عن كل مسلول يشاهدونهُ . فقد اتضح ان لا بدَّ لمقاومة الامراض المعدية من معرفة كيفية انتشارها وزيادتها ونقصانها وكذلك لا بدَّ من هذا الإِخبار في مقاومة السل لا لمعرفة انتشار المرض فقط بل ليُعلَم ما اذا كان المسلول محتاجًا الى المساعدة والإِرشاد ولتطهَّر غرفتهُ بعد موتهِ او بعد خروجهِ منها . ولسنا محتاجين ان نخبر الحكومة عن كل مصاب بالتدرن ولا عن كل مسلول بل عن الذين يخشى من انتقال العدوى منهم الى غيرهم بسبب احوالهم المعاشية وضيق بيوتهم . وقد جرت بعض البلدان على ذلك فسنَّت لهُ بلاد نروج قانونًا بين قوانينها واصدرت لهُ بلاد سكسونيا امرًا وزاريًّا وجرى مثل ذلك في ولاية نيويورك وغيرها من الولايات الاميركية . وكان الإِخبار اختياريًّا في ولاية نيويورك ثم صار اجباريًّا وقد ظهرت لهُ فائدة كبيرة وعسى ان يجري في سائر البلدان

وهنالك وسيلة اخرى مرتبطة بإخبار الحكومة وهي التطهير وهذا لا يكون الاَّ بعد ما يموت المسلول او ينتقل من مسكنهِ لكي لا يُعدى الذين يسكنونهُ بعدهُ . ويجب ان يشمل التطهير مساكن المسلولين واسرَّتهم وفرشهم وثيابهم

ومن الوسائل التي يسلم الجميع بفائدتها ولزومها تعليم الناس من كل طبقاتهم ان السل معدٍ وتعليمهم كيفية الوقاية منهُ . ومن المؤكد ان السبب الاكبر لقلة انتشار السل حديثاً في البلدان المتمدنة هو معرفة الناس انهُ معدٍ واهتمامهم بالتوقي منهُ . فان كانت هذه المعرفة كفت لتقليل انتشارهِ فذلك موجب لنشرها حتى تصل الى كل احد و يعلم كل انسان ما ينالهُ من الضرر اذا خالط المسلولين . ولا بدَّ من ان تكون القواعد الموضوعة لهذا التعليم اخصر مما هي الآن وان يوضَّح فيها جيداً ان اشد الخطر في مساكنة المسلولين اي في النوم معهم في غرفة واحدة والاقامة معهم في معامل او مخازن لا يتجدَّد هواؤُها . ولا بدَّ ايضاً من ان يكون فيها ارشادات للمسلولين ترشدهم الى ما يفعلونهُ وقتما يسعلون وما يفعلونهُ بنفثهم

ومن هذه الوسائل ايضاً وسيلة حديثة صار لها اكبر شأن بين الوسائل المستعملة لعلاج السل وهي المصاحّ (١) او المستشفيات الصحية التي تنشأ لاجل المسلولين

ومما لاجدال فيهِ الآن ان السل يقبل الشفاء في درجاتهِ الاولى ولذلك يرى انهُ اذا بُذلت الهمة لشفاء كل الذين يمكن شفاؤُهم من المسلولين وهم في بداءة السل قلَّ عدد الذين يصلون الى الدرجات الاخيرة حينما يصير مرضهم معدياً فيقل انتشار السل . ولكن هل يمكن ان يشفى من المسلولين ما يقلل عدد الاصابات الجديدة وجواباً عن ذلك اقول: يظهر من تقرير لجنة المصاح المنشأَة لشفاء السل في المانيا انهُ سيكون فيها مكان لخمسة آلاف وخمس مئة مسلول في ختام السنة الحاضرة. ومتوسط ما يقيمهُ المسلول فيها ثلاثة اشهر فتكفي لان يعالج فيها عشرون الفاً في السنة . ويظهر مما ذكر عن نتائج

---

(١) [المقتطف] الكلمة الافرنجية سنتوريوم والجمع سنتوريا Sanatorium, Sanatoria ويراد بها الاماكن التي تنال فيها الصحة بطيب الهواء والتدابير الصحية بنوع خاص وقد ترجمناها بالمصحّ والجمع مصاحّ وفضلنا هذه الكلمة على غيرها لانها تقرب من المعنى المراد وهي غير مستعملة لمعنى آخر

المعالجة فيها ان باشلُس السل يزول من خمس المسلولين الذين يعالجون فيها اي انهُ يشفى اربعة آلاف من العشرين الفاً. ويظهر من تقرير مجلس الصحة الامبراطوري ان في المانيا الآن ٢٢٦٠٠٠ مسلولاً من الذين عمرهم أكثر من ١٥ سنة وتجب معالجتهم في المستشفيات. فعدد الذين يشفون قليل جدًّا بالنسبة الى هؤلاء المسلولين حتى لا ينتظر منها نفع كبير في استئصال السل لكني لا احطُّ من قدرها ولا اريد ان يُفهم مني اني لا اريد تنشيطها وانما اريد ان لا يُبالغ في نفعها حتى يحسب الناس انهُ يمكن الاكتفاء بها والاقتصار عليها وان فائدة غيرها من الوسائل قليلة والحال ان فائدة غيرها اعظم من فائدتها فقد ظهر من احصاء الوفيات من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٧ ان عدد المتوفين بالسل في هذا المدة قلَّ ١٨٤٠٠٠ عنهُ لو جرت الوفيات على ما كانت عليهِ قبل سنة ١٨٨٩ وسبب ذلك معرفة عدوى المرض والاهتمام بالتوقي منهُ. وقلَّت وفيات السل في نيويورك أكثر من ٣٥ في المئة منذ سنة ١٨٨٦ بواسطة التدابير الصحية

وعندي انهُ اذا اقتصرت المصاحّ على معالجة المسلولين الذين يُرجى شفاؤُهم واطيلت مدة معالجتهم اكثر مما تطال الآن زادت فائدتها كثيرًا وشفي فيها نصف الذين يعالجون او اكثر من نصفهم. ولكن اذا تمَّ ذلك وزاد عدد المصاح ايضًا تبقى الفائدة الناتجة منها قليلة حتى لا يمكن الاستغناء بها عن الاساليب الاخرى التي ذكرتها

واذا نظرنا الى ما تمَّ حتى الآن لمقاومة السل والى ما يمكن ان يتم لمقاومتهِ حقَّ لنا ان نقول ان البداءة حسنة جدًّا وتبشر بحسن الختام. وتُذكر في هذه البداءة مستشفيات السل الانكليزية والقوانين التي سنتها نروج وسكسونيا لتخبر الحكومة بموجبها عن كل مسلول والنظام الذي وضعهُ الدكتور بغز في نيويورك والمصاح وتعليم العامة. هذا وغاية ما يطلب الآن ان تقوَّى هذه الوسائل ويعمَّم فعلها ويزاد وان تستعمل في كل مكان لم تُستعمل فيهِ حتى الآن

فاذا سرنا في هذا السبيل مسترشدين بوسائل الطب المنعي الحقيقيَّة وبما استفدناهُ من مقاومة سائر الاوبئة وتجنبنا الطرق المضلَّة واستقصينا الشر الى اصلهِ فلا شبهة في اننا نخرج من هذه الحرب التي أثرناها على السل ظافرين غانمين

تذييل

لم يخطب احد خطبة اقامت العلماء واقعدتهم مثل خطبة الدكتور كوخ التي ترجمناها ونشرناها آنفاً فهو مكتشف ميكروب السل ومثبت عدواهُ وهو الذي جرَّأ العلماء على القول بان سل البقر مثل سل البشر وان اكثر موارد السل من اكل لحم البقر المسلولة وشرب لبنها . لكنهُ وقف الآن وقال قولاً صريحاً انهُ وجد فرقاً كبيرًا بين ميكروب سل البشر وميكروب سل البقر وان الاول لا يفعل بالبقر كما ثبت لهُ بالتجارب الكثيرة وان الثاني لا يفعل بالبشر كما يستدلُّ من قلة حوادث السل المعوي الأ ان العلماء الذين خطبوا بعدهُ كانوا مستعدين كلهم لتحذير الناس من لبن البقر المسلولة ولحمها وكانت الاحصاءات التي جمعوها مخالفةً لما اثبتهُ كما ترى في خطبة الاستاذ برووردل التالية وفي الخطب التي سننشر خلاصتها في الجزء التالي

وقام بعد الاستاذ كوخ شيخ الجراحين اللورد لستروكان في كرسي الرئاسة فقال ان خطبة الاستاذ كوخ مفعمة بالفوائد من اولها الى آخرها ولكن فيها امرًا احرى من غيره بالنظر وهو نسبة سل البشر الى سل البقر فان هذا الامر على غاية الاهمية لانهُ اذا كان الدكتور كوخ مصيباً فقد تسهلت الوقاية من السل كثيرًا ولكن اذا كان مخطئاً واهملت العناية بنقاوة اللبن واللحم فهناك الخطر الكبير والضرر الكثير . ثم قال ان الادلة التي اقامها الدكتور كوخ على ان سل البشر لا يعدي البقر مقنعة على ما يظهر لهُ ولكن لا ينتج عنها مطلقاً ان سل البقر لا يعدي البشر ولا الادلة التي ذكرها الدكتور كوخ لذلك كافية ولا بدَّ من استئناف البحث والتنقيب في هذه المسألة قبلما يقرُّ المؤتمر على قرار فيها

وتلاهُ الاستاذ نوكار اكبر ثقة في فرنسا في طب الحيوان وقال ان الخطر من انصال سل البقر بالبشر ليس كبيرًا كما ظنَّ الناس حديثاً ولا صغيرًا كما قال الدكتور كوخ الآن . ولعلَّ قصور ميكروب السل البشري عن التأثير في البقر ناتج عن تغيُّرٍ حدث فيهِ بتغيُّر الاحوال واشار الى ان حوادث السل قلَّت النصف في بلاد الانكليز بالتدابير الصحية الأَّ السل المعوي الذي يصيب الاطفال فانهُ لم يقل بل زاد للاعتماد في تربيتهم على لبن البقر كما اثبتهُ السر رتشرد ثورن . وقام بعدهُ الاستاذ بانج الدنمركي والاستاذ ودهد الانكليزي وايَّدا قولهُ

والظاهر ان اعضاء المؤتمر كلهم مخالفون للدكتور كوخ ولكنهم على غاية الحذر لئلاَّ يكون مصيباً وهم مخطئون . وقد شرعت الحكومة الاميركية في اعادة تجارب كوخ وتمحيصها وسنوافي القراء بما يقرُّ عليهِ قرار العلماء الباحثين في هذه المسألة الخطيرة

اساليب منع السل

خطبة الاستاذ بروردل رئيس مدرسة باريس الطبية تلاها في مؤتمر السل في ٢٤ يوليو

ان عدد المتوفَّين بالسل يختلف باختلاف البلاد فقد كان في بعضها سدس الوفيات وفي بعضها الخمس وفي البعض الآخر الربع — فتك ذريع مثل هذا اضطر كل الامم والحكومات ان تدقق البحث عن الوسائل المانعة انتشار هذا الداء المميت الذي هو الدُّ اعداء الانسان ومن العجيب ان صوت الإنذار بهذا الخطر العظيم اقتضى قروناً كثيرة حتى سمعهُ الناس وان اجدادنا بقوا القرون الطوال ينظرون الى هذا الداء الوبيل المحيق بهم غير مكترثين لهُ ولا مهتمين بهِ

وكان لهذا الاهمال او عدم الاكتراث اسباب عديدة . فقد اعتبروا ان الاهتمام بامر هذا الداء عبث لانهُ داء عياء لا ينجح فيهِ دواء ولا يُعرَف كيف ينتشر . وبالغوا في بعض ما شاهدوهُ من امرهِ فحكموا انهُ وراثي واسترسلوا الى هذا الحكم واتخذوهُ وسادة للتراخي والتقاعد عن البحث والتفتيش عن اصلهِ . والملاحظات المبنيَّة على الاختبار اعتُبِرت كأنها حكايات عجائزية فقد روى الطبيب مورغاني انهم كانوا في ايطاليا في القرن السابع عشر يحرقون امتعة الذين يموتون بالسلّ خوف العدوى وهذا الطبيب نفسهُ قال صريحاً عن نفسهِ انهُ كان يتهيب فتح رمَّة مسلولٍ خوفاً من سريان العدوى اليهِ . ولكن لما قام فلمن في مدرسة الطب في ٥ دسمبر سنة ١٨٦٥ وأجرى تجارب وامتحاناتٍ برهنت وجود العدوى حقيقةً وجاء بعدهُ رصيفنا الشهير الاستاذ روبرت كوخ واكتشف واثبت للاطباء وجود المسبّب لهذه العدوى حينئذٍ شعر كلُّ واحد بانفتاح باب جديد للفرج وارتاحت كل امَّة الى الاستفادة من الخير العمومي المبني على هذه الاكتشافات العلمية الحديثة . وقبلما شُهِرَ اكتشاف العالمين اللذين نوهتُ بهما الآن كان الشعب الانكليزي قد تحفَّز لتلافي الخطب ونهض للعمل واذ تحققوا بالاختبار ان السلّ تطيب لهُ الاقامة في الاماكن المظلمة الرطبة حيث يشري شرُّهُ ويزداد فتكهُ سنُّوا سنَّةً منذ سبعين سنةً بوجوب بناء المنازل على قواعد صحيَّة . ومنذئذٍ لم تفتر همتهم ولا كلَّت عزيمتهم بل سنُّوا عشر سننٍ أُخرى واصلحوا بيوت الفقراء والمعامل والمدائن والمملكة كلها . وهذا العمل الخطير وُسم باسم جلالة الملكة التي عُنِيَت بإنفاذهِ فسمي عصرهُ عصر فكتوريا وكفاها بهِ اجلالاً وتكرمة . واني باسم جميع مواطنيَّ اتحد مع زملائي من الشعب الانكليزي في اتخاذ هذا الاسم الاثير واطلاقهِ على الجهاد الصادق الذي قضي في هذا السبيل والنجاح العظيم الذي نتج عنهُ فقد قلَّت وفيات السل في البلاد الانكليزية اربعين في المئة فلكم الفخر

بذلك وما علينا الا ان نقتفي خطواتكم

وقدا قترح عليَّ أن اخطب في الاساليب التي اتخذتها الأُمم منعاً لتفشي داء السلّ فلبَّيت الدعوة ووددتُ من كل قلبي ان اعمل مرضاة زملائي الفضلاء ولكن لسوء الحظ يصعب عليَّ الحصول على التقارير الصحيحة في هذا الشأن . والوقت المعين لتمحيصها أقصر مما يطلبهُ هذا الموضوع المهمّ فاخاف انَّ كلامي لا يخلو من الايجاز الكثير ومن الغلط ايضاً على اني أُسرُّ بأن أُنبّه الى ذلك وارجو من زملائي ان لا يبخلوا عليَّ بهذه المنَّة فتدرك رغائب اللجنة وتصبح كل امَّةٍ باطلاعها على ما فعلتهُ جاراتها مرتاحةً الى المنافسة والمسابقة في ما يعمُّ نفعهُ وتجمل فائدتهُ

ايها السادة ان الاسباب المبني عليها منع السلّ هي واحدة في كل بلاد وعليها اجمع اطباءُ العالم . فالسلُّ يسهل اتقاؤهُ ويمكن شفاؤهُ : والوسائط المتخذة لتحقيق هذين الامرين هي هي في كل البلدان ولكن بعض الأُمم نالت فيها الاسبقية بهمة علمائها المحرّضين على ذلك والمشوّقين اليهِ وفضل حكومتها المنفذة لقوانينها الآمرة بهِ

فاستأذنكم في الالتفات الى سنّ القوانين الصحية . اذا كان القانون يعترض اعمالنا اليومية ويناقض عاداتنا الراسخة ويقتضي مع ذلك ان ينفَّذ في بيوتنا لا يستطاع تنفيذهُ ما لم يطلبهُ الرأي العام ويقنع الجميع بفوائدهِ ويتحقق كل انسانٍ خطر العادات الرديئة ويصبح مستعداً بنفسهِ لاصلاحها والطلب الى جارهِ ان يأخذ مأخذهُ ويجري مجراهُ . هذه هي حقيقة الحال في انكلترا وأَراها افعل واسطة للاصلاح العامّ . فاول ما تدعو الحال اليهِ تنبيهُ الرأي العام وتهذيبهُ ولعلكم تسألونني كيف نجح تنبيه الرأي العام الى مضادة السلّ ومقاومتهِ . فقد انشأتم في انكلترا سنة ١٨٩٩ برئاسة سمو البرنس اف ويلس (جلالة ملكها الحالي) جمعية وطنية لمنع السلّ وغيرهِ من الامراض التدرنية . وكان غرضها اجراءَ المنع بواسطة تهذيب عامة الشعب ونشرتم مجاناً كراريس في هذا الموضوع منها " الجهاد ضد السلّ " و" اللبن والتدرُّن " و" الهواءُ النقي واطلاقهُ " و" كيف يمنع السلّ " الخ . وقد تألفت تلك الجمعية من رجال في مقدمتهم الرجال الذين فتحوا هذا المؤتمر . والمانيا أسست جمعيات لاجل بناء المصاحّ (الملاجيء الصحية) وجمعيات أُخَر لاجل نشر هذا الرأي وجعل التدابير الصحية من الامور المألوفة . وهي صغيرة ومنتشرة في البلاد وتطبع كراريس تنشرها لافادة العامة . وفي البلجيك عُقدت محالفة على السل مقرها في بروكسل ولها في كل مقاطعة فرعٌ مستقلٌّ . وفي نروج اقرَّ مجلس الامة على انفاق ٤٠٠٠٠ ريال على طبع وتوزيع كتاب موضوعهُ السلّ تأليف الدكتور كلدس هُسن . و ٢٠٠٠ ريال تعطى لفريق من الاطباء نفقة سفرٍ الى حيث يتمكنون من الالمام بادارة المصاحّ (الملاجيء

الصحية) . وفي فرنسا انتخبت جمعية مقاومة السلّ بالتعليم العمومي التي بادارة الدكتور بيرو كلّ مَن رأتهُ قادراً على التعليم ومسموع الكلمة نظير لافيس وماتينون وفكتورين وساردو ولاندوزي وغيرهم . وكثيرون منا خطبوا على الجماهير واوضحوا لهم قوانين التوقي حتى كادت تعمّ النهضة لمقاومة السلّ . وقد تذرعتُ بمنصبي كرئيس للمجمع الصناعي الى نشر التعليم العمومي في باريس . وفي هذه السنة أُلقي ٨٨ خطاباً في السلّ على ١٢٠٠٠ نفسٍ . وهكذا اخذ العامة في كل بلاد يتحققون بالتدريج شدة ضرورة الاعتناء والنظافة الشخصيَّين لمنع العدوى وان المسلول لا يكون منهُ خطر الاَّ اذا لم تؤخذ لهُ الاحتياطات اللازمة ولم يعتنِ هو نفسهُ بوقاية اقربائهِ واصدقائهِ ورُفقائهِ من العدوى

ولا يجوز ان تُشرَب القلوب شدة كراهة السلِّ ونبذ المسلول . فقد كان المسلولُ قديماً يعيش اشهراً عديدة بدون ان يُعديَ زوجتهُ واولادهُ . والخطر في اللعاب او التفث الذي يحتوي على الوفرِ من الجراثيم المعدية . والنفث او البصق على الارض عادة قبيحة كثيرة الخطر . وبزوال هذه العادة يقلّ انتشار السل على الفور . اما فعل النفث في نشر السل فيختلف باختلاف الاحوال ودرجات السل فاذا جُمع البصاق في مبصقة خاصةً او مبصقة عامة ولكن فيها مواد مضادَّة للفساد او أُتلف بحرقهِ او غير ذلك من الوسائط لم يعد فيهِ من خطرٍ على احد . واذا أُلقي في ارضٍ ناشفةٍ معرَّضة لاشعة الشمس يفقد خواصَّهُ الضارَّة . اما اذا بقي في ارض رطبة مظلمة يحفظ قوتهُ الى وقت طويل وهكذا يرتاد فرائسهُ في الاماكن المظلمة الرديئة الهواء والخالية من النور

وهذا الامر قد اضحى معروفاً عند كل الأُمم لكنَّ الفضل الاعظم لانكلترا التي تنبَّهت على هذه الحقيقة المهمة قبل غيرها وتوفقت الى حلّ هذه المسألة الخطيرة على وجهٍ مختصٍّ بها . واذ عُلم ان المساكن التي لم تُراعَ فيها الشروط الصحية تُعين على انتشار هذا الداء الوبيل سُنَّت القوانين القاضية بهدم مثل هذه المساكن وبناء المساكن الموافقة للصحة

فقد سنتها منذ عام ١٨٣٦ قوانين لبناء المساكن الصحية وهذا الحرص من الحكومة شوَّق اهل الخير والاحسان الى الاشتراك في هذا العمل المبرور فقام منهم اناسٌ ينبغي ان تظلّ اسماؤهم مذكورةً بالخير لدى المهتمين بحفظ الصحة العمومية

اما في المانيا فلم يهتم الجمهور بهذا العمل الاهتمام الواجب لكنَّ الامة البلجيكية كانت من اشدّ الأُمم غيرةً على العناية بشأن المساكن الصحية . وفي الدنمرك بلغت جمعيات المباني الصحية غاية التقدم وسنة ١٦٠٠ جعل الملك خرستيان الرابع نفسهُ مثالاً بأن بنى بيوتاً بجنَّاتٍ وجعلها

مساكن لخدمته . على ان جراثيم السل اذا وقعت في بيت رطب مظلم تحتفظ بقوتها ونشاطها وقتاً طويلاً سواءٌ كان ذلك البيت في المدينة او في الاماكن المحيطة بها حيث يكون السكان مزدحمين . وليس غريباً أن نرى في باريس في غرفة واحدة خمسة اشخاص او ستة او ثمانية واحياناً اثني عشر شخصاً ساكنين معاً . وفرص العدوى تكثر بهذا السبب وحده وزد عليهِ قذارة السكان وعدم امكانهم ان يعتنوا بالنظافة المطلوبة

فتتولد بعض بؤر السل في تلك المساكن وتشن الغارة على غيرها فان الفعلة والخدمة يحملون الجراثيم الى معاملهم ومصانعهم ويجعلون المدينة مقرّ العدى . لكنني هنا ينبغي ان اتنبه على حقيقةٍ مهمة واحذر فلا اركب متن التغرير والتضليل . فالمدينة لا تكون موبوءة كلها بل يختلف عدد الوفيات بالسل في احياء ملاصقةٍ بعضها لبعض اختلافاً بيناً . ففي احياء باريس يختلف عدد المتوفين بالسل من ١٠ الى ١٠٠ في كل ١٠٠٠٠٠ ساكن وفي كل حيٍّ مرتع خصيب لجراثيم السل . فهذه علينا أن نكتشفها ونقوّضها ونزيلها . وفوق ذلك ايضاً يجب الاحتراز من بناء منازل جديدة مخالفة للقواعد الصحية لانها تكون خطراً على المدينة والبلاد . وفي اكثر المدن الآن نرى رسم البيوت خاضعاً لقوانين بلدياتها الصحية وهو احتياط ضروري جدّاً لا صرامة فيهِ مهما بولغ في انفاذهِ . هذا وانّ مضار المسكن الذي لم تراعَ في بنائهِ التدابير الصحية لا تنحصر في خطر العدوى المشار اليها . فان الحاجة الى النور والهواء تؤثر في تغذية سكانهِ فيهزل الاولاد ويعجز الاقوياء عن المقاومة ويصبح كل ساكن في مثل هذه البيوت عرضةً لتطرّق الامراض المعدية اليهِ . واذا قصرنا نظرنا على السل رأينا ان هذه المساكن تعد الناس لهُ وتجعل اقوامهم كما لو كان مولوداً من ابوين مسلولين . فالنظامات الانكليزية والالمانية والايطالية والفرنساوية وغيرها مما اشرت اليهِ قبيل هذا سديدة صحيحة ويجب ان تنفَّذ على الدوام خصوصاً عند ما يعرض الميل الى حشد الجانب الاعظم من السكان في المدن وعند ما تراعى الاسباب الصحية في المدن تضمن الصحة في البلاد كلها . والمساكن التي لم تراعَ فيها اسباب الصحة تسبب بلايا أُخر لانها اذ تكون مظلمةً ومزحومةً فالنظافة يصعب حصولها فيها ان لم نقل يتعذر ولا يرى اهلها ما يستميلهم الى قضاء الوقت فيها ولذا قلما يمكث العامل في بيتهِ . نعم انهُ يأكل وينام فيهِ ولكنهُ يقضي باقي وقتهِ في الحانات . ولقد صدق جول سيمون بقولهِ " ان منازل الفقراء مصادر الحانات " ولنا ان نزيد عليهِ ان الحانات مصادر السل . وبالحقيقة ان ادمان المسكرات اعظم عامل على انتشار السل واقوى انسان متى اعتاد المسكر اصبح ضعيفاً جدًّا وعاجزًا عن مقاومة هذا الداء

ويعوزني الوقت لأتكلم عن القوانين المسنونة لاجل كبح جماح هذا الشرّ المستفحل وردّ تيّار هذا الآفة الطاغية . لكني اقول ان صراخاً عاماً من اقصاء المعمور ينذرُ بالويل والثبور ويشير الى آفات المسكرات فكلّ وسيلةٍ او واسطةٍ مأخوذةٍ من حكومةٍ او فردٍ من افراد الرعية لتقليل اضرار المسكرات تكون اكبر عونٍ لنا على هذا الجهاد المشروع فيهِ ضدّ السل على ان هذه المسألة اكبر من ان نبحث فيها هنا ومع ذلك اودّ التنبيه على خطإٍ كثيراً ما يرتكبهُ وزراء المالية في بلدان مختلفة . فانهُ يحلو لهم ان يذكروا المبلغ الذي تفرضهُ الحكومة ضريبةً على المسكرات لكنهُ يجب عليهم ان يطرحوا منهُ ما تتكبدهُ الامة من الخسارة بكل عائلة سكير تحكّم بهِ التلف والخراب وترك لها اولاداً فاسدي الاخلاق منحطي الشأن عرضةً للادواء الوبيلة والامراض المعدية كالداء الخنازيري والصرع وغيرهما وفي حاجةٍ شديدة الى كل شيء . ان هذه الغارة الشعواء التي يشنها المسكر ينبغي ان يعتبرها كل واحدٍ خطراً عاماً طارئاً . وهذا الحق الصريح الذي لا ريب فيهِ ويجب ان يكون معلوماً عند كل انسان هو أن مستقبل العالم في ايدي اهل الصحو والاعتدال الذين يعافون المسكر . والمخاطر المحيطة بإنسان في بيت مضر بالصحة هي نفس المخاطر المحدقة بمن لاجل عملهِ او واجباتهِ او مسرّتهِ او لسبب مرضٍ او امرٍ آخر يمكث يوماً او جزءاً من اليوم في مكانٍ ازدحمت فيهِ اقدام كثيرين غيرهِ وازدادت الاسباب المضرة بالصحة . فان كان ذلك الانسان صحيحاً فالخطر عليهِ من رفقائهِ . وان كان مريضاً فعليهم الخطر منهُ . وهذا الخطر من مخالطة الناس الذي لا بدّ منهُ في عصر التمدن يزداد كل يوم فهو الجزاء المفروض وبهِ يعلل انتشار السل المخيف . وبهذا الاعتبار نُظر في امر اولئك الذين أُعدّوا للمرض بالوراثة العائلية ورداءة مساكنهم فكان من الواجب في بعض البلدان ان يُسعى في تقوية هؤلاء المنكودي الحظ ويؤهَّلوا لصد هجمات الخطر الذي يتهددهم.

ولقد اصاب من قال ان الحداثة والشبيبة يسهل فيهما التأثير على الانسان اكثر مما في غيرهما من اطوار الحياة وانّا مديونون لبعض المدن والافراد في ايطاليا وفرنسا وغيرهما من البلدان التي هزّتها الاريحية لبناء مصاحّ (ملاجئ صحية) على الشواطئ البحرية للاولاد الضعفاء ففي فرنسا ١٤ مصحّاً يأوي اليها سنوياً اكثر من ٢٠٠٠ ولد وقد نتجت عنها نتائج حسنة. وليؤذن لي هنا ان اقول اننا مديونون بهذا النجاح للهمة والنشاط المبذولين من لدن استاذنا الجليل الدكتور برجرون Bergeron . وقد نحت بعض البلدان هذا المنحى فانشأت مصاحّ ترغب الناس في قضاء اوقات العطلة في السواحل البحرية او الاماكن الجبلية . وكل ما عمل من هذا القبيل بواسطة اهل النجدة والإحسان يعين على انقاذ المساكين من مخالب العدوى .

وسنة ١٨٩٣ انشأت مدام هرفيين في سيدان حدائق عمل للاولاد والشبان ووالديهم ومساحة هذه الحدائق اكثر من الفي متر مربع تسع ٣٢١ عائلة مؤلفة من ١٢٥١ نفساً . والجمعية تمدُّ كلاً عائلةٍ بما يلزم لها من الادوات والبذار والسماد . وسنة ١٨٩٤ اقام الاب فُولِبَتْ بساتين للعمل في سنت اتين مساحتها نحو ٤٢ فداناً تسع ٤١٠ عائلات مؤلفة من ٢٤٦٠ نفساً ويوجد من هذه البساتين في برمي وبعضها انشئ حديثاً في فونتنبلو وفلرباين بقرب ليون

وقبل النظر في مسئلة شفاء السل اتكلم ولو بغاية الايجاز على الوسائط المتخذة لمنع عدوى السل بالطعام . فمنذ ما اوضح شوفو ان جراثيم التدرُّن التي تكون في الطعام تولِّد تدرُّناً في الامعاء انصرفت العناية الى منع اكل اللحم واللبن من الحيوانات المسلولة . اما من جهة اللحم فمراقبة المسالخ في المدن الكبيرة تقضي هذه الحاجة . وفي البلجيك نرى هذه الواسطة مرعيَّة الإجراء في الارياف ايضاً لكنني لا اعرف مملكة اخرى تفتِّش فيها المجازر الخاصة حيث تُذبح البقر المسلولة والخنازير المصابة بالحصبة والحيوانات المختلفة الامراض ومع ذلك تترك الحيوانات من غير فحص ويؤكل لحمها الضارّ طرياً او فطائر او مقانق لم تنزع منها الاحشاء المتدرنة . ومما لا يصح الاغضاء عنهُ نقل اللحم من بلد الى آخر فان قطع اللحم ترد من الارياف الى الباعة في المدن من غير ان تفحص . ولا يصحُّ الاغضاء عن نشر السل بواسطة اللحم كما لا تصحُّ المبالغة فيهِ . ولكن في طاقة الحكومة ان تقي شعبها منهُ . وقد تقدمتنا حكومة البلجيك فكانت لنا خير مثال

وليس من ريب في ان بعض اللبن الذي يشربهُ الناس هو من بقر مصابة بالتدرُّن في ضروعها . وقد اشار الصحيّ الانكليزي الشهير السر رتشرد ثورن الى ان عدد الوفيات بالسل بين البالغين في انكلترا قد تناقص منذ سنة ١٨٥٠ نحو ٤٥ في المئة ثم تأسَّف على أنهُ رأى عدد الوفيات بالداء المذكور بين الاطفال زاد من ذلك العهد ٢٧ في المئة . وعندهُ أنَّ هذه الزيادة نشأت عن تدرُّن الامعاء بسبب شرب الاطفال من ابن سنة فما دون لبناً تشوبهُ العدوى لان البقر في انكلترا لا تُفحَص . أمَّا في فرنسا فالظاهر ان النظام يجيز مراقبة البقر ومقاليدهُ في ايدي حكام المدن لكنَّ هؤلاء لكي يُنفِذوا القانون ينبغي ان يبلغهم خبر البقر المصابة في ضروعها وهذا انما يستطيعونهُ اذا اخبرهم بهِ البقَّارون (اصحاب البقر) وهؤلاء لا يعلنون ذلك الاَّ متى جفت الضروع ولم يعد فيها من خطر يتهدَّد الغير . وليس يخاف ان اللبن في الغالب يكون مزيجاً من بقرات متنوعةٍ ولبن بقرةٍ واحدةٍ مصابةٍ بالتدرُّن يكفي لافساد المزيج كلهِ . فلدرء هذا الخطر ينبغي اعتماد وسائل الفحص المدقق والمراقبة المستمرَّة كما

هو جارٍ منذ سنين عديدة في بلاد الدنمرك واسوج ونروج . وريثما تتحقق هذه الامنية يجب التذرُّع الى رفع الخطر باغلاء اللبن قبل شربهِ وهذا الامر ينبغي اذاعتهُ وتعميمهُ بالرغم عمّا ارجف البعض بقولهم ان اللبن المغلى قليل الغذاء صعب الهضم

واذا أُصيب انسان بالسل وجب بذل المستطاع لاجل شفائهِ لانهُ يمكن ان يشفى وليس من ريب في هذا الامر . فمن اختباري الشخصي في معرض الجثث في باريس حيث اشرح غالبًا جثث المتوفين غرقًا استطيع القول انهُ في نصف الحوادث — هذا اذا كان الميت سكن باريس منذ نحو عشر سنين — وجدتُ آثارًا تدلُّ على ان الميت اصيب بالسل وشفي منهُ . ومن الواضح ان الذين فحصت رممهم في الملاجيء والمستشفيات ومعرض الجثث لم يتخذوا شيئًا من الاحتياطات التي نحسبها ضرورية . وبالرغم عن عوائدهم القذرة المضرَّة كانت بنيتهم قويةً على صدّ غارات الداء . ولهذه الآثار التشريحيَّة معنى آخر وهو انها تدل على ان السل كان متقدمًا فيهم جدًّا . فالسل يقبل الشفاء حتى في أقصى درجاتهِ وهذه حقيقة مصدقة من مشاهير الاطباء . وقد قال غرانشهِ " ان شفاء المسلولين ايسر من شفاء المصابين بباقي الامراض المزمنة "

وبما انَّ شفاء المسلول ممكن فمن الواجب ان يُبْذَل الجهد في تحقيق ذلك . واذا اقتنع الطبيب بشفاء مريضهِ تغير التفاتهُ الى هذا الداء . اما قبلاً فإذ كان قانطًا من انهُ يستطيع عمل شيء لمريضهِ لم يكن يجسر ان يخبر المريض ولا اصدقاءهُ بطبيعة المرض . امَّا الآن وقد صار الشفاء ممكنًا فصار يعامل المريض بعكس المعاملة السابقة . واذا صحَّ انهُ يمكن الشفاء من السل في كل درجاتهِ فمن باب اولى يكون الشفاء ممكنًا اذا تحوَّط المرء من بادىء الامر قبلما يتمكن السل منهُ اي حينما تكون المقاومة في جسمهِ قوية . ولا بدَّ للطبيب من ان يخبر المريض وعائلتهُ انهُ مصاب بمرض منهُ خطر شديد ولكنهُ يقبل الشفاء ولا يستطيع ذلك ما لم يكن قادرًا ان يخبر المريض بافضل طرق العلاج العلمية التي يستخدمها

وما هي افضل الطرق وكيف يتمُّ اجراؤُها في البلدان المختلفة . ففي هذا الخطاب اقصر بحثي على المرض من حيث فعلهُ بالفعلة والمستخدمين . والعلاجات التي يشار بها فيهِ تختلف بحسب الدرجة التي بلغها المرض وكون المريض غريبًا او متزوجًا او ربَّ عائلة . ولهذا الداء ثلث درجات محدودة . ففي الاولى يسعل المريض ويصاب بالزكام فماذا يعمل في الغالب . اما انهُ لا يكترث للامر او انهُ يبتاع من الصيدلي دواء ليزيل السعال. وتمرُّ الايام والاسابيع والاشهر فان اشتدت وطأة البرد تسوء حالهُ وان اعتدل الهواء تحسَّن قليلاً . ولا تلبث ان

تنوبهُ اعراض شديدة ثم تصيبهُ الحمَّى والنحول فيضطر ان يترك عملهُ ويظن ان مرضهُ ابتدأ مذ الآن ونحن نعلم انهُ يكون قد وصل الى الدرجة الثانية وان المعالجة صارت ضرباً من العبث في الغالب . اذًا تهمنا الدرجة الاولى من هذا المرض حين تكون المعالجة مفيدة . فبأي شيء نستطيع ان نفيد المسلول في الدرجة الاولى

ففي المانيا مستوصفات متعددة للمسلولين في المدن الكبيرة منها حيث يكون الطبيب مجهَّزًا بالادوية اللازمة ومستعدًّا لمشاهدة المرضى الذين يأتون اليهِ . وهناك لجنة مؤَلفة من رجال البر ونساء الاحسان تفتش عن المسلول في بيتهِ وتخبر زوجتهُ بما ينبغي ان تفعل لهُ وتساعدها على حفظ البيت نظيفاً وتنظر في اعداد اساليب الوقاية وتقدم لهُ ما يقوم بمعيشتهِ ومعيشة اهل بيتهِ . وقد اشار المسيو كالمت بذلك سنة ١٨٩٩ وزاد عليهِ انهُ عوضاً عن ان ننتظر المسلول ليأتي ويستشير الطبيب نذهب اليهِ نحن وندعوهُ الى ذلك دعوةً ونعرض مساعدتنا عليهِ قبلما يشعر بانهُ في خطر .قال واود ان اكتشف التدرن حالما ينشأ واتمكن من ارشاد المصاب بهِ الى استعمال الوسائط الضرورية وهو باقٍ مع عائلتهِ غير مضطرٍ الى مفارقتها . وقد اخرج كالمت هذا الامر من حيز القوَّة الى الفعل فانهُ انشأ صيدلية مجانية للعلاجات المضادة للسل في ليل سماها اميل رو فنجحت نجاحاً عظيماً وقد اسس الدكتور بونه محلاً اشبهَ بهذا في باريس في حي مونت مارتر وأَخذ في بناء اماكن اخرى من هذا النوع . وقد تبين بالاختبار ان الفعلة لا يأنفون المجيء الى هذه الاماكن بعضهم لداعي السعال والبعض لشعورهم بالداء . وعندي ان افضل طريقةٍ يُثار بها هذا الداء من مكمنهِ هي ان يقام على الفعلة رقباء ووكلاء يلاحظون رفقاءهم حين يسعلون وينصحون لهم ان يذهبوا الى حيث يعالجون واذ يرسخ في اذهانهم ما في وساخة المعامل وساحاتها من الخطر يرتاحون من تلقاء انفسهم الى الدأب على حفظها نظيفةً وهكذا يتعلمون مقاومة هذا الداء العياء . والذين يأتون الصيدلية يصادفون عناية كبيرةً من الاطباء ويُخبرون ان هذا الداء ينتشر بالبصاق وادمان المسكرات . ويُعنى بهم ويعطون مرق اللحم مرَّة او مرَّتين في اليوم كما تسمح الاحوال . وتُمدُّ يد المساعدة لعيالهم وتُراعى الشروط الصحية في بيوتهم

وبعض هؤُلاء المرضى ينبغي ارسالهم الى المصاحّ فان كان المريض عزباً ويمكن ارسالهُ الى واحدٍ منها فذلك اضمن لشفائهِ . اما ذهاب المتزوج فيتطلَّب الاعتناء بامرأتهِ واولادهِ مدة غيابهِ لكي لا يشغل بالهُ بهم ولا يقلق لاجلهم

وليس من غرضي البحث عن بناء المصاحّ وتدبيرها . ولكن ينبغي ان نذكر فقط انها يجب

ان تكون منفردة لا تتطرّق اليها عفونة ولا فساد حسنة الترتيب المعالجة فيها بالراحة الطبيعية والادبية والغذاء الكثير والهواء النقي

وهذه الطريقة قد اتبعت في المانيا بارتياحٍ ونشاطٍ لا مزيد عليهما وقد ساعدت الحكومة فضلاً عن أهل الخير والاحسان على تأييد هذا العمل العظيم متحققةً فائدتهُ العظيمة . وفي المانيا الان ٨٣ مصحًّا عموميًّا مفتوحًا او على اهبة الفتح وهي تسع ١٢٠٠٠ مريض سنويًّا . أنشأتها شركات الضمانات وبنوك المرضى والمعامل التي تكاتفت على تأسيسها لفعلتها ومستخدميها ووضعت ضريبة في بعض الاماكن وهي طفيفة من نصف غرش فاكثر على النفس . وقد بنت الحكومة عدة مصاحّ لمأموريها واقرّت لجنة المالية في مجلس النواب ان يبنى مصحٌّ للحكومة تحت ادارة وزير الداخلية . والمعالجة تقتضي ٩٠ يومًا على الاقلّ وقد علم بالاختبار انهُ يحسن بالمرضي ان يقضوا في المصحّ شهرًا آخر من السنة التالية .

وكان من الذين غادروا المصاحّ وهم قادرون على العمل ٤٦ في المئة سنة ١٨٩٦ و ٤٧ في المئة سنة ١٨٩٧ و ٥٨ سنة ١٨٩٨ و ٦٠ سنة ١٨٩٩ . وكانت نفقة المريض في اثناء الاشهر الثلثة ثمانية فرنكات يوميًّا وهي تشمل ما ينفق على عائلتهِ وهو نحو ثلث المبلغ . وهذا المنهج الذي انتهجتهُ المانيا كان مثالاً لغيرها . فبنت انكلترا وسكوتلندا واوستراليا وكندا بعض المصاحّ . وخصص اهالي الولايات المتحدة اقسامًا من مستشفياتهم بالمسلولين وانشأوا ثلثين مصحًّا صغيرًا . وبنت جمعية الاباما مصحًّا للمسجونين ونظارة البحرية مصحًّا آخر للبحّارة وفي نيويورك الآن ستة مصاحّ . ووهب ملك اسوج المبلغ الذي جمع لهُ في يوبيلهِ وهو ٢٣٠٠٠٠٠ ريال لاجل بناء ثلثة مصاحّ وعين مجلس امتهِ ٨٠٠٠٠٠ ريال لهذه الغاية واعطت الحكومة الارض اللازمة لهذه المصاحّ الثلثة وشيدت فرانسا عدة مَصَاحّ وشعرت كل الامم باهمية هذا الامر الخطير واخذت تقتدي بعضها ببعض في اتمامهِ وسيأتي وقت لا يترك فيهِ المسلول وشأنهُ بل يجد اذا كان بعدُ في الدرجة الاولى من مرضهِ انهُ لا يزال لهُ رجاءٌ بواسطة العلاجات والمداواة

واذا كان المسلول قد تجاوز الدرجتين الاوليين حينما يطلب الدخول في المستشفى لا يجوز قطع الامل من شفائهِ بل يقبل ويوضع منفردًا لكي لا ييأس بما يراهُ في رفقائهِ من الالم . وقد اعتني في برمبتون بالف وخمس مئة مسلول مدة عشرين سنة ولم يعدَ منهم طبيبٌ ولا خادمٌ ولا ممرض وهذا الامر شهد بصحتهِ كثيرون من الاطباء الذين يوثق بصدقهم

ايها السادة لما اقتُرِحَ عليَّ أن اذكر الاساليب التي تذرَّعَتْ بها الامم لمقاومة السل سُئلتُ

ايضاً ان انظر في المسألة من وجهٍ دولي . فلا اظن انهُ يسعنا ان نعامل السل كما عُومل الطاعون والهواء الاصفر والحمّى الصفراوية لمنع دخولهِ الى البلاد . ولا ادري كيف يستطيع احد من الاطباء ان يجزم بان هذا المسافر او ذاك غير مصاب بداء السل . لكنهُ قد يمكننا اتخاذ وسائط عامة من جهة أُخرى وذلك بان تُطهر مركبات سكك الحديد والسفن والفنادق من العدوى حتى يأمن المسافر جراثيمها وهذا من التدابير الدولية وقد ارسل مؤخراً وزير الاشغال العمومية في فرنسا منشوراً الى اصحاب السكك الحديدية يدعوهم الى وجوب التحفظ لمنع خطر العدوى بالسل . وعلى اصحاب الفنادق في بلدان كثيرة ولا سيما في الولايات المتحدة ان يخبروا البلدية بكلّ مسلول نزل عندهم . ويطهروا غرفتهُ عند خروجهِ منها . على ان وزير داخلية المانيا زاد في التشديد بان أوجب على كل طبيب شاهد حادثة من سل الرئة او سل الحنجرة ان يخبر البوليس كتابة حالما ينتهي من تشخيص المرض . وبعد الموت بالسل ينبغي ان تطهر الغرفة التي كان فيها المسلول وكل امتعتهِ . وعلى اصحاب الفنادق والمنازل والملاجيء وغيرها من الاماكن العمومية ان يعلنوا في الحال كل حادثة من هذا النوع تعرض في مساكنهم

وإخبار الحكومة والتطهير ومراعاة الشروط الصحية في الفنادق والمركبات والبواخر مسائل عامة ينبغي الالتفات اليها من جميع الأُمم . والامر الذي ينبغي ان نستفيدهُ من تضافر كل الامم على مناصبة هذا الداء هو انهُ يجب علينا ان نُعلن في احاديثنا ومطبوعاتنا العمومية ونشراتنا الخصوصية ان السلّ يمكن تجنّبهُ وان المصاب بهِ يمكن شفاؤهُ . والوسائط المتخذة الآن لمقاومة هذا الداء الوبيل ستزداد على توالي الايام قوة وانتشاراً ولا تبقى محصورة في ايدي بعض الجمعيات بل يعمُّ الاحتفال بها والتعويل عليها من جميع الحكومات وسائر الشعوب ولنا مذ الآن ان تتنبأ ان العالم المتمدن سيتحد بنفسٍ واحدةٍ ورأيٍ واحدٍ ويتوفّق اخيراً الى استئصال شأفة هذا البلاء

ايها السادة قلت منذ عشر سنين في مؤتمر الصحة في لندن ما يأتي :

" ان قرناً يستطيع المرء ان يكتب في اولهِ اسم جنّر وفي اخرهِ اسم باستور لحريٌّ بان يسرَّ بهِ نوع الانسان لانهُ تمَّ فيهِ مما يزيل الشقاء والمرض والموت اكثر مما تمَّ في كل عصر من العصور التي تقدمتهُ " . فالفخر للقرن التاسع عشر ولكن القرن الذي ابتدأ حديثاً رأى في سنتهِ الاولى اعظم عمل عُمل لاجل الصحة العامَّة . فعسى ان لا نجد في طريقنا ما يعوقنا وعسى الذين يخلفوننا في اواخر القرن العشرين ان يشهدوا بان اتعابنا لم تذهب سدًى وان نتائج مساعينا جاءت وفق مشتهى الامم التي مثلتموها ايها السادة باجتماعكم في هذا المكان لاشرف غاية خطرت على بال انسان

عمران دمشق

تاريخها العصري

ضاعت سيرة احمد باشا الجزّار البشناقي الذي نفذ حكمهُ في سوريا ٢٨ عاماً واخذ دمشق اربع مرات اولاها سنة ١١٩٨ كما ضاع كثير من الانباء الاخيرة . ومما يؤرخ من حوادث القرن الثالث عشر حادثة الصدر الاعظم سليم محمد باشا سنة ١٢٤٦ وقد جاء دمشق والياً بعد ان أباد جيش الانكشارية في الاستانة فهمّ ان يغتال بعض اعيان المدينة وعلمائها لانهم حالوا دون تنفيذ مآرب لهُ من ضرب خراج على عقارات دمشق فجمعهم بحجة دعوة في القلعة ولما احسوا بمكيدتهِ ثار العامة باشاء تهم فضربهم من ابراج القلعة بالقنابل ولما ضاق عليهِ خناق الحصار جاء في بعض رجالهِ الى دارٍ في باب البريد فتأثرهُ العامة وقتلوهُ وحاشيتهُ حرقاً

وبعد مُضي اشهر جاء دمشق ابرهيم باشا بن محمد علي باشا عزيز مصر للانتقام من عبد الله باشا والي عكاء فجعل دمشق عاصمة سورية ومنع الرُّشى والمحاباة وبث قواعد المساواة وابطل المصادرات وقرّر حقّ التملك وبسط ظلّ الامن . وزاد صاحب الروضة الغناء انهُ نشّط الزراعة والتجارة والصناعة وامر بتعميم تربية دود الحرير ودودة القرمز . واكّد لي كثيرون ان بعملهِ هذا استعادت اكثر قرى حوران وعجلون وحماة وحمص وغيرها من اصقاع الشام عمرانها الذي كانت فقدتهُ منذ عشرات من السنين . وقرَّب العلماء والشعراء ورخَّص للاجانب في إرسال معتمديهم الى الفيحاء وكانوا يُمنعون من دخولها قبلهُ

غير ان حكمهُ كان مشوباً شأن كل داخل بالسفك والبطش . ومع انصراف وجهتهِ الى التمهيد مدة مقامهِ وهو تسع سنين شيّد في بر الشام مباني عظيمة خصوصاً في دمشق تصعب محاكاتها كالمستشفى العسكري وثكن الجند ومستودع البارود وغيرها من المحالّ

ومن رسوم الفتح ان يُخطب باسم الفاتح لكن البعض قد لا يهتمون بذلك كما فعل ابرهيم باشا فانهُ ابقى الخطبة باسم السلطان وعملت انكلترا على جلائهِ طوعاً او كرهاً كما فعلت مع نابوليون بونابرت ايام احتلالهِ مصر وبعض سواحل الشام في القرن الماضي

ومن الحوادث الخطيرة حادثة جرت منذ اربعين سنة ونيّف بين المسلمين والمسيحيين اختلفت الآراء في اسبابها ويؤكّد بعضهم انها امرٌ دُبّر بليل عمدًا . وكانت جذوة الفتنة تضطرم اولاً في لبنان ووادي التَّيم وجرت حروب اهلية بين المسيحيين والدروز وفتك هؤلاء

بمواطنيهم فتكاً ذريعاً في حاصبيا وراشيا وزحلة ودير القمر ثم سرت شرارتها الى دمشق فقام ارباب الدعارة من المسلمين وجاء الدروز ايضاً يقتلون وينهبون ويخربون ويحرقون . قال صاحب قطف الزهور فارسلت فرنسا باختيار الدولة العلية ورضاها عشرة آلاف جندي للمحافظة ومنع التعدي عند الاقتضاء وكذلك باقي الدول الفرنجية منها من ارسل مراكب حربية ومنها من ارسل نواباً لاصلاح الحال

وخيم جند الفرنسيس في البقاع تسعة اشهر والسفن الاجنبية ظلت راسية مدة في ميناء بيروت حتى أعاد فؤاد باشا الامن الى حالهِ وارجع الحكم الى نصابهِ فنفى بعض الاعيان لعدم ممانعتهم الاشقياء والاسافل من وقوع هذا الاختلال وقتل بعضهم رشقاً بالرصاص منهم والي الشام احمد باشا وبعض رؤساء الجند وصلب كثيرًا ممن ثبت عليهم الاشتراك في هذا الاثم الكبير

وعُوّض على المنكوبين من مال الدولة والاهلين ولكن لا بالانصاف فاغتنى بعضهم وكان فقيرًا وافتقر بعضهم وكان غنياً واصبح الناس شرعاً في الشؤون الاجتماعية الى غير ذلك من المنافع التي تمخضت عنها تلك المضار . ولولا ما ابداهُ الامير الخطير السيد عبد القادر الحسيني الجزائري الشهير وبعض من حذا حذوهُ من عقلاء الدماشقة في حماية المسيحيين لازداد الشر تفاقماً والعقدة ارتباكاً

وممن احسن الخدمة من الولاة المتأخرين في دمشق ضيا باشا الذي ولي الشام اشهرًا في خلال سنة ١٢٩٣ وقد اشتهر بحفظهِ للآثار والعاديات وبث روح الصدق والاخلاص في قلوب الاهلين وشفقتهِ عليهم شفقة مجردة عن الغرض . ومدحت باشا ذاك الرجل الذي يُرَدّ تاريخ العمران في سورية الى عهدهِ فانهُ اسس مدارس ابتدائية واعدادية ومدرسة للصنائع ووسع بعض الطرق وفتح الاسواق واقام الحدائق لنزهة الاهلين وكفاهُ طريق الشوسه بين مدينتيَ طرابلس وحمص الذي أُسس بمال الوطنيين وأُدير بايديهم . وانهُ للوزير المتفضّل على كل من أُنقذ من ظلمة الأُمية من الشبان وجاء ايضاً مصطفى عاصم باشا المشهور باستقامتهِ وغيرتهِ على الامة والدولة فقام ببعض الآثار الاَّ ان المنية عاجلتهُ بعد ان حكم قرابة سنتين . وكذلك الوالي الحالي حسين ناظم باشا صرف وكدهُ لتشييد البيمارستان ودار المعتوهين في غربي البلد فنجزا في العام الماضي على اجمل وجه ثم بُدئ بانشاء دار للحكومة لائقة لان الموظفين كانوا حتى اليوم يقيمون في دار هي للسكنى اليق منها بدار حكومة

وكادت تنتهي الثكنة التي بدئ بانشائها في غربي المدينة منذ مدة وقد كلفت ٦٣

الف ليرة عثمانية عدا جماعات الجند النظامي الذي سُخِّر للعمل بها والاحجار الضخمة التي نُسلت من ابراج القلعة القديمة ونُقلت لتُعمر بها

وفي ١٧ تموز (يوليو) سنة ١٨٩٤ نجز ثاني خط حديدي في سورية وهو خط دمشق وحوران طوله مائة كيلو متر وفي شهر آب (اغسطس) سنة ١٨٩٥ احتفل بافتتاح خط آخر بين بيروت ودمشق طوله ١٤٧ من الكيلو مترات فأوصل بالأول . وقد كان يُرجى من هذا المشروع ما يُرجى عادة من قطار البخار اذا انتهب السباسب والقفار . فتكثر المواصلات والاختلاط وتزيد حركة التجارة والزراعة و يتوفر الصادر والوارد الاَّ ان الامر جاء على عكس المبتغى وابى سوء بخت هذا القطر والشقاء اليفهُ في كل ادواره ان يوَّاتيهُ هذا العصر ايضاً ولو بخط حديدي مُدَّ بيد اجنبية فلم تراعِ الشركة مصالح الركاب والتجار خلافاً للخطة التي تسير عليها سائر الشركات التجارية في البلاد المتمدنة من مراعاة شعائر كل قبيل والقيام على ما يوفّر الراحة والنظر في ما يخفض الاجور . فنفر القوم منها والنفوس من عادتها ان تنفر ممن يستخف بها ولا يحفل بشأنها

استعملت مركبات للركاب لا تليق الاَّ بالبهائم ولم تبنَ محطات مناسبة واماكن للانتظار وحدّث ما شئت ان تحدث عن محطة البرامكة في ظاهر المدينة وكأن الشركة احتقرتها فجعلت اقرب محطة منها من احقر محطات العالم . خلِّ عنك معاملة موظفيها للاهلين معاملة يشمئز منها اخسُّ حيوان ناطق

اما من حيث الاقتصاد فقد كان البريد بين دمشق وبيروت اسرع تبادلاً ايام كانت شركة طريق الحوافل بين المدينتين فقد كانت الرسالة تصل في يومين من بيروت الى دمشق وبالعكس اما الآن فيستغرق وصولها اربعة ايام . فضلاً عن ان الطريق بين المدينتين ينسدُّ بالثلوج كل عام مرة او مرتين تدوم المرة زهاء اسبوعين او ثلاثة وتنقطع المواصلات بتة مما لم يحدث من قبل

وكانت الشركة في اول نشأتها سيّرت قطاراً ليلياً بين بيروت ودمشق ليقل ركاباً و بضائع ويأخذ البريد فالغتهُ بعد سنة ثم استُرضيت فعينت ثلاث ليال في الاسبوع ثم حنقت من الحكومة المحلية لبعض شؤونها فابطلت القطار الليلي جملة واكتفت بتسيير ثلاث قطارات في النهار احدها للركاب والاثنان للبضائع تسير في هنيهة متقاربة فتقطع المسافة بين دمشق و بيروت في تسع ساعات على حين ان الحافلة كانت تقطعها في ١٢ ساعة بخيلها و بغالها . واكتفت بتسيير قطار دمشق وحوران ثلاث مرات في الاسبوع على قرب المسافة وسهولة الطريق بخلاف

سكة بيروت فانها في اودية وشعاب وعقاب تشبهُ الاراقم في انسيابها وتلوّيها وزد على ذلك أن هذه السكة لا تُعدُّ من ذات السير السريع بل هي تراموايٍ بخاري وسيرها بطيءٌ ليس إلاَّ

وكانت شركة العربات والحوافل بين دمشق وبيروت تستخدم كثيرًا من ابناء البلاد وتؤدّي اليهم رواتب متناسبة مع اقتدارهم وحسن بلائهم اما الآن فقد اكتفت شركة السكة الحديدية ببعض فتيان من الوطنيين تتقدم من الدراهم ما يقيهم الجوع فقط واختصت رجالها بالخدمات الرابحة . كان عند الشركة الخالية الف بغل وحصان فلو فُرض انها كانت تُطعم الدَّابة في اليوم نصف مدّ من الشعير يساوي من ثلاثة الى اربعة قروش واحيانًا اكثر من ذلك عدا العلف والتبن والكلأ فكم كانت تستنفد في السنة من هذه الاصناف . وكفى برهانًا على خسارة البلاد من هذا الوجه ان كورة البقاع كاد يسرع اليها الخراب لما سقطت شركة الحوافل لأن منها كانت تبيع محصولاتها . وقد بلغت واردات الشركة لعام ١٨٩٩ — ٩٠٤٩٢٧٤ قرشًا اميريًّا وعدد الركاب بين دمشق وبيروت وحوران ١٥٩٣٧٢ نفسًا بزيادة ٨٧٦٥ عن السنة التي قبلها والمنقولات ٩٠ الف طن بزيادة ١٣ الفًا عن العام المنصرم . ولعلَّ الشركة الجديدة التي اخذت على عهدتها ادارة هذه السكة في العام الماضي تسعى في تحسين حالتها فترفع شكواها من الخسارة وشكوى الناس من سوء الادارة

ومنذ امد غير بعيد اشتدَّ اللغط بشأن انشاء سكك حديدية جديدة الاولى من حيفا فدمشق فبغداد فخليج فارس والثانية من دمشق فحماة فحلب والثالثة من دمشق الى مكة . الاَّ ان هذه الاعمال على التغالي بامرها فما فتئت كلامًا في كلام . ومن عادة الشرقيين ان يتظاهروا بالقول ويطنطنوا به حتى اذا حقت كلمة الفعل لبدت عجاجتهم وغاضت مجاجتهم ولكن المستقبل كشَّاف الخفايا يدلُّ على الاقتدار الحقيقي كما يدلُّ على العجز المموَّه

يُتبادل البريد الآن بين دمشق والبلاد الشرقية والشمالية وعمالات الولاية مرةً في الاسبوع غالبًا مع السعاة . والانتظام معدوم في ادارة البريد والبرق هنا وكم من تحارير فقدت او فتحت ومن رسائل برقية تأخرت وعُطلت ومن جرائد ومجلات أُحرقت او سرقت

للمجالس البلدية في البلاد المتمدنة شأن واي شأن فاذا قلت البلدية فكأنك تعني ادارة بيدها حضارة مدينة وغضارتها مما هو على طرفي نقيض عندنا فقد أُنشئت بلدية دمشق منذ نحو ثلاثين سنة فكانت ولا تزال مأكلة تُسدُّ باموالها النهمات تؤخذ من الصعاليك مكسًا واختلاسًا بالدانق وتُعطي لمن لا خلاق لهُ بالدنانير . ومنذ عشرين سنة اخذت الدولة للخزانة نصف واردات البلدية ثم احدثت ضريبة تتقاضى من اللحم . وتتراوح واردات البلدية

مساناةً بين ١٢ و ١٣ الف ليرة عثمانية هذا اذا تُركت لها الـ ٤٥٠٠ ليرة التي تأخذها ادارة الجامع الأموي

ولئن عُنيت البلدية برصف بعض طرق البلدة وتوسيع بعض شوارعها الاَّ انَّ ما صرفتهُ لا يوازي ما تتقاضاهُ الاهلين . وهي الآن مضطرة الى اداء رواتب للضابطة والشرطة ومشاهرات لبعض المنفيين وغاضة الطرف طوعاً او كرهاً عن القيام بما يجب عليها من الكنس والرش ورفع القاذورات واصلاح الطرق وانارة الاحياء والشوارع الى آخر وظائفها فاصبح مجلسنا البلدي كما قيل لاهو ميت فيُنسى ولا حيٌّ فيرجى يُذكّر بديوان الحسبة الذي كان يقوم قِدماً بهذه الاعباء فيفتق الالسن بالترحم على أيامهِ

ولعمري لو سُلّمت واردات البلدية الى رجل امين عارف باصول الادارة ذي كفاءة لتنفيذ قانون البلدية قولاً وفعلاً مكفوفة عنهُ ايدي المسيطرين مع رخص موادّ البناء واجور العملة وكثرة المياهِ لاصبحت دمشق في بضع سنين زهرة البلاد العثمانية وربما ضاهت المدن الاوربية بانتظامها وحسن هندامها

غوطتها

قلَّ من يدخل دمشق او يقرأ عنها شيئاً في الاسفار الاَّ تطرق اذنهُ كلمة " غوطة " وهي الكورة التي عُدَّت من مفاخر هذه الحاضرة قديماً وحديثاً لخصب ارضها وكثرة مياهها ووفرة متنزهاتها وضياعها . يُروى ان المأمون اقسم وقد نظر يوماً الى اشجارها وبنائها انها خير مغنى على وجهِ الارض وقال عجبت لمن سكن غيرها كيف يندم معهذا المنظر الانيق الذي لم يُخلق مثلهُ

قال ياقوت والغوطة من الغايط وهو المطمئن من الارض وجمعهُ غيطان واغوط وقال ابن الاعرابي الغوطة مجتمع النبات وقال ابن شميل الغوطة الوهدة في الارض المطمئنة والغوطة هي الكورة التي منها دمشق استدارتها ثمانية عشر ميلاً يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولا سيما من شماليها فان جبالها عالية جدًّا ومياهها خارجة من تلك الجبال وتمدّ في الغوطة في عدّة انهر فتسقي بساتينها وزروعها ويصبُّ باقيها في أجمة هناك وبحيرة . والغوطة كلها اشجار وانهار متصلة قلَّ ان يكون بها مزارع للمستغلات الاَّ في مواضع يسيرة وهي بالاجماع انزهُ بلاد الله واحسنها منظراً وهي احدى جنان الارض الاربع صُغد سمرقند ونهر الأُبلَّة وشِعب بَوّان والغوطة أجلُّها . ويصعب تحديد الغوطة بالتدقيق والغالب ان كل ما يُحيط بالفيحاء من قرى شجراء يدخل تحت هذا الاسم . وذكر صاحب نزهة المشتاق ان طولها مرحلتان في عرض مرحلة وبها ضياع كالمدن مثل المزّة وداريا وحرستة وكوكبا وبلاس وكفر سوسة وبيت الاهو

وبها جامع قريب الشبه بجامع دمشق . ومن بابها الغربي وادي البنفسج وطوله اثنا عشر ميلاً وعرضهُ ثلثة اميال وكلهُ مغروس باجناس الثمار يشقهُ خمسة انهار — كذا قال ولا يعرف اليوم البنفسج ولا واديهِ

وقال الاصطخري ان عرض الغوطة مرحلة في مرحلتين وروى المقدسي انها تكون مرحلة في مثلها يعجز عن وصفها . وفي رأي شيخ الربوة ان الغوطة هي من حيز دمشق ناحية يكون طولها ثلاثين ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً مشتبكة القرى والضياع لا تكاد الشمس تقع على ارضها لاختناق اشجارها والتفاف ازهارها . ولعلَّ ما ورد في شعر وجيه الدولة بن حمدان من ذكر الغوطة بلفظ التثنية يُراد بهِ غوطة شرقية وغوطة غربية وهو قولهُ

سقى الله ارض الغوطتين واهلها فلي بجنوب الغوطتين شجونُ
فما ذكرتها النفس الاَّ استخفَّني الى برد ماء النيربين حنينُ
وقد كان شكِّي للفراق يروعني فكيف يكون اليوم وهو يقينُ

هذا مختلف اقوال قدماء الجغرافيين في تحديد الغوطة ولم اعثر على كلام للمحدثين في هذا الباب

جبالها

قال احد السياح احسن مناظر سورية ثلاثة جبال جبل الصبر في نابلس وجبل الكرمل في حيفاء وجبل الشيخ المعروف في الكتب القديمة بجبل حرمون ولو انصف لعدَّ ايضاً جبل قاسيون المطل على دمشق وغوطتها الغناء . ولقد كان لهُ في القديم شأن ما برح يتردد ذكرهُ على المدى وفيهِ من القصور والصروح وفي سفحهِ من المتنزهات والجنان ما يكل عن وصفهِ اللسان . وللعامة قصص على مشاهد الجبل لا تزال دائرة على الافواه وما هي في الحقيقة الاَّ من قبيل الامور الروحانية واكثرها ان لم اقل كلها لا يثبت تاريخيًّا

ويتسلسل من جبل قاسيون جبل كان يُدعى جبل سنير واليوم يقال لهُ جبل قلمون او الحلو . ويؤخذ من عبارة ابي الفداء ان جبل الثلج وجبل لبنان وجبل اللكام سلسلة متصلة بعضها ببعض حتى صارت جبلاً ممتدًّا من الجنوب الى الشمال فالطرف الجنوبي لهذا الجبل بالقرب من صفد قال في رسم الارض طرف جبل الثلج يمتد الى الشمال ويتجاوز دمشق ويسمى اذا صار في شماليها جبل سنير وجانبهُ المطلُّ على دمشق قاسيون ويتجاوز دمشق ويمر غربي بعلبك ويسمى الجبل المقابل لبعلبك جبل لبنان واذا تجاوز بعلبك وصار شرقي طرابلس الشام يسمي جبل عكار ثم يمر شمالاً ويتجاوز سمت طرابلس الى حصن الاكراد ويسامت حمص من

غربيها على مسيرة يوم ويمتد و يتجاوز سمت حماة ثم سمت شيزر ثم سمت افامية ويسمى حين ما يكون قبالة هذه البلاد جبل اللكام قال البحتري

وتعمدتُ ان تظلَّ ركابي بين لُبنانَ طُلَّعًا والسنيرِ

مشرفات على دمشق وقد اعـــرض منها بياض تلك القصورِ

وعلى ثلاث ساعات من جنوبي دمشق سلسلة جبال تتصل بجبال الشيخ وعجلون وحوران تدعى غالبًا باسماء قراها القريبة منها كأن يقولوا جبل الكسوة وجبل الحرجلة وغيرهما وسيأتي الكلام على متنزهات دمشق في الجزء التالي محمد كرد علي

اغنياء اميركا

(١١) اندرو كارنجي

وهو اشهر اغنياء اميركا بلا استثناء لما اتاهُ ويأتيهِ من الاعمال الخيرية وقد آلى على نفسهِ ان ينفع العالم بمالهِ قبل وفاتهِ عوضاً عن ان يتركهُ لابنتهِ وهي وحيدة . ولا حاجة بنا الى ذكر تاريخ حياتهِ فقد ذكرهُ المقتطف في عدد سابق ويكاد القارئ لا يفتح جريدة يومية او شهرية الأ يرى لهُ ذكرًا فيها خصوصاً بعد ما وهب مليوني جنيه لمدارس اسكوتلاندا مسقط رأسهِ . وقد قال مرة ان من يموت غنيًا يموت حقيرًا وبذلك اوضح المسئولية الادبية العظيمة التي على اصحاب الثروة . ويعلم جمهور القراء ان كارنجي ولد فقيرًا وكان في بدء امره ساعياً في بيت التلغراف ثم تعلم العمل بهِ وما زال يجدُّ ويرتقي من عمل الى آخر حتى صار ملك الصلب (الفولاذ) في اميركا . يُرْوَى عنهُ انهُ قليل الكلام كثير الافتكار حتى قالت عنهُ احدى السيدات لو اوقفتهُ تحت القبة الزرقاء والسماء صافية الاديم وسألتهُ عن لونها لافتكر هنيهة قبل ان يبدي جوابًا

ولكارنجي ولع شديد بثلاثة اشياء كان يعلّل النفس بها وهو فقير وعقد النية على اتمامها عند ما يصير غنيًا . اولها انشاء المكاتب العمومية وذلك لانهُ اعتاد وهو فقير ان يستعير كتبًا من احد المحسنين وكان قد وقف مكتبتهُ للعمّال فكان يُسَرّ بقراءتها وينتظر يوم السبت بفروغ صبر حتى يستبدل كتابًا قرأهُ بآخر . وبلغ عدد المكاتب التي انشأها نحوًا من تسعين مكتبة في مدن متفرقة في سكوتلاندا واميركا وبلغ ما انفقهُ على بعضها نحو مئتي الف جنيه عدا

المكاتب التي اهداها الى مدينة نيويورك وقيمتها فوق المليون جنيه

والشيء الثاني الذي أُولِعَ بهِ الموسيقى والثالث محبة الطبيعة وقد طالما حنَّ الى حقول اسكوتلاندا الجميلة وهو يوقد النار في معامل الحديد في اميركا تسع ساعات في اليوم

ويكره ان يُدْعى محسناً ويعتقد ان هذا اللقب لا يُطلق الاَّ على الغنيّ الذي ينفق المال جزافاً اما هو فلا يساعد الاَّ العامل المجتهد وقد قال مرة لا فائدة من مساعدة انسان على الصعود على السلم ان لم يساعد هو نفسهُ فانهُ ان تركتَهُ وقع لا محالة وكانت اخراهُ شرًّا من أُولاهُ . ومن رأيهِ ان مساعدة الناس ينبغي ان تكون بترقية عقولهم لا بالاحسان اليهم وينصح للشبان ان يغتنموا الفرص ولا يضيعوها وانهُ لا بدَّ للمرء ان تَسنَحَ الفرص في حياتهِ ولو مرة واحدة فاذا اضاعها قضى على نفسهِ

اما الاموال التي وهبها لعمل الخير ففاقت ما وهبهُ سواهُ الى الآن ولا يزال يهب نحو مليوني جنيه ونصف مليون سنويًّا ويقال انهُ سيعطي خمسة ملايين جنيه لبناء مدرسة صناعية في مدينة بتسبرج وهذا اكبر مبلغ دفعهُ مرة واحدة . واذا جمعنا ما دفعهُ لانشاء المكاتب مما ينيف على المليوني جنيه وما انفقهُ في تأسيس المدارس بلغ نحو احد عشر مليونًا من الجنيهات

وبعد ان مرَّ على زواجهِ عشر سنوات رزقهُ الله ابنة فاخذ الناس يتحدثون بغناها . اما هو فضحك عند ما سأَلهُ اصحابهُ عن ذلك وقال ان المال انما يجلب السعادة بتمكينهِ ايَّانا من جعل الآخرين سعداء وهذه هي السعادة الحقيقية . وبنى حديثًا قصرًا لابنتهِ لكنهُ صرَّح بعزمهِ ان لا يتركها تعيسة تحت وقر الغنى الثقيل

وبين ارباب الثروة كثيرٌ من النساء اللواتي منهنَّ مَن جمعت الثروة بجدها واجتهادها ومنهنَّ من ورثتهُ عن ابيها او كان زوجها حيًّا لكنها استأثرت بالاسم لما اشتهرت بهِ من البذخ والذكاء وحب الشهرة . والنساء في الولايات المتحدة الاميركية يضارعن الرجال في كثير من صفاتهم العقلية والادبية فبينهنَّ الطبيبات والمحاميات والكاتبات وخدَمة الدين حتى ان بعض الولايات اعطتهنَّ حقوق الانتخاب وهي حقوق لم ينلنها في غيرها من البلاد

١٢ مسز كنج

ومن ربَّات الثروة مسز هنريتا كنج واسمها ملكة المواشي . تُوفّي زوجها سنة ١٨٨٥ بعد ان اسَّس محلاًّ في ولاية تكساس لتربية المواشي ولم يترك لزوجتهِ ما يستحق ان يسمَّى ثروةً لكنها اشترت اراضي جديدة وزادت عدد المواشي ومهلت مبيعها . وتقدر مساحة اراضيها بنحو

... ٧٠٠ هكتار او ما ينيف على مليون وخمسمائة الف فدان او نحو ثلاثة عشر مثل مساحة باريس مع ضواحيها والحقيقة انها اكبر من ذلك ولكنها لم تمسح بعد . ومالكة هذه الاراضي مطلقة التصرف فيها وارادتها هي القانون الذي يسير عليهِ مستخدموها وهم يطيعونها كما لو كانت حكومة منظمة . ويصح ان يقال ان حياة مستخدميها تتوقف على مشيئتها لانها لو اخرجت احدهم من خدمتها لقضى جوعاً ولم يجسر احد على استخدامهِ لخوف الناس منها

ومسز كنج الآن في الثانية والخمسين من عمرها ولها في املاكها منزلان فخيمان ولكنها تسكن غالباً قصرها المنيف في مدينة كوريس كريستي. وتظهر ثروتها وقت سياحتها في املاكها لكي تتعهدها وذلك مرتين في السنة . احداهما في الربيع لترى حال المواشي والثانية في الخريف لترى ما اعدهُ رجالها لراحة المواشي في الشتاء . ويرافقها في سياحتها هذه كثير من المدعوين الذين يملأون المئات من المركبات ويحرسهم كثير من الخفر والرعاة والخدم والحشم وخلافهم. ويبلغ عدد مواشيها ثمانماية الف رأس من البقر ومئة وستين الف راس من الغنم وعشرة آلاف حصان . ويباع من هذه الحيوانات كل سنة نحو ثلاثماية الف رأس بثمن يختلف من ثلاثة ملايين جنيه الى اربعة ملايين

واملاك مسز كنج مقسومة الى اثنتي عشرة مقاطعة لكلٍّ منها حاكم وللجميع مفتش عام . والحكام مطلقو الحرية في مقاطعاتهم فهم يستخدمون العمَّال ويعزلونهم (وهذا نادر) ويدفعون الأجر ويديرون الاعمال . وبيت الحاكم في وسط القرية تحيط بهِ بيوت العمال وكلها فسيحة وحولها بيوت الرعاة واسطبلات الخيول . وفي كل قرية مدرسة وكنيسة والعمال لا يدفعون من اجورهم سوى ثمن ثيابهم اما ثمن الاكل والدواء واجرة الطبيب فكل هذه تعطى لهم مجاناً ولذلك تراهم في سعة عيش ورخاء فليس بينهم فقير ولا جانٍ

١٣ مسز امري

مسز سوسنا امري ملكة الذهب وهي بديعة الجمال لا تتجاوز السابعة والعشرين . تُوفي زوجها منذ سبع سنوات تاركاً لها بعض معادن لم يظن احد حينئذٍ ان لها قيمة تذكر . غير انها لم تلبث ان اجرت جميع الامتحانات اللازمة حتى تبين لها ان الفضة في احدها كافية لتشغيلهِ وقد كان كذلك فربحت منهُ اول سنة نحو خمسة عشر الف جنيه ثم زاد دخلهُ بعد ذلك وهو الآن على ازدياد متواصل . واشترت حديثاً معدناً آخر في مقاطعة غنية بالمعادن فربحت منهُ في السنة الاولى مئتي الف جنيه وقد عرضت عليها احدى الشركات ابتياعهُ بمليوني جنيه فلم ترضَ واجمع العارفون انهُ يساوي نحو ثمانية ملايين . ومسز امري بارعة الجمال كما تقدم وطلاب

الزواج يتقاطرون اليها من كل صقع وناد فقد طلبها سنة ١٨٩٨ مئة وثمانية وثلاثون طالبًا

١٤ مسز بوتر بالمر

وهي اشهر سيدات الاميركان عند الاوربيين عرفها الاوربيون والشرقيون ايام معرض شيكاغو اذ كانت رئيسة قسم النساء فيهِ وزارت اوربا ومصر وتعرفت بالأُسر المالكة في انكلترا وبلجيكا وايطاليا ثم ارسلها الرئيس مكنلي في العام الماضي الى باريس لتنوب عن نساء الولايات المتحدة الاميركية في المعرض وجاءت سنة ١٨٩٦ لقضاء الصيف في نيوبورت وهي في ضواحي نيويورك يقصدها " الاربعمائة " في ذلك الفصل واستأجرت منزلاً صغيرًا ومعها ابنة اختها حفيدة الجنرال غرانت الشهير. وكان معها توصيات لاغنياء نيويورك فاضطروا الى دعوتها في اجتماعاتهم العامَّة ولكنهم لم يجاملوها ثم عادت سنة ١٨٩٧ الى نفس المنزل فابتدأ النيويوركيون يتساءلون فيما بينهم من عسى ان تكون وارتأى بعضهم ان زوجها يدير فندقًا في شيكاغو. وفي السنة التالية استأجرت قصر همَّاير لقضاء الصيف باربعة آلاف جنيه وفي تلك الاثناء قدم ولي عهد بلجيكا ونزل عليها ضيفًا كريمًا فقامت نيو بورت وقعدت لذلك وتسابقت السيدات في التزلُّف اليها خصوصًا ان الامير البلجيكي فتن بجمال ابنة اختها وشاع انهُ سيتزوجها فتلبس يومًا تاجًا ملكيًّا

وبعد سفر البرنس البرت البلجيكي جاء الكونت ده تورين ونزل ضيفًا على مسز جون سبنسر ولكنهُ زار مسز بوتر بالمر وهي صديقة امرأة عمهِ ملكة ايطاليا فاولمت لهُ وليمة لم ترَ نيوبورت اعظم منها ودعت اليها النيويوركيين ومن ذلك الوقت صارت المجلية في ذلك الميدان ولحقها زوجها الى نيوبورت وهو ابعد الناس عن الاسراف واقربهم الى الدعة

ومدام بالمر فرنسوية الاصل لا تزال طلعتها تنبئ بما كانت عليهِ في صباها من الجمال وهي ذات بشاشة وحذق وتفنن في اساليب الحديث ولها هيبة ووقار حتى يتصور جليسها انهُ يخاطب ملكة عظيمة الشان تزوجت سنة ١٨٧١ بالمستر بوتر بالمر وكان ذا املاك كثيرة في شيكاغو يبلغ دخلها نحو اربعين الف جنيه. فلما احترقت المدينة احترقت بيوتهُ كلها فساعدتهُ امرأتهُ حتى جددها وتقدر ثروتهُ الآن بنحو اربعة وعشرين مليون جنيه. ولهُ قصر فخيم في شيكاغو ويبني الآن قصرًا في نيويورك لان امرأتهُ تودُّ الانتظام في سلك " الاربعمائة "

١٥ بنات الصيني اه فونج

قدم هذا الصيني الى جزيرة هنولولو كفاعل بسيط منذ سنين عديدة وتوصل الى التقرُّب من ملكها فمنحهُ احتكار تجارة الافيون فجمع منها ثروة وافرة وبنى قصرًا يفوق اكثر قصور

الملوك . ولا نعرف ثروة هذا الرجل تمام المعرفة ولكن يمكن ان نشير اليها بوجه التقريب فلهُ ثلاث عشرة ابنة وولدان وقد اعطي كلاً من اولادهِ وقت الزواج عدة ملايين من الريالات وكيفية دخول بناتهِ بين اغنياء الاميركان ان الكبرى منهنَّ تزوجت بطبيب اسنان انكليزي وتزوجت اختها الثانية باحد ضباط البحرية الاميركية العظام ومن اشرف عائلات الشارع الخامس في نيويورك وتزوج بعضهنَّ ببعض اغنياء نيويورك المعدودين والباقيات في حراسة احدى سيدات الشارع الخامس الشهيرات فلا يلبثنَّ ان يلاقينَ ازواجاً اغنياء

اما اه فونج فعاد الى الصين ولم يعد يمكنهُ الخروج منها الاَّ بدفع غرامة عظيمة . وكانت امرأتهُ الاولى الصينية لا تزال حية فعاد اليها و بقيت امرأتهُ الثانية في قصرها في هنولولو وقد آلت على نفسها ان لا تخرج منهُ ابدًا

وقد تزوج كثيرٌ من بنات الاميركان ذوات الثروة الطائلة باشراف الاوربيين طمعاً بالقابهم ولو كان بعضهم فقراء وبلغ ما اعطينهُ لأزواجهنَّ الاوربيين نحو اربعين مليون جنيه نال الازواج الفرنساويين منها نحو النصف. ومن اولئك المثريات ابنة ڤندربلت تزوجت بدوق مارلبرو من اشرف عائلات انكلترا المرتبطة برباط النسب مع العائلة المالكة وبلغ مهرها مليونَي جنيه وابنة جولد تزوجت بالكونت بوني كستلان وهو من اعرق عائلات فرنسا نسباً ولكنهُ فقير الحال . قيل انهما ذهبا مرة الى حفلة عامَّة وفيما هي سائرة عثرت رجلها واوشكت ان تسقط فنظر اليها مغضباً وقال لا يليق بالكونتسة كاستلان ان تقع فاجابتهُ لولا دراهم ابنة جولد لم يكن كونت من عائلة كستلان . وكان مهرها نحو ثلاثة ملايين جنيه لكنَّ اباها وضع المال تحت تصرُّف اخيها الاكبر فهو يدفع لكل من اخوتهِ واخواتهِ نصيبهُ من الدخل وعيَّن لها مئة وعشرين الف جنيه سنويًّا اي اربعًا في المائة من نصيبها ورأى حديثًا انها منذ زواجها سنة ١٨٩٥ انفقت دخلها كلهُ ونحو ٨٠٠ الف جنيه فوقهُ فاستصدر حكماً من محكمة باريس بتعيينهِ قيِّما عليها ريثما يتم تصفية ديونها

واغنياء اميركا في قلق دائم من جهة اموالهم فهم يخافون ان يبددها اولادهم من بعدهم ولذا يتخذون الاحتياطات اللازمة لحفظها . والطريقة التي جرى عليها اكثرهم في ذلك هي ان يوصي الواحد منهم بمالهِ لاولادهِ و يشترط الاَّ يقبض كلٌ منهم الاَّ نصف نصيبهِ يتصرف فيهِ كما يشاء و يبقى النصف الآخر في الشركة التجارية التي كان يديرها ابوهُ ليقبض ريعهُ اما راس المال فلا ياخذهُ الاَّ اولادهُ بعد موتهِ وهكذا تزيد اموالهم وتتضاعف وهم مطمئنون آمنون . وليس ذلك فقط بل انهم يحتالون على الحكومة بطرق شتى ولا يدفعون من الضرائب

الاَّ ما هو دون الطفيف . ولم يقتصر هذا التساهل على الافراد بل تناول الشركات كشركات السكك الحديدية في اسواق نيويورك فانها لا تدفع شيئاً مع ان صافي ارباحها يبلغ نحو ٩ في المائة

قلنا قبلاً ان سبب ثروة اكثر الاميركيين الذين ذكرناهم توحيد الشركات وهو ما يسمونهُ Trust وكيفية ذلك ان بعض الشركات او الافراد الذين يتاجرون في صنف ما يتفقون على توحيد شركاتهم او ضمّها كلها وجعلها شركة واحدة حتى تقل نفقاتهم ويسهل عليهم تخفيض الاسعار ما امكن فتفلس الشركات المعارضة لهم فيشترون معاملها بارخص الاثمان وبذلك يأمنون مزاحمتها في المستقبل ثم يرفعون الاسعار ويتحكمون بها كما يشاؤُون فتزد الاموال الى خزائنهم بالملايين . وتأليف مثل هذه الشركات مخالف للقانون وقد صدرت احكام عديدة بحلها غير ان اصحابها استولوا على زمام السلطة التنفيذية فبقيت تلك الاحكام حبرًا على ورق . ثم انهم يُغيرون اسماء الشركات وهيئة تركيبها حتى تظهر بخلاف ما هي عليهِ ويبقى ضررها كما كان قبلاً بل قد يزيد . ولكي يأمنوا مزاحمة البضائع الخارجية الزموا الحكومة ان تضرب عليها رسوماً فادحة . والحكومة الحالية في يدهم يديرونها حسب اهوائهم وقد انفقوا الملايين من الجنيهات لانتخاب ااكثر لهذا الغرض

ولا تقتصر شركة على التجارة المختصة بها بل تعمل كل ما ينبغي لنجاح تلك التجارة مثال ذلك ان شركة الزيت تمتلك كثيرًا من السكك الحديدية والوابورات فتنقل زيتها بنفقة قليلة ولكنها تقتضي اجرة باهظة من بقية الشركات ولذا افلس اكثرها

هذه نزر من اخبار اولئك الاغنياء ولا بدَّ ان نراهم بعد قليل في المشرق اذا استمروا على خطة الهجوم التي اتخذوها حديثاً . وعسى ان نطرح جشعهم الشديد جانباً ونأخذ عنهم الثبات والاجتهاد وغيرها من الصفات اللازمة للنجاح نسيم برباري

رواية امينة

الفصل الحادي عشر

وصلت البلد الذي كنت قاصدةً اليهِ بعد سفر ايام برًّا وبحرًا وكان سفر البر اشدَّهما تعباً اضعت فيهِ رشدي وبقية جلَدي وكيف لا اضيعهما وقد مرَّ عليَّ اسبوعان وانا على ظهر بغل يصعّد بي ويصوّب . وصلت البلد ونزلت في الخان وذهب سليم آغا الى سراي الحكومة

ليقدم الجواز الذي معنا ولم اكد اصل حتى استلقيتُ على سرير صغير لا استطيع الحراك من شدة التعب وخطر ببالي انهُ لا بد لي من ان اغسل وجهي واغير ثيابي قبلما اقابل ابنة نصرالله باشا ولكنني كنت متعبة جدًّا لا استطيع الوقوف . وكثيرًا ما خطر ببالي وانا في اثناء الطريق ان اطرح نفسي عن البغل وابقى على الارض الى ان اقضي نحبي . وغاية ما كنت اهتم بهِ ان امنع نفسي عن هذا الجنون . ولما كنت مستلقية في الخان خطر ببالي ان هذا التعب لا بدَّ من ان يصرم حبل حياتي وقلت في نفسي لعلَّ ذلك خير لي . وبينما انا افكر في هذا فُتح الباب ووقف فيهِ سليم آغا وبيدهِ ساعة من الذهب وهو يقول لقد ذهبت واخبرت الباشا بوصولكِ فسرَّ بذلك وانعم عليَّ بهذه الساعة لاني اوصلتكِ سالمةً وهوذا مركبتهُ عند الباب لتأخذكِ الى قصرهِ وستأتي عربة وتنقل امتعتكِ فقومي وانزلي معي

فقمت ونزلت معهُ واذا بمركبة فاخرة وجوادين مطهمين فصعدت الى المركبة وصعد سليم اغا وجلس بجانب السائق فسارت بنا تنهب الارض نهبًا ولم يكن الاَّ دقائق قليلة حتى وصلت الى باب القصر ففتحت عينيَّ لانني كنت قد اغمضتهما في اثناء الطريق من شدَّة التعب واذا انا بساحة فسيحة وامامي ممشًى طويل فيهِ الخصيان وقوف على جانبيهِ . وتقدَّم واحد منهم وفتح باب المركبة وانزلني منها ثم التفت حولي واذا امامي جماعة من الارناؤوط وهم بالسلاح الكامل ينظرون اليَّ باسمين فاسرعت وراء الخصي الى الممشى وسرت فيهِ وراءهُ الى ان وصلنا الى باب كبير يفتح الى حديقة غنَّاء في وسطها قصر صغير . فقال لي الخصي هذا مسكن الباشا وهو يقيم هنا واما بقية العائلة فتسكن في قصر ثانٍ على الجانب الآخر من الساحة وهنا تسكن سنية هانم واما السلاملك فعلى الجانب الآخر

فنظرت الى القصر واذا هو في وسط حديقة وامامهُ رواق يغطيهِ اللبلاب والورد المعترش ولم اكد اتقدَّم حتى رأيت سيدة نهضت واقبلت اليَّ وهي طويلة القامة مهيبة المنظر لا يلمح الانسان عينيها السوداوين لمحة حتى يقول انها اخت ادهم بك . ولما دنت مني نادتني باسمي ورحبت بي . فاغرورقت عيناي بالدموع والظاهر انها رأت انفعالي فلم تقل كلمة أُخرى لئلاَّ يراني الجواري على تلك الحال بل ضمتني الى صدرها واخذت تقبلني وسارت بي الى دار كبيرة ومنها الى غرفة صغيرة فادخلتني ووقفت تنظر في وجهي فرأيت امامي طلعةً بهية ووجهًا اسمر جميلاً وفمًا عليهِ هيئة العظمة وجهًا كوجه ادهم بك تمامًا وكوجه الهانم امهما فانهما ورثا منها هذه الطلعة البهية ولكنهما لم يرثا كبرها وانفتها فالناظر اليها يخاف و يضطرب واما الناظر اليهما فيسرّ ويطمئن

ثم تبسَّمت وقالت ما اخف هذه القامة كأنهُ مضى عليكِ شهر صائمة لقد احسن ادهم بارسالك الى هنا. تعالي وانزعي فرجيتك واستحمي فان الماء سخن في الحمام ولكن اخبريني قبل ذلك كيف ابي الم تريهِ يوم سفركِ

وكان في صوتها ما يدلُّ على شوقها الى ابيها وحبها لهُ . واستغربتُ اولاً انها سألت عن ابيها ولم تسأل عن امها ولكن خطر ببالي حينئذٍ ان اولاد هانم افندي يخافونها اكثر مما يحبونها . فقلت لها بخير وسلامة وقد رأيتهُ قبل سفري بثلاثة ايام

فقالت وا ابتاه وا اماه وا اختاه ست عشر سنة لم ارَ احداً منهم . ثم نظرت اليَّ وقالت ولكن ليس من العدل ان اوقفك الآن واسألك مثل هذه المسائل وانتِ محتاجة الى الراحة . وصفقت بيديها ونادت جارية اسمها ميالي وقالت لها خذي امينة الى الحمَّام ثم قالت لي ولا بدَّ لكِ بعد ذلك من ان تنامي قليلاً لان عليك علامات التعب الشديد

فشكرت فضلها وتبعت الجارية وقبل ان اصل الى الباب دار رأسي فمددت يديَّ لاستند على شيء وسقطت الى الوراء وأُغمي عليَّ

الفصل الثاني عشر

ذهب الصيف وجاء الخريف وعصفت الرياح عصفاً شديداً في السهول التي حول هذه المدينة واخذت الغيوم تتراكم فوق الجبال ودنت الشمس من المغيب كأنها في اتون من نار والدلائل كلها تدلُّ على ان زوبعة على الابواب ولا بدَّ من عصفها ذلك الليل وكنت واقفة في الرواق ارى الاوراق تتناثر والاشجار تتمايل من شدة الريح حتى تكاد اغصانها تلثم الثرى واخذت العصافير تتسابق الى سنديانة كبيرة امامي وكان الى جانبها سروة طويلة وهي تنحني وترتدُّ مراراً في الدقيقة ولما وقع نظري عليها ذكرتني باسطانبول وجامع ايوب سلطان وكأني رأيتُ نافذ بك واقفاً امامي مغضباً ينتهرني لاني كلمت داود . ثم وقعت على رأسي ورقة ورد فردَّت افكاري من عالم الخيال وقلت في نفسي عصفت الرياح او هجعت وهطلت الامطار او انحبست سيَّان عندي ما دامت حياتي كلها قفراً اجرد لا مسرَّة فيهِ ولا بهجة

مضى عليَّ هنا شهران وهذا اول يوم سُمح لي فيهِ ان اخرج من غرفتي وقد مرَّت عليَّ ايام كثيرة بعد ما أُغمي عليَّ وانا اغالب الموت واود ان يغلبني ولكن لكل اجل كتاب . ولم ارَ من اهل هذا البيت غير الحنو والدعة وقد سهرتْ عليَّ سنية هانم كأني ابنتها ولما رأيت حبها وحنوها وصبرها شعرت بحب لها يفوق الوصف ورأيت بين جانبَي ذلك الجسم المهيب الطلعة قلباً شفوقاً مفعماً بالحب رغماً عما كنت آراهُ في وجهها من امارات الغم والكآبة

وبينما انا افكر في ذلك سمعتُ صوتها الحنون يناديني قائلاً ادخلي يا بنتي فقد برد الهواء ولم تمتلكي صحتكِ حتى الآن فدرت ودخلت وراءها الى غرفة فيها منقل كبير يدفئها فجلست على سجادة قريبة منهُ وجلست هي على الديوان امامي وقالت لي انكِ لم ترَي زوجي حتى الآن ولا الاولاد . ثم ضحكت قائلة اني لا ارى كيف يرسلونكِ لتعتني بالاولاد وانتِ احوج منهم الى من يعتني بكِ فتبسمتُ قليلاً لانني لم اكن اعلم كم اخبرها ادهم بك من قصتي ولا كم افشيتُ من سري وانا مريضة وفي حال البحران اما هي فقالت اوَّاهُ على ادهم اظن انهُ تغيَّر كثيراً ونافذ ذلك الولد الطائش نعم كان ولداً لما فارقتهُ ومن اكثر الاولاد طيشاً واشدهم نزقاً وقد اتلفتهُ امي بتدليلها لهُ فكان يقع كل يوم في ورطة يتعذَّر علينا تخليصهُ منها قبلما يعلم ابي . يصعب عليَّ ان اراهُ رجلاً والظاهر انهُ لم يزل في اطوارهِ كما كان على ما كتب لي ادهم

ولما قالت ذلك علتني حمرة الخجل والتفتُّ اليها فرأيتها تنظر اليَّ باسمةً وعيناها تدلأَن على انها تقصد المزاح معي فزاد خجلي واضطرابي فقالت لي اتظنين ان ادهم يخفي عني شيئاً نعم اخبرني بكل شيء يا حبيبتي ولا افهم لماذا اقلقوا الدنيا ماذا يمنع نافذاً من الاقتران بكِ . ولكن ما دامت امي غير راضية فالامر ضرب من المحال اما انتِ فقد احسنتِ بعملكِ ولابدَّ من ان الامر كان صعباً عليكِ وهو صعب ايضاً على اخي المسكين

فقمت وجلست بجانبها والقيت رأسي على ركبتها وقلت لها ولكن هذا هو الاصلح لهُ فان الذهاب الى اليمن ليس بالامر السهل

فقالت نعم الحق في يدكِ ولا احب ان اسمع ان نافذاً غاظ ابي ولا اعرف اخلاقهُ الآن حتى احكم عليهِ او لهُ ولكن اذا كان صادقاً في حبهِ لكِ فهو يستحق منكِ احسن من هذهِ المعاملة ولكن ادهم اشار عليكِ ان تفعلي ذلك وادهم رجل حكيم متأَنٍّ وهو يعرف الاحوال اكثر مني ومنكِ . اسمعي اظن ان واحداً آتٍ الى هنا هذا صوت ابنة حميَّ اظنها آتية بالاولاد من البيت الكبير

فالتفتُّ وانا اقول في نفسي كم ابنة حمٍ لها وهل هذه هي الابنة التي يراد اعطاؤُها لنافذ بك ونظرت اليها مليًّا وهي تسلم على سنية هانم فرأَيتها فتاة طويلة القامة بدينة الجسم جميلة الوجه شعرها اشقر طويل غزير وعيناها كبيرتان لوزيتان وفمها صغير ولكن شفتها العليا بارزة قليلاً وحركاتها وسكناتها تدل على تمام اللباقة والدلال فهي جميلة فتَّانة . ولما كنت انظر اليها واعجب من جمال طلعتها نظرتْ اليَّ وقالت أَهذه هي البنت التي اتت من اسطانبول

فنظرت اليَّ سنية هانم باسمةً وقالت نعم هذه امينة وقد كانت مريضة كل هذه المدة

فحنت ابنة حميها رأسها قليلاً وجلست على الديوان بجانبها ولم تعُد تلتفت اليَّ بل قالت لسنية هانم اسكتي فقد هلكنا من التعب والنزاع واتيت بالاولاد الى هنا لاخرج من البيت بجبتهم . وكان في صوتها خنّة قليلة كانها تتكلم من انفها

فقالت سنية هانم واين هم الآن لاني احب ان تريهم يا امينة . قالت ذلك ملتفتةً اليَّ

ودخل رجل حينئذٍ فنهضتْ لهُ سنية هانم وابنة حميها ونهضت انا ايضاً وقلت في نفسي هذا عزّت باشا فجلس والتفت اليَّ وقال بتودد أهذه امينة . الحمد لله على السلامة يا بنتي لقد شغلت بالنا ولا تزالين نحيفة فتقدّمت وقبّلت يدهُ فلم يقل شيئاً بل تناول جريدة كانت هناك واخذ يقرأُ فيها ودخل حينئذٍ ثلاثة اولاد صبيَّان وابنة عمر الكبير سبع سنوات والصغير ثلاث فتقدموا الى ابيهم اولاً وباسوا يدهُ ثم مضوا الى امهم واتكأُوا عليها فالتفتت اليَّ وقالت هؤلاء هم الاولاد هذا ادهم وهذا يوسف وهذه ظبي . فتقدمتُ منهم وركعت بجانبهم وجعلت اتودد اليهم والظاهر انهم كانوا خائفين من ابيهم فلم يكلموني وقد استغربت ذلك لانهُ لم يظهر على عزّت باشا انهُ كان صارماً ولكن اختهُ واولادهُ كانوا يخافونهُ ولم يكن احد يجسر على الكلام معهُ الاَّ امرأَتهُ فنظر الى اختهِ وقال لها اجلسي يا عطية كيف امكِ فانها كانت منحرفة الصحَّة امس

فقالت لهُ هي احسن الآن وجلست ثم قالت أَلم تدخل الحريم اليوم وكأَنها كانت تفتش عن موضوع تحدثهُ بهِ فلم تجد غير هذا

فقال لا لاني كنت مشغولاً . وانتظر دقيقة ليرى هل يريد احد ان يكلمهُ ثم عاد الى القراءة في الجريدة

فقالت عطية هانم بصوت منخفض سكنت الريح الآن والاحسن لي ان اذهب

فقالت لها سنية اخاف ان تمطر السماء فابقي عندنا الليلة

فالتفت عزّت باشا وقال ماذا تقولين . فقالت اني اطلب من عطية ان تبقى عندنا الليلة فان السماء متهيئة للمطر

فقال لا خوف من المطر ولكن اذا ارادت ان تبقي فلتبقَ. اتريدين ان تبقي هنا يا عطية

فقالت كيف لا اريد ومَن لا يريد ان يبقى عندكم

فهزَّ كتفيهِ ولم يجبها بشيءٍ بل عاد الى قراءة الجريدة

وقالت لي سنية هانم كيف انتِ والاولاد اتحبين الاولاد . فقلت نعم احب الاولاد كثيراً وقد كنت متعلقة باولاد ادهم بك واولاد علي بك وكانوا متعلقين بي

فقال عزت باشا ومن هو علي بك هذا

فقلت هو زوج وحيدة هانم

فقال اظنهُ من الشراكسة

ولما اجبتهُ بالايجاب طرح الجريدة من يدهِ وقال تعالي الى هنا واخبريني عن نصرالله باشا واهل بيتهِ هل ادهم في الحكومة الآن

فدنوت منهُ واجبتهُ عن مسائل كثيرة فانهُ سألني عن كل واحد وجلست سنية هانم على كرسي امامنا تعترض بمسألة هنا وهناك وكانت العاصفة قد اشتدَّت وكادت تقتلع الاشجار فيطلَّع من الشباك قليلاً ثم التفت الى زوجتهِ وقال ما الحيلة حتى نعود الى اسطانبول نعم ان مركز الوالي غير قليل ولكن لا شيءٌ مثل اسطانبول ألا تودين الرجوع اليها يا هانم

فتبسمت زوجتهُ وبشَّ وجهها وظهر كأن ما يبدو عليهِ من الكآبة لم يكن سببهُ زوجها بل كان لهُ سبب آخر وقالت نعم اني اود مراراً ان اعود اليها ولكني لا احب ان اعود وحدي فان كنت تعود معي فذلك غاية ما اتمنَّاهُ

فسرَّ بكلامهما وبرقت اسرَّتهُ وقال نعم ما احلى ذلك ولم يخطر ببالي ان تطول غيبتنا بهذا المقدار لما ودَّعناهم — لما ودعنا نصرالله باشا وادهما في القارب وودعنا نافذاً ايضاً . والتفت اليَّ وقال ماذا يعمل نافذ الآن . وقبل ان اجيبهُ قالت سنية هانم هوذا ابرهيم ما اتى بهِ في هذه العاصفة . وفُتح الباب ودخل منهُ فتًى مبتلّ الثياب من المطر ووقف امام عزَّت باشا . فقال لهُ مالك فقال بصوت منخفض لا شيءٌ ولكن اتى رجل معهُ مكاتيب فظننت انها ضرورية واتيتكم بها . فقال عزت باشا لماذا لم ترسلها مع خادم . ودار الولد ليعود من حيث اتى فاشارت اليهِ سنية هانم ليبقى وقالت لهُ كيف تمضي وانت مبتل ابقَ هنا وتعشَّ معنا واذا لم تصحُ السماء تنام هنا

فقال عزَّت باشا وما ضرَّهُ لو تبلَّل اذا اراد ان يتعشَّى هنا فليتعشَّ ولكن الذهاب الى البيت خير لهُ والمطر لا يضرُّهُ

فوقف الفتى وسلَّم بيدهِ علامة الطاعة ونظرتُ اليهِ وقد حركتني الشفقة عليهِ وكان في وجههِ آثار الجدري عيناهُ صغيرتان واذناهُ كبيرتان وشفتاهُ غليظتان ولكنهُ لم يكن قبيح المنظر وكأنَّ سنيَّة هانم اشفقت عليهِ فأومأت اليهِ ان يتبعها فتبعها وسألهُ عزت باشا قائلاً كيف ابي ولما لم يسمع مجيباً التفت وقال اين ابرهيم فقالت عطية هانم خرج فهل ادعوهُ فقال لا . ثم قال لها هل رأيتِ أبي اليوم

فقالت نعم وحالتهُ اردأ كثيرًا . فتنهَّد ولم يقل شيئًا

وكان الجواري قد اخبرنني ان حافظ باشا اباعزت باشا مصاب بالفالج وبدخَل في عقلهِ وان الاشغال كلها أُحيلت على عزت باشا . وان لحافظ باشا ستة عشر ولدًا وتسع نساء ولكن امرأتهُ الاولى ام عزت باشا ماتت ولم يعطِ السيادة لواحدة من نسائهِ بعدها فاصبح بيتهُ فوضى لا آمر فيهِ ولا ناهي او كل واحد يأمر وينهى كما يشاء هذا اذا غاب عزت باشا واما في حضورهِ فالكل يخشون بأسهُ

وعادت سنية هانم حينئذٍ ومعها الفتى ابراهيم وقد مسح ثيابهُ من المطر . ودُعينا حينئذٍ الى العشاء فقال عزت باشا لزوجتهِ ان امينة تجلس معنا على المائدة . فقالت نعم بلا شك واردت ان اعتذر فامسكتني بيدها وقبَّلتني وقالت لي انتِ واحدة منا ولا تحسبي ان ليس فينا احد حسن الذوق غير زوجي

الفصل الثالث عشر

مضى الشتاء واقبل الربيع واكتست الاشجار باوراقها وتفتحت ثغور الازهار وقلَّ عصف الرياح بعد ان توالى كل فصل الشتاء

مضى عليَّ الآن عشرة شهور منذ اتيت الى هذا المكان وقد عرفت كل اهل البيت رجالاً ونساء وسمعتهم يتخاصمون ويغتاب بعضهم بعضاً . ورأيتهم يتملَّقون سنية هانم من كبيرهم الى صغيرهم ولم استغرب حينما سمعت انهم كلهم يكرهونها لانها الشخص الوحيد المسموع الكلمة عند عزَّت باشا . وقد عذرت عزَّت باشا على ما يُرى منهُ من القسوة بعد ما رأيت من اخوتهِ ونساء ابيهِ من فساد الاخلاق وقلة العقل ورأيت ان رجلاً مثلهُ لا يطيق السكنى في ذلك البيت ولم اعد استغرب ما كنت اراهُ على وجه سنية هانم من دلائل الغم لان الفرق شاسع بين هذا البيت وبيت ابيها من كل وجه

وكنت يوماً جالسة مع سنية هانم وعطية هانم تحت السنديانة اخيط بطانة سلة لكلب صغير أُتيت بهِ ظبي فاتى سعيد بك وحسين بك اخوا عزَّت باشا فانحنيت فوق شغلي ولم التفت اليهما لان احدهما حسين بك كان على جانب عظيم من الوقاحة وقلَّة الادب وكان يُظهر لي التودُّد كلما رآني اما انا فكان قلبي ينفر منهُ . فجلسا معنا ولو لم تكن سنية هانم هناك لقمت وانصرفت لانني كنت اخاف منهُ ولكنني اعلم انهُ لا يجسر ان يكلمني في حضرتها . وكان اخوهُ علي بك اودع منهُ واكثر تأدُّبًا وهو شاب عمرهُ نحو عشرين سنة ولا ادري ممَّن تعلَّم التأدب فقال لامرأة اخيهِ ان عزَّت باشا ارسلني اليكِ بهذا المكتوب وقال انهُ اتتهُ اخبار من

اسطانبول وانهُ سيأتي الى هنا حالما تسمح لهُ اشغالهُ

فاخذتْ المكتوب وفضَّتهُ ورمتْ ظرفهُ فنظرتُ واذا عليهِ خط نافذ بك . والمكتوب طويل وامتُقع وجهها وهي تقرأُهُ ولما اتمَّت قراءتهُ قامت لتدخل البيت واشارت اليَّ لاتبعها فقمتُ وتبعتها وانا اخشى ان يكون فيهِ اخبار سوء من بيت ابيها ولما وصلنا الى غرفة الاستقبال قالت لي الاخبار من البيت لا تسرك هذا المكتوب من نافذ وقد كتب طالباً خطبة عطية

فوقفتُ صامتة مبهوتةً كأنَّ صاعقة انقضَّت عليَّ وقد قدَّرتُ لامتقاع وجهها الف تقدير ولكن لم يخطر ببالي هذا الخاطر ولا كنتُ احسب ان كاس مصائبي يضاف اليها زواجهُ بامرأة أُخرى

اما هي فقالت ان مكتوبهُ حسن جدًّا والظاهر انهُ مُكرَه على الزواج اسمعي ما يقول " ان ابي وامي يحسبان ان لا نجاة لي الاَّ بالزواج حالاً وانا لا ابالي بما يصيبني لو خالفتهما ولكنني اودُّ ان اجد امرأة فاضلة اقدر ان احبها واعيش معها بالراحة والسلامة وتستطيع ان تنزع هذا الطيش مني . وقد كتبتِ اليَّ مرةً عن عطية ولثقتي بانكِ تعرفينها جيدًا عزمت ان اعمل بقولكِ وقد كتب ابي الى عزت باشا الآن فاذا اجاب طلبهُ اكون عندكم بعد شهر من الزمان . ولا تنسي ان اجازتي لا تزيد على شهر او شهرين فاعدوا كل شيء لازم حتى لا اغيب طويلاً . انكِ لا تعرفينني ايتها العزيزة ولكنكِ تعرفين بقية اهل البيت وهذا كافٍ ليقنعكِ ان امرأة اخيكِ تجد ما يسرُّها فيهِ اما انا فمغتاظ جدًّا من هذه الاحوال ولكني ما كنت لاظهر غيظي في امرأتي "

وليس هذه الكتابة مما اعهدهُ فيهِ ولكن تأنيبهُ فيها حرَّك عواطفي لانني رأيت انهُ اكره نفسهُ على الزواج ليسلوني وكنت اعلم ان اللوم كلهُ عليَّ لا عليهِ ولكنني لم استطع ان اخفي كدري

وقالت سنية هانم بعد ذلك انهُ اخبرها بسفرهِ الى اوربا وان ادهم مضى الى الروملي بعائلتهِ ولا يُنتظر ان يعود الى اسطانبول قبل ثلاث سنوات . ثم قالت اني لا احب ان آخذ على نفسي هذه المسؤلية لانني لما كتبت الى ادهم عن عطية لم اكن اعرفها كما اعرفها الآن . ونافذ يفتش عن امرأة يستطيع ان يحبها ويحترمها وهذه لا شيء فيها يحَبُّ ولا شيء فيها يستحق الاحترام ومع ذلك لا اعرف عليها عيباً يشينها سوى انها مغرورة بنفسها ثم انهُ لم يعُد نصحهُ في الامكان لانهُ طلبها من ابيها رسمياً

فقلت لها كلاَّ . قلتُ ذلك على غير ارادتي . ثم قلت ولكنهُ اذا اتى الى هنا يراني حتماً فماذا افعل والى اين امضي

فقالت الامر هين وابي يعلم اني استطيع ان ادبرهُ فانكِ تمضين الى البيت الآخر وتبقين هناك وهو لا يستطيع ان يدخل بيت حافظ باشا قبلما يتزوج بابنتهِ . قالت ذلك ونظرت اليَّ بحنوّ والدي ووضعت يدها حول خصري والقت رأسي على كتفها وقالت الله يعلم اني كنتُ اود من صميم قلبي ان تكوني انتِ زوجتهُ . ولكن لا سبيل الى ذلك لاني كتبت الى ادهم بعد مجيئكِ الى هنا اسألهُ ان يبذل جهدهُ في اقناع ابي وامي فاجابني ان ذلك ضرب من المحال

فلم اقل شيئًا وشعرت كأني كدت أُعدَم التنفس واتفق حينئذٍ اننا سمعنا صوت عزَّت باشا آتيًا فسررت لانني استطعت ان اسرع الى غرفتي واغسل كآبتي بدموع عيني . ولم يكن عندي اقل شبهة في ان عزَّت باشا يقبل طلب نافذ بك لانهُ كان يعلم مقام نصرالله باشا وهو نفسهُ انتفع كثيرًا بمصاهرتهِ . وعطية من عائلة كريمة وهي تستحق مثل هذا الرجل . وقد حاولت ان اقنع نفسي بان ما جرى هو الاصلح وبانهُ لا حق لي ان اعتب على رجل رفضت الاقتران بهِ اذا اقترن بغيري ولكنني لم استطع ذلك بل اخذتني الغيرة حتى كادت تعمي بصري

ستأتي البقية

شعر العرب وتاريخهم

[المقتطف اطلعنا على رسالة انشأها حضرة الكاتب الذكي امين افندي ظاهر خيرالله وجمع فيها تاريخ عمران العرب من اشعارهم وقد قرأ لاجلها مئات من الدواوين وتصفح الوفًا من الصحف وسنطرف قراء المقتطف ببعض فصولها الى ان يتسنَّى لهُ نشرها في كتاب على حدة وقد اخترنا منها الآن الفصول التالية]

ملابس العرب

كان لباسهم قميصًا وثوبين قال عروة بن حزام

اغرَّكِ مني قميصٌ لبستهُ جديدًا وبردا يمنة زهيانِ

وقد ذكر الثوبين كثارٌ من الشعراء قال امرؤ القيس الكندي

وأقبلتُ زحفًا على الركبتينِ فثوبًا لبستُ وثوبًا اجرّ

وقال ذو الاصبع العدواني

قتلنا منهمُ كلَّ فتى ابيضَ حسَّانا
يُرى يرفلُ في بردَيْـ ـهِ من ابراد نجرانا

وكانوا في ايام الشتاء يتدثرون بالملابس الكثيرة وفي ايام القيظ يكتفون بخفيف الكسوة قال الربيع بن ضبع الفزاري

اذا كان الشتاء فادفئوني فان الشيخ يهدمهُ الشتاء
فامّا حين يذهب كلُّ قرّ فسربال خفيف او رداء

وكانوا لدى النوم ينضون ثيابهم الاَّ ثوبًا يسمونهُ الفضل وذلك واضح من قول امرىء القيس في معلقتهِ

فجئتُ وقد نضّت لنوم ثيابها لدى الستر الاَّ لبسة المتفضّلِ

واما ما كانوا يتخذون منهُ ملابسهم فالحرير قال المخل اليشكري

الكاعب الحسناء تر فل في الدمقس وفي الحريرِ

والخز قال عمر بن ربيعة القرشي

فقامت اليها حرَّتان عليهما كساءان من خز دمقسٍ واخضرِ

والسندس والديباج قال اميَّة بن ابي الصلت

عليهم سندس وجياد ريطٍ وديباج يُرى منهم قتومُ
وتجتهمُ نمارق من دمقسٍ ولا احدٌ يرى منهم سقيمُ

والاضريج قال النابغة الذبياني .

يحييهم البيض الولائد بينهم واكسية الاضريج فوق المشاجبِ

والبوصي قال الحطيئة

وهند اتى من دونها ذو غواربٍ يقمّص بالبوصيّ معرورف وردُ

وهذه الانواع كلها من الحرير وهذا دليل تفنُّن العرب في النوع الواحد منها . والكتَّان قال زهير بن ابي سلمى المزني

ليأتينَّك مني منطق قذع باقٍ كما دنَّس القبطية الودكُ

والقبطية ثياب من كتان تستجلب من مصر . وقال رؤبة بن العجاج

بل بلدٍ ملءُ الفجاج قتمُهْ لا يُشترى كتانُه وجهرمُهْ

والجهرم ثياب من كتان يؤتى بها من جهرم وهي بلد بفارس . وفي هذين الشاهدين دليل اتصال التجارة بين العرب والفرس والمصريين . وقد استعملوا الصوف بدليل قول المعاجم ان الخزّ خليط من صوف وحرير و بدليل اوضح وهو ان مَن عرف الحرير والكتان لا وجه للريب بانهُ عرف الصوف لانهُ اسهل عملاً وارخص ثمنًا واغزر وجودًا ولا سيما عند العرب الذين

ذهبوا في التفنن بالملابس كل مذهب حتى طرزوا ثيابهم بالذهب قال سلمى بن ربيعة

والبيض يرفلن كالدمى في الريطِ والمذهب المصونِ

وقد عرفوا المسوح (ثياب من شعر) قال مضرّس بن ربعي الاسدي

كأنّ لنا منهُ بيوتًا حصينة مسوحًا اعاليها وساجًا كسورُها

وكانت نساء العرب اذا خرجنَ من بيوتهنَّ لزيارة لبسنَ فوق الثياب ازارًا ذا اهداب ربما كان منقوشًا عليهِ رسوم قال امرؤُ القيس الكندي

كأن دُمى شغف على ظهر مرمرٍ كسا مزبد الساجوم وشيًا مصوّرًا

وقال ايضًا

خرجتُ بها امشي تجرُّ وراءنا على اثرينا ذيلَ مرطٍ مرحّلِ

والمرط الازار والمرحل الذي عليهِ صوَر الرحال . وقد كان المرط طويلاً حتى كان يمحو آثار اقدامهم فتأمل

واما الشيوخ فكانوا يتخذون الفراء كسوة في ايام القرّ قال النابغة الذبياني " جلوس الشيوخ في ثياب المرانبِ " والثوب المرنباني هو المتخذ من جلد الارنب

وكانت الحسان يعمدنَ الى اخلاء اعلى الصدر ليظهر بياض الجسد للعيون قال طرفة بن العبد البكري

ندامايَ بيض كالنجوم وقينةٌ تروح علينا بين بردٍ ومُجسَدِ

رحيب قطاب الجيبِ منها رفيقة بجس الندامى بضّة المتجرّدِ

وقطاب الجيب مجتمعهُ حيث قُطِب اي جُمع وهو مخرج الرأس من الثوب والرحيب الواسع وانما وصف قطاب الجيب بالسعة ليبدو صدرها فينظر اليهِ . وكنَّ ايضًا يفتقنَ فتيقًا في الكم الى الابط قال الاعشى ميمون " لجسّ الندامى في يد الدرع مفتقُ " . واما ذيل الثوب فقد جاء في ارسالهِ حتى الكعب قول النابغة الذبياني

اثيث نبتهُ جعد ثراهُ بهِ عوذ المطافل والمتالي

كأن نساءهنَّ مبطنات الى فوق الكعاب برود خالِ

وفي ارسالهِ حتى يمسَّ الثرى قول زياد بن حمل بن سعد من بني تميم

وبالتكاليف تأتي بيت جارتها تمشي الهوينى ولا يبدو لها قدَمُ

وربما كانت النساء يلبسنَ ثيابهنَّ سابغة الذيول كما قال التميمي والبنات يلبسنَ ثيابهن قصيرات الذيول كما ذكر الذبياني ونستخلص من ذلك ان العادة المتبعة عندنا الآن في لباس

النساء والبنات واردة الينا عن العرب الاقدمين والله اعلم

واما لباس الرجال فكان مميزًا بكشف الذراع قال محرز بن المكعبر الضبي في مدح قوم

لهم اذرعٌ بادٍ نواشر لحمها وبعض الرجال في الحروب غثاء

وقال دريد بن الصمة في صفة اخيهِ عبد الله المدعو ايضاً معبدًا

قصير الازار خارج نصف ساقهِ صبور على العزّاء طلاّع انجدِ

تيجان الملوك

وكانت ملوك العرب تلبس التيجان قال امية بن ابي الصلت في خطاب سيف بن ذي يزن تبّع حمير

فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً برأس غمدان دارًا منك محلالا

وقال تميم بن ابي مقبل العامري

وعاقد التاج اوسام لهُ شرفاً من سوقة الناسِ نالتهُ عوالينا

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي

وسيد معشر قد توّجوهُ بتاج الملك يحمي المحجرينا

تركنا الخيل عاكفة عليهِ مقلّدة اعنتها صفُونا

وقال النابغة الذبياني هازئاً بيزيد بن عمرو بن الصعق

لعمرك ما خشيتُ على يزيد من الفخر المضلل ما اتاني

كأنَّ التاج معصوباً عليهِ لاذوادٍ اصبنَ بذي أبانِ

عمامات الرجال

وكانت الرجال تستر رؤوسها ايام السلام بالعمائم قال سليك بن السلكة

الا عتبتْ عليَّ فصارمتني واعجبها ذوو اللمم الطوالِ

وقال عنترة العبسي

وما الفخر الاَّ ان تكون عمامتي مكوَّرة الاطراف بالصارم المندي

واما الفتيان منهم فبعضهم يلبسون البرنس قال حسان بن ثابت

يسعى بها احمر ذو برنس مختلق الذفرى شديد الحزام

نصيف النساء

اما النساء فكنَّ يغطين رؤوسهنَّ بالنصيف حتى يستر وجوههنَّ قال النابغة الذبياني

سقط النصيف ولم تُرِدْ اسقاطهُ فتناولتهُ واتقتنا باليدِ

وكنَّ يغطين الوجه . قال ابو دؤاد الايادي

و يصنَّ الوجوه بالميسناني (م) كما صان قرن شمس غمامُ

وقال عنترة العبسي .

نحر الرجال سلاسلٌ وقيودُ وكذا النساء بخانقٌ وعقودُ

والبخنق خرقة تتقنع بها الجارية فتشدُّ طرفيها تحت حنكها

وقال حجية بن المضرَّب

لججنا ولجَّت هذه في التغضُّبِ ولطّ الحجاب دوننا والتنقبِ

وقال الممزق العبدي

ظهرنَ بكلَّةٍ وسدلنَ رقماً وثقَّبنَ الوصاوصَ للعيونِ

ولم يكن غطاء الوجه عاماً عند العرب . قالت فاطمة بنت الاحجم في رثاء ابيها

قد كنتَ لي ذا حمية ما عشتَ لي امشي البراز وكنتَ انتَ جناحي

وربما كان بعضهنَّ يرسلنهُ عندما يرغبنَ في اخفاء امرهنَّ قال الاعشى ميمون

ولقد ساءها المشيب فلطَّت بحجابٍ من دونها مصروفِ

ولبعضهنَّ حيلةَ للنجاة من السبي يحسن ذكرها وهي انهنَّ كنَّ يتنقَّبنَ دون امائهنَّ فاذا غزت الاعداء قومهنَّ كنَّ يبرزنَ وجوههنَّ وينقِّبن اماءهنَّ فتسبى الاماء دون الحرائر والى هذا اشار سبرة بن عمرو الفقعسي في قوله

ونسوتكم في الروع بادٍ وجوهها يُخَلنَ اماء والاماء حرائرُ

و بعضُ العرب كانوا اذا فقدوا عزيزاً حسرت نساؤُهم عن وجوههنَّ نائحات لاطمات قال الربيع بن زياد العبسي

مَن كان مسروراً بمقتل مالكٍ فليأتِ نسوتنا بوجهِ نهارِ

يجد النساء حواسراً يندبنهُ يلطمنَ اوجههن في الاسحارِ

قد كنَّ يخبأن الوجوهَ تستراً فاليوم حين برزنَ للنظارِ

يضربنَ حرَّ وجوههنَّ على فتى عف الشمائل طيب الاخبارِ

ولكن ذلك لم يكن شأن جميع العرب بدليل قول عمرو بن كلثوم التغلبي

معاذ الالهِ ان تنوحَ نساؤنا على هالكٍ او ان تضجَّ من القتلِ

بيروت امين ظاهر خير الله

العلم العملي

ابنَّا في الجزء الماضي فوائد العلم العملي واحتياج البلاد اليهِ وذكرنا اهتمام مدرسة الطب المصرية ومدرسة الطب الاميركية بهِ حتى اذا قرن التلامذة العلم بالعمل خرجوا من المدرسة وقد أُشربت قلوبهم محبة العلم ورسخت حقائقهُ في نفوسهم فاذا اشتغلوا بهِ بعد خروجهم من المدرسة كان لهم مما عملوا بهِ اساس يبنون عليهِ ويتوسعون فيهِ واذا لم يشتغلوا بالعلم بل تعاطوا اعمالاً اخرى كان ما تعلموهُ وتحققوهُ بالعمل اكبر مساعد لهم على فهم حقائق الاعمال والقياس عليها . ولذلك تجد البون شاسعاً بين الذين تعلَّموا على هذه الطريقة وبين الذين اقتصروا على استظهار القواعد العلمية الاولين كأَنهم مارسوا الاعمال سنين عديدة وتعلَّموا بالاختبار ما لا يتعلمهُ المرء الأَ بعد التجارب الكثيرة والآخرين كأَنهم لم يتعلموا شيئاً ولا مارسوا عملاً . وكثيراً ما تجد ابن العالم الذي ربي في الغيط او في السوق او في الديوان امهر من ابن المدرسة الذي لم يقرن العلم بالعمل بل اقتصر على حفظ القواعد العلمية

وقد يُظن لاول وهلة ان قرن العلم بالعمل مقتصر على القسم الطبي من اقسام المدرسة الكلية وعلى ما يتعلَّق بالدروس الطبية وهذا يكاد يكون صحيحاً لان تلامذة القسم العلمي قلما يشاركون تلامذة القسم الطبي في غير الاعمال الكيماوية والمباحث النباتية والحيوانية لكن علم الكيمياء والمباحث الطبيعية منهُ تشتمل على كثير من الحقائق العلمية بل هي اساس كل الاعمال حتى اذا كانت صناعة انسان طبخ الطعام رأَى في ما وقف عليهِ من الحقائق الطبيعية والكيماوية مرشداً يرشدهُ الى اتقان الطبخ وجعل الطعام طيباً نافعاً . واذا اقتنى الاطيان والمواشي وجد في ما تعلمهُ اكبر مرشد لاصلاح طرق الحرث والزرع والغرس وتربية الحيوانات واستثمار خيرات الارض . واذا اتَّجر في اي صنف كان من اصناف التجارة كان علمهُ معيناً لهُ على الفرق بين البضائع والتمييز بين صحيحها وفاسدها وخالصها ومغشوشها

وللكيمياء الشأْن الاكبر في ذلك كلهِ ولا سيما اذا توسَّع الاساتذة فيها ولم يكتفوا بتدريس الطلبة المبادئ الاصلية بل ارشدوهم الى ما يبنى عليها وبيَّنوا لهم علاقتها بالزراعة والصناعة والتجارة وسائر الاعمال . هذا ما كنا نتوخَّاهُ وقتما كنا ندرّس هذا الفن في المدرسة الكلية الاميركية ولا بدَّ من ان يكون خلفاؤُنا قد توسَّعوا فيهِ بعدنا لان المدرسة انشأَت بعد ذلك داراً خاصةً بالكيمياء وهي التي تراها مرسومة في اعلى الشكل الاول الذي صدَّرنا بهِ هذا الجزء . بناؤها لم نرهُ حتى الآن ولكن بلغنا انهُ رحب صالح للتدريس والتجارب الكيماوية .

وفي الصورة الوسطى من تلك الصور الثلاث معمل التدريس حيث يجري استاذ الكيمياء التجارب الكيماوية امام التلامذة ولعلهم يشاركونهُ فيها فيروا بعيونهم و يلمسوا بايديهم المواد الكيماوية والآلات والادوات التي تستخدم في اجراء العمليات . تراهم في الصورة وقوفاً وامامهم الانابيق والكؤوس والمرشحات وهو يقرأ اسماءهم او يراجع موضوع خطبتهِ في مذكرتهِ . وترى بعضهم في الصورة السفلى وقوفاً في معمل التحليل الكيماوي حيث يبحثون عن العناصر والمواد السامة و يرون تفاعل المواد الكيماوية بعضها ببعض

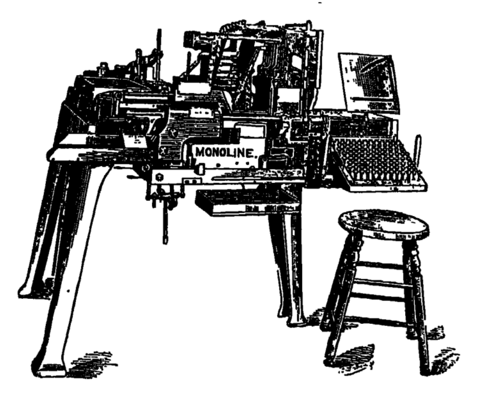
لو بحثتَ عمَّا دفع الاوربيين في ميدان الارتقاء وميزهم علينا في كل عمل وسهَّل لهم استنباط ما لا يحصى من الاساليب العملية والآلات والادوات الصناعية لرأيت اكثرهُ في معمل الكيمياء ودار الفلسفة الطبيعية هناك وُجدت نواميس البخار وعُلم فعل الحرارة بالاجسام ودُرست قواعد الميكانيكيات فمُهّدت السبيل لعمل الآلة البخارية وما نشأ منها . هناك اكتشف جلفني وفولطه وارستد وفراداي نواميس الكهربائية والمغنطيسية فبُني عليها التلغراف والتلفون والنور الكهربائي وما يتصل بذلك مما يُعَدُّ منهُ ولا يعدَّد . هناك عُرفت حقيقة الاختمار وكُشفت خفايا الميكروبات فعُلمت اسباب الامراض وصُنعت المواد المضادَّة لها . هناك قامت الصناعة على الطبيعة فجارتها او فاقت عليها في عمل الاصباغ وتركيب الطيوب واستخراج الاصول الدوائية فصُنع صبغ الفوة وصبغ النيل وما لا يحصى من الاصباغ الجمادية التي تفوق الاصباغ النباتية جمالاً وبهاء وصُنعت الطيوب على انواعها المسك والعطر والزباد والناردين . وصُنعت الكينا ايضاً او ما يقوم مقامها وما لا يحصى من المواد الدوائية

والاوربيون الذين بلغوا هذا الشأوَ بعلومهم العملية تراهم يشكون من قلتها و يطلبون المزيد منها . الفرنسويون يعيرون حكومتهم واغنياءهم بتقدُّم الانكليز عليهم والانكليز يعيرون حكومتهم واغنياءهم بتفوُّق الالمانيين عليهم والالمانيون يشكون و يتذمرون من سبق الاميركيين لهم . وكلهم خيل رهان يتبارون و يتسابقون مع ان احقر امة منهم تفوقنا بمراحل . مَن رأى مصنوعات بلجكا او هولندا او اسوج ونروج او سويسرا الجمهورية الصغيرة التي لا يزيد سكانها على ثلاثة ملايين من النفوس — مَن رأى مصنوعات هذه الامم في معرض باريس او في مخازن القاهرة والاسكندرية ولم يرَ قصورنا وتقصيرنا وان كنا لا نلام في القصور فمن لا يلومنا في التقصير

هذا و يرى قراء المقتطف في الكلام على كارنجي الغني الاميركي في مقالة اغنياء اميركا في هذا الجزء انهُ عقد نيتهُ على انشاء مدرسة صناعية في البلد الذي جمع فيهِ اكثر ثروتهِ

يهبها خمسة ملايين من الجنيهات . هبة يقصر عنها الملوك ولا يعلم الاَّ الله كم ينجم عنها من الفوائد لتلك البلاد التي فاقت ممالك الارض في اجتهاد اهاليها وتقدُّمهم . فكأَن هذا الرجل الذي جمع ثروتهُ بارتقاء الصناعة سيثبت للملاءِ بهذه الهبة ان العلوم الصناعية من خير ما ترتقي بهِ البلدان وتغنى الامم . وبلغنا ان احد اغنياء القطر المصري عازم على انشاء مدرسة جامعة بمالهِ الكثير فعسى ان يقتدي بغني اميركا ويجعل مدرستهُ داراً لتعليم العلم العملي العلم الزراعي والعلم الصناعي اللذين لا غني لهذه البلاد عنهما ولا ارتقاء لها بدونهما

اللينوتيب والمونولين



لا ندري ما يقول غوتنبرج لو بُعث في هذا العصر ورأَى حروف الطباعة التي عُني بعملها وضبطها حتى تتألف منها الكلمات وجرى الناس على خطتهِ فيها من غير تغيير ولا تبديل مئات من السنين قد صُنعت لها آلة الآن تجمع امّاتها بعضها مع بعض سطوراً متوالية وتسبك الحروف عليها فتخرج سطوراً منظومة على غاية الدقة والإحكام

لدينا الآن كتاب عربي كتاب الاصول الهندسية الذي وضعهُ اقليدس ونقلهُ الى

العربية نصير الدين الطوسي طُبع هذا الكتاب منذ اكثر من ثلثمئة سنة وحروفهُ مثل حروف مطابعنا ويظهر منها انها كانت تسبك وتجمع كما تسبك وتجمع حروفنا الآن فلم يتقدَّم قيد شبرٍ عمَّا كان عليهِ اسلافنا منذ ثلثمئة سنة . وما من عارٍ علينا في ذلك فان الاوربيين لم يستنبطوا آلة لجمع الحروف الاَّ منذ بضع عشرة سنة وكان لاحد ابناء سورية يد في استنباطها كما ابنا ذلك في حينهِ . والآلة المشهورة عندهم الآن المعروفة باللينوتيب نجحت نجاحاً عظيماً على قرب عهدها حتى يقدَّر ربح الشركة التي تصنعها في اميركا باربع مئة الف جنيه في السنة

وقد رأينا هذه الآلة في معرض باريس كما رآها كل مَن زار ذلك المعرض وكانت تجمع الحروف وتسبكها سطوراً باسرع من لمح البصر ولعلَّها تغني عن ثلاثة او اربعة من امهر مرتبي الحروف لكنها كثيرة التراكيب والتفاصيل فيبلغ ثمن الآلة منها خمس مئة جنيه او اكثر . وقد رأينا هناك آلة أُخرى اسمها المونولين مرسومة في صدر هذه النبذة وهي اصغر من اللينوتيب حجماً لا يزيد جرمها على ثلث اللينوتيب وثمنها نحو مئتي جنيه وشرحها بسيط يجلس الصانع على كرسي كما ترى في الرسم ويكون امامهُ مفاتيح بارزة كمفاتيح آلة الكتابة وهي للحروف المختلفة فاذا اراد ان يجمع كلمة بيت ضغط باصبعهِ مفتاح حرف الباء فتنزل امُّ هذا الحرف الى امام عينيهِ ثم يضغط مفتاح حرف الياء فتنزل امهُ الى جانب ام الباء ثم يضغط مفتاح حرف التاء وهلمَّ جرًّا الى ان يتم السطر الذي يريد جمع حروفهِ وفروقهِ ومربعاتهِ فتأتي الى امام عينيهِ حتى يصير منها سطر كامل فيمعن نظرهُ فيهِ خوفاً من السهو او الخطإ ثم يضغط مخلاً صغيراً الى يمين المفاتيح ويشرع في جمع سطر آخر وللحال يذهب السطر الاول الذي جمعهُ الى حيث يُسبك عليهِ معدن الحروف فيخرج سطراً كاملاً من حروف الطبع . ومرتب الحروف لا يفعل شيئاً من ذلك بل يأخذ في ترتيب امات السطر الثاني كما رتب امات السطر الاول ومتى اتمَّ ترتيبها يضغط المخل عن يمين المفاتيح فتذهب هذه الامات كما ذهبت الامات الاولى ليسبك عليها سطر من معدن الحروف وهلمَّ جرًّا الى ان تستعمل الامات كلها فتعود وتفرَّق في اماكنها الاولى . كل ذلك تفعلهُ الآله نفسها لا يساعدها الصانع الاَّ في ضغط مفاتيح الحروف

وقد شاعت هذه الآلة في اوربا وفي بلاد كندا من اميركا ولم يمنع شيوعها في الولايات المتحدة الاميركية الاَّ امتياز اللينوتيب فيها فمتى انقضت مدة امتيازهِ وستنقضي قريباً يشيع المونولين فيها كما شاع في غيرها

هذا وكلامنا عن اللينوتيب والمونولين كان الى الآن ككلام الفقراء عن ثروة الاغنياء لان اشكال حروفنا تزيد على مئتي شكل في كل نوع من انواع الحروف فيتعذَّر عمل آلة لها

ان لم يستحل . غير ان آلة الكتابة الحديثة التي استنبطها سليم افندي حداد المصور قلَّت اشكال الحروف العربية كثيرًا فصار استخدام المونولين لها امرًا ممكنًا بعد ان كان متعذرًا من هذا القبيل . وبقي ان نفقات هذه الآلة كثيرة الثمن يتعذَّر على مطبعة من المطابع الشرقية ان تبتاع بضع آلات منها وهي لا تُصنع بهذا الثمن الاَّ اذا طُلب منها آلات كثيرة اما اذا طُلب آلات قليلة فيكون ثمنها اكثر من ذلك كما لا يخفى

وكيفما نظرنا في صناعة الطباعة رأينا للاوربيين مزية كبيرة علينا باعتمادنا على صور للحروف تخالف الصور التي اعتمدوا عليها . ومن الغريب انهم هم نقلوا صور حروفهم عن صور الحروف الشرقية الفينيقية ونحن لا يرضينا ان نستردها منهم ونقلوا ارقامهم عن ارقامنا العربية فاهملناها واعتمدنا على غيرها وصرنا نأنف من استرجاعها . وكأننا آلينا على انفسنا ان نبقى مبتعدين عن كل ما يسهل علينا مجاراة الاوربيين واذا قام احد منا ونادى بما فيهِ صلاح حالنا لم يلفَ مجيبًا من اخوانهِ ولا سامعًا من ولاة الامور . وهؤُلاء اميّون في الغالب لا يعرفون العلم ولا يقدرونهُ قدرهُ ولا خبرة لهم بما يُبنى عليهِ عمران البلاد واسهل عليهم ان ينفقوا الف جنيه في السنة على حديقة لا يدخلها احد من الناس من ان ينفقوا مئة جنيه على بحث علمي من ورائهِ فائدة كبيرة

اصغر الممالك الدستورية

الى الغرب من بلاد النمسا مع تخومها مما يلي سويسرا امارة صغيرة مساحتها ستون ميلاً مربعًا اي نحو ٣٥ الف فدان وسكانها نحو تسعة آلاف نفس اسمها لكتنستين Liechtenstine لها اميرٌ يُعدُّ بين ملوك اوربا كما يعدُّ قيصر الروس وامبراطور الالمان او كما يعد امير الجبل الاسود وملك اليونان فيحق لاولادهِ ان يقترنوا ببنات الملوك وللملوك ان يقترنوا ببناتهِ وهو الامير يوحنا الثاني من اقدم الاسر الاوربية المالكة . ويقال انهُ على جانب عظيم من الثروة لهُ في بلاد النمسا كثير من القصور والاباعد ويبلغ عدد قصورهِ واباعدهِ فيها تسعة وتسعين وهو الحد الذي يستطيع احد من الناس ان يمتلكهُ في تلك البلاد . ولهُ في مدينة فينا معرض للصور من افخر معارض الدنيا ومن اعظم ما تفاخر بهِ تلك العاصمة . وهو ملك مستقل في بلادهِ ومتقلد اعظم نياشين الملوك لكنهُ واحد من رعايا امبراطور النمسا ايضًا وعضو من اعضاء مجلس الاعيان النمسوي وضابط في الجيش النمسوي

سُنَّ دستور هذه الامارة سنة ١٨٦٢ ونُقح سنة ١٨٧٨ وكانت قد ارتبطت ببلاد النمسا من حيث الجمرك والبوسطة سنة ١٨٥٢ فان حكومة النمسا تأخذ رسوم الجمرك على ما يدخل هذه البلاد وتعطيها بدل ذلك نحو خمسة آلاف جنيه في السنة وتقدم لها طوابع البوسطة ايضاً . واميرها يقيم في فينا لا فيها ولهُ هناك مجلس خاص لكن مجلس نواب البلاد يجتمع في قرية فادوز عاصمتها وهو مؤلف من خمسة عشر عضواً ثلاثة منهم ينتخبهم الامير والباقون ينتخبهم الشعب ورئيس هذا المجلس هو مدير الادارة ومعهُ وزير الداخلية ووزير المالية ووزير الحقانية ومهندس الحكومة ومدير الغابات هؤلاء اعضاء مجلس النظار . والمجلس الخاص الذي عند الامير في فينا بمثابة مجلس الاستئناف تستأنف اليهِ القضايا الجنائية والمدنية وبمثابة مجلس اعلى لمجلس النواب الاول

ويجتمع مجلس النواب في فادوز حين لا يكون اعضاؤهُ مشغولين بزراعتهم والغالب انهم لا يجدون فيهِ من المسائل ما يدعو الى بحث طويل لكنهم قد يختلفون في بعض المسائل ويكثر فيها حجاجهم ولجاجهم فاذا لم يتفقوا بعثوا وفوداً الى اميرهم في فينا فيجمع مجلسهُ الخاص ويفض المشكل الذي اختلف مجلس النواب فيهِ

وفادوز عاصمة البلاد قرية صغيرة سكانها نحو الف نفس وقد بنى الامير فيها كنيسة كبيرة بلغت نفقات بنائها خمسة عشر الفاً من الجنيهات وبنى فيها ايضاً مدرسة كلية وكل نفقاتها منهُ

والاهالي فلاحون كلهم يحرثون الارض ويصنعون الخمر وآدابهم في الطبقة الاولى ولا يكاد يوجد بينهم مجرم وليس في بلادهم سجن للمجرمين فاذا مسكوا احداً في جريمة بعثوا بهِ الى سجن في بلاد النمسا ودفعت حكومتهم نفقاتهِ في سجنهِ

قال احد الكتاب انهُ كان في عاصمتهم مرة فرآهم مضطربين رجالاً ونساء يجتمعون في الشوارع ويتباحثون كأنهُ بلغهم ان عدوًّا شنَّ الغارة عليهم ولما بحث عن سبب اضطرابهم وجد انهم امسكوا رجلاً من اهالي سويسرا في سرقة . والسرقة فرخان من الدجاج . وكانوا قد قبضوا عليهِ وبعثوا بهِ الى السجن ولكنهم لم يفيقوا من دهشتهم ولم يسكن روعهم النهار كلهُ وهذه اول جناية ارتكبت تلك السنة

ومما يحسن ذكرهُ هنا ان هذه الامارة الصغيرة شهرت الحرب مرة على مملكة بروسيا ولم تصالحها حتى الآن فانهُ لما نشب القتال بين بروسيا والنمسا سنة ١٨٦٦ جرَّد اميرها جيشهُ وهو ستة وستون رجلاً بقيادة يوزباشي اسمهُ رنبرجر وسار بهِ الى حدود النمسا لينضم الى الجيش

النمسوي ولم يصل اليهِ حتى بلغهُ انهُ جرت المعركة التي كانت الفاصلة بين النمسا و بروسيا فعاد بجنودهِ الى بيوتهم قبل ان يطلقوا بندقية . وحلّ الامير جيشهُ سنة ١٨٦٨ مع ان بلادهُ لا تزال شاهرة الحرب على المانيا حسب قوانين الدول لانها خرجت الى الحرب ولم تمضِ معاهدة الصلح لكنها كالبعوضة على قرن الثور لا يدري بوقوعها ولا بطيرانها . ولاميرها املاك وسيعة في بروسيا وسكسونيا كما لهُ في النمسا واذا اجتمع مجلس الامة الالمانية العام فلهُ فيهِ كرسي وصوت

مستقبل الصين

اخلاق الصينيين وعاداتهم

لا شك ان الصينيين امة منفردة بذاتها استقلت باخلاق وعاداتٍ لها واوضاعٍ واحوالٍ درجت عليها وان هذا السور الذي ادارتهُ من خلفها حاجبًا بينها وبين غيرها من الأُمم وازدفتهُ بسور آخر معنويّ حوَّطت بهِ ارواح افرادها من منع خروج الخارج ودخول الداخل لتكون ارضها عقبة لم يجزها راكب لمَّا يجعل هذه الأُمة قسمًا من البشر مستقلاً برأسهِ وحدانيًا بنفسهِ ولذلك مع كون هذه الامة شرقية تجد بينها وبين سائر امم المشرق بونًا بعيدًا حتى كأَن سائر الشرقيين اقرب الى الغربيين مّما هم اليها وهذا مّما لا جدال فيهِ . وانما اختلف المؤَرخون واهل النظر في الحكم على اخلاق وعادات الصينيين على ما هي عليهِ من خير وشرّ وهل هي اميل بجملتها الى جانب الفضيلة والصلاح ام الى جانب الرذيلة والفساد وذلك الاختلاف بسبب اختلاف اذواق السياح واغراضهم وتباين مشارب الكتَّاب واهوائهم فذهب بعض المرسلين من اهل اوربا الى ان اخلاق الصينيين في الدرك الاسفل من اخلاق البشر وانهم احوج الامم الى التثقيف واقلهم نصيبًا من الفضائل وصوَّروهم باقبح الصور ومثَّلوا بهم اشنع التمثيل في الوصف حثًّا للاوربيين على الالتفات الى تلك البقعة واستدرارًا لاخلاف جيوبهم للبذل في سبيل اصلاح سكانها ولكن هذه الطائفة من المبشرين اقل من الفرقة الثانية التي تميل الى الصينيين وتذكرهم بالخير وتمتدح الجمهور من اخلاقهم. ومنها من ذهب الى ان الآداب الصينية اعلى من الآداب الاوربية . وما زال بعض هؤُلاء الدعاة يبالغون في مدح اخلاق الصينيين في كتبهم ورسائلهم حتى اذاعوا لهم في اوربا احدوثة حسنى واطاروا لهم سمعةً عظيمة في التهذيب والفضائل لم يوجد بعد البحث والاستقصاء ما يحققها او ما يحقق اكثرها فصحَّ ان الكتَّاب كانوا يمثلون الصينيين بحسب اغراضهم واذواقهم فمنهم المحب الغالي ومنهم المبغض القالي ولعل الاصح

هو الحد المتوسط بين الطرفين

اما الصينيون فيرون انفسهم اعلى كعباً في المدنية الصحيحة من الاوربيين و يطلقون على هؤلاء اسم "برابرة الغرب" و يستشهدون على ذلك بميلهم الى استئكال بعضهم بعضاً وقساوتهم في الحروب وتفننهم في آلات القتل وطرق الفناء وربما جاراهم على هذا الفكر غير واحد من الاوربيين الذين يقولون الحق ولو على انفسهم

والحق انهُ لا يوجد بقعة على سطح الكرة تُحترم فيها العوائد والشعائر مثل بلاد الصين ولا يوجد اقليم ينقاد اهلهُ لدعوة الانسانية اكثر من هذا الاقليم فهم صفر الوجوه بيض الصنائع والوداعة عندهم خلق فطريٌّ تعم كبيرهم وصغيرهم ويسمون انفسهم اخواناً فيقولون "رجال الابحر الاربعة اخوان" والاتراب منهم اخوان بعضهم لبعض ويكون بينهم من حقوق المتاربة ما بين الاخوان من حقوق الاخاء

ومن الدلائل على وداعتهم ان كثيراً من سيَّاح الافرنجة جابوا احفل اصقاع الصين بالعمارة مثل هوبه وستشوان ورادوا قاصيتها ولم يتفق ان وقع لهم اقل اهانة ولا ان تعرض لهم احد بادنى سوء واذا وقع شيء من هذا القبيل في يونان او هونان فهو من النادر الذي لا يعتد بهِ . واحسن ما يحتاط بهِ الغريب لمنع ذلك ان يحتمي برجل من ذوي السنّ العالية فيكون كأنهُ دخل في حمى كليب فانهُ ليس على الصينيين شيءٌ اكرم من الشيخوخة . ثم انك لا تجد في كبار مدن الصين مع ازدحام الالوف في شوارعها سكيراً واحداً وان اشتهيت رؤية سكير لزمك ان تقصد الثغور البحرية حيث قد اختلط الاوربيون بالوطنيين واقتدى هؤلاء بهم فهناك ترى السكارى في الاسواق صرعى بنت العنقود كما في اوربا وحسبك ان الاولاد في المكاتب على جانب عظيم من الرزانة والطاعة للمعلمين مع صبرهم العجيب على الدرس وابتعادهم الزائد عن الغضب . واذا تأمل الانسان حركاتهم وسكناتهم وجدها حركات وسكنات قوم يشعرون على حداثة اسنانهم بانهم من اهل المدنية وانهم مرشحون لامور مهمة

عيب الصينيون في ضعف نفوسهم وفقد الاقدام الشخصيّ من بينهم ففاقهم الاوربيون في الجرأة والعزم كما فاقوا الاوربيين في الثبات والصبر ولا ينكر انهم من اهل الكد والسعي في كسب معاشهم لكن اعتمادهم في السعي على الثبات اكثر مما هو على الاقدام . وتقلّ عند الصينيين المطامع السياسية ويندر عندهم هذا الولوع بالرئاسة والتطالّ الى السيادة والغلب كما هو عند كثير من الامم . وفي غرائزهم من حب السلام والركون الى الدعة ما لا يوجد عند أمةٍ على وجه الارض ولا اظن توجد امة تقلّ فيها اشعار الحماسة واهازيج الفتوَّة قلّتها عند الصينيين

فاكثر اغاني الفلاحين عندهم في معنى الحراثة والشغل كأنهُ لا يهيجهم الاَّ موضوع السلام

"عند ما ذهبنا كان النبات قد وسم وجه الارض وعند ما رجعنا كان النبات قد ذوى. السفر طويل والزاد قليل . كم اصابني شقاءٌ بدون استحقاق منذ اضطررت لنقل السلاح وتركت المحراث"

وانت ترى انهُ لو كان فيهِ شيءٌ من الخواطر الشعرية المعروفة عندنا لعقدتهُ شعراً ولكنهُ اشبه باقوال المتصوفة والزهَّاد منهُ بالشعر فتركتهُ على حالهِ لئلاَّ تعيره الديباجة العربية شيئاً من مسحة الشعر العربي فيخرف عن اصلهِ . ولعمري ان من ادلّ الدلائل على طباع الصينيين ان تكون اهزاج فتيانهم في المحافل واغاني حداتهم اذا سالت الاباطح باعناق الرواحل عبارة عن تذكارات الراحة والدعة والشغل والحرث . واماَّ هذه افكارها وفتيان تلك اشعارها لجديرة بان يوالي اليابانيون عليها المزائم وهم نحو عشرها وان لا يكون لها في الحرب موطن يُحمد

والشعر عندهم لا يخلو من علو الطبقة ودقة المعاني ولكنهُ يندر ان يوجد فيهِ النفَس الشخصيّ والمذهب المختص والطريقة المبتدعة وانما القوم على قواعد يراعونها وقيود يرسفون فيها واصطلاحات في التركيب ومناهج في الفكر لا يحيدون عنها يمنة ولا يسرة فلا يكاد يظهر معها المعنى المراد ولا تفيد فيهِ الشراح . وكأن المباني عندهم اهم من المعاني حتى يصح في شعرائهم تمثل بعض المعاصرين في حق نفسهِ وقد نبَّهوه الى كثرة اعتنائهِ بالرَّصف مع الخلو من المعنى قال

" فقل انا وزَّانٌ وما انا شاعرُ "

والصحيح ان الشعر غير الوزن وغير التقفية وقد يكون النثر شعراً ويكون النظم نثراً في المعنى الذي نريدهُ . ولما كان الصينيون ينسجون الشعر على المنوال الذي تقدم وكان الغالب على افكارهم الحكم والامثال والمبادئ الادبية كان شعرهم اميل الى منظوم الحكم منهُ الى الخيال والانفعال فكأنهُ اليهم ينظر ابن خلدون فيما ذكر عن شعر الفقهاء والنظَّار وما يقعد بهم عن التفنن والبلاغة من حفظ المتون واستظهار القواعد

وقد جمح بنا جواد القلم في موضوع الشعر الصيني من طريق الاستدلال على اخلاق هذه الامة لأن الشعر كما لا يخفى مرآة اخلاق الامم ومحك عوائدها ومنازعها وعنوان طباعها وعواطفها فلنرجع الى ما كنا فيهِ من اخلاق الصينيين وعوائدهم

فلا مشاحة ان من اشد الامور ارتباطاً في الصين واوثقها عقدةً مماَّ هي في كل الدنيا مسألة القرابة فالعيال في الصين مرتبطات بروابط لا توجد في بلاد غيرها والمملكة كلها تلقَّب بالمائة أُسرة ثم هذه المائة أسرة في الآخر تندمج دمجاً واحداً فتُعدُّ اسرة واحدة . والفضائل

كلها عند الصينيين قائمة بطاعة الابناء للآباء . وفي وصايا كنفوشيوس ان المحبة البنوية هي اساس الاجتماع والقواعد الخمس الثابتات هي علاقة الاب مع ابنائهِ والملك مع رعيتهِ والزوج مع زوجتهِ والشيوخ مع الشبان والصديق مع الصديق . وكل سلطة عندهم مشتقة من سلطة الوالد على الولد وهو ما مكّن عرى الهيئة الاجتماعية الصينية ووثّق روابط الوحدة بين اجزاء هذه الأمة . ثم ان الفضائل قائمة في الصين مقام الافراد في البلدان الاخرى فاذا جرى من الامور العمومية ما يستدعي صوت الامة مثل انتخاب اعضاء المجالس البلدية كان حق التصويت لرئيس الاسرة او مقدم العشيرة فهو الذي ينوب عنهم جميعاً وفيهِ تنحصر حقوقهم وبمقابلة ذلك هو المسؤول عنهم والمجزي بذنوبهم ان قدّموا خيراً كان الفضل لهُ وان قدموا شرًّا كانت اللائمة عليهِ ولكنهُ مطاعٌ فيهم اميرًا عليهم ولا تسمح الحكومة لولد ان يعق اباه او يشاقهُ في امرٍ من الامور ومن يفعل ذلك يلقَ عذاباً اليماً ومن يجترئ على ابيهِ بضربة واحدة يعاقب عليها بالموت

ولكن الابناء عندهم يحترمون آباءهم الى درجة العبادة وقد شوهد في الجهات التي يشتد فيها الفقر ان شباناً باعوا انفسهم بتقديمها للقصاص بدلاً عن محكومٍ عليهم بالقتل حيث يجوّز القانون الصينيّ النيابة في العقوبات كما تقدّم لنا في فصل سابق وان ذلك البيع كان لاجل اعانة والديهم على المعيشة . فانت ترى انهم يفدون آباءهم بانفسهم . ولن يبلغ البرّ بالوالدين هذه الدرجة عند شعب من الشعوب بل نرى هذا الغلو في البرّ من القسم المذموم وكل شيء تجاوز حدهُ فقد اشبه ضدهُ . ثم اذا مات الاب فهي القيامة الكبرى فيمتدّ الحداد ثلاث سنوات لا يأكل احد من افراد الفصيلة اثناءها لحماً ولا يشرب خمرًا . ويتأنقون جدًّا في عمل نعش المتوفَّى فاذا لم يملك الانسان الاَّ ما يصنع بهِ نعشاً لابيهِ باعهُ بحذافيرهِ حتى يقوم بذلك الواجب

قيل ان بعضاً ممن لا يملكون شيئاً من حطام هذه الدنيا باع خيط رقبتهِ ليشتري بهِ نعشاً لابيهِ المتوفَّى ورضي بالعبودية بدلاً عن النعش . ومنهم من يبقي نعش والدهِ في البيت فيجعلهُ قبلة لهُ ويجثم بجانبهِ نهارًا ويضطجع حذاءهُ ليلاً . وكيف كانت الحال فالولد في الصين خافض لوالديهِ جناح الذل من الرحمة سواءٌ كانا في الحياة او بعد الممات . والعادة عندهم تعليق ترجمة المتوفَّى في الهيكل وقد درجت القرون على ذلك وتعاقبت الاحقاب فاصبحت الانساب محفوظة بهذه الطريقة حفظاً لا يضاهيها فيهِ غيرها من الضبط ودرجة الثبوت . وانك لتجد الرجل من عُرض القوم يعرف آباءهُ وجدودهُ واحدًا واحدًا الى حد عشرين قرناً ولا تقتصر

معرفتهُ على اسمائهم فقط بل تتناول احوالهم ومواليدهم ووفياتهم . قال اوجين سيمون في رحلته الى الصين انهم يظنون انفسهم خالدين بحفظهم ما وراءهم من تواريخ جدودهم ولذلك كان المطرودون من عيالهم منهم اشقياء فعلاً لانهم مطرودون من حظيرة الاجتماع الانساني"

اما الاولاد فليس لهم هذا الشأن عند الموت وما قلت فيهم يقال في العزاب والعبيد والنساء الغير الشرعيات . وكثير من الفقراء يلقون جثث اولادهم في مجاري الانهر وربما تركوها امام بيوتهم لجاء الدفانون فاخذوها وهي عادة ذميمة عند اهل الصين واقبح منها ما هو معهود في بعض المقاطعات من قتل البنات خشية املاق على حد الوأد الذي كان معروفاً في الجاهلية مع اختلاف في الطريقة فالعرب كانوا يدفنون المولودة حيَّةً في القبر وهؤلاء يقتلونها غطساً في الماء البارد حتى تختنق . وتختلف الاسباب والوأدُ واحدٌ . وهذا ناشئ عندهم كما كان عند العرب عن خوف الحاجة او العار . وربما افتخروا بذلك كما افتخر العرب قائلين دفن البنات من المكرمات. واصل معنى الوأد عند العرب الثقل لانها كانت تثقل بالتراب واول من منع من الوأد في الجاهلية صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ولما جاء الاسلام كان قد فدى ثلثمائة موءودة والى ذلك اشار الفرزدق مفتخرًا وحقَّ لهُ الفخر

وجدّي الذي مَنع الوائدات واحيا الوئيد فلم تُوأَدِ

ثم ابطل ذلك الاسلام ونزل قولهُ تعالى "ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم" والولاة في الصين يظهرون انكار هذه العادة وإكبارها على فاعليها ولكنهم باطناً يعذرون اصحابها و يغضون الطرف عنهم . وهناك طريقة اخرى للتخلص من الفقر وهي بيع الاولاد والشائع بيع الاناث اكثر من الذكور

واما حالة النساء في الصين او على رأي كتاب العصر "حالة المرأة في الصين" فهي من اسوإ الحالات وحسبك دليلاً على ذلك قصر اقدامهن" تلك العادة القبيحة التي استحسنها اهل الصين واصرُّوا عليها ورأوا فيها الجمال الباهر واللطف الساحر اذ اعتدُّوا مزيد الترف في دقة الطرف فاوجبوا تصغير الاقدام وعمدوا الى القوالب يضعونها فيها منذ بلوغ البنت الخامسة او السادسة من العمر فتنشأ قدمها صغيرة واصبحت المرأة الصينية لا تستطيع رفع شيء ثقيل من الارض ولا النهوض بسرعة ولا القيام بشغل فيه مشقة واذا تمشَّت لزمها ان تنحني ذات اليمين وذات الشمال متوكئةً على ذراعيها كأنها تستمسك بالهواء لضعف قاعدة جسمها وهي المشية التي تأخذ بمجامع قلوب عشاقهم و يتغزل بها شعراؤهم فيشبهونها بتموجات الصفصاف حركهُ النسيم . وزعم بعضهم ان مبدأ هذه العادة كان عندهم سنة ٩٢٥ للمسيح وانها انتشرت شيئاً

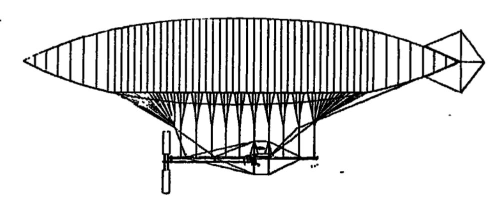
فشيئاً حتى عمت البلاد الأ باكين من الشمال وسنشوان والولايات الجنوبية فان الفلاَّحات مستثنيات فيها من هذه العادة الذميمة . ويقال ان اكثر من ثلثي النساء في مدن الجنوب لا يقصرن اقدامهنَّ ومقصورات الاقدام منهنَّ انما هنَّ مقصورات الحجال لان المرأة التي لا تخضع لهذه العادة بحسب زعم اهل الصين تعد خارجة عن الجمعية المتمدنة ولا نصيب لها من الكياسة والحضارة . ولذلك كثير من الآباء الذين يستهجنون هذه العادة لا يجدون ندحةً من الخضوع لها وتحدث لبناتهم الامراض والآلام بسببها وهم صابرون لئلاَّ تفوتهم الكياسة ويطردوا من حلقة التمدن ولئلاَّ تحرم بناتهم الزواج فيلبثن في البيوت عوانق ويبقين كلاًّ على العوائق . ولا يخفى ما ينزل هذا الامر بالمرأة في درجة الاضطلاع على تدبير المنزل ولكن تنتهي الحيلة والمران باقتدار النساء على ذلك وبعض نساء الفلاحين يساعدن بعولتهنَّ في الحراثة والشغل والعادة طبيعة خامسة او حامسة كما يقول بعضهم .

وعلى المرأة طاعة زوجها الى حد العبادة لانها من دونهِ ولكن طاعتها لوالديها لا تزال مقدَّمة. ومن امثال النسوة عندهم " اذا تزوجتُ طيراً يجب ان اطير معهُ " فليس للمرأة ان تشكى ولا ان تتبرَّم ولا ان تحاكم بعلها الى القضاة وانما يجوز لها اذا اشتد عليها ظلم زوجها وضاقت مذاهبها ان تتوجه الى الهيكل وفي يدها ورقة عليها صورة زوجها فتعلقها منكوسة وتصلي لالهة الرحمة لكي تغيّر لها قلب زوجها الى الاصلح لان قلبهُ متزحزح عن موضعهِ . وللزوج الحرية في الطلاق بدون مراجعة حاكم وليس يتعين ان يكون السبب مهمًّا فقد تطلق الزوجة لعاهة فيها او مرض اصابها او لهذرها . ولكن الصينيّ يجد طريقة للتخلص من امرأتهِ بدون ان يلحقها ضرر فانهم يبيعون نساءهم بالثمن فاذا كانت المرأة غير موافقة سرَّحها زوجها مبيعة من بعلٍ آخر فتخلَّص هو منها واعلقها بيتاً آخر تعيش فيهِ ورجلاً آخر يعولها ولبعض النسوة عادة في الانتحار عقيب وفاة ازواجهنَّ وهي عادة عزيزة عندهم لا يأتيها الأ أولات العزم فمنهنَّ من يخترن الموت بالافيون ومنهنَّ من يلقينَ بانفسهنَّ في الماء ومنهنَّ من تشنق نفسها بيدها وكلهنَّ يخالفنَ الهنديات في امر الحريق . ومتى عزمت المرأة على الانتحار اعلنت عزمها هذا لجاء الاهل والجيران والاصحاب يحمسونها على كريم فعلها عندهم ويهنئونها عليهِ بدلاً من ان ينهوها عن هذه الفظاعة والظاهر ان قتل النفس يهون عند اهل تلك البلاد فانهُ لما دخلت العساكر الاوربية اقليم تشيلي سنة ١٨٦٠ انتحر الوف من الصينيات خشية الوقوع في ايدي الاجانب . ولو كان يهون عند اهل الصين قتل الغير كما يهون عندهم قتل النفس لما اقتحمتهم امة ولا استباحت حماهم دولة ولكن قتل النفس من الجبن وهم عريقون في هذه الخلّة

شكيب ارسلان

السير في الهواء

ضاقت صفحات المقتطف في الشهر الماضي عن خبر كنَّا نودُّ نشرهُ فيهِ . لكن تأخُّرهُ الى هذا الشهر جاء اوفى بالمراد لانهُ وردتنا جريدة السينتفك اميركان وفيها رسم الآلة التي الخبر عنها وهي بالون صنعهُ شاب برازيلي اسمهُ سانتوس ديمون على امل ان ينال بهِ الجائزة التي وعد بها المسيو هنري دويتش لمن يصنع بالونًا يطير بهِ من سان كلو (على مقربة من باريس) الى برج ايفل ويدور بهِ حول ذلك البرج ثم يعود الى سان كلو في نصف ساعة اي انهُ يجب ان لا يقيم اكثر من نصف ساعة من حين خروجهِ من سان كلو الى حين رجوعهِ اليها والجائزة مئة الف فرنك والمسافة ذهابًا وايابًا نحو عشرة اميال

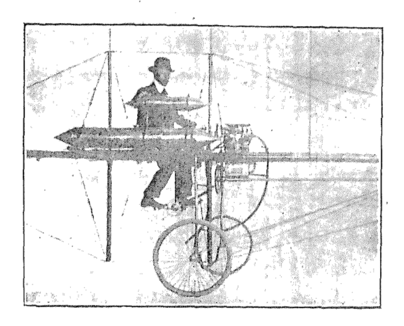


بالون ديمون

ولد هذا الشاب في بلاد برازيل سنة ١٨٧٣ وأُولع من حداثتهِ بالبالون والطيران وكان اولاً يستعمل البالون الكروي فاهملهُ وفضَّل عليهِ المغزلي . والبالون الذي صنعهُ الآن طولهُ ٣٤ مترًا وقطرهُ في وسطهِ ستة امتار ومساحة فراغهِ ٥٥٠ مترًا مكعبًا وهو مغزلي كما ترى في هذا الشكل تحيط بهِ حبال علق بها الآلة التي يحركهُ بها وطولها ١٨ مترًا وهي عمود طويل من خشب الصنوبر وآلة بخارية في وسطهِ قوتها ١٦ حصانًا ويتصل بها لولب كالمروحة وفي وسط الآلة سلَّة صغيرة يجلس فيها و يدير الصمامات والدفَّة وفي اسفلها عجلتان كعجل الدراجة لتجري عليها قبل طيرانها وترى ذلك كلهُ واضحًا في الشكل الثاني

وقد طار بهذا البالون من سان كلو الساعة الخامسة صباحًا خرج بهِ من البيت الذي كان فيهِ وسار قليلاً على عجلتيهِ ثم ادار الآلة البخارية فادارت الدفة ورفعت البالون فارتفع بهِ رويدًا رويدًا وهو يرمي الرمل قبضة بعد قبضة والبالون يزيد ارتفاعًا ثم سار في خط مستقيم الى برج ايفل ودار حولهُ بسهولة على بعد ثلثمئة متر منهُ ولما اتمَّ الطواف حولهُ عاد ادراجهُ الى

سان كلوفوصلها لكن تعذَّر عليهِ ان يدخل البيت الذي خرج منهُ وتعذَّر عليهِ ايضاً ان يدخل دار البالونات لان المسيو دويتش كان يبني فيها بالوناً كبيراً امام بابها ونفد حينئذٍ السائل الذي يوقدهُ في الآلة البخارية فترك البالون الى رحمة الرياح واضطرَّ ان ينزل بهِ سريعاً فعلق بشجرة ولكن لم ينلهُ ضرر لا هو ولا راكبهُ . وبلغت المدة التي ذهب فيها ورجع احدى واربعين دقيقة لا ثلاثين دقيقة فلم يستحق الجائزة لكنهُ كان عازماً ان يصلح البالون ويطير بهِ مرةً اخرى



آلة بالون دبون

والظاهر ان مسألة الطيران في الهواء قد حُلَّت بهذا البالون اذا لم تكن الرياح شديدة ولكن لا على اسلوب عملي تجاري يسهل استعمالهُ كاستعمال سكك الحديد وسفن البخار بل على اسلوب فكاهي يصلح استعمالهُ للنزهة وهذا ليس الغرض المقصود من السير في الهواء ويصحُّ استعمالهُ ايضاً في زمن الحرب وهو وان كان عملياً تجارياً الاَّ ان فائدة الناس منهُ لا تزيد عن فائدتهم من المدافع والبنادق

اما بالون زبلن الذي ذكرناهُ غير مرة فالعواصف التي عجزت عنهُ طائراً في الجو قدرت عليهِ ساكناً في بيتهِ لانها عبثت بهِ وبالبيت الذي يظللهُ وفتلت قضبانهُ وعوارضهُ وكادت تمزقهُ تمزيقاً فلم يعد صالحاً للطيران . ويقال ان صانعهُ عازم ان يصلحهُ او يصنع بالوناً آخر امتن منهُ واقوى

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اسهال الاطفال

من كتاب الفهُ الدكتور اسكندر جريديني وهو شارع في طبعهِ

الاسهال ابراز مواد مائعة دفعات متوالية يختلف عددها من ١٥ الى ٢٠ الى ٥٠ في اليوم. وانواعهُ اربعة البسيط والحاد والبطني والالتهابي

النوع الاول الاسهال البسيط : ويقال لهُ سوء الهضم المعوي يحدث من الافراط في الاكل وعدم مراعاة قوانين النظافة وترتيب اوقات الغذاء سواء كان من الثدي او زجاجة الارضاع . ومن الاسباب التي تعدّ الاطفال لهذه العلَّة تغيرات الجوّ الفجائية والانتقال من الاقاليم الباردة الى الحارة ولهذا السبب يكثر الاسهال بين الاطفال والاحداث الذين ينتقلون في فصل الصيف من الجبال الى السواحل او من القطر الشامي الى المصري . وتشتد العلة اذا وافق حدوث الاسباب المذكورة طور التسنين وهو زمن ظهور الاسنان فان الجهاز العصبي والقناة الهضمية يتأثران في مثل هذه الحال بسرعة زائدة

الاعراض : براز متواتر يبلغ عددهُ من ٥ الى ٢٠ في اليوم الواحد . وفي الغالب يكون البراز في الدفعات الثلاث الاولى طبيعياً في لونهِ وقوامهِ ثم يصير مائعاً مخضرًّا او مصفرًّا وممزوجاً بمخاط ومواد غير مهضومة من الطعام وفي الآخر يختلط قليلاً بالدم

وقد يسبق البراز ألم وزحير وفي اثناء ذلك يسرع النبض وترتفع حرارة الجسد شيئاً قليلاً. ويرافق العلة قيء خفيف وانتفاخ في البطن من تولُّد الغازات في المعى وألم يشعر بهِ في القسم المعوي تحت الضغط وفي بعض الحوادث يصاب العليل بتشنجات عضلية وهي علامة رديئة تدلُّ على تسمُّم القناة الهضمية وجملة الكلام انهُ لا يمر على العليل ساعات قليلة وهو في هذه الحال حتى تبدو على وجههِ وساقيهِ علائم الضعف والهزال

العلاج : يعطى العليل ملعقة او ملعقتين من زيت الخروع لتنظيف المعى من فضلات الطعام وغيرها من الاسباب المهيجة . وقد يرفض زيت الخروع كما هو الغالب في الاطفال

فيحقن بهِ في المستقيم بعد مزجهِ بقليل من الماء او يُكسر باللبن ويضاف اليهِ نحو عشر نقط من الكونياك فيختفي طعمهُ ويسهل تناولهُ . ولا يجوز استعمال المساهل الأَّ في اول ظهور الاعراض لئلاَّ تكون سبباً لانحطاط قوى العليل وعندئذٍ يُعالج بالحقن على الطريقة الآتية

تحت نترات البزموت	٦٠	سانتيجراماً
ملح الطعام	٦٠	" "
ماء مقطر او مرشح	٦٥	غراماً

وكل ٣٢ غراماً تساوي فنجاناً صغيراً . يحقن بها صغار الاطفال مراراً في النهار كل مرة بمثل هذا المقدار واذا كان الطفل ابن سنتين يضاعف هذا المقدار ثلاث مرات ويجب الاحتراز من استعمال الافيون او غيرهِ من القوابض قبل تنظيف الامعاء من المواد المهيجة على نحو ما اسلفنا ذكرهُ

اما الالم فيسكَّن بملعقة صغيرة من شراب الراوند العطري او بخمس نقط او اقل من صبغة الكافور المركبة تكرَّر تبعاً لمقتضى الحال

ومما يفيد ايضاً العلاج الآتي ولا سيما اذا كانت العلة مصحوبة بالقيء وهو ماء الكلوروفورم وماء الجير وماء القرفة من كل صنف فنجان صغير تمزج معاً وتعطى ملعقة صغيرة كل ١٠ دقائق او ١٥ دقيقة فيخف الذرب فضلاً عن ان هذا الدواء مطهر للمعي ومضاد للفساد

واذا لم ينقطع الاسهال بعد ٢٤ ساعة من هجمتهِ فتفيد الجرعة الآتية

كالومل	٣٠ الى ٥٠	مليجراماً
تحت نترات البزموت	٣٠	سانتيجراماً
سالول	٥	سانتيجرامات

تمزج معاً وتعطى كل اربع ساعات على خمسة ايام ويجوز استعمالها ايضاً بعد انقطاع الاسهال خوف الانتكاس

بقي ان نذكر انهُ ينبغي ان يمنع العليل عن الطعام نحو ٦ ساعات او اكثر اذا كان ممن يُغذَّى بالصناعة ويُسقى في خلال المدة المذكورة مقدار فنجان من ماء بارد مع ٥ الى ٢٠ نقطة كونياك كل ساعة وفي نهايتها يُعطى مرق اللحم ولا يغذَّى باللبن ما لم يعود البراز الى حالتهِ الطبيعية وعندئذٍ يعطى من صبغة جوز القيء نحو نقطتين قبل الاكل لتقوية الهضم المعوي

النوع الثاني الاسهاد الحاد : وهو الذي تأتي اعراضهُ فجأةً فيتواتر الذرب والقيء وتنحط قوة العليل ويهزل بسرعة زائدة وفي قليل من الوقت يصبح جلداً على عظم . ويقال لهذهِ العلة

كولرا الاطفال لانها تشبه في سيرها الكولرا الاسيوية المعروفة بالهواء الاصفر . ولا تحدث الأ في فصل الصيف من شدة الحر ولا سيما في المدن الكبيرة بين الفقراء الذين يسكنون البيوت القذرة ولا يراعون في تربية اطفالهم قوانين النظافة . واكثر حدوثهِ من الشهر الثالث الى آخر السنة الثانية من العمر

الاسباب : ميكروب خصوصي يفسد اللبن وكل طعام مؤلف منهُ . ولذلك يكثر هذا النوع من الاسهال بين الاطفال الذين يعيشون على الرضاع من الزجاجة اذا لم يطهر اللبن قبل استعمالهِ . وما عدا الاسباب المار ذكرها فان جراثيم المرض تدخل القناة الهضمية عن طريق المستقيم او من حلمة الثدي او اصابع الطفل الوسخة

الاعراض : يهجم القيء والاسهال فجأةً وفي بعض الحوادث يسبقهما ذربٌ خفيف مائع مخضرٌ قليلاً . اما القيء فمنهكٌ وأكثره في الاول من محتويات المعدة ثم يصير مائياً متواصلاً واخيراً تفرغ المعدة ويبقى العليل متكلفاً لهُ . ويزداد القيء عند تناول اقل شيء من طعام او شراب

وفي اثناء ذلك يصفرُّ وجه العليل وينتفخ بطنهُ وتغور عيناهُ ويبرد عرقهُ ويعطش عطشاً زائداً وفي الآخر يتجعد جلدهُ وتنحطُّ حرارة جسدهِ ولا يزال على هذه الحال حتى يصبح كالخيال ويستولي عليهِ السبات فيموت في اقل من ست ساعات واحياناً تنتهي العلة بتشنجات عضليَّة تقضي عليهِ

واما البراز فيزداد المرة بعد الأخرى ثم يتواصل ويتغير لونهُ بالسرعة من اصفر طبيعي الى اخضر يشبهُ السبانخ وفي الآخر يتبرز العليل مواد مائعة في كمية كبيرة يتخللها مواد مخاطية اشبه بماء الارز

وهذا النوع من الاسهال شديد الخطر على الحياة ولا ينجو من شرهِ الأ الاطفال السمان . واذا كان العليل ممَّن تربَّوا على التغذية الصناعية فالامل في شفائهِ ضعيف لان فعل السم يبلغ درجةً لا يؤثر فيها دواء . ومن الاعراض الحسنة تناقص القيء والاسهال بالتدريج وعدم حدوث اعراض عصبية وانحطاط في القوى

العلاج : نوعان علاج واقٍ . وعلاج شافٍ

العلاج الواقي : يقوم بتنظيف حلمة الثدي قبل الرضاع وبعدهُ . واذا كان الطفل يُغذَّى بالصناعة فيطهر اللبن من جراثيم الفساد باغلائهِ على النار ولكن الاغلاء يفسد طعمهُ ويغيّر موادهُ فلا يصلح للرضاعة [1] . ويجب ان تغسل الزجاجة بالماء السخن حتى تنظف

(١) راجع الجزء الماضي من مقتطف هذه السنة

جيدًا وقليلٌ من اللبن القديم اذا نُسي فيها يكفي لفساد اللبن الجديد. وان تكون الحلمة الصناعية التي تُركب عليها قصيرة لكي يسهل غسلها من بقايا اللبن العالقة بها

ومن الوسائل الناجعة ان يمنع الطفل عن الرضاع عند اقل اسهال يصيبهُ في الصيف ويُسقى مرق اللحم او زلال البيض عدة ساعات .

العلاج الشافي : (١) ان يمنع العليل عن الطعام نحو ٨ ساعات واحيانًا اربعًا وعشرين ساعة من ابتداء العلة . وبسبب الانحطاط الزائد الذي يظهر باكرًا في هذه العلة يضطر العليل الى المنبهات وافضلها الكونياك يعطى منهُ ملعقة صغيرة او ملعقتين في فنجان ماء بارد مقطر يكرَّر ذلك كل ساعة او اقل تبعًا لمقتضى الحال

(٢) ينبغي مساعدة الطبيعة على قذف السموم من الامعاء بمحلول ملح الطعام او البزموت (خمس جرامات في ٥٠٠ جرام ماء مقطر) يحقن بها في المستقيم ويكرَّر ذلك ما دام القيء والاسهال مستمرين

واذا كانت حرارة الجسد منخفضة كما هي الحال في اغلب الحوادث فيغمس العليل في ماء درجة حرارتهِ ٩٥° وتزاد الى ان تصير ١١٠° بمقياس فرنهيت . و يضاف الى الماء قليل من مسحوق الخردل لتنبيه دورة الجلد

واما الحمَّى (اذا وجدت) فتخفف بوضع اكياس الثلج على الرأس او غسل البدن بماء فاتر وفركهِ بنشفة خشنة ولا يجوز تخفيفها بالادوية لئلا تنحط القوى و يموت العليل

(٤) يغذَّى الطفل بعد زوال القيء بماء زلال البيض او مرق اللحم ولا يعود الى غذائهِ الاصلي ما لم يمرَّ عليهِ بضعة ايام سليمًا من الاعراض المذكورة وعلى ذلك فقد يبقى في خطر الانتكاس عند اقل سبب يهيج الامعاء

هذا كل ما يمكن عملهُ في غياب الطبيب ومن الواجب اعلامهُ باسرع ما يمكن من الوقت ضنًا بحياة العليل ان تذهب ضحية الجهل والاهمال . انتهى

زينة المائدة

الازهار والاثمار اجمل ما تزدان بهِ موائد الطعام فإما ان توضع الازهار في حقة واسعة في وسط المائدة او في كأسين طويلتين دقيقتين توضعان منحرفتين عن وسطها احداها الى يمين الخط الاوسط والاخرى الى يسارهِ او توضع في اربع كؤُوس صغيرة في شكل مربع ويوضع بينها اناء فيهِ اثمار جميلة المنظر كالتفاح والعنب والبرتقال

ولا بدَّ من ان توضع الازهار على اسلوب تظهر فيهِ كل زهرة على حدتها وان يكون بينها اوراق خضراء من ورقها او من نبات آخر دقيق الورق كالسرخس ونحوهِ . ويحسن ان يكون للازهار رائحة عطرية ولكن اذا لم توجد الازهار ذات الرائحة العطرية فالازهار البرية الخالية من الرائحة تقوم مقامها بشرط ان لا تكون خبيثة الرائحة

والازهار على المائدة لا تغذي الجسم ولا تجيد القابلية ولكنها تبهج النظر وتربي الذوق على حب الطبيعة وجمالها

غطاء المائدة

يجب ان يكون غطاء المائدة من الكتان النقي لا من القطن ولا من الكتان الممزوج بالقطن لان الكتّان الصرف يقيم اكثر من القطن وهو اجمل منهُ منظرًا وارخص منهُ ثمنًا بالنسبة الى طول اقامتهِ . واجود انواع الكتان الارلندي ثم الفرنسوي . وتغطى المائدة بلباد رقيق اولاً ثم بغطاء الكتان ويجب ان يكون هذا ابيض ناصع البياض مكويًا ومطويًا وان يكون واسعًا يغطي المائدة ويطف عليها ٤٥ سنتمترًا الى ٥٠ . واذا كان خاصًّا بالمائدة من اصلهِ فيكون فيهِ نقش مخصوص يزيدهُ جمالاً فهو يفضل على الغطاء الذي يقص من الثوب . واذا كانت ربة البيت تحبُّ الزينة طرّزت حرفين من اسم زوجها في وسط الغطاء او في احدى زواياهُ او طرزت رقعة مستديرة او مستطيلة وبسطتها عليهِ لزينتهِ

ويجب ان تكون فوط الطعام من نوع غطاء المائدة وتكون فوط العشاء كبيرة طول الفوطة منها يرد وعرضها يرد . اما فوط الفطور والغداء فتكون اصغر منها . واذا اريد اتقان المائدة فلا بدَّ لها من فوط صغيرة طول الفوطة منها نحو ١٥ سنتمترًا وعرضها كذلك توضع تحت الكؤوس التي تغسل فيها الفاكهة والانامل وهذه تطرَّز على اساليب مختلفة وكذلك توضع فوط مطرزة في صحون الخبز والكعك وفي الصحون التي توضع فيها اباريق الماء وقناني الشراب وتحت الصحاف الكبيرة التي يوضع فيها الطعام قبل تفريقهِ

ولا بدَّ من ان تكون الالوان في كل ما يطرَّز نحيفة قليلة الظهور او يُقتصَر على اللون الابيض

الذهاب الى المائدة

اذا كان في البيت دعوة لغداء او عشاء فالعادة المتَّبعة عند الاوربيين ومن جرى مجراهم ان تعرّف ربة البيت كل رجل بالسيدة التي تختارها لهُ ليسير معها الى المائدة ويجلس بجانبها . ثم يسير رب البيت باكبر المدعوات سنًّا او ارفعهنَّ مقامًا يأخذ يسارها بيدهِ اليمنى اي يضع

ذراعها تحت ابطهِ الايمن ويمشي بها الى المائدة ويجلسها عن يمينهِ ويمشي الجميع وراءهُ على هذا النسق رجلاً وامرأة رجلاً وامرأة وفي آخرهم ربة البيت تمشي مع اكبر المدعوين سناً او ارفعهم مقاماً وتجلسهُ عن يمينها

المائدة التركية

الطعام التركي يلذ لجمهور كبير من قراء المقتطف اكثر من الطعام الاوربي وليس كلامنا فيهِ من حيث نوعهُ وطبخهُ بل من حيث الاسلوب الذي يؤكل بهِ في الولائم

فاول طعام يقدَّم على المائدة التركية الشائعة في الولائم في هذا القطر مرق فرخة يقدَّم في اناء كبير والفرخة فيهِ فيأكل منهُ الجميع بملاعقهم . وهي عادة لا تخلو من الضرر لانهُ اذا كان في فم احد منهم مرض معدٍ كما قد يكون احياناً فلا يبعد ان تمتزج جراثيم العدوى من فمهِ بالمرق وتضرُّ الذين يأكلون منهُ

ويأتي بعد المرق خروف محمَّر او ديك رومي والغالب ان الآكلين يأكلون منهُ بايديهم ولا ضرر في ذلك ولكن يحدث كثيراً ان يتبرَّع احد الحضور ويمزق اللحم بيدهِ كما يمزق الاسد فريستهُ ويقدّم من اللحم للذين يريد اكرامهم فلا منظر ذلك يروق للآكلين ولا طعمهُ يحسن لهم وما هو من الكياسة في شيء

ثم تتوالى الوان الطعام والغالب ان كل واحد يأكل منها قليلاً جدًّا مما امامهُ فلا ضرر من اكل كثيرين من صحفة واحدة ولكنَّ رؤْية الناس يأكلون باصابعهم ويلحسون اناملهم لا تروق لكثيرين ولا داعي لها فاذا كان الخبز رقيقاً يسهل رفع الطعام باللقمة منهُ فالاكل باليد حسن وقد يستطيبهُ اكثر الشرقيين اكثر مما يستطيبون الاكل بالشوكة ولكن اذا لم يكن الخبز رقيقاً ولم يُستعمل لتناول الطعام فالاكل بالشوكة افضل من الاكل بالانامل واسلم منهُ عاقبةً

وما يقال عن الطعام يقال عن الحلوى فان اكل السائل منها بالملاعق من صحفة واحدة ليس حسناً وقد لا يخلو من الضرر واكل ما بقي بالانامل ليس مما يستحسن الاَّ اذا كانت جافَّة لا يسيل قطرها على الاصابع

وجملة القول ان اكل السوائل من صحفة واحدة عادة غير حميدة ولا بدَّ من الاقلاع عنها وكذلك يجب ابطال كل ما من شأنهِ تلويث الطعام بلعاب احد الآكلين منهُ او تلويث طعام زيد بيد عمرو

اما الشراب فلا يقدَّم منهُ على المائدة التركية الاَّ الماءِ وهو قد يكون مرشحاً وقد يكون غير

مرشّح والغالب ان يقف الساقي وبيده ابريق او قلّة وكاس يصب الماء ويسقي الآكلين من كاس واحدة . وهي عادة مستهجنة جدًّا اقل ما يقال فيها انها لا تخلو من الضرر . والذي يولم وليمة ينفق عليها القليل والكثير لا يتعذَّر عليهِ ان يضع كاسًا لكل ضيف من ضيوفهِ كما يضع لهُ ملعقةً وكرسيًّا . ولا بدَّ من استعمال الماء المرشح اذ قد ثبت الآن ان مرضين وبيلين من اشد الامراض فتكًا وهما الهواء الاصفر والتيفويد تدخل عدواهما الجسم مع ماء الشرب فلا يجوز لمن يدعو الناس الى وليمتهِ ان يعرضهم لمثل هذا الخطر

هذا من حيث العيوب الكبيرة التي يجب اصلاحها اما العيوب الصغيرة التي تعدُّ من باب النقص فكثيرة وسنفرد لها فصلاً آخر في فرصة اخرى

اشربة مبردة

شراب الليمون

فنجان من عصير الليمون الحامض وفنجان من عصير البرتقال وفنجان من عصير الفروله امزج هذه الفناجين الثلاثة وحلها بالسكَّر وضعها في ابريق كبير من الزجاج واضف اليها فنجانين من الثلج المكسَّر كسرًا صغيرة وما يكفي من الماء

شراب الاناناس

قطّع ثلاث اناناسات كبيرة ناضجة شرائح صغيرة وضعها هي وعصيرها في اناء عميق وضع عليهـا سكَّرًا ناعماً وصبَّ فوقها نصف اقة من الماء الغالي واتركهُ حتى يبرد . ثم ضع هذا الماء وما فيهِ في اناء كبير فيهِ قطع ثلج كثيرة . ويشرب هذا الماء في كؤوس فيها ثلج مكسَّر كسرًا صغيرة وفيها قليل من السكَّر الناعم

شراب اللبن

برّد اللبن الحليب بعد اغلائهِ واضف اليهِ سكَّرًا ناعماً وقليلاً من الماء والخمر وثلجًا مكسرًا كسرًا صغيرة كالحمص فيكون من ذلك شراب منعش مبرد . واللبن الرائب يقوم مقام اللبن الحليب ويستغنى بهِ عن الخمر

تسنين الاطفال

التسنين او ظهور الاسنان من اللثة حادث يتعب منهُ الاطفال احيانًا كثيرة وتصيبهم منهُ نوب تشنج ولكن ذلك خاص بالاطفال الضعاف الذين لم يعتنَ بهم الاعتناء الواجب .

اما الاطفال الاقوياء الذين أُحسنت تربيتهم فالغالب ان اسنانهم تظهر من غير الم ولا تعب او بقليل من الالم والتعب

ولا بدَّ من تقليل طعام الطفل وقتما يبتدئ ظهور اسنانهِ ولكن يسقى من الماء قدر ما يشاء لتبريد فمِهِ ويحسن ان يعطي شيئاً يمضغهُ تسكيتاً لالم لثتهِ . والبعض يعطونهُ حلقة من العاج لكن العاج صلب لا يصلح لذلك وخير منها قطعة من الكاوتشوك في شكل حلقة او في شكل صليب ويقال ان القطعة التي في شكل صليب اصلح من القطعة التي في شكل حلقة

نوم الاطفال

الاطفال احوج الناس الى النوم ويجب ان تمضي الايام الاولى من عمرهم في الاكل والنوم ثم يُقَلَّل نومهم ولكنهُ يبقى كثيرًا بالنسبة الى نوم الكبار فيجب ان ينام الطفل الذي عمرهُ سنتان اثنتي عشرة ساعة ليلاً وساعة او ساعتين نهارًا

وعلى ام الطفل ان تبذل جهدها لتجعل طفلها ينام في اوقات معلومة كل يوم فان نام في الوقت المعيَّن لنومهِ فبهِ والاَّ وجب عليها ان تصبر صبر الكرام الى ان ينام ولا يجوز لها بوجه من الوجوه ان تسقيهُ شيئاً منوّماً كالخشخاش ونحوهِ لان المنوّمات سامَّةٌ كلها وقد لا يظهر لها ضرر كبير في اقوياء البنية من الاطفال ولكنها تميت الضعاف او تسقمهم

والهز في السرير والتربيت باليد (اي الضرب باليد قليلاً قليلاً) غير لازمين لتنويم الطفل وهما يتعبانهِ ويتعبان امهُ

ولا يجوز ان ينام الطفل ليلاً في الثياب التي كانت عليهِ نهارًا لانها تكون مبلَّلة بعرقهِ ولا بثياب مبلَّلة مطلقاً بل تنزع عنهُ الثياب المبلَّلة وتنشر في مكان مطلق الهواء حتى تجف . وتكون ثيابهُ ليلاً في الشهر الاول مثل ثيابهِ نهارًا وبعد ذلك تخفَّف ثياب النوم حتى لا يبقى منها الاَّ قميص النوم

ولا يجوز ان ينام مع امهِ في فراش واحد بل يجب ان ينام في سريرهِ الخاص الاَّ اذا كان البرد شديداً فيكون الاصلح لهُ ان ينام معها في فراشها فيدفأ . هذا اذا لم تكن تستغرق في النوم فتنقلب عليهِ او تغطي وجههُ فيختنق

وفراش الطفل يتبلل كثيرًا فتفسد رائحتهُ ولذلك يجب ان يصنع من مادَّة رخيصة يمكن الاستغناء عنها وان يصنع لهُ فراشان حتى اذا تبلَّل احدهما وُضع لهُ الآخر . ومن ارخص المواد الطحلب الذي ينمو في بعض البلدان وليس لهُ ثمن اما في هذا القطر فالقش الناعم للفراش

الاسفل والقطن والصوف للاعلى . وقد يكون الصوف ارخص من القطن لان الصوف يغسل وينشر في الشمس فينظف

وحالما يخرج الطفل من سريرهِ تنزع الملاءات كلها منهُ وتنشر في الهواء حتى تنشف وتطيب رائحتها واذا غسلت تنشر مبلولة في مجرى الهواء لان البخار الذي يصعد عنها حينئذٍ يتكوَّن حال صعودهِ اوزون يزيل الفساد منها ويطيب رائحتها

ويجب ان يكون غطاء الطفل كافياً لتدفئتهِ لا يزيد على ذلك لئلاَّ يتعرَّض للزكام اذا برد . ومعلوم ان الطفل يقضي اكثر من نصف عمرهِ نائماً فيجب ان يستريح في نومهِ تمام الراحة من حيث لين الفراش وتمام الدفء . ولا بدَّ من الالتفات اليهِ من وقت الى آخر وهو نائم لئلاَّ يقع الغطاء عنهُ فيبرد او لئلاَّ يغطي فمهُ وانفهُ فيعيق تنفسهُ ويتعبهُ او يخنقهُ

وقد يقلق الطفل ويمتنع نومهُ ويكون سبب ذلك برغوث او بقة . وممَّا يوقظهُ ويتعبهُ الاصوات الشديدة التي يسمعها بغتةً ويقال ان اطفالاً ضعفاء سمعوا صوتاً فجائياً قويًّا فقتلهم . ولا يجوز رفع الطفل من سريرهِ بغتةً

ولا بدَّ من ان تكون الغرفة التي ينام فيها الطفل نقية الهواء مطلقتهُ واطلاق الهواء فيها لا يكلّف شيئاً ولا بدَّ منهُ للطفل لان الهواء النقي لازم لهُ كما هو لازم للبالغين . ولا يجوز ان يوضع في مجري الهواء



الاعتناء بالحملان

حينما يقرب وقت ولادة النعاج يؤْتى بها الى الحظيرة وتترك فيها وتراقب لئلاَّ تتعسَّر ولادتها والغالب انها لا تتعسَّر فتلد بالراحة ولكن اذا تعسَّرت وجب على الراعي ان يساعدها على استخراج الحمل . ومتى ولدت النعجة توضع هي وحملها في قسم خاص من الحظيرة ويقدَّم لها شيء من البرسيم او الدريس او نحوهما ويُعتنى بها كذلك ثلاثة ايام فقط . واما الحمل فيعتنى بهِ مدة اسبوع او اسبوعين ثم يترك مع امهِ ولا تحتاج النعجة ولا حملها عناية اخرى اذا كانت الولادة طبيعية والحمل طبيعياً في جسمهِ وخلقتهِ ولم يصب النعجة ولا حملها مرض على اثر الولادة ولا

قلَّ لبنها لسبب من الاسباب اما اذا حدث شيءٌ من ذلك فلا بدَّ من ان يعتنى بها وبهِ اعتناء خاصاً

وحينما يصير عمر الحملان بضعة ايام تشرع تأكل بعض الاوراق الطرية كاوراق الكرنب واوراق البرسيم فاذا اريد الاسراع في تسمينها لذبحها صغيرة وعمر الواحد منها عشرة اشهر يعتني بعلفها حتى يزيد الواحد منها نحو ربع رطل مصري كل يوم لأنها تذبح وثقل الواحد منها ٢٥ اقَّة هذا اذا كانت من الغنم الكبير الحجم اما الغنم المصري فلا يبلغ هذا الثقل مهما كبر وسمن لان حجمهُ صغير طبعاً

ويحسن بكل من يربي المواشي ان يكون عندهُ ميزان او قبَّان يزنها بهِ يوماً بعد يوم حتى يثبت لهُ انها تزيد وزناً ويعلم مقدار زيادتها والاَّ فان رآها لا تزيد او رآها تنقص ولم يرَ نقصاً في علفها ذبحها اذ لا فائدة من تعليفها وهي لا تزيد ثقلاً

ومتى صار عمر الحملان اسبوعين تطعم قليلاً من الرضَّة (النخالة) مع قليل من كسب بزر القطن وتوضع حيث تستطيع ان تصل الى العشب الاخضر او البرسيم وترعى ما يروق لها منهُ وتتبعها اماتها وتأكل ما بقي

ومتى بلغت الاسبوع العاشر او الثاني عشر من عمرها تفطم وتبعد عن اماتها وتنقل من مرعًى الى مرعًى وتطعم مع ما ترعاهُ علفاً يابساً كالرضة (النخالة) وجريش الحبوب وكسب بزر القطن . ولا بدَّ من ان يكون الماء النقي قريباً منها لتشرب وقتما تشاء ويكون على مقربة منها قطعة كبيرة من الملح لتلحسها كلما ارادت . ويجب ايضاً ان يكون لها مكان تستظلُّ فيهِ وقت حر النهار كشجرة غضَّة او خيمة او ما اشبه . والظل لازم للغنم ولكل المواشي ولا سيما في هذا القطر وهو الزم للخرفان الكبيرة منهُ للحملان

واهالي سورية يعلفون الحملان ولا يقتصرون على ما تأكلهُ بنفسها بل يطعمونها بايديهم ورق التوت وحدهُ او يضعون لها فيهِ حبوباً مغذية مثل الكرسنَّة ونحوها فتسمن كثيراً حتى لا تعود تستطيع المشي وهم في كل هذه المدة يعتنون بنظافتها فيغسلونها كل يوم مرةً او مرتين و يقصون صوفها حتى يسهل عليهم تنظيف بدنها وتقوم نساء الفلاحين الى تعليفها قبل الفجر فيبلغ وزن السمين منها اربعين اقةً او خمسين وقد يبلغ ستين اقة لكثرة العلف وقلة الحركة واذا ذُبح تجد هبرهُ ودهنهُ طريَّين جامدين يكادان يتكسران كسرًا لشدَّة جمودها وطراءتهما. ولم نذق لحماً اطيب من لحم الغنم المعلَّفة في جبال سورية . وتعليف الغنم والبقر موضوع كبير مهمٌّ جدًّا ولا بدَّ من ان نتوسع فيهِ في جزء تالٍ

الحشرات القشرية

كثيرًا ما نرى اغصان الاشجار وسوقها مغطاة بقشور صغيرة كالنمش اذا نزعتها وجدت تحت كل قشرة منها حيوانًا صغيرًا وقد يكون هذا الحيوان كبيرًا كالبق يظهر للعيان ويكون تحتهُ مادة بيضاء وهو اصفر اللون او برتقاليهُ . وانواع الحشرات القشرية كثيرة واشكالها مختلفة وكلها حيوانات دقيقة تمتص عصار الاشجار من قشورها واوراقها وقد تلصق بالاثمار ايضاً كما في انواع الليمون فتتلفها . فاذا كانت هذه الحشرات كبيرة كالتي اصابت اللبخ في الاسكندرية حديثاً فدواؤُها السائل الآتي

قلفونة	٣٠	رطلاً
صودا كاوي (فيهِ ٧٠ في المئة)	٩	ارطال
زيت السمك	٢	ارطال
ماء	٨٠٠	رطل

ضع القلفونة والصودا الكاوي وزيت السمك في اناء كبير وصب عليها نحو ٣٠٠ رطل من الماء واغلها على نار محتدمة نحو ثلاث ساعات ثم اضف اليها ماء سخناً قليلاً قليلاً وانت تحركها حتى يصير الماء الذي في الاناء اربع مئة رطل اي نصف الماء كلهِ وضع هذا المزيج في وعاء كبير لهُ مضخة واضف اليهِ بقية الماء البارد رويدًا رويدًا وانت تحرك المضخة حتى يمتزج الماء كلهُ ورش الاشجار بهذا الماء

وعندهم سائل آخر يستعملونهُ صيفاً حالما تولد الحشرات وهو مصنوع من ٤٠ رطلاً من البترول ورطل وربع من الصابون وعشرين رطلاً من الماء . يذاب الصابون اولاً في الماء بعد اغلائهِ ويرفع المذوّب عن النار ويضاف اليهِ البترول رويدًا رويدًا ويمزج بهِ جيدًا وهو يحرَّك بعنف حتى يصير كاللبن . ويمزج الرطل من هذا المزيج بسبعة ارطال من الماء ويضاف اليهِ ثلث رطل من الصابون الذي اذيب بقليل من الماء الغالي . ترش الاشجار بهذا المزيج وحرارتهُ ١٤٠ درجة بميزان فارنهيت

اما اذا كانت الحشرات صغيرة والقشور تغطيها تماماً كما يرى في ضربة الليمون والزيتون والازدرخت وما اشبه فانجع العلاجات فيها غاز الحامض الهيدروسيانيك ولكنهُ سام جدًّا لا يستطيع استعمالهُ الاَّ اصحاب البساتين الكبيرة الذين يقدرون ان ينفقوا نفقات طائلة على عمل الخيام التي تغطى بها الاشجار وقت استعمالهِ . وهو يستخرج بفعل الحامض الكبريتيك بسيانيد البوتاسيوم

ويختلف مقدار سيانيد البوتاسيوم والحامض الكبريتيك والماء حسب كبر الشجرة التي يراد تبخيرها بغاز الحامض الهيدروسيانيك كما ترى في هذا الجدول

ارتفاع الشجرة	قطر فروعها	الماء اللازم	الحامض الكبريتيك	سيانيد البوتاسيوم
٦ اقدام	٤ اقدام	اوقيتان	اوقية	اوقية
١٠ "	٨ "	٦ اواقي	٣ اواقي	٣ اواقي
١٢ قدماً	١٠ "	١٠ "	٥ "	٥ "
١٤ "	١٤ قدماً	١٦ اوقية	٨ "	٨ "
١٨ "	١٦ "	٢٠ "	١٠ "	١٠ "
٢٤ "	٢٠ "	٢٦ "	١٣ اوقية	١٣ اوقية
٣٠ "	٢٠ "	٢٨ "	١٤ "	١٤ "

وهذا الغاز سامٌ جدًّا لا يجوز لمستعملهِ ان يستنشقهُ مطلقاً فيقف في الجهة التي تهبُّ منها الريح لكي لا يصل اليهِ ولكن اذا بقي ضمن الخيمة برهةً وجيزة لا يعود ساماً لان بخار الماء يمتصهُ

اما الخيام التي تحاط بها الاشجار وقت تبخيرها فتدهن بمادة تسدُّ مسامها وتمنع خروج الغاز منها واحسن مادة لذلك عصير قروط الصبر تقطَّع هذه القروط وتوضع في برميل كبير الى ثلثهِ ويملأ ماءٍ وبعد اربع وعشرين ساعة يصفَّى الماء ويذاب قليل من الغراء في الماء ويضاف اليهِ ما يكفي من الترابة الصفراء او الحمراء التي تستعمل في عمل الدهان ليشتد قوامهُ ثم يدهن بهِ نسيج الخيام من جانبيهِ

تسميد القطن

نقلاً عن مجلة نقابة اتحاد مزارعي القطر المصري

القطن نبات كثير الكلفة ينتزع من الارض جانباً عظيماً مما بها من مواد الخصب فلا بدَّ له من السماد الكثير وقد أجمع الناس اليوم على لزوم تسميد (أرض) القطن وأدنى فلاح لا ينكر تأثير السماد على القطن بالزيادة في المحصول ولم يكن الامر كذلك في جميع الازمان فان الفلاح المعتاد على تسميد الادرة (الذرة) منذ الازمنة القديمة كان من منذ ثلاثين عاماً يعد من الجهل تسميد القطن ويعتبر من يشير بذلك جاهلاً لا يعوّل على قولهِ ولا يعبأ برأيهِ وقد فطن الى ضرورة هذه الطريقة وعمل بها اثنان من كبار الحكام لم يدرسا فن الزراعة

ولكنهما أُوتيا سعة العقل ونور الفكر ألاَ وهما دولتلو نوبار باشا في ابعاديتهِ الجميلة بشبرا ودولتلو رياض باشا في مزارعهِ التي ينسج على منوالها ويقتدى بها في محلة روح وبذلك زاد المحصول فبلغ بين ٨ و ٩ بل و ١٠ قناطير من الفدان أوجب ذلك تسبيخ القطن بسماد المزارع تدريجاً حتى أصبح اليوم اقل فلاح لا يتأخر عن ذلك متى كان لديهِ شيءٌ فاضل عن الحاجة من السماد

ولقد كان اقتداء الناس بعمل هذين البطلين مفيداً جداً من حيث تجهيز السباخ فانهم كانوا فيما سبق يجهزونهُ بوضع كميات قليلة من الطمي تحت البهائم وكان السباخ الذي ينتج عن ذلك لا يلبث ان تزول خواصهُ اذا بقي معرضاً للهواء المطلق شهوراً ثم صاروا من بعد ذلك يزيدون الشرب حتى صار السباخ اطول بقاء

ولكن مهما اعتني بتجهيز السماد فلا ينكر ان ما يتحصل منهُ غير كاف لارض تزرع ادرة وقطنا معاً و يتعين اذن التدبر في شيء يتحصل منهُ على مواد الاخصاب وها هو قد انتشر سماد البراز بحيث كثيراً ما تصرف بعض المصالح فيهِ لغاية ٢٠٠٠ جنيه و بسبب ذلك بعد ان كان محصول القطن بين ٣ و ٣ ونصف من القناطير اصبح يبلغ ٦ و ٧ قناطير واول من عمل السباخ البرازي بمصر هو الموسيو سيكار الكيماوي الفاضل وكان ذلك قبل الآن بنحو خمسة عشر عاماً وقد جد كثيراً و بذل كثيراً ولكنهُ لم يلقَ لبضاعتهِ رواجاً بل قوبلت بالرد واعرض عنها المزارعون وانكروا فائدتها ولو ان فريقاً منهم اشتروا منها قليلاً ولكنهم أهملوهُ ولم يستعملوهُ وأقام المذكور سنوات واعواماً يكافح هذا الصد وذلك الاعراض حتى مات من اليأس اذ رأى عملهُ لا نصيب لهُ غير التحقير فليس من العدل ان نبخل باحياء ذكرهِ بما هو أهله

وقد أحدث اقتداء الناس بكبار المزارعين في السباخ البرازي ما أحدثهُ من الاثر في سباخ البهائم وصار الاول اليوم سباخاً مطلوباً حينما مكنت طرق المواصلات من استجلابهِ بغير كبير نفقة في النقل واصبح محصول شركة (كيروسواج ترنسبور) غير قائم بايفاء الطلبات التي ترد عليهِ والدليل على ذلك تضاعف اثمانهِ ثلاثة اضعاف منذ ثلاث او اربع سنين وهذا ايضاً شاهد على تأثير الاسوة الحسنة التي كانت للمزارعين في مشاهير الرجال وهؤلاء واجب عليهم ان يبتكروا ما بهِ تتقدم الزراعة وعلى الناس ان يتبعوهم

هذا وان زراعة القطن يبلغ محصولها الآن في مصر اربعة قناطير من كل فدان وهذا يدل على انهُ باقٍ فرق كبير حتى يبلغ معدل المحصول في بعض الجفالك اعني ٧ و ٨ و ٩ ولا تدرك هذه الغاية الاَّ باتقان تهيئة الارض وزيادة السباخ وحيث ان كثيراً من الاباعد لا يتحصل منها على سباخ كافٍ ومن جهة اخرى طرق النقل كثيرة الكلفة نظراً لثقل السباخ

في الوزن فيجب التدبر في طريقة ثالثة لايجاد المواد المخصبة ونعني بذلك السباخ الكيماوي فان المزارعين الاوربيين يستعملونهُ في مساحات كثيرة فتبلغ محصولاتهم في الزيادة حدًّا لم يعهد في مصر وحيث ان الاوربي معروف بالاقتصاد ومع ذلك نراهُ يبذل ما عز في شراء السباخ فلا بد ان يكون وجد فيهِ مزية وفائدة ومن جهة اخرى تزايد استخراج السباخ المعدني وتزايد استعمالهِ سنة عن سنة يدلان على ان في استعمالهِ فائدة

وان يكن هذا العمل مفيدًا في اوربا فلا أرى ما يستوجب القول بان الامر ينعكس فيهِ في مصر وخصوصاً في وقت احتياج الزراعة لباب يحصل منهُ على سباخ كاف للزراعة القطنية وقد سار في هذا الطريق بالتوسع كثير من كبار المزارعين نخص بالذكر منهم سعادة بوغوص باشا نوبار وجناب برلس وزروداكي والكونت دي زغيب

وقد بيع في زراعة ١٩٠٠ — ١٩٠١ للمزارعين اكثر من ١٠٠٠ طنولاته من السبير فوسفات والسكوريا ومئات كثيرة من الطنولاته من سلفات النشادر ونترات السوده الكيمية وسلفات البوتاسه الخ وقد استعملت هذه المواد في زراعة القطن في الجهات التي كان سماد البهائم فيها غير كافٍ والذي يوضع في القطن ٣٠ طنولاته من السباخ ان كان من سماد المزارع فقط فان كان مختلطاً فيكفي ١٠ والتكلة تحصل من السباخ المعدني

وقبل الدخول في موضوع اختيار هذه الاسمدة وتقديرها كيماويًّا نرى من الضروري ان نجيب عن اعتراضين طالما اوردا وهما . هل تنتج عن استعمال السباخ الكيماوي زيادة في القطن تسد قيمة السباخ ويبقى بعدها ربح . والجواب عن ذلك نعم وقد جرب وليس في ذلك تردد فاني باستعمال السباخ الكيماوي زادت محصولاتي بين ١ و ٢ من القناطير ومن ذلك الوقت صار رجالي يوالون التردد عليَّ طالبين سباخاً كيماويًّا . واذكر ايضاً ان جناب الكونت دي زغيب تحصل من ابعاديتهِ التي بيلبيس ما بلغ ١١ قنطارًا عن كل فدان من مساحة قدرها ٤٨ فدانًا . والاعتراض الثاني هو . ألا يتعقب استعمال السباخ الكيماوي خسة في نوع القطن . والجواب عن ذلك اني جربت ذلك تجريباً مدققاً وسأبدي نتيجتهُ في مقالة آتية

ي . اغاتون

فائدة البرسيم في تقوية الارض

اهم العناصر الغذائية في الارض عنصر يقال لهُ النيتروجين ولا بدَّ لكل نبات يزرع في الارض من ان يأخذ جانباً من نيتروجينها فاذا اخذ كثيرًا منهُ قيل انهُ يفقر الارض واذا

اخذ قليلاً قيل انهُ لا يفقرها واذا ردَّ الى الارض اكثر مما يأخذهُ منها قيل انهُ يفيد الارض ويقويها . وقد وُجد بالامتحان انهُ اذا زُرعت الارض ذرةً اخذت الذرة ٦١ رطلاً من النيتروجين من كل فدان منها واذا زرعت قطناً اخذ القطن ٥٩ رطلاً من كل فدان منها واذا زرعت شعيراً اخذ الشعير ٤٣ رطلاً من كل فدان منها . فالذرة تفقر الارض اكثر من غيرها من هذا القبيل ولهذا تحتاج ارض الذرة الى خدمة كثيرة وسماد كثير . والقطن يفقر الارض اقل من الذرة واكثر من الشعير . والشعير يفقر الارض اقل من القطن واكثر من القمح . والقمح يفقر الارض اقل من الجميع

اما البرسيم فقد قلعت جذورهُ التي تبقى في الارض وحُلّلت فوجد فيها ٦٥ رطلاً من النيتروجين في كل فدان هذا في غير القطر المصري اما في القطر فلا يبعد ان يوجد فيها اكثر من ذلك لان خصب البرسيم عظيم جداً في هذا القطر ولان حرارتهُ تساعد نمو الميكروبات التي تأخذ النيتروجين من الهواء وتخزنهُ في ثآليل الجذور ولذلك فزرع البرسيم في الارض يفيدها جداً ولا سيما اذا رعتهُ المواشي في ارضهِ او اذا قطع قبل ان يزهر و يبزر . ومما يجري مجرى البرسيم في افادة الارض الفول والترمس والعدس والحمص والحلبة

ري مصر والسودان

من الفيكونت كرومر الى مركيز لنسدون في ١٩ يونيو سنة ١٩٠١

اتشرّف بان ارسل طيهُ التقرير الذي وضعهُ السر وليم جارستن وضمنهُ خلاصة ما يراهُ من امر البحر الابيض ونواصرهِ . ولهذا التقرير شأن كبير وفائدة عظيمة لان هذه اول مرة بحث فيها مهندس خبير بفن الهندسة المائية في اعالي النيل . وقد وصف في القسم الاول منهُ البحر الابيض و بحر الجبل وبحيرة نو وبحر الغزال وبحر الزراف والسُّبَت . وفي القسم الثاني السد والطرق التي مُهّد بها سبيل الملاحة في النهر. ثم انتقل الى مقدار الماء الذي ينصبُّ من النيل وهذه مسألة هامة جدًّا لان كل عمل كبير يراد الاخذ بهِ في المستقبل لاجل الري يُنظر فيهِ ولا بدَّ الى مقدار الماء الذي يمكن الاعتماد عليهِ . وما ذكرهُ السر وليم جارستن من هذا القبيل اتمُّ واصحُّ من كل ما ذُكر قبلهُ . والنتائج التي وصل اليها هي

اولاً . اذا طُهر بحر الجبل وازيل السد منهُ يبقى نحو نصف مائهِ ذاهباً ضياعاً في فصل الصيف لانهُ ينصبُّ في المستنقعات بين البور و بحيرة نو

ثانياً . ان بحر الغزال بمثابة خزان للماء لكنهُ لا يزيد الماء في البحر الابيض صيفاً ولا يزيدهُ

كثيرًا وقت الفيضان

ثالثًا . ان لنهر السبت شأنًا كبيرًا لانهُ ينصبُّ منهُ من شهر يونيو الى نوفمبر مقدار ما يرد من بحيرة فكتوريا و بحيرة البرت معًا . وينصب منهُ وقت التحاريق خمس ما ينصبُّ من البحر الابيض على الاقل

رابعًا . ان ايراد البحر الابيض عند الخرطوم قلما يزيد وقت الفيضان على ٤٥٠٠ متر مكعب في الثانية وقلما ينقص وقت التحاريق عن ٣٠٠ متر مكعب في الثانية

والى القسم الاخير من تقرير السر وليم جارستن احوّل التفات سيادتكم حيث يبحث عن الاساليب لاستخدام مياه النيل في المستقبل

وسنصل قريبًا الى ما يمكن ان يسمَّى بالدرجة التمهيدية لاستخدام ماء النيل كلهِ . وقبل الكلام على المستقبل اصف اعمال الماضي بالاختصار الاعمال التي بُذِلت العناية في اتمامها مدة سنين كثيرة

في ختام هذه السنة تكون الحكومة المصرية قد انفقت على اعمال الري والصرف اكثر من سبعة ملايين جنيه مبتدئة من سنة ١٨٨٥ وربَّ سائل يقول ماذا استفادتهُ مصر مقابل انفاق هذا المال الطائل

والجواب اولاً ان القناطر الخيرية التي انشأها مهندس فرنسوي ماهر اهتمَّ بها السر كولن سكوت مونكريف سنة ١٨٨٦ وانفق عليها ٤٦٥٠٠٠ جنيه فجعلها صالحة لما أُنشئت لهُ

ثم بني امامها حبسان أُنفق عليهما ٤٨٦٠٠٠ جنيه لكي تستطيع رفع الماء الكافي للري الصيفي

ونتج عن اصلاح هذه القناطر ان تضاعف محصول القطن في الوجه البحري اي ربحت البلاد خمسة ملايين جنيه كل سنة على الاقل . وقلَّ ما يلزم لتطهير الترع . اما الحبسان ففي السنة الماضية وهي الاولى بعد اتمامهما حفظا موسم القطن وقتما بلغ النيل من الهبوط ما لم يبلغهُ قبلاً

وثانيًا أُنفق ٦٧٣٠٠٠ جنيه على اعمال أُخرى مختلفة اهمها انشاء قناطر حوض قشيشة في الوجه القبلي والرياح التوفيقي لري القسم الشرقي من الوجه البحري . وقد استفادت البلاد من هذه الاعمال فوائد لا تقدَّر

وثالثًا أُنفق ٧٧٢٠٠٠ جنيه على الاعمال اللازمة لري الشراقي حينما يكون الفيضان واطئًا . وقد تمَّت هذه الاعمال الآن . وتظهر نتيجتها من انهُ لم يتخلَّف من الشراقي سنة ١٨٩٩

سوى ٢٦٤٠٠ فدان وقد تخلّف سنة ١٨٧٧ التي كان فيضانها اعلى من فيضان سنة ١٨٩٩ اكثر من ٨٠٠٠٠٠ فدان

ورابعاً أُنفق نحو مليون جنيه على المصارف فصارت اراضي كثيرة تأتي بمحصول وافر بعد ان كانت سباخاً لا تصلح لشيء وكانت الاموال الاميرية التي تتأخر كل سنة كثيرة فلم يعد يتأخر الآن شيء يذكر

وخامساً ان الخزانين الكبيرين في اصوان واسيوط اللذين رسمهما المستر ولكوكس يرجح ان يتما ويصيرا صالحين للاستعمال في الصيف التالي وستبلغ نفقاتهما نحو ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه

وخزان اصوان يخزن بهِ الماء بعد ما ينتهي زمن الفيضان فيمدُّ بهِ النيل في الصيف ويُستخدَم جانب كبير من هذا الماء المخزون لاراضي الحياض في المنطقة المتوسطة فان لهذه الاراضي محصولاً واحداً الآن لانها تزرع نيلياً فقط اما في المستقبل فيصير لها محصولان اي انها تصير تزرع نيلياً وصيفياً . وتوضع الآلات الرافعة فيتّسع بها نطاق زراعة القصب . ويحيا كثير من الارض الموات في الفيوم والوجه البحري

وخزان اسيوط يرفع منسوب الماء فتجري الزيادة في الترعة الابرهيمية وعليها الاعتماد في تحويل ري الحياض الى ري صيفي ويزيد الماء في بحر يوسف الذي تروى منهُ مديرية الفيوم

وقد انفق ٦٦٣٠٠٠ جنيه فوق الثلاثة ملايين الجنيه لاجل انشاء الترع والمباني اللازمة لتحويل ري الحياض الى ري صيفي

وقد ابتدأ العمل في قناطر زفتة والمرجح انها تتم سنة ١٩٠٢ وتقدَّر نفقاتها ٤٥٠٠٠٠ جنيه وهي تفيد الجزء الشمالي من الوجه البحري كما استفاد الجزء الجنوبي من القناطر الخيرية فتقسم الترعة من الترع الكبيرة التي طول بعضها مئة ميل الى قسمين كل قسم منها يأخذ الماء من فوق قناطرهِ فيسهل توزيع الماء كثيراً بسبب ذلك

وحينما تنتهي هذه السنة تكون الاعمال المشار اليها آنفاً قد تمّت كلها او قاربت التمام . ويلزم لاتمام قناطر زفتة ٤٢٠٠٠٠ جنيه ولاتمام الاعمال اللازمة للري في الوجه القبلي بعد بناء الخزان ٤٠٠٠٠٠ جنيه عدا ما يلزم لاتمام الخزان . ويحسن ان ينفق ايضاً مبلغ ٤٠٠٠٠٠ جنيه على المصارف والجملة ١٢٢٠٠٠٠ جنيه

ولا صعوبة في اخذ المال اللازم لقناطر زفتة واعمال الري من المال الاحتياطي العمومي في مدة سنتين او ثلاث . واعمال المصارف يمكن تمديدها على عدة سنوات

ولذلك قد حان الوقت للنظر في امر النيل في البلاد الخارجة عن القطر المصري

والمشروعات التي يمكن ان يعمل بها . وغنيٌّ عن البيان انهُ لا بدَّ من البحث الدقيق في هذه المشروعات قبل الاقرار على شيء نظرًا الى ما يمكن ان ينتج عنها من النفع الكبير او الضرر الكثير ولعظم النفقات التي تقتضيها

كل من ينظر الى خريطة افريقية يرى ان بحيرة فكتوريا وبحيرة البرت هما خزَّانا البحر الايض كما ان بحيرة صنا في بلاد الحبش هي خزَّان البحر الازرق . ولكن الفرق كبير بين ما يراه المرء من غير بحث ولا روية وبين ما يصل اليهِ بعد البحث والتنقيب . وقد وقف السر وليم جارستن نفسهُ للبحث في هذا الموضوع مدة السنوات الثلاث الاخيرة ويستطيع الآن ان يظهر النتيجة التي اوصلهُ اليها درسهُ وبحثهُ . ولا يستطيع حتى الآن ان يشير بامر قطعي ولكنهُ ابان الطرق التي تفيد زيادة البحث فيها . واثبت مزية بعض الاساليب على البعض الآخر

ولا بدَّ للحكومة المصرية من ان تسترشد بآراء مشيريها في امر مثل هذا . ولا احسن لها من اتباع مشورة السر وليم جارستن فانهُ ادار اعمال الري مدة سنوات كثيرة — الاعمال التي رقَّت مصر من حال الإفلاس الى حال لا يكاد يوجد لها مثيل في النجاح . ولا اعلم انهُ اخطأ في امر واحد رغمًا عن المصاعب الفنيَّة الكثيرة التي حلَّها الماجور برون والمستر وب وغيرهما من رجالهِ الاكفاء . والمعلومات التي عندهُ الآن تمكنهُ من ان يتكلَّم عن كل ما يتعلق بالنيل كلام الثقة الخبير

ولا بدَّ من ان تدور المناقشة في تقرير السر وليم جارستن بعد نشرهِ وستكون هذه المناقشة مفيدة جدًّا . ويجب ان لا يبرح من الاذهان ان المعلومات الكاملة التي لا يستطيع المهندس الثقة ان يبني حكمهُ الاَّ عليها لا تزال غير موجودة وانهُ ما دامت هذه المعلومات غير موجودة على اسلوب يرضي السر وليم جارستن فلا يحتمل ان يقرّ القرار على شيء من هذا القبيل

وكثير من الادلَّة التي اقامها السر وليم جارستن واضح حتى لغير العارفين بالمسائل الهندسية وهي تظهر لي مقنعة تمام الاقناع من حيث الاسلوب الذي اختارهُ بنوع عام ستأتي البقية

موسم القطن

وردت الاخبار ان موسم اميركا ليس على ما يرام فان القيظ الشديد اضرَّ بهِ ثم وقع مطر غزير في بعض الاماكن فاضرَّ بهِ ايضًا ونحن نكتب هذه السطور وثمن القطن الاميركاني آخذ في التحسُّن . اما القطن المصري فموسمهُ جيد جدًّا على ما يظهر حتى الآن واسعار الكنتراتات حين كتابة هذه السطور في ٢٢ اغسطس تسعة ريالات و٧/٨ الريال لنوفمبر و ١٠ ريالات لمارس ويباع القطن الجديد بنحو ٢٣٠ غرشًا

باب التقريظ والانتقاد

كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول

ألّف هذا الكتاب جناب الامير امين ارسلان قنصل جنرال الدولة العلية في بروكسل المعروف في هذا القطر برسائلهِ التي كان يكاتب بها المقطم . قال في مقدّمتهِ انهُ رأى حاجة اللغة العربية الى كتاب في السياسة يبحث في حقوق الملل ومعاهدات الدول مما احدثهُ التمدّن الحديث ولا يليق بامّة متمدنة ان تجهلهُ فعمد الى تأليف كتاب في هذا الموضوع اعتمد فيهِ على ثقات فلاسفة العمران وخيرة علماء السياسة وقسمهُ اربعة اقسام رابعها في الاختلافات وطرق صلحها والحرب برًّا وبحرًا . وبادر الى نشر هذا القسم اولاً لحدوث الحرب بين انكلترا والترانسفال ولهج الجرائد بذكر اسبابها واختلاف الاقوال في شرعيتها فنشرهُ فصولاً متوالية في مجلة الهلال الغراء . وقد جُمعت هذه الفصول الآن ونشرت في كتاب واحد فيهِ ١٣٠ صفحة كبيرة احسن المؤلف في رصفها وتفصيلها حتى لا يكاد يخطر موضوع بالبال مما يتعلق بحقوق المتحاربين وغيرهما من الملل التي يمسها حربهما الاَّ وفيهِ كلام مسهب او موجز . وحبذا لو اسند بعض ما ذكرهُ الى المصادر التي اخذ عنها ولا سيما القضايا الخطيرة حتى تقوى ثقة الكتّاب على الاستشهاد بها كقولهِ في الصفحة ٩ "ومن غريب التلاعب السياسي انهُ قبل ان شبّت الحرب (بين روسيا والدولة العلية) طلب صفوت باشا من الدول الاوربية وساطتها وفقاً للبند الثامن من معاهدة باريس فاعارت الدول اذناً صمّاء واجابت انها تبقى على الحياد مما يدلّ على ان السياسيين لا يخافون منكرًا عند غاياتهم السياسية ولا يحترمون معاهدة ولا توقيعاً" . ولعلهُ كتب ذلك قبل ان انتظم في سلك السياسيين . وقد اوضح كثيرًا مما ذكرهُ بامثلة قديمة وبعضهُ بامثلة حديثة مألوفة . والظاهر ان اكثر نقلهِ عن المصادر الفرنسوية او ما يماثلها كقولهِ في الكلام على عدالة الحرب "واي شاهد لدينا اعظم من حرب الترانسفال الحاضرة فان انكلترا هي التي رغبت بها وما زالت تتحرّش بالترانسفال حتى اضطرتهم اخيرًا الى اشهارها ولما طلب كروجر وستاين السلم من اللورد سالسبري كان جوابهُ انهما البادئان بالعدوان ... فتأمل" . ونحن نكرّر كلمة "تأمل" مرارًا بدليل ما ظهر من استعداد انكلترا لهذه الحرب وعدم استعداد الترانسفال التي على صغرها حاربت مئتين وخمسين الفاً من الجنود البريطانية سنتين ولم تنفد ميرتها ! . ولكن قضي على الشرقيين ان يشربوا كراهة الانكليز مع اللبن بما يُنقل الى لغتهم وينشر في

جرائدهم حتى يستحكم النفور في النفوس وتشتد الضغائن ويخسر الشرقيون عند كل احتكاك كما يخسر كل ضعيف احتكَّ بقوي

وثمن النسخة من هذا الكتاب خمسة غروش وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

الكوخ الهندي

رواية فلسفية من تأليف الكاتب الشهير برناردين دي سان بيير . يقال ان نبوليون الاول كان شديد الاعجاب بها حتى انهُ كان كلما لقي برناردين مؤلفها يقول لهُ متى تكتب لنا كوخاً هندياً آخر . نقلها الى العربية حضرة رصيفنا الفاضل فرح افندي انطون منشىء مجلة الجامعة الغراء ونشرها فيها فصولاً متوالية ثم نشرها في كتاب على حدتهِ وقدَّم لها مقدمة مسهبة ذكر فيها ترجمة المؤلف ويؤخذ منها انهُ كان فقيراً قبلما ظهرت نفثات اقلامهِ وقابلتها الامة الفرنسوية بالثناء والمال . والثناء بلا مال " قلما يجدي نفعاً فسعى لهُ رئيس اساقفة اكس فمنحتهُ الحكومة راتباً قدرهُ الف فرنك وعينت لهُ احدى الجرائد ٦٠٠ فرنك والدوق دورليان ٨٠٠ فرنك واحد اقلام الحكومة الف فرنك وربح من كتبهِ اول مرة ستة آلاف فرنك فاكتفى واستطاع التفرُّغ للتأليف " . ثم قال المعرب ان خيرة كتبهِ الكوخ الهندي وبولس وفرجيني ووعد بترجمة الكتاب الثاني الى العربية . ونرجح اننا قرأنا هذا الكتاب فيها منذ بضع وعشرين سنة فلا يتعب بترجمتهِ . اما رواية الكوخ الهندي فالظاهر ان حضرة المعرب اختصرها لانها لا تزيد على ٧٨ صفحة صغيرة لكنهُ ابقى على كل ما فيها من الفوائد الادبية والاجتماعية

مجلة

نقابة اتحاد مزارعي القطار المصري

يظهر لنا ان الجمعية الزراعية الخديوية دعت الى انشاء جمعية اخرى زراعية جعلت عنوانها " نقابة اتحاد مزارعي مصر " وقالت ان من مواضيعها رعاية صالح الفلاحة المصرية من الوجهتين الاقتصادية والعمومية وبث فن الزراعة وما يرتبط بهِ من العلوم الاخرى خصوصاً ما تعلق منها بالطرق العقلية التي يجوز ان تتبع في الزراعة المصرية . وقد اصدرت هذه النقابة مجلة زراعية رأينا منها النسخة العربية فوجدناها كثيرة المواضيع المفيدة حسنة الانشاء يكتب مقالاتها رجال اكفاء في المواضيع التي يكتبون فيها ثم تفرغ في قالب عربي كما يرى في المقالة التي نقلناها عنها في باب الزراعة وموضوعها تسميد القطن . فنتمنى لهذه الجمعية ولهذه المجلة تمام النجاح

غادة كربلاء

رواية تاريخية غرامية وهي الحلقة الخامسة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام التي وضعها حضرة رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان منشىء مجلة الهلال الغراء تتضمن ولاية يزيد بن معاوية وما جرى فيها من الحوادث الفظيعة وافظعها مقتل الامام الحسين واهل بيتهِ في سهل كربلاء . واكثر ما ورد فيها من الحوادث مسند الى من ذكرهُ من كتَّاب العرب كابن الاثير والمسعودي والفخري والدميري . وقد نشرت تباعاً في مجلة الهلال ثم نشرت على حدة في كتاب كبير فيهِ ٢٢٤ صفحة ووعد حضرة المؤلف بان يتبعها بالحلقة السادسة ويختار لها اهم نقط التاريخ التي عقبت موت يزيد . وثمنها عشرة غروش صاغ وتطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

مفتاح المحادثة

في اللغتين العربية والبرازيلية

قضي على ابناء سورية ان يتفرقوا تحت كل كوكب فاضطرهم الاغتراب الى تعلُّم لغات الاقوام الذين نزلوا بينهم حتى اللغة البرازيلية . والظاهر ان المهاجرة الى برازيل آخذة في الازدياد فقد وضع احدهم الاديب يوسف افندي لطفي كتاباً مختصراً لتعلُّم اللغة البرازيلية حتى يذهب ابناء سورية الى تلك البلاد ولهم المام بلغة اهلها وهو كلمات وجمل مكتوبة بحروف رومانية وعربية ومترجمة بالعربية . وجانب من الكلمات مرتب على حروف المعجم وجانب حسب المواضيع المختلفة . والجمل مما يضطر الى معرفتهِ المهاجرون الى تلك البلاد . والكتاب يطلب من حضرة مؤلفهِ في بيروت وثمنهُ فرنكان

نبذة في الملاريا

انشأ هذه النبذة صديقنا الفاضل الدكتور بشاره منسّي بيّن فيها السبب الحقيقي لانتشار هذه الحمَّى وهو البعوض المعروف بالانوفلس الذي ينقل العدوى من المصاب الى السليم على ما اكتشفهُ العلماء حديثاً وما ذكرناهُ مراراً في المقتطف . وقد رسم فيها هذا البعوض حتى يظهر الفرق بينهُ وبين البعوض العادي . وذكر اعراض الحمي الملارية وطرق علاجها بالتفصيل . ولا شبهة في ان اتقاء الامراض مقدَّم على علاجها والناس يتعلمون طرق الاتقاء بنشر المقالات والكراريس التي ترشدهم الى اسباب الامراض وكيفية توقّيها

باب المسائل

(١) زمن خلق آدم

جكسن بولاية مسوري باميركا . الخواجه رشيد ابو ريحان . كم سنة من حين خلق الله آدم الى الآن

ج يُرى في حواشي التوراة العربية المطبوعة في المطبعة الاميركية في بيروت ان خلق آدم كان قبل التاريخ المسيحي باربعة آلاف واربع سنوات تبعاً لحساب رئيس الاساقفة اشر . ومن التاريخ المسيحي الى الآن ١٩٠١ فالجملة ٥٩٠٥ سنوات . والقسم الثاني من هذا التاريخ اي من بداءة التاريخ المسيحي الى الآن مدقق نوعاً واما القسم الاول ففيه اختلاف كثير فان اليهود يجعلونهُ ٣٩٩٢ سنة والسمرة ٣٢٩٣ سنة والتوراة السبعينية ٥٢٢٨ سنة . ومن المؤكد الآن ان عمران بابل ومصر ابتدأ قبل المسيح باكثر من اربعة آلاف سنة وفي آثار الانسان بقايا كثيرة تدل على انهُ عمَّر المسكونة قبل المسيح باكثر من ثمانية آلاف سنة وانهُ وُجد فيها قبل ذلك بالوف كثيرة من السنين . ولا يطمع العلماء ان يحلّوا مسألتكم حلاًّ علمياً مدققاً

(٢) امرأة قايين

ومنهُ . من هي امرأة قايين وما هي البلاد التي توجَّه اليها

ج هاتان المسألتان من المسائل الكثيرة التي بذل الشرَّاح جهدهم في تفسيرها فلم يرووا غليلاً . وذهب البعض منهم الى ان آدم فرد من افراد الناس او جدُّ القبيلة التي منها اليهود وان الارض كانت معمورة قبلهُ بامم كثيرة فيسهل مع هذا الزعم تفسير زواج قايين بامرأة غير اختهِ وقولهِ كل من وجدني يقتلني ولكن تقوم مصاعب اخرى يتعذَّر حلها اذا فُهم الكتاب على ظاهرهِ

(٣) زرع الكستنا

برج صافيتا سورية . ميخائيل افندي بشور . اي ارض تصلح لزرع الكستنا وفي اي وقت تزرع وما هي طرق خدمتها

ج كل اراضيكم الجبلية تصلح لزرع الكستنا لانهُ يجود في الاراضي الخفيفة التي اسافلها جافَّة اي ليست سبخة ولكن اقليمكم لا يصلح لهُ لانهُ حارٌّ نوعاً وهو يجود في الاقاليم الباردة كاواسط اوربا او الجبال الباردة ولو كانت في اقليم حارٍّ نوعاً كاقليمكم . ويزرع في اوائل فصل الشتاء في اتلام البعد بين التلم والذي يليهِ قدم ونصف وبين البزرة والتي تليها ربع قدم وتطمر البزور بالتراب حتى يعلو عليها نحو اربع سنتمترات . وحينما يصير عمر النبات سنتين يقلع وتقص رؤُوس جذورهِ

ويزرع صفوفاً والبعد بين كل صف وما يليهِ نصف قدم وبين كل نبتة والتي تليها نصف قدم ايضاً لكي تنمو مستقيمة حتى اذا مرَّ عليها سنتان في هذه الصفوف يصير ارتفاع كل نبتة نحو ثلاث اقدام فتقلع وتزرع في الاماكن التي يراد ان تستقر فيها . وهي تنقل من اواخر الخريف الى اوائل الربيع . والكستنا التي ترسل الى بلادنا تجفَّف في فرن غالباً قبل ارسالها تسهيلاً لنقلها فلا ينبت منها الاَّ القليل ولذلك يجب على الذين يريدون زرع الكستنا ان يجلبوها من بلادها غير مجففة او يكتفوا بالقليل الذي نبت منها . وقد زرعنا بزورها في بيروت فلم ينبت منها الاَّ واحدة ورأينا منها اشجاراً نامية في برمانا بلبنان . ثم ان الكستنا اصناف مختلفة فتطعَّم بعد ان تكبر باجود اصنافها

(٤) تلميع الثياب المكواة

بغداد . داود افندي فتو . ما هو المركَّب الذي يستعملهُ الافرنج عند كي قمصان الكتان حتى يظهر لها لمعان كثيرة . وقد اخبرنا بعض الذين زاروا البلاد المصرية ان في مصر اناساً يكوون الثياب بعد ان يضيفوا الى النشا مركباً ابيض فتظهر لامعة كالتي تأتي من اوربا

ج ان المركَّب الذي تلمع بهِ الثياب المنشاة مؤلف من عشرين درهماً من السبرمشيتي وعشرين درهماً من الصمغ العربي وعشرين درهماً من البورق و ٥٠ درهماً من الغليسرين ومئتي درهم من الماء . تضاف اربع ملاعق من هذا المزيج الى خمسين درهماً من النشا ويستعمل النشا مغلياً . والذين يكوون لنا في مصر يقولون ان عندهم مكواة محنيَّة من اسفلها كالقوس فيدعكون بها الثياب المنشاة مراراً حتى تلمع اما النشا فيضيفون اليهِ البورق Borax لا غير هكذا : يأخذون اوقية من البورق لكل رطل من النشا ويذيبون البورق بقليل من الماء على النار ويمزجون النشاء بقليل من الماء ويعجنونهُ بهِ جيداً ثم يضيفون اليهِ مذوَّب البورق ويمزجونهُ بهِ ويضيفون اليهِ ماء رويداً رويداً وهم يدعكونهُ حتى يصير كاللبن الحليب فيغطون الثياب فيهِ ويدعكونها جيداً ثم يكوونها

(٥) كتب اليهود

دمشق الشام . السيد عبد الجليل القصري . رأيت في بعض الكتب الحديثة يقول جامعها "وعندي الآن مكتبة على حدة مملوءة من كتب اهل الكتابين" اما كتب النصارى فلا نزال نراها منتشرة متنوعة الاساليب في فنون شتى والى الآن لم نرَ من كتب اليهود مصنفات كذلك . فاذا كنتم اطَّلعتم عليها فما هي وما اسماء النفيس منها

ج لم نطَّلع على غير التوراة من كتب اليهود وتاريخ يوسيفوس . وعندهم كتب كثيرة من نوع التفاسير والاحاديث

والتواريخ والقواميس وكتب الشعر والطب والفلسفة كالمشنى او المثنى (ويقال ان كلمة مثاني العربية منهُ) وقد نقحهُ اخيرًا يهوذا الحنسي في مدرسة طبرية سنة ٢٢٠ للميلاد وهو ست اقسام او صُدَر الاول في الزراعة والثاني في الاعياد والثالث في النساء والزواج والطلاق والرابع في الجرائم وفيهِ قوانين الشرائع المدنية والجزائية والخامس في المقادس والذبائح والسادس في الطهارات والنجاسات

والجمار او هو شرح المثنى . والتلمود وهو نوعان الغربي الذي أُلِّف في طبرية والبابلي الذي أُلِّف في بابل . والاول شرح وحواش للاقسام الخمسة الاولى من المثنى بدئ بجمعهِ في مدرسة يوحنان بطبرية سنة ٢٧٩ للميلاد وتمَّ على مايرجح في آخر القرن الرابع اما البابلي فلم يتم جمعهُ حتى اواخر القرن الخامس وجامعهُ ربي اشا رئيس مدرسة صورا في بابل جمعهُ في ثلاثين سنة وكان يعاونهُ في مقابلتهِ وتنقيحهِ عشرة كتَّاب . وقد ضاع جانب من هذا الكتاب الآن والموجود منهُ يملأُ ٢٩٤٧ صفحة كبيرة مما قطعهُ مضاعف قطع المقتطف

هذا من حيث الكتب القديمة اما الحديثة فكثيرة جدًّا لأن لليهود مقامًا رفيعًا بين علماء اوربا في كل العلوم العقلية والنقلية واكثر اساتذة المدارس الكبرى في المانيا وفرنسا يهود او من اصل يهودي ومنهم نيندر المؤرخ وويل وبنفي واوبر واللغويون وڤالنتين الفسيولوجي ومن الاسماء المشهورة عند قرَّاء المقتطف دارمستاتر وسلفستر وملدولا ومنهم كثيرون من كبار الموسيقيين والمصورين والنقاشين فضلاً عن رجال المالية

وقد شرع احد علماء اليهود الآن في جمع انسكلوبيذيا كبيرة سمَّاها الانسكلوبيذيا اليهودية في اثني عشر مجلدًا كبيرًا واخذ في طبعها ونشرها بيت اميركي اسمهُ فنك ووغنولس Funk and Wagnalls وستبلغ نفقات تأليفها وطبعها مئة وعشرين الف جنيه واسم المؤلف الاول الدكتور ايسيدور سنجر يساعدهُ اكثر من اربع مئة من العلماء وسيكون في هذا الكتاب ثمانية آلاف صفحة والفا صورة وبعضها ملوَّن

(٦) التحنيط

سنورس . عزيز افندي ابرهيم . قرأت في احد الكتب التاريخية الانكليزية ان التحنيط عند المصريين القدماء كان كما يأتي : يحشى الرأس بالعقاقير الطبية والبهارات ويشوى الجسم كلهُ ويوضع في محلول ملح البارود مدة سبعين يومًا ثم يربط ربطًا وثيقًا بعصابات كتانية مصمغة ومعطرة . وقرأت ايضًا في بعض المجلات العربية عن مواد أُخرى للتحنيط وان عند الايطاليين مواد تحفظ الجسم قرونًا كثيرة صلبًا كالحجر فهل ذلك كلهُ صحيح وان كان صحيحًا فلماذا بطلت

عادة التحنيط الآن

ج اكثر ما تقدَّم صحيح وسننشر مقالة مسهبة عن التحنيط في جزء تالٍ . وقد قلَّ استعمال التحنيط الآن اذ لا داعي له فان قدماء المصريين كانوا يحنطون موتاهم لسبب ديني اما الآن فلم يعد الناس يعتقدون اعتقادهم فزال هذا السبب

(٧) شجر التالبوت

ومنهُ . ما هي شجرة التالبوت التي توجد في سيلان

ج هي شجرة من فصيلة النخل تصنع من سعوفها المراوح ونوع من الورق

(٨) انتخاب رئيس الولايات المتحدة

ومنهُ . نرجو ان تشرحوا لنا كيفية انتخاب رئيس الولايات المتحدة الاميركية وكيف يتفق سكان نيوهمشير مثلاً التي هي في الشمال الشرقي مع سكان كاليفورنيا التي هي في الجنوب الغربي على شخص واحد ربما يكون من اواسط الولايات ولا معرفة لاحدهما بهِ

ج ان الذين ينتخبون الرئيس هم المنتخبون لا اهالي البلاد كلهم وعدد هؤلاء المنتخبين في كل ولاية بقدر عدد نوابها في مجلس النواب ومجلس الشيوخ وينتخبهم كل الذين لهم حق بالانتخاب في ولايتهم وهم كل بالغ عمره اكثر من ٢١ سنة . ويجتمع منتخبو كل ولاية يوم الاربعاء الاول من شهر دسمبر ويصوّت كلٌّ منهم لمن يختاره رئيساً (ولا داعي لان يعرفهُ شخصياً لان الجرائد تكون قد ذكرت المرشحين واطنب كل حزب في فضائل مرشحهِ وجال المرشح وانصاره في الولايات يرغّبون الناس فيهِ) وتجمع اصواتهم ويكتب منها ثلاث نسخ ترسل نسخة منها الى نائب الرئيس في مركز الحكومة واذا لم يوجد فالى ناظر الداخلية ونسخة الى رئيس مجلس الشيوخ ونسخة الى قاضي الجهة التي اجتمع فيها المنتخبون. ثم يجتمع مجلس النوّاب يوم الاربعاء الثاني من شهر فبراير وتفتح حينئذٍ نسخ الانتخاب وتعدُّ الاصوات. ويجري ذلك في انتخاب الرئيس ونائبهِ ويجب ان يكون عمر كلٍّ منهما ٣٥ سنة على الاقل وان يكون مولوداً في الولايات المتحدة

(٩) المبارزة

ومنهُ . هل تسمح الحكومات الاوربية بالمبارزة ولماذا لا تعدها مخالفةً للقانون اذ يُعدم الواحد حياة الآخر على مشهد من الناس

ج لا يمنع المبارزة منعاً قانونياً الآن الاَّ انكلترا وتمنعها المانيا ايضاً على غير الجنود وهي ممنوعة من فرنسا لا بقانون خاص بل بالقانون العام اي يعاقب من يجرح غيرهُ او يقتلهُ من المتبارزين كما يعاقب من اعتدى على غيرهِ فجرحهُ او قتلهُ ويعاقب شهودهُ كمشاركين لهُ في الجناية . والدول الاوربية التي تغضُّ الطرف عنها لا تعدها مخالفة للقانون لانها لم تمنعها بقانون حتى الآن



مؤتمر السل وعدواه

افتتحنا هذا الجزء بخطبة الدكتور كوخ التي اقامت علماء الطب واقعدتهم وشغلت افكار رجال السياسة لئلاَّ يكون كل ما يعانونهُ في فحص اللحم واللبن عناءً فارغًا وتضييقًا لا موجب لهُ. واتبعنا هذه الخطبة بما وصل الينا



اللورد لستر



الدكتور كوخ .

يوم نشرها من كلام اللورد لستر الذي كان في كرسي الرئاسة وقتما القى الدكتور كوخ خطبتهُ . ثم اطَّلعنا على كلام اللورد لستر كلهِ الذي عقَّب بهِ على الخطبة فاذا هو يعترض على الدكتور كوخ بان لقاح الجدري قلما يفعل بالبقر اذا أُخذ من البشر ولكن لقاح جدري البقر يفعل بالبشر. فاذا لم يفعل سل البشر بالبقر فمن المحتمل ان يكون سبيلهُ كسبيل جدري البشر الذي لا يفعل بالبقر وان يكون سل البقر فعَّالاً بالبشر كما يفعل جدري البقر بالبشر. وقال ان الدكتور منكمتون كوبمان لما عجز عن نقل جدري البشر الى البقر نقلهُ اولاً الى القرد ثم نقلهُ من القرود الى البقر ففعل بها . ويظهر لنا انهُ اذا جرى ميكروب السل مجرى عدوى الجدري تمامًا فانتقل من البقر الى البشر بالتطعيم فلا يبعد ان يفيد البشر وقاية من السل كما يفيدها طعم الجدري البقري وقايةً من الجدري البشري

وانتقد اللورد لستر الدليل السلبي الذي جاء بهِ الدكتور كوخ لتأييد مذهبهِ وهو قلَّة آثار السل المعوي في الاطفال مع كثرة ما يبتلعونهُ من ميكروب السل مع اللبن الذي يشربونهُ بان السل الماسيريقي غير قليل في الاطفال

وهو يدل على ان ميكروب السل خرق اغشية الامعاء المخاطية من غير ان يبقي فيها عاهةً ظاهرة واستقرَّ في الغدد المساريقية كما يخرق ميكروب التيفويد الغشاء المعوي المخاطي احياناً من غير ان يبقي فيهِ عاهةً ظاهرة . وما يحدث في التيفويد لا يبعد حدوثهُ في السل وان صحَّ ذلك بطل اقوى دليل من ادلَّة كوخ . اما ما ذكرهُ كوخ من انهُ طعَّم العجول من مواد مأخوذة من غدد الاطفال المصابين بالسل فلم نصب بهِ فالتجارب التي اجراها من هذا القبيل قليلة كما قال لا يبنى عليها حكم . ويحتمل ان يتنوَّع ميكروب السل بدخولهِ جسم الانسان ولو كان اصلهُ من البقر

هذه خلاصة ما ذكرهُ اللورد لستر معترضاً على الدكتور كوخ . وكل ما اعترض بهِ غيرهُ في المؤتمر لا يخرج عن ذلك

ولما وصل كلام الدكتور كوخ الى المانيا سئل عنهُ الدكتور هبنر والدكتور فركو الشهيران فقال الاول انهُ يوافق الدكتور كوخ في ما قالهُ عن عدم انتقال السل بالوراثة لان اختبارهُ كلهُ مؤيد لذلك ويوافقهُ ايضاً في ان انتقال السل من البقر الى البشر قليل جداً ولكن لم يحكَم الحكم البات في المسألتين حتى الآن. وقال الثاني اني ناقضت القائلين بانتقال السل بالوراثة منذ سنين كثيرة ولكني لا اوافق كوخ بنوع عام لانهُ لم يعبأ بما اثبتتهُ اللجنة الصحية التي عينتها حكومة الدنمارك فانها جعلت مدار بحثها على سل البقر وكيفية انتقالهِ الى البشر واثبتت انتقالهُ بعد بحث مدقق . وعلى نتائج بحثها بُنيت اوامر الكورنتينا المشددة . ولما كانت النتائج التي وصلت اليها تلك اللجنة مخالفة للنتيجة التي وصل اليها الاستاذ كوخ فالمسألة باقية في حيز البحث والنظر

ملك الانكليز ومؤتمر السل

لما مثَل اعضاء مؤتمر السل لدى جلالة ملك الانكليز خاطبهم بما يأتي

" ايها السادة سررتُ جدًّا بدعوتكم الى هنا اليوم وانما انا آسف لانكم وصلتم في هذه العاصفة ولقد منعتني امور لا سلطة لي عليها عن ان افتتح مؤتمركم العظيم بنفسي واحضر جلساتهِ ولكني أؤكد لكم انني كنت معتمًّا بكل ما قلتموهُ شديد الاهتمام ولو تعذَّر عليَّ الحضور معكم وقد كنت اطالع خطبكم في الجرائد اليومية واقف على كل مباحثاتكم . ولا داء ارهب من السل وارجو واثق انكم تخففون وطأتهُ فتكسبون الشكر من العالم كلهِ . وهناك داء آخر عجز عنهُ العلماء والاطباء حتى الآن وهو السرطان فقدَّركم الله على اكتشاف دواء لهُ بعد عهد غير بعيد والذي يكتشف هذا الدواء يستحق ان يقام لهُ تمثال في كل العواصم

هذا وارجو ان اقامتكم في لندن وفي

انكلترا كانت سارة مرضية لكم وانكم تعودون حاملين طيب الذكر من زيارتكم لبلادي"

وكل فقرة من كلام هذا الملك العظيم حرية بان تكون موضع نظر لملوك المشرق وامرائهِ وان يطالب امم المشرق ملوكهم وامراءهم بتحديها . اي ملك منهم يستطيع ان يقول ما قالهُ ملك الانكليز انهُ لولا بعض الموانع التي لا سلطة لهُ عليها لحضر جلسات المؤتمر كلها وانهُ كان يطالع ما تنشرهُ الجرائد اليومية من الخطب والمباحثات على كثرة مشاغلهِ ومهامهِ وان عينهُ ترقب ما فعلهُ العلماء وما يفعلونهُ وما ينتج عنهُ من النفع للعباد . لا غرو ان بلاداً يهتم ملوكها بالعلم والعلماء هذا الاهتمام لحرية بان تسامي السماكين وتأمن طوارق الحدثان .

شقر افريقية

لا يخفى ان في افريقية اقواماً بيض الوجوه شقر الشعور عجز العلماء عن معرفة اصلهم وكيفية وصولهم الى افريقية وقد ارتأى السنيور سرجي الايطالي في كتاب الّفهُ حديثاً عن اصل الشعوب الاوربية ان اصلهم ليس من الامم الاوربية كما زعم البعض والاَّ لظهر اصلهم في لغتهم وعاداتهم ولا سيما دفن موتاهم ولكنهم من شعوب افريقية وما بياض الوجه وشقرة الشعر الاَّ من سكنهم في البلاد الجبلية العالية فانهم ساكنون في جبال اطلس ولارتفاع تلك الجبال وشدَّة البرد فيها كأنهم ساكنون في شمالي اوربا

التين في اميركا

يظهر من تقرير المباحث الزراعية في اميركا ان الاميركيين نجحوا بعد عناء شديد في نقل التين الجيد من ازمير الى كاليفورنيا ونقلوا معهُ التين البري ايضاً وهو التين الذكر الذي يلقح بهِ التين الانثى بواسطة حشرات صغيرة تعيش في اثمار التين الذكر وتنتقل الى التين الانثى وتلقحهُ باللقاح الذي تحملهُ اليهِ من الذكر فتكبر اثمار التين ويجود طعمها كثيراً

مؤتمر علم الحيوان

التأم مؤتمر علماء الحيوان في مدينة برلين في الثاني عشر من اغسطس في دار مجلس النواب . وتلا الاستاذ غراسي المقالة الأولى ووصف فيها تجارب كثيرة تثبت ان البعوض ينقل عدوى الملاريا وعدوى الحمَّى الصفراء ايضاً . ومن المقالات الكثيرة التي تُليت فيهِ مقالة للاستاذ فورل الاسوجي وصف فيها النمل وقال ان دماغ العمَّال او الخناثى كبير بالغ ودماغ الاناث اصغر منهُ ودماغ الذكور صغير جدًّا يكاد يكون اثريًّا وان للنمل من الحواس النظر والشم واللمس والذوق واما السمع فغير ثابت لها . وحاسَّة اللمس فيها شديدة جدًّا وفيها الذاكرة والاستدلال والشجاعة والبأس وحب الخصام والانتقام .

ومن اهم المقالات التي تليت مقالة للاستاذ شنك عن تولد الذكر والانثى ايَّد فيها مذهبهُ المعروف وهو ان تولد الذكر والانثى ناتج عن الغذاء . ومنها مقالة للاستاذ برنكو من برلين ابان فيها انهُ اذا حُقن حيوان بدم حيوان آخر فان كان الحيوان الآخر من عائلتهِ لم يضرَّ بهِ الحقن بدمهِ وان كان من عائلة أُخرى اضرَّ بهِ كانهُ سم ناقع وعلى ذلك دم الحمار لا يضر الفرس ولكن يضرُّ الكلب . وقد وجد ان دم الانسان يميت كل الحيوانات ما عدا الطائفة العليا من القرود دلالة على انها من عائلة الانسان . وسيلتئم هذا المؤتمر في مدينة برن بسويسرا في المرة التالية

نوردنشلد Nordenskjöld

توفي الاستاذ البارون نوردنشلد الرحَّالة الاسوجي المشهور الذي اكتشف طريقاً الى اسيا من جهة الشمال الشرقي . ولد بفنلندا سنة ١٨٣٢ وابوهُ اسوجي الاصل وكان استاذاً لعلم المعادن في مدرسة هلسنفور الجامعة فدرس فيها واقام في ستكهلم وجُعل استاذاً لعلم المعادن في مدرستها الجامعة ورحل اول مرة الى الاصقاع القطبية سنة ١٨٥٨ . ثم أؤتمن على قياس خط الهاجرة فرحل ثانية سنة ١٨٦٠ ثم رحل رحلتهُ الاولى الكبيرة سنة ١٨٦٨ فبلغ الدرجة ٨١ والدقيقة ٤٢ من العرض الشمالي وجمع كثيرًا من الحقائق العلمية عن نباتات الاصقاع الشمالية وحيواناتها. وطاف في غرينلندا سنة ١٨٧٠ ووجد فيها حجرًا نيزكيًّا كبيرًا . ووجد سنة ١٨٧٥ انهُ يسهل السفر شمالي اوربا واسيًا في بعض شهور السنة واثبت ذلك سنة ١٨٧٨ فأُعطي لقب بارون لانهُ اكتشف طريقاً للملاحة من شمالي اوربا واسيا . ولهُ تآليف كثيرة اشهرها سفر الثيغا حول اسيا والرحلة الاسوجية الثانية الى غرينلندا . توفي في الثاني عشر من اغسطس في مدينة ستكهلم

جائزة نوبل

أُعطيت جائزة نوبل وهي مئتا الف فرنك للاستاذ فينسن مكتشف علاج مرض الذئب الاكال بالنور على ما انباه في الجزء الماضي وبولُف الفسيولوجي لاجل بحثهِ في التغذية

النساء في موتمر السل

شاركت النساء الرجال في مؤتمر السل وتلاوة المقالات المفيدة فيهِ فقد قرأت الدكتورة ليديا بارينوبتش مقالة في اللبن وسل البقر ابانت فيها انها اثبتت بالامتحان منذ سنة ١٨٩٩ ان ميكروب سل البقر يوجد في لبنها ولو كان السل كامنًا فيها لا يظهر الاَّ بالتيوبر كولين . وان كثرة تفشي السل في العجول والخنازير ناتجة عن كثرة وجود هذا

الميكروب في اللبن ولو كان السل غير ظاهر في ابدان البقر

وفيات السل

قال الدكتور نتهام من دار الاحصاء في انكلترا ان متوسط الوفيات بالسل سنوياً من١٨٩٦ الى ١٨٩٩ كان١٥٢١في المليون من الذكور و ١١٤١ في المليون من الاناث وقد اختلف عدد الوفيات باختلاف السن فكان بين الاطفال من الولادة الى سن ٥ سنوات ٤٠٣ في المليون من الذكور و ٣٣٤ في المليون من الاناث ومن سن ٥ الى ١٠ كان ١٤٠ في المليون من الذكور و ٢٠١ في المليون من الاناث ومن سن ١٠ الى ١٥ كان ١٩٥ في المليون من الذكور و ٤١٠ في المليون من الاناث ومن سن ١٥ الى ٢٠ زاد فتكهُ كثيراً فصار ٩٠٨ في المليون من الذكور و ١١٦٥ في المليون من الاناث وبلغ معظم فتكهِ بين السنة ٤٥ و ٥٥ فصار ٣١٧٣ في المليون من الذكور و ٢٠٩٥ في المليون من الاناث. فلا صحة اذاً لما يقال من شدة فتك السل بالاطفال فانهُ افتك بالكهول منهُ بالاطفال سبعة اضعاف

وقال ايضاً ان معدَّل الوفيات بالسل كان ٢٥٧٩ في المليون بين سنة ١٨٥١ و ١٨٦٠ فصار ١٥٢١ فقط في المليون بين سنة ١٨٩٦ و ١٨٩٩ هذا في الذكور واما في الاناث فكان معدل الوفيات ٢٧٧٤ في المدة الاولى فصار ١١٤١ في المدة الثانية. واكثر هذا النقص في وفيات الاطفال فانهُ مات من الذكور منهم في المدة الاولى ١٣٢٩ في المليون وفي المدة الثانية ٤٠٣ فقط

السل والصنائع

قال الدكتور فون كورومي انهُ بحث عن صنائع ١٠٦٩٥٤ نفساً من الذين ماتوا وعمر كل منهم اكثر من ١٥ سنة فوجد انهُ مات بالسل نحو ٦١ في المئة من الذين صناعتهم الطباعة و ٥٢ في المئة من الذين صناعتهم السكافة والصباغة والطحانة و ٤٩ في المئة من الذين صناعتهم عمل الاقفال و ٤٧ في المئة من البنائين و ٤٢ في المئة من الخياطين و ٤٠ في المئة من الخبازين والنجارين و ٣٤ في المئة من المستخدمين و ٣٣ في المئة من الجزارين و ٢٨ في المئة من التجار و ٢٧ في المئة من اصحاب الفنادق و ٢٠ في المئة من المحامين و ١٢ في المئة من الاطباء و ١٠ في المئة من المالكين. فاكثر ما يفتك السل بالطبّاعين واقل ما يفتك بالمالكين

السل والمذهب

وجد الدكتور كورومي انهُ بت بالسل ٧٨٨ من كل مئة الف من اتباع لوثيروس و ٧٢٢ من كل مئة الف من الكاثوليك

و ٦٢٥ من كل مئة الف من البروتستانت
و ٥٥٩ من كل مئة الف من اتباع كلفينوس
و ٣٧٦ من كل مئة الف من اليهود

السل والفقر

ووجد انهُ مات بالسل ١٥٩٤٣ من كل مئة الف ماتوا من الاغنياء و ٢٢٣٣٩ من كل مئة الف من الفقراء فهو افتك بالفقراء منهُ بالاغنياء

السل والرضاع

توفي ٣٠٧١٧ طفلاً عمر كل منهم اقل من سنتين وكلهم من الذين كانوا يرضعون من امهاتهم او من مراضع فوجد انهُ مات بالسل منهم ١٦٦٠ . وتوفي ٦٥٩٦ طفلاً من الذين كانوا يرضعون بالرضاعة فوجد ان الذين ماتوا بالسل منهم كانوا ٥٣٣ اي ان الاطفال الذين يرضعون من الثدي يموت منهم بالسل نحو ٥ ونصف في المئة واما الذين يرضعون من الرضَّاعة فيموت منهم بالسل نحو ثمانية في المئة

السل وسن الوالدين

ظهر للدكتور كورومي بالاحصاء ان السل يصيب اولاد الوالدين الصغيري السن والكبيري السن اكثر مما يصيب اولاد الوالدين المتوسطي السن فتكون الوفيات بالسل على اكثرها اذا كان عمر الام اقل من عشرين سنة ثم تقل رويداً رويداً الى ان يصير عمر الام من ٣٠ الى ٣٥ سنة وتزيد بعد ذلك

المدافع والبرَد

يكثر وقوع البرَد في بعض الاماكن فيتلف الاثمار والمزروعات . شاهدنا برداً سقط مرةً في بيروت فخرق قروط الصبر كانهُ رصاص البنادق وحرق ورق التوت حرقاً . وقد زعم بعضهم انهُ اذا اطلقت مدافع البارود في الجو وقت تكوُّن البرَد فيهِ لم يعُد البرد يتكوَّن حاسباً انهُ انما يتبلور في الجو الساكن تبلوراً كما يتبلور الملح في الماء الراكد . وشاع استعمال المدافع لهذه الغاية في بلاد النمسا وايطاليا وفرنسا . وسئل المستر مور رئيس دار الاحداث الجوية في الولايات المتحدة الاميركية عن رأيهِ في استعمال هذه المدافع فاجاب ان الغرض منها ارسال حلقات من الدخان والهواء الى اعالي الجو ولكن اقوى المدافع التي تستعمل لذلك لا تدفع هذه الحلقات اكثر من ١٢٠٠ قدم فوق سطح الارض فلا تصل الى الغيوم مطلقاً . والنظر والعمل ينفيان فائدتها فان البرَد ليس بلوَّرات كبلورات الملح ولا هو يتكون في الهواء الساكن حتى يبطل تكوُّنهُ بحركة الهواء كما يزعم القائلون بفائدة هذه المدافع . وكل ما نشر عنها في السنتين الاخيرتين يدل على

انها خداع بخداع مثل الاعتقاد بتأثير القمر في تقلبات الجو

الياقوت من الاليومنوم

خطب السر روبرتس اوستن في دار العلم الملكية خطبة موضوعها حرق المعادن وقوداً ابان فيها ان معدن الاليومنوم يحرق الآن فتتولد منهُ حرارة شديدة تلحم بها انابيب الحديد ثم يبقى منهُ بدل الرماد حجارة صغيرة من الياقوت والصفير وامتحن حجارة الياقوت التي تولدت من احتراق الاليومنوم امام الحضور فثبت لهم ان خواصها مثل خواص الياقوت الطبيعي

مجمع الاطباء البريطاني

التأم هذا المجمع في الثلاثين من يوليو الماضي فخطب رئيسهُ الدكتور فرغوسن في ان المباحث العلمية هي اساس كل تقدم طبي ومادي . وابان في عرض كلامهِ ان علم الطب مديون لعلماء البيولوجيا وعلماء الطبيعة عموماً في تقدمهِ اكثر مما هو مديون للاطباء ثم فصَّل ذلك تفصيلاً مسهباً وربما ترجمنا خطبتهُ ونشرناها في جزء تالٍ

الدوران حول الارض

تراهن ثلاثة من الغلمان الاميركيين على السبق في الدوران حول الارض فسبق احدهم واسمهُ تشارلس سسل فتزمورس ودار حول الارض في ٦١ يوماً و ١٣ ساعة و ٢٩ دقيقة و ٤٢ ثانية . ولا يذكر ان احداً طاف حول الارض بهذه السرعة

متى تمتلئ الدنيا

بحث المستر سكوانج الاحصائي الشهير عن ازدياد السكان فقال ان ازدياد الشعوب الآرية آخذ في التناقص وان الشعوب التوتنية التي منها الانكليز والالمان والاميركان تزيد اكثر من الشعوب اللاتينية التي منها اكثر الفرنسويين والايطاليين . واكثر البلدان سكاناً الآن بلجيكا ويبلغ عدد السكان في الميل المربع منها ٥٧٢ نفساً . فاذا بلغ سكان الميل المربع الف نفس (وهو كذلك في القطر المصري) قيل ان البلاد امتلأت بالسكان. وفي الارض ٥٢ مليون ميل صالحة للسكن فلا تمتلئ الاَّ متى بلغ عدد السكان ٥٢ الف مليون نفس واذا بقي ازدياد السكان على ما عليهِ الآن اي نحو واحد في المئة سنوياً بلغوا هذا العدد سنة ٢٢٥٠ للمسيح كما ترى في هذا الجدول

السنة	السكان بالملايين	عددهم في الميل
١٩٠٠	١٦٠٠	٠٣١
٢٠٠٠	٤٣٢٨	٠٨٣
٢١٠٠	١١٧٠٦	٢٢٥
٢٢٠٠	٣١٦٦٢	٦٠٩
٢٢٥٠	٥٢٠٧٣	١٠٠١

فلا تمتلئ الارض بسكانها الاَّ بعد ثلثمئة وخمسين سنة هذا اذا بقي متوسط النمو على ما هو عليهِ الآن

موسم القطن

انتهى الآن موسم القطن المصري فبلغ الوارد منهُ الى الاسكندرية ٦٠٦ ٤٦٤ ٥ قنطارًا اي بلغ موسم العام الماضي نحو خمسة ملايين قنطار ونصف مليون وكان موسم العام الذي قبلهُ ستة ملايين قنطار ونحو نصف مليون قنطار . وقد أُرسل من هذا القطن الى البلدان الاوربية والاميركية ما ترى في هذا الجدول وهو بالبالات المصرية وفي البالة منها نحو ثمانية قناطير

	١٩٠١	١٩٠٠
الى انكلترا	٣١٩١٦٨	٥٠٤٥ ٤
روسيا	٠٨٣٨٧٦	٠٦٨٧٨٦
فرنسا	٠٤٧٦٤٩	٠٧٨٢٢٠
المانيا	٠٣٩٠٧٧	٠٤٧٣٦٠
ايطاليا	٠٣١٠٠٣	٠٣٥٥٢٩
النمسا	٠٢٩٦٦١	٠٣٩٠٢١
سويسرا	٠٢٨٠٦٩	٠٤١٤٥٦
اسبانيا	٠٢٣٩٥٠	٠٢١٠٨٤
الهند واليابان	٠٠٩٠١٠	٠١٦١٣٠
بلجكا	٠٠٣٥٣٩	٠٠٥٦٣٩
تركيا واليونان	٠٠٢٢٤٤	٠٠٠٩٧٠
والجملة	٦٧٢٤٣١	٨٢٩ ١٢٤

علوٌّ شاهق

صعد اثنان ببالون من مدينة برلين في ٣١ يوليو الماضي فارتفع بهما الى علو شاهق جدًّا يزيد على ١٠٥٠٠ متر ولا يُعلم كم يزيد عليها لان آلات قياس الارتفاع لم تعد تتأثر وبلغت الحرارة هناك ٤٠ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد

حركات الارض

يظن عامَّة الناس ان الارض ثابتة لا تتحرك . والحقيقة انها تتحرك اثنتي عشرة حركة وهي

(١) دورانها على محورها مرة كل ٢٤ ساعة

(٢) دورانها حول الشمس مرةً كل ٣٦٥ ¼ يوم

(٣) حركتها المعبَّر عنها بمبادرة الاعتدالين وهي تتم مرةً في ٢٥٧٦٥ سنة

(٤) الحركة الحاصلة من التجاذب بينها وبين القمر ودورها ٢٨ يوماً

(٥) حركة الكبو ومدتها ١٨ يوماً و ⅔ يوم

(٦) الاختلاف في ميل دائرة البروج

(٧) اختلاف اهليلجية فلك الارض

(٨) اختلاف طول الخط بين نقطتي الراس والذنب وهو يتم في ٢١٠٠٠ سنة

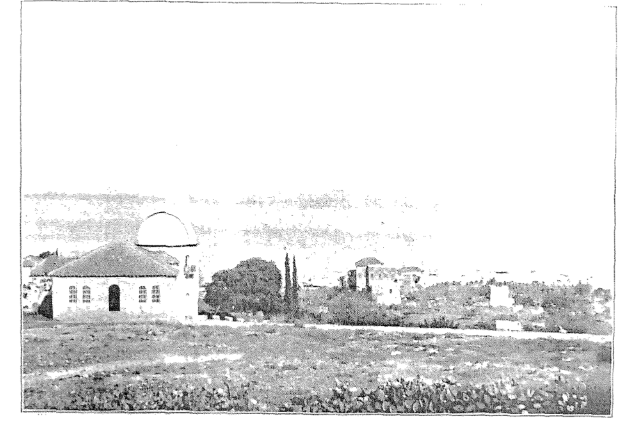
(٩) اضطراب حركتها بفعل السيَّارات

(١٠) اختلاف مركز الثقل لكل النظام الشمسي

(١١) حركة النظام الشمسي عموماً في الفضاء

(١٢) اختلاف العروض الدوري

فهرس الجزء التاسع من المجلد السادس والعشرين



OBSERVATORY. View of Mediterranean.

مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت

المقتطف

الجزء العاشر من المجلد السادس والعشرين

١ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٨ جمادى الثانية سنة ١٣١٩

مراصد الافلاك

اوَّل انسان نظر الى السماء وراقب شمسها وقمرها ونجومها وكواكبها هو اول من رصد الافلاك . فالرصد قديم اشتغل بهِ الناس منذ الوف من السنين حتى يقال عن ثقة ان اهرام مصر وابراج بابل كانت مراصد للافلاك كما كانت مدافن للاموات وهياكل للعبادة . ولكن اوَّل مرصد انشئَ لمراقبة الافلاك مراقبة علميَّة دقيقة هو في ما نعلم مرصد الاسكندرية انشأهُ البطالسة في القرن الثالث قبل المسيح وبقي قائماً فيها الى القرن الثاني بعدهُ . هناك اكتشف هبرخُس الفيلسوف مبادرة الاعتدالين اي انتقال النقطتين اللتين تتاطع فيهما دائرة البروج وخط الاستواء من الشرق الى الغرب فينتج عن انتقالها اختلاف مواقع النجوم نحو دقيقة كل سنة . وبحث ايضاً عن حركات الشمس والقمر والسيَّارات . وخلفهُ رجال مختلفون ساروا في خطتهِ الى ان قام خاتمتهم بطليموس وجمع زبدة معارفهم وما وصلوا اليهِ بالرصد والبحث في كتابهِ المعروف بالمجسطي الذي بقي معتمد علماء الفلك الى عهد نصير الدين الطوسي

ثم ضعف شأن العلم وقويت سلطة الوهم وقام العرب وفتحوا الاقطار فلمَّا تمهَّدت لهم استخدموا علماء الشام والعراق لترجمة كتب اليونان في العلم والفلسفة وانشأ الخليفة المأمون مرصداً بظاهر دمشق في جبل قاسيون لرصد الاجرام السموية والاحداث الجويَّة وبنى مرصداً آخر في بغداد لهذه الغاية وكان ذلك في اوائل القرن التاسع . وقام بعدهُ محمد بن جابر البتَّاني صاحب الزيج الصابي وهو من امراء الشام وولد ببتَّان من اعمال حرَّان واليها ينسب واقام بالرقَّة من العراق ورصد بانطاكية وقرأ كتاب بطليموس وتمرَّن على اساليب اليونان في الرصد فلما شرع في رصد النجوم وجد ان كثيراً منها في غير الاماكن التي ذكرها فيها بطليموس

بسبب خطاء بطليموس في حساب مبادرة الاعتدالين فدقق فيها اكثر منهُ . ودقق ايضاً في معرفة اهليلجيَّة فلك الشمس والنتيجة التي وصل اليها تنطبق على النتيجة المعروفة الآن . وقال ان نقطة الراس في فلك الشمس تتقدَّم بتغيُّر الفصول وهو اكتشاف مهم في علم الفلك ثبت بعدئذٍ بقواعد الجاذبيَّة . واثبت الكواكب الثابتة في زيجهِ لسنة ٢٩٩ هجرية الموافقة سنة ٩١١ مسيحيَّة و يقال انهُ ابتدأ بالرصد من سنة ٢٦٤ وانتهى سنة ٣٠٦ فرصد الافلاك اثنتين واربعين سنة

وبنى الخليفة الحاكم بامر الله الفاطمي مرصداً على جبل المقطم بظاهر القاهرة للفلكي الشهير عبد الرحمن بن يونس المصري فصنع لهُ الزيج الحاكي في اربعة مجلدات كبيرة بين فيها مواقع الشمس والقمر والسيارات وحسب ميل دائرة البروج ٣٥ ٢٣° فاخطأ بنحو نصف دقيقة

وكان الصينيون قد عرفوا هذا الميل ومقدار اختلافهِ قبل المسيح بالف ومئة سنة وعرفهُ المصريون والبابليون ايضاً ولذلك زعم البابليون انهم رصدوا الافلاك قبل الاسكندر بنحو ٤٠٣٠٠٠ سنة اذ حسبوا ان هذا الميل يقل نحو دقيقة كل مئة سنة وان دائرة البروج كانت عمودية على خط الاستواء حينما شرعوا في الرصد كما زعم المصريون قبلهم . والحال ان هذا الميل لا يزيد على ٥٣ ٢٣° ولا ينقص عن ٥٤ ٢٢° كما اثبتهُ المتأخرون فبلغ معظمهُ سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح وسيبلغ اقلهُ سنة ٦٦٠٠ بعد المسيح

ورصد ابن يونس كسوفين وخسوفاً سنة ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ فاكتشف منها تسارع حركة القمر قبل ان اكتشفها هالي الفلكي من مقابلة الكسوفات التي رصدها الكلدانيون في بابل في القرن الثامن قبل المسيح بالكسوفات التي رصدها علماء العرب في القرن الثامن والتاسع بعدهُ

وقفى خانات المغول وملوك التتر آثار الخلفاء العباسيين والعلويين في اقامة المراصد فانشأ هولاكو مرصد مراغة في الشمال الغربي من بلاد فارس سنة ١٢٦٠ للمسيح واقام فيهِ نصير الدين الطوسي فصنع لهُ الزيج الخاني واصلح القواعد التي يعرف بها مبدأ السنة

وخُتم علم الهيئة ورصد الافلاك في بلاد المشرق باولغ بك حفيد تيمورلنك التتري الذي خلف اباه شاه رخ سنة ١٤٤٧ للميلاد فانهُ رغَّب العلماء في درس الفلك وكان هو من المشاركين فيهِ وانشأ مرصداً كبيراً في سمرقند وضع فيهِ اعظم آلات الرصد وادقها ونصب عموداً ارتفاعهُ ١٨٠ قدماً او ٥٥ متراً حقق بهِ ميل دائرة البروج حينئذٍ فوجدهُ ٢٠ ٣٠ ٢٣°

فاخطأ الحقيقة بنحو ١٣ ثانية فقط اذا كان هذا الميل يقل ٤٨ ثانية كل مئة سنة . وهو تدقيق لا مثيل له . ولاولغ بك زيج مشهور صنعهُ هو والذين كانوا يساعدونهُ من علماء الرصد وضعهُ في العربيَّة ثم ترجم الى الفارسيَّة واللاتينيَّة

ولم تكد شمس المعارف تغيب عن ربوع المشرق حتى اشرقت في ديار المغرب فانشئ فيها اول مرصد فلكي سنة ١٤٧٢ في نورمبرج انشأهُ رجل غني من اهاليها واستخدم للرصد فيهِ الفلكي رجيومونتانوس فاصلح آلات الرصد وظلَّ الفلك العملي مستعملاً فيهِ الى سنة ١٥٠٤ ثم قام تيخو براهي الاسوجي الاصل الدنماركي الدار ودرس علم الفلك على ما كان معروفًا في عصرهِ فبنى لهُ فردرك الثاني ملك الدنمارك مرصدًا في جزيرة هيون وقطع لهُ مالاً طائلاً لكي ينقطع للرصد فرغَّب الناس في رصد الافلاك حتى صارت المدارس العالية تتبارى في انشاء المراصد هي والدول الكبيرة وعكف علماء الهيئة على اتقان آلات الرصد حتى عرفوا بها اجرام الكواكب وابعادها وحركاتها واثقالها والعناصر التي تتألَّف منها

اما المراصد الاوربيَّة الباقية الى الآن فاقدمها مرصد مدرسة ليدن الجامعة انشئ سنة ١٦٣٢ ولكن كانت آلات الرصد فيهِ صغيرة لم ينتج منها فائدة تذكر الى ان وضعت فيهِ آلات كبيرة سنة ١٨٣٧

ويتلوهُ مرصد كوبنهاغن انشئ سنة ١٦٤١ على رأس برج عالٍ وحُرق سنة ١٧٢٨ ثم جدّد سنة ١٧٤١ ولم يكن موضعهُ صالحًا للرصد فانشئ فيها مرصد غيرهُ سنة ١٨٦١

ثم مرصد باريس انشئ سنة ١٦٦٧ واشتهر بارصاد كاسيني حتى صار اشهر مراصد الدنيا ثم أُهمل امرهُ الى ان قام لاڤريه سنة ١٨٥٤ واداره بهمتهِ المشهورة . وفيهِ نظارة كاسرة قطر بلورتها ٢٩ عقدة ونظارة عاكسة قطر مرآتها اربع اقدام واذا نقلت اليهِ نظارة معرض باريس صار فيهِ اكبر نظارة كاسرة صُنعت حتى الآن

ومرصد غرينوتش ببلاد الانكليز انشئ سنة ١٦٧٥ . وهو من اشهر مراصد الدنيا . ومرصد اكسفرد انشئ سنة ١٧٧١ . ومن المراصد الكثيرة في بلاد الانكليز مرصد ارل روص وفيهِ نظارتهُ المشهورة وقطر مرآتها ست اقدام انكليزية وبعد محترقها ٥٤ قدمًا . وهي اكبر النظارات العاكسة . ومرصد السر وليم هرشل وفيهِ نظارتهُ الكبيرة التي قطر مرآتها اربع اقدام وبعد محترقها اربعون قدمًا

ومن المراصد القديمة المشهورة مرصد برلين انشئ سنة ١٧٠٥ ومرصد ليبسك انشئ سنة ١٧٨٧ ومرصد فينا انشئ سنة ١٧٥٦

ومن مراصد ايطاليا المشهورة مرصد بولونا أُنشئ سنة ١٧٢٤ ومرصد بادوى أُنشئ سنة ١٧٦١ ومرصد تورين انشئ سنة ١٧٦٣ ومرصد رومية انشئ سنة ١٧٨٧

اما النظارات الكبيرة فهذه اشهر الكاسرات منها

نظارة معرض باريس	قطر بلورتها	٥٠	عقدة
" باركس باميركا	"	٤٠	"
" لك	"	٣٦	"
" بلكوفا بروسيا	"	٣٠	"
" نيس بفرنسا	"	٢٩,٩	"
" باريس	"	٢٨,٩	"
" غرينوتش بانكلترا	"	٢٨	"
" فينا بالنمسا	"	٢٧	"

واشهر النظارات ذات المرآة العاكسة ما يأتي

نظارة ارل روص	قطر مرآتها	٦	اقدام
" الدكتور كمون	"	٥	"
" السر وليم هرشل	"	٤	"
" ملبرن	"	٤	"
" باريس	"	٤	"

ومنذ عهد قريب عادت اشعة شمس العلم فبزغت في ربوع المشرق فأُنشئ فيها المرصد الخديوي في القاهرة ومرصد لي التابع للمدرسة الكلية الاميركية في بيروت وهو المرسوم في صدر هذا الجزء انشئ سنة ١٨٧٤ وجدّد سنة ١٨٩٣ وفيهِ قبة قطرها ٢٣ قدماً ونظارة كاسرة قطر بلورتها ١٢ عقدة وبعد محترقها ١٥ قدماً وفيها كل ما يلزم للرصد من آلات القياس والتصوير تدار بآلات ساعة وتنار بالنور الكهربائي . وفي هذا المرصد ايضاً آلات كثيرة مما يلزم للارصاد الفلكية الدقيقة كالساعات ونظارات العبور . وكل ما يلزم للارصاد الجوية كمقاييس الحرارة والرطوبة والمطر وسرعة الرياح وضغط الهواء . وترصد فيهِ الاحداث الجوية ثلاثاً في اليوم على مدار السنة وترسل هذه الارصاد بالتلغراف الى الاستانة وفينا وباريس ولندن ووشنطون وغير ذلك من المراصد الشهيرة . وقد اضيف اليها حديثاً آلات رصد الزلازل وارتجاف الارض . ويتمرن التلامذة على استعمال هذه الآلات حينما يقرنون العلم بالعمل

اما مرصد القاهرة فبعيد عن مدارسها ولذلك قلما يستفيد منهُ تلامذتها وسنفرد لهُ مقالة خاصة في فرصة اخرى

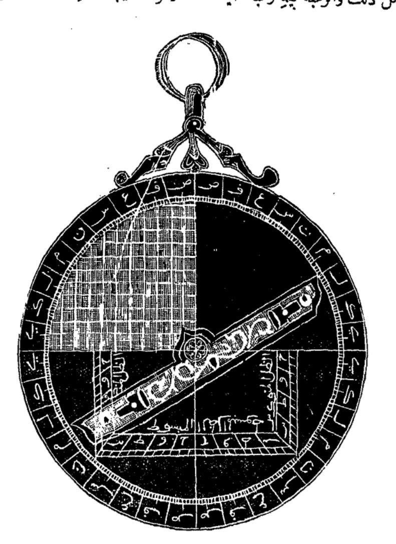
والعبرة في المراصد ليس في بنائها بل في آلات الرصد التي تُستعمل فيها وقد كانت هذه آلات على غاية السذاجة في الازمنة الغابرة لا تزيد على الربع والاسطرلاب فبلغت الآن من الاتقان والتدقيق ما يعجز القلم عن وصفهِ . ولا نرى بين مصنوعات البشر ما أُتقن اتقان



وجه الاسطرلاب

آلات الرصد فما المحراث الخشبي الذي تحرث بهِ اراضي السودان بالنسبة الى المحراث الكهربائي . ولا العرَبة التي تجرها بغال الحجَّارة بالنسبة الى قواطر سكة الحديد . ولا اكواخ القصب والطين بالنسبة الى قصور الملوك وما فيها من الاثاث والرياش بابعد من نسبة آلات الرصد التي استعملها الطوسي والبتاني وابن يونس الى الآلات المنصوبة اليوم في مرصد بيروت ومرصد القاهرة .

انظر الى شكل الاسطرلاب المرسوم ههنا من وجههِ وظهرهِ وهو بحجمهِ الطبيعي وقابلهُ بنظارة طولها عشرة امتار او اكثر تديرها آلة ساعيَّة مع الافلاك تكبّر القمر حتى تظهر جبالهُ ووهادهُ وفوهات براكينهِ وتحل نور النجوم وتدلُّ على ما فيها من العناصر الكيماوية وحولها من آلات التصوير والتوقيت والقياس ما تنذهل من دقتهِ العقول ترَ مقدار ما ارتقى هذا العلم بعد ان وصل الى الاوربيين كل ذلك والرغبة فيهِ رغبة علميَّة محضة وهو مطلوب لذاتهِ لا لمنفعة مادية منهُ. وقد



ظهر الاسطرلاب

اخذ العرب الاسطرلاب عن اليونان وظلوا يصنعونهُ ويستعملونهُ نحو الف سنة فلم يزيدوا فيهِ اشياء تذكر اما الاوربيون فابلغوا آلات الرصد هذا المبلغ العظيم من الكثرة والاتقان في اقل من مئتي عام ولهم كل يوم اختراع جديد واستنباط مفيد

مجمع ترقية العلوم البريطاني

وخطبة الرئاسة

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة غلاسغو بسكوتلندا في الحادي عشر من سبتمبر وخطب فيهِ رئيسهُ الاستاذ ركَّر خطبة الرئاسة. ثم انقسم اعضاؤهُ الى فروعهِ المختلفة وخطب رئيس كل فرع خطبة الرئاسة فيهِ وتُليت المقالات ودارت المحاورات في موضوعها على ما يجري في كل عام . وكانت خطبة الرئاسة هذا العام دقيقة البحث كأَنها لخاصَّة العلماء لا للجمهور الكبير الذي يحضر هذا الاجتماع عادةً ولذلك لم نترجمها كلها بل اقتصرنا على ترجمة الفصول التالية منها

موضوع الخطبة الفروض التي بُني عليها العلم النظري في القرن التاسع عشر وهل اساسها ثابت لا يتقلقل تحت ثقل البناء الذي شيد عليها او هي زائلة مثل غيرها من الفروض القديمة التي تقوَّضت بارتقاء العلوم الطبيعيَّة . قال الخطيب "ان اشهر هذه الفروض ثلاثة الاول وجود الجوهر الفرد والثاني كون الحرارة حركةً في جواهر الاجسام والثالث وجود الاثير الذي تنتقل بهِ هذه الحركة . وان رأْي دلتون الجوهري اذاعهُ اولاً استاذ من اساتذة غلاسغو سنة ١٨٠٧ وكان دلتون قد اطلعهُ عليهِ سنة ١٨٠٤ . ونشرت مباحث رمفورد عن حقيقة الحرارة سنة ١٧٩٨ وآراء دافي عنها سنة ١٧٩٩ وخطب الاستاذ ينغ خطبتهُ التي اثبت فيها ان الحرارة اهتزاز في جواهر الاجسام سنة ١٨٠١ . فاربعة من ابناء وطننا اوقدوا مصباح العلوم الطبيعيَّة في غرة القرن التاسع عشر ولذلك يليق بنا ان نبحث بعد ختام هذا القرن عن حقيقة ما اثبتوهُ"

ثم تكلَّم على الفروض او النظريات العلمية وقال "انها وسائط تساعد الذاكرة على تبويب الظواهر الطبيعيَّة وردها الى ما تشترك فيهِ فتنقسم المعارف بها الى ابواب وفصول". وبعد ان اسهب في هذا المعنى الفلسفي قال "اننا ندرك ظواهر الاشياء ولا ندرك حقيقتها وبحثنا الطبيعي يُبعد الغوامض التي نقف عندها ولكنهُ لا يحلها مثال ذلك اننا نبحث عن حقيقة الهواء فنرى اننا لم نعد نحسبهُ عنصرًا بسيطًا كالاولين بل وجدناهُ مؤلفًا من عناصر مختلفة أكسجين ونيتروجين وارغون وحامض كربونيك وبخار مائي . فكان الناس اولاً يحسبون الهواء عنصرًا بسيطًا لا نعلم حقيقتهُ فصاروا الآن يجدونهُ عناصر كثيرة لا نعلم حقيقتها اي انهم ابعدوا الغوامض درجة ولم يكشفوا الستار عنها ولكن ذلك لا يتعب الباحثين ولا يجعلهم يرتدُّون عنهُ بالخيبة والفشل بل هم

يرون في البحث والاستقصاء فائدة كبيرة ولو لم يصلوا الى حقائق الاشياء . ولا هم واقفون عند الحد الذي وصلوا اليهِ فانهم حلّلوا بخار الماء والحامض الكربونيك الموجودين في الهواء الى العناصر الثلاثة التي يتركّبان منها وهي الهيدروجين والاكسجين والكربون . فالى اي حد ينتهي التحليل اذا تتبعناهُ علميًّا لا وهميًّا وهل يوجد فرق بين حل الهواء الى العناصر التي يتألف منها وحل كل عنصر منها على حدتهِ لمعرفة ما فيهِ من الجواهر والاثير . هنا يقول لنا قوم قفوا فان دقائق الاجسام وجواهرها اصغر من ان ترى او تلمس او يشعر بها لغير ذلك من المشاعر فهي من قبيل الفروض لا من قبيل الحقائق "

ثم ردَّ على هذا القول بما ثبت من امر حلقات زُحَل فانها ترى كجسم واحد متصل ولا يمكن ان يرى انفصال بين اجزائها لا بالعين ولا بالتلسكوب ومع ذلك ثبت بالحساب انها مؤلفة من اجزاء منفصلة وانها لو كانت مؤلفة من اجزاء متصلة ودارت كما تدور الآن لانفصلت اجزاؤها بعضها عن بعض سواء كانت جامدة او سائلة وانهُ لا بدَّ من ان يكون جزؤها الداخلي اسرع من جزئها الخارجي ثم اتضح بالسبكترسكوب ان الامر كذلك وقال ان نسبة الاجسام الى جواهرها كنسبة حلقات زحل الى الاجزاء التي تتألف منها . ولكن يقول قوم ان خواص الجوهر الفرد والاثير تختلف عن خواص الاجسام التي تتركَّب منهما وتدرك بالمشاعر ولذلك يستحيل ان ندرك وجودها بمشاعرنا كما ندرك وجود اجسام جديدة لم نرها او هي اصغر من ان نراها فاننا ندرك هذه الاجسام لان خواصها مماثلة لخواص الاجسام المعروفة واما الجوهر الفرد والاثير فليسا كذلك . لكن هذا الاعتراض لا يقوم عند من يعتقد ان المادة شيءٌ لهُ وجود حقيقي فانها ان كانت كذلك فهي مؤلفة من اجزاء يمتاز بعضها عن بعض ولو لم نرها بالعين كما تؤلف حلقات زُحل وكما يؤلف الغيم والدخان . واسهب في هذا الموضوع واستطرد الى امرين الاول الدليل على ان كل الاجسام مؤلفة من اجزاء منفصلة مستقلَّة والثاني خواص هذه الاجزاء

وقال في الكلام على الامر الاول" ان المادة تظهر للعين كجسم متصل لا اجزاء لهُ او لا فاصل بين اجزائهِ فالماء يظهر متصل الاجزاء والهواء يظهر متصل الاجزاء ايضاً وان خواص كلٍّ منهما موجودة في كل جزء من اجزائهِ ولكن الميل للامتزاج يدلُّ على ان دقائق الاجسام متحركة غير ساكنة ولا حاجة بي الى ذكر الامثلة الكثيرة الدالَّة على ان كثيراً من الغازات والسوائل يمتزج بعضهُ ببعض اذا وُصل بينها وان الهواء المباشر للماء يمتصُّ البخار من الماء والماء يمتصُّ جانباً من الهواء . وهذا لا يقتصر على السائلات والغازات ولا على الجوامد

اذا كانت شديدة الحمو بل يتناول الجوامد اذا كانت باردة فقد الصق السر روبرتس اوستن الرصاص بالذهب مدة اربع سنوات وكانا على درجة ١٨ بميزان سنتغراد فاتحد المعدنان معاً ودخلت دقائق الذهب بين دقائق الرصاص الى عمق نصف سنتيمتر او اكثر ودخلت دقائق الرصاص بين دقائق الذهب نحو ثلاثة ارباع المليمتر وهذا يُفسَّر تفسيراً واضحاً بان دقائق الذهب والرصاص متحركة وبينها فسحات وقد انتقلت دقائق كلٍّ منهما ودخلت بين دقائق الآخر

وبهذا تفسَّر امور كثيرة معروفة ولولاهُ ما كان التمدُّد من الحوادث المعقولة . فان الغاز مثلاً يتمدَّد حتى يشغل حيزًا كبيرًا جدًّا فلا يُعقَل ان الجسم الذي يشغل حيزًا صغيرًا وتكون اجزاوُهُ متَّصلة فيهِ يشغل ايضاً حيزًا اكبر من حيزهِ الاوَّل مليون ضعف وتبقى اجزاوُهُ متَّصلة بعضها ببعض . ولكن اذا كانت المادَّة او الهيولى مؤلفة من اجزاءٍ منفصلة بعضها عن بعض وبينها فراغ او شيءٌ آخر مختلف عنها اتضح امر التمدُّد والتقلُّص فان الاول يكون ازدياد البعد بين هذه الاجزاء والثاني ازدياد القرب بينها

ثم ان الحرارة لا تُدرَك الاَّ اذا حسبنا انها نوع من الحركة . وان كانت الحرارة حركة فالذي يتحرَّك بها هو الاجزاء الاصلية التي تتألف منها المادة لان هذه الحركة غير منظورة ولا هي في الجسم كلهِ كجسم متصل . وكلما زادت الحرارة زاد الانتشار الذي هو حركة في دقائق الجسم وذلك دليل على ان الحركات الداخليَّة في دقائق الجسم تزيد سرعة وهي نفس النتيجة التي تنتج لو تحوَّلت هذه الحركات الى حرارة

فاذا التفتنا الى الانتشار والتمدُّد والحرارة رأينا انهُ ما من فرض تفسَّر بهِ كلها الاَّ الفرض المبني على ان الاجسام مؤلفة من جواهر منفصل بعضها عن بعض وهي في حالة الحركة المستمرة

وفي جواهر المادة قولان الواحد انها اجزاء يختلف نوعها عن نوع الموصل الذي بينها والثاني انها من نوع الموصل الذي بينها ولكن حالتها تختلف عن حالتهِ والاول ينطبق على ما قالهُ فيها وترستون وكلوسيوس ومكسول والثاني على ما قالهُ لورد كلفن وهو ان الجواهر حلقات زوبعية في الاثير نفسهِ

وسواء كانت دقائق الاجسام اجزاء مستقلَّة مختلفة عن المادة التي بينها او كانت من نوع هذه المادة ولكنها مختلفة عنها في بعض صفاتها فهي اشياء موجودة فعلاً خواصها تختلف عن خواص الجسم الذي هي منهُ . ولو كانت خواص هذه الاجزاء او الدقائق مثل خواص الجسم كلهِ لتعذَّر بقاء الحرارة فيهِ ولتبدَّدت باصطدام هذه الاجزاء بعضها ببعض حتى اذا

احمي جسم ووقي من ايصال حرارتهِ الى غيرهِ زالت حرارتهُ من نفسها . وهذا غير الواقع فتدلُّ الدلائل كلها على ان ما بين الاجزاء شيءٌ لا يشبه المادة اي ليس فيهِ مقاومة لحركة الجواهر فلا يبدد شيئاً من حركة الاجزاء التي يتألف الجسم منها

والاجزاء نفسها لا تبدد الحرارة حينما يصطدم بعضها ببعض فهي والموصل الذي بينها شيئان يخالفان المادة في انهما لا يماثلانها في كل خواصها ولو كانا اساساً لها فليس وجودها من قبيل الفروض التي يفرضها العلماء لايضاح المسائل العلمية العويصة التي لا يدركها الاَّ خاصة العلماء بل هو من الامور التي لا بدَّ منها في درس الطبيعة حتى كأنهُ من البديهيات . فإمَّا ان تكون خواص الاجسام غير مبنيَّة على خواص بسائطها او تكون خواص البسائط مخالفة لخواص الاجسام التي تتألف منها . ووجود شيء غير المادة لا يلزم نفيهُ بالبداهة فلا مناص لنا من ان نقول بما يقول بهِ جمهور العلماء وهو ان وجود الجواهر والاثير من الامور التي تقوم الادلَّة على اثباتها. ولا عبرة بكثرة المذاهب العلمية والفروض الطبيعية التي ظهر فسادها وعدل الناس عنها لان فساد مذهب لا يستلزم فساد كل مذهب آخر . وخطأ المتقدمين قد يكون داعياً لصواب المتأخرين . وما احسن ما قالهُ الاستاذ كارل بيرصن وهو " ان سبيل النجاح مرصوف برفات الامم وآثار الشعوب المنحطة بادية في كل مكان ولكن تلك الامم التي فنيت والشعوب التي انقرضت كانت سُلَّماً ارتقى عليهِ نوع الانسان الى المدارك السامية والعواطف النبيلة "

واسهب الخطيب في هذا الموضوع ثم استطرد الى الراي الجوهري فذكر انقسام جواهر الاجسام مستدلاً على ذلك بتكوُّن الضباب حول دقائق الهباء او الغبار المتطاير في الهواء فانهُ اذا طار بخار الماء في هواء نقي خالٍ من الغبار لم يصر البخار ضباباً ولكن اذا ذُرَّ في الهواء قليل من الغبار تحوَّل البخار الى ضباب . ثم ان الدقائق المكهربة تفعل فعل دقائق الغبار فاذا كهرب جسم بكثير من الكهربائية حتى صارت تفلت منهُ ووضعناهُ قرب انبوب يخرج منهُ البخار تكاثف البخار وتكوَّن منهُ ضباب ولو كان الهواء نقيًّا خاليًا من كل غبار . ومن المسلَّم بهِ عند علماء الكهربائية انهُ اذا مرَّ مجرًى من الكهربائية في غاز انقسمت بعض جواهر الغاز الى اقسام تحمل الكهربائية الايجابيَّة والسلبيَّة وتحركت في جهتين متقابلتين والاَّ فالغاز لا ينقل الكهربائية . ولكن الغاز ينقل الكهربائية ايضاً اذا وقعت عليهِ اشعَّة رنتجن او اشعَّة الاورانيوم فيرجَّح من ذلك ان اشعَّة رنتجن واشعَّة الاورانيوم تحل جواهر الغاز وتفرّق اجزاءها مكهربةً بالكهربائية الايجابية والسلبيَّة

ولا بدَّ لنا هنا من تعريب كلمة حديثة الوضع وهي كلمة ايون ion و يراد بها الجزء من

الجوهر الفرد الذي يحمل الكهربائية . كأن الكهربائية تقسم الجوهر الى اقسام بعضها يحمل الكهربائية السلبية و بعضها الايجابية ويسمَّى كلٌ منهما بالايون اي السائر لانهُ يسير بالكهربائية ويبنون منهُ فعلاً فيقولون أيّن وغاز مؤيّن وسنخذو حذوهم ونسمي هذا الجزء ايونًا والجمع ايونات والفعل أيّن الجسم اي حلّ جواهرهُ بالكهربائية . وقد اشار الخطيب الى الايونات وما يظن من انها دليل على انقسام جواهر الاجسام وعلى ان العناصر ليست اجسامًا بسيطة كما يقال حتى الآن بل مركبة وكل جوهر من جواهرها مركبٌ من الوف كثيرة من الدقائق الصغيرة وان السر نورمن لُكيَر رأى بالسبكتروسكوب ما يدلُّ على ان العناصر البسيطة تنحل في الاجرام السموية الى عناصر ابسط منها .

وقال في الختام " ان من ينظر في غرفة مظلمة ويَصف ما يراهُ فيها رؤْية غير جليَّة يكون مصيبًا من حيث وصفهُ شكلَ الاشياء التي يراها بنوع عام ولكنهُ يكون مخطئًا اذا وصفها وصفًا مدققًا وذكر من اوصافها ما لم يتبينهُ فيمزج في وصفهِ لما فيها الحقيقة بالوهم ويصعب ان نعرف اين تنتهي الحقيقة واين يبتدئ الوهم . ولكن الوهم قد لا يكون خاليًا من الفائدة اذا كان مبنيًا على شيء من الحقيقة حتى ان من يدخل الغرفة بعدهُ لا يلطم بمرآة فيها ولا يعثر بكرسي . والانسان الضرير الذي فتحت عيناهُ فقال اني ارى الناس يمشون كالاشجار اصاب في انهُ رأى شيئًا متحركًا حولهُ

"ونحن في بداءة القرن العشرين لسنا مضطرين ان نعدل عمَّا نعتقدهُ من اننا عرفنا بعض الغوامض الطبيعية ولو كان لا يحق لنا ان نقول انا ازحنا الستار عنها كلها وكشفنا غوامض الكون . فان كان فرض الجواهر يوضح كثيرًا من الامور الطبيعية التي لا تتضح بغيرهِ وان كانت التموجات تنتقل في الفضاء كانهُ خالٍ من المادة فقد ثبت امران اساسيان في العلم الطبيعي وهما وجود الجواهر المادية ووجود الاثير غير المادي . وقد لا ندرك حقيقة الجواهر وحقيقة الاثير ولكن لا بدَّ لنا من البقاء على فرضهما الى ان نرى فرضًا آخر يقوم مقامهما ويكون اكفى من فرضهما لايضاح امور الكون المادي " . انتهى باختصار

هذا وكنا نودُّ ان نترجم الخطبة برمتها لولا ارتباط ما بقي منها بمناظرات ومشاحنات بين العلماء قلما اشرنا اليها في ما مضى وغايتها تصويب رأي القائلين بوجود الجوهر الفرد والاثير مع انهُ قد ثبت الآن ان كل جوهر ينقسم الى الف جوهر وسنعود الى الجوهر الفرد وانقسامهِ ونبسط الكلام عليهِ بالاسهاب

الرئيس مكنلي



المرء باصغيره قلبهِ ولسانهِ حقيقة يعترف بها الناس ثم يتناسونها ثم يعودون اليها تارةً أُخرى كأَنَّ الحقائق لا ترسخ في النفوس ما لم تعززها الاحوال التي ترتبط بها

صاحب الترجمة رجل بقلبهِ ولسانهِ ساد قومهُ ولكن لولا قومهُ ولولا ما لهم من العزَّة والمنعة ولولا الحالة التي قضى بها ما امتاز نعيهُ عن نعي امثالهِ من نوابغ الرجال الذين يعدون بالالوف في بلادهِ حتى لقد يظن المرءُ ان الناس يتزلَّفون الى الامَّة الاميركية بتعظيم قدر رئيسها ومشاطرتها الحزن عليهِ لكثرة ما ابدوا من ذلك

وُلد وليم مكنلي في بلد صغير من ولاية اوهايو في التاسع والعشرين من شهر يناير سنة ١٨٤٣ فاغتالتهُ يد فوضوي في سن الكهولة وعنفوان القوَّة العقليَّة . وهو مثل كثيرين من

الاميركيين العصاميين لا يمتاز اسلافهُ الاَّ بالفضائل وكرم الاخلاق . ومثلهم بذل والداهُ جهدهم في تعليمهِ وتهذيبهِ بما تصل اليهِ طاقتهما حاسبين ان العلم والادب خير من الجاه والنشب حتى اذا اتمَّ دروسهُ في مدرسة اليغني الكلية صار مدرّساً يفيد غيرهُ بما استفادهُ . ونشبت الحرب الاهلية سنة ١٨٦١ وكان في التاسعة عشرة من عمرهِ فتجنَّد مع المتطوعة "نفراً" وبقي اكثر من سنة قبلما صار ملازماً ثانياً . وفي السنة التالية صار ملازماً اول وفي التي بعدها يوزباشياً ثم بكباشياً بلغ هذه الرتبة في اقل من ست سنوات وبها خرج من الجيش حينما وضعت الحرب اوزارها وقد نالها بشجاعتهِ ومهارتهِ وبقي يلقَّب بلقب ماجور (بكباشي) الى ان صار رئيساً للجمورية الاميركية . فهو من هذا القبيل مثل الوف من الشبان الاميركيين الذين خدموا بلادهم في تلك الحرب بل ان كثيرين منهم امتازوا عليهِ حينئذٍ او سنحت لهم الفرص للامتياز اكثر مما سنحت لهُ . دخل الجندية فتى وخرج منها فتى لا مال ولا جاه ولا حرفة للكسب فجعل يدرس علم الحقوق ليصير محامياً واجيز لهُ ولكنهُ لم يشتهر بذلك لأَنَّ القدر خبأ لهُ واسطة أُخرى للشهرة ابتدأَت فرصتها سنة ١٨٧٦ حينما انتُخب عضواً في مجلس النواب فادرك اعظم ما يدركهُ المرء في الجمهورية الاميركية وهو رئاسة البلاد

ويعاد انتخاب النوَّاب كل سنتين فأُعيد انتخابهُ سبع مرات متوالية في اربع عشرة سنة لثقة قومهِ بهِ . وكان من القائلين بحماية الصناعة الاميركية اي بضرب الرسوم الفادحة على المصنوعات الاجنبيَّة لكي لا تزاحم المصنوعات الوطنيَّة . وهو مذهب لبعض الناس يعدونهُ من اكبر عوامل النجاح لكن نفعهُ يعود على الخاصة لا على العامَّة فاذا ضربنا رسماً فادحاً على المنسوجات الاجنبيَّة لكي لا تزاحم المنسوجات الوطنيَّة كانت النتيجة ان هذا الرسم يضاف الى ثمن الاجنبي منها والوطني معاً فيربحهُ اصحاب معامل المنسوجات ويخسرهُ جمهور الناس الذين يستعملونها والنتيجة اللازمة عن ذلك ان يزيد الاغنياء غنًى ولا ينال الجمهور الكبير غير التعب والضنك . ويقيننا ان مكنلي كان مخلصاً لامتهِ معتقداً صحة مذهبهِ يقصد بهِ فائدة الصناعة الاميركية لا اصحاب المصانع

الاَّ ان اعتناق مذهب يفيد الاغنياء ويزيد ثروتهم لا بدَّ من ان يحملهم على نصرة صاحبهِ فقوي انصار مكنلي لان القوة للدينار . والظاهر ان الزمان اراهُ فساد هذا المذهب بعدئذٍ فعوَّل على تحويرهِ كما يظهر من الخطبة التي القاها قُبيل وفاتهِ

واريد انتخابهُ عضواً في مجلس الشيوخ الاميركي فلم يفز بذلك فانتخبهُ حزبهُ حاكماً لولاية اوهايو وزادت اصوات منتخبيهِ واحداً وعشرين الفاً ثم اعيد انتخابهُ بعد سنتين وزادت اصوات

منتخبيهِ حينئذٍ واحداً وثمانين الفاً فلم تبقَ شبهة في اجماع ابناء وطنهِ على انهُ من الاكفاء الذين يقدرهم الناس قدرهم

وزاد حزبهُ وزادت شهرتهُ حتى رُشح لرئاسة الجمهورية سنة ١٨٩٢ فلم يفز بذلك بل فاز الرئيس هريسُن . ثم رُشح في الانتخاب التالي سنة ١٨٩٦ فانتخب رئيساً بعد نزاع شديد لم ترَ الولايات المتحدة اشد منهُ . وكان خصمهُ مرشَّح حزب الديموقراطيين المستر براين يقصد ان يجعل الفضة معاملةً قانونية في البلاد الاميركية كالذهب فينصرهُ اصحاب مناجم الفضة وهو اي المستر مكنلي يقول ان المعاملة القانونية يجب ان تنحصر في الذهب . فلو انتُخب المستر براين وصارت النقود الفضيَّة معاملة قانونية لحقَّ للحكومة الاميركية ان توفي ربا ديونها نقوداً فضيَّة بقيمتها الاصليَّة ومعلوم ان قيمة الفضة الآن نصف قيمتها الاصلية فيخسر الاغنياء اصحاب الديون الاميركية نصف ديونهم . وبديهي ان المال بعد النفس يدافع عنهُ المرء بكل مرتخص وغالٍ فلا عجب اذا قوي حزب مكنلي والاغنياء نصراؤهُ ورأيهُ الاصوب والاقرب الى العدل

ويقال ان مكنلي لم يكن من هذا المذهب اولاً بل كان يرى ان تضرب النقود من الفضة من غير حد حاسباً ان مسألة النقود ثانوية بالنسبة الى مسألة حماية الصناعة وغرضهُ من الامرين فائدة الجمهور لكنهُ عاد فرأى ان فائدة الجمهور لا تقوم بالاعتماد على معاملة ليس لها قيمة ثابتة فعدل عن رأيهِ حباً بالنفع العام . وعرفت الامة ذلك منهُ حتى ان جمهوراً كبيراً من الديموقراطيين انحاز الى حزبهِ وقت انتخابهِ فصوَّت لهُ سبع مئة الف منهم . وبلغت اصوات المنتخبين الاخيرة لهُ ٢٧١ وللمستر براين ١٧٦ فجعل رئيساً للولايات المتحدة الاميركية . ثم رأى مجلس الامة ان لا بدَّ لهُ من الاقرار على جعل الذهب مقياس المعاملة وحدهُ دون غيرهِ حتى لا تبقى معاملة البلاد غرضاً تتنازعهُ الاحزاب فاقرَّ على ذلك سنة ١٩٠٠

وكان في الولايات المتحدة حزب كبير يودُّ محاربة اسبانيا لتحرير كوبا منها اما الرئيس مكنلي فكان يحسب انهُ يمكن تحرير كوبا بغير الحرب وبذل جهدهُ في هذا السبيل ولكن نسف البارجة ماين في كوبا غلَّ يديهِ ودفعهُ الى الحرب رغماً عنهُ فادار رحاها ولم تضنَّ عليهِ الامة بمالٍ ولا برجال . ووضعت الحرب اوزارها بعد ان دارت الدائرة على اسبانيا واضيفت فيلبين وبورتو ريغو الى اميركا في معاهدة باريس واضطرت الولايات المتحدة ان تدخل في عداد الدول الاستعمارية اي التي تستعبد الناس بحجَّة اصلاح شؤونهم ثم تحرمهم الحق الطبيعي الذي لا تصلح الشؤون بدونهِ وهو المساواة مع سائر الرعايا

ولما انتهت مدة رئاستهِ الاولى وهي اربع سنوات أُعيد انتخابهُ للرئاسة باكثرية كبيرة

اثبتت علو منزلتهِ عند امتهِ

وفي ٦ سبتمبر بينما كان يستقبل الناس في معرض بفلو تقدم اليهِ بحجة السلام عليهِ فوضوي بولوني الاصل يسمَّى زولوجوز واطلق عليهِ رصاصتين من مسدس حملهُ بيسراهُ تحت منديل فاستخرجت الرصاصة الاولى التي اصابت صدرهُ ومزقت اللحم فقط اما الثانية فاخترقت بطنهُ الى الجدار الخلفي ولم يتمكن الجرَّاحون من اخراجها وتعلَّق الامل في بادىء الامر بحياتهِ الى ١٣ سبتمبر حين تغيرت حالتهُ فجأَة وتوفي في ١٤ منهُ الساعة الثانية بعد نصف الليل ونقلت جثتهُ الى وشنطون في ١٧ منهُ ودفنت في ٢٠ منهُ في كنتون (اوهيو) بمشهد من ٧٠ الف نفس. ولم يكد نعيهُ ينتشر في المسكونة حتى بادر ملوك الارض ورؤَساؤُها وعظماؤُها الى مشاركة الامة الاميركية في حزنها على رئيسها كأَنهُ من اعظم ملوك الارض شأْناً واقربهم اليهم مودَّةً

فارسل امبراطور المانيا الى زوجتهِ بالتلغراف التالي

" اني وزوجتي الامبراطورة نعرب لكِ عن حزننا الشديد على فقدكِ زوجك المحبوب الذي اغتالتهُ يد اثيمة وعسى الله الذي منحكِ ان تعيشي معهُ سنين كثيرة بالسعادة والهناء يقدّركِ الآن على احتمال هذه المصيبة التي افتقدكِ بها "

وبعث ملك الانكليز الى سفير الولايات المتحدة في لندن بالتغراف التالي

" اني اشاركم واشارك الامَّة الاميركية كلها في الحزن الشديد على فقد رئيسكم الفاضل الذي يبقى الاسف عليهِ مدى الدهر " . وامر ان يحد عليهِ البلاط الانكليزي اسبوعاً كاملاً

وارسل رئيس الجمهورية الفرنسوية الى زوجة مكنلي التلغراف التالي

" اني اشاركِ من اعماق قلبي في المصاب الذي حل بكِ بفقد اعز شخص لديكِ المصاب الذي حرم الامَّة الاميركية العظيمة من رئيس حائز بالاستحقاق التام اعظم الحب والاكرام " . ثم زار السفارة الاميركية بنفسهِ لتقديم فروض التعازي

وبعث اليها رئيس جمهورية سويسرا يقول

" في هذا اليوم الذي حلَّ مصابهُ بكِ وبالولايات المتحدة ابعث اليكِ ايتها السيدة بما يشعر بهِ مجلس اتحاد سويسرا من الحزن الشديد على فقد زوجك رئيس الولايات المتحدة المحبوب الذي اغتالتهُ يد الاثم "

وكان الرئيس مكنلي قوي الحجة شديد العارضة حبَّبهُ الى الشعب الاميركي فضيلتهُ العائلية التي يُجلها ذلك الشعب فوق كل فضيلة فقد اقترن بامرأَة فاضلة كانت عيشتهُ معها وعيشتها معهُ مثالاً للعيشة الزوجيَّة الطاهرة ثم زاد حبَّهُ في قلوب امتهِ لما رفض بتاتاً ان يرشح للرئاسة مرة ثالثة

تأثير الوحام

سألنا سائل منذ خمس سنوات قائلاً "أحقيقي ان الحامل التي في شهرها الثالث اذا نظرت الى شخص وامعنت نظرها فيهِ جاء ولدها شبيهاً بهِ حسناً كان او قبيحاً". فاجبناه "ان المرويات من هذا القبيل كثيرة جدًّا الاَّ ان العلماء لم يثبتوا صحتها حتى الآن لا بالامتحان ولا بالاستقراء ولا اثبتوا فسادها في ما نعلم . ولكن ما يُعرَف من نواميس الطبيعة يرجّح لنا ان هذه المرويات فاسدة او مبالَغ فيها والحقيقي منها يمكن ارجاعهُ الى علل اخرى . ونحن لم نرَ شيئاً حتى الآن مما يقال انهُ متولّد بسبب الوحام الاَّ وجدناهُ بعيدًا عمَّا قيل انهُ يشبههُ بعدًا شاسعاً . مثال ذلك اننا رأينا ابنةً ولدت وفي عنقها خرّاج كبير واكَّدت لنا امها انها توحمت على كلية وهي حبلى بها وحكّت عنقها حينئذٍ فولدت طفلتها والكلية في عنقها . ثم شقها الطبيب فاذا هي كيس خلوي مملوٍّ ماء . ورأينا رجلاً قال ان في ساقهِ سمكةً تولّدت فيهِ من وحام امهِ على السمك وكشف ساقهُ فوجدنا فيهِ لطخة حمراء لا تشبهُ السمكةَ اكثر مما تشبهُ يدهُ وهلمَّ جرًّا"

هذا وقد وقف الاستاذ ايورت منذ ايام قليلة في مجمع ترقية العلوم البريطاني وكان رئيس علم الحيوان فيهِ فخطب خطبة الرئاسة وموضوعها ما يتولَّد في الحيوانات من التغيرات واسبابها وتكلم على الوحام فقال

"ان الاعتقاد بتأثير الوحام في الاجنَّة قديم جدًّا وقد اقام ملَر الادلة القاطعة على فسادهِ منذ اكثر من خمسين سنة ولكن لا يزال الاعتقاد بهِ شائعاً واني اعرف اثنين من علماء الحيوان يعتقدان صحتهُ . ويعتقد صحتهُ ايضاً كثيرون من مربي المواشي ومن الاطباء . وكتب بعضهم في احدى المجلاَّت المنتشرة بين اهل الزراعة يقول ان ما تراهُ البقر وهي حامل يؤثر في لون عجولها حتى اضطرَّ احد مربي البقر السوداء ان يقيم سورًا اسود حول بقرهِ لكي لا تلد عجولاً حمراء لان بقر جارهِ حمراء اللون . وان لون العجل يكون بلون ما تراهُ البقرة اشبه منهُ بلونها او لون ابيهِ . وكذلك فراخ الطيور لونها اشبه بلون ما تراهُ اماتها منهُ بلون امَّاتها" . ثم ردَّ على ذلك قائلاً "انني ولَّدت في السنوات الست الاخيرة مئات كثيرة من الحيوانات فلم ارَ فيها ما يدلُّ على تأثير الوحام . وقد ولد عندي كثير من المهار وكانت اماتها ترى حمار الزرد المخطط دائماً وهي عشار فلم يظهر في المهار اثر للخطوط ولا لانتصاب العرف . وكذلك الغنم والبقر والمعزى والارانب وخنازير الهند والدجاج والحمام وسائر الحيوانات التي ربيتها وولدتها لهذهِ الغاية لم اجد فيها اقل تأثير للوحام"

عمران دمشق

" متنزهاتها "

لا غرابة في مدينة كالفيحاء خُصت بغوطة غنّاء غيباء ان تحيط بها المتنزهات والرياض احاطة الاكام بالاثمار ولكن كان هذا ايام استبحارها في العمران وتمتعها بنعيم الامان . ومن الفضاضة الآن ان المتنزهات المستوفاة شروط الصحة والراحة مفقودة على حين انها ما انعدمت في كل الادوار حتى في زمن تخريب التتار وبعدهم .

فمدينة كدمشق فيها نهر كبردى يشقها من غربيها الى شرقيها وهي على جانب من اتساع الرقعة وانبساط البقعة لا ترى داخلها ولا خارجها متنزهاً يصلح ان ينتابهُ الفقير والغني وما برحت متنزهاتها عبارة عن محال للقهوة كئيبة مظلمة يتكاثف الدخان فيها وتطبق الروائح الكريهة واحسنها هي التي بُنيت قرب المياه الراكدة . وكان مدحت باشا فكرّ ان يكشف البيوت والحوانيت المبنية على النهر ويجعل في ضفتيهِ رصيفاً يظلل المارّة بالاشجار ويقيم فيهِ المتنزهات والاماكن العمومية لكن الاقدار عارضتهُ . ومنذ سنتين أُعيد هذا الاقتراح على الاهلين بلسان الصحف فعدّوهُ هزلاً لا جدًّا واستحالوا صيرورتهُ لان التجارب علمتهم ان الشرقي لا يقدر ان يعمل عملاً ولو طفيفاً بدون ان يكون تبعاً للغربي يسخرهُ كيف يشاء . ولو تمّ هذا المشروع لغدت الفيحاء جنة غنّاء وتوفّر لها كل عام زهاء عشرة آلاف ليرة يخسرها الناس في الفيضان

ويؤخذ من منشور صادر عن نور الدين زنكي سنة ٥٦٩ ان حارة الميدان والشاغور والمزاز وقبر عاتكة والشويكة والقنوات وسوق ساروجا والعقيبة والعمارة وغيرها من الاحياء الخارجة عن السور لم تكن في القرن الخامس او السادس سوى مزارع ومصايف وحدائق ومتنزهات على ما سيجيءُ

واول متنزهٍ وحارة للفيحاء ❊ الصالحية ❊ ذكر بعضهم انها كانت في القرن الخامس للهجرة جناناً وحدائق وقال القرماني الصالحية اسم لثمانية مواضع الاول بلدة قرب دمشق بسفح قاسيون ذات منابر وحمامات وبساتين ومتنزهات وهي اسلامية وسبب تسميتها بالصالحية انهُ لما نزل بها ابو عمر الجماعيلي المقدسي وعمّر بها الدير ومدرستهُ الشهيرة وسكن بها هو واصحابهُ وكانوا قوماً صالحين سميت بهم . ويقول النعيمي ان احمد الخطيب والد ابي عمر المنوهُ بهِ كان من بيت المقدس فلما تملكها الافرنج هاجر الى دمشق فنزل بمسجد ابي صالح خارج " باب شرقي " ثم صعد الجبل وبنى الدير ونزل بسفح قاسيون وكانوا يُعرفون بالصالحية لنزولهم بمسجد ابي صالح ثم قيل جبل الصالحية

ومما يُذكر ان ابا عمر باني المدرسة بالسفح المسماة اليوم بمدرسة الحنابلة كان شرع سنة ٥٩٨ في بناء المسجد الجامع بسفح قاسيون فانفق عليهِ رجل يقال لهُ ابن محاسن حتى بلغ البناء مقدار قامة فلما نفد ما عندهُ من المال ارسل كوكبري بن زين الدين صاحب اربل مالاً جزيلاً ليتمّ بهِ فكمل وارسل الف دينار ليُساق بها اليهِ الماء من قرية برزة الواقعة الى الشرق من الصالحية فلم يُمكَّن من ذلك الملك المعظم عيسى صاحب دمشق واعتذر بان الارض قبور كثيرة للمسلمين فصُنع لهُ بئر وبغل يدور واوقف عليهِ وقفاً لذلك

ولو اذن صاحب دمشق لصاحب اربل ان يجر قناة من برزة الى الصالحية لكان امتدَّ عمرانها اكثر ولكانت الدور المشيدة في الاعالي من شعاب الجبل تسقى بها بدلاً من ان تستقي من نهر يزيد بالقُلل والقِرَب

﴿ دير مُرَّان ﴾ كان في سفح جبل قاسيون في حدائق الصُبَّار فلم يبقَ لهُ اليوم عين ولا اثر وهو من المتنزهات البديعة في الجاهلية والاسلام قال الخالدي انهُ بالقرب من دمشق على تلّ مشرف على مزارع الزعفران بناؤُهُ بالجص واكثر فرشهِ بالبلاط الملوَّن وهو دير كبير فيهِ رهبان كثيرة وفي هيكلهِ صورة عجيبة دقيقة المعاني والاشجار محيطة بهِ . واكثر الشعراء من التغزل بهِ حتى قال يزيد بن معاوية وقد اصاب المسلمين سباء وقتل بارض الروم

وما أُبالي بما لاقت جموعهمُ بالغَذْقَذُونةِ من حمَّى ومن مُوْمِ
اذا اتكأتُ على الانماط مرتفقاً بدير مُرَّان عندي ام كلثومِ (١)

﴿ البهنسيَّة ﴾ في كتاب محاسن الشام وهو مما أُلف في القرن التاسع ان هذا المتنزه روض يجمع بين اشجار مثمرة وعيون ماء تظهر منهُ الى جسر ابن شواش

﴿ جسر ابن شواش ﴾ قال ياقوت ان شواش اسم رجل نُسب اليهِ موضع في متنزهات دمشق فيهِ يقول فتيان الشاغوري

يا حبذا جنة باب البريد بها والحسن قد خُشبتْ منهُ حواشيهِ
فالقصر فالنهر فالقصر المنيف علي القصور بالشرف الاعلى فثانيهِ
فالجسر جسر ابن شواش فنَيْربها تحلو معانيهِ لا تخلو مغانيهِ
كأن في رأس علّيين ربوتها يجري بها كوثر سبحانَ مُجريهِ
تلك المرابع لا رَضْوى وكاظمة ولا العقيق يواديهِ بواديهِ

(١) هي بنت عبد الله بن كريز زوجة يزيد . والغذقذونة ويروى خذقذونة وهو الثغر الذي منهُ المصيصة وطرسوس واذنة وعين زربة قالهُ ياقوت

﴿باب البريد﴾ هو الآن اسم الباب الغربي من جامع دمشق كان قديماً من انزهِ المواضع. اكثر الشعراء من ذكرهِ ووصفهِ والتشوق اليهِ فمن ذلك قول علي بن رضوان الساعاتي

أَلَمَّتْ سُلَيْمى والنسيم عليلُ ... فخُيِّل لي ان الشمالَ شمولُ
كأن الخزامى صُفِّقت منهُ قرقفاً ... فللسكر اعناقُ المطيِّ تميلُ
تلاقت جفون ما تلاقي قصيرة ... وليلُ مشوق بالغرام طويلُ
شديد الى باب البريد حنينهُ ... وليس الى باب البريد سبيلُ
ديار فاما ماؤُها فمصفَّق ... زلالٌ واما ظلها فظليلُ
نحلتُ وما قولي نحلتُ تعجباً ... هل الحب الاَّ لوعة ونحولُ

وللقوم اليوم بيتان دائران على الالسن قيل انهما كانا مكتوبين بجانب قوس النصر في مدخل المعبد القديم الذي بني الجامع الاموي على انقاضهِ وهما

عرِّج ركابَكَ عن دمشق فانها ... بلدٌ تذلُّ لها الاسود وتخضعُ
ما بين جابيها وباب بريدها ... قمر يغيب والف بدر يطلعُ

﴿النَّيرب﴾ وربما قيل لهُ النيربان ولم ادرِ ما السبب وهي قرية عُدَّت قديماً من المتنزهات المفرحة بقي الاسم منها فقط وهي على نصف فرسخ من المدينة وسط الرياض ويذهب بعض المحققين الى ان حيَّ المهاجرين في الصالحية اليوم كان داخلاً في النيرب. قال القرماني انها قرية بغوطة دمشق في وسط بساتينها من جهة الغرب وقال ابن بطوطة انها باسفل الربوة والآن قد تكاثرت بساتينها وتكاثفت ظلالها وتدانت اشجارها فلا يظهر من بنائها الاَّ ما سما ارتفاعهُ. وقال ياقوت هي انزهُ موضع رأيتهُ. وذكر البدري ان محلة النيربين تعلو البهنسيَّة وجسر ابن شواش وانها من اعظم المحلات واخضرها وانضرها وبها سويقة وحمام وجامع وهي مسكن الرؤَساء والاعيان وبها دار قاضي القضاة يحيى بن جحي ومنها تدخل الى الربوة

﴿الربوة﴾ كانت من أعمر احياء المدينة وازهر متنزهاتها اتفقت على ذلك السن المؤَرخين والجغرافيين والادباء. ويستخلص من كلام البدري انهُ فيها مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربي وبها جامع ومدارس وعدة مساجد وبها عدة قاعات واطباق وفيها عين ماء يقال لهُ المنثم وبها سويقتان يقطع بينهما نهر بردى وبها صيادو السمك والقلاؤون ويذبح فيها كل يوم خمسة عشر رأساً من الغنم ما عدا ما يجيئها من لحم البلد وبها فرنان وثلاثة حوانيت للخبز وحمام لا نظير لهُ بكثرة مائهِ ونظافتهِ ومناظرهِ وبها طارمة خشب المسجد الدبلي الذي جددهُ نور الدين الشهيد ولهُ اوقاف على قرّاء ووعاظ وقراء البخاري وغيرهم وفيه يقول تاج الدين الكندي

ان نور الدين لما ان رأى في البساتين قصور الاغنيا
عمَّر الربوة قصرًا شاهقاً نزهة مطلقة للفقرا

ولا عجب اذا بنى نور الدين للفقراء قصورًا فقد ذكر القرماني ان داريًا وهي اعظم قرى دمشق كان وقفها ايضاً لعامة فقراء دمشق يُفرق غلالها عليهم

﴿الشرف﴾ شرفان اعلى وادنى كان مصايف للاعيان كالربوة والنيربين قال البدري ومن محاسن الشام شرفاها وما حويا من المناظر والقصور وقد تقرب اهلها الى الله ببناء المدارس ورتبوا للفقراء الطعام والمصرف في كل شهر على الدوام فيجلس الطالب في شباكها يطل على المناظر البديعة فينبعث الى طلب العلم ويتحرك في فهمهِ ما سكن . ويقال انهُ بمدرسة الكجانية قبة فيها طاقات على عدد ايام السنة والشمس تدور على تلك الطيقان لا تدخل اليها وهذا من حسن الهندسة واما جامع تنكز (وهو اليوم مدرسة اعدادية عسكرية) فانهُ في الشرف الادنى وهو من الغايات هندسةً وبناء وفيهِ عشرون شباكاً على خط الاستواء تشرف على الانهار ومرجة الميدان وما حوى . ثم قال وكل من الشرفين يطل على الشقراء والميدان والقصر الابلق والمرجة ذات العيون والغدران قال مجير الدين بن تميم يصف الميدان

عجباً لميدانَيْ دمشق وقد غدا كلٌّ لهُ شرف اليهِ يؤولُ
والنهر بينهما لغير جناية سيفٌ على طول المدى مسلولُ

ومن جملة وقف تربة الملك الظاهر برقوق طاحون الشقراء بمرجة دمشق ظاهر قصر الملك الظاهر بيبرس بالقرب من زاوية الاعجام وبينهما قصبة سوق كان فيها عدة حوانيت ويتلخص من ذلك ان المرجة الخضراء كان يمتدُّ عمرانها لا الى شرفيها فقط بل الى وادي الربوة وما والاها واما القصر الابلق فكان مكان التكية السليمانية اليوم . قال شيخ الربوة انهُ من المباني العجيبة المحدثة بدمشق بناهُ الملك الظاهر بيبرس وسمي بالابلق لكونهِ مبنياً بالحجارة البيض والحجارة السود

وفي الروضتين ان صلاح الدين يوسف بن ايوب كان يزور القاضي الفاضل ليستضيء برأيهِ فيما يريد فعلهُ في جوسق (قصر) ابن الفراش بالشرف الاعلى في بستانهِ حتى ان الصفيّ ابن القابض لما تولى خزانة دمشق لصلاح الدين بنى لهُ دارًا مطلة على الشرفين بالقلعة وانفق عليها اموالاً كثيرة وبالغ في تحبيرها وتحسينها وظن انها تقع من السلطان بمكان فما اعارها طرفاً ولا استحسنها وكانت من جملة ذنوبهِ عند السلطان التي اوجبت عزلهُ عن الديوان وقال ما يصنع بالدار من يتوقَّع الموت وما خُلقنا الاَّ للعبادة والسعي للسعادة وما جئنا دمشق لنقيم وما نروم ان لا نريم

﴿ الخلخال ﴾ محلة ومتنزه كانت على الغالب محل الثكنة الجديدة او فيما يليها للغرب ولها سويقة وحوانيت وفرن وحمام وفي القرن التاسع كان يسكنها الاتراك وكذلك المنيبع والشرفين وبها تدق طبلخاناتهم[1]

﴿ المنيبع ﴾ كان بها زاوية الادهمية والهنود وهي محفوفة بالناس والاعان لها سويقة وحمام وافران وبها مدرسة الخاتونية كانت من الاعاجيب يشقها في فنائها نهر بانياس ونهر القنوات على بابها ولها عدة خلاوي للطلبة و بجوارها دار الامير منجك والى هذه المدرسة وصل الصليبيون لما نزلوا في ظاهر الفيحاء في القرن السادس . ولا اثر اليوم للبناء في هذه الاماكن بل كلها بساتين وحدائق

﴿ الجبهة ﴾ كان متنزهاً حسناً ذا نواعير و برك واحواض لها فوارات وحوانيت بهِ مسجد ومدرستان . قال البدري ومربط الدواب ومقاصفية واقفون لخدمة الناس وعندهم اللحف والانطاع والاعبئة لمن ينام او يبيت و يعلوها نهران القنوات وبانياس ينحدر الماء اليها منهُ وفوق النهر حمام النزهِ والى جانبهِ مقصف ذو حوانيت فيها البضائع ويمر بوسطهِ نهر قنوات ويوصل منهُ الى زاوية الحريري المشهورة وليس بابدع من منظرها و ينحدر منها الى المتنزه المسمى بقطية وهو مقصف على ضفة بردى فيهِ النواعير والمجرات وقصبة سون تعلوها اربع طباق ومربط للدواب

ويقول كاتب جلبي انهُ كان في المرجة قصور عالية مشهورة في الآفاق لا يتأتى ايفاؤها حقها من الوصف سيما ابنية البرامكة وآثارهم فانها لم تزل باقية الى الآن وفيها منظر مشهور يقال لهُ الجبهة ثم اخذ في وصفهِ بما يقرب مما قالهُ البدريّ آنفاً . ولا اثر اليوم لكل ما ذُكر من بناء

﴿ العنَّابة ﴾ كانت محلة نزهة تشتمل على دور وقصور لا يعرف لهذا العهد سوى اسم ارضها فقط . ذكر البدري ان السبب في تسميتها ان كاهناً في زمن الروم كان يتعبَّد في صومعة

---

(١) قال صاحب صبح الاعشى شهاب الدين ابو العباس احمد بن علي بن احمد القلقشندي (قلقشند قرية من عمل قليوب في مصر) المتوفى سنة ٨٢١ هـ ان الطبلخانات هي طبول متعددة معها ابواق وزمر يختلف اصواتها على ايقاع مخصوص تدق في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون صحبة الطلب في الاسفار والحروب وهي من الآلات العامة لجميع الملوك و يقال ان الاسكندر كان معهُ اربعون حملاً من الطبلخانات وقد كتب ارسطو في كتاب السياسة الذي كتبهُ للاسكندر ان السرّ في ذلك ارهاب العدو في الحرب والذي ذهب اليهِ بعض المحققين ان في اصواتها تهييجاً للنفس عند الحرب وتقوية الجأش كما تفعل الابل بالحداء ونحو ذلك

بتلك الارض فحصل لهُ علة اشرف منها على الهلاك فنزل عليهِ تاجر من تجار الروم ومن جملة متجرهِ خمسة احمال عناب فحلها ونشرها فصار هذا الكاهن يتناول منهُ وقد طاب لهُ فلما اصبح جاء اليهِ الطبيب يجدهُ قد نصل من تلك العلة ووجد الكاهن في نفسهِ نشاطًا فقال لهُ ما الذي استعملت البارحة قال الشيء الفلانيّ ونسي ان يذكر لهُ العناب فقال الطبيب ولعلك استعملت عنابًا قال لهُ نعم من اخبرك بذلك قال لعلمي ان علتك لا يبرئها سواهُ وهو معدوم وخشيت ان أُعلق خاطرك بهذا الدواء فزرع الكاهن الارض التي حول صومعتهِ جميعها عنابًا وتقرَّب بها الى كل من احتاج منها الى شيء ان يأخذهُ حتى يقال انهُ وجد في الاسلام من ذلك العناب شجرة واحدة وبنى حولها فسميت الحارة بهِ

﴿ سطرًا ومقرا ﴾ من متنزهات دمشق وقرى الغوطة قال البحتريّ يمدح خُمارويهِ

أما كان في يوم الثنية منظرٌ ومستمع يُنبي عن البطشة الكبرى
وعطف ابي الجيش الجواد بكرة مُدَافعة عن دير مُرَّان او مقرى

وقد خرج منهما جماعة من اهل العلم والدراية وهما من ارض الطيبة في الفيحاء كان ينتابهما القوم للتنزهِ ولا يُعرف الآن مكانهما ويؤخذ من بيت توفيق بن محمد النحوي انهُ يخرج اليهما من باب العمارة اي الفراديس وهو قولهُ

سقى الحيا اربعًا تحيا النفوس بها ما بين مقرى الى باب الفراديسِ

وفيهما يقول عبد الرحمن بن خطيب داريا وقد احسن التورية

خليليّ ان وافيتما الشام بكرة وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقريا عني كتابًا كتبتهُ بدمعي لكم مقرا ولا تنسيا سطرا

وقال ابن عنين واجاد في الوصف

ألا ليت شعري هل ابيتنّ ليلة وظلك يا مقرى عليّ ظليلُ
دمشق فلي شوق اليها مُبرّح وانْ لجّ واش او الحّ عذولُ
بلاد بها الحصباء درٌّ وتربها عبير وانفاس الشمال شمولُ
تسلسل فيها ماؤُها وهو مطلق وصحّ نسيم الروض وهو عليلُ

﴿ البلكي ﴾ متنزه بين سطرا ومقرا قال البدري ان الناس يجتمعون فيهِ ايام زهر السفرجل ويُطلقون الماء تحت اشجارها ويُوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ويعلقون قشور النارنج موقدة في الاشجار ويضربون الخيام في بستان الحاجب ويقطعون فيهِ اياماً واوقاتاً من اللذة والانشراح يعجز الوصف عنها

❖ الميطور والسيلون ❖ هما من متنزهات الفيحاء ويقال ان اول من غرس في ارضها غرساً بيدهِ سليمان بن عبد الملك

السهم — كان متنزهاً متصلاً بارض الصالحية وهو درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور ومياه تجري كهدير البحور قالهُ البدري

المزاوع — كان متنزهاً خضراً نضراً تسرح فيهِ الابصار وتجري من تحتهِ الانهار

الماطرون — موضع قرب دمشق عُدَّ من بدائعها قال يزيد بن معاوية من ابيات

ولها بالماطرون اذا　　اكل النمل الذي جمعا
خُرفةٌ حتى اذا ربعت　　ذكرت من جلق بيَعَا
في قبابٍ حول دسكرة　　بينها الزيتون قد ينعا

❖ الحميريون ❖ كانت محلة بظاهر دمشق على القنوات لها ذكر في خبر شبيب العُقيلي ذكرهُ المتنبي في مدحهِ لكافور

هذا ما عثرت عليهِ من المتنزهات والحارات الداثرة في ضاحية دمشق ولعلَّ ثمت من الاسماء ما فاتني الوقوف عليهِ وكلها مما دثر عمرانهُ بتة ونسيت اسماؤهُ الاَّ قليلاً

محمد كرد علي

استئصال المعدة

يوجد الآن في قيد الحياة خمس نساء ورجلان بلا معدة . وقد نُزِعت المعدة برمتها ١٦ مرة منذ ثلاث سنوات الى الآن وكانت العاقبة حسنة في الغالب . وكان من نصيبي ان شاهدت نزعها مرتين اولاهما في سنت لويس بالولايات المتحدة الاميركية وقد ارسلت تفاصيل تلك العملية حينئذٍ الى مجلة الطبيب والثانية في هذه المدينة منذ عهد قريب وهي في امرأة ولا تزال حيَّة ترزق . وقد تولَّد فيَّ نوع من الرغبة في درس هذا الموضوع الجديد والبحث والتنقيب عمَّا صار اليهِ وكاتبتُ اكثر الجراحين الذين اجروا هذه العمليَّة فاجابوني عمَّا سألتهم عنهُ وارسل اليَّ بعضهم تقارير مطبوعة . وآخر تقرير وصلني كان من استاذي الدكتور ماير Dr. Meyer احد تلامذة الدكتور كوخ وهو عن رجل استأصل معدتهُ منذ بضعة اسابيع وفي هذا التقرير من الفائدة ما جعلني الخصهُ لقراء العربية الكرام في آخر هذه المقالة

ولا يخفى ان استئصال المعدة امرٌ لا يزال في طفوليتهِ ولذلك اختطَّ فيهِ كل جرَّاح خطَّةً

لنفسهِ مستقلاً عن غيرهِ واخطأ بعضهم فكان خطأهُ سبباً لموت العليل . ولم توضع هذه العملية حتى الآن ضمن حدود معلومة مثل سائر العمليات الجراحية الكبيرة ولذلك فغلط الزمن الحاضر سيكون اكبر معلّمٍ لجراحي الزمن المستقبل حين نرى عدداً كبيراً من المرضى الذين نزعت معدهم يعيشون كأنهم ذوي معد سليمة

والعلل التي تدعو الى استئصال المعدة مرجع اكثرها القرحة الخبيثة وهي نادرة والسرطان وهو كثير. وامامي الآن تقرير عن ست عشرة عملية نزعت فيها المعدة في اربع عشرة كان سبب نزعها السرطان وفي اثنتين سبب نزعها القرحة المعدية. وهاك كلاماً مجملاً عن اكثرها

الاولى عُملت في الولايات المتحدة منذ زمن بعيد قبل ان عُلمت مضادات الفساد فمات العليل بالتقيح

الثانية عملية الدكتور شلتر الشهيرة التي عملها في زورك بسويسرا فجاءت دليلاً على ان الانسان يستطيع ان يعيش بغير معدة . وترى وصفها مفصلاً في المقتطف في الصفحة ٨٧ من المجلد الثاني والعشرين. وقد عاشت المرأة التي نزع معدتها ١٤ شهراً بعد العملية ثم عاد السرطان فظهر ثانية في المساريقي والقولون فاماتها

الثانية عملية الدكتور برغهام من سان فرنسسكو وهي في امرأة ولا تزال المرأة حيَّة تُرزق وكان قد مرَّ عليها ٢٣ شهراً يوم كتب التقرير عنها في ١١ يونيو الماضي وهي تأكل المآكل العادية وتحسن هضمها كمن لهُ معدة سليمة . وقد وصل الدكتور برغهام طرفي المعدة الفؤادي والبوابي واما الدكتور شلتر فوصل الطرف الفؤادي بالصائم

الرابعة عملية الدكتور مكدونلد من سان فرسكو ايضاً والعليل امرأة ولا تزال حية ترزق

والخامسة عملية رتشردصن من بوستن وعاش العليل تسعة اشهر بعد العملية ثم ظهر السرطان ثانية في امعائهِ فاماتهُ

والسادسة عملية شفاس من فرنسا ولا يزال العليل حياً

والسابعة عملية كاڤل ومات العليل اثناء العملية

والثامنة عملية برنايز من سنت لويس باميركا وهي التي اشرت اليها قبلاً وكنت من جملة المساعدين فيها . وكنا قد اجرينا العملية في بعض الكلاب والارانب وقد تركتُ كلباً حياً عند الدكتور برنايز وهو من غير معدة . والعملية في رجل كان ضعيفاً جداً فلم يعش بعدها سوى ٣٦ ساعة ومات من قلّة التغذية

التاسعة عملية دلاتور من فرنسا وقد عاش العليل ٢١ شهراً بعد العملية

العاشرة عملية كوشر من الولايات المتحدة . عاش العليل بعدها وقتاً قصيراً وكان سبب موته خطأ الجراح المذكور فانهُ قطع الاوعية الدموية التي تغذي المساريقي والقولون المستوي في اثناء العملية ولم يعلم خطأه الأَّ حين ابتدأت الغنغرينا في المساريقي والقولون وكان ذلك سبباً لموت العليل كما ظهر من فحص جثتهِ

الحادية عشرة عملية مورتن من لندن والعليل لا يزال حياً

الثانية عشرة عملية بردك وقد عاش العليل وقتاً قصيراً بعد العملية .

الثالثة عشرة عملية كارڤاليو من سان باولو (بالبرازيل) وهي في امرأة لا تزال حية وكان سبب استئصال معدتها السرطان . واتبع الدكتور كارڤاليو فيها الخطة الحديثة من وصل طرفي المعدة الفؤادي والبوابي . وقد شاهدت هذه العملية ولا تزال المرأة حيَّة

الرابعة عشرة عملية عملت في سنت لويس في ٢١ مايو الماضي عملها استاذي الدكتور مايروستري تفصيلها في آخر هذه المقالة

وظيفة المعدة والآراء الحديثة

يذهب الفسيولوجيون اليوم الى ان وظائف المعدة ثلاث وهي خزن الطعام وتحريكهُ وتطهيرهُ ولا هضم فيها ولا امتصاص ولا تمثيل كما كان يزعم. فيخزن الطعام فيها لكبر حجمها ويبقى فيها مدة حتى يلين بامتزاجهِ بالعصارة المعدية وهذه هي الوظيفة الاولى . ثم ان حركة المعدة تدفع الطعام من الفتحة البوابيَّة الى الاثني عشري وهذه وظيفتها الثانية

ومعلوم ان العصارة المعدية السليمة تقتل بعض الميكروبات الوبائيَّة كميكروب الكوليرا وميكروب الحمرة وميكروب القيح وما اشبه فهذه وظيفة المعدة الثالثة . وفي العصارة المعدية الاصلية حامض هيدروكلوريك وهو يساعد على افراز الببسين ويساعدهُ على هضم الطعام. وكل ما تقدَّم يدلُّ على فائدة المعدة ولكن هذه الفائدة غير ضرورية للحياة بدليل ان الهضم والامتصاص والتمثيل تتم كلها في الامعاء الدقاق لا في المعدة فاذا اصيبت المعدة بسرطان او قرحة بطلت فائدتها وصار منها ضرر فيجب نزعها . اما السرطان فانهُ يمنع تولُّد الحامض الهيدروكلوريك فيها ويمنع خروج الطعام من فتحتها البوابية فيبقى فيها مدة طويلة ويحلُّ بهِ الاختمار والتعفُّن فتتولَّد منهُ الغازات وتضعف جدران المعدة عن عملها وتتمدَّد ولذلك تقلُّ تغذية العليل فيشعر بالضعف وانحلال القوى الى ان يفاجئهُ الموت فيموت من قلَّة الغذاء لان معدتهُ مصابة بالسرطان فاذا نزعت وصل الطعام الى امعائهِ رأساً فاغتذى جسمهُ ونجا من الموت

التشخيص وكيفية العملية

اما تشخيص السرطان المعدي فمن اصعب الامور في الطب الداخلي خصوصاً في بادىء الامر. ويظهر من وصف الحادثة التي عالجها الدكتور مايراخيراً ما يقاسيهِ الطبيب حتى يصل الى الحقيقة قال: ان سن العليل ٣٧ سنة وهو عامل الماني متزوج لهُ خمسة اولاد كلهم اصحاء اقوياء وامرأتهُ كذلك لا يعلم سبب موت والديهِ . يقول انهُ لزم فراشهُ وعمرهُ سبع سنوات بسبب علَّة معدية وكان يتقيأ دائماً . ثم انتظم في سلك الجندية الالمانية وأُصيب بالروماتزم المفصلي ولا يزال يشكو منهُ للآن . وترك وطنهُ وعمرهُ ٣١ سنة وهاجر الى الولايات المتحدة وبقيت صحتهُ جيدة الى آخر نوفمبر سنة ١٩٠٠ ثم ابتدأ يشعر بألم في معدتهِ وكان الالم يزداد خصوصاً بعد الطعام الى ان جاء في ١٥ دسمبر وكانت علامات الضعف والهزال بادية عليهِ على ان وزنهُ كان ١٨٥ ليبرة (رطلاً) ثم صار الالم يزداد بعد الطعام وكذلك الجشاء والضعف وزالت قابليتهُ للطعام وفي ٢١ فبراير الماضي ظننت انهُ مصاب بالسرطان وجعلت افحص محتويات معدتهِ كيماوياً

وصباح الثاني والعشرين من شهر فبراير (شباط) اطعمتهُ ما يسمَّى بفطور ايوالد اي قطعةً من الخبز وزنها سبعون غراماً تحتوي على خمسة غرامات من مادة نيتروجينيَّة و ٩ غرامات من مادة كربوهيدراتية وثلث غرام من الدهن وثلاثة ارباع الغرام من الاملاح . وسقيتهُ ٣٥٠ غراماً من الماء واوصيتهُ ان يمضغ الخبز جيداً . وبعد ساعة اخرجت محتويات معدتهِ وفحصتها فحصاً كيماوياً ومكرسكوبياً فوجدتها كما يأتي :—

الكميَّة تسعون غراماً. لاسائلة تماماً ولاجامدة تماماً بل بين بين وعند ما تركناها تركد في اناء زجاجي صارت طبقتين فعلهما الكيماوي حامض ليس فيها شيء من الحامض الهيدروكلوريك مطلقاً ولكن فيها كثير من الحامض اللبنيك والحموضة الاجمالية ١٣. قوة تولد الببسين جيدة والنشاء موجود وكذلك الدكسترين والببتون . وظهر بالفحص الميكرسكوبي حُبَيبات النشاء وتشعبات الخمير بكثرة . وحينما مدَّدنا المعدة بالغاز رأَينا طرفها الاسفل فوق السرَّة بعقدة واحدة

واجرينا هذه العملية نفسها في اول مارس (اذار) فوجدنا امرين جديدين الاول ان الكمية كانت ٢٠٠ سنتيمتر مكعب والثاني بقايا سليلوس ليموني وكان العليل قد آكل ليموناً منذ ١٧ ساعة

وفي ٨ مارس وجدنا الكميَّة ٤٠٠ سنتيمتر مكعب وكان الحامض اللبنيك كثيراً فيها وحموضة المعدة الاجمالية ٥٦ لان العليل اكثر من اكل الزبدة قبل الفحص بيوم ولذلك كثر

الحامض الزبديك في معدتهِ وكانت رائحة الحموضة شديدة جدًّا وتجشأ كثيرًا من الغاز وكان لون المادة المستخرجة من معدتهِ الآن اسمر فاتحًا ولا اثر فيها لكريَّات الدم واما مادة الخمير فكانت كثيرة وتشعباتها طويلة

وفي ١٢ مارس كثرت انواع البكتيريا وزاد عددها زيادة فاحشة وعددنا كريات الدم الحمراء يومئذٍ فوجدناها ٤٢٠٠٠٠٠ وكمية الهيموغلوبين فوجدناها ٤٠ في المئة ومدَّدنا المعدة بغاز فوجدنا طرفها الاسفل تحت السرَّة بعقدة ونصف اي انها تمدَّدت في هذا الوقت القصير فرجُحتْ وجود السرطان فيها والاسباب التي دعتني الى ترجيح وجودهِ ثلاثة

اولاً عدم وجود الحامض الهيدروكلوريك مطلقًا

ثانيًا وجود الحامض اللبنيك دائمًا وبكثرة

ثالثًا علامات عدم التغذية في العليل وبسرعة تمدد معدتهِ وعدم نجاح كل الادوية التي استعملناها لهُ

ولذلك عولنا على استئصال المعدة برضا العليل

عمل العملية الجراح كارسن بحضور الاستاذ ماير على طريقة برغهام وكان العليل يُطعَم في الخمسة الايام الاولى عن طريق المستقيم طعامًا مؤلفًا من اللبن الحليب والخمر وزلال البيض مع قليل من الملح وفي اليوم السادس أُبدلت اساوة الجرح الاولى فكان كل شيء على ما يرام ولكن دخل ميكروب الصديد عند تغيير الاساوة فتقيح الجرح ومات العليل في اليوم التاسع بسبب العدوى بميكروب الصديد

الاعتراض على هذه العملية

يقول المعترضون على هذه العملية ان مَن يصاب بالسرطان لا بدَّ من موتهِ بهِ فلنتركهُ وشأنهُ واذا نزعت معدتهُ عاد السرطان فظهر في امعائهِ واماتهُ كما حدث في المرأة التي استأصل الدكتور شلتر معدتها . وزد على ذلك ان البعض ماتوا بسبب العملية نفسها . ويردُّ عليهم القائلون بالعملية انهُ اذا لم يكن من الموت بدٌّ لوجود السرطان او القرحة الخبيثة فلا بأس بقطع العضو المصاب اذا استطاع العليل ان يستغني عنهُ فان عاش بعد ذلك فهو المطلوب وان مات فقد كان في عداد المائتين وما العملية سوى مقوٍّ لآمالهِ في الحياة . ويبدي الذين تُعمل فيهم من البهجة والسرور بعدها ما يدعو الى شيوعها والإقبال عليها

سان باولو بالبرازيل — الدكتور سعيد ابو جمره

رواية امينة

الفصل الرابع عشر

ألا تستطيعين ان تبقي الباب مفتوحاً فان الحر شديد يزهق النفوس . قلت ذلك لام عطيّة هانم وهي امرأة كهلة طويلة القامة سمينة الجسم كانت جالسة امام الباب تلهث من شدة الحر وانا جالسة وامامي كومة من الحرير افصّل فيها . فقالت كلاَّ لاني لا اريد ان احداً ينظرنا هنا ويمضي ويخبر عزَّت باشا ويقول لهُ هذا لازم وهذا غير لازم فقد كفانا ما سمعنا من الكلام وما دار بيننا من الخصام

ولم اكن احسب انَّ في رؤْية النساء لجهاز عطيَّة هانم اقلّ ضرر لاسيما وان سنية هانم هي التي اعدَّتهُ ولكني وجدتُ من العبث الجدال معها فتركتها جالسة والباب مقفل وانا اقول في نفسي ترى هل تصير عطيَّة هانم مثل امها سمينة بليدة سخيفة العقل . اما من حيث سخافة العقل فلم احسب ذلك ممكناً لان عطية كانت ذكيَّة الفؤاد على ما يظهر واما السمن فدلائلهُ واضحة فيها

ثم مسكت بكرة فارغة بيدي وقلت لها لا بدَّ لنا من خيطان حرير من هذا اللون . فتنهدت وقالت من اين الدراهم فقد صرفنا كل ما معنا. واخرجت كيساً من جيبها مملوءًا بالنقود وقالت هل يكفي غرش فقلت كلاَّ ولا بدَّ من خمسة غروش . لاني كنت قد ضجرت من بخلها . فصمتت وهي تنظر الى قطعة النقود في يدها واخيرًا رمتها اليَّ قائلة كفى بعزقة واسرافاً كأَنك تحسبين عندي خزنة

فلم اجبها بل خطر ببالي ان ارمي ثياب ابنتها في وجهها واقوم واتركها ولكني رأيت اللياقة تمنعني عن ذلك . ثم قالت لي أتعلمين ان عزَّت باشا اتى الى هنا منذ مدة وقال لي ان نافذ بك قام من اسطانبول منذ اسبوعين وانهُ يكون هنا غداً او اليوم العصر . ما هو شكلهُ فقد بلغني انكِ تعرفينهُ فهل هو جميل المنظر

فقلت لها نعم جميل جداً . وشعرت حينئذٍ بخفقان في قلبي ودوران في رأسي . وكانت قد سألتني هذا السؤَال مئة مرة واجبتها عنهُ كما اجبتها الآن . فلم تكتفِ بل قالت قلتِ ان شعرهُ اشقر وهذا غريب لان شعر سنية هانم اسود . فقلت لهُ انهُ ليس مثل اختهِ . ولما قلت ذلك دخلت سنية هانم ودنت مني وباستني على جاري عادتها وقالت لي اليوم يصل نافذ وتخلصين من هذا التعب . فقالت لها ام عطية أصحيح ذلك هل ارسل احداً يخبر بقدومهِ

فقالت سنية هانم نعم وصل رسول منهُ الآن

وقمتُ حينئذٍ بحجة الذهاب لارسل من يشتري الحرير وذهبت الى غرفتي لان سنية هانم لا تبقى طويلاً هناك وهذا هو الوقت الذي يأتي فيهِ حسين بك وكان هذا الشاب قد نغَّص عيشي بوقاحتهِ وكنت اهرب منهُ من غير ان اقابلهُ بالغيظ الذي اشعر بهِ في نفسي . ولما جاء الخادم بالحرير اتت ام عطية هانم ونادتني قائلة تعالي لترى نافذ بك فان الشبابيك في غرفة حافظ باشا تطلُّ على الدار التي يمرُّ فيها . فتبعتها عن غير فكر الى ان وصلنا الى غرفة حافظ باشا فوجدنا النساء والجواري ملأن كل كواها ورأتني الجواري فوسَّعن لي مكاناً ولكنني لم استحسن الوقوف بينهنَّ وعزمتُ ان ارجع من حيث اتيت ولكن خطر ببالي حينئذٍ ان تحت هذه الغرفة غرفة اخرى صغيرة فيها شباك يطل على الساحة فنزلت اليها وتبعتني عطية هانم فدخلناها معاً وهي تقول لي لا تخبري احداً عني لانني احبُّ ان اراهُ وارى من يشبه . ووقفنا كلتانا امام الشباك وعيناها مملوءتان بهجة وسروراً وهي لا تحسب لي حساباً لانها تعدني دونها بمراحل فلم تحاول اخفاء سرورها امامي

وسمعنا صوت المركبة وخيلها ثم دخلت الدار ونزل نافذ بك واثنان آخران ووقف وظهرهُ الى الشباك الذي كنا فيهِ فكنت اسمع صوتهُ ولا ارى وجههُ وجعل يحيي الذين اتوا لاستقبالهِ وخرج عزت باشا واستقبلهُ بالترحيب والتأهيل على جاري عادتهِ ثم قال لهُ ادخل واسترح الآن وبعد ذلك آخذك الى اختك فقال لهُ بل خذني الآن لاني مشتاق اليها جداً. ودار عزت باشا يكلم واحداً فادار نافذ بك وجههُ حتى صار امامي مواجهة ولو امكنني ان افتح الشباك لمستهُ بيدي فرأيتهُ نحيفاً اصفر الوجه في جبينهِ اسارير كثيرة . والتفت عزت باشا اليهِ حينئذٍ وقال لهُ هلمَّ بنا وسار معهُ ودخلا البيت والتفتُّ الى ما حولي فوجدت ان عطية هانم قد خرجت من الغرفة وتركتني وحدي كأنها خافت ان تُستفقد فتُرى هناك . ولما رأيت اني وحدي ولا داعي لاخفاء ما بي جلست على حافة الشباك واعطيت نفسي مداها في البكاء

وكنت ارى ان وجودي هناك لا يمكن ان يخفى علي نافذ بك وانهُ لا يزال يحبني ولكنهُ لا يستطيع ان يعدل عن الاقتران بعطية بعد ان خطبها الى ابيها واخيها فجعلت اصبّر نفسي حتى اذا التقيت بهِ لا يظهر عليَّ شيء

وانتظرتُ سنية هانم في اليوم التالي لارى ما هو رأيها فيهِ . ولما اتت كانت ام عطية غائبة فقالت لي لقد اخطأ ادهم في ما قالهُ عن نافذ فانهُ لا يزال يحبك حباً شديداً ولا اقول ذلك لانهُ اخبرني بهِ او لاني اراهُ كاسف البال كلاَّ فانهُ لم يخبرني بشيء ولا يُظهِر الاَّ البهجة

والسرور ولكنني ارى جليًّا انهُ يتظاهر بالسرور تظاهرًا . وقد عرف انكِ هنا فتعالي معي ليراكِ

فقلت لها من اخبره' اني هنا

فقالت اخبرتهُ ظبي فانها ارتهُ كلبها الصغير وسلتهُ وقالت له' ان امينة صنعتها فلما سمع اسمكِ اضطرب واخذ يسألها من هي امينة هذه فقالت له' انها ابنة ابنة مربية امي وانها اتت من اسطانبول . وكان زوجي حاضرًا فاكَّد له' الخبر واعلمهُ ايضاً تاريخ مجيئك الى هنا فلم يُقلْ شيئًا ولكنهُ التفت اليَّ بعد حين وقال لي بصوت منخفض اين اخفيتم تلك المسكينة عسى ان لا تصدقي كل ما قاله' ادهم عني ولا تظنيني غولاً اتيت لابتلاعها ولا تخافي من اني اعدل عن عطية بعد ان وصلنا الى هذا الحد

فقلت' لها ألا تظنين مع ذلك انهُ خير لي وله' ان ابقى هنا

فقالت كلاَّ بل الاحسن ان تقابليهِ ولو بقيتِ تنامين هنا لان كل احد يعلم انكِ ربيت في بيت ابي فيستغربون عدم ظهوركِ امامهُ وانا اعلم ان ذلك صعب عليكِ ولكن الا تظنين انكِ تستطيعين ان تقابليهِ

فقلت لها سافعل حسبما تريدين

فقالت اتبعيني اذًا الآن بعد ما اذهب وقولي انكِ آتية لتري نافذ بك . ثم قامت ومضت ووقفت' حيرى وانا اقول في نفسي جاءت الساعة التي كنت اخشاها ولكن لا بدَّ لي من مقابلتهِ . ودخلتْ زوجة حافظ باشا حينئذٍ فقلت' لها اني ذاهبة الى البيت الآخر لارى نافذ بك . فقالت اذهبي وارجعي حالاً واخبريني بكل ما يقوله' فقد قال حسين انهُ من اظرف الناس وعزّت باشا مسرور بهِ جدًّا

فخرجت من غير ان اجيبها ووصلت الى باب البستان الآخر ولم اكد استطيع فتحهُ لارتجاف يديَّ ولما فتحتهُ ودخلت البستان رأيت نافذ بك وحسين بك وسنية هانم جالسين تحت السنديانة فتجلّدت وسرت اليهم وانا مطرقة الى الارض حتى اذا دنوت من نافذ بك نهض لاستقبالي وقال بصوت مرتجف اهذه امينة. ولم اقبّل يده' لاني كنت اعلم انهُ يكره ذلك بل سلمت' عليهِ تمنيًا فسلَّم عليَّ كذلك وادنى كرسيًّا مني وقال تفضلي . فجلست صامتةً . كل ذلك وانا لا اجسر ان ارفع نظري اليهِ ولما جلس رفعت عينيَّ ونظرت في وجههِ مليًّا وكان آخذًا في اشعال سيكارتهِ فرأيتهُ مصفرًّا قليلاً ويداه' ترتجفان ثم التفت اليَّ وقال لقد عدتِ الى الاناضول يا امينة فهل ذهبت الى قش اغاج

فقلت كلاَّ لأنها بعيدة جدًّا . فقال نعم بعيدة واظن انكِ ستمضين اليها يومًا من الايام

وقد مضيت انا اليها حديثاً

فقال حسين بك أإلى قش اغاج ما أخذك الى هناك فانها قرية صغيرة حقيرة

فقال نعم بل لا تستحق ان تسمّى قرية لان ليس فيها الاَّ عشرة اكواخ في سفح جبل

فقال حسين بك وكيف ذهبت اليها واين نزلت

فقال اني لم اقم هناك الاَّ ليلةً واحدة فلم يكن الوقت كافياً لاتعب منها لا سيما واني ذهبت اليها من مونت كارلو رأساً فكأَني خرجت من الجحيم الى النعيم او من حمام سخن الى حمام بارد

وكان سعيد بك قد اتى وجلس معنا فقال لنافذ بك أَ كنتَ في اوربا حديثاً

فقال نعم اخذت اجازة اربعة اشهر فاقمت شهراً في باريس وقضيت الثلاثة الباقية ضارباً في المانيا وسويسرا ثم اسرعت الى قش اغاج ولذلك ما عدت استطيع ان آخذ اجازة أُخرى هذه السنة ولما صممت على المجيء الى هنا اضطررت ان ابين سبب مجيئي وهو الزواج ولم احصل الاَّ على اجازة شهر واحد

وكأَنهُ خاف ان اري ما بدا على وجهِ من الاضطراب حين لفظ كلمة الزواج فانحنى لكي لا اراهُ

ثم غيَّر الموضوع وقال لحسين بك اعندكم صيد كثير هنا

فاجابهُ عندنا صيد غير قليل ولكن ليس هذا وقتهُ

فقال نعم اعلم ذلك وحسناً انهُ ليس وقت الصيد الآن لانهُ يصعب على المرء ان يضرب في الجبال والوهاد النهار كلهُ ثم لا يجد في الليل مكاناً يبيت فيهِ . وصيد عصفورين لا يغني عن تعب النهار وقلق الليل

فقالت لهُ اختهُ ما عرفت انك متنعم بهذا المقدار ولو عرفت ذلك لكنت اخاف ان بيتي لا يرضيك. فقال لها لا تخافي ما دمتِ ابنة امكِ . وعلى ذكر امي أتعلمين انها منحرفة المزاج

فقالت لا وما هو مرضها

فقال لا اعلم ولكن ظهر عليها الكبر كثيراً في هذه الاثناء ولما رجعت من سفري استغربت منظرها جداً كأَنها كبرت ثلاثين سنة في غيابي وهي لا تشكو من شيء خصوصي ولكنها لم تعد تظهر قوية على جاري عادتها . وقد كلمتُ ابي في ذلك فاستدعى لها طبيباً ولكنها ابت ان تراهُ واظنها تستعمل الآن علاجاً من علاجات الدجالين

فنظرت اليهِ وانا اقول في نفسي لعل صحتها انحرفت على اثر ما وقع من الخلاف بينها وبين ابنها وكأَنهُ هو كان يحسب ذلك سبباً لانحراف صحتها . فقلت لهُ ما هو سبب انحراف صحتها

فقال لا اعلم حقيقةً ولكني اخاف من ان قلبها ضعيف ألا تتذكرين انهُ كان يصيبها نوب خفقان احياناً . يا حبذا لو كان ابي يقنعها لتري نفسها لطبيب وعسى ان اكون مبالغاً في قولي . اين الاولاد الآن

فقالت اختهُ هم يدرسون الآن مع المعلم وسيخرجون قريباً لانهُ قرب وقت الغداء

فقال أصحيح اذاً لا بدَّ من ذهابي لان واحداً من رجالكم اظنهُ شيخاً او مديراً دعاني للغداء عندهُ والناس هنا يحسبون ان من يأتي من العاصمة يأتي والشرف يرشح من ثيابهِ فيتسابقون اليهِ من كل فج ويحسبون اكرامهُ فخراً لهم . ونهض وهو يتكلم وقال لي لا اظن انني استطيع ان اراكِ اليوم ايضاً يا امينة اذ بلغني انكِ نازلة في البيت الآخر واري عليك علامات التعب لا تتعبي نفسكِ كثيراً انا اعلم انكِ كبيرة المروَّة فلا تدعيهم يتعبونكِ كثيراً كما كنتِ تتعبين في بيتنا

ثم امسك بيدي وشدَّ عليها قليلاً وتركنا ومضى

الفصل الخامس عشر

المقابلة المشار اليها في الفصل السابق لم تكن الاخيرة بل قابلت نافذ بك مراراً بعد ذلك وكان يقابلني دائماً فيظهر لي المودَّة لا اكثر ولا اقل ولم يشر الى الماضي بكلمة ولا بتلميح كأنهُ رأى ان لا مردَّ لما مضى واني رفضتهُ رفضاً باتاً لا ارجع عنهُ . وكنت انا اقابلهُ كما يقابلني حتى لا يستدلَّ من يرانا على شيء مما كان بيننا

وبلغ الاستعداد للعرس اتمَّهُ ونُصب العرش للعروس وأُرسلت رقاع الدعوة وكُتب الكتاب وسيكون العرس غداً . اصابني صداع شديد فدخلت غرفتي بُعيدَ الغروب بساعة او ساعتين وعزمت ان انام حينئذٍ لكي استطيع ان انهض باكراً ولكني لم اجد الى النوم سبيلاً

ومشيت الى الشباك كانهُ على غير قصد مني وفتحتهُ لاستنشق الهواء فرأيت نفسي مدفوعةً غصباً عني لاخرج الى الحديقة واراهُ قبلما انام ففتحت الشباك وخرجت منهُ وسرت الى باب الحديقة ففتحتهُ ومشيت الى السنديانة الكبيرة فجلست تحتها وكان في الرواق امامي شخصان لكنهما لم يرياني لان الليلة كانت حالكة الظلام وكان فوقهما قنديل فكنت اراهما بنورهِ وهما سنية هانم ونافذ بك والظاهر انهما لم يكونا يتكلمان وكان نافذ بك جالساً على كرسي كبير وقد رفع رجليهِ ووضعهما على كرسي آخر ووضع كفَّيهِ تحت رأسهِ مستنداً عليهما. فنظرت اليهِ ملياً وقلت غداً يكون عرسهُ فلا يبقى في قوس الرجاء منزع وبعد اسبوع يذهب بزوجتهِ فلا اعود اراهُ ولا يبقى من هذا الحلم الاَّ ما اسمعهُ عنهُ من مكاتيبهِ لسنية هانم. فابقى

مربية للاولاد بقية عمري اذكر الايام الماضية وما رأيت فيها من صفاء وكدر . ولما خطرت ببالي هذه الخواطر فاضت عيناي بالدموع وتحسّرت على ايام كنت اضع فيها رأسي على كتفهِ واشعر بذارعهِ حولي وانا اغسل كآبة نفسي بدموع عينيّ

ثم سمعت صوتاً في الرواق فالتفت واذا هو يمشي ذهاباً واياباً مشية الاضطراب والضجر لا كمن يبيت منتظراً عرسهُ في الغد . ونهضت اختهُ ايضاً فقال لها خبرلكِ ان تذهبي الى البيت الآخر والاّ جاءني واحد من اولاد عمي وازهق روحي بثقالتهِ . عسى ان لا تكون عطية مثل الصغار من اخوتها فاني لم ارَ مثلهم في حياتي ولا ادري كيف هم اخوة لزوجكِ

فقالت نعم انهم على ما ترى ولكن ليس اللوم عليهم فان اباهم مفلوج لا يستطيع ان يعمل عملاً ولذلك ربوا من غير مؤدب . ولكن كيف اذهب واتركك وحدك الى اين تريد ان تمضي

فقال اني امضي الى السلاملك واطيّر زعلي بسيكارة ادخنها ثم اذهب وانام . وودعها وودعتهُ وسارت هي الى البيت الآخر وبقي هو مكانهُ بضع دقائق ثم دار ومشى . وبقيت انا في مكاني وقد رجعت بي افكاري الى الايام الماضية فتذكرت مواعيدهُ لي في البستان قرب البركة وقلت غداً يكون عرسهُ أما كان يستطيع ان ينتظرني قليلاً فانهُ لم تمضِ سنة من حين فارقتهُ وهوذا اراهُ على اهبة التزوّج باخرى . ما اسرع تقلّب الرجال وما اقل ودادهم . هل فتّش عني لماذا لم يظهر الجفاء لابيهِ . لو رأى ابوهُ منهُ اصراراً للان . ومن يلزمهُ التزوّج باخرى الآن . لا بدَّ من انهُ يفضل مشيئة والديهِ على كل مشيئة ويشتري رضاهما بكل عزيز والاَّ فلو اصرَّ على الرفض لما قدر احد على جعلهِ يقلع عن عزمهِ ويتزوج بمن لا يريد التزوج بها

وبينما انا افكر في ذلك سمعتُ واحداً يمشي بجانبي وقد دنا مني فالتفتُّ واذا حسين بك امامي وجهاً لوجه . فنظر اليَّ باسماً وقال ما اتى بكِ الى هنا فقد بلغني انكِ مريضة وانكِ ذهبتِ لتنامي

فقلت اني خرجت لاستنشق الهواء قليلاً

فقال احسنتِ وهذا من حسن حظي وساعود اليكِ حالاً بعد ان اقول لسنية هانم ان زوجها في انتظارها

فقلت لهُ ان سنية هانم مضت الى البيت الآخر ولا بدَّ لي من ان اتبعها . وقمت لامشي فوقف في طريقي وقال لا ادعكِ تذهبين . قولي لي لماذا تهربين مني دائماً . فلم اجبهُ فقال

لماذا انتِ مجنونة ألا ترين اني احبكِ فلماذا تهربين مني . قال ذلك ودنا مني ليمسكني بيدي فصرخت ابعد عني ابعد عني. وللحال رأيت نافذ بك مسرعاً اليَّ فقلت لهُ بالله خلصني من هذا الشيطان ولم اكد الفظ هذه الكلمة حتى خطر ببالي ان هذا يوقع العداء بينهما ولكن قضي الامر وامسكني نافذ بك بيدهِ ونظر الى حسين بك عابساً فقال لهُ حسين بك اني انما امزح معها. فقال لهُ الست تعلم انها ضيفة اختي وان ابي قد تبنَّاها ولا يجوز لك ان تمزح معها فهي ليست جارية في بيت ابيك ولا هي من جواري اخيك فابقِ مزحك للخدم والجواري

فقال حسين بك اني لم انوِ لها شرًّا وكيف اعرف انها فوق غيرها من الجواري .

فقال لهُ نافذ بك لقد اخبرتك بذلك والآن لاداعي لبقائك هنا . فلم يجب بشيء بل ادار وجههُ ومضى وبقي نافذ بك ناظرًا اليهِ الى ان غاب عن البصر فتنفَّس الصعداء ونظر الى وجهي طويلاً ثم قال لي متبسماً تبسُّم التهكُّم ليهنأ ادهم بما فعل حقًّا انهُ فعل فعلاً يفتخر بهِ ابعدك عن اخيهِ لكي يطرحكِ بين هؤلاء الكلاب

فلم اجبهُ لان نفسي كاد ينقطع من الخوف والغيظ والندامة . وبقي هو ماسكاً يديَّ بيديهِ وانحنى حتى كاد وجههُ يصل الى وجهي فخفت منهُ لكنهُ عاد فرفع رأسهُ وتركني وقال لي لماذا اتيتِ الى هنا فقد بلغني انكِ تنامين هناك في البيت الآخر

فقلت نعم وقد اتيت الى هنا لانني احببت ان امشي قليلاً

فقال وهل تلاقين من هذا الغرما لقيتِ منهُ الآن . فقلت ليس تماماً لانهُ لم يتجاسر قبلاً ان يكلمني كما كلمني الليلة

فقال ولكنهُ كلمكِ وسيكلمكِ باكثر من ذلك وانتِ التي رفضتِ حبًّا طاهرًا شريفاً مثل حبي تغازلين شابًّا دنيئاً مثل هذا اواه من النساء

فقلت لهُ لقد اخطأت وظلمتني فاني لم اغازلهُ ولا كلمتهُ

فنظر اليَّ وبقي هنيهةً لايتكلم ثم قال عسى ان تسرّي الآن بما فعلتِ بنفسكِ وبي . لو كان لك اقل ثقة بي لما كنتُ اضطر الآن ان اقترن بامرأة لا اعرفها ولم ارَ وجهها قط ولا كنتِ انتِ عرضة لمثل هذه الاهانة ولا يعلم الاَّ الله اين تنتهي الامور

فقلت لهُ اذا تجاسر على الكلام معي مرةً اخرى اخبر سنية هانم بذلك . فقال نعم وهي تخبر زوجها فينتهر اخاهُ وبعد يومين يعود اردأ مما كان . أتظنين ان الشاب التركي يخاف من الانتهار

فلم اجبهُ وجلس على مقعد من الخشب كان هناك واشار اليَّ لاجلس بجانبهِ فجلست وكانت

يدهُ مبسوطة على مسند المقعد خلف رأسي حتى يكاد رأسي يستند على ذراعهِ فشعرت براحة تني بكل ما لقيتهُ من التعب والكدر في ذلك الشهر. ونظرت الى وجههِ فوجدتهُ عابساً مكفهراً فقلت في نفسي اذاً هو لا يشعر بشيء من الراحة التي اشعر بها انا . ثم قال انكِ لم تسأليني عن البيت هل نسيتنا كلنا وهل رأيتِ اصحاباً جدداً انسوكِ العتق

فقلتُ معاذ الله واودُّ ان اعرف اخبارهم كلها هل مضت ولية هانم مع ادهم بك الى بلاد الروملي فقال نعم وقد اظلم البيت في غيبتها . ثم اني جمعتُ بين الساحرة و بوار فعرفت كذبها و بعتها فاشتراها احد الباشوات وتزوَّج بها حالاً

فقلت وهل مضت كنجه مع ادهم بك . فقال كلاَّ بل تزوجتْ اخذها سليم اغا وهو الذي اتى بكِ الى هنا على ما قال لي عزَّت باشا بالامس . واعطاها ابي بيتاً ودبَّر لهُ وظيفة في الجمارك . وذهب علي بك ايضاً لانهُ توظف في تونس . فقلت وهل ذهبتْ وحيدة هانم معهُ فقال كيف لا وهل تظنين انها تتركهُ يذهب وحدهُ يغازل بنات تونس . واظن ان ابي لم يكن ميالاً الى ذهابهِ ولكنهُ اصرَّ على الذهاب وقد قال لي ان البيت لا يُسكَن بعد ذهابكِ وذهاب ولية منهُ فرأيت الحق في يدهِ ولذلك لم احاول منعهُ عن الذهاب

وصمت قليلاً ثم قال باسماً " وهل تحبين ان تعرفي ماذا فعلتُ بعد فراركِ . ذهبت الى البيت الذي كنتِ فيهِ فلم اجدكِ ولم يرد الطبيب ان يخبرني الى اين ذهبتِ بل قال انكِ ذهبت بامر ادهم بك ولا يعلم الى اين فطار عقلي ورجعت الى البيت وسكبت كاس غيظي على ادهم ثم دخلت الحريم وامسكت بامي وطلبت منها ان تخبرني الى اين ارسلوكِ ولا بدَّ من انني جننت حينئذٍ ولا ادري كيف احتملوني . وبعد ان فتشتُ عنكِ في كل مكان يمكن ان تُرسَلي اليهِ قطعت الرجاء منكِ حاسباً انكِ لا تستحقين محبتي وعنائي . ثم مضيت الى فينا وسويسرا وباريس لعلي اسلوكِ واتغلَّب على ما كنت اشعر بهِ من الغيرة ولا ادري الآن كيف دخل في عقلي ان ادهم كان يحبكِ وانهُ ابعدكِ عني لهذه الغاية " .

ولما قال ذلك اضطربتُ ونظرتُ اليهِ مستفسرةً فقال " نعم هذا كان اعتقادي حينئذٍ ولو عرفت الحقيقة ما كنتُ تركت التفتيش عنكِ ولا كنت اجلس الآن هنا كزوج لامرأة أُخرى . واخيراً خطر ببالي انكِ ربما تكونين قد رجعتِ الى بلدك قش آغاج و كنت حينئذٍ في مونت كارلو اسلي نفسي برؤية المقامرين نخطر ببالي الوقت الذي كنت اقامر فيهِ واضطرَّ ابي ان يوفي ديوني والحديث الذي دار بيننا في الرواق على اثر ذلك نخطر ببالي اسم قش اغاج الذي ذكرتهِ لي حينئذٍ فقلت هي هناك حتماً وقمتُ ورجعتُ الى الفندق واخبرت خدمي اني عازم على

السفر حالاً فاندهشوا وركبنا اول قطار الى مرسيليا وسرت من مرسيليا الى ازمير بحرًا ووصلت الى قش اغاج بعد ذلك باثني عشر يوماً قضيتها سيرًا متواصلاً ولما لم اجد احدًا هناك عدتُ الى البيت واقسمتُ ان لا اتعب نفسي بعد ذلك في التفتيش عنكِ . وانتِ ترين انني برَرْتُ بقسمي ولا ارى لي سبيلاً الآن للتخلّص من هذه الحالة الاّ بواحد من امرين اما ان اضع رصاصة في دماغي واخلص من هذه الحياة واما ان اخذكِ وامضي بكِ الى حيث لا يعرفنا احد

وكان يتكلم وجوارحهُ كلها تشاركهُ في الكلام فوضعت يدي على ذراعهِ وقلت له كيف تقول ذلك . فقال لو كنتِ تشعرين كما اشعر ما كنتِ تلومينني . الله يعلم مقدار ما نالني من العذاب هذا الشهر . مرارًا كثيرة كنتُ ارى نفسي مدفوعًا لان آخذكِ بيديَّ واضمك الى صدري امام الجميع ولم يكن يمنعني عن ذلك الاّ خوفي على اسم ابي . اتصدقين يا امينة انني كنت اقوم مرارًا واتركك بغتة لكي امنع نفسي عن عمل مثل هذا

فقلتُ لهُ أَوَ تظن اني لا افهم ذلك واني انا كنتُ خالية البال كل هذه المدة اتظن انهُ يسهل عليَّ ان اراك غدًا زوجًا لامرأة أُخرى ولا يعود يحق لي ان افتكر بك فكرًا . ولما قلتُ ذلك غلبتني عواطفي وفاضت دموعي

فلم يقل شيئًا بل ضمني الى صدرهِ ولما لم ازد الاّ بكاء قال لي لا يمكن ان نفترق قومي نذهب الى حيث يشاء الله ونترك لهذه الفتاة لا يضرها لانها لا تحبني ولا تعرفني فارسل اليها ورقة الطلاق من اول قرية نصل اليها وهذا لا يضر احدًا اما انتِ فلا اقدر على فراقك

فلم اجبهُ لانني كنت اقول في نفسي تُرَى هل استطيع الصبر على فراقهِ ايضًا فراقًا ابديًا

ثم قال صدقيني ان ذلك قلَّما يسؤها وهو لا يضرها حتمًا لان كل احد يلقي اللوم عليَّ لا عليها . اما انا وانتِ فكيف نصبر على الفراق

لكن عقلي غلب على عواطفي حينئذٍ فقلتُ كلاَّ كلاَّ هذا ضرب من المحال لا استطيع ذلك ولا يمكن ان ادعك تتلف اسمك ومستقبلك لاجلي وكيف استطيع ان انظر الى وجهك بعدئذٍ وانا اعلم اني كنتُ سبب خرابك

واراد ان يتكلم ولكن فُتح باب الحديقة حينئذٍ فقمت واختفيت وراء السنديانة ودخلتْ سنية هانم وقالت لهُ أَلا تزال هنا تعال اخبرني ماذا كنت تفعل . فمشى معها ولما ابعد عني قمت ومضيت الى غرفتي

البقية في الجزء التالي

المدارس الروسية في سورية

بينما كانت اللجان الانجيلية والجمعيات الكاثوليكية مشغولةً بمسابقة بعضها بعضاً ترويج القدم وتوسيع دائرة العمل وتكثير عدد المريدين والمجيبين للدعوة في مدن سورية وقراها وسهولها وجبالها تحفزت جمعية جديدة لمزاحمة كل هاتيك الجمعيات السابقة وقد اوشكت ان تنال قصب السبق عليها في مضمار التقدم والنجاح والوصول الى ضالتها المنشودة وغايتها المقصودة لاسباب نبسطها للقراء الكرام في ما يلي

واريد بهذه الجمعية جمعية فلسطين الروسية الامبراطورية التي نشأت اول عهدها في فلسطين جنوب سورية وما ابطأت أن امتدت مدارسها شمالاً واتسعت شرقاً وغرباً حتى بلغت دمشق فحمص فحماة وجازت بشمال لبنان داخلة طرابلس الشام وملحقاتها وامعنت في الجهة الشمالية حتى بلغت اللاذقية وعن قريبٍ تجتازها الى انطاكية وحلب وتعم كل اقطار سورية . وبعد ما كانت مدارس هذه الجمعية تعدُّ بالآحاد ومعلموها بالعشرات وتلامذتها صبياناً وبنات ببضع مئاتٍ أصبحت مدارسها الآن تحصى بالمئات ومعلموها كذلك وتلامذتها بعشرات الالوف وقد اوشكت ان تكون ضربةً قاضيةً على الجمعيات السابقة لها لانك تراها مذ الآن على حداثة عهدها تنازع تلك الجمعيات حيث حلَّت فتستظهر عليها وتستميل اكثر الاهلين اليها وكثيراً ما كانت مدارسها سبباً لتعطيل غيرها من المدارس الانجيلية او الكاثوليكية . اما الاسباب التي مكنتها من سرعة الانتشار واعانتها على هذا الاستظهار فكثيرة نلخصها في ما يأتي

اولاً قدرتها او نفوذها — فليس من جمعيةٍ اجنبيةٍ في سورية تستطيع ان تُباري في نفوذها جمعيةً مبعوثةً من مجمعٍ عظيمٍ في بطرسبرج رئيسهُ العامل صاحب السمو الامبراطوري الغراندوق سرجيوس عم جلالة القيصر . وحامي ذمارهِ جلالة القيصر نفسهِ الذي هو رئيس شرف لهُ ايضاً . ويروى انهُ لما جلس القيصر على عرشهِ كتب الى سموّ عمهِ يشكر لهُ اهتمامهُ بنجاح مصالح هذه الجمعية ويعلن قبولهُ لأَن يكون لها رئيس شرفٍ مكان ابيهِ اسكندر الثالث واستعدادهُ لسحق كل قوةٍ تقف في طريق تقدمها وانتشارها . ويظهر ان جلالتهُ مخرجٌ لقوله هذا من حيز القوة الى الفعل فانك اذا تتبعت اعمال هذه الجمعية في سورية لا ترى في طريقها اقل شيءٍ من العثرات او المصاعب التي تقام على الدوام في طُرُق الجمعيات الأُخر واذا اتفق حدوث شيءٍ من ذلك فانهُ في الحال يزول وقد لا يصدر الاَّ عن اناس يجهلون شدة حول هذه الجمعية وصولتها حتى اذا رأوا ما وراءها من القوة التي تميد لها الرواسي لاذوا باكناف

الاستكانة وانزاحوا من طريقها آسفين نادمين

ثانياً مجانيَّة التعليم . كانت الجمعيات الانجيليَّة والكاثوليكية في السنين الغابرة تتسابق الى جمع اولاد سورية من الازقة والشوارع واخذهم الى مدارسها وتعليمهم عفواً بدون ان تسوم اهلهم اقلَّ نفقةٍ . ولكن في هذه الايام الاخيرة غيَّرت خطتها القديمة واخذت تتنافس في ضرب الاجور الفاحشة والنفقات الباهظة على الذين يطلبون تحصيل العلوم في مدارسها

اما الجمعية الروسية فقد عمَّمت التعليم المجاني في كل مدارسها بلا استثناء ونهت الرؤساء والمدراء نهياً مطلقاً عن تكليف احد الاولاد غنياً كان او فقيراً ان يدفع غرشاً واحداً مدة وجوده فيها بل يتلقى العلوم ويتناول الكتب والدفاتر والاقلام والحبر والورق وكلما يحتاج اليهِ مجاناً بلا ثمنٍ على الاطلاق . وهذا كما لا يخفى اكبر مغرٍ للآباء والامهات بارسال اولادهم اليها تخلُّصاً من نفقات التعليم واثمان الكتب التي اصبحت في هذه الايام حملاً ثقيلاً ولا سيما على الفقراء الذين هم العدد الاكثر من سكان كل مكان

ثالثاً علاقتها الدينية . ان طائفة الروم الارثوذكس اكبر الطوائف المسيحية في سورية وكان اكثر اولادها قبل انتشار الجمعية الروسية غرضاً ترمي اليهِ الجمعيات الاجنبية وصيداً تحتال على اقتناصهِ . فلما دخلت الجمعية الروسية وليس من يجهل تفاني الروم الارثوذكس في حب الروس غصت مدارسها على الفور باكثر اولاد هذه الطائفة . ولولا ان المدارس الروسية ينقصها بعض امور سنشير اليها في ذيل هذه المقالة لما ابقت على مدرسةٍ لغيرها في جميع الاماكن التي امتدت اليها . قلنا ان الروم الارثوذكس يحبون الروس حباً يقرب ان يكون عبادة وهذا غير مجهولٍ عند الجمعية الروسية وقد اعانها على توثيق هذه العلاقة وزيادة تمكينها انها اكثرت في مدارسها من التعليم الديني وممارسة الصلوات وحفظ كثيرٍ من فروض العبادة غيباً واوجبت على جميع اولاد مدارسها الذهاب معاً الى الكنيسة في كل مساء وصباح من الآحاد والاعياد الممتازة . فهذا كلهُ مع كونهِ من اسمى غايات هذه الجمعية اي نشر التعليم الديني الارثوذكسي جاء موافقاً لاميال السواد الاعظم من ابناء الطائفة الارثوذكسية . والآن حيثما توجد مدرسة روسية فهناك الكنيسة الارثوذكسية غاصَّة في الآحاد والاعياد بفرق الصبيان وصفوف البنات ووراءهم جماهير الشعب رجالاً ونساء يزحمون بعضهم بعضاً منقادين الى ذلك اما اقتداء باولادهم او حباً بالتفرج عليهم

رابعاً طرق التعليم . مما امتازت بهِ هذه الجمعية على غيرها من الجمعيات الاجنبيات في سورية انها سنَّت لمدارسها قوانين هي غاية في الدقة والضبط وقد رُوعيت صحة الاولاد

الجسدية ونشاطهم العقلي وسيرتهم الادبية مراعاةً لم تترك حاجةً لمستزيد . وهذه القوانين مطردة الاجراء مرعيةً في كل مدارسها ولامطمع لاحدٍ من اساتذتها ومدرسيها في مخالفة واحدٍ منها بدون ان يعرّض نفسهُ للتوبيخ ثم لنقص الراتب واخيرًا للطرد

فمن قوانينها ان يعطي الاولاد من ابن عشر سنين فصاعدًا فسحة (فرصة) عشر دقائق كل ساعةٍ لاراحة الذهن من التعب العقلي . اما الاولاد الذين هم من ابن تسع سنين الى الست فيُعطون كل نصف ساعةٍ فسحة عشرين الى ثلثين دقيقة مراعاة لحداثة سنهم . وفي كل فسحة ينبغي ان تخرج جميع الفرق (الصفوف) ازواجًا ازواجًا كانها فرق عساكر مدربة على المسير بغاية الانتظام والترتيب ولا يسمح لولدٍ ان يمشي محدودبًا بل عليهِ ان يسير منتصب القامة مرفوع الرأس مكشوفهُ ويداهُ على جانبيهِ موفقًا خطواتهِ على خطوات رفيقهِ وفي أثناء اللعب لا يُؤذن للمدرسين ان يتنحوا عن التلاميذ بل يفرض عليهم ان يكونوا واقفين معهم وبينهم وعيونهم مفتوحة لمراقبة العابهم وتلافي خطر اللعب العنيف بالايدي قبل وقوعهِ وتدريب الاولاد على الالعاب المروّضة للاجساد والعديمة الضرر . وعند نهاية الفسحة يقرع الجرس قرعةً واحدةً ينقطع عندها الاولاد عن الحركة والتكلُّم و يقف كلٌّ منهم حيث كان كانهُ آلة جامدة ثم يقرع لهم الجرس ثانية وباسرع من لمح البصر يسرع كلٌّ منهم الى مكانهِ في الصفّ و يقف احد الاساتذة امامهم كانهُ قائد عسكر ويأخذ في استعراضهم وطلب اتجاههم الى اليمين واليسار والوراء والامام بما لا مزيد عليهِ من الخفة والرشاقة ثم يشير اليهم بالمسير فيمشون مرنمين الحانًا يوقعون عليها اقدامهم حتى تدخل كل فرقة منهم الغرفة المختصة بها وعلى كل استاذٍ ان يفحص كُلًّا من تلاميذهِ قبل مباشرة التدريس ليرى هل اتمَّ شروط النظافة المطلوبة منهُ فينظر رأسهُ ووجههُ وعنقهُ ويديهِ ثم يشير في دفترهِ الى الغائب منهم وسبب غيابهِ و يشرع بعد ذلك في عملهِ . ومن قوانين هذه المدارس ان لا يُسمح للملم بالجلوس في اثناء التدريس او التسميع بل عليهِ أن يكون واقفًا منتصبًا امام الفرقة وعيناهُ ترقبان كل ولدٍ واذناهُ مصغيتانِ الى كل كلمةٍ . وفي هذا القانون من الحكمة ما لا حاجة الى بيانهِ

ولا يسمح الاستاذ لاحد التلامذة ان يجيب على سؤَالٍ القاهُ عليهم قبلما يتحقق انهم كلهم يعرفون ذلك السؤَال . وكيفية ذلك انهُ يلقي السؤَال على تلميذ منهم وبينما هم جميعهم مهتمون باستخراج الجواب يطلب من تلميذ آخر ان يعيد ذلك السؤَال نفسهُ وبهذه الطريقة ترى آذان التلامذة مفتوحة لكل سؤَالٍ حتى انهم قلَّما يحتاجون ان يُعاد عليهم و بعد ما يتحقق

المعلم انهم جميعهم عارفون بالسؤال يكلف واحداً منهم ان يجيب عليهِ ثم انهُ لا يكتفي بالجواب ولو كان صحيحاً بل يمتحن انتباه الآخرين بطلب اعادتهِ ممن اراد حتى يكون ضامناً لانتباههم كلهم من كل وجهٍ

وعلى كل استاذٍ عند ما يلاحظ كللاً او تعباً عقلياً طرأ على اساتذتهِ ان يوقف العمل هنيهةً ويريح اذهانهم بأن يقصّ عليهم قصةً صغيرة مضحكةً توجب مسرتهم او أن يأمرهم بالنهوض والجلوس معاً مرات متوالية ثم يرجع الى عملهِ حتى تنتهي الساعة المعينة لذلك الدرس

والتدريس في هذه المدارس لا يُعوَّل فيهِ على حفظ الدروس غيباً في الكتب بل في الاكثر على شرح الاساتذة وبسطهم للمواضيع المهمَّة في ذلك الدرس حتى انهم يدرسون فنوناً كثيرةً القاء بلا كتب

وعند ما يبتدئون يعلّمون الاحداث لغةً ما سواء كانت العربية او احدى اللغات الاجنبية لا يُؤذَن لهم ان يُرهقوا عقول الصغار بتعليمهم اسماء الحروف الهجائية بل يقتصرون على تعليمهم اصوات الحروف لا غير لان هذا هو الشيء المهم للولد في بادىء الامر ان يعرف صوت الحرف ليحفظهُ في ذاكرتهِ ويُطلِقهُ عليهِ كلما رآه

ولهم في تعليم الحساب اساليب عجيبة غريبة تروّض عقول الاحداث وتعوّدها على صحة الاستدلال وسرعة الحكم بالصواب في المسائل العقلية لانهم لايحلون لتلميذ مسألة حسابية على الاطلاق بل يساعدونهُ على حلها ويدربونهُ ان يقيس عليها كلما كان من نوعها

ويعوزني الوقت ان اردت شرح ما عندهم من الطرق الصحيحة والاساليب المفيدة الكافلة تقدم التلامذة ونجاحهم والمحافظة الشديدة على صحة اجسادهم وآداب نفوسهم

وما تقوم يكفي الدلالة على شدة مسئولية الاساتذة في هذه المدارس فالاستاذ الضعيف العزم المسترخي اليد البطيء الحركة الخائر القوى لا يرى لهُ عملاً في مدارس هذه الجمعية . والضرب في هذه المدارس ممنوع منعاً تاماً ولهم قصاصات ادبية ينفذونها على اساليب مفيدة جداً للاولاد

خلاصة الامر ان الاستاذ في هذه المدارس ينبغي ان يكون لهُ صبر الجندي وخفة الضابط وحذق القائد والاَّ فذفوهُ من حالق ولو كان صدرهُ مدفن حكمة الاولين وعلوم المتأخرين ولذلك ترى النجاح حليفاً لها وقد شاعت بها اللغة الروسيَّة في انحاء سورية على قرب عهدها

اسعد داغر

بورتو سانتو جزيرة صغيرة قرب جزائر مديرا غربي المغرب الاقصى . وذهب الى هذه الجزيرة واقام فيها مدةً وكان يكتسب معيشتهُ برسم الخرائط للتجارة فاضطرَّ ان يبحث وينقب في خرائط حميهِ ويباحث شيوخ النوتية عما لقوهُ من المشاق في اسفارهم فاستنتج من كل ما رآهُ وسمعهُ انهُ لم يزل جانب كبير من الارض مجهولاً ويمكن الوصول الى طرف آسيا الشرقي بالسير اليهِ غرباً واطلع طبيباً فلورنسياً على هذا الرأي فاقنعهُ بصحتهِ

وكان كثيرون قد ارتأوا مثل رأيهِ قبلهُ وابعد واحد من اهالي البرتغال الفاً ومئتي ميل عن رأس سنت فنسنت غرباً محمولاً بتيار عنيف فوجد قطعة من الخشب طافية على وجه الماء وفيها آثار تدل على ان يد الانسان عملت بها . والتقط صهر كولمبوس انابيب كبيرة من القصب امام بورتو سانتو يسع الانبوب منها نحو اقتين من الخمر وهي مما لا ينبت الاَّ في بلاد الهند فهذه الامور وامثالها قوت اقتناعهُ بانهُ اذا واصل السير غرباً بلغ بلاد الهند

وسار سنة ١٤٧٧ حتى بلغ شمالي البلاد الانكليزية ولا يبعد ان يكون قد سمع وهو هناك عن وصول بعض اهالي نروج الى بلاد مجهولة واستيطانهم لها قبل ايامهِ بخمس مئة سنة وانقراض نسلهم منها . فعزم على الرحلة الى هذه البلاد وجعل يفتش عمَّن يمدهُ بالمال والرجال وطلب ذلك اولاً من مجلس جنوى مسقط رأسهِ فرفض المجلس طلبهُ . ولما رأى ان ابناء وطنهِ لم يحفلوا بهِ لجأ الى يوحنا الثاني ملك البرتغال فاحالهُ على لجنة من العلماء تنظر في المسائل الجغرافية التي من هذا القبيل . فكان قرارها على غير مرادهِ . وكان الملك ميالاً الى البحث عن البلدان الجديدة فاشار عليهِ احد الاساقفة ان يرسل سفينة تضرب في عرض البحر الغربي خفية عن كولمبوس ففعل وبعث بالسفينة فسارت الى ان يئس بحارتها من طول الشقة فعادوا بها ادراجهم . وعرف كولمبوس ذلك فاغتاظ من هذه المخاتلة وبعث بكتاب الى الملك هنري السابع ملك الانكليز يعرض عليهِ رأيهُ ويطلب منهُ المساعدة على تحقيقهِ . ولا بدَّ من ان يكون قد وعدهُ بان يكتشف الارض الجديدة باسمهِ كما وعد غيرهُ

ثم هرب من بلاد البرتغال الى اسبانيا وقصد دوق مدينة صيدونيا جنوبي اسبانيا وطلب مساعدتهُ فلم يحفل بهِ بل حسب رأيهُ من قبيل الاوهام . فتركهُ وقصد دوق مدينة سلي فانزلهُ على الرحب والسعة واكرم مثواهُ وعزم ان يجهزهُ بثلاث سفن ولكنهُ عاد فرأى ان العمل كبير فوق طاقتهِ فاهملهُ . وعزم كولمبوس ان يستعين بملك فرنسا فصرفهُ هذا الدوق عن عزمهِ وكتب الى الملكة ايزابلاً [1] ملكة قشتالة (Castilla) يتوسَّل اليها ان لا تدع عملاً مثل

(١) انتقل اليها ملك قشتالة بعد وفاة اخيها الملك هنري الرابع واقترن بها فرديناند ملك اراغون وصقلية

هذا يذهب الى الغرباء فامرت بمجيء كولمبوس اليها الى قرطبة Cordova

وكانت الحرب ناشبة بين العرب نزلاء اسبانيا وبين اهلها الاصليين فلم تجد الملكة ايزابلا مجالاً للنظر في طلب كولمبوس لكنها اكرمت مثواهُ وامرت واحداً من خواصها ان ينظر في طلبهِ . ولم يكن الأ القليل حتى اقنع كثيرين بصدق دعواهُ وسار مع حاشية الملكة الى سلمنكا ولقي هناك الكردينال مندوزا صاحب الصول والطول في اسبانيا . وظن هذا الكردينال اولاً ان في رأي كولمبوس رائحة الكفر لكنهُ اقتنع بصحتهِ حالاً واقنع الملك فرديننذ زوج الملكة ايزابلا حتى قابل كولمبوس وسمع ما يقولهُ واحالهُ على مجلس من علماء الفلك والجغرافية سنة ١٤٨٧ فبسط كولمبوس ادلتهُ لاعضاء هذا المجلس فناقضوهُ وقاوموهُ واستدلوا على فساد آرائهِ بكثير من آيات التوراة واقوال آباء الكنيسة وبعد جدال طويل دام نحو ثلاث سنوات اقرَّ المجلس على ان رأيهُ باطل لا يعمل بهِ

وكان كولمبوس في كل هذه المدة يسير في حاشية الملك والملكة وهما يحاربان العرب وحضر حصار مالقة Malaga فلما حكم المجلس برفض طلبهِ سار قاصداً فرنسا ودخل في طريقهِ ديراً في الاندلس وطلب ماء وطعاماً لابنهِ فسألهُ رئيس الدير الى اين يقصد فاخبرهُ بقصدهِ فدعاهُ الى داخل الدير وكان فيهِ طبيب ماهر في علم الجغرافية فاخذ يباحثهُ في امر الوصول الى الهند فاقنعهُ كولمبوس بصحة رأيهِ وكان رئيس الدير قبل ذلك معرّفاً للملكة ايزابلا فكتب اليها عن كولمبوس فاتاهُ الجواب منها ان يأتي اليها بهِ وارسلت اليهِ نفقات السفر . ووصل الى غرناطة وقتما استلمها الاسبانيون من العرب

وطُلِب من كولمبوس حينئذٍ ان يبين الشروط التي يشترطها لكشف هذه البلاد الجديدة فطلب ان يعطى لقب امير البحر (اميرال) ويجعل والياً على كل البلدان التي يكتشفها وعشر ما يرد منها سواء كان من الغنائم او من التجارة فرُفض طلبهُ . وفي شهر يناير من سنة ١٤٩٢ اقلع من اسبانيا قاصداً فرنسا ولكن تشفَّع بعضهم في امرهِ لدى الملكة واقنعها بمساعدتهِ فارسلت اليهِ رسولاً ادركهُ على غلوتين من غرناطة وردَّهُ اليها وفي السابع عشر من ابريل سنة ١٤٩٢ أُمضي الاتفاق بينهُ وبين الملكة وزوجها ولم يكن اعداد السفن والبحّارة بالامر السهل لانهُ لم يكد يجد من يخاطر بنفسهِ مثلهُ في مجاهل البحار . وبعد عناء شديد أُعدت لهُ ثلاث سفن وهي سنتا ماريا وفيها خمسون بحاراً وكانت ادارتها في يدهِ والبنتا وفيها ثلاثون بحاراً وقيادتها في يد مارتن بنزون والنينا وفيها ٢٤ بحّاراً وقيادتها في يد اخيهِ فيسنت بنزون وجملة النفوس ١٢٠ . واقلعت هذه السفن يوم الجمعة في الثالث من اغسطس سنة ١٤٩٢ ووجهتها

جزائر كناري و بعد ثلاثة ايام اضاعت البنتا دفتها فاضطرَّ كولمبوس ان يرسو بسفنهِ في مرفإ تاريف مدينة كناري ليصنع لها دفةً غيرها وعاود السير في السادس من سبتمبر وفي الثالث عشر منهُ شاهد رجالهُ انحراف الابرة المغنطيسية اول مرةً عن الشمال والجنوب فارتاعوا من ذلك وزاد ارتياعهم بعد يومين اذ رأَوا نيزكاً كبيرًا وقع من السماء على مقربة منهم . وبلغوا في اليوم التالي مكانًا رهوًا ولقوا نسيمًا عليلاً تطيب بهِ النفوس فاطمأَنوا ثم زاد انحراف الابرة المغنطيسية فزاد اضطرابهم الاَّ ان كولمبوس فسَّر لهم ذلك بما سكَّن روعهم . وشاهدوا حينئذٍ كثيرًا من طيور البحر فايقنوا انهم مصيبون برًّا عن قريب ولما لم يصلوا الى البر تذمروا وتمرَّدوا وكانوا يشاهدون احيانًا ما يظنونهُ برًّا قريبًا فتطيب نفوسهم حتى اذا بلغوهُ ورأَوهُ سراب بقيعة عادوا الى التذمُّر والتمرُّد الى ان كان الحادي عشر من اكتوبر فالتقطت بحارة البنتا قناةً وقطعةً من الخشب وعصاً ولوحًا وشاهدت بحارة النينا وتدًا عليهِ نبات مزهر . وفي المساء شاهد كولمبوس نورًا في الافق وفي الساعة الثانية صباحًا رأَى البرَّ بحَّارٌ من بحَّارة النينا وكان هذا البر اول جزيرة من جزائر اميركا وقد ظُنَّ اولاً انها الجزيرة المسماة الآن سان سلفادور ثم اتَّضح انها الجزيرة المسماة الآن سامَنا . ونزل فيها كولمبوس ذلك الصباح وهو لابس حلَّة فاخرة ومعهُ العلَم الاسباني ونزل معهُ الربَّانان الآخران وفريق كبير من البحارة وركعوا على ركبهم وشكروا الله والدموع ملءُ عيونهم وتقدَّم اليهِ البحَّارة الذين تمرَّدوا عليهِ قبلاً واسترحموهُ وطلبوا عفوهُ

والجزائر هناك كثيرة قريبة بعضها من بعض فاكتشف كولمبوس كثيرًا منها واشهرها واكبرها جزيرة كوبا وجزيرة هايتي وسمى هايتي هسبانيولا وارتطمت سفينتهُ عندها لاهمال بحارتها لها فاضطر ان يخرج كل الامتعة منها ويتركها هناك وانشأَ مستعمرةً في تلك الجزيرة وترك فيها ٤٣ نفسًا من بحارتهِ واقلع في النينا في السادس عشر من شهر يناير سنة ١٤٩٣ قاصدًا اوربا وكانت البنتا قد افترقت عنهُ فتبعتهُ بعد اربعة ايام و بعد عناء شديد بلغ مرفأ لسبون في الرابع من شهر مارس فاستقبلهُ ملك البرتغال بالاكرام والترحاب

وكان بلاط الملكة ايزابلاً في برشلونة فمضى كولمبوس اليها فاستقبلتهُ هي وزوجها ورجال بلاطهما وقصَّ عليهم اخبار سفرهِ واراهم بعض ما اتى بهِ من الذهب والقطن والاسلحة والنباتات الغريبة والطيور والوحوش وتسعة من هنود اميركا جاء بهم معهُ . فاقرَّ الملك والملكة على ما منحاهُ قبلاً من الالقاب والامتيازات ونودي قدامهُ كعظيم من عظماء اسبانيا وصُنع لهُ ترس عليهِ شعار قشتالة وليونة اي القصر والاسد

وفي الخامس والعشرين من شهر سبتمبر اقلع بثلاث سفن كبيرة واربع عشرة سفينة

صغيرة و ١٥٠٠ رجل وكثير من الادوات اللازمة للاستعمار فبلغ جزائر الهند الغربية التي بلغها اولاً واكتشف جزائر كثيرة لم يكتشفها قبلاً وبلغ جزيرة هايتي فوجد المستعمرة التي انشأها فيها قد لعبت بها ايدي سبا فعزم على انشاء مستعمرة غيرها

الى الآن كان كولمبوس يكتشف الجزائر التي لم ترها عين الاوربيين قبلهُ فنجح في ذلك نجاحاً بيناً ولكنهُ حالما شرع في استعمار تلك الجزائر واستخراج الذهب منها وسلب الغنائم من اهلها توالت النوائب عليهِ لان هواء البلاد لم يوافق الاسبانيين واهاليها الذين رحَّبوا بهم اولاً قلبوا لهم ظهر المجن الآن وقابلوهم بالعدوان . ومرض هو حتى كاد يقضي نحبهُ ولما شفي رأى أن لا بدَّ لهُ من اخذ الهنود بالقوة فاسر منهم خلقاً كثيراً وارسلهم الى اسبانيا فبيعوا فيها عبيداً وضرب الجزية الفاحشة على الذين بقوا في البلاد منهم

وقام لهُ خصوم في بلاط اسبانيا حسداً فوشوا بهِ واوغروا الصدور عليهِ فبعث الملك والملكة واحداً يبحث عن اعمالهِ فاوجس كولمبوس شرًّا وعاد الى اسبانيا في ١١ مارس سنة ١٤٩٦ فوصل الى قادس في ١١ يونيو واقنع الملك والملكة باستقامتهِ ونجاح عملهِ وطلب منهما ثماني سفن للاستعمار وست سفن لمواصلة الاكتشاف . ولم تكن خزينة اسبانيا في حالة راضية لكن الملكة كانت شديدة الرغبة في اجابة طلبهِ وجهزت لهُ ست سفن فاقلع بها في ٣٠ مايو سنة ١٤٩٨ وبعد عناء شديد رأى احد البحارة ارضاً لم يروها قبلاً وثلاث انداد اي تلال فيها فسموها ترينداد اي الانداد الثلاث وهو اسمها الى اليوم . وفي غرة اغسطس سنة ١٤٩٨ رأى طرف البر من قارة اميركا الجنوبية فظنهُ جزيرةً وظلَّ يسير غرباً وهو يرى الرؤوس الناتئة من البر فيظنها جزائر الى ان رأى الماء الغزير الذي ينصبُّ من نهر اورينوكو فحكم ان البلاد قارةٌ كبيرة وانها هي ضالتهُ المنشودة

ثم افتقد المستعمرات التي انشأها في طريقهِ فوجدها في حالة يرثى لها لان اهاليها ثاروا بالسكان او ثار السكان بهم ونشبت الحروب بينهم وسفكت الدماء وامر رجالهُ كثيرين من السكان وبعثوا خمس سفن الى اسبانيا مشحونة بالاسرى عبيداً . فاغتاظت الملكة ازابلاً من ذلك وقالت مَن اباح لهُ ان يأسر هؤُلاء المساكين وامرت ان ينادى في اشبيلية (Seville) وغرناطة وغيرهما من المدن الكبيرة بعتق كل العبيد الذين اتي بهم من جزائر الهند الغربية اخيراً . فاغتاظ الذين اتوا بهم من هذه الخسارة ولم يجدوا سبيلاً لتنفيس كربهم الاَّ بالتظلُّم من كولمبوس واخويهِ واجتمعوا في ساحة الحمراء وعلا صياحهم فاصغت الملكة اليهم وعينت رجلاً اسمهُ بوبادلاً حاكماً على هايتي وامرتهُ ان ينزع الولاية من كولمبوس ويبحث عن حقيقة

الشكاوى ويرفع ظلامة المتظلمين

وكان كولمبوس قد اخمد ثورة الثائرين في هايتي ونصّر اهاليها واستخرج كثيرًا من الذهب حتى بلغ نصيب الدولة الاسبانية منهُ ستين مليونًا من الريالات ولكن وصل بوبادلاً الوالي الجديد حينئذٍ واستولى على بيت كولمبوس وقبض عليهِ وعلى اخويهِ ورفعت الشكاوى عليهم بانهم مرتشون ظالمون عتاة حتى رأى كولمبوس انهُ غير ناجٍ من القتل لكن بوبادلاً لم يقتلهُ بل كبَّلهُ بالقيود هو واخويهِ وبعث بهم الى اسبانيا

وكان ربَّان السفينة التي ارسلوا فيها على جانب من الشهامة فاراد ان يفك قيود كولمبوس فلم يقبل بذلك بل قال لهُ يجب ان تبقى هذه القيود كما هي الى ان يفكها الملك والملكة ثم احتفظ بها تذكارًا للجزاء الذي نلتهُ . وفعل كما قال وعلَّق هذه القيود بعد ذلك في غرفتهِ لتدفن معهُ بعد موتهِ

ووصلت السفينة بكولمبوس واخويهِ وهم في القيود وكتب كولمبوس الى السيدة التي كانت تربي ابنة الملك كتابًا يلين الجماد بما فيهِ من التظلُّم والتذلُّل واطَّلعت عليهِ الملكة فرقَّت لهُ ورثت لحالهِ ومال اليهِ كل اهل البلاد ففكَّت قيودهُ وقوبل بالاكرام والاجلال حتى يقال ان الملكة بكت لما سمعتهُ يقص قصتهُ . وعزل بوبادلاً من الولاية وعين والٍ آخر بدلاً منهُ وانهالت الهبات الملكية على كولمبوس ولكن لم يردَّ الى ولاية البلاد التي اكتشفها

وكانت نفس كولمبوس لا ترضى بالسكينة والراحة فطلب ان يجهَّز بسفن اخرى ليذهب ويكتشف طريقًا يصل الى المشرق الاقصى الى املاك البرتغاليين في اسيا فأُعطي اربع سفن و١٥٠ بحارًا وأُمر ان لايدخل جزيرة هايتي فاقلع من قادس في ٩ مايو سنة ١٥٠٢ واكتشف جزيرة مرتنيك في ١٣ يونيو وثارت عليهِ العواصف واضطرتهُ ان يلجأَ الى هايتي ولكن واليها منعهُ من النزول فيها. وبعد مشاق يطول وصفها وصل الى البرزخ الموصل بين اميركا الشمالية واميركا الجنوبية فوجد هناك ذهبًا كثيرًا وانشأ مستعمرة ترك فيها ثمانين من رجالهِ ولكن ثارت الفتن بينهم وبين السكان الاصليين حالاً فاضطرَّ ان يترك لهم سفينة من سفنهِ ليعودوا بها الى وطنهم وعاد هو بطريق كوبا واخذ الزاد من اهاليها وسار الى جمايكا وجنحت سفنهُ هناك في مكان يسمى كهف خريستوفورس الى الآن وهشَّ لهُ السكان وانزلوهُ على الرحب والسعة لكن رجالهُ اساءوا اليهم فابتعدوا عنهُ ومنعوا عنهُ الزاد الى ان انبأَهم بخسوف قريب فخافوهُ وعادوا الى اكرامهِ . وكان قد ارسل يطلب النجدة من الجزائر الاخرى التي نزلها الاسبانيون فاتتهُ سفينتان عاد بهما الى اسبانيا فبلغها في ٧ سبتمبر سنة ١٥٠٤ بعد عناء شديد ومخاطر كثيرة

وتوفي في ٢٠ مايو سنة ١٥٠٦ ودفن في اسبانيا اولاً ثم نقل الى هايتي ودفن في كنيستها . ولما انتقل قسم اسبانيا من تلك الجزيرة الى فرنسا نقل رفاتهُ الى هافانا بكوبا . ويقال ان رفاتهُ لا يزال في هايتي والذي نُقِل انما هو رفات ابنهِ ففي سنة ١٨٧٧ وجد قبر في كنيسة هايتي عليهِ حروف تدل على انهُ قبر" مكتشف اميركا الاميرال الاول " وعلى التابوت الذي فيهِ ثلاثة حروف .C. C. A اي خريستوفورس كولمبوس الاميرال



(خرستوفورس كولمبوس)

وكان كولمبوس طويل القامة كبير العينين جميل المنظر شاب شعرهُ وهو في الثلاثين من عمره . وكان غير متأنق في مأكلهِ ومشربهِ ولباسهِ شديد التديُّن يكثر من الصوم والصلاة حتى يظن من يراهُ انهُ من الرهبان . عالي الهمَّة يقتحم المخاطر لنيل مقاصدهِ غير مبالٍ بخداع المخادعين وختل الخاتلين

وسنتم الكلام على كشف اميركا ونفصل تاريخ شعوبها الذين كانوا فيها وكيفية فتح الاسبانيين لها وتقويضهم دعائم عمران ارقى من عمرانهم واعظم

مستقبل الصين

الخاتمة

بقي علينا لأخذ صورة تامة عن بلاد الصين امرٌ عظيم هو عمدة هذه المملكة ومزيتها ومعوّل الذاهبين الى ثبات مستقبلها ومتانة منقلبها ألاَ وهو كثرة عديد اهلها وزخور لجج النفوس البشرية في ارجائها حتى انهم ليبلغون ثلث هذه العترة الآدمية ويمثلون واحدة من ثلاث فصائل الانسانية . ولم يعهد ان شعباً بلغ هذا المبلغ من الحصى وهو يؤول الى جلدةٍ واحدة ويخضع لسلطان واحد . فالصين ثماني عشرة مملكة او اقليماً اذا اضفت اليها مندشوريا الجنوبية صارت تسعة عشر اقليماً كل اقليم منها ينقسم الى ولايات واسم الولاية عندهم فو وينقسم الفو الى مقاطعات اسم الواحدة منها تشيو وينقسم التشيو الى كور واسم الكورة منها هيان وقد تسمَّى بهذه الاسماء الامصار والمدن التي هي مراكز الولايات والعالات . وان القرى التي تتألف منها الكورة تسمَّى باو ويقال لها ايضاً تو والكورة او الهيان تتألف من ٥٠ الى ٧٠ قرية ويوجد منها ما هو متعلق بمراكز الولايات رأساً فيسمَّى تشيلي تشيو ومنها ما هو تحت الادارة العسكرية ويقال لهُ تين وان كانت مراجعتهُ لمراكز الولايات رأساً قيل لهُ تشيلي فين . ولا نرى لزوماً لوضع جدول احصاء الاقاليم كلٍّ على حدة مما يستغرق محلاً واسعاً وليس هو المقصود بالذات وانما نقول ان الاحصاء الذي جرى سنة ١٨٤٢ اسفر عن اربعمائة مليون واربعة ملايين واربعة وعشرين الفاً وستمائة واربع عشرة نسمة . ولا شيء يشبه الرمل والنمل مثل هذا . وعُدِّلت مساحة هذه البلاد باربعة ملايين واربعة وعشرين الفاً وستمائة وتسعين كيلومتراً مربعاً فاصاب الكيلومتر الواحد مائة نسمة من السكان وهو شأو بليغ في العمارة . ويوجد في الصين نحو ١٩٠ مدينة من الامصار الممصَّرة والقواعد والحواضر والمدر الكبار عدا القصبات والمدن الصغار . وغير خافٍ انهُ مضى على هذا الاحصاء نحو ستين سنة ونيفٍ فلا بدَّ ان تكون النفوس زادت في هذه البرهة زيادة عظيمة ولولا استئصال الفتن المتتابعة بعض ولايات الصين وانهم في شرب الدماء يشتفُّون وفي التقتيل لا يبقون ولا يذرون لاربى عدد اهل الصين على الخمسمائة بل الستمائة مليون ولضاقت بهم آسية بما رحبت وتحرَّجت الارض بابناء السماء

وحيث قد بسطنا من أحوال هذه المملكة ما نظنهُ كافياً لمعرفة سرائرها ووطأْنا من امورها ما فيهِ مقنع لتشخيص دائها واستشفاف ما انطوت عليهِ جوانحها على تنكّب منا لطريق الاطناب

خوف تبرّم القراء آن لنا ان نتكلم شيئاً عما ترجمهُ من مستقبل الصين الذي هو عنوان مقامنا ومدار خطابنا واذا كان مستقبل الصين وكل مستقبل في الارض منوطاً الآن بالعلاقة الاوربية مربوطاً بالحضارة الغربية لزم ان نوطئ شيئاً عن علاقة الصينيين بالغربيين وعلاقة الغربيين بالصينيين فنقول

سنة ١٨٧٩ لم يكن للغربيين في جميع بلاد الصين سوى ٤٥١ محلاً تجارياً منها ٢٢٩ محلاً للانكليز والباقي لسائر الاوربيين وكان في جميعها ٣٩٨٥ شخصاً اذا اضفت اليهم السيّاح والمبشرين بلغ عدد جميع الافرنج في الصين ٥٠٠٠ نسمة . وقد ازداد هذا العدد زيادة عظيمة منذ ذلك العهد ولكنهُ لا يزال قليلاً بالنسبة الى اعداد الصينيين الهائلة ولا يزال كالشعرة البيضاء في الثور الاسود . وانما كان تأثير هذا العدد القليل عظيماً في احوال الصين وعاداتها ومآخذها ومناحيها وكان لهُ فعل في تجارتها وصناعتها ولغتها وحسبك انهُ تشعب في السواحل لغة من اللغة الانكليزية فاوسعها التجار الصينيون فخلطوها بشيء من لغتهم فصارت مزيجاً من اللغتين وساعدتهم على التعبير عن كثير من الافكار الجديدة والمعاني المحدثة والاغرب من هذا ان اساس هذه الرطانة برتغاليّ لا انكليزيّ فصارت هذه اللغة الجديدة مترشحة عن لغات ثلاث

هذا من امر اللغة واما من امر الاخلاق والعادات فكان الصينيون في البداءة لا يخرجون من بلادهم ولا يخالطون غريباً ولا يعرفون الغربة والسلطان يحظر عليهم ذلك وما زالوا على هذه الحال حتى وطئت ديارهم اقدام الافرنجة فعوّدوهم السفر وجرّأوهم على الاغتراب فانسلّت منهم جماعات خفية ثم تتابعوا حتى بلغ عدد المهاجرين منهم الى الآن ثلاثة ملايين في بلاد الغربيين واما البلاد الغربية من الصين والاصقاع الشرقية ففيها اضعاف هذا العدد من الجالية الصينية لأن الذين خرجوا الى ما وراء السور مثل منغوليا ومندشوريا وكانسو الخارجية يناهزون الثلاثة عشر مليوناً عدا الجالين الى جزر البحر المحيط والممالك الهندية الصينية وهم لا ينظرون الى هذه البلدان بالعين التي ينظرون بها الى بلاد المسيحيين فإنهم يدفنون في تلك موتاهم ويستصحبون اليها نساءهم وليس امرهم كذلك في شيلي وبيرو وكاليفورنيا فانهم يرسلون منها جثث موتاهم الى بلادهم الاصلية تطوى المسافات الطوال لئلاَّ تدفن خارجاً عن بطن امهم الارض الصينية وكذلك لا يزال السفر الى الخارج محظوراً على النساء فكثيرون من الصينيين اذا عزموا على الرحيل وتركوا من خلفهم ذرية ضعافاً باعوهم بيعاً لئلاَّ يهلكوا جوعاً فآثروا بيع نسائهم واولادهم على تغريبهم الى الخارج . والتزوج مع الاجانب ممنوع عندهم فلا

داء الصلع ودواؤُهُ

الصلع داء لا يُؤْلِم ولا يُتعِب ولكن قلَّ من لا يودُّ التخلُّص منهُ ولا سيما اذا جاءهُ في مقتبل العمر. وقد يجد عنهُ بعض السلوى بما يرى من شيوعهِ بين رجال العلم وارباب السياسة فيحسبهُ ناتجًا من اتساع العقل ونباهة القدر ولكنهُ لا يلبث ان يراهُ غير نادر بين الذين لا علم لهم ولا شأن ويرى كثيرين من رجال العلم والفهم والشعرُ غزير في رؤُوسهم ولو اشتعلت شيبًا ويرى النساء كلهنَّ سليمات من الصلَع على اختلاف عقولهنَّ فيضطرُّ ان يقدّر للصلع سببًا آخر غير اشتغال الفكر وسعة العقل

وقد ادَّعى بعضهم حديثًا ان الصلَع ناتج عن نوع من الميكروبات يمرض الشعر ويميتهُ فيقع من الراس او يمنع تغذيتهُ فيضعف رويدًا رويدًا حتى يقع . وان هذا الميكروب ينتقل من واحد الى آخر بالعدوى من مشط الحلاَّق (المزين). فصنع الحلاقون امشاطهم من المعدن وجعلوا يغسلونها بالماء الغالي قبل استعمالها وبعدهُ تطهيرًا لها ومنعًا لنقل عدوى الصلع بها . ولا تعلم نتيجة ذلك حتى الآن لان استعمالهُ حديث وليس للصلع احصاء يعرف بهِ مقدار انتشارهِ

غير ان هذه المسألة اتخذت الآن صورة اخرى فقد قام احد الاطباء الاميركيين واسمهُ الدكتور باركر وادعى انهُ اكتشف السبب الحقيقي للصلع وضعف الشعر عمومًا واكتشف ايضًا علاجهُ واثبت ذلك كلهُ بالامتحان ونشرهُ في جريدة السجل الطبي

قال ان الناس قلَّما يتنفسون كما يجب ان يتنفَّسوا فيبقى في اعالي رئاتهم كثير من النفس القديم الفاسد فيمتصهُ دمهم ويدور بهِ في اجسامهم وهو يفعل فعلاً خاصًا بالشعر فيميتهُ وهذا سبب الصلع وداء الثعلب . ولا يصاب النساء بالصلع لانهنَّ لا يتنفسنَ مثل الرجال فان تنفُّس الرجال عادةً بطنيٌّ اي تتمدَّد بهِ رئاتهم من اسفلها مما يلي البطن وتنفس النساء صدريٌّ اي تتمدَّد بهِ رئاتهنَّ من اعلاها من عند الصدر فيخرج الهواء الفاسد من اعالي رئاتهنَّ ولكن الرجال يستطيعون ان يتنفسوا تنفسًا صدريًّا ايضًا كالنساء اذا عمقوا تنفسهم غير انهم لا يفعلون ذلك الاَّ نادرًا ولا سيما اذا كانت اعمالهم لا تقتضي حركة كثيرة

وكذلك المصابون بالسل قلما يصابون بالصلع بل الغالب ان يكون شعرهم غزيرًا طويلاً وذلك لان السل يصيب اولاً اعالي الرئة حيث يستقر الهواء الفاسد المشار اليهِ آنفًا فلا يعود هذا الهواء يستقرُّ هناك . ثم ان عطَبَ جانب من رئة المسلول يضطرهُ الى استعمال باقيها وقت التنفس فلا يعود الهواء الفاسد يخزن فيها. ولعلَّ السعال الذي يصيب المسلولين يساعدهم

على اخراج الهواء الفاسد من رئاتهم وتنظيفها منهُ

قلنا ان الدكتور باركر اثبت رأيهُ بالامتحان وقد رأينا صور الحيوانات التي جرَّب فيها ذلك فان كانت منقولة عن صور فوتوغرافية حقيقيَّة فلا شبهة في انهُ اصاب كبد الحقيقة فقد اتى بانسان اصلع وجمع نفَسهُ في كيس من الكاوتشوك ونقل النفس الى قنينة فيها قليل من الماء المقطر والهواء النقي ووضعها في مكان حرارتهُ مثل حرارة دم الانسان وتركها فيهِ عشرة ايام ثم هزَّها جيداً حتى علق بالماء كل ما في الهواء من المواد الآلية ووضع هذا الماء في حقنة صغيرة مما تحقن بهِ الحيوانات تحت جلدها وحقن بهِ كلباً واعاد حقنهُ يوماً بعد يوم على اربعة عشر يوماً فظهرت في جلدهِ بقعة عارية من الشعر كالاصبع ثم حقنهُ ١٨ حقنة اخرى فكثرت البقع العارية من الشعر في بدنهِ في بطنهِ وصدرهِ وخاصرتيهِ ولما صارت الحقن ٤٢ حقنة زال كل الشعر من بطنهِ . وبقيت صحتهُ جيدة جدًّا وكان يأكل ويشرب على جاري عادتهِ . وحقن دجاجة بهذه المادة لما حقن الكلب بها فزال الريش من رأسها وعنقها واكثر بدنها وبقيت صحتها جيدة وبقيت تبيض بيضتين كل ثلاثة ايام على جاري عادتها . ثم ابطل حقنهما فعاد الشعر الى الكلب والريش الدجاجة رويدًا رويدًا الى ان رجعا كما كانا اولاً وجرَّب ذلك في حيوانات اخرى فكانت النتيجة واحدة وهي ان نفَس الانسان المجموع في مكان حار تتولَّد فيهِ مادة اذا دخلت البدن اضرَّت بحياة الشعر حتى اذا تكرَّر دخولها البدن مات الشعر وسقط فاستنتج من ذلك ان الصلع ناتج عن هذه المادة او عن ضعف التنفس وانهُ اذا اراد المرء ان ينجو من هذه الآفة فعليهِ ان يعوِّد نفسهُ على التنفس الشديد حتى يمتلئ صدرهُ بالهواء النقي ويخرج منهُ الهواء الفاسد كلهُ وتنظف رئتاهُ منهُ فاذا فعل ذلك لم يصبهُ الصلع واذا كان قد اصابهُ فلا يبعد ان يعود شعرهُ اليهِ . وهذا هو السبب لقلَّة الصلع بين النساء وبين السعاة والمصارعين وكل الذين يعملون اعمالاً شاقة تدعوهم الى التنفس الشديد ولكثرتهِ بين العلماء والكتَّاب والتجار وغيرهم من الذين تقل حركتهم ويضعف تنفسهم

فان صحَّ هذا التعليل وهذا العلاج فقد نجا الانسان من آفة يكرهها ويودُّ الفرار منها فلا يجد الى ذلك سبيلاً واتضح ان سبب ما يظهر من الفائدة لبعض الادوية التي يُفرك بها الراس الحركة العنيفة التي يفرك الانسان رأسهُ بها لانها تسرع تنفسهُ فتتطهر رئتاهُ من الهواء الفاسد . ولا بدَّ من ان يمتحن كثيرون معالجة هذا الداء بالتنفس الشديد الذي يطهر رئاتهم من الهواء الفاسد فان شفاهم من الصلع فهو الغاية المطلوبة وان لم يشفهم منهُ فلا ضرر فيهِ بل منهُ نفع في اجادة الصحة من غير نفقة

الوباء الجارف

لو وُجد آدم وحواء منذ الفين وستين سنة فقط وتوالدوا من ذلك الحين وكانت زيادة اولادهم السنوية اي زيادة المواليد على الوفيات واحداً في المئة فقط لبلغ عدد نسلهم الآن ١٦٠٠٠ مليون (ستة عشر الف مليون) نفس كما هو عدد سكان المسكونة في هذا الوقت

ولو وجد في المسكونة عشرة نفوس فقط وقت ميلاد المسيح اي منذ الف وتسع مئة سنة لبلغ عددهم الآن ١٦٠٠٠ مليون نفس كما هو عدد سكان المسكونة الآن اذا كانت زيادة المواليد على الوفيات واحداً في المئة فقط

ولو وُجد فيها ٣٢٠٠ نفس في السنة الاولى من الهجرة النبوية اي منذ ١٣١٨ سنة لبلغ عددهم الآن ١٦٠٠٠ مليون نفس

ولو وُجد في الارض مليون نفس وقت ميلاد المسيح وكانت زيادتهم السنوية واحداً في المئة فقط لبلغ عددهم الآن مئة وستين مليون مليون نفس فاجتمع منهم في كل ميل مربع من الارض الصالحة للسكن اكثر من ثلاثة ملايين نفس حتى لو ارادوا النوم ما وجدوا في الارض مكاناً يسعهم

والمرجح ان سكان المسكونة لم يكونوا وقت الميلاد اقل من مئتي مليون من النفوس فلو زاد عددهم على ما تقدَّم لوجب ان يكون الآن في الميل المربع من الارض الصالحة للسكن ستمئة مليون نفس اي نحو مضاعف سكان اوربا كلها فيصيب المتر المربع ٢٤٠ نفساً لو وقفوا عليهِ اربعةً اربعةً لغطوا الارض وارتفعوا عليها ١٢٠ قامة

ومعلوم ان متوسط نمو الناس بالتوالد لم يزد الآن عمَّا كان عليهِ في السنين الغابرة بل نقص كثيراً كما يظهر من مقابلة مواليد بعض الممالك الاوربية الآن بمواليدها منذ مئة عام

وينتج من ذلك ان الذي منع نوع الانسان من ان يكثر ويملأ الارض هو كثرة الوفيات في الازمنة الغابرة لا بالموت العادي بل بالموت الذريع فلو كان معدَّل الوفيات في السنين الغابرة كما هو الآن لامتلأت الارض بسكانها منذ قرون كثيرة فالاوبئة الفتَّاكة والامراض القتالة والحروب والمجاعات هي التي ابقت نوع الانسان الى الآن وابقت لنا فسحةً من الارض نعيش فيها ولولاها ما استطاع هذا النوع ان يبقى في الارض اكثر من الفين وخمس مئة سنة من وجودهِ ذكراً وانثى الى حين امتلاء الارض بهِ وتعذُّر معيشتهِ فيها

واليد الطولى في حصد النفوس حتى لا تكثر وتملأ الارض للطاعون الجارف الذي انتاب نوع الانسان مرةً بعد اخرى في العصور الغابرة . ذكر ابن اياس في "تاريخ الدهور" ان

من حوادث سنة ٧٤٩ للهجرة " الفناء الذي وقع بالديار المصرية وعمَّ سائر البلاد فكان يخرج من القاهرة في كل يوم ما ينيف على عشرين الف جنازة ومات في شهر شعبان ورمضان تسعمائة الف نفس ولم يسمع بمثل هذا الطاعون في ما تقدَّم من الطواعين المشهورة في صدر الاسلام . قال الشيخ شمس الدين محمد الذهبي ان الطواعين المشهورة في مبتدإ الاسلام خمسة وهي طاعون شيرويه وطاعون عمواس وكان في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ وقع بالشام واعمالها سنة ١٨ من الهجرة وطاعون الجارف وقع في زمن عبدالله بن الزبير سنة ٦٧ من الهجرة قيل مات فيهِ في ثلاثة ايام في كل يوم سبعون الفاً . وطاعون الفتيات كان بالبصرة وواسط قيل انهُ ابتدأ بالعذارى الصغار فسمي طاعون الفتيات . وطاعون جاء في سنة احدى وثلاثين ومئة ويسمى طاعون قتيبة مات بهِ الف الف وستمائة وخمسون الفاً (١٦٥٠٠٠٠) . ولكن لم يسمع بمثل هذا الطاعون الذي جاء في هذه السنة (سنة ٧٤٩ هجرية الموافقة ١٣٤٨ مسيحية) لانهُ عمَّ البلاد قاطبةً ومات فيهِ من الناس من لا يحصى عددهم من مسلم وكافر وكانت قوة عملهِ في بلاد الفرنج واقام دائراً في البلاد نحو سبع سنين حتى عزَّت جميع البضائع لقلَّة الجالب من البلاد وبلغ ثمن الراوية من الماء اثني عشر درهماً في القاهرة بسبب موت الجمال ولم يزرع من اراضي مصر تلك السنة الاَّ القليل بسبب موت الفلاحين فوقع الغلاء وبيعت كل ويبة قمح بمئتَيْ درهم وكادت مصر ان تخرب . ووقع الطعن ايضاً في القطط والكلاب والوحوش ولقد شوهد شيءٌ كثير من الوحوش وهي مطروحة في البراري وتحت ابطها الطواعين وكذلك الخيل والجمال والحمير وسائر الحيوان حتى الطيور مثل النعام وفي ذلك يقول الصلاح الصفدي

لمَّا افترستَ صحابي يا عام تسع واربعينا
ما كنت والله تسعاً بل كنتَ سبعاً يقينا

وقال ايضاً

دارت من الطاعون كاس الفنا فالنفس من سكرتهِ طافحةْ
قد خالف الشرع واحكامَهُ لانهُ يثبت بالرائحةْ

وقال الشيخ زين الدين ابن الوردي

يقولون شمُّ الخل في زمن الوبا وفاقاً لما قال الاطباء يا خلّي
فان قلت للطاعون تسطو على الورى فقال نعم اسطو وانفكَ في الخلِ

وقال ابرهيم المعمار

قبح الطاعون داءٌ فقدت فيهِ الاحبَّة
بيعت الانفس فيهِ كل انسانٍ بحبَّة

وألَّف فيهِ ابن حجَر كتاباً سماهُ بذل الماعون في اخبار الطاعون" . انتهى اختصار

وألَّف ابو الفدا رسالة في هذا الطاعون قال فيها

" طاعون روَّع واماتَ وابتدأ خبره من الظلمات . ما صين عنهُ الصين ولا منع منهُ حصنٌ حصين . سلَّ هنديًّا في الهند واشتدَّ على السند . وقبض بكفيهِ وشبك على بلاد ازبك . وكم قصم من ظهرٍ في ما وراء النهر . ثم ارتفع ونجم وهجم على العجم . وقرم القرم ورمى الروم بحجر مضطرم . وجرَّ الجرائر الى قبرس والجزائر . ثم قهر خلقاً بالقاهرة وتنبهت عينهُ لمصر فاذا هم بالساهرة . الى ان قال

اسكندرية ذا الوبا سبع يمدُّ اليك ضبعَهْ
صبرًا لقسمتهِ التي تركت من السبعين سبعهْ

ثم يمَّم الصعيد الطيِّب وابرق على برقة منهُ صيِّب . وغزا غزه وعسقلان هزَّه . وعكَّ الى عكا واستشهد بالقدس وزكَّى . وصاد صيدا وكاد بيروت كيدًا . ثم صدَّد الرشق الى جهة دمشق . فتربَّع ثم وتميَّد وفتك كل يوم بالف وازيد . ورمى حمص بجلل وصرفها مع علمهِ ان فيها ثلاث علل . ثم طلَّق الكنَّة في حماه فبرد غاصيها من حماه "

وكما وصفهُ كتَّاب المشرق من اهالي مصر والشام وصفهُ كتَّاب المغرب من الافرنج فتواردت خواطرهم في الكلام عليهِ جدًّا وهزلاً

والظاهر ان هذا الوباء انتشر من احد مربعيهِ (١) في بلاد الصين وسار منهُ بطرق التجارة الثلاث الواحدة طريق خليج فارس الى البصرة فبغداد ومنها الى بلاد العرب ومصر وشمالي افريقية . والثانية طريق الهند الى افغانستان وجنوبي بحر قزبين والبحر الاسود و بر الاناضول . والثالثة طريق تركستان الى القرم والقسطنطينيَّة ومنها الى سائر البلدان الاوربية

وكان تجار جنوى والبندقية يدخلون البحر الاسود بسفنهم و ينزلون حيث مدينة ثيودوسيا الآن مما يلي مدخل بحر ازوف وهناك مرفأ امين فبنوا فيهِ مدينة حصينة سموها كفًّا . وغزا التتر هذه المدينة سنة ١٣٤٧ (٧٤٨ هـ) وحصروها وضيَّقوا خناقها و بلغهم طاعون الصين حينئذٍ بطريقهِ الثالثة وفتك بهم فتكاً ذريعاً حتى كاد يفنيهم فجعلوا يقذفون موتاهم بالمجانق الى المدينة

(١) يعلم للطاعون الآن خمسة مرابع او مواطن اثنان منها في بلاد الصين وواحد في بلاد الهند وواحد في بلاد العرب وواحد في افريقية

لكي يفعل الوباء باعدائهم ما فعل بهم . فكان كما ارادوا وفشا الوباء في المدينة فهجرها سكانها ونزلوا في سفنهم وحملوا العدوى معهم الى القسطنطينيَّة وبلاد اليونان وايطاليا فانتشر فيها سريعاً انتشار النار في الهشيم ولم يحل عليهِ الحول حتى بلغ مرسيليا وانتشر في فرنسا واسبانيا وبلغ انكلترا ووصل في السنة التالية الى المانيا وروسيا وسكنديناڤيا وشمل اوربا كلها في اقل من اربع سنوات . ولم يذكر في تاريخ الانسان بليَّة عمَّت الدنيا كما عمَّها هذا الوباء او كان فتكها ذريعاً مثل فتكهِ وشرها وبيلاً مثل شرهِ

وكان في السفن المشار اليها رجل اسمهُ ده مُسس عاد بها الى جنوى ووصف حال الوباء فقال "كنا الوفاً فلم يصل منا عشرة فبادر الاقارب والاصدقاء الى لقائنا ولكن ويل لنا فاننا اتينا معنا بسهام الموت المسنونة ونفثنا فيهم سم الهلاك بنفسنا" وقال انهُ مات اربعون الفاً من اهالي جنوى فلم يبقَ فيها سُبع سكانها ومات من اهالي البندقية مئة الف نفس ومن اهالي نابلي ستون الفاً ومن اهالي سينَّا سبعون الفاً ومن اهالي فلورنسا مئة الف

وابلغ مَن وصف هذا الوباء من الاوربيين بكاشيو في كتابهِ المسمى دكامرون اي مئة قصة قال "كم من بيوت فاخرة ومن قصور مشيدة اقفرت من سكانها حتى لم يبقَ بها احد . كم من عيال انقرضت ومن اموال تركت لا وارث لها . كم من فتيان وفتيات في عنفوان الصبا وريعان الشباب لو رآهم جالنيوس وبقراط واسكولابيوس في الصباح لقالوا انهم في اتم الصحة والعافية تغدوا مع اقاربهم وتعشوا مع الذين سبقوهم الى الآخرة"

وتفشَّى الوباء من مرسيليا في بلاد فرنسا ودخل اديرة الرهبان فلم يبقِ فيها ديَّاراً وكان البابا في افنيون فدخلها وامات من اهلها ١٨٠٠ نفس في ثلاثة ايام ووصل الى باريس فقتل من اهلها اكثر من خمسين الفاً

ووصل الى انكلترا في اواسط سنة ١٣٤٨ وعاث فيها سنة كاملة وكان سكان لندن حينئذٍ ٤٥٠٠٠ نفس فامات عشرين الفاً منهم

والمظنون ان سكان اوربا كانوا قبل انتشارهِ مئة مليون نفس فمات بهِ ربعهم اي خمسة وعشرون مليوناً . وقُدّر عدد من مات بهِ في المسكونة كلها ثلاثة واربعين مليوناً ولعلهم اكثر من ذلك كثيراً وكان اشد فتكهِ في ايطاليا فمات بهِ نصف سكانها

وتكرَّر انتشار الوباء بعد ذلك الى القرن السادس عشر فخفَّت وطأتهُ قليلاً حينئذٍ ثم اشتدَّت في القرن السابع عشر ولا سيما سنة ١٦١٩ فمات بهِ في القطر المصري ٦٣٠ الفاً . وتكرر انتشارهُ سنة بعد سنة الى سنة ١٦٢٥ فمات بهِ في القاهرة حينئذٍ اكثر من ٣٠٠٠٠٠

نفس وبلغ اورباسنة ١٦٢٩ فمات بهِ مليون نفس من اهالي ايطاليا . وفتك باهالي ميلان فتكاً ذريعاً . ويقال ان اهاليها حسبوهُ ناتجاً عن سم يدسهُ الاشرار لغيرهم من الناس فجعلوا يقتلون كل من يشتبهون فيهِ . وقام بعضهم على بعض كالمجانين وكان سكان ميلان نحو ٢٥٠ الفاً فمات منهم ١٤٠ الفاً في قول و١٨٦ الفاً في قول آخر

ثم انتشر مراراً كثيرة بعد ذلك وفتك بمئات الالوف ولا سيما سنة ١٦٦٥ حين دخل مدينة لندن آخر مرة — اتاها من ازمير ففعل بها فعلاً ذريعاً كان سكانها خمس مئة الف فقتل منهم نحو سبعين الفاً وخرج منها ثلاثة آلاف جنازة في ليلة واحدة . وحُرقت لندن في السنة التالية ثم لم يعد يظهر فيها وافداً بعد ذلك لكنهُ انتشر في بقية اوربا ووصل الى بلاد النمسا فامات من اهالي فينا سبعين الفاً على قول ومئة واربعين الفاً على قول آخر وامتد من فينا الى براغ فقتل ٨٣ الفاً من اهلها

وعاد الى الانتشار في بداءة القرن الثامن عشر قال الجبرتي في حوادث سنة ١١٢٥ هجرية (تعادل سنة ١٧١٣ مسيحية) حدث في القاهرة طاعون كان ابتداؤهُ في غرة ربيع الاول وتناقص في اواخر جمادى الآخرة ولم يزد على ذلك . ووصل هذا الطاعون من الشام الى مرسيليا سنة ١٧٢٠ وعاث فيها فبلغت وفياتهُ الفاً في اليوم وكان الناس يهربون من المطعونين هربهم من الاسد ويتركونهم بلا طعام ولا شراب او يدفعونهم الى بيوت يقيمون فيها ويرمون اليهم الخبز من كواها بآلات كالمجانق وبقي في المدينة خمسة عشر شهراً فقتل اربعين الفاً من اهلها و ٨٨ الفاً من البلاد المجاورة لها . وهو الطاعون الاخير الذي دخل غربي اوربا الى ان ظهر حديثاً في بلاد البرتغال

ووصل الطاعون الى اميركا سنة ١٧٥٥ اوصلهُ اليها رجل ارمني فمات بهِ ٤٣٠٠ نفس من سكانها

ولما جاء بونابرت الى هذا القطر والقطر السوري كان الطاعون فاشياً فيهما وتردَّد عليهما وعلى البلاد المجاورة لهما حتى بلاد الروس مدة اربعين سنة

وما قيل في الطاعون يقال في الجدري والكوليرا ونحوها من الامراض الوبائية . وفي وسائل القتل العديدة كالحروب والمجاعات والمسكرات فانها كلها تفتك بنوع الانسان وتمنع ازدياد السكان لكنَّ وطأتها خفَّت كثيراً في هذه الايام فلم يعد فتكها عشر معشار ما كان في السنين الغابرة ولا بدَّ من ان تمتلئ الارض بسكانها بعد قرون قليلة اذا لم يشع بينهم داء العقم الذي كثر الآن بين الشعوب الاوربية

اكتشاف اميركا واحتلالها

اذا ذُكرت الحوادث الخطيرة التي لها الشأن الاكبر في احوال البشر وجب ان يُذكر معها اكتشاف اميركا واحتلالها لا من حين وصل اليها الناس اولاً وسكنوها بل من حين وصل اليها خريستوفورس كولمبوس وذهب اليها اهالي اوربا بعده واحتلوها وعمّروها . لان وصول الاولين اليها لم يكن له شأن يذكر في احوال البشر واما استيطان الاوربيين لها فقد نتج عنه قيام جمهورية عظيمة فيها تضاهي اعظم الممالك ثروة واشدها بنعة وانتظام ممالك وجمهوريات أُخرى سائرة كلها او اكثرها في سبيل النجاح

وقد طلب الينا بعض الفضلاء ان نلخص لهم قصة ذلك الاكتشاف والاحتلال فجاء طلبهم منطبقاً على ما كنا نفكر فيهِ منذ مدة وهو وصف اشهر حوادث التاريخ الحديثة كاكتشاف اميركا وثورة فرنسا واحتلال الهند ونحو ذلك مما جعل عمران القرنين الثامن عشر والتاسع ارقى من كل عمران سبقهُ صناعةً وتجارة وبوأ الاوربيين منصة القضاء والسيادة في المسكونة فدان لهم اقيال الهند وسنُّوا السنن لملوك الصين وجابوا فيافي افريقية ومجاهلها وجعلوا ينشئون فيها الممالك

لما وصل خريستوفورس كولمبوس الى اميركا وجدها آهلةً بالسكان شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً بعضهم قبائل رحَّل يعيشون بالصيد والقنص وبعضهم اهل حضارة ونعيم لهم المدن الفخيمة والقصور المشيدة والهياكل الكبيرة والقرى والدساكر وبين هذين الطرفين اقوام متباينون في درجة حضارتهم

ولا يُعلم من مصَّر تلك القارَّة اولاً ولا من اين اتاها سكانها الاولون . ولاهل البحث في ذلك مذاهب شتى سنشير الى المذهب الأوجه منها

وكولمبوس كاشف اميركا الاوربيين رجل ايطالي ولد بجنوى سنة ١٤٣٥ او ١٤٤٦ وابوهُ مشَّاط صوف فعلَّمهُ صناعتهُ ثم بعث بهِ الى مدرسة بافيا الجامعة فاقام فيها مدة قصيرة حتى اذا صار عمرهُ اربع عشرة سنة ذهب في احدى السفن ملاَّحاً وجندياً حسبما كان الملاَّحون في ذلك العصر حتى اذا اشتدَّ ساعدهُ جُعل رئيساً على سفينة وأُرسل الى تونس ليوقع بسفينة من سفنها . وفي سنة ١٤٧٠ كُسرت سفينتهُ عند رأس سنت فنسنت في الطرف الجنوبي الغربي من بلاد البرتغال فركب لوحاً من الخشب وبلغ البر عليهِ . واقام في مدينة لسبون مدة واقترن فيها بابنة رجل ايطالي الاصل كان عاملاً من قبل ملك البرتغال على

كفوء للصينية عندهم غير الصيني ومن خالف ذلك فقد باء بغضب من السماء . وكل اطوار هذه الامة تدلك على شدة استمساكهم باطوارهم القديمة ونفورهم من كل غريب عنهم وانهم يريدون ان يبقوا صينيين كما كانوا منذ اربعة آلاف سنة

وفي اي محل وجدوا من بلاد الغربة تساند بعضهم على بعض وانضموا كتلة واحدة لانهم احنى الناس ضلوعاً بعضهم على بعض واكثرهم غراماً بالانضمام والاجتماع ولهذا تكثر عندهم الجمعيات فلكل شيء عندهم جمعية ولكل عملٍ عصبة وهم يتصبون عليها جميعاً الرؤساء والنقباء حتى يقال ان المتسولين منهم لهم رؤساء ونقباء كغيرهم. واينما حلوا وحيث نزلوا قطعوا ارزاق غيرهم بصبرهم العجيب وثباتهم الغريب وقناعتهم الموصوفة وكونهم قوماً يعتادون كل شيء حتى اصبحت مزاحمتهم لا تطاق ومجاورتهم احرّ من مجاورة النار ذات الوقود. ولما شوهد منهم هذا الالحاح في المسابقة ثاروا بهم في اميركا يقتلونهم وعقدت الولايات المتحدة معاهدة مع الصين بمنع سفرهم الى هناك وضيقوا عليهم في الجزر التابعة هولنده من البحر المحيط وعينوا لهم اماكن مخصوصة للسكنى وحرفاً مخصوصة لا يتعدونها في الشغل

وقد كان لهذه المهاجرة وذاك الاختلاط مع الغربيين تأثير عظيم على مصير امور هذه المملكة وفعلٌ بيّن في اخلاق اهلها ولولا حجر الحكومة الصينية وضغطها على امتها وانتباذها من وراء سورها لا تفسح في دخول الفنون الاوربية فيما بينها لكانوا تدرّجوا تدرّجاً لا يباريهم فيه احد في مراقي التمدن الاوربي لانهم قوم صنعُ الايدي والاوربيون قيام امرهم الصناعات ولانهم يجيدون التقليد ويحسنون المباراة ولا يرون شيئاً الاّ ذلّلته ايديهم وكثيرون منهم اصبحوا يقدرون الحضارة الاوربية قدرها ويعلمون ان علومهم القديمة قد نُسخت آيتها وانها صارت لا تفي بغرضهم ولا تجيء من وراء حاجتهم وان الاوربيين سادوا وشادوا وادركوا ما ارادوا بدون ان يتمّ لهم وقوف على كليات كنفوشيوس الخمس فابتدأوا يتدارسون علوم الافرنج وترجمت الوف من كتب هؤلاء الى اللسان الصيني على ما في الترجمة الى الصيني من الصعوبة وسارت لهم جرائد وانتشرت مجلات واقبل عليها القراء اقبال العطاش على مورد عذب

وعليه فان كان العلم هو الملك حقاً وكانت اوربا لم تطل على هذه الغايات المتطاولات من الحول والقوة والانبساط والاستعلاء الاّ بعزائم العلم وكرامات الفن فلا شك ان الصينيين يحرزون هذا العلم يوماً من الايام ويحمون به ذمارهم لانهم مهما دافعوا تيّارهُ عنهم فلن يستطيعوا دفعهُ بعد ان خيّم الافرنج بدراهم ولان الحاجة تقضي عليهم بان يولوا وجوههم شطر

الغرب للاستنارة بعلومهِ والتترُّس بها ضد من يروم استباحة حماهم والناس اشبه بزمانهم منهم بآبائهم . والصينيون قومٌ يحترمون العلم و يعظمونهُ ويرجحونهُ فوق كل شيءٍ حتى ان اسم العلم عندهم الذي هو كياو يعنيَ بهِ الدين ايضاً فكأنهم جعلوا العلم والدين عندهم في ميزانٍ واحد والتعلم فريضة على جميع الذكور لا مندوحة عنها وفي كل قرية مكتب ينفق عليهِ من المجلس البلديّ . وللعلم والعلماء والكتابة حتى الكاغد عندهم شأن يتورَّعون فيهِ ولا ورع العبادة. وان قيل ان الصينيين بتعصبهم لعلومهم البالية وبغضهم للاجانب يتحرجون من اخذ شيءٍ عنهم كما يفهم من نفس مقالك هذا قلت ان الزمان الذي من غالبهُ غُلِبَ سوف يقودهم الى طاعة العلم الصحيح ويجدع مارن كبريائهم وانهُ مع ذلك مخطيءٌ من يظن كون التغيير عند الصين مخالفاً لمذهب كنفوشيوس فقد حصلت في الصين انقلابات كثيرة ولم يكن فيها شيءٌ سرمدًا وقد ورد في اقوال ذلك الفيلسوف الاكبر عندهم "ان شئت ان تصلح نفسك فجدّدها كل يوم" ولئن كان التجديد بطيئاً الى الآن فالعلة فيهِ كبر الصينيين وشموخهم بانوفهم عن الاقرار بضعفهم وتوهمهم بانهم اعلى الامم كعوباً في الحضارة وانهم الامة الوحيدة في الارض و بديهيٌّ انهُ يصعب عليهم الانتقال من هذا الزعم الى كونهم دون الاوربيين بمنازل دفعةً واحدة وانهُ لا بد لذلك من التدريج والطفرة محال كما لا يخفى

نعم ان الصينيين لا يتقدمون في هذا الامر تقدم اليابانيين لانهُ ليس عندهم اقدام اليابانيين ولاحماسهم وانما يقابل ذلك منهم الصبر والثبات وهو عامل لا يقلُّ عن الاول نفوذًا في تقدم الامم

بقي علينا ان نتساءل هل تبقى الصين لاهلها ام يغير عليها الاوربيون من كل جهةٍ فيتقاسمونها فيما بينهم وهو المراد بمستقبل الصين والموضوع بحثٌ لافاضل الكتَّاب واهل النظر يقتدحون فيهِ زناد الافكار وكل يؤيد مذهباً و يعضد رأياً فذهب بعضهم الى ان مصير الصين كمصير غيرها من غير الاوربيين وهو السقوط في ايدي ابناء الغرب ان لم يكن عاجلاً فآجلاً وذلك لما ظهر من وهن قوتها الحربية وانها مملكة لينة المعاطف سهلة فلا يُخشى بأسها ولا يُتعب مراسها وانهُ ان كان الخلاف الدوليّ حائلاً الى الآن دون تشطُّر اضرعها فلا بد ان الضرورة تقضي بقسمةٍ مناسبة يخرج منها كل فريقٍ بسهم يُرضيهِ فالروسية تطمع الى منشوريا وقد شرعتْ في ان تأخذها وانكلترا وفرنسا واليابان والمانيا كل دولة منها ترتضي بولايةٍ كبيرة لا تتعداها الى اختها وهلمَّ جرًّا وذهب آخرون الى ان مستقبل الصين انما هو لليابان لانها دولة شرقية كدولة الصين والضرورة تحكم على الصينيين بموادَّة اليابان لا حباً بهم بل بغضاً

بالاوربيين وانهُ قد يجيء زمن تتفق فيهِ هاتان الامتان وتقومان يدًا واحدة على الغريب . وكل من الافتراض الاول والثاني ترد عليهِ الاعتراضات الكثيرة لأن اوربا لا يسلم بعضها لبعض بالاستيلاء على الصين وان التجزئة التي يحلم بها بعضهم غير متيسّرة بل هي باب الحرب من ثاني يوم واذا كان الاوربيون لا يسمحون فيما بينهم بتركة الصين فكيف يسمحون لليابان وهي شرقية وهم لا يطيقون رجوع العلاء للشرق . وقال آخرون ان مستقبل الصين انما هو للاسلام بما وجدوا من الفرق بين الصينيّ المسلم والصينيّ الوثنيّ وان الاول يفضل الثاني من كل وجهٍ ورأوا انهُ اذا اعيت عقائد الصينيين عن النهوض باهلها فانهم يفضلون الاسلام على غيره من الاديان لانهم يكرهون الاوربي وديانتهُ كراهة دلّت عليها الحوادث الاخيرة والاسلام دين قسمٍ منهم فالارجح انهم يميلون اليهِ وهو يزداد بين ظهرانيهم بسطةً وظهورًا . وقد تخوّف كثير من سياح الافرنجة من عاقبة تقدُّم الاسلام هناك كما قدمنا في جزء ماضٍ من المقتطف .

والذي نراه انهُ ان كان المقصود بالمستقبل هو المستقبل الدينيّ فربما كان للاسلام الرجحان على غيرهِ في تلك البلاد ولا شك انهُ يمشي في قلب الصين كما يمشي في قلب افريقية وان اوربا لا تنظر بعين الرضى الى هذا التقدم ولو اخفى ذلك رجال السياسة في صدورهم وان المسلمين يتعزّون على تأخر دنياهم في هذا القرن بتقدم دينهم . ولكن لو كانت وفرة العدد كافية بدون التمدن لاغنت الصينيين انفسهم وهم اكثر من اهل الاسلام عددًا وكيف نرجو ان يستأثر الاسلام بملك الصين على مرأى من دول الغرب وهو يعجز عن حفظ ملكهِ القديم واذا احسَّ اهل الغرب منهُ نبأة للنهوض في ارضهِ اخذوا بخناقهِ فما ظنك لو تحرك في ارض غيرهِ لا جرم ان دول اوربا تقاتل قتال المستميت دون ان ترى مملكة الصين في ايدي المسلمين خشية ان تجمع يومًا بين التمدن الاوربيّ والدين الاسلاميّ فتكون الضربة القاضية على ملك الاوربيين في المشرق

ثم من الناس من يظن ان مآل امر الصين انما هو الى الروسية لأن الروسية اشد جارات الصين بأسًا واحسنهنّ مستقبلاً وهي تتاخمها مسافة ثمانية آلاف كيلومتر وقد تحيفت من جوانبها ما لم تحيفهُ دولة سواها وصيَّرت منشوريا تحت طائلة نفوذها وزأر اسدها في سواحل كوريا ومدخل البحر الاصفر وبوغاز جزر اليابان فهي ذات الكلمة العليا في تلك الاصقاع . وهذا الرأي على كونهِ اقرب الى العقل مما تقدمهُ فلا يزال بعيدًا لان سائر الدول وخصوصًا انكلترا واليابان يزاحمنَ الروسية بالمناكب ويدفعنها بالراح ولأن لها من العداوات التي بجانبها في اوربا ما يطأمن من مرقب طماحها على الصين ويفسح في اجلها . وذهب قوم الى ان كثرة

احتكاك الاوربيين بالصينيين ليست من مصلحة اوربا في شيء لأن الاوربيين بكثرة تحككهم بالصين يعلمونهم اطوارهم ويحملونهم على علومهم وينهجون بهم مناهجهم في الحضارة رغماً عن انوفهم فكأنما يسلمونهم اسلحتهم ليقاتلوهم بها وانهُ ان استمر الامر على ما هو عليهِ فلا يمضي زمن طويل حتى يتم للصين ما تمَّ لليابان من هذا القبيل فلا يعود لاحد مطمع في بيضتهم لانهم من الكثرة والالتفاف بحيث لو تعلموا ونسقوا جيشهم على الترتيب الاوربيّ لكان لهم فيلق ترجف لمشيتهِ دفتا الشرق والغرب وخيف من استئناف دور جنكيز وما ذلك على الايام بعزيز

ويقول بعض السياح الذين داخلوا الصين وعاشروا اهلها ورأوا ذلك الشعب المتموّج تموّج الباسيفيك مثل ريشتوفن وارمان دافيد وفازيليف ان اختلاط الصينيين بالاوربيين والاميركيين لا يغير احوال الصينيين فقط بل يؤثر في هؤلاء ايضاً لأن الماء والخمر اذا امتزجا تغير لونهما معاً ومن رأى الصينيين في بلادهم وعلم انهم نحو نصف مليار من النسَم على مشرب واحد ومن اصل واحد عرف ما يعترض الاوربيين من الصعوبة في استغراق هذا الجنس لا بل تأكد لديهِ انهم اذا ولجوا ثغر تلك البلاد قصروا عن سدها وانهم مهما اجتمعوا حولها فلا مندوحة لهم في الآخر ان يتصدعوا عنها . ومنهم من رأى الأبلغ في نصح اوربا ابقاء الصين في وحدتها معزولةً عن الناس ومعزولاً عنها الناس تأميناً لمستقبل اوربا وكفاً للشرق عن الغرب وهؤلاء هم الذاهبون الى ان الصين المتعلمة تندفق على سائر البلاد فلا يقف احد في وجهها

والبعض يهنئ اوربا بعكوف الصينيين على الافيون الذي يخبل العقل ويذهب الفكر وفاسيليف يبالغ فيقول لولا الافيون لغزت الصين العالم بامرهِ وخنقت اوربا واميركا بانبساطها عليهما وكثيرون من الافرنج يرددون ذكر "الخطر الاصفر" يعنون بهِ الخوف من غوائل الصين المستقبلة اذا اخذت بمبادىء التمدن الغربي وانها تصلي اوربا حرباً اقتصادية لا يكفيها بها احد

وعندي ان الصين وان كانت لقمة لا تسوغ بسهولة في مزدرد اوربا لكثرة عدد اهلها ووحدة جنسهم وامتلاء بلادهم فانها نعامة شائلة ودولة زائلة الاَّ اذا حذت حذو اليابان واقتدت مثلها باوربا فان اليابان لم تأمن على استقبالها ولم تدخل في صف الدول العظام ولم تحسّ بقوةٍ تناهض بها روسية في الشرق الاقصى ولم يصر الواحد من اهلها كفوء العشرة والخمسة عشر من اهل الصين الاَّ بصولة التمدُّن الغربيّ وفضل العلوم الحديثة فالصين تدرّئ من وراء كثرتها ووحدة جنسها وبعد مزارها ما شاءت ان تدرّئ ولكن لا بد ان تنجلي غيابة

السحر في الآخر ويرتع السيف في رقاب الصينيين ان لم يتنبهوا من غفلتهم ويثيبوا من هجعتهم فانهُ لا يكثر كثير مع الجهل ولا يقلّ قليل مع العلم ومستقبل الصين موقوف على تعلّمها والله وحدهُ علاَّم الغيوب

شكيب ارسلان

الحول وعلاجهُ

علمت بالمراقبة ان الحول نادر في اهالي أوربا فقد يقيم الغريب المراقب بينهم حولاً ولا يرى احول . والسبب في ذلك ليس اختلاف الاقليم فالحوَل ليس من امراض العين التي يحدثها اشتداد الحر وتصاعد العثير وعدم الاعتناء بنظافة الاجسام الى غير ذلك من المسببات المتوفرة في المناطق الحارة وانما الحوَل مرض ينشأ عن ضعفٍ خفيّ في النظر كما سنذكر ذلك وليس للاقليم الحار شأن في حدوثهِ . ولكنَّ السبب في قلة الحوَل في الغرب وكثرتهم في الشرق هو ان الصبي الغربي الاحول يذهب بهِ ذووهُ الى اطباء العين فتستعمل لهُ الطرق لتقويم نظرهِ المعوج واذا اهمل اهلهُ امرَهُ لا يلبث ان يشبَّ ويدركَ حتى يهرول الى رمديّ يشفيهِ من دائهِ . وذلك بخلاف ما يرى في الشرق حيث الاحول لا يهتم بامرهِ اهلهُ اذا كان قاصرًا ومن شب وكبرَ ورأى حولهُ الحول كثيرين لا يكترث للامر بل يرضخ صاغرًا راضيًا بدائهِ مستسلمًا لحكم القضاء والقدر فيعيش احول ويموت احول

وكان يلتمس لاهل الشرق عذر في ما مضى لانهُ لم يكن بين ظهرانيهم العدد الكافي من اطباء العين واما الآن فما عذرهم وقد كثر الاطباء حتى لم نعد تدخل بلدًا كبيرًا من بلاد المشرق الاَّ وجدت فيهِ واحدًا منهم

والغرض من مقالتي هذه هو اولاً ان اتكلم موجزًا عن هذا الداء وطرق علاجه ليعلم القراء انهُ داء يمكن احيانًا كثيرة ازالتهُ منذ الصغر باستعمال الطرق التي ساذكرها وبانهُ ان لم تنجح هذه الطرق يمكن تقويم العين الحولاء بعملية جراحية قلما تخيب

ثانيًا لاورد لزملائي الاطباء وعلى الخصوص المنقطعين منهم لامراض العين ما قالهُ العلامة باناس الرمدي الشهير في خطابٍ القاهُ اخيرًا في مستشفى اوتيل ديو عن طريقتهِ الحديثة في عملية الحول لعلهم يستصوبونها مثلي ويتبعونها ولعلي بذلك افيد الطبيب والمتطبب

ما هو الحول : الحول حالة مرضية لا يمكن معها اتجاه العينين الى الشيء المحول اليهِ النظر

متى يظهر : لا يظهر هذا الداء غالبًا قبل السنة الثانية من العمر غير ان بعض العالمين

بامراض العين المدققين ولا سيما الاستاذ باناس يقولون ان الطفل يولد احياناً احول و ينسبون هذا الحوَل الى ضغط الدماغ بجفوت التوليد عند تعذُّر الولادة والى اسباب أُخرى لا تهمنا معرفتها

انواعهُ — يكون الحول اما مفرداً اي ان احدى العينين تكون طبيعية والاخرى منحرفة . واما مزدوجاً اي ان العينين تكونان منحرفتين . فاذا كانت العين الحولاء متجهة نحو الانف يُدعى الحوَل متقارباً واذا كان اتجاهها الى الجهة الصدغية يدعى الحول متباعداً . و يدعى علوياً اذا كانت العين متجهة الى الاعلى وسفلياً اذا كانت متجهة الى اسفل

وقد يتنوع الحول الى اكثر من ذلك كأن تكون احدى العينين منحرفةً الى اليمين والاخرى الى الشمال وهذا نادرٌ او ان تكون العين الواحدة مرتفعةً والاخرى منخفضة وهو ما يقال لهُ الحول المخيف لما يعتور الخلقة من قبح المنظر وهذا نادرٌ ايضاً. واكثر الحول حدوثاً هو الحول المتقارب ثم يليهِ المتباعد

كيف يرى الاحول : اذا قلتَ لمصابٍ بحولٍ مفردٍ متقاربٍ مثلاً ان يوجه نظرهُ الى شيء ما وتأملتَ عينيهِ وهو شاخص الى ذلك الشيء وجدت ان العين المستقيمة متجهة نحوهُ والعين المنحرفة مائلة عنهُ الى جهة الانف ثم اذا وضعتَ امام العين المستقيمة كفَّكَ او حجاباً آخر يحول بينها وبين الشيء المنظور وقلت للاحول ان لا يحوّل نظرهُ عن ذلك الشيء رأيت ان العين الحولاء قد استقامت واتجهت نحو الشيء المنظور واذا راقبتَ في الوقت نفسهِ العين المستقيمة وراء الحجاب وجدتها قد انحرفت الى الداخل وصارت حولاء مثلما كانت اختها قبل وضع الحجاب

فهذا الامتحان يثبت لنا امرين مهمين

اولهما : ان انحراف العين في الحول لا ينتج عن شلل عضلي كما كان يزعم الاولون لانهُ لو كان انحراف المقلة الى الداخل في الحول المتقارب مثلاً ناتجاً عن شلل العضلة المستقيمة الانسية للعين لما كان يستقيم ذلك الانحراف عند وضع الحجاب امام العين السليمة كما رأيت

وثانيهما : ان الحول وان كان يظن في الغالب مفرداً اي ان احدى العينين تكون مستقيمة والاخرى منحرفةً فهو في الحقيقة مزدوجاً على الدوام غير ان العين الحولاء او التي تظن وحدها حولاء تكون دائماً اضعف نظراً من التي تظن مستقيمة ولذلك يتحول اليها كل الانحراف . واقوى شاهد على ان الحول مزدوج وان كان يظهر غالباً مفرداً هو ان هذا الداء يتنقل في الاطفال من عين الى اخرى ولا يثبت الانحراف في عينٍ واحدةٍ الاَّ متى ادرك الطفل سن

الصبا وتحقق ان احدى عينيهِ احدُّ نظرًا من الثانية فيعتمد عليها في النظر ويهمل الاخرى فيتحول اليها كل الانحراف

قياس الحوَل : لقياس درجة انحراف العين في الحول طُرق شتى احسنها وابسطها الطريقة الآتية وهي

يوضع امام الاحول شيء على بعد ثلاثة امتار او اربعة ويكلَّف بالنظر اليهِ . وعند ما يشخص الاحول الى الشيء الموضوع امامهُ يُعلَّم على حافة الجفن السفلي من عينهِ الحولاء بنقطة حبر اسود عند منتهى حد القرنية الوحشي . ثم يوضع امام العين السليمة حجابٌ ويكلَّف بان لا يحوِّل نظرهُ عن الشيء الموضوع امامهُ . فللحال تستقيم العين الحولاء التي كانت منحرفة وتتجه نحو الشيء الناظر اليهِ الاحول وعندئذٍ يُعلَّم بنقطة حبر اسود ثانية عند حد القرنية فتكون المسافة بين النقطة الاولى والنقطة الثانية هي قياس الانحراف الحوَلي الاصلي

وعند ما تستقيم العين التي كانت منحرفة تنحرف العين الاخرى وراء الحجاب ويكون انحرافها مثل انحراف الاولى فتوضع نقطة حبر ثانية على جفنها السفلي عند آخر القرنية قبل الانحراف وبعدهُ فتكون المسافة بين النقطة الاولى والثانية درجة الانحراف الحوَلي الثانوي وهي تعادل تمامًا درجة الانحراف الاصلي

وقد تختلف درجة الانحراف من مليمتر الى ثلاثة فاكثر

اسباب الحول : كان المتقدمون يتوهمون ان انحراف العين في الحول ناتجٌ إما عن قصرٍ في عضلة العين المتجه نحوها الانحراف وإمَّا عن شللٍ في العضلة المقابلة لذلك الانحراف . وقد اثبتت بالبرهان فيما تقدم فساد هذا المذهب . وما زال هذا معتقد الاطباء الاقدمين حتى جاء العلامة دوندرس Donders واثبت بعد طويل البحث والاختبار ان الحول ناتج عن ضعفٍ خلقي في البصر وان اكثر المصابين بالحول المتباعد قصار البصر واكثر المصابين بالحول المتقارب طوال البصر

ولتأييد مذهب دوندرس تعليل طويل لا محل لايرادهِ هنا . وهذا المذهب وان يكن فيهِ شيء كثير من الصحة فهو غير مضطرد فقد شوهد حُولٌ كثيرون وليس بهم ضعف في البصر وآخرون مصابون بحوَل متقارب وهم مع ذلك قصار البصر خلافًا لقاعدة مذهب دوندرس

ثم جاء العلاَّمة بارينو بعد دوندرس وذهب الى ان سبب الحول ضعفٌ في مركز تطبيق البصر من الدماغ وليس في مركز العصب البصري نفسهِ ولتأييد مذهبهِ قال وفي قولهِ شيء من الصحة : ان اغلب المصابين بالحول مصابون باضطرابات عصبية : وهو القائل ايضاً " اني اخاف

طباع الاحول كما اخاف طباع الافعي "

والمرجح الآن عند المدققين من اطباء العين انهُ لا بدَّ لتعليل حدوث الحول من الجمع بين مذهب دوندرس ومذهب بارمينو اي ان ضعف مركز تطبيق البصر في الدماغ يهيء السبيل للداء وان ضعف البصر يجلبهُ والله اعلم

علاج الحول : لعلاج الحول طريقتان احداها تمرينية و يقال لها ايضاً الطريقة الطبيعيَّة والثانية الطريقة الجراحية

فالطريقة الاولى تستعمل للاحداث حتى السنة العاشرة واليك شرحها

يبحث اولاً عن عين الصبي المنحرفة بالاوفتالموسكوب فاذا كان بها طول البصر وهو الغالب في الحول المتقارب يلزم استعمال العدسيات المحدبة وتختلف نمرة العدسية التي توضع على العين المنحرفة باختلاف درجة طول البصر في تلك العين . واذا كانت العين المنحرفة مصابة بقصر البصر (الحسر) وذلك يكثر في الحول المتباعد يلزم استعمال العدسيات المقعَّرة التي توافق درجتها من التقعير درجة ما في العين من قصر البصر اما قسم العوينات المقابل للعين المستقيمة فيوضع فيهِ قطعة من الزجاج الابيض غير الشفاف يبطل عمل هذه العين . ومعلوم انهُ لا يمكن استعمال العوينات للاحداث الاَّ متى صاروا على شيء من الادراك والتعقل وصار يمكن اقناعهم بضرورة استعمال العوينات والمثابرة عليهِ حتى لا ينزعوها اذا ضاقت منها اخلاقهم. فاذا تعذَّر استعمال العوينات يلزم استعمال الاتروبين Atropine وذلك ان يقطَّر في العين المستقيمة من محلول هذا الجوهر بنسبة ١٠٠/١ مرات متوالية حتى تتمدد حدقة هذه العين ويكف بصرها فيكف عن استعمال الاتروبين واذ ذاك يلتزم المصاب ان يستعين على النظر بعينهِ المنحرفة رغماً عنهُ . و يبقى فعل الاتروبين في العين مدة ٦ او ٧ ايام فمتى انقضت هذه المدة بعد استعمالهِ واخذت قوة البصر تعاود العين المستقيمة يوضع فيها من محلول الاتروبين مرة ثانية ثم بعد اسبوع مرة ثالثة وهكذا حتى ينقضي سنة كاملة وفي بحر هذه السنة تأخذ العين المنحرفة بالاستقامة شيئاً فشيئاً حتى تعادل اختها . وقد اشار بعضهم الى استبدال الاتروبين بعصبة تربط بها العين المستقيمة ليبطل عملها غير ان الصغار لا يبقون هذا الحجاب على عينهم السليمة لضيق خلقهم فكلما سنحت لهم الفرص ولم يردعهم رقيبٌ ينزعونهُ عنها . ولذا يفضل الرمديون طريقة الاتروبين على هذه الطريقة

الطريقة الجراحية : واذا ادرك الصبي الاحول السنة الحادية عشرة ولم تستقم عينهُ المنحرفة سواءٌ استعملت لها الوسائط المذكورة آنفاً او لم تستعمل فلا بدَّ من الاستعانة بالمشرط لتقويم

اعوجاجها لأن الوسائط التمرينية قلما تنجح بعد هذا السنة وعلى الخصوص اذا كان الحول متباعداً لان هذا النوع مستعصٍ ولا يزول الاَّ بالوسائط الجراحية

وتختلف طُرق العملية الجراحية باختلاف حالة الحول من حيث الاتجاه والشدة وسن المريض واليك مجمل ما اشار اليهِ الاستاذ باناس في خطابٍ القاهُ اخيرًا في مستشفى اوتيل ديو عن تنوع الطرق الجراحية في علاج الحول قال

اولاً : اذا كان الحول متقاربًا والانحراف خفيفًا يكفي لتقويم الانحراف إمَّا قطع وتر العضلة المستقيمة الانسية او تقديم نقطة ارتكان العضلة المستقيمة الوحشية

ثانيًا : اذا كان الحول متباعدًا والانحراف خفيفًا يكفي لتقويم الانحراف امَّا قطع وتر العضلة المستقيمة الوحشية او تقديم نقطة ارتكاز العضلة المستقيمة الانسية

ثالثًا : اذا كان الحوَل متقاربًا والانحراف شديدًا يلزم قطع وتر العضلة الانسية وتقديم نقطة ارتكاز العضلة الوحشية

رابعًا : والعكس بالعكس اذا كان الحوَل متباعدًا والانحراف قويًّا اي انهُ يلزم قطع وتر العضلة الوحشية وتقديم نقطة ارتكاز العضلة الانسية

خامسًا واخيرًا : اذا كان الحوَل مفردًا وقويًّا جدًّا وذلك يكثر عند المتقدمين في السن لا يستقيم الانحراف الاَّ اذا عملت عملية القطع والتقديم للعينين معًا كأَن كلتيهما منحرفتان وليس للعين المنحرفة فقط

ثم اردف الاستاذ باناس قائلاً : " وما زال بعض الرمديين يزعم حتى يومنا هذا ان الحول لا يزول دائمًا بالعملية الجراحية لا سيما اذا كان الانحراف شديدًا والاحول كبير السن . وهذا زعم فاسد والذي حملهم عليهِ هو ان بعضهم يكتفي بقطع وتر العضلة المتجه نحوها الانحراف ويكتفي البعض الآخر بتقديم نقطة ارتكاز العضلة المقابلة للانحراف سواءٌ كان الحوَل شديدًا او خفيفًا او كان الاحول صغيرًا او كبيرًا وقلَّ منهم من يفطن الى الجمع بين القطع والتقديم متى كان الحوَل شديدًا ولذلك لا ينجحون دائمًا

اما انا فبطريقة القطع من جهة والتقديم من الجهة المقابلة يمكنني ان اقوّم كل حولٍ مهما كانت درجة الانحراف شديدة واذا كان الاحول مسنًّا وحوَلهُ مستعصيًا ولم تنجح فيهِ عملية القطع والتقديم للمرة الاولى اكرر نفس العملية مثنى وثلاث ورباع حتى يستقيم الانحراف تمامًا فاذا كنتم تعرفون احولَ عمرهُ مائة سنة وبمقلتيهِ انحرافٌ لا يُرى معهُ شيءٌ من القرنية فأْتوني بهِ وانا اتعهد لكم بشفائهِ "

باريس الدكتور ابرهيم شدودي

امبراطورة فردرك



لم يحل الحول على وفاة فكتوريا ملكة الانكليز وامبراطورة الهند حتى جُرّعت ابنتها فكتوريا زوجة الامبراطور فردرك الالماني وام الامبراطور غليوم امبراطور المانيا الحالي كاس المنون وهي في الحادية والستين من عمرها بداء اليم قضى بهِ زوجها من قبلها وهو داء السرطان الخبيث ولم تجدِ عزّة الملك ورفعة الشأن ومهارة الاطباء فتيلاً

وُلدت الفقيدة في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٤٠ وبدت عليها مخايل النجابة وهي طفلة فكانت تتكلَّم الانكليزية والفرنسوية وهي في الثالثة من عمرها واستظهرت بعضاً من اشعار لامرتين الشاعر الفرنسوي وهي في ذلك السن وكانت تستشهد بها احياناً وهذا من الغرائب التي لا تكاد تصدَّق لو لم يشهد بهِ ابوها . قال

انها خرجت مرةً راكبةً فلما رأت الحقول مبسوطةً امامها والغنم والبقر سائمة فيها قالت Voila le tableau qui se déroule à mes pied ! اي « يا لها من صورة تنتشر امامي . لكن هذا الذكاء المفرط لم يحملها على العُجب بنفسها فبقيت وهي في سن الصبوة كغيرها من الصبايا لا تظهر الامتياز عليهنَّ ولما كبرت وطالعت الكتب الكثيرة واتَّسع نطاق معارفها ولقيت من العلماء والفهماء اكثر ممَّن لقيت امرأة اخرى غيرها في عصرها لم يبدُ عليها شيء من الدعوى والغرور لا في سلوكها ولا في حديثها مع انها قرأت اعوص العلوم وشاركت اباها فيها قبل زواجها واظهرت من البراعة ما دعا الى القول بانها من نوابغ العصر

ولما بلغت الخامسة عشرة من عمرها اتى ابن ولي عهد بروسيا خاطبًا لها برضى ابيها وامها وكان من اجمل الشبان طلعةً واكملهم آدابًا فلما رأتهُ وقع في نفسها كما وقعت في نفسهِ وقرَّ القرار على ان يقترن بها حينما تبلغ السابعة عشرة من عمرها

واحتُفل بهذا الاقتران في الخامس والعشرين من يناير سنة ١٨٥٨ واعطاها البارلمنت الانكليزي اربعين الف جنيه صداقًا وقطع لها اربعة آلاف جنيه في السنة . فاعرب بذلك عن رضى الامَّة الانكليزية بهذا الاقتران . وقد ظنَّ البعض انها تترك اميالها الوطنية وتبدلها بما يخالفها لكن دلَّت الايام على انها لم تفعل ذلك بل بقي حبها لوطنها وللحكومة الدستورية متغلبًا عليها حتى لم تكن تحجم عن المجاهرة بهِ ولو شدَّد اللوم عليها ساسة برلين

ولم تكد قدمها تطأُ البلاد الالمانية حتى رأى فيها اقارب زوجها ما يدعو الى حبها واكرامها فكتب زوجها الى ابويها يقول « ان زوجتي سحرت العائلة المالكة كلها » وكتب لورد كلرندون وزير الخارجية حينئذٍ « انها كانت تسبي الجميع بلطفٍ يظهر انهُ عنوان عقل راجح وادب رائع يعصمانها من الخطاءِ في اقوالها وافعالها »

ولما استقرَّ بها المقام في بيتها الجديد عادت الى اشغالها العادية القراءة والكتابة والرسم والتصوير والنقش . وكانت تقرأُ في مختلف الكتب من الفلسفة الى الروايات لكن اكثر اشتغالها كان بالمواضيع العويصة كالاقتصاد السياسي والفلسفة السياسية . ولم

يمضِ عليها شهران حتى اخذت تترجم رسالة من الالمانية الى الانكليزية لخَّص فيها مؤلفها تاريخ المانيا وابان انها ستصير من اعظم الدول الاوربية سطوةً اذا جرت على خطة حربيةٍ معلومة. وبعد قليل اخذت تبحث في مسألة اخرى من معضلات المسائل وهي هل يجوز لفريق من الناس ان يعقد محالفةً مع البابا ولو على غير رضى الدولة التي هو تابع لها . وذهبت الى انهُ لا بدَّ من وضع حد يفصل بين سلطة الدولة وسلطة الكنيسة . ثم التفتت الى مسألة اعوص من هذه وهي واجبات الوزراء في الحكومة الدستورية وانشأت رسالة في هذا الموضوع وكان عمرها عشرين سنة

لكن اشتغالها بهذه المواضيع السامية لم يصرفها عن تدبير بيتها والاهتمام بشؤونهِ فانهُ يظهر من مكاتيبها انها كانت تبذل جهدها لتجعل نفقات بيتها اقل من دخلها ودخل زوجها لكي يتوفر عندها في آخر كل سنة ما يبقي عونًا لها وقت الحاجة . ولم يحُل الحول عليها متزوجةً حتى رُزقت ولدًا وهو امبراطور المانيا الحالي ولدتهُ في ٢٧ يناير سنة ١٨٥٩ وتعسَّرت ولادتها بهِ حتى كاد يقضى عليها . وبقيت مع كل اشتغالها واهتمامها من اودع النساء واكثرهنَّ بهجةً .

وسنة ١٨٦١ توفي فردرك وليم الرابع ملك بروسيا وخلفهُ حموها وليم الاول على سرير الملك وصار زوجها وليَّ العهد وكانت آراؤُها السياسية مخالفة لآراء كثيرين من ساسة بروسيا ومطالبها العلمية والاجتماعية فوق ما يستصوبهُ رجال بروسيا في ذلك العهد بل كان البعض ينكرون عليها اهتمامها ببعض الاعمال الخيرية لان حالة المرأة في بروسيا كحالتها في الشرق متأخرة جدًّا عمَّا هي عليهِ في انكلترا واميركا

وكان يُنقم عليها اكرامُها لرجال العلم كأن ذلك لا يليق بمقام اميرة رفيعة الشان مثلها . ظُنَّ انها تميل بزوجها عمَّا جرى عليهِ ملوك بروسيا من الاستبداد الى الآراء الدستورية الشوروية الجارية في بلاد الانكليز . وكان هذا الظن في محلهِ لان سلطتها على زوجها كانت شديدة وكان هو ميَّالاً الى الآراء الدستورية بالطبع . وتناظرت الجرائد الانكليزية والالمانية في هذا الموضوع فزادت المسألة اشكالاً واوقعت الاميرة في مركز حرج جدًّا ولاسيما بعد ان ابدى حموها الملك رغبتهُ عن الحكومة الدستورية

وزادت سطوة بسمارك في ديوانهِ

وكان بسمارك يكرهُ الانكليز كرهاً شديداً ويتهمها بتفضيل المصلحة الانكليزية على المصلحة الالمانية وبقي مصرًّا على هذه التهمة بعد ان صار زوجها امبراطور المانيا وصارت هي امبراطورتها . وقد قال في صدد ذلك « ان الامبراطورة الجديدة انكليزية وهي واسطة للنفوذ الانكليزي وللمصالح الانكليزية عندنا ... والانكليز يحسبوننا شعباً منحطاً مخلوقاً لخدمتهم هذا هو رأي ملكتهم فينا وابنتها مثلها من هذا القبيل

ومن الغريب ان ذوي الاحقاد من الانكليز كانوا يتّهمون العائلة الانكليزية المالكة هذه التهمة عينها فيقولون انها المانية وتروّج المصالح الالمانية فانقلبت التهمة الآن الى ضدها

ونجح بسمارك في سياستهِ المعروفة بسياسة الدم والحديد وفاز بقهر بعض الممالك الالمانية رغماً عن الفقيدة وباطلاق القنابل على مدينة باريس غير مكترث لتوسلاتها ودموعها ولكن نجاحهُ دمث اخلاقهُ كما محا ذنوبهُ من عيون الامة الالمانية فزال من نفسهِ ما كان يراهُ من الموجدة عليها . قال بعد حين وقد سئل عنها « انها كانت لا تطيق النظر اليَّ اما الآن فقد تغيَّر ذلك . طلبت مني مرَّةً شربة ماء فلما اتيتها بكاس الماء نظرت الى سيدةٍ كانت جالسة معها وقالت لها عني « لقد اراق دموعاً من عينيَّ اكثر من ملء هذه الكاس ، ولكن ذلك مضى وانقضى »

واصيب زوجها بداء السرطان في حنجرتهِ وآلام هذا الداء شديدة لا تطاق فتحملها بالصبر الجميل وكانت هي تمرّضهُ بنفسها كالام الحنون . ثم توفي ابوهُ فخلفهُ على سرير الامبراطورية الالمانية وقام باعباء الملك على ما بهِ من الداء الاليم ووعد امتهُ ان يبذل الايام الباقية من عمرهِ في ما يرقي شأنها ادبياً ومادياً لكن تلك الايام كانت قليلة تسعة وتسعين يوماً قضى بعدها مأسوفاً عليهِ مبكياً من امتهِ ومن كل من يتمنى للناس ملوكاً عادلين وخلفهُ ابنهُ وابنها وليم الثاني الامبراطور الحالي

وكان بسمارك قد بذل جهدهُ لكي لا يسير الابن في خطة ابيهِ فنجح وعادت الام الارملة الى سكب الدموع وبث الشجا ولكن لم يمضِ على الامبراطور سنتان حتى رمى

بسمارك عن حالق فعاد يتوسَّل الى الامبراطورة لكي تشفع بهِ لدى ابنها فقالت لهُ انكَ لم تبقِ لي كلمةً مسموعةً عند ابني فصرت عاجزةً عن الشفاعة فيك

وكانت بهجة برلين قد صارت مضاضةً في عينيها فهجرتها وابتنت لها دارًا قرب فرنكفرت اقامت فيها بقية ايامها . ولما دالت دولة بسمارك عاد ابنها الى تذكار فضائل ابيهِ وكان يكاد ينساها ويقتصر على ذكرى جدهِ ووثقت ربط الحب بين الولد والوالدة من جديد

ثم ظهر فيها داء السرطان كما ظهر في زوجها فاكثر ابنها من الترداد عليها حتى اذا قضى الواجب عليهِ نحو رفات جدتهِ وعاد من البلاد الانكليزية اسرع الى جانب سريرها يمسح دموعها ويخفف آلامها . وبقيت هي الى آخر ايامها تهتم بالمسائل العمومية وتبذل جهدها في ما يخفف آلام الناس ويزيل مضض الفقر والبأساء وتصبر على الآلام صبر الاشداء حتى لم يكن يُظن ان الداء يتغلب عليها قريبًا . لكن نفذ سهم القضاء وفاضت روحها في الخامس من اوغسطس الماضي



باب تدبير المنزل

نزهة الاطفال

اذا كان الفصل صيفًا وجب الخروج بالطفل الى النزهة حالما يصير عمرهُ ثلاثة اسابيع او اربعة وفي القطر المصري يمكن الخروج بهِ ايضًا في الربيع والخريف وهو في هذا السن وفي الشتاء بعد الاسبوع الخامس او السادس . والطفل كالنبات يحتاج الى الهواء والنور لكي ينمو ويقوى ويتحسن منظرهُ . فاذا حجزت النور والهواء النقي عن نبات ضعف وذبل وهكذا يضعف الاطفال ويذبلون اذا قاموا في بيوت رطبة مظلمة لا يتجدَّد هواؤها ولا تدخلها اشعَّة الشمس

ذكرت احدى السيدات المهتمات بتربية الاطفال ان طفلاً اريد حجبهُ عن الانظار لسبب من الاسباب فربي في غرفة مظلمة حيث لا يرى الشمس ولا يرى احدًا الاَّ الذين

يطعمونهُ وكانوا يحسنون معاملتهُ من حيث طعامهُ وشرابهُ ولباسهُ لكنهُ نشأ ابلهَ لا يدرك شيئاً . والنور الكثير لازم لبث البهجة والحبور في نفوس الاطفال ولا يعني بذلك ان يقيموا في الشمس حتى يصيبهم الصداع كلاَّ بل لا بدَّ من ان يوقوا من اشعتها ولا سيما في فصل الصيف وفي ايام الحر

ولا يجوز حمل الطفل منتصباً قبلما يصير عمرهُ ستة اشهر على الاقل واما قبل ذلك فيحمل على اليدين مستلقياً حتى كأنهُ نائم في سريره وينقل من يد الى اخرى لكي لا تتعب التي تحملهُ . ولا يجوز لها ان تضغط عليهِ كثيرًا وهي تضمهُ الى صدرها لانَّ عظامهُ لينة فتتأثر من الضغط

" اعتنِ بالصحة ولا تبالِ بالحياة "

معربة بتصرف عن قصيدة انكليزية للسر الفرد يوَر

للجسم من دون امترا جِلْدَانِ	بادٍ وآخرُ داخلَ الانسانِ
هذا ظهارتهُ وذاك بطانةٌ	من داخلٍ في غايةِ الإتقانِ
وكلاهما عند الحقيقة واحدٌ	فالاولُ البادي نظير الثاني
فالمنخرانِ وداخل الفكَّين والـ	حلقوم حتي داخل الجثمانِ
هذي مبطَّنة بما يولي الورى	عجباً بحكمة خالقِ الأكوانِ
امَّا الغشاء الخارجيُّ فمفرزٌ	عرقاً يسيلُ بفضلةِ الأبدانِ
والداخليُّ من الغذا يمتصُّ ما	يعتاضُ فيهِ عن المُبادِ الفاني
لكنْ آفتهُ ومبعث منعهِ	عن فعلهِ إدمانُ بنتِ الحانِ
والخارجيُّ يكفُّ عن إفرازهِ	إن لم تُطَهِّرْهُ من الادرانِ
فليحرصِ المرءُ اللبيب عليهما	ما دام امرُ الحرصِ في الإمكانِ
فالخارجيُّ الماء والصابونُ في	تنظيفهِ للكل مبذولانِ
والداخليُّ اذا جرى فيهِ سوى	ماء فانت عليهِ حقًّا جانِ
ايضاً عليهِ الاعتنا بثلاثةٍ	ليكونَ طولَ العمرِ في اطمئنانِ
بطعامهِ وبمائهِ وهوائهِ	هذي المهمة فيهِ للبنيانِ
اما الطعام فكلُّ سهلٍ هضمهُ	وغذاؤهُ وافٍ بلا نقصانِ

لكن عديم النضج منهُ وكل ما هو فاسدٌ فانبذهُ دون توانِ
والماء فاطلبهُ صحيحاً طاهراً عذباً نقياً ساغ للعطشانِ
واذا اشتبهت به فحاذرْ عرضهُ من دون ترشيحٍ على ظمآنِ
الا فسخنهُ فما فيهِ من آلِ شيء المضرّ يموتُ بالغليانِ
واحذر من استنشاق أنفاس الورى فالسمُّ فيها ناقع وعيانِ
واجعل بمخدعك الهواء على المدى حرّاً طليقاً دائم الخطرانِ
هذي مبادئ إن تلاحظ كلَّها لا خوف من وباءٍ ولا حدثانِ
ولمن يراعيها على طول المدى جلدانِ في طول البقا سيّانِ

اسعد داغر

اسهال الاطفال

من كتاب صحة الاطفال والاحداث للدكتور جريديني وهو تحت الطبع

النوع الثالث الاسهال البطيء ويقال له ايضاً اسهال الصيف يحدث من فساد اللبن في زمن الحرّ الشديد للاسباب التي سبق ذكرها في النوع الثاني من الاسهال . وقد يأتي على اثر الاسهال الحاد (كوليرا الاطفال) اذا عاد العليل الى التغذية من الثدي ولا سيما من زجاجة الرضاع قبل بلوغهِ تمام الشفاء

الاعراض — قيء ضعيف يشتدُّ على اثر الطعام والشراب وذرب قليل في اول هجوم العلة ثم يزيد ويخالطهُ مخاط كثير ومواد دهنية وفضلات من الطعام غير منهضمة . وفي اول الامر يكون الغائط اصفر اللون او اسمره ثم يتحول سريعاً الى اخضر او اصفر ضارب الى الخضرة . وفي اثناء العلة يتطبَّل البطن كثيراً ويتسلخ الجلد حول المقعدة والفخذين ويكتسي اللسان فروة بيضاء وترتفع حرارة الجسم الى درجة ١٠٢ او ١٠٣ بميزان فهرنهيت . ويفقد العليل شهوة الطعام فيضعف ويهزل وبسبب الضعف الزايد تنحط قواهُ ويصاب بامراض الصدر والكليتين وهي كثيرة في الاسهال البطيء وعاقبتها الموت

ويمتاز الاسهال البطيء عن الاسهال الحاد (كوليرا الاطفال) ببطء اعراضهِ واعتدال الحمى وخلو البراز من الماء الكثير وقد يلتبس بانسداد الامعاء فيتميز عنهُ بخلو القيء من المواد البرازية وفقد الزحير والالم الشديد

العلاج — يمنع العليل عن اللبن ويغذى بمرق اللحم وماء زلال البيض يتناولهُ في اوقات

معينة بينها نحو ثلاث ساعات او اربع ولا يعود الى التغذية باللبن ما لم ينقطع القيء تماماً ويرجع لون البراز الى اصلهِ وفي اثناء ظهور الهجوم يحمم بالماء الفاتر مرةً في اليوم وتغسل مقعدتهُ بعد كل براز بالماء الصرف واذا كان العليل من سكان المدن الحارّة ينقل الى القرى والحقول في الجبال او السهول النقية الهواء والماء

ومما يفيد جدًّا شرب الماء مرشحًا او مطهَّرًا بغليانهِ على النار يسقى منهُ مرارًا في اليوم كميات قليلة ويضاف اليهِ نحو نصف ملعقة صغيرة او اكثر من الكونياك او الوسكي فينبه القوى ويخفف الذرب . وفي بدء العلة يعطي مسهلاً من زيت الخروع لتنظيف امعائهِ من المواد الحريفة التي تسبب الاسهال وفي طور النقاهة وهو زمن زوال الاعراض يعطى زيت السمك لتقوية جسمهِ وقد لا تهضمهُ معدتهُ لضعفها فيفرك بهِ بدنهُ حتى يدخل الزيت الى الدم بواسطة مسام الجلد

النوع الرابع الاسهال الالتهابي وهو التهاب خفيف في الامعاء من اعراضهِ حمَّى قليلة وقيء خفيف وبراز مخاطي مائع قليل الكمية وفي بعض الاحيان تلتبس اعراضهُ باعراض الاسهال البطيء فيصعب التمييز بينهما بدون مساعدة الطبيب

واذا اشتدت الاعراض فيقال للعلة عندئذٍ دوسنطاريا وفيها يكون البراز قليل الكمية كثير المخاط والدماء ومصحوبًا بزحير يلاشي القوى فيشعر العليل في اثناء ذلك بشيء في المستقيم لم يدفع بعد

العلاج — يداوى هذا المرض على الطريقة التي سبق ذكرها في انواع الاسهال وعلى الام ان تحفظ للطبيب شيئًا من البراز حتى يسهل عليهِ تشخيص العلة



الوحام والاجنَّة

حضرة منشيء مجلة المقتطف الوضاء

قلتم في جواب المسئلة السابقة المدرجة في الجزء الرابع من السنة العشرين عن الوحام "ان المرويات من هذا القبيل كثيرة جدًّا ولكنَّ العلماء لم يثبتوا صحتها حتى الآن لا بالامتحان ولا

بالاستقراء ولا اثبتوا فسادها فيما نعلم . ولكن ما يعرف من نواميس الطبيعة يرجح لنا ان هذه المرويات فاسدة او مبالغ فيها "هذا ولم تظهروا قولاً وافياً يؤيد صحة ما ابديتموه" ولا حجة دامغة تعزز ما زعمتموه" بل قلتم (والحقيقي منها يمكن ارجاعهُ الى علل أُخرى) فاي علل تقصدونها وقد اثبت لنا الكتاب ان الوحام قضية مسلمة بشاهد متين لم يقدر ان يقوضهُ علماء الازمنة الغابرة ولا يهدمهُ فطاحل فلاسفة العصور القشيبة التالية وهو انهُ لما اشترط يعقوب على خالهِ لابان ان يأخذ نظير ما يكابدهُ من التعب كل مخطط او ارقط او ابلق يولد من انعامهِ اخذ قضباناً خضراً من لبنى ولوز ودلب وقشر فيها خطوطاً بيضاً كاشطاً عن البياض الذي على القضبان واوقف القضبان التي قشرها في الاجران في مساقي الماء حيث كانت الغنم تجيء لتشرب فتوحمت الغنم عند رؤية القضبان وولدت مخططات ورقطاً وبلقاً . فهذه رعاكم الله آي الكتاب بل تجربة نبي الله اظهرت لنا جلياً بان الوحام قضية مسلمة الثبوت لا تحتاج لاقامة ادلة بعض العلماء ودعوي لا تقبل فلسفة بعض المتفلسفين الذين طالما قلبوا الاوهام حقائق والحقائق اوهاماً

واخيراً اقترح على قراء المقتطف الافاضل خصوصاً من أُوتوا حكمة وفصل الخطاب ان يسرحوا الطرف ملياً في مسارح هذا الموضوع ويجولوا طرف ذكائهم في ميدانهِ حتى لا يحرمونا من فوائدهِ الجزيلة . وانا موقن ان اقتراحي هذا يلقى اذاناً صاغية ولا تذهب امنيتي ادراج الرياح

[المقتطف] ان ما ذكرناهُ منذ ست سنوات هو ما يقول بهِ جمهور العلماء الآن وما ثبت بالامتحان كما ترون من مقالة وجيزة نشرناها في اوائل هذا الجزء وهي من خطبة رئيس قسم علم الحيوان في مجمع ترقية العلوم البريطاني

اما حادثة يعقوب وخالهِ لابان التي تشيرون اليها فمفسرو التوراة مختلفون فيها وجمهورهم على ان ما ذكر فيها حدث باعجوبة الهيَّة هذا ما صرَّح بهِ علماء البروتستانت في التفاسير التي عندنا وقال بهِ علماء الكاثوليك ايضاً على ما يظهر لنا فقد جاء في حواشي التوراة العربيَّة المطبوعة في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ما نصهُ " انَّما كثرت غنم يعقوب المخططة كثرة خارقة العادة بتوفيق الله وقد صرَّح بذلك يعقوب نفسهُ اذ نسبهُ الى الله قائلاً لراحيل ولية فاخذ الله مال ابيكما واعطانيهِ"

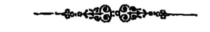
ومع ذلك فامتحان هذا الامر سهل ميسور فعلى مَ لا تمتحنونهُ اذا كنتم راغبين في الوقوف على الحقيقة التي تقنعكم

مدرسة خيريَّة لبنانيَّة

حضرة الدكتورين منشئي مجلة المقتطف الغراء

ان الاعتراف بجميل اهل الفضل والثناء عليهم امران واجبان على كل احد لان من لا يضنُّ بالنفس والنفيس في سبيل النفع العام حريٌّ بالمدح والاكرام . وان كانت مجلاَّتنا الشرقية تنشر فضائل الفضلاء من اهل الغرب وتذكرهم بما هم اهل لهُ من المدح والثناء فاحرِ بها ان تذكر فضائل الفضلاء من اهل الشرق ولا تبخل عليهم بما يستحقونهُ من المدح والاطراء . ولما كانت مجلتكمُ الزاهرة ام المجلات العلميَّة ومنذ نشأتها للآن تنادي بوجوب التعليم وحث الاغنياء من اهل الشرق على الاخذ بناصر الفقير وتعليمهِ اقتداء باهل الغرب اتيت اقصُّ عليكم ما اتاهُ حضرة الوجيه الفاضل بولس افندي عازر فانهُ انشأ مدرسة خيرية في غرزوز بلدتهِ يتعلم فيها الصبيان والبنات مجانًا وهو لا يكتفي ببذل المال على تعليمهم مجانًا وكساء المساكين منهم بل تراهُ ساهرًا على راحتهم وبذل الوسائل كلها لفائدتهم وفي كل مجلس يحث الوالدين على تعليم اولادهم ويبين لهم فوائد العلم ومضار الجهل

فعسى ارباب الثروة ان يقتدوا بهذا الرجل الفاضل وينفقوا من سعتهم على تعليم ابناء وطنهم والله لا يضيع اجر من احسن عملا غرزوز بلبنان احد المشتركين





تاريخ الامير حيدر

يعلم ابناء سورية عمومًا وابناء لبنان خصوصًا ان للامير حيدر الشهابي تاريخًا مطوَّلاً جمع فيهِ اخبار الايام من لدن ظهور الاسلام الى ان جاء الامير بشير الشهابي والي جبل لبنان الى الديار المصرية . وكان هذا التاريخ يخط ويقرأُهُ ابناء لبنان في الكتاتيب والمدارس اجزاء كانهُ من كتب التعليم حتى لقد استظهرنا كثيرًا من فصولهِ وقصائدهِ منذ نعومة اظفارنا وكان اعتماد المؤلف في ذكر الحوادث التي قبل زمانهِ على كثيرين من جلَّة المؤرخين

كالطبري والمسعودي وابن العبري وابن سباط وتاريخ صاحب صور وتاريخ البيعة للعالم بارونيوس الذي نشأ في القرن السادس عشر ونشر تاريخهُ بين سنة ١٥٨٨ و١٥٩٣ في اثني عشر مجلداً ثم نشر ثانية بين سنة ١٧٣٨ و ١٧٥٩ في ٣٦ مجلداً ولا ندري كيف اطَّلع عليهِ الامير حيدر وهو باللاتية . اما الحوادث التي حدثت في زمانهِ فاعتمد فيها على الخبر وعلى ما يسمَّى الآن بالمحررات الرسميَّة اي فرمانات التولية والمخاطبات التي كانت تدور بين ولاة الجبل ورجال الدولة فنقلها بالحرف الواحد

وقد رتب التاريخ حسب السنين فذكرها سنة سنةً من السنة الاولى من الهجرة الى حوالي سنة ١٢٣٦ واكتفى اولاً بامهات الحوادث فشغل ثلثي الكتاب بحوادث ١٠٤٠ سنة من سني الهجرة والثلث الاخير بحوادث مئتي سنة . ويبتدئ الاسهاب من حين حكم الامير فخر الدين المعني سنة ٩٩٣ هجرية الى ان دارت الدائرة عليهِ وأُتي بهِ الى الاستانة وجُرّع فيها غصص المنون سنة ١٦٣٣ بعد ان حكم البلاد نحو اربعين سنة فُصِّل تاريخها في نحو مئة صفحة. ويزيد هذا الاسهاب في تاريخ الامير بشير الكبير

وهو مثل غيرهِ من التواريخ العربية يقتصر اكثره على ذكر الحروب والدسائس والمظالم وبعض الحوادث الطبيعيَّة كالزلازل والاوبئة والسيول والكسوف والخسوف وقليل من الامور الاجتماعية كمدائح الشعراء للملوك والرؤساء يقرأُهُ المرء من اولهِ الى آخرهِ فلا يعرف منهُ كيف كانت احوال المعيشة وطرق الاكتساب ودرجة المعارف الاَّ ما ذُكر منها عرضاً كأنهُ ليس تاريخ الامم بل تاريخ ملوكهم ورؤسائهم من حيث هم رجال حرب او سلم وعدل او ظلم لكنَّ حوادثهُ متسلسلة مرتبطة بعضها ببعض يطالعها المرء ساعة بعد ساعة ويوماً بعد آخر فلا يكلُّ ولا يملُّ فهو من هذا القبيل كتاب فكاهي كما انهُ كتاب تاريخي

وقد عني بتنقيحهِ وطبعهِ حضرة صديقنا الفاضل الاستاذ نعوم مغبغب بعد ان اضاف اليهِ كثيرًا من الحواشي والشروح واتمَّ تاريخ الامير بشير الشهابي الى حين وفاتهِ سنة ١٨٥١ فجاء الفاً واثنتين وخمسين صفحة كبيرة بقطع المقتطف وحرفهِ حاوية زبدة تواريخ البلاد الشرقية بنوع عام والديار الشامية والسورية بنوع خاص وجبل لبنان بنوع اخص يليق بكل من يهتم ببضاعة العلم والادب ان يقتني نسخةً منهُ . وهو يطلب من حضرة ملتزم طبعهِ ومن ادارة المقتطف ومن المكاتب الشهيرة في القاهرة وسنعود الى هذا التاريخ في الجزء التالي

سبائك التبر في احوال الجبر

بينا نرى كتب الحساب والجبر تطبع في هذا القطر موجزة مختصرة جرياً على ما تطلبهُ نظارة المعارف المصرية نرى هذه الكتب تطبع في سورية مطوَّلة مسهبة حتى لا تبقي حاجة في نفس الطالب . ومن ذلك كتاب نُشر حديثاً في علم الجبر والمقابلة الفهُ حضرة الرياضي الفاضل جبران افندي يوسف لبس ونشر منهُ الآن الجزء الاول وهو يبتدئ بمبادئ علم الجبر ويتدرَّج الى حل المسائل التي من الدرجة الاولى فيذكر كل ما يتعلَّق بها ويدخل تحتها من جمع وطرح وضرب وقسمة وترقية وتجذير . وهو واضح الحدود كثير الامثلة حتى ترسخ قواعدهُ في اذهان الطلبة . وحبذا لو جرى فيهِ دائماً على اصطلاح استاذنا الدكتور فان ديك فاننا حينما فتحناهُ لننظر فيهِ وقع نظرنا اولاً على مثال في قسمة الكميات المركبة ونحن نحسب ان المقسوم عليهِ يوضع الى يمين القارئ حيث تبتدئ الكميَّة المقسومة ويبتدأ بطرح الحاصل وكدنا نحسب العمل خطاء لو لم ننتبه الى ان المقسوم عليهِ موضوع الى اليسار . كذلك لو وضع المعادلات البسيطة اي التي من الدرجة الاولى في اوائل الكتاب حيث يستطيع التلميذ فهمها وحلها لكان اقرب الى ترغيبهِ في هذا العلم فقد ثبت لنا بالاختبار مدة تعلُّم الجبر وتعليمهِ ان الشروع في حل المعادلات البسيطة واظهار مزية حلها بالجبر على حلها بالحساب هو اكبر مرغب للتلامذة في درس علم الجبر . وحرف الكتاب واضح جداً حتى دلائل القوات والجذور وطبعهُ متقن فعسى اساتذة المدارس ان يعتمدوا عليهِ في تعليم هذا العلم الجليل

تعليم قراءة الخطوط العربيَّة

للكتابة العربيَّة صور متعددة كما قال جامع هذا الكتاب تختلف باختلاف الاماكن والاصقاع فمنها الخط السوري والمصري والتركي والهمايوني والفارسي والمغربي وكلها لا تضرب على وتيرة واحدة . بل منها ما تسهل قراءتهُ على صغار الطلبة ومنها ما تصعب قراءتهُ جداً حتى على الذين مارسوا قراءة الخط سنين كثيرة . وقد احسن حضرة الاديب سليم افندي ابرهيم صادر صاحب المكتبة العمومية في بيروت بجمعهِ كتاباً اودعهُ اشكالاً كثيرة من امثلة الخطوط العربية المختلفة فنثني على همتهِ ونحث ارباب المدارس على استعمال كتابهِ وهو رخيص جداً ثمنهُ ٦٠ سنتيماً اي نحو غرشين ونصف ويكون اقل من ذلك للمدارس

النتيجة السنويَّة والتعازي الروحانيَّة

وضع هذه النتيجة لسنة ١٦١٨ القبطية حضرة رزق الله افندي السيد البرماوي ووضع فيها لكل يوم من ايام السنة آيتين من الكتاب المقدَّس الواحدة تقابل الاخرى كقول صاحب الزبور الى متى يارب تحجب وجهك عني وقولهِ تعالى بلسان اشعيا حجبت وجهي عنك لحظةً وباحسان ابدي ارحمك . ويليق بكل مسيحي ان يقتني نسخةً منها

الفرائد الجمانيَّة

هو شرح للقصيدة الطنطرانية التي مطلعها

يا خليَّ البال قد بلبلتَ بالبلبال بالَ بالنوى زلزلتني والعقل في الزلزال زال

وضعهُ حضرة الاديب محمد بن الحاج العربي العنابي الملقَّب بابي الليل . وقال في مقدمتهِ ان ناظم هذه القصيدة هو احمد الطنطراني من جهابذة المدرسة النظامية ببغداد مدح بها نظام الملك شمس الكفاة المتولي امور دار السلام وقتئذٍ" وحبذا لو توسع في هذه المقدمة فاسهب في الكلام على الناظم والمدرسة النظامية ونظام الملك

فتح المنان في علم تقويم البلدان

هو رسالة وجيزة تشتمل على ما يكفي تلامذة السنة الاولى والثانية من المدارس الابتدائية تأليف حضرة الماجد محمد افندي ذهني وضعها على طريق السؤال والجواب واكثر ما فيها حدود يستظهرها الطالب

شهيدة الامانة

رواية ادبية غرامية مما وضعهُ شاتوبريان الكاتب الفرنسوي الشهير وقد عربها حضرة الاديب فرج افندي عبده واهداها الى حضرة الالمعي الفاضل امين بك غالي رئيس نيابة محكمة الاستئناف المختلطة . والرواية ادبية مفيدة اول شيء وقع نظرنا عليهِ منها كلام قالهُ كاهن شيخ جمع الديانة العملية كلها وهو قولهُ انهُ علَّم رعيتهُ " ان يحبوا بعضهم بعضاً وان يعبدوا الله وينتظروا حياةً افضل من هذه بعد الموت " وحبذا لو كثر نشر الروايات الادبية التقوية التي من هذا القبيل

باب المسائل

(١) ملك مصر في عهد ابرهيم

امبابه . اسكندر افندي نبيه . سألتكم مرةً في الجزء الثالث من المجلد الخامس والعشرين من كان ملك مصر لما دخلها ابرهيم الخليل فكان جوابكم " لا يعلم ذلك لان تواريخ الملوك المصريين غير محققة وكذلك تواريخ التوراة والفرق بين العلماء الباحثين في التواريخ المصرية يصل احياناً الى اكثر من الف سنة " ولكن قد ابان صاحب عين شمس المجلة الاثرية في العدد الاخير من السنة الاولى ان انحدار ابرهيم الخليل الى الاقطار المصرية يحتمل ان يكون في زمن العائلة الثانية عشرة الطيبيَّة المصرية التي عمَّرت نحو سنة ٢٣٨٠ — ٢١٦٧ وفي عهد الملك القوي امنمهات الثالث الذي حفر بحيرة موريس فماذا تقولون

ج نقول كما قلنا اولاً " ان ذلك لا يعلم" وقول صاحب عين شمس لا يناقض قولنا لانهُ حيث وقع الاحتمال بطل الاستدلال فيحتمل ان يكون نزول ابرهيم الى مصر في زمن هذا الملك ويحتمل ان يكون في زمن غيرهِ . واسم ملك مصر يعرف إما من الكتاب المقدَّس او من الآثار المصرية او من مقابلة تواريخ السنين في الكتاب المقدَّس بتواريخ السنين في تاريخ مصر . اما الكتاب المقدَّس فلا يذكر فيهِ اسم ملك مصر بل يذكر لقبهُ الذي يلقَّب بهِ ملوك مصر في الكتاب المقدَّس وهو فرعون . واما الآثار المصرية فكل ما كشف منها الى الآن لا يُذكر فيهِ انحدار ابرهيم الى مصر . واما مقابلة التواريخ فلا تفيد شيئاً لانها على ما تقدَّم من الاختلاف سواء كانت في التوراة او في التواريخ المصرية فالعائلة الثانية عشرة المصرية التي تشيرون اليها حكمت سنة ٣٣٠٧ قبل المسيح على حساب شمبوليون فيجياك وسنة ٢٣٨٠ على حساب لبسيوس . وسنة ٢٤٦٦ على حساب برغش وسنة ٢٨٥١ على حساب مريت . ولنفرض ان زمن ابرهيم الخليل معروف محدود وهو بحسب ما تعتمدهُ اكثر الكنائس البروتستانتية سنة ١٩٢٠ قبل المسيح فهل يمكن ان يطبق على ملك من ملوك هذه العائلة والاختلاف بين العلماء في زمنها يزيد على الف وثلثمئة سنة . ثم ان العائلة الثالثة عشرة التي جاءَت بعد العائلة الثانية عشرة ابتدأت سنة ٢١٣٦ على حساب لبسيوس ومددهُ اقل المدد قدمية وعليهِ فزمن العائلة الثانية عشرة سابق لزمن ابرهيم الخليل. ولذلك كلهِ يبقى جوابنا الاول في محلهِ لا غبار عليهِ . واذا كشف في المستقبل اثر

مصري يثبت نزول ابرهيم الخليل الى مصر ويعرف منهُ زمن نزولهِ لا نتأخر عن ذكرهِ في المقتطف

---

(٣) غلاء الخزف الصيني

طرابلس الشام المسيو جوالي كانسفليس. يتفاخر البعض بالصيني القديم حتى صارت الكاس السوداء المذهبة منهُ تباع بمئة وخمسين فرنكاً فهل يستحق هذه الاسعار وما هي قدميتهُ واهميتهُ

ج ان قيمة المصنوعات هي ثمن موادها الاصلية واجرة العمال الذين يصنوعها وربا رأس المال الذي تعمل بهِ وربح التجار الذين يتجرون بها ونفقات النقل والخزن الخ . واذا كان صانع المصنوعات من اهل المهارة النادرة فيغالي اصحاب اليسار حينئذٍ باثمانها على حسب غناهم ورغبتهم في اقتنائها ونسبتها الى غيرها من مقتنياتهم حتى اذا قصد واحد منهم ان يجمع امثلة من مصنوعات صانع واحد او صنّاع امةٍ من الامم فقد يبتاع النادر منها او ما يجدهُ تكملةً لما عندهُ باغلى الاثمان اذا لم يستطع ابتياعهُ بثمن ارخص منهُ . والخزف الصيني يستحق ثمناً غالياً لكثرة ما ينفق في إعداد طينهِ ونقشهِ ودهنهِ وشيهِ من الوقت والتعب . ثم اذا كانت رسومهُ متقنة اضيف الى ثمنهِ اجرة مهارة الصانع الماهر الذي صنعهُ واذا قدم عهدهُ قلَّت امثالهُ لكثرة ما يتكسَّر منها على طول الزمان ولكثرة انتشارهِ فتزيد المغالاة بهِ . وقد رأينا آنية صينية يباع الاناء منها بمئات من الجنيهات وآنية من صنع اوربا يباع الاناء منها بمثل ذلك او باكثر من ذلك وجانب من ثمنها اجرة صنّاعها والمهارة التي صُنعت بها والجانب الآخر مغالاة دعت اليها الندرة والرغبة . اما القدمية فمختلفة والصينيون صنعوا الخزف قبل المسيح بنحو الفي سنة ولا اهمية للآنية الصينيَّة الآن حيث جمعها للزينة والمباهاة

(٣) ورثة الالقاب

ومنهُ . اصطلح البعض على توجيه لقب بك الى اولاد البكوات واولاد اولادهم فهل تسمح نظامات الدولة بتوريث هذا اللقب كما هو جارٍ واذا بقي الحال على هذا المنوال فكم يكون عدد البكوات بعد نصف قرن

ج ان نظام الحكومة المصرية الذي نظنهُ منقولاً عن نظام الحكومة العثمانية يعطي لقب بك لابناء الباشوات اما ابناء ابنائهم فلا ينالونهُ بالارث ولذلك يبقى عددهم محصوراً

(٤) أكل الحيات

ومنهُ . هل يوجد نوع من الحيات لا يأكل غير تراب الارض فقط

ج كلاَّ والحيات من آكلات الحشرات ونحوها كالبيض والجبن

(٥) صورة الجنيه الانكليزي

بيروت الخواجه انيس خوري . نرى الدولة الانكليزية ترسم على الليرة صورة القديس جاورجيوس فما سبب ذلك

ج لان الانكليز يحسبون القديس جاورجيوس حامي انكلترا ويقال ان اول من قال بذلك الملك ريكاردوس المعروف بقلب الاسد فانهُ استعان بهذا القديس في الحروب الصليبيَّة فاعانهُ ثم جُعل حامياً للمملكة الانكليزية في عهد الملك ادوارد الثالث

(٦) تنظيف ريش النعام

ومنهُ . ما هي الطريقة الحسنة لتنظيف ريش النعام

ج تذاب اوقية من الصابون الابيض في رطل من الماء على النار وحينما يبرد الماء ويبقى فاترًا توضع الريشة فيهِ تمسك باليسرى يضغط عليها بسبَّابة اليد اليمنى وتسحب باليسرى والاصبع ضاغطة عليها ويكرَّر ذلك مرارًا كثيرة الى ان تنظف ثم تجاز في ماء نقي مرارًا ثم في ماء اذيب فيهِ قليل من النشا وازرق اللازورد وتوضع على خرقة من الشاش وتترك حتى تجف في الشمس وقبلما تجف كثيرًا تفرك بين الراحتين

(٧) تجعيد الريش

ومنهُ . وما هي طريقة تجعيدهِ

ج يمسك المجعد سكينًا غير ماضٍ ويضع ريشات الريشة واحدة واحدة بين ابهامهِ وحد السكين ويشد عليها ويسحبها من محل منذ غمها بالريشة الى اعلاها فتنعطف على نفسها ولا بد لهُ من ان يعطف الريشات كلها الى جهة واحدة

(٨) تنظيف الريش من العث

ومنهُ . ما الدواء لحفظهِ من العث

ج النفتالين يحفظهُ من العث واذا اريد حفظهُ من سنة الى أُخرى او من فصل الى آخر فاسهل طريقة لحفظهِ من العث ان يوضع في كيس من القطن يخاط جيدًا فلا يدخل فراش العث اليهِ

(٩) دليل البلدان

ومنهُ . نرى كثيرين من الاوربيين الذين يجولون في الممالك المحروسة بيدهم كتاب يستدلون منهُ على الطرق والاماكن فما اسمهُ واين يباع وهل هو مطبوع بالعربيَّة او بالانكليزية فقط

ج نظن انكم تشيرون الى كتب مري Murray او كتب بدكر Baedeker وهي كتب مسهبة تباع عند كل باعة الكتب الاوربيين في مصر والاسكندرية ونظن انها تباع ايضًا في المطبعة الاميركية في بيروت ولم تترجم الى العربيَّة

(١٠) اختلاف اللغات

ومنهُ . من المعلوم ان ابوينا الاولين كانا يتكلمان لغة واحدة وبقي نسلهما يتكلم لغتهما

الى ان تبلبلت الالسن فاختلفت لغات الناس قليلاً . وقد تعددت اللغات كثيرًا الآن حتى صارت تعدُّ بالالوف فما سبب ذلك

ج لو ذهبت قبيلتان تتكلمان لغةً واحدة الى جزيرتين بعيدتين احداهما عن الاخرى وسكنتاها ولم يعد نسل القبيلة الواحدة يتصل بنسل القبيلة الاخرى بوجه من الوجوه وبقيتا على ذلك الف سنة او اكثر لاختلفت اهل لغة الجزيرة الواحدة عن لغة اهل الجزيرة الاخرى ولو كانتا في الاصل لغة واحدة وذلك لان الناس يختلفون ولو قليلاً في تصوراتهم وتعبيراتهم ولفظهم فيجري اهالي الجزيرة الواحدة على طرق من اللفظ والتعبير لا يجري عليها اهالي الجزيرة الاخرى وعلى توالي السنين يزيد الفرق بينهم حتى لا يعود الفريق الواحد منهم يفهم كلام الفريق الآخر فتصير لهم لغتان تختلفان وعلى هذا النمط اختلفت اللغات وتنوَّعت واختلفت اشكال النبات والحيوان وتنوَّعت ايضاً . ويحسن بكم ان تراجعوا الفصول التي كتبناها عن تولُّد اللغات ونموها في المجلد العاشر والحادي عشر من المقتطف

(١١) غسل المنسوجات الحريرية

ومنهُ بماذا تغسل الاقمشة الحريرية البيضاء حتى تبقى على لونها الاصلي بيضاء نقية

ج ان الغسل بالماء والصابون يبقيها بيضاء او يزيدها بياضاً ولكنهُ قد يزيل لمعانها

(١٢) اسم اسيوط

مصر . عبد المجيد افندي فهمي . ما معنى كلمة ليكوبوليس الذي كانت مدينة اسيوط تسمَّى بهِ

ج مدينة الذئاب وذلك لان انوبس الذي رأسهُ يشبه رأس الذئب او ابن اوى كان يعبد فيها

(١٣) روايات ايبرس

مصر . بانوب افندي حنا ما هي روايات العلاَّمة جورج ايبرس التي لها علاقة بتاريخ مصر وما الذي ترجم منها الى العربيةَّ

ج انشأ اولاً الاميرة المصرية سنة ١٨٦٤ وقد ترجمت الى العربيَّة وطبعت في في مطبعة المقتطف وقصة وردة سنة ١٨٧٧ وهي تترجم الآن وتطبع في المؤيد ولهُ روايات اخرى يظهر من اسم واحدة منها وهو سيرابيس انها مصرية او من عهد البطالسة ولكننا لم نقرأ من رواياته غير الروايتين الاوليين

(١٤) رواية تاريخ مصر

ومنهُ ما اسم احسن رواية تبسط تاريخ مصر تفصيلاً

ج ما من رواية تبسط تاريخ مصر تفصيلاً لان تاريخ مصر يمتد ستة الآف سنة ولا يمكن ان يعيش المذكورون في رواية هذا الزمن المديد حتى تذكر معهم حوادث ازمنتهم . فان كنتم تطلبون معرفة

الحوادث التاريخية فاطلبوها في التواريخ لا في الروايات لان واضع الرواية التاريخيَّة يقتصر على بعض الحوادث وقد يغير فيها ويبدل حتى تطابق غرضهُ

(١٥) علامة النسبة

الاسكندرية . احمد افندي كامل مراد . لا يخفى ان علامة النسبة في العربية ياء تلحق آخر الاسم فيقال مصري وشامي نسبةً الى مصر والشام ولكنَّا نرى اسماء كثيرة تنسب باضافة لفظة جي الى آخرها فيقال قهوجي وعربجي فما هي هذه النسبة

ج تركية جرى عليها المحدثون اخذًا عن الاتراك

(١٦) معنى خان

ومنهُ . ما معنى كلمة خان التي تلحق بآخر اسماء السلاطين ومن اي لغة هي

ج معناها ملك او امير وهي تترية او تركية الاصل

(١٧) المختان الطبيعي

ومنهُ . يولد بعض الاطفال مختونين ويقال ان الجان يختنهم حينما يختن امثالهُ فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ بل ان القلفة تكون قصيرة في بعض الاولاد من اصلها

(١٨) اعالة الفقراء

المنصورة . ابرهيم افندي زكي ألم يهتدِ الباحثون الى احسن طريقة لاعالة الفقراء الذين يكثر عددهم بكثرة الآلات التي يستغني بها عنهم وبسبب غلاء المعيشة

ج ان الآلات تغني عن كثير من العمال ولكن العامل المجتهد يجد دائمًا عملاً يعمل بهِ ويجد اناسًا يفتشون عنهُ. والمعيشة ليست الآن اغلى مما كانت قبلاً . والخيرات كثيرة في الدنيا ويستطيع كل رجل ان يحصل منها ما يقوتهُ ويقوت ثلاثة او اربعة معهُ وانما سبب الفقر الكسل والاسراف . كنا ماشيَين مرةً في احد شوارع لندن فرأينا رجلاً رث الثياب يمشي ووراءهُ امرأة تتوسل اليهِ وتبكي وهو يشتمها وينفر منها فنظرنا اليها وسألناها عن امرها فقالت لنا ان اطفالها جياع عراة وهذا زوجها يأخذ اجرتهُ ويسكر بها ولا يطعم اولادهُ . وهذه حال اكثر المساكين في المدن الاوربية يكتسبون ما يكفيهم ولكنهم ينفقونهُ على المسكر فاذا زال المسكر من الدنيا وعوقب الكسلان والمسرف معاقبة الجاني زال اكثر ما يرى فيها من الفقر والضنك

(١٩) جبل طارق

ومنهُ . اكان مضيق جبل طارق ارضًا يابسة وثغرتهُ المياهُ او هو من عمل الانسان

ج يظهر من المباحث الجيولوجيَّة ان الجبل كان متصلاً ببر افريقية وبينهما فرجة او وادٍ باطنهُ اعلى من سطح البحر وحينئذٍ كانت اوربا متصلة بافريقية بهِ ثم هبط الجبل

نحو سبع قدم عن الحد الذي هو عليهِ الآن فصارت الفرجة بوغازًا يجري فيها الماء ثم ارتفع ثانية وانخفض بعد ذلك كما هو منخفض الآن والامواج تزيد الفرجة اتساعًا . ولعلَّ الفرق بين اتساعهِ الحالي واتساعهِ وقتما عبره العرب ناتج اكثرهُ عن خسوفهِ لا عن فعل البحر بهِ

(٣٠) آثار مصرية في غير مصر

ومنهُ . تكرر العثور على آثار مصرية في غير مصر وآخر ما قرأتهُ انهم عثروا على البعض منها في مشونالاند فبماذا يعلَّل ذلك

ج كان سكان مصر في العصور الغابرة اذا رحلوا الى بلاد يبقون على عاداتهم وعباداتهم فيحنطون موتاهم ويضعون في مدافنهم ما يضعونهُ فيها في القطر المصري وكان ملوكهم يصلون في غزواتهم الى اطراف السودان جنوبًا وبلاد ارمينية شمالاً ويبقون آثارهم فيها اما مشونالاند فالمظنون ان رجال سليمان الحكيم كانوا يذهبون في البحر الاحمر الى هناك لجلب الذهب فلا يبعد ان يكون المصريون قد سبقوهم اليها او لحقوهم وابقوا آثارهم فيها

(٣١) المشاهير والنوائب

ومنهُ . يكثر ان يصاب مشاهير الرجال واعاظمهم بنوائب الدهر في اخريات ايامهم فبماذا يعلَّل ذلك

ج لا نظن ان الامر كما تقولون ولا نعلم ان احدًا بحث عن ذلك فوجده كما تقولون وطريقة البحث ان يُنظر في تاريخ مئة رجل من المشاهير من غير اختيار ومئة رجل من غير المشاهير من غير اختيار ايضًا فاذا ظهر ان اربعين او خمسين في المئة من الاولين اصيبوا بنوائب الدهر في اخريات ايامهم ولم يصب من الآخرين بها سوى عشرة او عشرين ترجح صدق حكمكم وحقَّ البحث فيهِ

(٣٢) نفع الاجانب

ومنهُ . اذا كان اتيان عمل نافع من يد اجنبيَّة كانشاء السكك الحديدية يفيد الذين تنشأ عندهم من باب تسهيل المواصلات ولكنهُ يؤدي الى اضعاف نفوذهم ومحو استقلالهم فهل يفضل هذا النفع على ضياع الاستقلال

ج كلاَّ ولكن القوم الضعاف الذين يَدعون الغير ينشئ السكك في بلادهم ويضيع استقلالهم قلما يرجى ان يحتفظوا بهِ او يستفيدوا منهُ ومع ذلك فترك الناس يحكون جلدهم بظفرهم خير لهم من ان يجرّعوا وسائل العمران تجريعًا قبلما يصيرون اهلاً لورود مواردها

(٣٣) سوس الرمان

الخطاطبة . الخواجه حبيب جدي . عندنا كثير من شجر الرمان وقلما يطيب

يدبُّ السوس فيهِ فيتلفهُ وقد جربت التبخير بالشيح والعظام وبراز البهائم فلم يأْتِ بنتيجة واشار عليَّ البعض ان الفَّ كل كوز بقفة خوص صغيرة فسلم منهُ قسم صغير وتلف الباقي فهل من واسطة او دواءِ لمنع السوس

ج اللف بقفف الخوص خير واسطة لوقاية الرمان ويجب ان تشرعوا في ذلك قبلما يقع الفراش على الرمان و يبيض عليهِ وان تكون قفف الخوص محكمة العمل والربط حتى لا يبقى فيها ثقب واسع يدخل الفراش منهُ. وحبذا لو انتدبت الحكومة المصرية احد علماء الحشرات الى درس حشرات بلادها والاشارة بما يقي منها . اما السباخ الذي بعثتم الينا بهِ فلا سبيل لنا الى تحليلهِ ويحسن بكم ان ترسلوهُ الى المعمل الكيماوي وهو يحللهُ لكم باجرة معتدلة

باب الاخبار العلمية

المؤتمر الطبي المصري

أُنشىء مؤتمر طبي في القطر المصري انتظم فيهِ كثيرون من اطباء القطر الاجانب والوطنيين وأُعطيت رئاستهُ لسعادة الشيخ الجليل الدكتور اباتا باشا نزيل الديار المصرية منذ ٥٥ سنة فتنازل عنها للدكتور ابرهيم باشا حسن رئيس مدرسة قصر العيني الطبيَّة . وسيعقد المؤتمر في اواخر سنة ١٩٠٢ من ١٠ الى ١٤ دسمبر في مدرسة قصر العيني وقد منحتهُ الحكومة المصرية خمس مئة جنيه واذنت لهُ في طبع مطبوعاتهِ كلها في المطبعة الاميرية على نفقتها . فعسى ان نرى من حضرات اعضائهِ ما يحقق آمال الناس فيهم فيفيدوا القطر المصري خاصَّة والاقطار الشرقية عامَّة بعلمهم وبحثهم

البحث عن مذهب كوخ

ان اللجنة التي عينتها الحكومة الانكليزية للبحث عن صحة مذهب كوخ او فسادهِ مؤلفة من السر ميخائيل فوستر الفسيولوجي والاستاذ ودهد البكتيريولوجي والاستاذ مارتن والاستاذ مكفديان والاستاذ بو يس وسيكون بحثها في هذه الامور وهي اولاً هل سل البقر هو عين سل البشر ثانياً هل يعدى بهِ الانسان والحيوان الواحد من الآخر على حدٍّ سوى . ثالثاً اذا كان السل ينتقل من الحيوان الى الانسان فما هي الاحوال التي ينتقل فيها وما هي الامور التي تسهل انتقالهُ وما هي الامور التي تضاد انتقالهُ اما نتيجة بحثها فلا تعلم الاَّ بعد سنة او سنتين في ما نظن

شهداء الحمّى الصفراء

لما ظهر ان البعوض ينقل الحمّى الصفراء الشديدة الفتك في البلاد الاميركية تبرع ثمانية رجال ليمتحن ذلك فيهم في هافانا عاصمة كوبا فعرّضوا انفسهم للبعوض الذي امتصَّ ميكروب الحمّى الصفراء حتى لسعهم فمات ثلاثة منهم بهذه الحمّى الخبيثة ومرض ثلاثة بها ويرجى شفاؤهم وواحد لم تظهر فيهِ الحمّى قط وواحد لم يفت الوقت على ظهورها فيهِ حينئذٍ ورد الخبر على جريدة التيمس منذ شهر من الزمان فلم تبقَ شبهة في ان البعوض ينقل هذا المرض الخبيث ويطعِم الاصحاء بعدواهُ حينما يلسعهم

قرارات مؤتمر السل

اقرَّ اعضاء مؤتمر السل على امور كثيرة اهمها ما يأتي

(١) ان نفث المسلول هو اكبر واسطة لنقل عدوى السل من انسان الى انسان ولذلك يجب منع البصق في الاماكن العمومية واتلاف بصاق المسلولين واعطاء كل مسلول قنينة يبصق فيها ويضعها في جيبهِ

(٢) ان تنشأ مصاحّ في كل بلاد يمضي اليها المسلولون ويعالجون فيها

(٣) ان تنشأ ملاجئ لفقراء المسلولين يعالجون فيها على نفقة الحكومة

(٤) ان تبذل الهمَّة في نشر التعاليم التي يتعلمها الناس فيعرفون كيف يتّقى السل وكيف يُعالَج

امتحان مذهب كوخ

تبرَّع ثلاثة في شيكاغو باميركا ليمتحن فيهم ميكروب سل البقر لاثبات مذهب كوخ او لنقضهِ احدهم شاب عمرهُ ١٨ سنة والثاني كاتب في ديوان الصحَّة عمرهُ ٢٣ سنة والثالث من مستخدمي المعمل الطبي وعمرهُ ٣٣ سنة . وينتظر ان يعرض كثيرون انفسهم للامتحان حتى يظهر فعل ميكروب سل البقر في كل اسنان الناس وفي احوال مختلفة . وقد طُعِم هؤلاء الثلاثة في اذرعهم كما يطعَّم الانسان عادةً للوقاية من الجدري فاذا لم يظهر فيهم التدرُّن طُعِّموا هم او غيرهم لامتحان فعل الميكروب بالامعاء والرئتين

مجمع ترقية العلوم البريطاني

اشرنا في هذا الجزء الى التئام مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة غلاسغو ونشرنا خطبة رئيسهِ الاستاذ ركر وجانباً من خطبة رئيس قسم علم الحيوان فيهِ . وقد بعث الينا ولدنا نجيب صروف وهو عضو في هذا المجمع بوصف مسهب لما رآهُ وسمعهُ فيهِ وسننشرهُ في الجزء التالي

مجمع ترقية العلوم الاميركي

اجتمع مجمع ترقية العلوم الاميركي اجتماعهُ الخمسين في مدينة دنفر بولاية كاورادو في

٢٤ اغسطس وخطب فيهِ الاستاذ وودرد خطبة الرئاسة وموضوعها تقدُّم العلم واكثرها فلسفي وادبي لكنهُ جاهر فيها باقوال لا بدَّ من ان يخالفهُ فيها كثيرون من فضلاء اميركا . قال انهُ من الواضح البيّن ان سكك الحديد وسفن البخار والتلغراف وصحف الاخبار تنير الشعوب التي لا تزال في الظلام الدامس اكثر مما ينيرهم كل دعاة الاديان . وقد غالي في فائدة التجارة للامم النائية وفاتهُ ان هذه الامم تكاد تنقرض من فضل التجار الذين يأتونها بالاسلحة والمسكرات قبل كل بضاعة . وسنعود الى هذه الخطبة في فرصة أُخرى وننشر خلاصتها

بالون ديمون

صنع المسيو ديمون بالونًا جديدًا غير البالون الاول الذي دار بهِ حول برج ايفل وقصَّر عن الرجوع الى سان كلو في الوقت المحدد لنيل الجائزة. وطار بهذا البالون الجديد عساهُ ينال الجائزة فلم ينلها لان حبلاً من حبالهِ علق بشجرة فمنعهُ من السير . وقد صنع المستر وليم بيدل بالونًا فيهِ آلة بخارية قوتها ٢٨ حصانًا وهو عازم ان يباري بهِ المسيو ديمون لنيل الجائزة والمنتظر ان يتسابق الاثنان في اواخر اكتوبر

ضرر البعوض

ذهب الماجور روس بمكتشف بعوض الحمَّى الملارية الى شاطىء الذهب في جنوبي افريقية للبحث عن الحميات الملارية وقد كتب منها يقول ان الدكتور تيلر نظف خمسة آلاف بيت في مدينة فريتون من كل الآنية التي يترك فيها الماء فيبيض فيهِ البعوض فكانت النتيجة ان قلَّ البعوض جدًّا . والبعوض المقصود هنا هو البعوض العادي الذي نراهُ في القطر المصري والشامي وهو ينقل عدوى الحمَّى الصفراء وعدوى داء الفيل ومن المحتمل ايضًا انهُ ينقل عدوى غيرهما من الامراض . قال الماجور روس وقد اهتمَّ الدكتور تيلر والدكتور بركلي بطمر كل المستنقعات الصغيرة التي يربو فيها بعوض الحمَّى الملارية حتى قلَّ هذا البعوض جدًّا وصار يتعذَّر الحصول على واحدة منهُ لاجل الامتحان العلمي . والذين يصابون بالحمَّى الملارية هناك هم الجانون على انفسهم لانهم كلهم يستطيعون اتقاءَها

ضرر قناديل البتروليوم

ألَّف اثنان كتابًا انكليزيًا في زيت البتروليوم ذكرا فيهِ تاريخهُ واستخراجهُ وتنقيتهُ واستطردا الى ذكر الضرر الذي يحدث من اشتعال قناديل البترول فقالا انهُ يموت في السنة ١٢٩ نفسًا من اشتعالها ويبلغ عدد المرات التي تستعمل فيها في هذه المدة ٤٠٠٠ مليون مرة . فاذا وجب ابطالها بسبب ما يقتل باشتعالها وجب ان لا تبنى البيوت الاَّ

طبقة واحدة لانهُ يقتل بالسقوط من سلالم ذات الطبقات ٥٥٠٠ نفس كل سنة

زبدة النارجيل

صنع معمل في مرسيليا الزبدة من جوز النارجيل فاذا هي انقى من زبدة البقر واجمد منها واشد بياضاً واصلح منها لعمل الكعك وغيرهِ من انواع الحلوى وارخص كثيراً من زبدة البقر

الوندسو المغذي

في اواسط افريقية نبات اسمهُ الوندسو من فصيلة القطاني لهُ ثمر كالبندق ينضج تحت الارض فيهِ دقيق ابيض اذا سلق اشبه طعمهُ طعم الكستنا المسلوقة وقد حُلل تحليلاً كيماوياً فوجد فيهِ ٥٨ في المئة من النشا و١٩ في المئة من المواد النيتروجينية و١٠ في المئة من الماء و٦ في المئة من الزيت و٤ في المئة من السلولوس و٣ من الرماد ويقال انهُ الثمر الوحيد الذي فيهِ كل ما يحتاج اليهِ جسم الانسان من الغذاء فيستطيع ان يعيش عليهِ فقط

حديث مع الماجور اوستن

سار الماجور اوستن من ام درمان في اواخر السنة الماضية بحملة من الجنود السودانية والجهادية لتخطيط الاراضي الواقعة على تخوم السودان والحبشة شمالي بحيرة رودلف وقد استصحب معهُ اثنين من الانكليز احدهما الدكتور جارنر اخو الدكتور جارنر من موظفي مصلحة الصحة العمومية والآخر الماجور بريط اولهما للسهر على صحة الحملة وثانيهما للارصاد الجوية ومساعدة الماجور اوستن في تخطيط الاراضي . وكان الاتفاق بينهُ وبين حكومة السودان على ان توافيهُ بالزاد الى مكان معين . فضلَّ المكان ولما جاءت القافلة اليهِ بالزاد لم تجد لهُ فيهِ اثراً ولا سمعت عنهُ خبراً وانقطعت اخبارهُ وارسلت حكومة السودان الرسل الكثيرين يستقصون آثارهُ ويسألون عنهُ فلم يظفروا بخبر عنهُ حتى وصل الى مكان يقال لهُ بارنجو في بلاد اوغندة فارسلت الحكومة الانكليزية في اوغندة تنبئ بوصولهِ اليها

وقد وصل هو ورفيقاهُ ومن بقي سالماً من رجال حملتهم الى هذه العاصمة يوم السبت في ٢٨ سبتمبر فقابلناهُ وهو شاب في الثالثة والثلاثين من عمرهِ ولكنهُ اشمط السالفين مما مرَّ بهِ من العبر والاهوال في سفرة تقلب فيها بين مخالب المنون الايام الطوال وقد سألناهُ عما اتم في سفرتهِ هذه فاجابنا انهُ كان قد خطط الاراضي التي بين ام درمان والناصر في السنة الماضية فخطط في هذه السنة الاراضي التي بين الناصر ومركز مرلي الواقع على نهر اومو شمالي بحيرة رودلف : فرسم في هاتين السنتين خرائط الاراضي الواقعة بين ام درمان والدرجة الخامسة والدقيقة الحادية عشرة من العرض الشمالي وبين الدرجة ٣٣ والدرجة ٣٦

من الطول الشرقي ووجد في تلك الجهات اراضي فسيحة تصلح للزراعة وباقيها صحاري مجدبة او آكام وهضاب صخرية ومنها جبل يزيد ارتفاع قمتهِ اكثر من سبعة آلاف قدم عن سطح البحر شمالي بحيرة رودلف يراه الناظر من ابعاد شاسعة . وكان اجتيازهم تلك الجهات في فصل الشتاء فثارت عليهم انواء وعواصف شديدة واصابتهم ديم مدرار ومطروا امطارًا غزيرة كانت سيولها تجتمع انهرًا وتجري الى بحيرة رودلف سريعًا فتجف حالاً او تمتصها الرمال فينضب ماؤُها في اوقات قصيرة ولكن هناك نهرًا كبيرًا كثير الماء يصب في تلك البحيرة اسمهُ اومو وهو اشهر انهار هاتيك الاقطار

ورأوا في طريقهم وحوشًا كثيرة اصطادوا منها عددًا يذكر وحملوا جلودها وغيرها مسافة طويلة ثم لما نفد منهم الزاد وخارت القوى القوها في الطريق مع سائر امتعتهم ولم يأتوا بشيء منها غير الخرائط ورأوا في مسيرهم نوعين من الايائل يظن الماجور اوستن انهُ لم يسبق لعلماء الحيوان علم بهما وقد رصد الماجور بريط رفيقهُ حرارة الهواء فكان اعلى درجات الحرارة ٤١ ١/٢ واوطأُوها ٢٠ بميزان سنتكراد

ولما انتهى من وصف جغرافية الاراضي التي خططها سألناهُ عن اهلها فقال انهم اقوام من أحط اهل الارض خلقًا ومن اشدهم توحشًا يعتقدون بوجود خالق الكائنات لكنهم عبدة اوثان او بشر بلا اديان . وهم قبائل شتى اعظمها واقواها واغناها قبيلة التركانة المنتشرة على ساحل بحيرة رودلف الغربي وساحلها الجنوبي وكلها عشائر رُحل تقتني الابل والحمير والغنم والمعزى وتتنقل بانعامها من مكان الى مكان في طلب الكلاءِ وتقتات بلحومها ولحم الحمير من جملتها ولا يكاد يكون عندها حبوب ولا قطاني ولا مأكل غير لحم المواشي وليس فيها من يلبس لباسًا او يستر عورة فترى رجالها ونساءها كبارها وصغارها عراة الاجسام من قمة رأسهم الى اخمص قدمهم كما خلقوا من بطون امهاتهم . ولا يبنون منازل ولا يضربون مضارب ولكنهم يتقون الرياح والامطار بمظال ينشرونها لتردها عنهم وسلاحهم الحراب والقسي والنبال ولا وجود للاسلحة النارية عندهم

فقلنا وكيف كان شأنهم معكم عند مروركم في بلادهم

قال انهم عاملونا معاملة الدّ الاعداء فقد اخذنا معنا ثمانية احمال من الخرز واحمالاً كثيرة من الاسلاك الحديدية والنحاسيَّة وغيرها مما نقايض بهِ قبائل السودان وتعدهُ اثمن من الذهب والحجارة الكريمة فابوا مقايضتنا وامتنعوا عن اعطائنا ما نقتات بهِ في بلادهم وتعقبونا في مسيرنا ورصدوا لنا في حركاتنا وسكناتنا واغتالوا كل من ظفروا بهِ

منفرداً منا طعناً بحرابهم فقتلوا مرة ثلاثة من رجالنا وهجموا علينا مرة بعد نصف الليل بساعة في ٥ مايو يريدون اغتياليا في محلتنا ونحن نيام فسمع خفراؤنا صياحهم وزغردتهم وقابلوهم برصاص البنادق فردوهم على اعقابهم مدحورين قبل ان يدخلوا محلتنا فكفانا الله شرهم وبقينا شهراً من الزمان نخترق بلادهم فاغتالوا فيهِ تسعة من رجالنا طعناً بحرابهم

وقد قابلتنا القبائل الاخرى بالعدوان كقبيلة التركانة فلم نستطع ان نحصل منها على طعام ولا سيما لان البلاد اجدبت من قلة الامطار واشتداد القيظ في العام الماضي فاشتدَّ علينا الجوع بعد نفاد زادنا ولذلك ولشدة ما قاسينا من العطش في جوب المفاوز واجتياز البلاد التي ماؤها كريه لا يشرب وما عانينا من مشاق السفر مشياً على الاقدام ضعفت منا الابدان وخارت القوى فمات معظم رجالي ضعفاً وخوراً . فاني اخذت معي من ام درمان اثنين وثلثين جهادياً فماتوا كلهم ما عدا اثنين رجعا معي الى هنا وكذلك مات نصف من استصحبت معي من العساكر السودانية . ونفد منا كل زاد وطعام قبل ان نصل الى اوغنده بشهرين ونصف فقضينا هذه الايام كلها ونحن نذبح جمالنا وحميرنا التي تحمل امتعتنا ونأكلها لنعيش بلحمها . واصابني من جراء ذلك مرض شخصهُ الاطباء بنوع من الاسكوبوط فاضناني وذهب بعافيتي

وقد عدت الآن الى صحتي ولكني لم استرجع بعدُ قوتي على ان رجالي من العساكر السودانية والجهادية كانوا يحتملون ذلك كلهُ بالصبر الجميل فلم ارَ منهم تمرداً وسط اشد الشدائد ولا عصياناً للاوامر ولا شقاً لعصا الطاعة

فقلنا وهل مرَّ احد من البيض في تلك الجهات قبلكم. قال اننا قطعنا الطريق التي مرَّ بها الدكتور دونلد سميث قادماً من الجنوب الى الشمال في السنة الماضية وكذلك قطعنا الطريق التي مرَّ بها الكبتن ولبي قبل سنتين ولما جئنا نهراً يقال لهُ سكي على الضفة الشمالية من بحيرة رودلف رأينا منديلاً على شجيرة هناك فاستغربنا وجود هذا الاثر من آثار التمدن بها فرفعناهُ عن الشجيرة فاذا الحرف ب الافرنجي قد طرز على طرف منهُ فعلمنا انهُ اول حرف من اسم الرحالة الايطالي بوتيجو الذي راد تلك الجهات سنة ١٨٩٧ فاضاع منديلهُ على الشجرة حيث بقي تلك السنين

فقلنا اما رأيتم احداً من الاحباش في تلك الاقطار قال اننا لم نرَ احداً منهم ولا عثرنا على اثر لهم . فقلنا انهم يدَّعون ان تلك البلاد لهم على مانسمع فكيف يدَّعونها وهم لا يعرفون شيئاً عنها قال لا بل يعرفونها وقد رسمت الآن خريطتها و بقي ان حكومة السودان والحبشة تتفقان على تعيين التخوم الفاصلة بينهما فيها

فقلنا وهل سلمتم تلك الخريطة الى

الحكومة السودانية قال اني تركت خريطة مجملة في نظارة الحربية وانا عازم على السفر مع رفيقي الى انكلترا يوم الاثنين المقبل وهناك اطبع خارطة مفصلة مطولة وارسلها اليها

زرافة بخمسة قرون

للزرافة عادة ثلاثة قرون اثنان طويلان مدملكان وواحد قصير امامهما . وقد اكتشف السر هري جنستن الآن زرافة في اوغندا لها خمسة قرون ثلاثة منها مثل القرون العادية واثنان قصيران وراءها . والخمسة خاصة بالذكر واما الانثى فلها ثلاثة فقط

مزج ابدان الافاعي

اتى الاستاذ دكسن الاميركي بافعى من ذوات الاجراس وطوّق عنقها بطوق من الحديد ليأمن لسعها وقطع ذنبها واتى بصل وقطع ذنبهُ ووصلهُ ببدن الافعى مكان ذنبها وخاطهُ بهِ فعاشت بذنب غير ذنبها وبقي السم يفرز من انيابها كما كان اولاً

الياف الخوص

عُرف خوص النخل في هذه البلاد منذ الوف من السنين وضفرت منهُ القفف واستخرجت الالياف ولكننا لم نسمع قبلاً ان احدًا حاول ان يستخرج منهُ اليافًا دقيقة تنسج كالقطن والكتان . اما الآن فقرأنا ان بعضهم استخرج من سعوف النخل اليافًا دقيقة متينة وذلك بان تنقع السعوف في مذوّب الصودا الكاوي حتى يصير استخراج الالياف منها سهلاً ثم توضع في الماء اربعًا وعشرين ساعة وتعالج بزيت النارجيل والقلفونة اجزاء متساوية وتوضع في الحامض الكبريتيك والماء واخيرًا تغسل الالياف جيدًا بماء نقي حتى تنظف فتكون بيضاء . ويصلح هذا العمل للخوص كما يصلح للسعوف

اكبر الجوّالات

صنع الانكليز جوّالة سموها لوياثان اكبر من الجوّالات التي صنعتها حكومة يابان وكانت اكبر جوّالات الدول الحربيَّة . وطول الجوّالة الانكليزية خمس مئة قدم وتفريغها ١٤١٦٠ طنًا وآلاتها البخارية قوتها ٣٠٠٠٠ حصان وسرعتها ٢٣ ميلاً بحريًا في الساعة وهي مدرعة بدرع اثقل من درع كل جوّالة أُخرى غيرها

تخريب الغوّاصات

لم تكد تثبت فائدة الغوّاصات واستطاعتها على الفتك بالبوارج الكبيرة حتى استنبط الانكليز واسطة لتخريبها فانهم اوصلوا عمودًا طويلاً طولهُ ٤٢ قدمًا بقارب من قوارب التربيد وساروا بهِ الى حيث اغرقوا برميلاً كبيرًا بدل غواصة الى ان صار طرف

العمود فوق البرميل فطرحوا منهُ طربيلاً فيهِ ٣٢ رطلاً من قطن البارود حتى اذا دنا من البرميل اشعل ما فيهِ بالكهربائية فانفجر انفجاراً هائلاً مزق البرميل ويقال انهُ لو كانت هناك غوّاصة لمزقها تمزيقاً

شجاعة الاطباء ومذهب كوخ

حالما اشتهر ما قالهُ الدكتور كوخ من ان سل البقر لا يعدي البشر كتب اليهِ الدكتور غارنول من باريس يعرض عليهِ نفسهُ ليمتحن ذلك فيهِ وقال في كتابهِ ان عمرهُ ٤١ سنة وثقلهُ ١٠٠ كيلوغرام وصحتهُ جيدة جدًّا ولا اولاد لهُ ولا عجب اذا ضحَّى رجال العلم انفسهم في سبيل العلم فان اناساً احط منهم مقاماً واقل علماً وتهذيباً لا يحجمون عن تضحية انفسهم في ميادين القتال لاغراض لا تقابل باغراض رجال العلم . قال مكاتب اللانست الباريزي انهُ اذا بقي الدكتور غارنول هذا سليمًا بعد الامتحان قال المخالفون لكوخ ان جسمهُ لا يقبل داء السل . واذا أُصيب بهِ قال الموافقون انهُ أُصيب بالسل بطريقة اخرى

الدكتور كلمت ولسع الافعى

ان الدكتور كلمت مكتشف ترياق سم الافاعي ومدير مستشفى باستور في ليل كان يستخرج سم افعى من الافاعي الخبيثة فوقعت منهُ الكلاَّبة التي يمسك بها رأس الافعى في قفصها حينما يستخرج السم منها فلسعتهُ في يدهِ اليمنى لسعاً بالغاً . وسمُّ هذه الافعى سريع الفعل شديد الفتك اما هو فبادر وحقن نفسهُ بالترياق الذي استنبطهُ اي المصل المضاد لسم الافاعي . وورمت يدهُ واصابتهُ الحمى ولكن الترياق فعل فعلهُ وضادَّ فعل السم فعادت الحمى وانخفضت في النهار نفسهِ وشفي من السم في اليوم التالي فاثبت فعل هذا الترياق في نفسهِ ولو على غير قصد منهُ

السفن الفرنسوية الغوَّاصة

اذا اتمت فرنسا ما اقرَّت على عملهِ من السفن الغوَّاصة صار عندها سنة ١٩٠٦ ثمان وستون غوَّاصة . وقد شرعت في انشاء عشرين سفينةً منها هذه السنة يتم منها ثلاث في السنة التالية وسبع عشرة في السنة التي بعدها

كلَّة للمسافرين

اثبت الاستاذ كرمودي في احدى الجرائد الطبية رسماً لكلَّة (ناموسية) يستخدمها المسافرون في المنطقة الحارة ليتقوا بها لذع البعوض وهي معلقة او تعلَّق عند الحاجة بالمظلة (الشمسية) التي لا بدَّ منها هناك لكل مسافر فيتقي بهذه حرَّ الشمس نهارًا وبتلك لذع البعوض ليلاً

آثار بلاد الماشونا

عاد الدكتور كارل بيترس بعد سفرٍ طويلٍ قطع فيهِ بلاد زامبسي الى نهر صابي وقد اكتشف كثيرًا من العاديات والآثار القديمة في جوار بلاد الماشونا فمن ذلك قطعة من المصنوعات المصرية يرجع تاريخها الى ٢٥٠٠ سنة قبل المسيح ومنها ايضاً ثلث وثلثون قطعة من النقود النحاسية وست قطع من النقود الفضية . وحجران عليهما كتابة قديمة .ويرجى ان ترسل بعثة علمية لاجل زيادة البحث والاستطلاع

سكة كهربائية

تألفت شركة فرنسوية بلجيكية برئاسة ملك البلجيك لمد خط كهربائي تسير عليهِ قطر الركاب والبضائع الخفيفة بين باريس وبروكسل وبين بروكسل وانتورب وينتظران تقطع المسافة بين باريس وبروكسل في ساعةٍ ونصف وبين بروكسل وانتورب في عشر دقائق

الفاكهة بدل المسكرات

في كل انواع الفاكهة كثير من الماء ففي البطيخ ٩٥ في المائة وفي العنب ٨٠ في المئة وفي البرتقال ٨٦ في المئة وفي الليمون الحلو ٩٠ في المئة وفي الخوخ (الدراقن) ٨٨ في المئة وفي التفاح ٨٢ في المئة وفي الكمثرى (الاجاص) ٨٤ في المئة . فلا فاكهة الأ وفيها ثمانون في المئة ماء على الاقل ولذلك فهي تروي العطشان وتقوم مقام الماء . والذين يكثرون من اكل الفاكهة يقلون من شرب الماء . ولما كان عصار الفاكهة سليماً من كل انواع الميكروبات فوق ما فيهِ من الاملاح والحوامض المفيدة للصحة فهو خير من الماء من كل وجه . ولا يقتصر نفعهُ على ذلك بل ان الذين يكثرون من اكل الفاكهة يستغنون بها عن شرب المسكرات على انواعها فيستعيضون بالسليم عن المؤذي وبالنافع عن الضار . ولو بذل علماء الارض جهدهم ليصنعوا شراباً يطفئ العطش وقت الحر ويبرد الجسم وينعشهُ وهو مما يلذ طعمهُ ايضاً ما وجدوا شراباً افضل من عصار الفاكهة . وقد يعطش الانسان في يوم شديد الحر فيشرب كوبة بعد اخرى من الماء ولا يروي عطشهُ بل يطلب المزيد واما اذا اكل فاكهة كثيرة الماء كالبطيخ والبرتقال فانهُ يرتوي وينتعش ويستغني عن الماء

سكك الحديد والحكومة

يشيع قوم ان في نية الحكومة المصرية ان تبيع سكة الحديد لشركة اجنبية فان فعلت ذلك تكون قد خالفت الخطة التي تتبعها دول اوربا الآن وهي ابتياع سكك الحديد من الشركات التي انشأتها .فقد سبقت

الى ذلك حكومة بروسيا وجارتها فيهِ كل الولايات الالمانية والحكومات الاوربية . وكان في روسيا سنة ١٨٨٢ اربعة عشر الف ميل من سكك الحديد ولم يكن للحكومة منها سوى اربعين ميلاً فصار فيها الآن ٢٤٣٠٠ ميل ثلثاها للحكومة يضاف اليها السكك الكبيرة التي مدتها في اسيا . وكل السكك في السرب ورومانيا للحكومة وثلثا سكك الدنمارك للحكومة وكل سكك بلجكا لحكومتها وكذلك كل سكك ايطاليا لحكومتها

ميكروب جديد في الدوسنطاريا

قال الدكتور لساج من مستشفى باستور انهُ اكتشف ميكروباً جديداً في دم المصابين بالدوسنطاريا . والمصابون بها كانوا آتين من الصين والهند الصينية وبلاد الجزائر . ويكثر هذا الميكروب في دمهم اذا اشتدَّت الدوسنطاريا ويقل اذا خفَّت فاذا لم يكن سبباً لها فلهُ علاقة شديدة بها وشكلهُ كمثري كبالون علِّقت بهِ مركبتهُ

القطن المصري

كنا نسمع ان بعض الناس يجنون ثمانية قناطير او تسعة من الفدان الواحد فنظنهُ ضرباً من المبالغة الى ان اتانا المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية المصرية ودعانا لمشاهدة القطن الذي زرعهُ في اراضي المدرسة الزراعية وكان قد جمع الجمعة الاولى منهُ فبلغ متوسطها من كل فدان نحو ستة قناطير ورأينا القطن واللوز عليهِ كثير جدًّا كانهُ لم يجنَ منهُ شيء وهو يقدِّر انهُ سيجمع منهُ ستة قناطير اخرى من كل فدان على الاقل . والقناطير هي القناطير المصرية الكبيرة المستعملة في الوجه البحري . وغاية ما استعملهُ لهذه الاطيان انهُ سمد القطن بسماد كيماوي بلغ ثمنهُ نحو جنيه لكل فدان . ومتى اتم جمع قطنهِ وحلجهُ كتب عنهُ تقريراً مسهباً فننشرهُ افادة لارباب الزراعة

وقد شاهدنا القطن في اماكن مختلفة في شهر سبتمبر الماضي في الوجه البحري والوجه القبلي ولا شبهة في انهُ اجود مما كان في العام الماضي ولكنهُ ليس اجود مما كان في العام الذي قبلهُ ولا يماثلهُ ولا نظن ان موسم هذا العام يزيد على ستة ملايين قنطار وقد لا يبلغها

اثمن آلات التصوير

صنع معمل انكليزي آلة تصوير شمسي لسلطان مراكش ثمنها الفان ومئة جنيه وهي صغيرة لا تفرق اجزاؤُها الجوهرية عن اجزاء آلات التصوير العادية ولكن معدنها الذهب ففيها منهُ ١٥٠ اوقية وقد زاد ثقلها بهِ فبلغ ١٣ رطلاً والثقل العادي لما كان من جرمها

ارطال ويقال ان سلطان مراكش من الغواة في صناعة التصوير الشمسي

الكلاب والمقانق

ثبت لرجال الحفظ في مدينة لندن ان بعض صانعي المقانق فيها يصنعونها من لحم الكلاب والقطط وقد قبض على الذين يفعلون ذلك في العام الماضي وغُرّموا غرامةً شديدة لكن ذلك لم يثنهم عن عملهم لانهم يربحون ربحاً وافراً من هذه الحرفة ونقول جريدة اللانست الطبيَّة ان عمل المقانق من لحم الكلاب والقطط شائع في اماكن كثيرة في البلاد الانكليزية وصنّاعها يعالجونهُ بالبهارات الكثيرة حتى يخفي طعمهُ ويلونونهُ ايضاً حتى يروق منظرهُ لعين الرائي . فهل يفعل صانعو المقانق في مصر ما يفعلهُ اخوانهم في البلاد الانكليزية مسألة يترك حلها لرجال الصحَّة

ماء الشرب

دخلنا بالامس بلداً صغيراً من بلدان الفلاحين ورأينا النساء يستقينَ من ترعة مارة فيهِ وفي الترعة فوق المستقى رمَّة حيوان مات بمرض المواشي المنتشر الآن في بعض انحاء القطر . ثم رأينا اهل البلد يشربون هذا الماء من غير ترشيح ولمَّا لمناهم على ذلك اخذوا سبيل الدفاع كما هي عادتهم ولكننا اصررنا على لومهم وابنَّا لهم مضار شرب هذا الماء ولا سيما بعد طرح رمَّة الحيوان المريض فيهِ فاقتنعوا ووعدونا بابعاد الرمة وطمرها بالتراب . ولو كان الفقهاء المنتشرون في كل بلدان هذا القطر يدرسون مبادئ حفظ الصحة ويرشدون الناس الى اتقاء المضار لزاد نفعهم اضعاف الاضعاف

مدرسة قصر العيني الطبيَّة

لقد زاد إقبال الطلبة على مدرسة قصر العيني الطبيَّة فجاءها هذه السنة اربعة وعشرون تلميذاً طالبين الانتظام فيها . والظاهر انها مترددة في قبولهم لانها لا تستطيع ان تقبل مجاناً الاَّ عدداً محدوداً من الطلبة . وحبذا لو جرت نظارة المعارف على خطَّة تجري عليها بلدان كثيرة حيث لا يكون التعليم مجانياً وهي ان تبيح للعشرين او الثلاثين الاوَّل من نائلي الشهادة الثانوية دخول المدارس العليا كمدرسة الطب ومدرسة الحقوق مجاناً على نفقتها فان هؤلاء قد يصيرون من اعظم رجالها ولو كانوا من افقر الناس فلا يكون من مصلحتها حرمانهم من التعليم لفقرهم

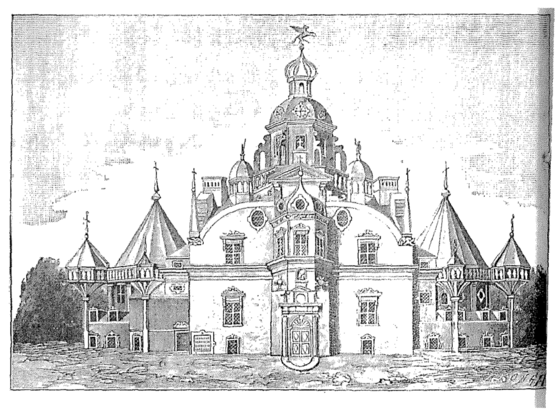
الطاعون

لا يزال الطاعون في القطر المصري لكنهُ خفيف الوطأة جداً يصاب بهِ اثنان او ثلاثة في الاسبوع ولا يبعد ان يمحى اثرهُ في اواسط هذا الشهر

فهرس الجزء العاشر من المجلد السادس والعشرين



تيخو براهي الفلكي



الاورانيبرج (اي برج السماء) مرصد تيخو براهي

المقتطف

الجزء الحادي عشر من المجلد السادس والعشرين

١ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٨ رجب سنة ١٣١٩

تيخو براهي

لعلم الفلك الشأن الاكبر عند علماء هذا العصر لا لأنَّ نفعهُ يفوق نفع غيرهِ من العلوم بل لانهُ يبحث عمَّا يدهش العقل عن اجرام السماء واقدارها التي تفوق التصوُّر وابعادها التي تعجز عن ادراكها العقول وموادها التي يشبه اكثرها مواد الارض ويُثبت ذلك كلهُ بادلة رياضية وطبيعية مبنية على الاوليات والمشاهدات لا يشك فيها مَن لا يشكُّ ان الاثنين والاثنين اربعة وان في نور الشمس سبعة الوان

وقد ذكرنا في الجزء الماضي نبذةً من تاريخ علم الفلك في الكلام على مراصد الافلاك اشرنا فيها الى رجل من ارباب هذا العلم لهُ الشأن الاكبر عند اهلهِ وهو تيخو براهي الاسوجي المولد الدنماركي الدار. وقد احتفل علماء الفلك في الرابع والعشرين من شهر اكتوبر بمرور اربع مئة سنة من وفاتهِ فلا بدَّ من ان تصدر المجلات العلمية الآن وفيها كلام كثير عنهُ فرأينا ان نجري مجراها ونفتتح هذا الجزء بطرف من ترجمتهِ فنقول

ولد ببلد ندستروب جنوبي اسوج في الرابع عشر من سبتمبر سنة ١٥٤٦ من بيت عريق في المجد ودرس اللاتينية وعمرهُ سبع سنوات وتوفي ابوهُ وعمرهُ ١٣ سنة فارسلهُ عمهُ الى مدرسة كوبنهاغن الجامعة ليدرس الفلسفة والبيان. وكسفت الشمس في ٢١ اغسطس سنة ١٥٦٠ في الساعة والدقيقة اللتين دلت عليهما التقاويم الفلكية فوقع ذلك في نفسهِ موقعاً عظيماً وحسب ان علم الفلك من العلوم الالهية وكان قد ابتاع بعض التقاويم فجعل يدرس فيها حتى عرف شيئاً عن مواقع السيَّارات

وبعث بهِ عمهُ الى مدرسة ليبسك ليدرس علم الحقوق لكن كان علم الفلك قد علق لبهُ

فجعل يدرس من علم الحقوق ما يرضي استاذهُ ويقضي بقية يومهِ في درس علم الفلك ورصد النجوم . وابتاع كرة فلكية صغيرة قدر الليمونة وجعل يطبق ابعاد النجوم كما يراها بعينيهِ على ما هو مذكور عنها في الزيج الالفونسي والزيج البروسي فوجد خطأً فيهما . وتوفي عمهُ حينئذٍ وترك لهُ ابعدية في الدنمارك فترك المدرسة وعاد اليها . ولكن ما رآهُ هناك من الجهل المتسلط على الناس حملهُ على تركها والرجوع الى المانيا . وتبارز معهُ رجل دنماركي هناك فقطع جانب من انفهِ لكنهُ اصلحهُ بقطعة من الشمع والذهب والفضة الصقها مكان الجزء المقطوع

وبقي يرصد النجوم ويبحث في علم الفلك وعزم على الاقامة في بلاد سويسرا فاشفق فردرك الثاني ملك الدنمارك ان تخسر بلادهُ رجلاً مثلهُ فدعاهُ اليهِ ووهبهُ جزيرة هيون لكي ينشئ فيها مرصدًا فلكيًّا من اعظم المراصد وقطع لهُ الفي ريال في السنة ومنحهُ وظيفة اخرى دخلها الف ريال في السنة فبنى هذا المرصد واطلق عليهِ اسم الاورانينبرج اي برج السماء ووضع فيهِ اكبر آلات الرصد وادقها

واقام في هذا المرصد عشرين سنة يرصد الافلاك من غير انقطاع . وصنع زيجات لانكسار النور حتى الدرجة ٤٥ وزيجات شمسية على غاية الدقة واصلح الزيجات القمرية . واثبت ان فلك ذوات الاذناب وراء فلك القمر وعين مواقع ٧٧٧ نجماً من الثوابت بالدقة ولذلك فزيجهُ ادق من زيج هبرخس وزيج اولغ بك . وابقى لمن جاء بعدهُ من علماء الفلك ارصادًا كثيرة للسيارات استخدمها تلميذهُ كبلر في اثبات نظام كوبرنيكوس

وزارهُ الملك جمس الاول ملك الانكليز في هذا المرصد لما ذهب الى الدنمارك للاقتران بالاميرة حنَّة واهدى اليهِ كثيرًا من الهدايا ونظم اشعارًا في مدحهِ .

والظاهر ان اهل عصرهِ عظموا شأنهُ لا لانهم كانوا يقدرون علم الفلك قدرهُ بل لان التنجيم كان جزءًا كبيرًا من علم الفلك وكانوا يهتمون بالطوالع لمعرفة السعد والنحس لكن تعظيم الناس لهُ لم يحمهِ من حسد الحسَّاد فلما مات حاميهِ فردرك الثاني ضعف شأنهُ كثيرًا وأُبطل الراتب والمال المقطوعان لهُ فاضطرَّ ان يترك المرصد لانهُ لم يعد يستطيع ان يقوم بنفقاتهِ وعاد الى كوبنهاغن ببعض الآلات الفلكية وجعل يرصد الافلاك بها في بيتهِ الى ان امرهُ الملك بابطال الرصد فترك كوبنهاغن ولجأ الى روستك في دوقية مكلنبرج بالمانيا . ثم وفد على امبراطور المانيا في مدينة براغ فاكرم وفادتهُ واعطاهُ قصرًا فاخرًا ليرصد الافلاك فيهِ الى ان يبني لهُ مرصدًا خاصاً وقطع لهُ ثلاثة آلاف ريال في السنة لكنهُ لم يتمتع بهذا الانعام طويلاً فتوفي في الرابع والعشرين من اكتوبر سنة ١٦٠١ وهو في الخامسة والخمسين من عمرهِ

عبد الرحمن خان

اذا ذُكر القوّاد العظام الذين جمعوا شمل القبائل وانشأُوا منها الممالك وتركوها عزيزة الجانب فالامير عبد الرحمن المتوفَّى الى رحمة مولاهُ واحد منهم وسيذكرهُ الافغان بالخير ما تعاقب الملوان

وهو بكر الامير محمد افضل وحفيد الامير دوست محمد وابن اخ الامير شير علي امير افغانستان السابق . لما توفي الامير دوست محمد سنة ١٨٦٣ اوصي بالامارة بعدهُ لابنهِ شير علي مع ان الامير محمد افضل اكبر منهُ سنًّا واوصى ابنيهِ محمد افضل وعظيماً ان يطيعا اخاهما ويقيما على ولائهِ . وكان الامير عبد الرحمن يشغل منصباً في تركستان فابقي فيهِ . ولم يكن نجيباً في حداثتهِ. قال مرة للورد كورزن حاكم الهند الآن انهُ بلغ العشرين قبلما تعلم القراءة . وكتب في تاريخ حياتهِ يقول " كنت احاول النهار كلهُ ان اقرأَ واكتب فلا استطيع لخمول ذهني ولاني كنت مولعاً بركوب الخيل والصيد "

وتزوج ابنة خان بدخشان وهو في تركستان وصار لهُ شأن كبير عند الازبك سكان تلك البلاد . وخرج ابوهُ وعمهُ على اخيهما شير علي فوازرهما بالجند وكان لهُ اليد الطولى في خلع عمهِ فتولى ابوهُ الامير محمد افضل مكانهُ ولجأَ شير علي وابنهُ يعقوب الى هرات

وتوفي الامير محمد افضل وخلفهُ اخوهُ الامير عظيم فلم يقع توليهِ موقعاً حسناً لدى قبائل الافغان ولم يستتب لهُ الامر حتى عاد شير علي وابنهُ يعقوب بجيش ضخم وطرداهُ ومعهُ ابن اخيهِ الامير عبد الرحمن . وتوفي الامير عظيم في القفر ولجأَ عبد الرحمن الى بخارى ثم الى سمرقند واستتبَّ الامر لشير علي من سنة ١٨٦٨ الى سنة ١٨٧٨ لكنهُ مالأَ الروس حينئذٍ ورحَّب بسفارة مرسلة اليهِ من روسيا فطلبت انكلترا منهُ ان يقبل سفارة انكليزية مثلها في كابول عاصمتهِ فابى ونشبت الحرب بينهُ وبين الانكليز فتغلبوا على جلال اباد وقندهار فهرب من كابول الى تركستان وتوفي في مزار الشريف في اواخر فبراير سنة ١٨٧٩ ونودي بابنهِ يعقوب خان اميرًا على افغانستان . وأُمضيت شروط الصلح بينهُ وبين الانكليز في ٢٦ مايو تلك السنة على ان تقيم انكلترا نائباً لها في كابول وتحمي الافغان من اعتداء الاجانب عليهم وتدفع راتباً سنوياً لاميرهم لكن جند الامير ثار بعد قليل وقتل نائب انكلترا ورجالهُ فأُنفذ اللورد روبرتس بستة آلاف مقاتل للاقتصاص منهم ففتح كابول عنوةً وتنازل يعقوب خان حينئذٍ واحتمى بالانكليز وقام ايوب خان اخوهُ الاصغر ونادى بالجهاد ضد الانكليز واثخن في جنودهم فاستعان الانكليز بعبد الرحمن عليهِ ومزقوا شملهُ ونصبوا عبد الرحمن اميرًا على الافغان وتركوهُ

ليخضع البلاد بسيفهِ وذراعهِ ولم يساعدوهُ الاَّ بقليل من الاسلحة والميرة

وكان القائد محمد جان قائماً بدعوة موسى خان بن يعقوب الاصغر وكذلك كانت قبائل غلجائي الشديدة الحول والطول غير راضية عن الامير عبد الرحمن ولم يكن في البلاد كلها قبيلة يثق بها لكن السعد خدمهُ فقبض على محمد جان ووضعهُ في سجن لم يخرج منهُ واوقع بباقي خصومهِ الواحد بعد الآخر حتى افناهم وتعقب قبائل غلجائي حتى بدَّد شملها والجأها الى الطاعة . وعاد ايوب خان ولم شعثهُ وحاول اخذ قندهار سنة ١٨٨١ وفاز اولاً ببعض الفوز لكن عبد الرحمن قهرهُ اخيراً واستولى على هرات فهرب ايوب خان الى ايران ونقل منها الى الهند وبالاستيلاء على هرات استتبَّ النصر للامير عبد الرحمن على بلاد الافغان كلها ولكن الانكليز لم يؤيدوا سلطتهُ فيها الاَّ لما تمَّ النصر للروس على التركمان شرقي بحر قزبين وخيف من سيرهم على مرو فرأَوا حينئذٍ ان لا بدَّ لهم من شد ازرهِ ليبقى حاجزاً حصيناً بينهم وبين الروس فقطعوا لهُ راتباً يبلغ نحو عشرة آلاف جنيه في الشهر ثم جعلوهُ خمسة عشر الف جنيه في الشهر فاشتد بهم ازرهُ وجعل ينفق هذا المال في ابتياع الاسلحة وبنى دور صنعة في بلادهِ لعملها

واستولى الروس على مرو سنة ١٨٨٤ فصاروا على حدود الافغان ورأى الامير عبد الرحمن انهُ لا يجيرهِ منهم الاَّ الانكليز فلجأَ اليهم لتعيين الحدود بين بلادهِ وبلاد الروس . وكان حريصاً على تعيين الحدود بين بلادهِ والبلدان المجاورة لها حتى لا يعتدي احد عليهِ ممن هم اقوى منهُ اما القبائل الضعيفة المجاورة لهُ فلم يرَ حيفاً في ضم بلادها الى بلادهِ . ويظهر حرصهُ على بلادهِ من انهُ منع الشركات التجارية والصناعية من دخولها لان ما جرى في بلاد الهند علَّمهُ ان هذه الشركات تدعو الى مشاكل وراءها السيف والمدفع . وهو مصيب في هذا المنع ولو كرههُ الاوربيون . وخيرٌ للامم الشرقية ان تتعلم اساليب الصناعة والتجارة بنفسها ولو تدرَّجت اليها تدرُّجاً بطيئاً جدًّا من ان تتعلمها بسرعة من امم تفقدها استقلالها . ولهذا السبب عينهِ كان يمنع الاوربيين من السياحة في بلادهِ الاَّ اذا كانوا من ذوي الشأن الذين يستطيعون ان يأخذوا الحرَّاس معهم ويتحامى الاهالي جانبهم لرفعة شأنهم . واما عامَّة السياح فلا يبيح لهم ان يضربوا في بلادهِ مخافة ان يحلَّ بهم مكروهٌ فيكونوا عليهِ كناقة البسوس

وزار بلاد الهند في عهد لورد دفرن وقوبل باحتفال عظيم ووقف في الوليمة التي اولمت لهُ واستلَّ سيفهُ وخطب خطبة وجيزة وقال انهُ يحارب كل اعداء الدولة البريطانية بذلك السيف وكان ذلك امام لورد دفرن ودوق كنوت ابن ملكة الانكليز وكثيرين من امراء الهند وقواد الجيش

وسنة ١٨٨٨ خرج عليهِ ابن عمهِ اسحق خان وكان قد ولاهُ تركستان ورأى منهُ ما رابهُ

ودعاهُ اليهِ الى كابول مرارًا فلم يلبِّ الدعوة مخافة ان يحلّ بهِ ما حلّ بغيرهِ واخيرًا حيل بصبر الامير عبدالرحمن فجيش جيشًا لمحاربتهِ فلقي اسحق خان هذا الجيش واثخن فيهِ وسوَّلت لهُ نفسهُ الهجوم على كابول فالتقاهُ الامير عبد الرحمن بنفسهِ بجيش اضخم من الاول ونكَّل بهِ تنكيلاً ففرَّ بشرذمة من رجالهِ ولجأ الى الروس في سمرقند

وظلَّ الامير عبد الرحمن سائرًا الى ان بلغ تركستان واقام فيها سنتين حتى اصلح امورها وترك مقاليد الاحكام في كابول بيد ابنهِ حبيب الله فمرَّنهُ على سياسة البلاد

وعاد الى كابول سنة ١٨٩٠ وجرى من الافغان في جهات شترال ما جعل الانكليز يوجسون شرًّا فدعوهُ الى بلاد الهند على ان يذهب لورد روبرتس بعد ذلك الى بلادهِ فلم يلبِّ دعوتهم ولا قبل بذهاب لورد روبرتس الى بلادهِ . وبعد جدال طويل في هذا الشأن قبل ان يزورهُ السر مورتمار دورند واستقبلهُ استقبالاً حافلاً جدًّا وحلَّ معهُ كثيرًا من المشاكل ومنحتهُ ملكة الانكليز نشان الحمَّام من الطبقة الاولى ويقال انهُ عزم حينئذٍ على ان يزور انكلترا و يشكر لها بنفسهِ ثم عدل عن ذلك وبعث ابنهُ نصرالله خان وغرضهُ ان يقنع الحكومة الانكليزية بان يكون لهُ سفير في لندن ينظر في امور بلادهِ حتى لا تبقى علاقتهُ ببلاد الهند بل تصير مع لندن رأسًا فلم تجبهُ الحكومة الانكليزية الى ذلك . وقد غاظهُ هذا الامر كثيرًا واشار اليهِ في تاريخ حياتهِ بمرارة لكنهُ بقي على ولائهِ للانكليز واثبت ذلك بالفعل وقتما ثارت قبائل شترال عليهم

وقد انفق الاموال التي قطعتها لهُ الدولة الانكليزية في تعبئة الجنود وتدريبهم على الفنون الحربيَّة وتجهيزهم باحدث البنادق والمدافع وعاش بالاقتصاد حتى يقوي جيشهُ حفظًا لبلادهِ من غارات الاعداء لكنهُ بقي حتى ادركتهُ الوفاة يحسب ان سلامة بلادهِ قائمة ايضًا بمصادقتها للدولة الانكليزية و بث ذلك في نفس ابنهِ ولي عهدهِ كما يظهر من وصيتهِ التي اوصاهُ بها

لكن الجند لا يكون سياجًا للمملكة ما لم يكن فيها رجال أكفاء ولا تستتب الراحة لاهلها ولا ينعم عيشهم الاَّ اذا توفرت لهم المصالح وقد كان الامير عبد الرحمن يعلم ذلك فلم يكتفِ بانشاء معامل المدافع والبنادق بل مهَّد السكك ونشط اسباب الزراعة والصناعة ونشر راية الامن في البلاد كلها دانيها وقاصيها فكانهُ استعمل جنودهُ لارهاب اهل البغي والفساد الذين لم يألفوا غير الحرب والغارات حتى ان البلاد القاصية التي لم ترَ جنودهُ ولا خضعت لامير قبلهُ خشيت بأسهُ وخلدت الى السكينة

وقد ساعدهُ علي ذلك خلق مغروس في نفسهِ وهو خلق التنظيم والتدبير فانهُ جعل لكل

يوم ولكل ساعةٍ عملاً خاصاً وكان من اكثر الرجال شغلاً واشدهم نشاطاً بل كان هو الوزير لكل الوزارات وكان طويل القامة كبير العضل جبّاراً من الجبارة اسود العينين جميل الطلعة آري الملامح يدّعي انهُ من نسل الاسكندر المكدوني وليس ذلك بمستبعد لان اليونان والآريين من اصل واحد . والظاهر انهُ ترفه بعض الترفُّه بعد ان بلغ سن الكهولة فمال الى السمن واعتراهُ النقرس واشتدَّت وطأتهُ عليهِ حتى قطع الاطباء الرجاء من سلامتهِ منذ بضع سنوات . وعلم ان اجلهُ قريب فدرَّب ابنهُ حبيب الله على تولي شؤُون البلاد حتى اذا حضرتهُ الوفاة اغمض جفنيهِ مطمئناً على بلادهِ وملكهِ . وكتب لهُ وصيَّة مسهبة من خير ما اوصى بهِ الملوك ابناءهم والحكماء تلامذتهم وقد تناقلتها الصحف منذ مدة فرأَينا ان نثبتها هنا كما رأيناها في كتاب لمّة البيان

" ولدي العزيز — لا يخفى عليك انني سلمت لك زمام الحكومة في مدة حياتي وان هذا العمل بلا شك مخالفٌ لنظام الحكومات ومعاملات الدول الاوربية في الغرب والسلاطين في الشرق . ولكن غرضي من ذلك هو ان اعلمك كيف تحكم وكيف تفعل لكي تكون على بصيرة وحكمة حينما يصل اليك الملك وترقى على عرش هذه الدولة . ولي في ذلك ايضاً غرض آخر وهو ان يعرف مقامك رؤساء القبائل الافغانية فيخشوا بأسك ويخضعوا لرأيك

والآن اريد ان القي على مسامعك بعض كلمات في قالب النصيحة واعتقد انك اذا سرت على خطتها تأمن على سلامة بلادك ولا ترتكب خطأ في حكومتك يؤدي الى ضياع نفوذك وهذه نصيحتي اليك

(١) يجب عليك يا بنيَّ ان تتمسك بمبادىء دينك الشريف فتجعل لهُ المقام الاول — وتنظر الى الواجبات الخاصة بهِ قبل نظرك الى اشغالك وسياستك وبعبارة أُخرى يجب عليك ان تكون قدوة حسنة في التقى والتدين لكل افراد رعيتك

(٢) يجب عليك ايضاً ان توجه عنايتك الى سعادة أُمتك وراحة رعيتك وتوطيد دعائم السلام والسكون في ارجاء بلادك . ولتعلم ان نجاح البلاد وفلاحها متوقفان على الثروة وان الثروة والنفوذ لا يُدركان بغير وسائط الزراعة والتجارة والصناعة وان هذه الوسائل تحتاج في ترقيتها وانجاحها الى التعليم والتربية العمومية

ان امتنا يا بنيَّ لا تزال في الدرجة الاولى من درجات المدنية ولم يوجه أَفرادها أَنظارهم الى تحصيل العلوم وتربية الافكار . ولقد كانت أَمانيّ القلبية موجهة الى تشييد المدارس وارسال انوار العرفان الى سائر الاقطار الافغانية على طريقة المدارس ودور الفنون الموجودة

في البلاد الغربية . ولكن مثل هذه الغاية لا تُدرك بمجرد الارادة ولا تحقق في زمنٍ قليل لانها تحتاج الى النمو والترقية التدريجية وحينئذٍ يلزمك ان توجه عنايتك التامة الى هذه النقطة المهمة وان تعتقد ان من أقدس الواجبات عليك هو ان تبعث في نفوس رعيتك ميلاً الى التربية والتعليم

(٣) حيث انك ستستلم زمام الاحكام بيديك وتكون انت افضل الرجال في هذه الديار واسماهم عقلاً واكبرهم فكرًا واعلاهم مقاماً فلتحسن معاملة أتباعك ومن تحت حكمك . عامل رعيتك باللطف والمحبة الابوية ليعتقدوا اعتقاداً ثابتاً في شفقتك عليهم وحرصك على سعادتهم وراحتهم اذ هذا العمل يزيد في محبتهم لك ويجعلك أسمى مكانة في اعينهم . ولكن لا يجب ان تعامل الاجانب بمثل هذه المعاملة الابوية لانها تزيد في جسارتهم ووقاحتهم

(٤) يجب عليك ان تقدر اعمال رجالك ولا تنسَ فضل الفضلاء منهم فتكافئهم لان ذلك يقوّي عزائمهم وينشطهم على خدمتك بالدقة والاخلاص والاستقامة

(٥) لتكن بعيدًا عن المحاباة والمجاملة في انصاف المظلوم من الظالم ومعاقبة المجرم على جريمتهِ ولو كان المذنب ولدك وفلذة كبدك واعرف انك بذلك تسترق القلوب وتستعبدها

(٦) لا تمكن الاجانب من فرصة ينالون بها حقًّا من الحقوق او نفوذًا كيف كان لانك ان ملكتهم قليلاً من الفرصة فانك تمهد لهم الطريق الى خراب مملكتك وضياع بلادك

(٧) حيث ان الحكومة الانكليزية بقيت معي الى هذا العهد مسالمة مصافية فكن معها كما كنت انا . ولكن على اي حال ضع نصب عينيك سلامة افغانستان واستقلالها

(٨) ليكن من اول الواجبات التي تكلف نفسك بها حماية مصالح رعاياك في كل حال من الاحوال

(٩) اما ما يختص بالمسائل السياسية فيجب عليك ان لا تركن فيها الى وزرائك واعوانك بل يجب عليك ان توجه اهتمامك لكل شيء صغيرًا كان او كبيرًا بنفسك

(١٠) واما ما يتعلق بالمسائل الحربية فاعلم انهُ يلزمك ان تكون قواتك الحربية على قدم الاستعداد كأنما تريد ان تزحف بها في الغد الى ساحة القتال لمحاربة دولة اقوى منك جاشاً واكثر منك عدداً وعدداً . واعلم يا بنيّ ان الايام علمتنا دروساً يجب ان نستفيد منها فقد عرفنا ان من اول الضروريات ان يكون الجيش دائماً على اهبة الاستعداد التام . ثم لا تنسَ زيادة الآلات والذخائر الحربية في زمن السلم لانهُ كما لا يخفى عليك من الصعب ان تزوّد جيشك بما يكفيهِ من المؤونة والذخائر والآلات في زمن الحرب

(١١) يجب على الملوك ان يجتهدوا في جذب قلوب الجند وازدياد محبتهم لهم . فاجعل جنودك سعداء مستريحين فيحبوك ولا يتأخروا الى الوراء في ساعة يفيدك فيها ان يضحوا حياتهم حبًّا فيك وحرصًا على سلامتك . واعلم ان الجنود يبيعون ارواحهم الغالية بمرتبات قليلة تعطى دائمًا في مواعيدها واذا لم تسر معهم على هذه الخطة فانهم يضنون في ساعة شدة ان يبيعوك ارواحهم بثمن اغلى قيمة واسمى

(١٢) يجب ان تعلم يا بنيَّ ان بيت مال الحكومة هو ملك الامة وليس مقام السلطان او الامير تجاهه الاَّ مقام الحارس الامين على ما فيهِ . فاذا ابتدأ الحاكم ينفق المال المودع عنده على مصالحه ومطالبهِ الخصوصية فانهُ يكون خائنًا لمن ولّوه الامانة وسلموهُ القيادة واعتقدوا فيهِ الاستقامة . ومن المقرر المعلوم ان الخائن لا قيمة لهُ في اعين الامة مطلقًا وانهُ مبغض عند الله وعند الناس اجمعين . ويجب ان يكون بيت المال دائمًا ممتلئًا لان ضعف الحكومة يظهر في قلة مالها اكثر من ظهورهِ في شيء آخر . كذلك يلزمك ان تدقق في ضروب المصروفات والايرادات وكل ما يزيد يضم على بيت المال بالتوالي ويجب عليك ان تعمل كل ما في امكانك من الوسائل لزيادة ثروة بيت المال لكي تتمكن من انجاز الاعمال التي تريد انجازها سواء كانت سياسية او حربية او تجارية او صناعية او تعليمية في الاوقات المناسبة لها لان الزمن يا بنيَّ يحتاج الى كل هذه الاعمال والسير على هذا النهج القويم لكي تعيش آمنًا مطمئنًا قويًّا عزيز الجانب "

وهذه الوصية مرآة تظهر فيها صورة هذا الامير الكريم ومبلغ حكمتهِ وحنكتهِ ودستور يليق بملوك المشرق ان يتخذوا احكامهُ نبراسًا لهم في سياسة بلدانهم

وفي الاسبوع الثالث من شهر سبتمبر الماضي اصيب بشلل في الشق الايمن وفي الثامن والعشرين منهُ شعر بدنو الاجل فدعا اليهِ اهل بيتهِ وكبار رجالهِ فلما مثلوا بين يديهِ خاطبهم بصوت ضعيف لكنهُ واضح جليّ قائلاً

" اذا شاخ الملك وتولاهُ الهرم وادركهُ الاجل عين من يخلفهُ على عرشهِ فأُريد تعيين من يخلفني منذ الآن . فانظروا فيما بينكم من ترونهُ اهلاً لذلك واخبروني بهِ "

فاجابوهُ وعيونهم مغرورقة بالدموع انهم يريدون حبيب الله الذي مارس سياسة الامارة وتضلع منها مدة ثماني سنوات . فاوعز حينئذٍ الى حبيب الله ان يتقلد سيفهُ وحمائلهُ المرصعة بالحجارة الكريمة واعطاهُ سجلاً كبيرًا يتضمن وصيتهُ واموراً تتعلق بادارة شؤُون الامارة . ثم امر باقي بنيهِ ان يعترفوا بالامارة لاخيهم الاكبر وانصرف الجميع من حضرتهِ . وما لبث بعد هذا ان انتابهُ النزع وفاضت روحهُ الى رحمة ربهِ في غرة اكتوبر لكن خبر وفاتهِ لم يعلن الاَّ في ٣ منهُ



الامير عبد الرحمن خان امير افغانستان

حبيب الله امير الافغان



فينا معاشرُ لم يبنوا لقومهمِ وان بنى قومهم ما افسدوا عادوا
لا يُرشَدون ولم يرعوا لمرشدهم والجهل منهم معاً والغيُّ ميعادُ

كما قال الافوه الازدي . وفينا مَن يقول ما قالهُ ابو مسلم صاحب الدولة

ادركتُ بالحزم والكتمان ما عجزتْ عنهُ ملوك بني مروان اذ جهدوا

هذا شأن ملوك المشرق في هذه الايام بعد ان احتكت ركابهم بركاب اهل المغرب بعضهم ركب متن الغواية فضيَّع ملك آبائهِ واجدادهِ وبعضهم استرشد العقل وتنطَّق الحزم فبنى لنفسهِ وامتهِ ملكاً عزيز الجانب مغدق الخير . اعتبر ذلك ببعض ملوك الهند وملك اليابان وبعض امرائها وامير الافغان

وقد تقدَّم وصف امير الافغان المنتقل الى رحمة مولاهُ وما امتاز بهِ من الحزم وعلو الهمَّة

والسعي في مصلحة الرعية . ولقد كان من اول اغراضهِ ان يرشح احد ابنائهِ للقيام باعباء الملك من بعدهِ فرشح لذلك بكرهُ حبيب الله وكتب في هذا الصدد يقول " ان كل اهل بيتي وكل اهل بلادي يعرفون ان ابني الاكبر حبيب الله هو المرشح للملك من بعدي ". وقد تمَّ ذلك الآن وتربع الامير حبيب الله على عرش الامارة وهو في عنفوان الشباب لا يتجاوز عمرهُ الثلثين عاماً ولهُ المام بسياسة البلاد وادارة شؤُونها . وقد رُشّح لذلك في عهد ابيهِ فتولى مقاطعات كبيرة وناب عنهُ في الامارة . فاذا لم يستطع النهوض بالحمل الثقيل الذي التي الآن على عاتقهِ لم يكن ذلك من قلة معرفتهِ ولا من عدم خبرتهِ

وما يعرف عن حبيب الله مستمدٌّ اكثرهُ مما كتبهُ ابوهُ عنهُ في تاريخ حياتهِ . من ذلك انهُ ولد بسمرقند سنة ١٨٧٢ حيث كان ابوهُ منفياً وامهُ بنت امير بدخشان وهو اكبر اخوتهِ الاحياء اما اخوهُ نصر الله الذي زار اوربا منذ خمس سنوات فاصغر منهُ بسنتين . وقد ولاهُ ابوهُ كابول لما خرج لقتال ايوب خان وكان فتىً وولاهُ اياها ثانية لما خرج لقتال اسحق خان سنة ١٨٨٨ فاحسن ادارتها ومدحهُ ابوهُ بعد عودتهِ قائلاً

" اني بعد ما رجعت من الحرب رأيتهُ تولى ادارة البلاد بما لا مزيد عليهِ من الدراية والذكاء وادار شؤُونها طبق مشورتي وحسب رغائبي فانعمت عليهِ بنشانين الاول جزاء حسن ادارتهِ للامارة والثاني جزاء اجتهادهِ في قمع الفتنة التي اثارها جندي . فقد ابدى فيها بسالة خارقة اذ امتطى جوادهُ وخاض صفوف الثائرين غير هياب ولا وكل "

ثم انابهُ عنهُ في المقابلات الرسميَّة واوعز الى باقي بنيهِ ان يذهبوا بعد مقابلتهم المعتادة لهُ في كل اسبوع الى اخيهم حبيب الله ويزوروهُ في قصرهِ الخاص . فترى من هذا ان الامير عبد الرحمن لم يقر على اختيارهِ ابنهُ حبيب الله وارثاً لامارتهِ الأ بعد ما قضى وقتاً طويلاً في اختبار اهليتهِ وامتحان كفاءتهِ لهذا المنصب الخطير . ولما وجدهُ اهلاً لذلك لم يعلن قصدهُ هذا لكي لا يهيج الاحقاد و يعرض حبيب الله لاخطار الدسائس والمكايد بل ابقاهُ مكتوماً وجعل اهالي الافغان وغيرهم يفهمون مرادهُ من تلقاء انفسهم وتدرج فيهِ شيئاً فشيئاً حتى مهد لهُ السبل واحتاط بما يدفع الحذر وينفي الخطر

مثال ذلك انهُ أخذ في آخر سني حياتهِ يتلقى انباء امارتهِ من قاصيها ودانيها كبيرها وصغيرها على يد حبيب الله وجعل على يدهِ ايضاً يصدر كل اوامرهِ واحكامهِ الى الحكام والنواب والقادة والضباط . ومنذ نحو خمس سنين القى اليهِ مقاليد خزينة الامارة وجعلهُ قيماً على بيت مالهِ اظهاراً لائتمانهِ لهُ وثقتهِ بهِ ثم ولاهُ رئاسة محكمة الاستئناف العليا . ومع كل

هذا الانعام الشامل الذي ناله حبيب الله من ابيه ظل سلوكه مجلى نزاهة نفسه ومظهر سلامة ذوقه فانه بقي واقفاً عند الحد الذي رسمه له ابوه لم يتجاوزه قيد اصبع ولا حدثته نفسه بالطموح الى ما وراءه . ولم يداخل اباه في شؤونه ولا تعرّض لامر لم يدعه اليه

ومن القواعد الاساسية التي بنى الامير عبد الرحمن سياسته عليها ان يصل اسرته عموماً وولي عهده خصوصاً باشرف البيوت في امارته . فحبيب الله ابو عائلة كبيرة منذ الآن وسيكون لبنيه في المستقبل شأن عظيم في تاريخ افغانستان . ولاكثرهم خطيبات اختارهن لهم الامير عبد الرحمن من اشرف فتيات الافغان

ومما لا يحسن اغفال ذكره ان الامير عبد الرحمن ظل مع اعتماده على الامير حبيب الله في كثير من شؤونه مستأثراً بامر واحد الى آخر حياته ولم يشاركه ابنه فيه وهو السياسة الخارجية . فقد كان حبيب الله يقضي كل يوم ما عدا يوم الجمعة متنقلاً في دوائر الحكومة من دائرة الى اخرى من شروق الشمس الى مغيبها . ولكن اسرار السياسة الخارجية ظلت مكتومة عنه ومدفونة في صدر ابيه . ولعله اطلعه عليها قبيل وفاته . ويقال ان من الامور التي اوصاه بها ان يتوخى محالفة بريطانيا العظمى يوم يجلس على سرير الامارة فانها قوام ثباته ودعامة امارته كما قال في كتابه

وقد حاز الامير حبيب الله من انكلترا وسام القديس ميخائيل والقديس جورج من الطبقة الاولى . وشمل النزالة الانكليزية في كابول بالرعاية والاكرام . وجملة القول فيه ان اباه تركه بعده خير خلف للامارة فاذا تحرى ترقية شعبه واصلاح حال رعيته وسيّر امارته على سنن التقدم والارتقاء وجعل العدل اساساً للاحكام ومصدراً للامر والنهي في الامة نال من اعلاء شأنها ما تمناه وحمد الناس مبدأ حكمه ومنتهاه

ولم يكد نعي ابيه وخبر توليه ينتشر في امارته حتى وفد الولاة والعظماء الى كابول لمبايعته وشمل السرور جمهور الرعية لانها وان كانت تكرم المرحوم اباه وتعلي شأنه لانه رفع منار الافغان واعلى اسمها بين الممالك الا انه كان شديد البطش بعيداً عن الملاينة اما الامير حبيب الله فاقرب منه الى الدعة واللين ولا يقل عنه حزماً وحسن ادارة . وقد يخشى من ان يقوم عليه بعض الذين كانوا ناقمين على ابيه واقعدهم عن القيام ما يعلمونه من شدة بطشه لكن الامير حبيب الله تدارك ذلك فعزز الحاميات حيث يخشى خروج القبائل . وكان المرحوم ابوه يقول ان عنده مئة الف جندي مدرّب وهذه الجنود خاضعة كلها للامير حبيب الله تأتمر بامره كيف شاء فلا خوف من ثورة في البلاد الا اذا اوقد نارها الخارجون عنها

الاستاذ فركو

PROF. VIRCOW



في الثالث عشر من هذا الشهر اتمَّ الاستاذ فركو الالماني السنة الثمانين من عمرهِ . عمرٍ قضاهُ في توسيع نطاق المعرفة وتقرير قواعد العلم وافادة نوع الانسان ومقاومة آثار الاستبداد فاحتفلت الامَّة الالمانية بذلك وشاركها في هذا الاحتفال نوَّاب الجمعيات الطبيَّة والعلميَّة من اقطار المسكونة وكتب اليهِ امبراطور الالمان يقول

"في هذا اليوم الذي مُنحتَ فيهِ بنعمة الله ان تتمَّ السنة الثمانين من عمركَ وانتَ في تمام النشاط العقلي والجسدي أُعربُ لكَ عن تهنئاتي القلبية وما ارجوهُ لك من السعادة الدائمة. انَّ علم الطب مديون لكَ لانكَ قضيتَ عمركَ في البحث فيهِ واكتشفت اموراً مهمَّة لذاتها وقد قادت الى اكتشافات اخرى فرسخ اسمك في صفحات تاريخ الطب مدى الادهار وأُكرم في بلادك وفي كل الاقطار والامصار . وفوق ذلك جدتَ بمعارفك الطبية واختبارك الواسع في السلم والحرب لخدمة نوع الانسان وكنتَ دائماً الطبيب الامين والمعين الصادق . وقد منحتك الآن نشان العلم الذهبي المعظم علامةً لشكري لك واعترافي بفضلكَ واني اسرُّ بارساله اليك في هذا اليوم الذي يحتفل فيهِ بعيدك"

هكذا يخاطب ملوك اوربا علماءها ويمثل هذا الاكرام يكرمونهم . والناس على دين ملوكهم . فقد احتفل رجال الدولة الالمانية وعلماؤُها ونوَّاب الجمعيات العلمية بهذا العيد احتفالاً نادر المثال اعربوا بهِ عن اكرامهم للعلم والعلماء اكراماً يقرب من العبادة

والرجل الذي احتفلوا بعيدهِ من اصل وضيع مثل كل العصاميين واكثر المشهورين ولد في الثالث عشر من اكتوبر سنة ١٨٢١ وابوهُ فلاَّح صغير من قرية من قرى المانيا . ودرس

في مدرسة قريتهِ ثم في مدرسة كسلن العالية وانتقل منها الى برلين في طلب الطب فنال الشهادة الدكتورية وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة وجعل مساعداً لاستاذ التشريح في مستشفى الرحمة . وفشت حمي التيفوس بين الحاكة في جبال سلسيا على اثر مجاعة فأُرسل للبحث عن سببها فبحث وكتب تقريرًا مدققاً كان لهُ وقع عظيم وهو الذي جعلهُ يسير في الخطة التي سار فيها علماً وسياسةً. فعكف على درس الامراض الباطنة وصار من احرار الالمان . الاَّ ان مذهبهُ السياسي قضى بحرمانهِ من منصب التعليم الذي كان فيهِ في مدرسة برلين فخرج منها ودعي الى مدرسة ورزبرج الجامعة فوضع وهو هناك اساس الباثولوجيا الخلوية واثبت ان الانسجة التي تعتريها الامراض تتولَّد فيها خلايا مريضة او سليمة من خلايا اخرى مثلها كما تتولَّد سائر انسجة النبات والحيوان من الخلايا . فعرف سير الامراض واساليب شفائها ثم لما قام باستور وكوخ واكتشفا اسبابها ظُنَّ اولاً ان اكتشافهما مناقض لاكتشافهِ ثم ثبت انهُ مؤيّد لهُ الواحد يدل على سبب المرض والثاني على اسلوبهِ وحقيقتهِ . فاشتهر اسمهُ واشتهرت بهِ مدرسة ورزبرج حتى صارت اشهر المدارس الطبية فاعيد الى مدرسة برلين سنة ١٨٥٦ لان ميدان العمل فيها اوسع فبحث وحقَّق وجمع ودقق وكلَّل اعمالهُ بانشائهِ المعرض الباثولوجي قرب مستشفى الرحمة ولا يزال في مقدَّمة الباحثين عن حقيقة الامراض ومن ادق الناس نظرًا واشدهم فراسةً واصدقهم حكماً

ولهُ مشاركةٌ في علوم أُخرى فهو من المشهورين في علم الانثروبولوجيا اي علم الانسان واليهِ انتهت رئاسة الجمعية الباثولوجية وقد كتب عن سكان الكهوف وسكان الخصاص التي كانت قائمة على الاوتاد في بحيرة جنيفا في العصور الغابرة. ويعدُّ بين ارباب السياسة وهو زعيم الاحرار في مجلس النواب منذ سنة ١٨٦١ وقد رأس اللجنة المالية ٢٥ سنة وهو الذي نظَّم مالية بروسيا. وناب عن قسم من برلين من سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٨٩٣ . ولهُ مناظرات شديدة مع بسمارك وقد دعاهُ بسمارك مرةً للمبارزة لشدَّة ما اغتاظ منهُ لكن اصدقاءهما اصلحوا بينهما فلم يتبارزا بالسلاح . وبقي ٤٢ سنة في مجلس برلين البلدي واليهِ يُنسب اصلاح تلك العاصمة فقد كانت افسد المدن هواء واقلها صحةً فصارت الآن اصح المدن هواء واجودها صحةً واجرى اسرابها الى ما حولها من القفار القاحلة فصيَّرتها رياضاً نضرة . ومستشفيات برلين التي هي الآن مثال يقتدى بهِ في الانتظام والاتقان لهُ الفضل الاول واليد الطولى في تنظيمها واتقانها . ولهُ مدينة برلين مديونة اكثر مما هي مديونة لرجل آخر

اما الاحتفال بعيدهِ فنقتطف وصفهُ مما جاء في جريدة التيمس قالت : ابتدأ الاحتفال

في دار الباثولوجيا فقدّم اليهِ اولاً تمثالهُ مصنوعاً من الرخام لينصب في تلك الدار ووقف حولهُ حينئذٍ وزير المعارف ورئيس الوزارة الامبراطورية ووزير الخارجية ووزير الداخلية ووزير التجارة ووزير المخابرات ورئيس اطباء الجيش ومحافظ برلين ورئيس مجلسها البلدي وكثيرون غيرهم . وخاطبهُ وزير المعارف معرباً عن الفرح والفخر اللذين شملا ذلك الجمع في تهنئتهِ وهو قائم في وسط هذا المعرض الباثولوجي المنقطع النظير . وقال ان اسم فركو يبقى مدى الدهر مقروناً بمكتشفاتهِ وما وسَّع بهِ نطاق العلم ولكن اهالي العصور التالية يودون ان يروا مثال الرجل الذي بنى هذه الدار ولذلك لوزارة المعارف تهدي هذا التمثال الى مديرها علامة على شكرها ورغبةً في ان قدوة منشئها العظيم تحيي نفوس الذين يطلبون العلم فيها

فاجابهُ الاستاذ فركو شاكرًا وكان رجال العلم في برلين ونواب الجمعيات والمدارس العلمية قد اجتمعوا في النادي الكبير في الطبقة العليا من الدار ليسمعوا خطبتهُ فصعد اليهم فقابلوهُ بالهتاف الشديد حتى اذا سكنت اصواتهم خطب فيهم خطبة وجيزة جاء فيها على خلاصة تاريخ الباثولوجيا من غير ان يشير الى ما لهُ من الايادي البيضاء في اصلاح هذا العلم . واستطرد الى فعل داء السل وبيَّن بالامثلة الكثيرة ان ميكروبهُ يميت الاجزاء التي يصيبها فتفرز من الجسم ولا يعود في الامكان ان ترجع الى ما كانت عليهِ ولذلك يستحيل ان يشفى الانسان منهُ شفاء تاماً ما لم يقع فيهِ التكلّس. وقد يبرأ العضو المصاب ولكن يبقى مكان الاصابة مؤوفا لا يتجدَّد ويبقى العضو ناقصاً الجزء الذي تلف منهُ وزال . واذا زال الميكروب كلهُ ولم يأت غيرهُ وقف الضرر عند ذلك الحد

وعُرضت حينئذٍ صور ميكروب السل والانفلونزا والكوليرا والتيفويد بالفانوس السحري وسار الاستاذ فركو بالمدعوين الى غرفة الميكرسكوب حيث كان الاستاذ كوخ والاستاذ لوثن فاريا هم ميكروبات الملاريا . وعادوا من هناك الى تناول الغداء

واولمت لهُ وليمة فاخرة في المساء في غرفة كبيرة من غرف مجلس النواب حضرها مع زوجتهِ واعضاء عائلتهِ ونخبة الوزراء والعلماء ثم انتقلوا الى نادٍ كبير من اندية ذلك المجلس حيث قدمت لهُ الخطب من حكومة المانيا ومجلس بلدية برلين ونواب المدارس والمجامع العلمية وكانت لجنة الاحتفال قد جمعت خمسين الف مارك ليوقف ريعها على البحث العلمي تذكارًا لاسمهِ فقدمت لهُ وسميت مال فركو وحينئذٍ وقف وزير المعارف وتلا الرسالة الامبراطور التي ذكرناها آنفًا وتليت رسائل أُخرى من دوق مكلنبرج ووزير الامبراطورية الالمانية ولما تليت رسالة المجلس البلدي اذا معها هدية مئة الف مارك لتضاف الى " مال فركو " . وكان بين النواب

الاجانب السنيور باشلي وزير التجارة في ايطاليا والمسيو كورنيل من اعضاء مجلس الشيوخ في فرنسا وغيرهم من روسيا والنمسا والدنمارك واسوج ونروج وسويسرا . وارسلت انكلترا اللورد لستر الجرّاح الشهير والسر فلكس سيمون وغيرهما من كبار اطبائها

وللاستاذ فركو كثير من الكتب العلمية منها كتاب علم الباثولوجية الخلويَّة وحمَّى المجاعة وحرية العلم والامراض المعدية في الجيش والفحص الرمي ومقالات شتى في جرائده الطبية

مناجم مصر والسودان

ذاكر بعضهم المهندس تشارلس الفُرْد مدير قسم الهندسة في شركة البحث عن المناجم المصرية فاعرب لهُ عن غنى هذا القطر بالمعادن مصداقاً لما ذكرهُ الاستاذ سايس واشرنا اليهِ قبل الآن وهو ان قدماء المصريين كانوا يستخرجون الذهب الكثير من بلادهم ولم تزل مناجمهم الى الآن في الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الاحمر . ومما قالهُ المهندس الفُرْد في هذا الصدد ان قطع الحجر التي قطعوها الآن من تلك المناجم وجدوا فيها كثيراً من الذهب ١٩ درهماً في الطن والمرجح انها ليست من العروق الكثيرة الذهب التي كان المصريون القدماء يستخرجون الذهب منها . و١٩ درهماً في الطن ليست بالشيء القليل كما بلغنا ممن يوثق بكلامهم في هذا الموضوع لكن المهندس الفرد يظن ان العروق التي ذهبها اكثر من ذلك لا تزال كثيرة لان المصريين القدماء لم يستنزفوا ثروة الارض لضعف وسائطهم ولانهُ وجدت هناك قطع في الطن منها نحو ١٢٠ درهماً من الذهب . وسئل عما اذا كان الماء كافياً بقرب المناجم اذ لا بدَّ من الماء الغزير لتصويل الذهب بعد سحق حجارتهِ ويتعذر نقل الحجارة الى مكان بعيد حيث الماء الغزير فاجاب ان القدماء حفروا آباراً كثيرة ثم طويت اما عمداً واما عرضاً ونحن شارعون في حفرها ثانيةً وشارعون ايضاً في انشاء حوض كبير طولهُ اربعون قدماً وعمقهُ ١٢ قدماً يجمع فيهِ ماء المطر فيسع اربع مئة الف جالون من الماء

وسئل عن مناجم السودان ووجود الذهب فيها فقال ان الصخور المتبلورة التي في الصحراء الشرقية بين قنا والبحر الاحمر ممتدة حتى بلاد الاحباش والذهب موجود فيها حتماً ولكن اتساعها وعمقها يختلفان كثيراً فاما ان تكون ظاهرة على وجه الارض واما ان تكون مغطاة بالرمال والحصى وكيف كانت فالبحث يظهرها وهي حرية بالبحث والاستقصاء وقد بعث بيت يوحنا تيلر وشركائهِ بالمهندسين الى السودان للبحث عن معادنها

وليس الذهب بالمعدن الوحيد الذي كان المتقدمون يستخرجونهُ من القطر المصري ثم اهمل المتأخرون استخراجهُ كما اهملوا كل ما منهُ نفع بل هناك معادن اخرى وحجارة غالية الثمن اخصها المرمر السماقي والمعرَّق والرخام الابيض الصلب . والظاهر ان الرخام الابيض بقي يستخرج حتى زمن العرب فان اللجنة الموكول اليها حفظ الآثار العربيَّة وترميمها وجدت فيها كثيرًا من الرخام الابيض الجميل المنظر ولم تكن تعرف مصدرهُ ولا رأت من الرخام الاوربي ما يقوم مقامهُ فاضطرَّت ان تترك بعض المباني من غير ترميم لانها لم تجد رخامًا يضاهي الرخام الذي فيها واذا رممتها برخام آخر ضاع ما كان فيها من الانتساق . ثم لما نشرت شركة البحث عن المعادن تقريرها عن العام الماضي وذكرت فيهِ انواع الرخام التي وجدتها في جهات مختلفة من القطر المصري خطر على بال اللجنة الموكول اليها حفظ الآثار العربيَّة ان شركة البحث عن المعادن قد تكون وجدت الرخام المطلوب فكان كما ظنَّت واتى هرتس بك بقطع كبيرة من الرخام من ابي جارية وهو اجود من الرخام الاوربي كثيرًا فلو سهلت الطرق لنقلهِ الى القاهرة والاسكندرية لناظر الرخام الاوربي وقام مقامهُ ولو كان اغلى منهُ ثمنًا .

هذا ما يقال في الذهب اثمن المعادن وفي الرخام ارخص الحجارة الكريمة وبين هذين الحدين معادن مختلفة وحجارة كريمة متعددة كالفضة والنحاس والانتيمون والزمرد والزبرجد والفيروز . لكن في الديار المصرية معدنًا آخر اثمن من هذه المعادن كلها وحجرًا اكرم منها وهو الطين تراب وادي النيل من بحيرة فكتوريا نيتزا الى البحر المتوسط بحر الروم فان كل مناجم الذهب التي في المسكونة لا يستغلُّ منها في السنة الواحدة اكثر مما يستغل من زراعة القطر المصري . والمناجم يختص نفعها بقليلين من اصحاب الاموال الطائلة واذا جُعلت اسهمًا وتفرقت على جمهور كبير خضعت لحكم المضاربات فصارت خسارتها اكبر من ربحها واما الطين فانهُ مال الفلاح والصغير يربح منهُ اكثر من الكبير والفدان الواحد يقوم بحاجات عائلة كاملة . واننا مع رغبتنا في بقاء مناجم الديار المصرية لسكانها وفي حثهم على تأليف شركة تهتم باستخراجها لا ننفك عن القول بان الغنى الصحيح والكسب الوافر هو من الاطيان . من اتقان الزراعة والجري فيها على الاساليب العلميَّة . ومهما كانت المناجم غنيَّة لا ينتظر منها مليون جنيه في السنة واما اتقان الزراعة فيضاعف الحاصلات وقيمة الحاصلات الآن اكثر من اربعين مليونًا من الجنيهات فاذا تضاعفت صارت ثمانين مليونًا واذا زادت الخمس فقط بلغت الزيادة ثمانية ملايين جنيه في السنة . هذا هو الكسب الكبير والغنى الوافر

عمران دمشق

" قراها "

دعا الاتصال بين دمشق وقراها الى ان سكن اكثرها بعض الامويين منذ الفتح فاصبحت كأنها حارات لدمشق او مصايف لاعيانها وتوفرت فيها مرافق الحياة حتى قال ابن بطوطة بعد كلامهِ على عمران المزة وذكر من نُسب اليها من العلماء والفضلاء ان في اكثر قرى دمشق الحمامات والمساجد الجامعة والاسواق وسكانها كاهل الحاضرة في مناحيهم

ولا بدع اذا اخرجت هذه القرى مئات من العلماء فقد عدَّد ياقوت في معجم البلدان المؤلَّف في الربع الاول من القرن السابع للهجرة اكثر القرى والامصار التي درست في بلاد الاسلام واتى بما قيل فيها من الاشعار وما نسب اليها من الوقائع التاريخية وحملة العلم والادب وساق في ثلاث صفحات من كتابهِ علماء قرية واحدة اسمها (صنعاء دمشق) وهي دارسة اليوم لا يعرف اسمها ولا رسمها . فسقيًا لذاك العمران ورعيًا لتلك الازمان . وهاك اسماء الضياع الدوارس

(بيت لِهْيا) كانت قرية مشهورة في الغوطة والصحيح بيت الآلهة . اكثر الشعراء من ذكرها ونسب اليها خلق من اهل الرواية والدراية والنسبة اليها بتلهي وكانت عامرة في اوائل القرن الحادي عشر ذُكر في ترجمة عبد اللطيف المحبي المتوفى سنة ١٠٣٢ انهُ اقتنى بساتين فيها ووقفها

(بيت الآبار) يضاف اليها كورة من غوطة دمشق فيهاعدة قرى خرج منها غير واحد من رواة العلم

(بيت ارانس) من قرى الغوطة بها قبر ابي مَرْثَد دثار بن الحُصين من الصحابة

(بيت سابا) قال ابن عساكر ان هشام بن يزيد بن محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الاموي كان يسكن بيت سابا من اقليم بيت الآبار عند جرماس وكان لجدهِ يزيد بن معاوية

(ارزونا) من قرى دمشق قرب عربيل

(عالقين) قال صاحب فوات الوفيات انها قرية بظاهر دمشق مات فيها ابو بكر بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين سنة ٦١٥ ه ونقل منها الى دمشق ودُفن بالقلعة ثاني يوم وفاتهِ ثم نقل الى مدرستهِ المعروفة بهِ

(الجامع) من قرى الغوطة سكنها قوم من بني امية

(طرميس) قرية في الغوطة نسب اليها بعض اهل الرواية ممَّن ورد ذكرهم في تاريخ دمشق
(حِجرا) من قراها يُنسب اليها كثير من العلماء وحجيرا المعروفة اليوم هي غيرها
(دقانية) خرج منها اناس من اهل العلم
(دير ابان) قرب قرحتاء سكنهُ بعض الامويين
(دير بَوَنَّا) بجانب الغوطة في انزه مكان قال ياقوت وهو من اقدم ابنية النصارى يقال انهُ بني على عهد المسيح عليهِ السلام او بعدهُ بقليل وهو صغير ورهبانهُ قليلون اجتاز بهِ الوليد بن يزيد فرأى حسنهُ فاقام بهِ يوماً في لهو ومجون وشرب ونظم في وصفهِ ابياتاً خلاعية
(دير محمد) قال ابن عساكر كان عمر بن عبد العزيز يراهُ اهلاً للخلافة واليهِ تنسب المحمديات التي فوق الارزة ودير محمد الذي عند المنيحة من اقليم بيت الآبار
(دير هند) من قرى دمشق سكنهُ بعض الأُمويين
(قصر امّ حكيم) بمرج الصُّفر من ارض دمشق منسوب الى ام حكيم بنت يحيى ويقال بنت يوسف بن يحيى بن الحكم بن العاص بن أُمية وامها زينب بنت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن عبد الملك فولدت لهُ يزيد بن هشام واليها ايضاً ينسب سوق ام حكيم بدمشق وهو سوق القلاّنين قالهُ ياقوت
(قنية) قرية كانت مقابل الباب الصغير من دمشق منها جماعة من العلماء
(الميطور) من قرى دمشق وفيها يقول عرقلة

وكم بين اكناف الثغور متيم كئيب غزتهُ اعينٌ وثغورُ
وكم ليلة بالماطرون قطعتها ويوم الى الميطور وهو مطيرُ

(يلدان) كانت من اقليم بانياس سكنها عمر بن القاسم الاموي ذكرهُ ابن ابي العجائز في حديث ذي القرنين لما عمَّر دمشق انهُ نزل من عقبة دُمَّر وصار حتى نزل في موضع القرية المعروفة بيلدا من دمشق على ثلاثة اميال. كذا في الحديث بغير نون قال ياقوت لا ادري اهي واحد ام اثنان . قلت اذا كانت بلدا بالمفرد فهي قرية معروفة لهذا العهد

ذاك بعض ما وقفت عليهِ في تضاعيف الكتب من اسماء قرى الغوطة الداثرة اليوم ويذهب بعض الماحكين الى ان هذه القرى ما برحت في لوح الوجود بل تغيرت اسماؤُها فقط فان كان الامر كذلك فلمَ لم يتغير غيرها من الاسماء التي ما برحت بحالها منذ القرون المتوسطة ولم يطرأ عليها الاَّ بعض التحريف من السن العامة فقط . وهاك الآن نموذجاً من ابيات لشاعر الشام في عصره احمد بن منير الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨ تفهم منها باقي القرى من داثرها

حيِّ الديار على علياء جيرونِ مهوى الهوى ومغاني الخرَّد العِينِ
مراد لهوي اذ كفي مصرّفة اعنةَ العيس في فيح الميادينِ
بالنيربين فمقرى فالسرير فخم راياً فجوّ حواشي جسر جسرينِ
فالقصر فالمرج فالميدان فالشرف الأ على فسطرا فجرمانا فقلبينِ
فالماطرون فداريا فجارتها فآبل فمغاني دير قانونِ
تلك المنازل لاوادي الاراك ولا رمل المصلّى ولا اثلات يبرينِ

"هندستها"

بُنيت مدينة دمشق وسط وادٍ عميق اشبهَ بواحة يكثر فيها العفن والرطوبات و يشتدّ فيها الحر والبرد خصوصاً في هذه القرون الاخيرة. والبنيان متراكم والحارات ضيقة المداخل والمخارج وهي بقبور اموات اليق منها باحياء احياء. تكاد الشمس والهواء لا ينفذان الى دورها وطرقها لارتفاع الجدران والسطوح ولولا الشارعان اللذان أُنشئا حديثاً الاول سوق مدحت باشا والثاني سوق الحميدية لكانت دمشق على ما هي عليه من الطول والعرض وسكان يقربون الآن من مئتي الف نسمة تشبهُ قرية كبيرة حقيرة . دور عمرت بالطوب والتراب داخلها كئيب كخارجها واكوام من القمامات ومجارٍ من القاذورات لو دخلها الطبيعيون لقالوا بقصر اعمار من يسكنونها لولا ان العادة طبيعة خامسة . لا جرم انهُ اتت على هذه الحاضرة ازمان من الفوضى ضاعت فيها الهندسة فصار الناس يبنون مساكنهم حيث شاءوا وعلى اي طرز احبوا . يقول بعضهم ان بناء دمشق على هذا النحو والسور يحرمها في محيطها كان من موجبات بقائها حتى الآن فدفع مركزها عنها كثيراً من هجمات المهاجمين في القرون المتوسطة . وما كان المترفون من اهلها يعدمون زمن السلم قصوراً في ارباضها يرتبعون بها و يصطافون ويتربعون فيها و يرتافون حتى اذا تواترت الغارات وفشت الاضطهادات في القرون الحديثة امسى ما في سفح جبلها من المصايف والمرابع وفي ضاحيتها من الضياع والمزارع خراباً يباباً

ذكر شيخ الربوة الكاتب الدمشقي وكلامهُ احسن مأخذ في هذا الباب ان دمشق كانت مقسومة ثلاث قسمات قسم مبثوث العمارة في غوطتها لو جمع لكان مدينة عظيمة ما بين جواسق وقصور وقاعات واصطبلات وطواحين وحمامات واسواق ومدارس وترب وجوامع ومساجد ومشاهد غير القرى والضياع الامهات وهذا الذي ذكرناهُ لا يوجد بغيرها اصلاً . والقسم الثاني تحت الارض منها مدينة أُخرى من متصرفات المياهِ والقنيّ وجداول ومسارب ومخازن وقنوات تحت الارض كلها حتى لو حفر الانسان اينما حفر من ارضها وجد مجاري الماء تجنهُ

مشتبكة طبقات يمنة و يسرة شيئاً فوق شيء . والقسم الثالث مسوّرها وما فيهِ وحوله' من المعمور وكانما هي في وصفها طائر ابيض في مرج اخضر يترشّف ما يصل اليهِ من الماء اولاً فاولاً

واكّد من زار خرائب تدمر وعرف هندسة دمشق القديمة ان تينك الحاضرتين كانتا على نسق واحد في هندستهما فقد كان يخرق دمشق من الشرق الى الغرب شارع عظيم مستقيم طوله' ١٦٠٠ متر وعلى جانبيهِ رواقان من اعمدة حجرية هائلة هي اليوم مطمورة تعلوها الحوانيت والدور وقد ظهرت غير مرَّة اثناء الحفر

والناظر الى ابوابها يتصور مساحتها وهندستها في السابق قال ابن عساكر " ان الباب القبلي المعروف بباب الصغير سُمي بذلك لانهُ اصغر ابوابها حين بُنيت . باب كيسان ينسب الى كيسان مولى معاوية وذُكر انهُ منسوب الى كيسان مولى بشر بن عمارة وهو الآن مسدود. الباب الشرقي سمي بذلك لانهُ شرقي البلد وكان ثلاثة ابواب باب كبير في الوسط وبابان صغيران من جانبيهِ سُدَّ منهما الكبير والباب الصغير الآن من قبليهِ وبقي الصغير الشمالي . باب توما من شمالي البلد يُنسب الى عظيم من عظماء الروم اسمهُ توما وكانت لهُ على بابهِ كنيسة جُعلت بعدُ مسجداً . باب الجنيق من الشمال ايضاً منسوب الى محلة الجنيق وهي محلة كبيرة كانت بها كنيسة فجعلت بعد مسجداً وهو الآن (في القرن السادس) مسدود . باب السلامة من شمالي البلد ايضاً سمي بذلك تفاؤُلاً لانهُ لا يتهيأُ القتال على البلد من ناحيتهِ لما دونهُ من الاشجار والانهار . باب الفراديس من شماليهِ منسوب الى محلة كانت خارج المدينة تسمى الفراديس وهي الآن خراب وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسُدَّ والفراديس بلغة اهل الروم البساتين . باب الفرج من شماليهِ ايضاً محدث احدثهُ الملك العادل نور الدين وسماهُ بهذا الاسم تفاؤُلاً لما يوجد من الفرج بفتحهِ وكان بقربهِ باب يُسمى باب العمارة فُتح عند عمارة القلعة ثم سدَّ بعدُ واثرهُ باقٍ في السور . باب الحديد من شمالهِ ايضاً هو الآن خاص بالقلعة التي أُحدثت غربي البلد في دولة الاتراك سمي بذلك لانهُ كلهُ حديد . باب الجنان من غربي البلد سمي بذلك لما يليهِ من الجنان وهي البساتين . باب الجابية لان الخارج اليها يخرج منهُ لكونهِ مما يليها وكانت ثلاثة ابواب الاوسط منها كبير ومن جانبيهِ بابان صغيران على مثال باب شرقي وكان من كل باب سوق ممتد من باب الجابية الى باب شرقي كان الاوسط من الاسواق للناس والسوقان الباقيان يجوز منهما الركاب حتى انهُ كان لا يلتقي فيهما راكبان (كما هو الحال في اسواق الغرب اليوم) فسدَّ الباب الكبير والشمالي منهما وبقي القبلي الى الآن وفي السور ابواب صغار غير ما ذكر تفتح عند الحاجة منها باب في

حارة الحاطب يعرف بباب ابن اسماعيل وباب في المدينة "

وذكر صاحب محاسن الشام عند كلامهِ على ابواب المدينة باب السرّ فقال " انما سمي بذلك لكونهِ يفتح الى القلعة وكان الاتراك ينزلون منهُ سرًّا و يطلعون منهُ ويجوز الخارج على جسرين من خشب تحت الخندق المحيط بالقلعة ينيف عمقهُ على مائة ذراع بالعمل بهِ يتخزن الماء وينبت البوص وغير ذلك وهو غير خندق المدينة . واصطلح في آخر دولة ابن قلاوون ان يصلي من ولي نيابة دمشق عند الباب ركعتين مستقبلاً القبلة بحيث يبقى الباب على يسارهِ وتقف اجناد القلعة وارباب الوظائف والادراك في منازلهم على حسب العادة متجملين بالسلاح الى ان يفرغ من صلاتهِ ودعائهِ فان أُريد بهِ شر قبض عليهِ ودخلوا بهِ و يقلبون الجسر بينهم وبين اعوانهِ فان الجسر بلوالب وان أُريد بهِ خير اركب في عزّتهِ ووجوه الدولة في خدمتهِ الى ان ينزل الى دار العدل التي انشأها نور الدين الشهيد وهي التي تسمى بدار السعادة (سراي المشيرية اليوم) وهي تلي باب السرّ وعلى بابها باب النصر الذي فتحهُ الملك الناصر بن ايوب للمدينة " .الى ان قال " وغالب هذه الابواب القديمة بنى عليها نور الدين الشهيد منابر على مساجد وجعل لكل باب باشورة كالسويقة بها حوانيت مملوءة بالبضائع فاذا حصنت المدينة واقفلت الابواب يستغني اهل كل باب من هذه الابواب بما عندهم وهو مقصد جميل " .

هذا واكثر تلك الابواب لم يبرح الى اليوم ماثلاً للعيان غير متداعي البنيان والاركان ولم ينقطع من الالسن ذكرهُ سوى باب كيسان والجنيق والفرج وابن اسماعيل والسرّ والنصر ومنها ما تهدم ولم ينقطع ذكرهُ كباب الصغير وباب الجابية اما السور الذي كانت تتخللهُ تلك الابواب فقد كُتب عليهِ بقلم الحال " سبحان المتفرد بالبقاء " ولا تزال المعاول تشتغل في هدمهِ الى عهدنا هذا ليستعان بحجارتهِ الضخمة المنحوتة ولم يبقَ منهُ الا ما اعجز الهادم هدمهُ لحصانتهِ ومتانتهِ

" انهارها "

من يقرأْ تاريخ الصدر الاول لا يكاد يرى فرقًا بينًا بين حاجيات الانسان اليوم وأمس كيف لا والبشر مهما تقهقروا لا غنية لهم عن الضروريات ولا يزهدون فيها زهد اهل المشرق كافة بالماديات والآثار اقول هذا وحق لدمشق ان تغبط لانها سلمت لها انهارها منذ قرون ولم تسطُ عليها الغير . روى ابن عساكر في تاريخ دمشق ان نهر يزيد كان صغيرًا يجري فيهِ شيء يسير يسقي ضيعتين في الغوطة لقوم يقال لهم بنوفرقا ولم يكن لاحد فيهِ شيء غيرهم فماتوا في خلافة معاوية بن ابي سفيان ولم يكن لهم وارث فاخذ معاوية ضياعهم واموالهم فلم يزل كذلك حتى مات معاوية في رجب سنة ستين وولي ابنهُ يزيد فنظر الى ارض واسعة ليس

لما ماء وكان مهندساً فنظر الى النهر فاذا هو صغير فامر بحفره فمنعهُ من ذلك اهل الغوطة ودافعوهُ فلطف بهم الى ان ضمن لهم خراج سنتهم من ماله فاجابوهُ الى ذلك فاحتفروا نهراً سعتهُ ستة اشبار في عمق ستة اشبار على ان لهُ ملء جنبتيهِ وكان كما شرط لهم . ومات يزيد سنة اربع وستين فلم يزل كذلك حتى استخلف سليمان بن عبد الملك فاقام عندهُ رجل من اهل الذمة يقال لهُ جرجه بن قوا (جرجي بن قعرا) شاهدين يشهدان ان لهُ في النهر قناة تجري الى حمام لهُ بديرهِ فسجل لهُ سليمان بذلك سجلاً واشهد بهِ شهوداً ونسختهُ

" بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كتبهُ سليمان بن عبد الملك امير المؤمنين لجرجه بن قوا بثبات قناة في نهر يزيد لما قامت لهُ البينة وفيهِ من الشهود عمر بن عبد العزيز وعبدالله بن الحصين الهمداني ويزيد ابن اسلم وعبدالله بن عبد الملك من اهل الغوطة وذلك يوم الخميس في شهر رمضان سنة ثمان وتسعين واشهد على نفسهِ وكفى بالله شهيداً "

وقلّ الماء في خلافة سليمان بن عبد الملك حتى لم يبقَ في بردى الاَّ شيء يسير فشكا اهل الغوطة الى سليمان فوجَّه مولاهُ عبيد بن اسلم الى اصل ماء العين ليكروها فبينما هم يكرون فيها اذا هم بباب حديد مشبك يخرج الماء من كوىً فيهِ يسمعون داخلها اضطراب السمك في الماء فكتبوا بذلك الى سليمان فامرهم ان لا يغيروا شيئاً عن اصلهِ فلم يزل كذلك حتى ولي هشام بن عبد الملك فسأل اهل حَرَستا ماء للشرب لشفاههم في مسجدهم فكلم فاطمة ابنة عبد الملك يعني ابنة عاتكة وعاتكة ابنة يزيد على ان يحفروا نهراً صغيراً الى مساجدهم للشرب لا لغيرهِ وفتح الذي امر بهِ فترًا في فتر مستديراً يجري على قدر شبر من ارتفاع الارض

ثم فصَّل تقسيم الانهار والجداول زمن هشام بن عبد الملك مما لا فائدة في ذكرهِ لفقدان الاصطلاحات التي ذكرها في ميزة الانهار فاعطى الجدول ماء غدقًا والنهر غيضاً وشلاً

وكتب شيخ الربوة في الربع الاول من القرن الثامن نبذة بشأن انهار دمشق لم تتغير الى اليوم اسماؤها واصطلاحاتها فقال ان نهر دمشق ينبعث من مرج الزبداني ومن عين الدولة فوق الزبداني ومن عين الفيجة ومن اعين في طول وادي بردى واصل عين بردى من تحت جبل في مرج الزبداني بجنب قرية يقال لها الضيرة . ثم قال ان عدد بساتين دمشق مائة الف واحد وعشرون الف بستان تسقى بماء واحد (باحصاء رسمي بلغ اليوم عدد حدائق دمشق وكرومها ١٩٣٩) يأتي اليها من ارض الزبداني ومن وادي بردى عين تنحدر من اول الوادي ومن عين الفيجة وينبعث نهراً واحداً يسمى بردى ثم يتفرق سبع فرقات كل فرقة نهر يسمى باسم منها نهر يزيد فتحهُ يزيد بن معاوية فسمي بهِ ونهر ثورة فتحهُ ملك من ملوك الروم اسمهُ ثورة

فسمي بهِ ونهر بلنياس او بانياس فتحهُ بلنياس الحكيم اليوناني فتسمى بهِ ونهر القنوات وكلاهما يجريان الى داخل المدينة ويتفرقان في المصارف والبرك والقني والحمامات والطهارات. ونهر مزة منسوب الى قرية تسمى المزة وكان اسمهُ المنزه ثم نهر داريا وهو سادس النهور وارفعها مجرى وابعدها مقسماً وسابع النهور نهر بردى الجاري في قرارة الوادي ولا يقبل الارتفاع من مجراهُ ومنهُ تقسمت الانهار المذكورة. ثم ينقسم من هذه الانهار فرق وجداول وتتفرق متشعبة باراضي الغوطة حتى لا يبقى منها بقعة يمكن وصول الماء اليها الا و يصل و يركبها سقياً لها بحساب وتقسيط معلوم في الليل والنهار بساعات معلومة لا تزيد ولا تنقص ثم يخرج عمود بعد ذلك وينبعث في جهة الشرق و يسقي قرى وضياعاً واراضي مرجية وصحراوية حتى يصبُّ آخرهُ في بحيرة شرقي دمشق بارض عذراء ينبت بها القصب وهذه البحيرة يصب فيها نهر آخر يسمى الاعوج يجتمع عند تحليل الثلج ومن عصارات المياه والمواصي فيكون نهراً كبيراً

هذا وقد كان خطر لاحد ولاة الفيحاء منذ سنين ان يجري قسماً من عين الفيجة قبل اختلاطها ببردى يجعلهُ في قسطل من حديد ويوزّع على احياء المدينة للشرب فقط لانَّ ما ينهال على بردى من قاذورات القرى في طريقهِ يجعل النفوس تعاف ماءهُ احياناً و يضرُّ بالصحة كثيراً لكن هذا التصوّر ذهب ذهاب امس الدابر وكلام الليل يمحوهُ النهار. وانَّ قوماً هم افقر الى الحاجيات منهم الى الكماليات لاحرى بهم ان يقدموا الاهمَّ على المهمّ لو كان لهم حلم وعلم

محمد كردعلي

رواية امينة

الفصل السادس عشر

وقفت عطية هانم امام المرآة بعد ان البستها ثيابها وحلاها وقبلما تجلس على العرش وقالت لي "الحمد لله انتهينا ولم اعد احتاج الى شيء". وكانت بحليها وحلتها من ابدع ما رأت عيني حسن فتّان وقوام يخجل غصن البان وحلّة زادت جمالها جمالاً وقدها اعتدالاً على رأسها وفي عنقها ومعصميها شموس من الماس تبهر الابصار وعلى وجهها برقع فضي كانهُ الهواء او بخار الماء. فقلت في نفسي اذا رآها نافذ بك ولم يفتن بجمالها فما هو انسان. قلتُ ذلك رغماً عن انني والحق غلاَّب لكنني طردتُ هذا الخاطر عن بالي حالما خطر لي وقلتُ لها نعم انتهينا وكل شيء على ما يرام. فقالت قولي لهم اذاً ليأتوا ودعينا نخرج من هنا

فخرجتُ لادعو الجواري وسمعتهنَّ يعجبن بجمالها فقلتُ في نفسي انهنَّ مصيبات ويستجيل عليَّ ان اظهر مثلها

وحضر المدعوون وامتلأ البيت وشُغلنا بتقديم السكاير واعداد الطعام وحضر كثيرات من اللواتي لم يُدْعَين وهؤلاء يكتفين بمشاهدة العروس ولا يجلسنَ للطعام . ولما غابت الشمس وحان الوقت الذي يأتي فيهِ العريس حاولتُ الوقوف في الدار لارى كيف يقابلها وتقابلهُ حتى اذا نفخت الابواق ودقت الطبول معلنةً قدومهُ جمد الدم في عروقي ووقف قلبي عن النبضان وكان الى جانبي امرأة من نساء نافذ باشا فقالت لي اراكِ صفراء ممتقعة اللون لقد تعبتِ كثيرًا ولكن نشكر الله انهُ انقضى كل شيء وزوجناها هوذا العريس قد أتى انظري انظري

فنظرت واذا نافذ بك صاعد على السلم والعبيد حولهُ يحملون الشموع فصعد ومرَّ في الفسحة الكبيرة الى غرفة العروس والى جانبهِ عادل بك وسعيد بك حتى اذا دخل الغرفة تركاهُ وخرجا وأُنزل الستار على بابها فامسكت المرأة بيدي واسرعت بي الى الباب واقبل النساء ووقفن امامهُ يوصوصنَ من خلال ستارتهِ فنظرت من فرجة صغيرة بينها و بين الباب واذا بنافذ بك راكع يصلي ثم صعد على العرش وامسك بيد العروس ورفع البرقع عن وجهها

لم ترَ عيني جمالاً يبهر العيون مثل ذلك الجمال الفتان كانت جالسة على عرشها وعيناها مطرقتان الى الارض وعليها حلة حمراء قرمزية يظهر صدرها منها كالمرمر وهو يعلو و يهبط كموج البحر ووجها ساكن كانهُ وجه تمثال لكن حمرة الخجل تنتابهُ مرةً بعد أُخرى. فقلتُ في نفسي هذه سلطانة على عرشها لا عروس امام عرسها . رفع نافذ بك البرقع كما قلت ونظر اليها مليًّا ثم تركهُ يغطي وجهها فعلق بالحلى التي على رأسها فمدَّت يدها لتساعدهُ في نزعهِ ونظرتْ الى وجههِ حينئذٍ فوقعتْ عينهُ على عينها لكنهُ ادار وجههُ حالاً وجلس الى جانبها

رأيت ذلك ومشيت الى الغرفة التي تلبس ثيابها فيها لانني كنت اعلم ان لا بدَّ لها من ان تغير ثيابها حينئذٍ وانا الموكلة بذلك. وجلستُ واسندت رأسي الى يدي وانا اسيفة حزينة لا لانهُ قُطع حبل رجائي بل لاني كدت احملهُ البارحة على الهرب بي والقاء نفسهِ في التهلكة لاجلي. ثم شكرت الله لاننا نجونا كلانا من ذلك وقلت خير لي والف خير ان اموت هنا حسرة من ان ينثلم صيتهُ وصيتي . ولكن ما ادراني ان وجودي هنا لا يضرُّ بهِ بعد ان ثبت لي انهُ يحبني كما احبهُ . ما ادراني انهُ يبقى كاتمًا حبَّهُ او يستطيع كتمانهُ بعد ان ثبت لهُ ايضًا اني احبهُ ولا احب احدًا سواه . وخطر ببالي حينئذٍ حسين بك وكلام نافذ بك عنهُ فارتعدت فرائصي وقلت اني اكون هنا طوع امرهِ ان شكوتهُ الى اخيهِ زاد خبثًا وغيظًا ولا يبعد ان ينتقم مني

وبينما انا افكر في ذلك سمعت صوتاً صمّ اذنيَّ ثم تلتهُ اصوات وفرقعة شديدة وسمعت كأن اناساً يركضون الى هنا وهنالك فقمت حالاً وفتحت الباب واذا بصوت هائل ارتجت لهُ اساسات البيت تلتهُ ظلمة مدلهمّة ثم نور ساطع اراني ان الفسحة الكبيرة التي في الدار العليا قد خسفت بمن فيها كأن العريس لما خرج من غرفتهِ رمى النقود على جاري العادة فتزاحم الناس بعضهم على بعض في تلك الفسحة ليلتقطوها فهبط السقف بهم ووقعت الشموع التي في الثريات بجانب الستائر التي حول الابواب فاشتعلت حالاً وزادت الهول هولاً . فنظرت الى ما حولي خائفة مضطربة ولم ارَ نافذ بك فقلت لعلّهُ سقط مع البقية ولم يخطر ببالي امر نفسي ولا خطر ببالي احد غيره ووقفت انظر الى الهوة التي امامي والبلاط والخشب والقتلى والجرحى مختلطة كلها معاً اختلاط الحابل بالنابل . وقفت انظر اليها مدهوشة مرعوبة غائبة عن الرشد وانا احوّل نظري من جهة الى أُخرى افتش عنهُ وللحال رأيت رجلاً مرَّ بجانبي وبين يديهِ امرأة يحملها . رأيتُ برقعها الفضي فعرفت مَن هي ووقفت جامدةً كالصنم تكتنفني غمار اليأس والقنوط وانا اقول في نفسي لم يهتم بغيرها ولا خطرتُ لهُ ببال نسيني في ساعة الشدَّة وخاطر بنفسهِ لاجلها واحسرتاه واحسرتاه .

ثم عدت الى الغرفة وجلست وغطيت وجهي بيديَّ وانا اكاد اغيب عن الصواب واذا هو يناديني باسمي وقبل ان اجيبهُ رفعني بين يديهِ وسار بي مسرعاً ونزل من سلَّم خلفيّ الى جانب آخر من البيت لم تصل اليهِ النار . ولما وضعني على الارض نظرت الى وجههِ فرأيتهُ اسود من الدخان ولكن عينيهِ كانتا تتقدان حباً ولهفةً فقال بصوت منخفض قيل لي انكِ في البيت الآخر لما حدثت الحادثة فظننتكِ بمأمن من كل خطر وقصرت همي على تخليص الآخرين ثم فتشت عنكِ هناك فقيل لي انكِ هنا وشكراً لله لاني رجعت اليكِ قبلما فات الوقت

فلم اجبهُ لان اعضائي كلها كانت ترتجف وكأنَّ لساني عقد عن الكلام وبعد هنيهة سكن روعي فقلت لهُ واين اختكَ . فقال هي سالمة والحمد لله وكذلك الاولاد

وكان قد اوصلني الى الدار الخارجية فرأيتها مزدحمة بالناس حتى يكاد بعضهم يدوس بعضاً . فقلتُ لهُ أَمرادك ان ترجع الى البيت . فقال كيف لا وكل اولاد حميّ هناك ولا بدَّ لي من ان اذهب اليهم . قال ذلك وذهب مسرعاً ورأيتُ سنية هانم واقفة فوق عطية هانم وكان قد أُغمي عليها فاتيت اليها وجعلت اساعدها على ايقاظها وكان الرجال يخرجون القتلى والجرحى من تحت الردم فدنوت منهم ورأيتهم اخرجوا ام عطية هانم وهي على آخر رمق ثم اتى نافذ بك ومعهُ جريح فلما رآني قال لي اغمضي عينيكِ وابعدي من هنا حالاً فاطعت امره

وعدت الى سنية هانم فلم ارها حيث تركتها ولا رأيت عطية هانم فظننت انهما ذهبتا الى السلاملك وجلست على مقعد كان هناك واغمضت عينيَّ لكي لا ارى ما حولي . وبعد قليل سمعت صوت نافذ بك ورأيتهُ آتياً مع سعيد وعادل يحملون حافظ باشا وقد اخرجوهُ من غرفتهِ لان النار كانت قد وصلت اليها . قال سعيد بك قد امتدت النار كثيراً واخاف ان تصل الى السلاملك قبلما نتمكن من اطفائها فقال لهُ نافذ بك لا حيلة لنا وليس في البلاد مطافئ للحريق هلمَّ بنا نفعل ما في الطاقة قال ذلك وعاد الى البيت وتبعهُ سعيد بك . ونُقل الجرحى الى السلاملك وذهب النساء الى الاسطبلات وقضيت ساعة امام حافظ باشا وهو يتقلَّب مصاباً بنوبة شديدة وانا ماسكة بيديهِ لكي لا يقلب عن المقعد الذي وضع عليهِ واخيراً سمعت واحداً يمشي بجانبي فقلت لهُ ماذا يصنعون لهُ حينما تصيبهُ هذه النوبة . فقال لا شيء وعرفت من صوتهِ انهُ حسين بك ولم اكن قد رأيت وجههُ حينئذٍ ولا كانت رؤيتهُ سهلة لان النار كانت قد خمدت وعادت الظلمة . ثم قال لي اين كنتِ مختفية . فقلت كنت هنا ألا تسقونهُ شيئاً لتخفيف الالم . فقال لا اعلم مالك ولهُ هذه النوب تصيبهُ كثيراً وهي ليست من الالم بل من الجنون ما لنا ولهُ أتبخلين عليَّ بقبلة ثم لا تخجلين من ان تزوجي حبيبكِ باختي لكي تتيسَّر لكِ رؤيتهُ

فنظرت اليهِ مغضبة فضحك هازئاً بي وقال اظنكِ استغربتِ كيف عرفتُ اسراركِ ولكن من لا يعرفها وقد وقف حبيبك ينادي قائلاً انهُ اذا اصابكِ مكروهُ لا نعود نرى وجههُ ولم يقل هذا القول على مسمع مني انا فقط بل سمعهُ عزَّت باشا وسنية هانم اما سنية فلم تكترث لهُ كأنها مطلعة على دخيلة امركِ وغاية ما فعلتْ انها اخذت تسكن روعهُ وتقول لهُ انكِ خرجتِ من باب البستان الى البيت الآخر

تكلم هذا الكلام ولم اعترضهُ ولا رأيت وجهاً للدفاع عن نفسي لانهُ كان يقول ما يستنتجهُ كل احد غيرهُ . ثم قال لي ساخراً قولي الحق الم يرسلكِ نصر الله باشا الى هنا من وجهِ ابنهِ اما ابنهُ فلا بدَّ لهُ من ان يتبعكِ اينما ذهبتِ . واذا سمعتِ نصيحتي خرجتِ من هنا باسرع ما يمكن لان حبيبكِ لا يستطيع ان يحميكِ ولا سنية هانم تستطيع ذلك ولا بدَّ من ان تُطرَدي طرداً وخير لكِ ان تمضي من تلقاء نفسكِ قبلما يطردونكِ فيظنون انكِ قُتلتِ مع من قتل الليلة وتنتهي المسألة

قال ذلك ومضى ورأيت رجلاً من الخدم واقفاً في آخر الدار فدعوتهُ ليقف امام حافظ باشا وكنت قد رأيت نصيحة حسين بك عين الصواب وصمَّمت على العمل بها لكي اخلص من هذا التعب واخلِّص بيت نصر الله باشا منهُ

. ومضيت الى البيت الآخر ودخلت غرفتي وغيَّرت ثيابي وكانت الدراهم التي اعطاني اياها نصر الله باشا لم تزل معي فوضعتها في صرة داخل ثيابي مع ما عندي من الحلى وخرجت الى الحديقة ومنها الى الباب الخارجي ولم يلتفت احد اليَّ وكانت النار قد خمدت تماماً وعادت الظلمة قبل الفجر فسرت الى ان خرجت من البلد وهمتُ على وجهي وحينئذٍ فارقتني شجاعتي وخانني جلدي فضاقت الدنيا في عينيَّ ولم اعد اعرف الى اين امضي لكنني بقيت سائرة في طريقي متكلة على الله فوصلت الى بيت اناس من الفلاحين المعتادين بساطة المعيشة والترحيب بالغريب فلقيتُ منهم كل مودة وكرم اخلاق واكتريت فرساً من رجل شيخ أشابت الايام شعرهُ ولكنها لم تضعف قدميهِ فسار في رفقتي الى ازمير ووصلت منها الى قش اغاج

الفصل السابع عشر

"غسلتُ الثياب ونشرتها فاذا لم يبقَ لي شغل آخر الآن فاسمحي لي ان اذهب الى بيت عمتي فلانة فقد وعدتها ان اكتب لها مكتوباً لابنها"

قلت ذلك واستندتُ الى باب المطبخ من التعب وانا انظر الى امرأة عجوز تحرّك القدر على النار وقد نظرتْ اليَّ كأنَّ كلامي لم يعجبها ثم قالت اذهبي مع السلامة لما كنتُ فتاةً مثلكِ كان الرجال يكتبون المكاتيب والبنات يقتصرنَ على اعمال البيت

فضحكتُ وقلتُ ألا نستطيع ان نفعل الامرين معاً أوَلم تسمعي ما قالهُ الشيخ عني وهو اني طبَّاخة من اول طبقة وكاتبة مثل ابرع الكاتبات . فقالت وهو يحسب انكِ عين الكمال واظن انكِ تصوّبين رأيهُ فيكِ

فدنوت منها واعتنقتها وقلتُ لها ألستِ انتِ من رأيهِ ايضاً يا أمَّاهُ قولي الحق ألا تشكرين الله على الساعة التي اتيت فيها اليكِ . فضحكتْ وقالت اذهبي ولا تتأخري عن العشاء

ولما خرجت من الباب سمعتُ الاولاد يقرأُون دروسهم ورأيت الشيخ زوجها جالساً يغمض عينيهِ من النعاس فتذكرتُ اليوم الذي وصلت فيهِ الى هذا البيت منذ خمس سنوات البيت الذي تعلمت فيهِ القراءة وانا طفلة ثم اقمت فيهِ عند هذا الشيخ الفاضل وزوجتهِ كل هذه المدة وهما يعاملانني كأني ابنة لهما وكنت احبهما كوالدين وكثيراً ما كانت افكاري تعود بي الى استانبول فاصرفها عن ذهني بخدمة البيت الذي آواني . اما الآن فكان القاضي قد سهر عندنا في الليل الماضي واخبرنا عن اعلان الحرب بين الدولة العلية والروس فقلت لا بدَّ من ان يُرسَل نافذ بك اليها واظنهُ الآن في ميدان القتال

كانت هذه الافكار تراوحني وانا سائرة في طريق يؤدي الى مرتفع من الارض كثير

الاشجار وبينما انا ماشية سمعتُ صوت الطبول بغتة فاستغربت صوتها لانني سمعتهُ حينما كنت افكّر في الجنود والقتال فوقفتُ قليلاً لارى من اين اتى الصوت واذا بصوت كوقع اقدام الجنود ولم يكن الاّ قليل حتى انكشفت لي فرقة من الجند معها ضابطان راكبان وكاني عرفت السابق منهما فخفق فؤادي والتفت هو اليَّ ثم صرخ مستغرباً فنظرت اليهِ واذا هو علي بك بعينهِ فكلم رفيقهُ كلمتين ووثب عن ظهر جوادهِ وامسك بيدي وصرخ امينة أأنتِ هنا ما اتى بكِ الى هنا أكنتِ هنا كل هذه المدة

فقلت نعم كما ترى قلتِ ذلك وقد صبغت وجهي حمرة الخجل

فقال نعم عرفتُ كل شيء هربتِ من وجه نافذ لكي يدبّر امرهُ بنفسهِ ولقد احسنتِ لان الامور اصطلحت نوعاً مدةً ما

فقلت لهُ وكيف حال الجميع الآن آهِ لو تدري مقدار تعطشي الى سماع اخباركم. وكانت الفرقة قد مرَّت كلها . فقال كلهم بخير ما عدا هانم افندي . فقلت ما لها ومما تشكو فقال لا تشكو من شيء الآن لانها مضت في العام الماضي الى رحمة ربها

فغمني هذا الخبر جدًّا وقلت وا حسرتاه عليكِ يا اماهُ . ثم قلت لهُ ماذا كان مرضها وما هو سبب موتها . فقال الغم الشديد فقد مرضت لما مضى نافذ الى باريس ثم صلحت صحتها لما تزوَّج عطية لكنها لم تعد تستطيع ان تراهُ حزيناً . ولما قال ذلك تغيَّر وجهي ورأى ذلك فقال انهُ لم يتوفق قط فان عطية هانم لم تحسن السير معهُ ولا مع حماتها واخيرًا اضطرَّ ان يفارقها وكان يكظم الغيظ و يظهر الجلد ويخشى الفضيحة وحاول ان يكبح جماحها و يستر عيوبها فلم يستطع لانها خلعت العذار وتمادت في الشر واخيرًا طلبت منهُ ورقة الطلاق وتزوجت بواحد من ياورية السلطان وكان ذلك الضربة القاضية على هانم افندي . ولم يعاتبها نافذ على ما جرى ولا قال لها كلمة من هذا القبيل اما هي فكانت تعرف ان اللوم كلهُ عليها واخيرًا انفجر عرق في قلبها وقضت نحبها

وكان الحزن قد غلب عليَّ فجلست اسكب العبرات وابكي من كبد حرَّى ولما هدأ روعي قليلاً قال لي ان نافذًا في طرابزون الآن وانا ذاهب اليهِ وقد أُمرت ان ابقى هناك الى ان تعلن الحرب.. ولا بدَّ من ان اخبره عنكِ وساكتب الى البيت ايضاً واخبرهم لان نصرالله باشا يود ان يقف على اخباركِ فماذا تريدين ان اقول لهم

فقلت سلِّم عليهم وقل لهم اني لم انسَ ولا انسى جميلهم ومعروفهم

فقال وماذا اقول لنافذ والآن لم يبقَ مانع يمنع اقترانهُ بكِ الاَّ اذا كنتِ قد تزوجتِ بآخر

فلاح امام عينيَّ ضياء الرجاء وخفق لهُ فؤادي لكني قلتُ لهُ والحياء يكاد يمنعني الكلام لعلهُ غير راية الآن

فضحك وقال أهذا كل اعتراضكِ فهل اقول لهُ انكِ لا تمتنعين عن اجابة طلبهِ اذا كان لا يزال عازماً على الاقتران بكِ . ثم امسك بيدي وباس جبيني وقال ان ادهم باس هذا الجبين مرةً لما اعترفتِ لهُ بحبكِ لاخيهِ وانا احذو حذوهُ والآن لا بدَّ لي من الذهاب فاودعكِ يا بنتي العزيزة الى حين اللقاء

الفصل الثامن عشر

مرَّ شهر كأنهُ عام وتاججت نار الحرب وحمي الوطيس وقلقتُ على نافذ لاني كنت اعلم انهُ في دار القتال ولما لم يأتني خبر منهُ ولا من استانبول خفتُ ان يكون علي بك مخطئاً في ما ظنهُ من رغبة نصرالله باشا في رجوعي الى بيتهِ

وذات يوم كنت في المطبخ فسمعت الباب يقرع ثم دخلت المرأة التي كنت في بيتها وقالت لي اتى رجل جليل القدر يقول انهُ من بيت نصرالله باشا . فخرجت واذا انا بادهم بك نفسهِ فمسكني بيديهِ وقال تعالي يا بنتي تعالي اتيتُ لاخذكِ الى البيت . نافذ في الحرب الآن ولكن ابي امرني ان آتي اليكِ واطلب منكِ ان ترجعي الى بيتهِ كزوجة لابنهِ

ولما رأى ان هذا الخبر حرَّك كل عواطفي تركني وسار الى الشباك ووقف ينظر منهُ الى ان هدأ روعي قليلاً فعاد اليَّ وقال اتستطيعين ان تسافري معي غداً اذ لا بدَّ من رجوعي باسرع ما يمكن

وفي الصباح ودَّعنا الابوين الكريمين اللذين اعتنيا بي هذه السنوات الخمس ودَّعناهما وشكرناهما على فضلهما وجميلهما وسرنا الى استانبول فرحَّبت بي ولية هانم ووحيدة هانم وزادت بهجتي برؤية سنية هانم فانها عادت مع زوجها الى استانبول بعد وفاة حافظ باشا وقدمات بعد احتراق البيت ببضعة اشهر . وقابلني نصرالله باشا بالترحاب وضمني الى صدرهِ وجعل يقبل جبيني والدموع تهطل من عينيهِ وقال لي اصفحي يابنتي عمَّا اسأنا بهِ اليكِ فقد نغَّصنا عيشك وعيش ذلك الولد المسكين

فقلت لهُ اني لا اذكر لكم يا مولاي الاَّ المعروف والجميل فانهُ لولاك ولولا ادهم بك ما وقعت عيني على هذا البيت مرةً أخرى وانا احقُّ بان اطلب الصفح منكم لاني نغَّصت عيش ابنكم

ومرَّت الشهور ونحن على احر من جمر الغضا ننتظر الاخبار من دار الحرب ساعةً بعد ساعة وذهب نافذ بك وعلي بك الى بلاڤنا وحُصرا فيها وحاربا مع حاميتها حرب الابطال

فكنا لا نفتكر بهما الاَّ بالفخر بيسالتهما والخوف على حياتهما الى ان وضعت الحرب اوزارها وابيح لما الرجوع الى البيت وحان يوم الرجوع وكنا في المصيف وأُرسل القايق الذي يأتي بهما فنزلت الى البستان وانا اقول في نفسي انهُ لم يذكر اسمي في تجاريره فلعلهُ نسيني او لم يعد يجبني فيرى انتظاري لهُ هنا طموحاً مني اليهِ وتطالاً الى ما هو فوق طوري . وغصت في هذه الافكار تتجاذبني المخاوف والشكوك الى ان شعرت بواحد دنا مني وقبض عليَّ بكلتا يديهِ وحينئذٍ زال كل شكٍّ من نفسي وبعد قليل نظرت اليهِ وللحال اغرورقت عيناي بدموع الفرح وكان قد نحف واصفرَّ وكثرت الاسارير في جبينهِ أسارير الهموم والغموم ولم يعد جميلاً كما كان ولكنهُ الرجل الذي احببتهُ ولا ازال احبهُ جميلاً كان او غير جميل . ولما استطعت الكلام قلت لهُ عدنا التقينا وهذا ليس حلماً

فقال لا ليس حلماً والحمد لله وما عاد يفرقنا الاَّ الموت وعلى هذه الصورة دخلنا البيت واحدنا ماسك بالآخر

قال معرب القصة . وكُتِب الكتاب تلك الليلة وعاش نافذ بك وامينة هانم على غاية الوفاء والهناء مثالاً للعيشة الزوجية الطاهرة لاتفاق عقليهما وقلبيهما مثالاً يشار اليهِ بالبنان ويستفيد منهُ الاقارب والاباعد ويدل على ان كنوز الفضيلة ومكارم الاخلاق غير نادرة في ابناء المشرق ولو رصدت عاداتهم ابوابها ومنعتها من الظهور احياناً كثيرة

أكان لويجي كورانو مصيباً

او الغذاء الكثير في الطعام القليل

تلا الدكتور فان سومرن مقالة في مجمع الطب البريطاني موضوعها "أكان لويجي كورانو مصيباً" فكان لما وقع عظيم في ذلك المجمع وكثر بحث الاطباء فيها . وكورانو هذا رجل من اشراف البندقية ولد سنة ١٤٦٧ وتوفي سنة ١٥٦٦ كان وهو شاب كثير الترف فمرض وهو في الاربعين من عمرهِ واشار عليهِ الاطباء ان يقلِّل اكلهُ فاقتصر على رطل (ثلث اقة) من الطعام ورطل من الشراب في اليوم وزاد في تقليل طعامهِ رويداً رويداً حتى صار يكتفي ببيضة واحدة في اليوم ولما صار عمرهُ ٨٣ سنة ألَّف كتاباً في اصح الطرق لاطالة العمر واتبعهُ بثلاثة كتب اخرى الَّفها وهو في السنة والثمانين والحادية والتسعين والخامسة والتسعين من عمرهِ . وتوفي وعمرهُ ٩٨ سنة

قال كاتب هذه المقالة فهل كان لويجي كورانو مصيبًا وهل اكتشف اسلوبًا غير معروف للتغذية وهل الاعتدال في الطعام والشراب ضروري لاطالة العمر . لا شبهة في اننا نأكل اكثر مما تحتاج اليهِ ابداننا فما هو المقدار اللازم لها . واجاب عن هذه المسائل بما خلاصتهُ

ان الطبع يقود الانسان الى ما هو صالح لهُ . ونواميس الطبيعة صالحة كلها لا يُضام من يتبعها ولكن مَن يخالفها لا ينجو من عاقبة المخالفة . والمرء يحيا بما يهضمهُ لا بما يأكلهُ فلماذا يأكل ما لا يهضمهُ

كثيرًا ما يأتينا مريض يشكو من النقرس او من سوء الهضم (الدسبسيا) فنسألهُ عن اعراض مرضهِ ونصف لهُ الطعام اللازم والدواء النافع ولا نقول لهُ كلمةً عن اسنانهِ ولعابهِ فيعود الينا بعد ايام اصلح حالاً او اسوأ . فان كان اصلح يبقى كذلك مدة استعمال العلاج ثم يعود الى حالهِ الاولى حالما يتركهُ . واذا كان اسوأ حالاً غيَّر علاجًا بعد علاج الى ان يالف الداء ولا يعود يعبأ بالدواء او يجعل دأبهُ الانتقال من طبيب الى آخر على غير جدوى . ولم يولد الانسان ليقتصر على طعام واحد وتكون زجاجة الدواء في جيبهِ دائمًا ولا ليكون دأبهُ التردُّد على الاطباء واماكن المعالجة . ولكن مَن خالف الطبع وناقض نواميس الكون لا تُرجَى لهُ راحة ولا ينجو من ضيم

في الحلق رقيب يرقب الطعام ويدل الانسان على ما يصلح ابتلاعهُ منهُ وما لا يصلح ويبين لهُ ايضًا متى يحسن ابتلاع ما يصلح ابتلاعهُ لكننا خالفنا هذا الرقيب منذ الصغر باعتيادنا السرعة في الاكل فلم يعد يقوم بعملهِ على ما يُرام

نبهني بعضهم في الخريف الماضي الى شيءٍ اصابهُ في حلقهِ فصار لا يستطيع ابتلاع طعام ما لم يحسن مضغهُ وقال انهُ شعر بذلك من حين اخذ يمزج طعامهُ باللعاب جيدًا وهو يمضغهُ حتى يزول منهُ طعمهُ الاصلي فاذا صار الطعام في فيهِ خاليًا من الطعم لم يعد يسهل بلعهُ الاَّ اذا مضغهُ جيدًا . ومن حين اخذ يمضغ طعامهُ على هذه الصورة شفي من مرضين مزمنين كانا فيهِ وكانت شركات ضمانة الحياة تمتنع من ضمان حياتهِ بسببهما . وكان وزنهُ ٢٠٥ ارطال (ليبرات) فصار ١٦٥ رطلاً ولم يغير اشكال الطعام التي كان يأكلها لكنهُ قلل مقدارهُ ولما رأت شركات ضمان الحياة انهُ شفي من مرضيهِ وجادت صحتهُ ضمنت حياتهُ وكتب كتابًا موضوعهُ الافراط في الطعام

وقد جرَّبتُ تجارب كثيرة في نفسي وفي غيري فثبت لي منها ان نفع الطعام وضررهُ ليسا في نوعهِ بل في طريقة مضغهِ وازدرادهِ . وان في الاطعمة كلها شيئًا من الحموضة ولكن

الطعام الذي يمضغ جيداً تزول حموضتهُ ويصير قلوياً لان مزجهُ باللعاب وقت مضغهِ يزيل حموضتهُ . والطعام الخالي من الطعم لا يدعو الى افراز اللعاب واذا أُفرز شيء منهُ لا يكون قلويَّ الفعل . ولا يسيغ الحلق بلع الطعام الخالي من الطعم قبل مضغهِ جيداً فلا يُبلَع الاَّ بجهد . اما الطعام السائل المغذي كالمرق واللبن والشاي والقهوة والاشربة المختلفة فيجب مزجها باللعاب كأنها طعام جامد ليسوغ بلعها ويسهل هضمها اذا شربها البالغون اما الماء فلا طعم لهُ ولذلك لا يحتاج الى ان يمزج باللعاب فيقبلهُ الحلق ولا يمنع ابتلاعهُ ..

وخلاصة ما تقدَّم ان الحلق (وما جاورهُ) اذا اعتاد الطعام الذي صار قلوياً بمزجهِ جيداً باللعاب يصير يرفض الطعام الذي فيهِ حموضة فيصعب عليهِ بلعهُ . وقد جربتُ ذلك في واحد وثمانين شخصاً من امم مختلفة عوَّدتهم مزج طعامهم بلعابهم فصاروا لا يستطيعون ابتلاعهُ ما لم يمضغوهُ جيداً . وعندي ان سوء الهضم يزول تماماً اذا اعتاد الناس ان يمضغوا طعامهم حتى يزول طعمهُ ويبتلع بسهولة من تلقاء نفسهِ لا بجهد منهم . اي يجب ان يمضغ الطعام جيداً وتزول حموضتهُ قبل بلعهِ اما الطفل الذي لا يفرز لعابهُ في الاشهر الاولى من حياتهِ فيكون في ثدي امهِ مادة قلوية تقوم مقام اللعاب ثم يكثر لعابهُ حينما تظهر اسنانهُ وحينئذٍ يتعلَّم مضغ الطعام لمزجهِ باللعاب

اطعمت اربعةً اللبن وجعلتهم يقتصرون عليهِ الاول كان يشربهُ كما يشرب الماء فبعد ثلاثة ايام عافهُ ولم يعد يستطيع شربهُ وطلب مني ان اعفيهُ منهُ . وبقي الثاني والثالث والرابع يشربون اللبن سبعة عشر يوماً لانهم كانوا يمزجونهُ بلعابهم جيداً وكان الرابع يمزجهُ اكثر من رفيقيهِ ويشرب منهُ اكثر منهما ومع ذلك لا يخرج من برازهِ قدر ما يخرج من برازهما . ويستنتج من ذلك ان مزج اللبن باللعاب يسهّل بلعهُ وهضمهُ وامتصاصهُ . وكان الرابع يشرب اكثر من رفيقيهِ كما تقدَّم ولكن لم يزد ما كان يشربهُ في اليوم على لترين (بجوانة ونصف) ومع ذلك لم يخف وزن احد منهم بعد الثلاثة الايام الأُوَل وبقوا يشربون اللبن بشهيَّة كل مدة الامتحان فدلَّ ذلك على ان القليل من اللبن يغذي الجسم جيداً ويكفيهِ اذا مضغهُ الانسان قبلما يشربهُ واحسن مزجهُ بلعابهِ

وقد عُلم منذ القرن السابع عشر ان الرئتين والكليتين والجلد والامعاء تفرز كلها الفضول التي لا يحتاج الجسم اليها والتي اذا بقيت فيهِ اضرَّت بهِ ولم تكن حقيقة هذه الفضول معروفة ولكن كان يُعلم ان الجسم يبقى على حالهِ سواءٌ زاد الطعام او قلَّ اي انهُ يغتذي بما يحتاج اليهِ من الطعام ويفرز ما لا يحتاج اليهِ . وها كم تجربتين الواحدة للدكتور سنيدر من اطباء ديوان

الزراعة في الولايات المتحدة الاميركية والثانية لكاتب هذه السطور يظهر منهما مقدار الطعام ومقدار ما يغتذي بهِ الجسم منهُ

	تجربة الدكتور سنيدر	تجربتي
عمر الرجل	٢٢ سنة	٣٠ سنة
مدة التجربة	٤½ يوم	٥ ايام
عدد الاكلات	١٣	١٠
بطاطس يومياً	١٥٨٧ غراماً	١٥٩ غراماً
بيض "	٤١١ "	١٢٤ "
لبن "	٧١٠ سنتيمترات مكعبة	٧١٠ سنتمترات مكعبة
زبدة "	٢٣٧ " "	٢٣٧ " "
بولهُ "	١١٠٣ غراماً	١٠٩٨ غراماً
برازهُ "	٢٠٤ غرامات	١٩ غراماً
ثقلهُ عند ابتداء التجربة	٦٢,٥ كيلو	٥٧,٣ كيلو
" " انتهاء "	٦٢,٦ "	٥٧,٥ "

فكان الدكتور سنيدر يطعم الرجل الذي جرَّب فيهِ ثلاثة ارطال ونصف رطل من البطاطس وثماني بيضات ورطلاً ونصفاً من اللبن ونصف رطل من الزبدة كل يوم وانا كنت اطعم الرجل الذي جربت فيهِ ثلاث بيضات فقط واضيف اليها من البطاطس ما يجعل وزنها رطلاً واحداً واطعمهُ من اللبن والزبدة كما اطعم الدكتور سنيدر . وكان الرجل الذي امتحن فيهِ مساعداً لهُ في معملهِ يعمل الاعمال العادية في المعمل واما الرجل الذي جربتُ فيهِ انا فكان يلعب ستة ادوار بالتنس كل يوم او يركب ساعة ونصفاً على حصان ويمشي ساعةً ونصف ساعة ويقرأُ ويكتب كثيراً . وبقي ثقل جسميهما على حالهِ لكن الرجل الذي جربت فيهِ انا كان طعامهُ من البيض والبطاطس نحو سدس طعام الرجل الذي جرب فيهِ الدكتور سنيدر كما يرى من الجدول السابق

ولا يخفى ان تعب الجسم واعضاء الهضم بالمقدار القليل من الطعام اقل من تعبها بالمقدار الكثير وزدْ على ذلك ان الامعاء كانت تضطر في الحالة الاولى الى افراز ٢٠٤ غرامات من الفضول الخبيثة واما في الحالة الثانية فلم تضطر الاَّ الى افراز ١٩ غراماً

وقد زعم البعض ان لميكروبات التي في الامعاء شأناً كبيراً في الهضم ثم ثبت فساد هذا

الزعم وظهر بالامتحان ان الحيوان يهضم طعامهُ جيداً ولو لم يكن في امعائهِ شيءٌ من الميكروبات فان كانت الميكروبات كثيرة في الامعاء فلا بدَّ من ان تفرز مواد سامَّة تصل الى الدم وتتوزع منهُ في الجسم مع دقائق الغذاء التي هي قوامهُ . فان كانت الدقائق التي يبنى منها الجسم مصحوبة بالسم أفلا يسقم وتضعف اعضاؤهُ عن قضاء وظائفها وتقصر الحياة وتزيد آلامها . وكيف لا تكثر الميكروبات في الامعاء والطعام كثير لا تهضمهُ الاَّ بالعناء الشديد فيفسد فيها ويصير اصلح شيء لنمو الميكروبات . وكيف يكون الدم حاوياً مواد سامَّة ويستطيع ان يساعد الجسم على مقاومة ميكروبات الامراض وسمومها بل كيف لا يكون مستعدًّا لها تمام الاستعداد . واما اذا كان الطعام قليلاً على قدر حاجة الجسم فقط هلكت ميكروباتهُ في المعدة بفعل عصارتها الحامضة وقلَّت الميكروبات التي في الامعاء رويداً رويداً حتى تزول منها لانهُ لا يبقى لها شيءٌ تغتذي بهِ فلا تعود تفرز سمًّا يمتصهُ البدن فيصلح حال الجسم كلهِ ويزيد مضاء العقل وتقلُّ الشهية الشديدة للطعام

والامور التي ذكرتها اخيرًا بعضها مبنيٌّ على الامتحان وبعضها يستنتج استنتاجاً ويؤيدها ان مبرزات الامعاء ومفرزات الكليتين والجلد تصير خالية من الرائحة الخبيثة تقريباً . وتقلُّ المبرزات كثيرًا وتخرج مغطاة بمادة مخاطية فتترك آخر الامعاء جافًّا نظيفاً ويشعر المرء بالنظافة ظاهرًا وباطناً ولا يعود يصيبهُ شيءٌ من التطبل وتزول رائحة البول الكريهة ويتغير تركيبهُ الكيماوي . واذا استمرَّ المرء على التأني في اكلهِ ومضغ طعامهِ جيداً تتولَّد فيهِ ملكة جديدة لتمييز الطعام النافع من غير النافع ولمعرفة المقدار الكافي منهُ ولا يعود يأكل الاَّ ما يحتاج جسمهُ اليهِ اي ما يكفي لنموهِ والتعويض عمَّا يندثر منهُ يومياً . وكل ما زاد على ذلك فمنهُ ضرر . وتزيد لذة الاكل وتقلُّ كمية الطعام جدًّا ويصير المرء يفضل الاطعمة البسيطة على غيرها

ولا يتصوَّر كاتب هذه السطور الآن انهُ يوجد طعام الذ من الخبز والبيض والزبدة والجبن . هذه المواد مع الخضر الطرية وقليل من الفاكهة هي طعامهُ الذي يعتمد عليهِ دائماً . وكل الذين عاد فيهم رقيب الحلق الى فعلهِ الطبيعي وهو منع الطعام من الدخول الى المعدة قبلما يمضغ جيدًا يقولون قولهُ ويفضلون الطعام البسيط على غيرهِ . وينتج من الاقتصار على هذا الطعام القليل الكمية ان الهضم يجود والتمثيل يكثر والنفقات تقل وتقل ايضاً المبرزات في كميتها وفي مرَّات خروجها حتى لا تعود تخرج الاَّ مرَّة كل خمسة ايام الى ثمانية ولا يبقى محل للقبض ولا للاسهال

هذا من حيث نتائج اعادة الحلق الى وظيفتهِ اما هذه الاعادة فليست بالامر السهل لان عادة اعتادها الانسان وجرى عليها سنين كثيرة لا يستطيع ابطالها في ايام قلائل . واقصر

مدة اعيد بها فعل الحلق اربعة اسابيع ولم يتم ذلك الاَّ بالانقطاع عن الحديث مدة الطعام وحصر الفكر كلهِ في ابقاء الطعام في الفم ومضغهِ جيداً الى ان يصير قلوياً ويزول طعمهُ

واقول في الختام ايها السادة ان حفظ الصحة يقوم باعادة هذا الفعل المنعكس الى الحلق وما يجاورهُ وحينئذٍ تجري التغذية مجراها الطبيعي ويزول من الجسم ما يعدهُ للمرض والالم

ديوان حافظ

نشر حضرة الكاتب البليغ والشاعر الشهير محمد حافظ افندي ابرهيم الجزء الاول من ديوانهِ في ستة ابواب المديح وشكوى الزمان والوصف والخمريات والمراثي والمقاطيع مفتتحاً بمقدمة بليغة في الشعر يتلوها مقدمة اخرى لشارحهِ حضرة الكاتب المدقق والشاعر المجيد محمد هلال افندي ابرهيم ومذيلاً بتقاريظ نخبة من افاضل الشعراء

ولقد طالعناهُ بقدر ما وسعنا الوقت فرأينا ان حضرة ناظمهِ توخى فيهِ المسلك الجديد الذي دلَّ عليهِ في مقدمتهِ بقولهِ " ان خير الشعر ما سبق دبيبهُ في النفس دبيب الغناء ثم سبح بها في عالم الخيال " وعلى هذه الخطة المثلى جرى اكثر شعراء هذا العصر الذين غاروا على الشعر العربي غيرة الضرائر وشقَّ عليهم ان يبقى اسير التقييد والتقليد مكبلاً بسلاسل الاحتذاء ومحصوراً في ابواب لا يتجاوزها واساليب لا يتعدَّاها فأخذوا يمزّقون عنهُ تلك القيود ويدأبون على استرجاع مزيتهِ الضائعة ورونقهِ المفقود واستعادة مقامهِ الحقيقي بين الفنون الجميلة اي ان يكون حيًّا مؤثرًا يفعل في نفس سامعهِ ما يفعلهُ التوقيع الحسن والصورة الجميلة . او ما يفعلهُ الشعر نفسهُ في اللغة الانكليزية والفرنسوية وغيرهما من اللغات الاجنبية . وقد يصعب على الذين لا يعرفون غير اللغة العربية ان يدركوا الفرق العظيم بين مقام الشعر في لغتنا ومقامهِ في احدى اللغات الاوربية ولكننا اذا استفتيناهم في مئات من القصائد العربية وكانوا من المنصفين حكموا فيها ما يحكمهُ كل ذي ذوق سليم وقالوا انها ليست من الشعر في شيء وان هي الأ كلام موزون . اما الشعر الانكليزي مثلاً فقلَّ ان تجد فيهِ ما يصحُّ تطبيق هذا الحكم عليهِ وهكذا الفرنسوي والالماني وغيرهما . اذًا شعرنا قاصرٌ جداً عن مجاراة الشعر الافرنجي على انهُ لا يصحُّ نسبة هذا القصور الى لغتنا وهي مشهورة بسعتها وغناها بل شعراؤنا انفسهم هم المطالبون بهِ والمسؤُولون عنهُ . واسباب قصورهم كثيرة منها انشغافهم بالتقليد في ما ينظمونهُ فيخالفون شعور النفس في سبيل التحدّي والاقتداء حرصاً على الاتيان باحدى النكات البيانية او

المحسنات البديعية او التعابير الشعرية العربية التي لاكتها الالسنة من ايام الجاهلية . قلنا انهم يخالفون شعور النفس ولا ندري كيف يصح بعد ذلك ان يُسمَّى مثل هذا الكلام شعرًا . ومنها تكلُّف النظم او محاولتهُ حين لا تجد النفس اقل هشاشةٍ اوارتياح اليهِ فيأتونهُ وقد اعتاص عليهم لجموح الخاطر او جمود القريحة وينسون ان الشعر شعورٌ او إلهام يهبط على نفوس الشعراء هبوط الوحي على الانبياء ولهُ اوقات خاصةٌ وعوامل معينة تفعل في النفس فتشعر فتقول . وعبثًا يحاول الشاعر ان يقول طمعًا في حمل النفس على الشعور . وشعراؤنا لا يراعون هذه القاعدة غالبًا بل يستسلمون الى الاضطرار والإكراه فيمدحون او يرثون او يتغزلون وهم غير شاعرين بمؤثرٍ دافعٍ الى شيء من ذلك . ولعلَّ هذه الحقيقة من اكبر الحزازات الغاشية صدورهم فلا يحسن بنا ان نثير دفينها ونحرك سكونها

وشاعرنا حافظ افندي عالم حق العلم بهذا القصور وقد نهج مثل كثيرين من شعراء العصر منهج الإصلاح . لكنَّ الطفرة محال وطريق الإصلاح وعث كؤود لا يسهل قطعهُ بلا تحمل المشاق والاتعاب . فقد جرى في كثير من ديوانهِ على ما ذكرهُ في المقدمة فجاء شعرهُ سابحًا بالنفس في عالم الخيال واكثر ما ترى ذلك في باب شكوى الزمان ولا سيما في ما كتبهُ الى محرر المرأة في القصيدة التي مطلعها

لحاظك والايامُ جيش احاربهُ فهذي مواضيهِ وهذي كتائبهُ

وفي القصيدة التي مستهلها

تناءيت عنكم فحلَّت عرى وضاعت عهودٌ على ما ارى

وفي باب الوصف وقد اجاد فيهِ ما شاء بقصيدة " دولة السيف ودولة المدافع " وهي

يا دولة القواضب الصقالِ وصولة الذوابل الطوالِ
كم شدت بين الاعصر الخوالي ممالكًا غزيرة المنالِ
قامت بحد الابيض الفصَّالِ ومن ذاك الاسمر العسَّالِ
راحت بها الايام والليالي وخلفتها دولة الجلالِ
مملكة المدفع ذات الخالِ قامت بحول النار والزلزالِ
فارهبت افئدة الابطالِ ارهبها مزعزع الجبالِ
ومفزع الليوث في الدحالِ وقاطع الآجال والآمالِ
وخاطف الارواح من اميالِ يثور كالبركان في النزالِ
فيتبع الاهوالَ بالاهوالِ ويرسل النار على التوالي

فيحطم الهامَ ولا يبالي ما كوكب الرجم هوى من عالِ
فرٌّ كالفكر سرى بالبالِ على عنيدٍ ماردٍ محتالِ
مسترق للسمع في ضلالِ من عالم التسبيح والاهلالِ
امضى وانكى منهُ في القتالِ اذا سرت قنبلةُ الوبالِ
من فمهِ المحشوّ بالنكالِ ينذرهم في ساحة المجالِ
بالبرقِ والرعدِ وبالآجالِ ولم يكن كذلك الختّالِ
يحزُّ في الهام وفي الاوصالِ بصامت قول ناطقَ الفعالِ
رأيتهُ كالقوم في المثالِ مالوا عن القول الى الاعمالِ

فامتلكوا ناصية المعالي

وفي قصيدة "الكساء" وهي من ابيات شعره . ولهُ شيءٌ كثير من ذلك في بابي المراثي والمقاطيع . لكنَّ المسلك الجديد الذي خطهُ في المقدمة لم يستطع استطراقهُ في بعض مدائحهِ ومراثيهِ واكثر خمرياتهِ ومقاطيعهِ وكأنَّهُ لم يقوَ على استئصال شأفة التقليد من ذهنهِ فأتاهُ سهواً او اضطراراً وجاء نظمهُ فيهِ كلاماً موزوناً لا شعراً شاعراً . فمن المدح قولهُ من قصيدةٍ

والملكُ فوقَ سرير الملك تحرسهُ عينُ الالهِ وترعى أعينُ الشُّهُبِ

ومنها

فهو ابنُ اكرم من سادوا ومن ملكوا وهو الاب المفتدى للسادة النُّجبِ

ومن قصيدة أُخرى قولهُ

اني فتحتُ لها صدراً تليق بهِ ان لم تحاوهُ فلرحمن حلاَّهُ
لم اخشَ من احدٍ في الشعر يسبقني الاَّ فتى ما لهُ في السبقِ الاَّهُ

ومن الخمريات قولهُ

هذا الظلام أثار كامن دائي يا ساقيَّ عليَّ بالصهباء
بالكاس او بالطاس او باثنيهما او بالدنان فان فيهِ شفائي

ومنها يا صاحبي كيف النزوع عن الطلا ولقد بليتُ من الهموم بداء
والليل ارشدهُ ابوهُ لشقوتي وكذا البنون على هوى الآباء

ومن قصيدة أُخرى

اوشك الديك ان يصيح ونفسي بين همٍّ وبين غمٍّ وحدسِ

يا غلامُ المدامَ والكاس والطا سَ وهيِّئْ لنا مكانًا كناسِ
واطلق الشمس من غياهب هذا الدَّ نِّ واملأ من ذلك النور كاسي
واذن الصبح ان يلوح لعيني من سناها فذاك وقت التحسي

ومن المراثي قولهُ

اني ليحزنني ان جاء ينشدهُ داعي المنون واني غير منشودِ
أمست تنافس فيك الشهب من شرفٍ ارضٌ تواريتَ فيها يا فتى الجودِ

ومن قصيدةٍ أُخرى

عطِّلت فنّ الشعر بعدك وانطوى أَجلُ القريضِ وموسم الشعراء

ومنها

شوقتنا للترب بعدك واشتهى فيهِ الاقامة واحد العذراء

ومن مقاطيعهِ قولهُ

اخي والله قد مُلئ الوطابُ وداخلني بصحبتكَ ارتيابُ
رجوتك مرةً وعتبتُ اخرى فلا اجدى الرجاء ولا العتابُ
نبذت مودتي فاهنأ ببعدي فآخر عهدنا هذا الكتاب

وقولهُ

ظبيَ الحمى باللهِ ما ضرَّكا اذا رأينا في الكرى طيفكا
وما الذي تخشاهُ لو انهم قالوا فلانٌ في الهوى عبدكا
قد حرَّموا الرقَّ ولكنهم ما حرَّموا رقَّ الهوى عندكا

فلا نظنُّ شاعرنا البليغ يقول بشعريَّة مثل هذه الابيات ولا نراهُ يدَّعي لها اقلَّ قوةٍ على ان تسيح بالنفس خطوة واحدة في عالم الخيال لانها منظومة في معانٍ تناهبتها الخواطر وتنازعتها القرائح فلم يعد لها في النفس شيء من التأثير فضلاً عن انها عاطلة الجيد من حلى السهولة والانسجام والرصانة والرشاقة والمتانة وغيرها مما ازدانت بهِ عرائس هذا الديوان العامر بآيات البلاغة وبينات البيان

فالناقد البصير يرى منظومات شاعرنا البليغ مشهدًا للشعر الحديث الذي ارادهُ وتوخاهُ ومثالاً للشعر القديم الذي تنكَّبهُ ولكنهُ اتاهُ وقد لا يودُّ ان يكون اتاهُ وهو على الجملة شاهدٌ عدلٌ لحضرة الناظم بتوقُّد القريحة ومضاء الخاطر. واستحقاقهِ للشكر العطرِ والثناء الوافر

القاهرة اسعد داغر

الصحيح من الفراسة

تمهيد

الفراسة او الفزيوغنوميا مثل السحر والتنجيم من الموضوعات التي يرغب الناس فيها وتشغلهم بمخائفها عن الجواهر كما قلنا في جزء سابق . بل هي والتنجيم اخوان وقد استُنبط التنجيم مساعداً لها وعاش بهما قليلون من المحتالين على نفقة كثيرين من المجانين كما قال الاستاذ منتغزا الايطالي في كتاب الفهُ حديثاً في الفراسة طبع اولاً سنة ١٨٩٠ . ويطلق على الفراسة اسم العلم توسعاً وهي في الحقيقة صناعة لم تصر علماً حتى الآن اي ان معلوماتها التي اثبتها البحث والتمحيص قليلة ولم تبوَّب حتى الآن ولا رُدَّت الى قواعد كلية . هذا ما يقولهُ فيها العلماء المحققون قالت انسكلوبيذيا تشمبرس المطبوعة سنة ١٨٩١ " الفراسة صناعة الاستدلال على اخلاق الانسان من هيئتهِ الخارجية وهي مبنية على اعتقاد قديم مفاده' ان بين هيئة الوجه وملامحهِ وبين اخلاق الانسان واحوال عقلهِ ارتباطاً شديداً . و يعلم كل احد انهُ يستنتج نتائج من هذا القبيل يثق بها كثيراً او قليلاً في معاملاتهِ وقد حاول كثيرون وضع قواعد لاستنتاج هذه النتائج حتى ترتقي صناعة الفراسة الى مقام العلم لكن حبطت اعمالهم "

وقال العلاَّمة منتغزا في الكتاب المشار اليهِ آنفاً " يدعي بعض الناس انهم خُصوا بقوَّة من الفراسة يميزون بها اخلاق المرء و يعرفون ما اذا كان صالحاً او طالحاً مخلصاً او مرائياً كريماً او بخيلاً شجاعاً او جباناً وقد يصيبون في مزاعمهم بعض الاحيان لان قوة الملاحظة شديدة فيهم وقد مرَّنوها حتى قويت كما تقوى سائر قوى العقل بالتمرين ولكنهم يخطئون اذا حاولوا ان يتخطُّوا الصناعة الى العلم اي ان يضعوا القواعد والقوانين لما هو مقتصر على ثمار اختبارهم وذكائهم" الى ان قال " ومن يتعلم قواعد اهل الفراسة ويحاول تطبيقها على مَن يراهُ من اهل زمانهِ يجد ان لافاتر[1] خدع نفسهُ تسعين مرةً من كل مئة مرة او ان اهل عصرهِ لا يشبهون اهل عصرنا [2] مع ان في كتاب لافاتر من المعلومات ما ليس في كتاب

(١) لافاتر Lavater هو يوحنا كسبر لافاتر القس السويسري ولد بزورك سنة ١٧٤١ واشتهر اولاً بنظم الشعر والتصوُّف او ما يماثله وسيم قسيساً وبحث في الفراسة بحثاً مستفيضاً وجمع معلومات كثيرة نشرها في كتاب كبير ترجم الى اللغة الانكليزية منذ سنة ١٧٩٢ وطبع في ثلاث مجلدات فيها كثير من الغث وقليل من السمين مثل اكثر ما كتبهُ اصحاب الفراسة

(٢) قيل ان زمرمن صديق لافاتر بعث اليهِ مرةً برسم رجل وكتب اليهِ كتاباً مع الرسم يسألهُ عنهُ . وكان لافاتر ينتظر رسم هردر الفيلسوف الالماني المشهور فلما وصل اليهِ هذا الرسم اطنب في وصف

آخر غيره من كتب الفراسة ما عدا كتب دلاَّ بورتا (٣) الذي فصل بين الفراسة والتنجيم"

وجمع صديقنا الاستاذ مكلستر تاريخ الفراسة وزبدة مباحثها في اقل من ثلاث صفحات في الطبعة الاخيرة من الانسكلوبيذيا البريطانية مع ان مقالة علم الفسيولوجيا التي اتت بعدها ملأت ٥٦ صفحة اكثرها بالحرف الدقيق . وابان" ان القدماء كانوا يعتقدون بالفراسة كما يعتقدون بالسحر والتنجيم الى ان تقدَّم علم التشريح في القرن السابع عشر فضعف الاعتقاد بها وزاد اهمالها في القرن الثامن عشر ولكن فصاحة لافاتر وتقواهُ ومهارتهُ في التمثيل شهرت كتابهُ في هذا الموضوع شهرةً لا يستحقها لانهُ دون الكتاب المنسوب الى ارسطوطاليس . ولم يقم بعد لافاتر مؤلف مشهور ثم جاءت الفرينولوجيا فكانت الضربة القاضية على الفراسة"

واول من بحث عن ملامح الوجه بحثاً علمياً هو السر تشارلس بل (٤) في كتاب نشرهُ سنة ١٨٠٦ في تشريح الملامح ومن ثمَّ صار للفراسة اساس علمي لكنها تجرَّدت من اكثر مزاعم لافاتر وغيره من الذين جاءوا بعدهُ او قاموا قبلهُ ولذلك لم نعبأ بشيءٍ من مزاعم المتقدمين ومن حذا حذوهم من المتأخرين فلم ننشر شيئاً منها في المقتطف الاَّ عرضاً كما اننا لم ننشر شيئاً عن السحر والتنجيم الاَّ ما نبين بهِ فسادها . اما وقد دعت الحال الآن الى ذكر ما يصح الاعتماد عليهِ من الفراسة او من دلالة الملامح على العواطف كما اثبتهُ اهل البحث والتحقيق فاعتمدنا على احدث كتاب علمي وُضع فيها وهو كتاب الاستاذ منتغزا رئيس الجمعية الانثربولوجية الايطالية

ولا يراد بدلالة الملامح ما يظهر من شكلها التشريحي كاتساع الفم وضيقهِ وكبر الانف وصغرهِ وطول الحاجبين وقصرها بل كيفية التعبير عن العواطف بحركاتها كالضحك وتوسيع المنخرين وتقطيب الحاجبين فانهُ قد يوجد رجلان الواحد صغير العينين افطس الانف واسع الفم والثاني كبير

قوى صاحبهِ العقلية وقريحتهِ الشعرية وكان الرجل من الجهلة القتلة الذين حكم عليهم بالقتل فتأمل

(٣) دلاَّ بورتا Della Porta طبيب من اهل نابولي ولد سنة ١٥٤٣ وتوفي سنة ١٦١٥ الَّف كتباً كثيرة في الفسيولوجيا والزراعة والسحر الطبيعي والفراسة

(٤) هذا ما ذهب اليهِ الاستاذ مكلستر الشهير ويقول الاستاذ منتغزا ان كمبر الجراح الهولندي الشهير مكتشف دلالة الزاوية الوجهية هو اول من وضع اساساً علمياً للفراسة وقد نشأ كمبر في اواخر القرن الثامن عشر فانهُ توفي سنة ١٧٨٩ الاَّ ان الاستاذ منتغزا عاد فقال ان كتاب تشريح الملامح وفلسفتها الذي وضعهُ السر تشارلس بل هو اول كتاب في دلالة الملامح مع ان الفضل في درسها درساً علمياً حفظ لدارون لانهُ اول من بحث عن اسبابها الطبيعية في الانسان والحيوان وبينهُ وبين دلا بورتا قرنان انتقلت الفراسة فيهما مما يماثل التكهن والتنجيم الى اساليب البحث العلمي. كانت اولاً افكاراً قليلةً ممزوجة بجمٍّ من الاوهام والتخرُّصات فصارت حقائق قليلة ممزوجة بكثير من الظنون والشكوك . وبين كتاب دلاَّ بورتا وكتاب دارون بون شاسع الاول خيالات واوهام والثاني ارض ثابتة يسير الانسان عليها عالماً انهُ سائر في طريق العلم

العينين اقني الانف صغير الفم ويضحك كلاهما اذا فرحا ضحكاً واحداً وتظهر على وجهيهما امارات المحبة والبغضة على اسلوب واحد اي ان دلالة ملامحهما على عواطفهما تكون واحدة ولو اختلفت ملامحهما شكلاً اختلافاً كبيراً . ولا بدَّ من وصف ملامح الوجه اي اعضائهِ المختلفة قبل الكلام عمَّا ما يبدو عليها من امارات اللذة والالم والحب والبغض ونحو ذلك مما ستقف عليهِ مفصَّلا

الفصل الاول في الوجه وملامحهِ

الوجه مرآة النفس يبدو عليهِ ما يخامرها من فرح او ترح وحب او بغض ولذَّة او الم . وقد بالغ بعضهم في دلالتهِ وقالوا ان اخلاق المرء تبدو على وجههِ . ولقد احسن ابن الرومي في عدم اطلاقهِ ذلك حيث قال

له ُ محيًا جميلٌ يستدَلُّ بهِ على الجميل وللبطنان ظهرانُ
وقلَّ من اضمرت خيرًا طويتهُ الاَّ وفي وجههِ للخير عنوانُ

وفاقهُ ابو تمام واصاب كبد الحقيقة حيث قال

واني رأَيتُ الوسم في خُلُق الفتى هو الوسم لا ما كان في الشعر والجلدِ

اي ان الجمال هو جمال الاخلاق لا جمال الوجه ولا يدلُّ هذا على ذلك دلالة قاطعة . ومثل ذلك قول ابي الطيب المتنبي

وما الحسن في وجه الفتى شرفًا لهُ اذا لم يكن في فعلهِ والخلائقِ

قابلْ قول هذين الشاعرين الحكيمين وتجرُّمهما بما قالهُ لافاتر كبير اهل الفراسة من الاوربيين قال سأل بعضهم عالمًا من علماء الفراسة ما هي قيمة وجهي عندك فقال العالم ان ذلك صعب تقديرهُ فقال الرجل ان قيمتهُ الف وخمسمئة ريال لان التاجر الفلاني ائتمنني على هذا المبلغ حينما رأى وجهي. وقال ايضاً جاء رجل الى الكونت فلان لشغل ما ولما قضى شغلهُ ودَّعهُ ليخرج فلم يدعهُ الكونت يخرج من بيتهِ فقال لهُ الرجل على مَ تمنعني من الخروج فقال لاني ارى الشر في وجهك واني اقرأُ فيهِ انك عازم على قتل واحد . فقال الرجل ألي تقول هذا القول. فقال نعم انك عازم على قتل واحد. فاصفرَّ وجه الرجل واعترف بما كان عازمًا عليهِ وهو قتل انسان واخرج فردًا من جيبهِ وسلمهُ للكونت فبالغ الكونت في نصحهِ حتى صرفهُ عن هذا العزم. بمثل هذه الخرافات شحن لافاتر كتابهُ وعلى مثلها بنى احكامهُ وهو يحسب الناس اطفالاً تجوز عليهم

وتختلف وجوه الناس باختلافهم حتى لا تجد اثنين متشابهين تمام المشابهة الاَّ نادرًا

جداً واذا امعنت النظر وجدت بين الوجهين المتشابهين فروقاً كثيرة تميز احدهما عن الآخر ولولا ذلك لالتبس زيد بعمرو وتعسرت المعاملات او تعذرت

والمميز الاكبر للوجوه العينان حتى اعتاد القتلة ان يشوهوا عيني القتيل لتتعذر معرفتهُ . غطِ وجهك كلهُ ببرقع لا يظهر منهُ الاَّ عيناك وانفك وشفتك العليا فلا تخفى على احد من معارفك واما اذا غطيت عينيك وحاجبيك واعلى انفك خفيتَ على كل معارفك. وتحرك العينان وملامح الوجه كلها حركات تدلُّ على عواطف النفس الادبيَّة والعقليَّة وعلى حالات الانسان الفسيولوجيَّة كما يدلُّ شكلها على جنسهِ وجمالهِ. فلملامح الوجه خمس دلالات شكلها يدلُّ على جنس المرء من حيث كونهُ ابيض او اصفر او اسود قوقاسياً او مغولياً او زنجياً او ما بينها من الاجناس المختلفة . ويدلُّ ايضاً على كونهِ جميلاً او غير جميل . وحركاتها تدلُّ على احوال الجسم الفسيولوجيَّة كالجوع والألم وانفعالات النفس الادبيَّة والعقليَّة كالحب والبغض والتبصُّر والتخيُّل

وقد بحث اهل الفراسة وعلماء الانسان (الانثربولوجيا) وارباب صناعة التصوير والنقش في هذه الملامح على اساليب مختلفة فاهل الفراسة وقفوا على معلومات قليلة مزجوها بما لا يحصى من التخرُّصات مما يدلُّ على فقر علمهم وغنى وهمهم . وترى في كتبهم الوفاً من القواعد الموضوعة ليس بينها قاعدة تدلُّ على اخلاق المرء ودرجة عقلهِ من ملامح وجههِ دلالة صحيحة مضطردة . وعلماء الانسان اكثر همهم مصروف الى شكل الراس والدماغ لا الى ملامح الوجه مع ان للملامح شأناً في الدلالة على طوائف الناس . واما ارباب التصوير والنقش فبحثوا عن الملامح ولهم قواعد وضعوها وجروا عليها للتمييز بين الجميل والقبيح وما بينهما من الدرجات المختلفة . وهاك كلاماً موجزاً عن كل عضو من اعضاء الوجه من حيث شكلهُ وما يبنى عليهِ

الجبهة — اتفق اكثر الواصفين على ان الجبهَ اي اتساع الجبهة وشخوصها اجمل من الغمَم اي ضيقها حتى يكاد شعر الراس يبلغ الحاجبين . ويزيد قبحها اذا كانت غائرة اي راجعة الى الوراء كجباه بعض الزنوج والبلهِ . وهذا الفرق بين الجباه ينطبق على ما يرى من الفرق بين طوائف الناس فالطوائف المرتقية يغلب فيها الجبَه والطوائف المنحطَّة يغلب فيها الغمَم مع كبر الصدغين . وتمتاز جباهُ الاطفال عن جباه البالغين وجباه النساء عن جباه الرجال فتكون الجبهة مميزة للسن والجنس . ولا يزيد علماء الانسان على ذلك واما اهل الفراسة فلهم مزاعم تضيق عنها صفحات الكتب يحكمون بها على الناس احكاماً مخيفة ان اصابت مرةً اخطأت مئة مرة كقولهم "ان كبار الجبهة جبناء كالثيران الكبار الجباه وصغار الجبهة جهلاء لانهم يشبهون الخنازير ومن كانت جبهتهُ طويلة فهو ثاقب العقل ويبرع في العلوم ومن كانت جبهتهُ مربعة معتدلة بالنسبة

الى وجهه فهو كريم لان هذه الجبهة تشبه جبهة الاسد. ومن كانت جبهتهُ مستديرة فهو غضوب شديد العُجب بنفسهِ ومن كانت جبهتهُ مستديرة ومرتفعة ايضاً فهو بليد لانها تشبه جبهة الحمار. ومن كانت جبهتهُ غير مسطحة فهو ذكي فطن لانها تشبه جبهة الكلب . ومن كانت جبهتهُ ملساء فهو محب للخصام لان جبهة الكلب كذلك لاغضون فيها".

وبمثل هذه السخائف والاقوال المبهمة يوهمون البسطاء ويبتزّون اموالهم ويأتونك على صدق مزاعمهم بصور كثيرين من الذين اشتهروا بالفضيلة او الرذيلة والعلم او الجهل والشجاعة او الجبانة . ولكن اين العدد القليل الذي يأتون بهِ من الملايين الكثيرة التي لاينطبق عليها

واقوال لافاتر في هذا الباب لا تختلف عن اقوال غيرهِ معنًى ولو اوردها على اساليب آخر وتوسع فيها واكثر من الامثلة والشواهد . ويحتمل ان يكشف العلم شيئًا من الحقائق في ما اوردهُ لافاتر وغيرهُ من هذا القبيل ولكنهُ لم يكشف ذلك حتى الآن ولا يعلم متى يكشفهُ في مستقبل الازمان

العين — امارات العين يملأُ وصفها كتاباً كبيرًا ولكنَّ بحثنا الآن مقصور على اختلاف اشكالها والوانها ونسبة الحاجب والهدبين اليها فقد تكون كبيرة او صغيرة فاذا كانت نجلاء (اي واسعة) من غير جحوظ قيل انها جميلة واذا كانت خوصاء (اي ضيقة غائرة) قيل انها قبيحة ويكثر النوع الاول في الجنس الآري والسامي وبعض الزنوج والثاني في المغول والملقيين . والناس مختلفون كثيرًا في ما يعدونهُ من محاسن العين فالعرب وكل الساميين يفضلون العيون الدعج اي الشديدة السواد واكثر الاوربيين يفضلون العيون الزرق اي التي حدقتها زرقاء كالسماء الصافية الاديم . وكلهم يفضلون العيون الوطفاء اي الطويلة الاهداب اللوزية الشكل الطويلة اللحاظ كعيون الاندلسيات والشركسيات . والظاهر ان الصينيين يفضلون العيون الشائعة عندهم وهي المرتفعة اللحاظ المنخفضة المآق على ضدّ ما يستحسنهُ الاوربيون فانهم يفضلون العين المنخفضة اللحاظ كما ترى في صورة الامبراطورة اوجيني زوجة نبوليون الثالث

وقد تتقارب العينان كثيرًا او تتباعدان كثيرًا فتشوّهان الوجه او تجعلان منظرهُ وحشيًا وقد تغوران كثيرًا او تجحظان كثيرًا وكلهُ معدود من العيوب

ويختلف لون العين كثيرًا فقد اقرَّت جمعية باريس الانثربولوجية على اربعة الوان اصلية وهي الرمادي والازرق والاخضر والاسمر او الاشهل وفرَّعت من كل لون منها خمسة فروع . والغالب ان الذين عيونهم زرق او رمادية او خضراء يكون شعرهم اشقر والذين عيونهم شهل او سود يكون شعرهم اسود او اشقر ضاربًا الى السواد ولكن قد يعكس ذلك

فتكون العيون زرقاء والشعر اسود او تكون العيون سوداء والشعر اشقر . وقد يخالف لون العين الواحدة لون العين الأُخرى . ويختلف تحدُّب قرنيَّة العين بعض الاختلاف وتختلف رطوباتها ايضاً فيختلف اشراقها وتكون في البعض برَّاقة وفي غيرهم جامدة لا نور فيها

والحاجبان يزيدان العينين جمالاً او قبحاً . ويذكر العرب من محاسنهما الزجج وهو دقتهما وامتدادهما والبلج وهو ان يكون بينهما فرجة وهم يكرهون القَرن وهو اتصالهما وتستحسنُ التركيات على ما يظهر فانهنَّ يوصلن بين حواجبهن بالخطوط اذا كان بهنَّ بلج . والغالب ان تستحب دقة الحواجب في النساء وكثافتها في الرجال لان الاولى غالبة في النساء وفي الجميلات منهنَّ والثانية غالبة في الرجال وفي الاقوياء منهم . واذا خف شعر الحاجبين كثيراً لم يعودا جميلين لانهما لا يعودان يُظهران جمال العينين . وكذلك يستحب الوطَف وهو طول اهداب الجفنين اذ يتضح بهِ بياض الوجنتين ويظهر اتساع العينين

الانف — الانف عضو قليل الحركة لكنهُ من ادلّ ملامح الوجه على جنس صاحبهِ ودرجة جمالهِ فمنهُ يعرف ما اذا كان سامياً او آريًّا او زنجيًّا او مغوليًّا على الغالب . وقلما يوجد انف جميل في وجه قبيح . وقد يكون الوجه قبيحاً والعينان جميلتين ولكن قلما يكون الانف جميلاً والوجه قبيحاً لان الانف الجميل يحسن الوجه كلهُ فتوافقهُ سائر الملامح

وانوف الشعوب المرتقية طويلة دقيقة فيها الشَّم والقنا كانوف الرومانيين والعرب . وانوف الشعوب المنحطَّة فيها الفطَس والخنَس كانوف الزنوج والاستراليين ولذلك نعلّق الانف الاقنى الاشم بالارتقاء والافطس الاخنس بالانحطاط كما نقول ان الشعوب البيضاء ارقى من الشعوب السوداء . ويقول العرب بذلك كما يقول الافرنج .قال حسَّان بن ثابت الانصاري يمدح آل جفنة ملوك الشام

بيض الوجوهِ كريمة احسابهم شمُّ الانوفِ من الطراز الاوَّلِ

وعند المصورين والنقاشين قيود للانف الجميل يجرون عليها ولا محل لايرادها هنا

والعضلات التي تحرك الانف ضعفت جدًّا في نوع الانسان فلا يفعل منها الاَّ ما يحرّك المنخرين فيتسعان بها في حال الغضب وفي حال اظهار المسرَّة ويقال ان ذلك يكون على اشدهِ الطوائف الدنيا من الناس وفي اهل الترَف والخلاعة من الطوائف العليا

الفم — نسبة الفم الى عواطف النفس كنسبة العين الى قوى العقل فيظهر فيهِ ما تكنّهُ النفس من فرح او كره وحب او بغض كما يبدو في العين ما يخامر العقل من تبصر وتمعن وتقدير واستدلال . وافواهُ المتمدنين صغيرة في الغالب رقيقة الشفاه . وافواه المتوحشين كبيرة

في الغالب غليظة الشفاه . والبرطمة خاصة بالزنوج ولو لم تكن عامةً فيهم . والظاهر ان الذين تبرز شفتهم العليا عن السفلى يكونون في الغالب شديدي الحذر والذين تبرز شفتهم السفلى عن العليا يكونون في الغالب اهل حزم وثبات

الذقن — كل ما ظهر بالاستقراء حتى الآن من دلالة الاذقان ان الذقن البارزة الى الامام كالشفة السفلى البارزة تدل على الثبات وهي من مزايا الشعب الانكليزي

الوجنتان — ترتفعان قليلاً في البيض وفي الزنوج وكثيرًا في المغول وارتفاعهما من الصفات المميزة لهم ولا دلالة لهُ غير انهُ مستقبح عند الشعوب الآرية

الاذنان — هما اقل ملامح الوجه دلالة لانهما لا تتحركان الاَّ نادرًا جدًّا في بعض الناس . والاذن الجميلة تكمّل جمال الوجه وهي قبيحة اذا كانت عظيمة ويقال لصاحبها اخطل وكذا اذا كانت مستديرة او مربعة الشكل لو في استدارتها تعرُّج كثير وجميلة اذا كانت بيضية . وما يستحسنهُ شعب قد يستقبحهُ آخر

الاسنان — يظهر لنا ان العربية من اوسع اللغات في اوصاف الاسنان و يعدُّ العرب من محاسنها الشنَب وهو رقتها واستواؤُها . والرَتَل وهو حسن تنضيدها وانتساقها والفلَج وهو تباعد ما بينها والشتت وهو تفرقها من غير تباعد . ومن مقابحها الروَق وهو طولها والكسَس وهو صغرها والثعل وهو تراكبها وزيادة سن فيها والشغا وهو اختلاف منابتها واللصص وهو شدَّة تقاربها وانضمامها . واليلل وهو اقبالها على باطن الفم . والدفق وهو انصبابها الى قدام . والفقم وهو تقدُّم سفلاها على العليا . والقلح وهو صفرتها . وهذه المحاسن والمقابح يقول بها الاوربيون كما يقول العرب واما زنوج افريقية واهالي استراليا فمقياس جمالها عندهم على خلاف ذلك فتراهم يحززون اسنانهم و يدققون رؤُوسها حتى تصير كاسنان الكلاب و يهتمون واحدًا منها او اكثر للتحلي او للامتياز ويتفننون فيها على صور أُخرى كما ابنا غير مرة وكل ذلك مستقبح عندنا . وقد تكون الاسنان جميلة والوجه قبيحًا فلا تجمّلهُ ولكن اذا كان الوجه جميلاً والاسنان قبيحة قبحتهُ . وليس فيها نفسها ما يدلُّ على ما يخامر النفس والعقل ولكن في اظهارها عند الغضب وفي استعمالها للعض ما يدلُّ على ذلك كما سيجيء

وسنأتي على بقية ملامح الوجه في الجزء التالي ثم نشبع الكلام على ما تدلُّ عليهِ اماراتها كاللذة والالم والحب والبغض والراحة والتعب ونحو ذلك مما ستقف عليهِ مفصلاً

اكتشاف اميركا واحتلالها

بسطنا الكلام في الجزء الماضي على كولمبوس مكتشف اميركا للاوربيين . ولا بدَّ من ان يستغرب القرَّاء ان تلك القارَّة العظيمة لم تسمَّ باسمهِ بل باسم رجل آخر اميركوس فسبوشيوس وهو رجل من اهالي فلورنسا كان كاتباً في بيت مديشي اشهر تجار تلك المدينة وارسلهُ هذا البيت الى اسبانيا سنة ١٤٩٠ فاقام في قادس ثم انتقل الى اشبيلة وانتظم في خدمة تاجر فلورنسي اسمهُ براردي وهو الذي هيأ السفن لرحلة كولمبوس الثانية سنة ١٤٩٣ . ثم اخذ في اعداد اثني عشرة سفينة لملك اسبانيا ولكنهُ توفي سنة ١٤٩٥ قبل ان يعدها فطلب من اميركوس ان يتم اعدادها

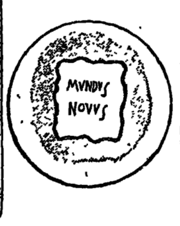
ولا دليل على ان اميركوس سافر مع كولمبوس في سفرتهِ الاولى ولا في سفرتهِ الثانية ولكن لا بدَّ من انهُ كان يعرفهُ ويعرف ايضاً ان ملك اسبانيا استرجعهُ بعد سفرتهِ الثانية ونزع منهُ الامتياز الذي اعطاه اياه اولاً . وكان كثيرون قد رغبوا في الرحلة الى العالم الجديد ويقول اميركوس انهُ رحل مع بعضهم اليهِ في اواسط سنة ١٤٩٧ فبلغوا برهُ في ٢٧ يوماً. فان كان صادقاً في وصفهِ فيكون قد بلغ مع رفاقهِ خليج كمبيشي في الطرف الجنوبي من خليج المكسيك ثم داروا شمالاً وشرقاً حتى بلغوا رأس سابل في طرف فلوريدا الجنوبي من الولايات المتحدة الاميركية وساروا منهُ شمالاً الى رأس هتراس شرقي ولاية كارولينا الشمالية . وعادوا الى اسبانيا فبلغوها في الخامس عشر من اكتوبر سنة ١٤٩٨

وسافر اميركوس مرة ثانية في ١٦ مايو سنة ١٤٩٩ فبلغ شاطئ برازيل عند رأس سنت روك وسار من هناك شمالاً حتى بلغ مصب نهر الامازون وعاد الى اسبانيا فبلغ مرفأ قادس في ٨ سبتمبر سنة ١٥٠٠ ودخل في خدمة عمانوئيل ملك البرتغال وسار الى برازيل في ١٠ مايو سنة ١٥٠١ فبلغ ريو جنارو في غرة يناير سنة ١٥٠٢ فسميت باسم ذلك الشهر وهي عاصمة بلاد برازيل الآن وعاد الى لسبون فبلغها في ٧ سبتمبر سنة ١٥٠٢ ثم سافر سفرة رابعة سنة ١٥٠٣ قام من لسبون في العاشر من يونيو بست سفن قاصداً ان يصل الى ملقا في اقصى الهند بالسير غرباً وافترقت سفينتهُ عن سفن رفاقه فبلغ رأس فريو شمالي ريوجنارو حيث بنى حصناً . وعاد الى لسبون فبلغها في ١٨ يونيو سنة ١٥٠٤ وانتقل منها الى اسبانيا في السنة التالية ورجع الى خدمة الملك فردينند واقام في اشبيلية ويقال انهُ سافر بعد ذلك مرتين الى اميركا فبلغ برزخ بناما وعين ربانًا اكبر سنة ١٥٠٨ وتوفي سنة ١٥١٢

فان كان خبر اميركوس صحيحاً فيكون قد اكتشف بر اميركا قبل كولمبوس وقبل كابوت البندقي نزيل انكلترا الذي سار اليها بامر من الملك هنري السابع سنة ١٤٩٧ فوصل الى الارض الجديدة في ٢٤ يونيو تلك السنة وسار امام شاطيء اميركا الشمالية الى حد فلوريدا وذلك قبلما رأى كولمبوس البر بنحو سنة من الزمان. والظاهر انهُ اقنع اهل زمانهِ بصحة خبرهِ سواء كان صحيحاً او غير صحيح فكتب بعضهم مقدمة جغرافية سنة ١٥٠٧ قال فيها " لقد كُشفت قارة خامسة من قارات الارض كشفها اميركوس ولذلك سميناها اميركا " . وقال في مكان آخر لقد " كشف اميركوس فسبوشيوس قارَّة رابعة فلا ارى ما يمنع تسميتها باسمهِ اميركا " فسميت باسمهِ ثم بحث همبلت الشهير عن دعوى اميركوس فرأى ادلَّة قوية على فسادها ولكن كان ذلك سنة ١٨٣٧ اي بعد ان اشتهر اسم اميركا باكثر من ثلثمئة سنة



(الشكل الاول)



(الشكل الثاني)



(الشكل الثالث)

وحالما اشتهر اكتشاف كولمبوس وغيرهِ من الذين اقتفوا خطواتهِ جعل الناس يظنون الظنون في شكل العالم الجديد واخذ صانعو الخرائط يجمعون اخبار الذين رأَوهُ لكي يصلحوا خريطة العالم . والظاهر ان اول خريطة رُسمت لهُ كانت في شعار كولمبوس نفسهِ على ترسهِ كما ترى في الشكل الاول المرسوم ههنا ويقال ان كولمبوس نفسهُ رسم هذا الرسم على ترسهِ تمثالاً بهِ مرفأً من مرافىء اميركا التي دخلها والجزائر امامهُ . وضاع هذا الرسم فلم ينتبه احد لهُ الى ان اظهرهُ العلاَّمة همبلت في القرن الماضي

ويتلو هذا الرسم في القدم والبعد عن الحقيقة رسم صُنع سنة ١٥٠٠ جُعلت فيهِ قارة اميركا مربعة كما ترى في الشكل الثاني وكُتب فيها ما معناه " العالم الجديد " فكان ذلك قبل ان

أُطلق عليهِ اسم اميركا . قابل هذا الشكل بالشكل الثالث الذي يليهِ وهو خريطة اميركا الشمالية والجنوبية حسبما نعرف اليوم تجد بينهما بوناً شاسعاً لا لان البلاد تغير شكلها فانها لم تتغير منذ الوف كثيرة من السنين بل لان معرفة الناس بها زادت رويداً رويداً حتى بلغت حد الكمال وقد تدرَّجت اليهِ تدرُّجاً شأن كل معارف البشر

ومن الخرائط القديمة التي رُسمت لاميركا بعد ان أُطلق عليها هذا الاسم خريطة شونر Schöner المرسومة في الشكل الرابع رسمها سنة ١٥٢٠ ويظهر منها ان اميركا الشمالية لم تكن معروفة حينئذٍ لان المرسوم هنا هو اميركا الجنوبية وجزيرة كوبا وجزيرة ازابلاً واسبانيولا .

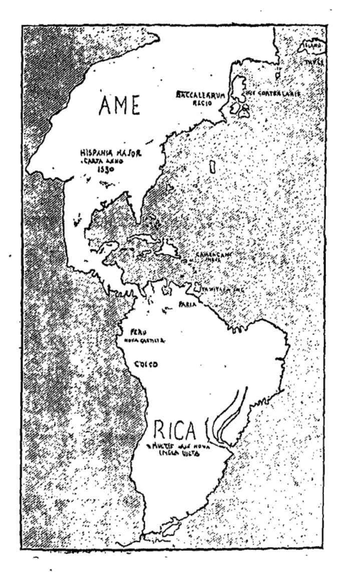


(الشكل الرابع)

وتوالى عمل الخرائط الى ان قام مركاتور الشهير ورسم خريطة اميركا الشمالية والجنوبية رسماً يقرب من الحقيقة كما ترى في الشكل الخامس وعلى خريطتهِ تاريخ سنة ١٥٣٠ ولكن يقال انهُ رسمها سنة ١٥٤١ . وكان الاسبانيون قد دوَّخوا بلاد المكسيك وبلاد بيرو ورسخت قدمهم في اميركا المتوسطة والجنوبية فجعلوها ميداناً للشعب اللاتيني الكاثوليكي واما اميركا الشمالية حيث الولايات المتحدة الآن فصرفت العناية كولمبوس عنها بكلمة قالها احد رجالهِ في سفرتهِ الاولى ولولا ذلك لاكتشفها اولاً وكانت الآن موطناً للشعوب اللاتينية الكاثوليكية لا للشعوب الانكليزية البروتستانتية ولكان عمرانها دون ما هو عليهِ بمراحل كثيرة

قلنا ان كولمبوس والذين حذوا حذوهُ وجدوا اميركا آهلة بالسكان راسخة قدمها في العمران ولا بدَّ من ان يسأل القارئ من اين اتاها اولئك السكان وهل هم من السلالة البشرية الساكنة اسيا واوربا ومتى كان وصولهم اليها وباي طريق وصولها . لم يحلّ احد هذه المسائل

حتى الآن حلاًّ مقنعًا يسلم من كل اعتراض . فقد ثبت من ادلَّة كثيرة ان الانسان وُجد في اميركا منذ عهد قديم جدًّا لان عظامهُ وُجدت فيها مع عظام بعض الحيوانات المنقرضة التي عاشت في العصر الجليدي حتى زعم البعض ان الانسان اقدم في اميركا منهُ في اسيا واوربا وان السلالة البشرية نشأت اولاً في العالم الجديد وانتشرت منهُ الى العالم القديم ولكن كثيرين



(الشكل الخامس)

من العلماء المحققين مشتبهون في صحة ما يقال عن قدم الانسان في اميركا وهم يحسبون ان الحيوانات المنقرضة التي وُجدت عظام الانسان مع عظامها لم تنقرض منذ امد بعيد وان عظامهُ التي وجدت تحت طبقات سميكة من الارض لم يكن موضعها هناك بل وُضعت فيهِ

عمدًا او وقعت فيهِ عرضًا . ويحتمل ان يكون الانسان وُجد في اميركا منذ خمسة آلاف عام كما يحتمل ان يكون قد وجد فيها منذ خمسين الف عام

ثم ان الاقوام الاميركية التي وجدها الاسبانيون في اميركا تدَّعي ان عمرانها لم يكن قديمًا جدًّا بل ان اقوامًا اتوها بهِ من بلاد اخرى في اوقات مختلفة ومنذ ازمنة غير بعيدة . وفي عادات بعضها ما يماثل عادات بعض الامم الشرقية ففي اعالي نهر الامازون قبائل تطلق السهام من المواسير وتبني بيوتًا كبيرة تسكن فيها عيالٌ كثيرة معًا وتصنع سلالاً واسفاطًا من القنا وتدخن رؤُوس اعدائها وتعلقها في بيوتها ويماثلها في ذلك كلهِ اهالي بورنيو في شرقي اسيا . وهناك قبائل يحذفون العصي بدل السهام كما يفعل اهالي استراليا وعندهم حربة يصطادون بها السلاحف وسنان الحربة سهل الانفصال عن قناتها فاذا نشب في بدن السلحفاة انفصلت القناة عنهُ من نفسها وطفت على وجه الماء تابعةً سير السلحفاة لانها تكون متصلة بالسنان بحبل او نحوهِ فتدل على مكانها وهو نفس الشيء الذي يفعلهُ اهالي استراليا الآن . و يستدلُّ من ذلك ومن ادلَّة اخرى مختلفة ان الناس جاؤُوا اميركا في العصور الغابرة من اسيا واوربا وافريقية واستراليا اي ان العواصف كانت تسوق السفن اليها فينزل ركابها ويقيمون فيها ويتوالدون اذا لم يكونوا قد ذهبوا اليها عمدًا

وفي اواسط الولايات المتحدة الاميركية على ضفاف نهر المسسبي ونواصرهِ آثار اقوام كان عمرانهم ارقى كثيرًا من عمران الهنود الذين رآهم الاوربيون فيها لما دخلوها بعد ما اكتشفها كولمبوس . واكثر هذه الآثار اسنمة ومساطب كجسور النيل والحوش في القطر المصري او كالطوابي التي تقام وقت الحرب وهي مثل الجسور التي كان البابليون والاشوريون يقيمونها في بلادهم دفعًا لطغيان الماء . وهذه الاسنمة مستطيلة كالجسور في الجهات الشمالية ثم تقصر في الجهات الجنوبية وتصير كالاهرام المقطوعة او المساطب المصرية . وكلها مبنية من الحجارة والتراب ولا بدَّ من انهُ عمل فيها اناس كثيرون وانهم كانوا في سعة من العيش او بسطة من الملك حتى تيسر لهم انشاؤُها . والظاهر ان الاسنمة الصغيرة كانت لحودًا لموتاهم والكبيرة التي تحيط بمربع من الارض كانت معابد لآلهتهم بعضها صغير لا يزيد على اقدام قليلة سعة وارتفاعًا وبعضها كبير يبلغ محيطهُ الف قدم او الفي قدم وارتفاعهُ ثمانين او تسعين قدمًا. ومن هذه الجسور ما يحيط بارض مساحتها اربع مئة ميل الى ستمئة ميل وهي اما دوائر او مربعات او معينات او مجموعة من الدوائر والمربعات او تابعة لامتداد التلال التي بينها او مماثلة لاشكال الناس والوحوش والطيور والحشرات . واكثرها على التلال او على ضفاف الانهر كأنها أُنشئت

طوابي للحصار والدفاع حسب القواعد الحربية . و يزيد اتقانها بالتقدم جنوبًا في اميركا الشمالية حتى تصل الى بلاد المكسيك وهناك آثار عمران بالغ — مبانٍ فخيمة من الحجر النحيت مزدانة بالنقوش البديعة من جسور وتماثيل وكتابات رمزية وافخمها كلها الهياكل والقصور المبنية على شكل مدرَّج كالهرم طول بعضها نحو سبعمئة قدم وعرضهُ مئتان وخمسون قدماً . وقد رأى بعض اهل البحث آثار اربع واربعين مدينة كبيرة في بلاد واحدة وكلها تدل على انها كانت غاصةً بالمباني الفخيمة وان سكانها من شعب واحد . وكانت مملكة المكسيك من اوسع الممالك الاميركية عمرانًا لما وقعت عين الاسبانيين عليها ولذلك اخترنا وصفها ووصف تغلُّب الاسبانيين عليها ولا يتم هذا الوصف الا في عدة فصول لكن في الموضوع من الفكاهة والفائدة ما يشفع لدى القراء بطوله

بلاد المكسيك المقصودة في هذه الفصول جزء صغير من جمهورية المكسيك المعروفة الآن لم تكن مساحتها اكثر من ١٦ الف ميل مربع وهي كثيرة السهول والجبال والاودية تنبت فيها كل انواع الحبوب والاثمار وتتخللها حراج غبياء وتليها قفار محرقة وآجام فاسدة الهواء وفيها خمس بحيرات على اكبرها مدينة مكسكو ومدينة تسكوكو قصبتا الشعبين العظيمين اللذين تدل آثارهما وآثار الشعوب التي كانت قبلهما على درجة عالية من الحضارة .

ومن اشهر تلك الشعوب شعب التُلتك جاء البلاد من الجهات الشمالية في اواخر القرن السابع وكان ماهرًا في الفلاحة والصناعة يستخرج المعادن و يصنع ادواته منها وكانت قصبتهُ في تولا شمالي وادي المكسيك وبقيت منها مبانٍ كثيرة الى عهد الفتح الاسباني . وبقي هذا الشعب اربع مئة سنة ثم انتابتهُ سنو القحط والوباء فانقرض من البلاد . وذهب بعض المحققين حديثًا الى انهُ كان اقدم من ذلك كثيرًا وانهُ انقرض من البلاد منذ عهد قديم جدًّا . ثم تلتهُ شعوب اخرى وآخرهم شعب الازتك والتسكوكان ونما هذا الشعب الاخير وارتقى وامتدت سطوتهُ في البلاد ثم غزاهُ شعب التبانك واثخن فيهِ وقتل ملكهُ وخرب عاصمتهُ تسكوكو وقام من التسكوكان بعد ذلك امير نجيب ساعدهُ الازتك اهالي المكسيك حتى استرد ملك آبائهِ وسما ببلادهِ في مراقي النجاح

وشعب الازتك اهالي المكسيك جاؤُوا بلاد المكسيك من الشمال ايضًا في اوائل القرن الثالث عشر وظلُّوا قبائل رحَّلاً الى ان القوا عصا الترحال حول بحيرة المكسيك الكبيرة نحو سنة ١٣٢٥ للميلاد فرأَوا نسرًا واقفًا على غصن من الصبر وفي مخالبهِ افعى وقد بسط جناحيهِ الى الشمس فتفاءلوا بذلك خيرًا وضربوا اوتادًا في الارض اقاموا عليها خصاصًا سكنوها ولا

يزال النسر والافعى شعار حكومة المكسيك الى الآن

وقوي هذا الشعب رويدًا رويدًا واشتهر بمهارته في ابواب القتال وشدَّة بطشهِ. وحدث بعد مئة سنة ان تغلَّب شعب التبانك على شعب التسكوكان كما تقدَّم وزاد عتو الغالب على المغلوب فاستعان امير التسكوكان بالازتك اهالي المكسيك فاعانوهُ على التبانك فقهروهم وقتل ملكهم واخذ بلادهم واعطاها للازتك اهالي المكسيك . فصار في البلاد شعبان قويَّان الازتك شعب المكسيك والتسكوكان شعب التسكوكو وكان فيها ايضاً شعب ثالث صغير وهو شعب التلكوبان فتحالفت هذه الشعوب الثلاثة على الهجوم والدفاع وعلى قسمة الغنائم فيكون خمسها للتلكوبان واربعة اخماسها للازتك والتسكوكان. ودامت هذه المحالفة مئة عام لم يختلف فيها المتحالفون ولا تقاعدوا عن الغزو فبسطوا ظلهم على البلاد كلها ودانت لهم الشعوب المجاورة فاقتسموا بلادها بينهم

وعمرت عاصمة المكسيك في هذه الآونة وشيدت فيها المباني الفخيمة من القصور والهياكل وتعاقب عليها ملوك حكماء برُّوا بالرعية واوردوها موارد الارتقاء وعرفوا كيف يستفيدون من بسالة رجالهم فكانوا يخرجون بهم غازين سنة بعد اخرى ويعودون بالاسلاب والغنائم والاسارى حتى امتدت بلادهم في اوائل القرن السادس عشر من الاوقيانوس الاتلنتيكي شرقًا الى الباسيفيكي غربًا . وهذا من الغرابة بمكان عظيم لان البلاد التي تغلَّب عليها شعب الازتك كانت كثيرة السكان وهم اهل حرب وجلاد مثلهم ولا يقلُّون عنهم في بسطة الملك وانتظام الجيش فكان شعب الازتك كالشعب الروماني من وجوه كثيرة

وكانت حكومة الازتك ملكية انتخابية فيختار الاشراف اربعة منهم في عهد كل ملك يبقون لانتخاب خلفهِ حينما يتوفى ويضاف اليهم حليفاهم ملك التسكوكان وملك التلكوبان اكرامًا لهما فاذا توفي الملك انتخب هؤُلاء المنتخبون خليفةً لهُ من اخوتهِ واذا لم يكن لهُ اخوة احياءٌ فمن ابناء اخوتهِ . ويربَّى المرشحون للملك ويهذبون ويمرنون في اساليب القتال وقواعد السياسة حتى اذا أُدليت اليهم مقاليد الملك قاموا باعبائهِ ولذلك تعاقب على سرير المكسيك ملوك اكفاءٌ مدة طويلة

وكانوا يحتفلون بتنصيب الملك الجديد احتفالاً عظيماً ولكنهم لا يتوجونهُ الاَّ بعد ان يغزو ويعود بالاسرى والغنائم فيذبح الاسرى على مذابح هياكلهم. كما سيجيء ويتوَّج الملك حينئذٍ بابهة الملك. وتاجهم كتاج الاساقفة الرومانيين مرصع بالذهب والحجارة الكريمة يضعهُ الملك على رأسهِ ويلقَّب بما معناهُ ملك الملوك

وكان هؤلاء الملوك يقيمون في قصور فخيمة فيها الغرف الكبيرة والمقاصير الرحبة حيث يجتمع رجال الدولة وارباب المشورة يعاونون الملك في قضاء مهام المملكة . ويقيم في هذه القصور ايضاً الحرس الملكي وهو من اولاد الامراء.

وكان امراء المملكة على ثروة طائلة واكثرهم يمتد نسبهم الى الازتك الاولين الذين عمَّروا بلاد المكسيك ويقال انهُ كان في البلاد ثلاثون اميراً يقيمون في العاصمة بعض شهور السنة ويحكم كلٌّ منهم على نحو مئة الف نفس

وللملك وحده السلطة على سن الشرائع والقوانين ولكن الحكم بها ليس لهُ بل للقضاة فانهُ كان في كل مدينة من امهات مدنهم قاضٍ يقيمهُ الملك للقضاء في الدعاوى المدنية والجنائية لا يُستأنف حكمهُ الى مجلس آخر ولا الى الملك نفسهِ ويبقى في منصبهِ مدى عمرهِ لا يعزل ولا يبدل ومَن اعتدى عليهِ فعقابهُ الموت . وفي الولايات التابعة لتلك المدينة مجالس قضائية في كل مجلس منها ثلاثة اعضاء تحكم في الدعاوى واحكامها المدنية نهائية لا تقبل الاستئناف واما الجنائية فتستأنف الى قاضي المدينة . وعندهم عدا هؤلاء قضاة صلح منتشرون في البلاد يختارهم الشعب ليحكموا في الدعاوى الجزئية . ورقباء يختارهم الشعب ايضاً ليراقبوا العيال ويروا ما اذا كانت جارية حسب قوانين البلاد

وكان نظام القضاء في بلاد التسكوكو اتمّ منهُ في بلاد المكسيك لانهُ يقضي باجتماع القضاة كلهم مرةً كل ثمانين يوماً برئاسة الملك فيجتمعون ويحكمون في الدعاوي الكبيرة او العسرة الحل التي تعذَّر على القضاة الحكم فيها منفردين ويساعدون الملك ايضاً على قضاء مهام المملكة كانهم مجلس شورى

فاستقلال القضاة حفظ حقوق الرعية من استبداد ملوكهم . ويظهر من تاريخ الازتك ان ملوكهم كانوا يحترمون القضاء والقضاة ولا يعتدون عليهم بوجه من الوجوه وكان القضاة تحت سيطرة شديدة فاذا ثبت على احد منهم انهُ ارتشى او اتفق مع احد الخصمين فعقابهُ القتل ويحاكم في مجلس عام يحضرهُ القضاة كلهم

وتدفع رواتب القضاة من الاموال الاميرية ويلبسون لباساً خاصاً ويقيمون في دار القضاء النهار كلهُ يأتيهم غداؤهم اليها الظهر فيأكلونهُ في غرفة خاصة . وفي كل محكمة رجال لمراقبة الخصوم والمجيء بهم وصرفهم او القبض عليهم . والخصوم يترافعون من غير محامٍ فيقص كلٌّ منهم قصتهُ ويذكر ادلتهُ ويقدم شهودهُ وتقبل اليمين كالشهادة . ويكتب الكاتب ذلك كلهُ ويقدمهُ الى القاضي فيمعن نظرهُ فيهِ ويقضي بما يبدو لهُ

وقد نقل برسكوت وصف المحكمة العليا في بلاد التسكوكو عن احد المؤرخين الوطنيين قال : كان في قصر ملوك التسكوكو ساحة كبيرة يقابلها غرفتان كبيرتان يقال للواحدة منهما محكمة الله فيها عرش من الذهب مرصع بالذبل والحجارة الكريمة امامهُ كرسي عليهِ جمجمة وعلى الجمجمة زمردة كبيرة هرمية الشكل وريشة فيها حجارة كريمة وتحت الجمجمة حراب وتروس وقسي وجعب وسهام وعلى جدران الغرفة اسجاف منسوجة من الصوف وخيوط الذهب فيها صور ازهار واطيار بديعة المنظر وفوق العرش قبة مزدانة بالريش المنسوج في وسطها شعاع من الذهب والجواهر. ويقال للغرفة الثانية محكمة الملك فيها عرش وقبة وعلى القبة شعار الملك وهو يجلس هناك حينًا يقضي في امور المملكة العادية واما اذا قضي في امر هام او اراد تأييد حكم من الاحكام الكبيرة كالحكم بالقتل فانهُ ينتقل الى محكمة الله تحفوفًا بامراء مملكتهِ الاربعة عشر يمشون وراءهُ حسب مراتبهم ويجلس على عرشها ويلبس تاجهُ المرصع على رأسهِ ويمسك حربةً بيسراهُ ويضع يمينهُ على الجمجمة وينطق بالحكم

وكانت شرائع الازتك مكتوبة كلها بكتابتهم الصورية وعقاب اكثر الذنوب الكبيرة عندهم القتل فيقتلون القاتل والزاني ويقتلون السارق احيانًا و يعاقبون عقابًا صارمًا من يغيّر تخم ارضهِ ومن يُقام وصيًّا فلا يقدّم حسابًا مدققًا عن مال من أُقيم عليهِ وكذلك من ورث مالاً فبدّدهُ . واذا سكر الحدث فعقابهُ القتل واذا سكر البالغ فعقابهُ ان تنزع منهُ رتبهُ والقابهُ واملاكهُ . وكانوا يبيحون شرابًا خفيفًا وقت الولائم الدينية لا يزال مستعملاً الى الآن

وللزواج والطلاق عندهم قانون ومجالس خاصة للحكم في مسائلهِ

وكانوا يبيحون الاستعباد والعبيد عندهم درجات اسرى الحرب وهؤلاء يذبحون ضحايا دينية . والمجرمون الذين يحكم عليهم بالاستعباد والذين يعجزون عن ايفاء الدين والذين يبيعون انفسهم لفقرهم والاولاد الذين يبيعهم آباؤهم . ومقام العبد مثل مقام الاجير وتعقد شروط بيعهِ امام اربعة شهود و يعين ثمنهُ والاعمال التي يُطلب منهُ عملها ويباح لهُ ان يتزوج و يسكن في بيتهِ ويقتني عبيدًا ولا يطالَب الاَّ بالعمل الذي ارتبط بعملهِ وقلما اشتراهُ سيدهُ واولادهُ احرار لارقَّ عليهم ولا يولد احدٌ عبدًا في بلاد المكسيك . ولا يبيع السيد عبيدهُ الاَّ عند الفاقة الشديدة والغالب ان يعتق الرجل عبيدهُ اذا حضرتهُ الوفاة واذا خالف العبد ما يُطلب منهُ او كان فاسد السيرة وضع سيدهُ طوقًا في عنقهِ وقادهُ الى السوق فيباع ويحفظ للتضحية

ويقال بنوع عام ان قوانين الازتك والتسكوكان كانت صارمة جدًّا ولكنها تراعي نواميس الآداب احسن مراعاة

والاموال الاميرية عندهم هي دخل الاملاك الاميرية وجزية المدن والاعمال من الغلال والمصنوعات كالاثمار والصموغ والكهرباء والقرمز والكاكاو والحيوانات والطيور والخشب والجير والحصر والورق والثياب والاسلحة والحلى وسبائك الذهب . ويلبس جباة الاموال علامةً خاصة ومن تأخر عن اداء ما عليهِ من الاموال الاميرية جاز بيعهُ عبداً . ويؤتى بالاموال كلها الى العاصمة وتسلَّم لامين بيت المال وهو بمثابة ناظر المالية وعندهُ مخازن كبيرة لخزن ما يجمع عيناً من غلات الارض وعندهُ خريطة مسهبة للبلاد كلها . واشتدَّ ظلم جباة الاموال في آخر ملك الازتك حتى عافتهم نفوس الامة وكادت تخرج عن طاعة ملوكها قبل مجيء الاسبانيين اليها فكان ذلك اكبر مسهل للفتح الاسباني

وكان بريد السلطنة منتظماً في كل انحاء البلاد فيسير السعاة بسرعة فائقة يقطع الواحد منهم ١٢ ميلاً في الساعة وتنقل الاخبار مئتي ميل في اليوم الواحد . ويستريح السعاة كل مسافة قصيرة في مراكز البريد . وكان السمك يصاد في خليج المكسيك ويؤتى بهِ الى مائدة الملك مسافة مئتي ميل في اربع وعشرين ساعة

وكان المقام الاول عندهم للحرب والجلاد . فمعبودهم الذي اليهِ ينتسبون اله الحرب ولا ينصبون ملكاً عليهم الاَّ من كان قائداً مجرَّباً . ومن قُتل منهم في ساحة الوغى انتقل الى السعادة الابدية حالاً في منازل الشمس . وغايتهم من الحرب اخذ الاسرى لتقديم الضحايا لمعبوداتهم فحروبهم كلها جهاد ديني واذا ارادوا الخروج للحرب عقد الملك مجلساً حربياً اجتمع فيهِ مشيروهُ ورؤساء جندهِ ويرسل قبل ذلك سفراء الى البلاد التي يقصد محاربتها يطلب منها ان تدين بدين بلادهِ وتؤدي اليهِ الجزية . ويُكرَم السفراء في كل بلد يدخلونهُ وينزلون على الرحب والسعة وينفق عليهم من بيت المال . فاذا لم تجب البلاد السفراء الى ما طلبوا صرفتهم فارغين فيعلن الملك الحرب عليها ويجمع جنودهُ وجنود البلاد الخاضعة لهُ ويسير بهم بنفسهِ

وكان عندهم رتب عسكرية ينعمون بها على من يمتاز بشجاعتهِ واقدامهِ ومن ذلك رتبة لا بدَّ منها لكل ضابط حتى يحق لهُ ان يلبس الحلي ويزين اسلحتهُ بها والاَّ بقي لباسهُ ساذجاً من نسيج الياف الصبر ولا يستثنى من ذلك احد حتى اولاد الملوك . وكان الارتقاء في المراتب العسكرية مباحاً للجميع على حدٍ سوى اذا قاموا بشروطهِ

ولباس الضباط عندهم نسيج صفيق جداً من القطن لا تخرقهُ سهامهم والقواد والرؤساء يلبسون دروعاً من صفائح الذهب والفضة يرتدون فوقها برداء من ريش الطيور الفاخر ويضعون على رؤوسهم خوذاً من الخشب او المعدن وبعضها من الفضة وعلى رأسها ريش يتموَّج في الهواء

فيهِ الحجارة الكريمة . وكانوا يلبسون عقوداً في رقابهم واساور في معاصمهم واقراطاً في آذانهم

وتقسم جنودهم الى فيالق في كل فيلق منها ثمانية آلاف وينقسم الفيلق الى فرق في كل فرقة اربع مئة

وللمملكة عَلَم كعلَم الرومانيين مطرَّز بالذهب وعليهِ شعار المملكة ولكل فرقة من الجند علَم آخر خاص بها عليهِ رسوم بديعة مصنوعة من ريش الطيور المزوَّقة

ومن ابواب حروبهم الكر والفر والهجوم بالمصاف واقامة الكمين . ولا يهتمون بقتل اعدائهم كما يهتمون باسرهم.. ويعرف قدر الشجاع عندهم بعدد اسراهُ ولا يفتدى الاسير مهما كانت فديتهُ . وقوانينهم العسكرية صارمة جداً واقلُّ مخالفة عقابها الموت فيقتلون من خالف امر رئيسهِ ومن ترك رايتهُ ومَن هجم على العدو قبلما يؤْمر بالهجوم ومن اختلس اسلاب غيرهِ . ويقال ان اثنين من اولاد امير من امراء التسكوكان اخذا اسلاب واحد من رفاقهما ثم وقعا جريحين فعالجهما ابوهما الى ان شفيا ثم قتلهما لانهما خالفا شريعة البلاد

وكان عندهم مستشفيات للرضى وملاجيء للمنقطعين في كل مدنهم الكبيرة ويقال انها كانت احسن مما كان من نوعها في اوربا

هذه بعض مقوّمات العمران الذي وجدهُ الاسبانيون في تلك البلاد فمحقوهُ ولم يعطوا الاهالي شيئاً خيراً منهُ كما سيجيء

مجمع ترقية العلوم البريطاني

قصدتُ مدينة غلاسكو لمشاهدة معرضها ولحضور مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي عُقد فيها هذا العام . وقد رأيت ان اوافي قراء المقتطف بشيء مما وقفتُ عليهِ من تاريخ هذا المجمع وما رأيتهُ فيهِ في اجتماعهِ الاخير موجزاً الكلام على قدر الامكان فاقول

ان العلم يعدي كما ان الجهل يعدي فلم يكد الالمانيون يؤَلفون مجمعاً علمياً لترقية العلوم والفنون في بلادهم حتى اخذ علماء الانكليز يهتمون بالجري على خطتهم . وكان في ولاية يوركشير من بلاد الانكليزية جمعية علمية فلسفية يرئسها القس فرنون هركورت ابو السر وليم هركورت الذي كان ناظراً للمالية في وزارة غلادستون الاخيرة ووزارة روزبري . وكان القس هركورت هذا من رجال العلم المعدودين عندهُ معمل كيماوي للمباحث العلمية يساعدهُ فيهِ دافي وولستون المشهوران في العلوم الطبيعية والكيماوية فجاءهُ مرةً كتاب من السر داود بروستر العالم الطبيعي يقول فيهِ

" اغتنمُ هذه الفرصة للكتابة اليك عن موضوع جزيل الاهمية . في النيَّة عقد مجمع علمي لرجال العلم البريطانيين مثل المجمع الذي مضى عليهِ الآن ثماني سنوات في المانيا وقد عضده' اعظم ملوك اوربا . والمعدات تُعدُّ الآن للاجتماع الاول والمظنون انهُ يكون في مدينة يورك لانها في نقطة متوسطة بالنسبة الى الممالك الثلاث (انكلترا وسكتلندا وارلندا) وغرضي من الكتابة اليك الآن هو ان اعلم هل نجد في يورك مكانًا واسعًا لاجتماع جم غفير قد يزيد على مئة نفس وهل تشاركنا جمعيتكم الفلسفية وهل نجد التعضيد المطلوب من محافظ المدينة ووجوهها . والغرض الاول من مجمعنا ان يتعرَّف رجال العلم بعضهم ببعض ويحث بعضهم بعضًا على البحث في المواضيع الجديدة وتقديم ثمار العلم الى الجمهور دانية القطوف . ولا يكون لهذا المجمع مال ولا يكون لهُ املاك بل يدفع اعضاؤُهُ في كل اجتماع ما يقوم بنفقاتهِ . فترى مما تقدَّم ما هو الغرض من هذا المجمع . وافضل وقت لاجتماعهِ من ١٨ يوليو الى ٢٥ منهُ "

والظاهر ان القس هركورت ساعد بروستر المساعدة المطلوبة فتم انشاء المجمع البريطاني على ان يلتئم مرةً كل سنة مدة اسبوع من الزمان . ودعي رجال العلم من كل الجمعيات العلمية للانضمام اليهِ . وكانت اساليب السفر عسرة جدًّا لان سكك الحديد لم تكن قد انتشرت في البلاد الانكليزية

وعُقد الاجتماع الاول في مدينة يورك في ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٣١ وحضره' ٣٢٥ عضوًا والمقالة الاولى التي تليت فيهِ كانت لدلتون الكيماوي وموضوعها " تجارب في كمية الطعام الذي يأكلهُ الانسان في حال الصحة ونسبة ذلك الى ما يفرز من جسمهِ " فهي نتيجة بحث علمي عملي كثير الفائدة

ومن ذلك الاجتماع ابتدأ ما يُعرَف عند الانكليز بالبارلمنت العلمي اي اجتماع علماء البلاد وسعيهم لدى الحكومة في تسهيل سبل العلم والارتقاء وارشادها الى الطرق المؤدية الى ذلك . فقد كان الانسان يدفع نحو اربع مئة جنيه قبلما تعطيهِ الحكومة امتيازًا باختراع اخترعه' او استنباط استنبطهُ ولا ينال ذلك الا اذا أُقيمت دعوى ملفقة وحُكم لهُ بها . فطلب هذا المجمع من الحكومة ان تقلل رسم نيل الامتياز ففعلت وان تقلل ايضًا رسوم الزجاج لانها كانت فاحشة تمنع من عمل النظارات الفلكية ومن استعمال القناني لحفظ الامثلة الطبيعيَّة فاجابت الحكومة طلبهُ . ورأى ارباب المعامل فائدتهُ فانضموا اليهِ لاعتقادهم ان العلم اكبر مساعد لهم على اتقان اعمالهم

والتأم التئامهُ الثاني في مدرسة اكسفرد فمنحت تلك المدرسة لقب دكتور في الشرائع

المدنية لبعض اعضائهِ وفي جملتهم بروستر مؤسسهُ الاوَّل

وعقد اجتماعهُ سنة ١٨٤٠ في مدنية غلاسكو وحضرهُ ليبغ الكيماوي الالماني الشهير وخطب في فائدة الكيمياء للزراعة وشرح فائدة السماد ولا سيما زبل الطيور البحرية المعروف بالجوانو فكان لخطبتهِ شأن كبير في اصلاح الزراعة

ولما رأس دوق ارجيل هذا المجمع في مدينة غلاسكو سنة ١٨٥٥ اشار الى فائدة الكيمياء للزراعة وقال انهُ لما ظهر ان زبل الطيور سينفد قريباً لكثرة ما استُعمل منهُ قامت الكيمياء وابانت فائدة السماد الصناعي الكيماوي وكيفية استحضارهِ وكان ذلك في احدى جلسات مجمع ترقية العلوم البريطاني

وبمثل ذلك كان هذا المجمع رائد العلم والمنبر الذي يقف عليهِ العلماء ويعلمون الناس ويرشدونهم الى ما يوسع العقل ويرقي الزراعة والصناعة

وسنة ١٨٥٦ وقف المستر بسمير في هذا المجمع واعلن انهُ اكتشف طريقة لتحويل الحديد الظهر الى حديد الصاج من غير وقود ولما أُعلن خبر هذا الاكتشاف قبل ان اوضحهُ صاحبهُ ظن اعضاء المجمع انهُ مخدوع او انهُ اكتشف اكتشافاً سخيفاً لا شأن لهُ ولكنهُ لم يوضح ماهيَّة اكتشافهِ حتى قام احد الثقات وهنأهُ قائلاً ان لاكتشافهِ اعظم شأن في الدنيا . وكان كذلك لانهُ لولا هذا الاكتشاف ما رخص ثمن الحديد الى هذا الحد ولا كان انشاء سكك الحديد وكباري الحديد وكل ما يصنع من الحديد في حيز الامكان

لما وقفتُ على هذه الحقائق وامثالها من اعمال هذا المجمع قلتُ في نفسي ترى أيكون لمؤتمر الطب المصري شأن مثل هذا الشأن في ارتقاء الديار المصرية من باب الصحة والعلاج أوَ لا يمكن ان ينشأ فيها مجمع علمي كالمجمع العلمي الشرقي الذي انشئ في بيروت ثم قضت احوال الزمان بتشتيت اعضائهِ واقفال ابوابهِ . وان أُنشئ أفيكون همُّ اعضائهِ مصروفاً الى ترجمة بعض الكلمات وتخطئة بعض الكتَّاب والاقتصار على المباحث اللغوية كما فعل المجمع العلمي المصري فقضى قبل ان ترعرع او تكون مباحثهُ عامةً وهمُّ اعضائهِ مصروفة الى تقرير الحقائق العلمية التي تنور الاذهان وتفيد زراعة البلاد وصناعتها وتصلح طرق التربية والتعليم

هذا وقد ابتدأت جلسات المجمع هذا العام في الحادي عشر من سبتمبر . وانا اكتب هذه السطور في غرفة الاستقبال وهي من الغرف الكبيرة في بناء عظيم فخيم وهو مدرسة غلاسكو الجامعة وقد زينت الغرفة لهذا الاجتماع بالاعلام والرياحين وعلى اعلامها شعار كل رجل من الرجال العظام الذين رأسوا هذا المجمع منذ سبعين سنة الى الآن فاعتدل بها اتساع

الغرفة العظيم وارتفاعها الشاهق . وقد لقيت هذه النوبة كثيرين من الذين تعرّفت بهم في العام الماضي والذي قبلهُ فلقيت منهم كل اكرام شأنهم في اكرام الغريب . ودُعيت معهم الى الحفلات التي أُقيمت لهم في هذه المدينة وضواحيها (ووصف هنا هذه الحفلات فنشرنا وصفها في المقطم الى ان قال)

ورب قائل يقول بعد قراءة ما تقدَّم عن الحفلات والخطب والولائم ولكن ماذا يهم ذلك قراء الصحف العربية والمقيمين في بر مصر فاقول ان القصد ليس وصف الرجال والحفلات والقصور والقاعات بل ان يعلم القارئ ما يستوقف ابصار الشرقي الذي يحضر اجتماعات المجمع البريطاني ونحوهِ من المجامع العلميَّة فانهُ يرى فيها ما لم يرهُ في بلادهِ واعني بذلك الارتباط المتين بين رجال السيف ورجال القلم بين رجال السياسة ورجال العلم فلا يندر ان يكون كبير الوزراء رئيساً لمجمع علمي وكثيرًا ما يرئس اولاد الملوك واخوتهم الجمعيات العلميَّة ويشاركون العلماء في مباحثهم . وترى كل اهل السيادة والثروة منتظمين في الجمعيات العلمية او مشاركين لاعضائها في الاشتغال بالعلم والسبب الاكبر لذلك ان هؤلاء كلهم يتربون ويتهذبون في المدارس الكبيرة مع غيرهم من الطلبة فتتمكن بينهم وبين سائر الطلبة روابط الحب والوداد ويشبون على محبة العلم واكرام العلماء ويسعى الجميع معاً الى اعلاء شأن وطنهم هؤلاء بعلمهم وأُولئك بسياستهم . فما ابعد الفرق في ذلك بيننا وبينهم ومتى يجيء الزمان الذي نرى فيهِ في بلادنا شبه ما يجري في بلادهم

وقد عقد المجمع اجتماعهُ الاول العمومي في قاعة فسيحة للمجلس البلدي وسعت ثلاثة آلاف نفس وتصدَّر اولاً السر وليم ترنر الرئيس السابق وقدَّم الرئيس الحالي الاستاذ ركر الى اعضاء المجمع فوقف والقى خطبة الرئاسة (نشرناها في الجزء الماضي) ثم انقسم اعضاء المجمع الى فروعهِ المختلفة وهي (١) فرع الرياضيات والطبيعيات و (٢) فرع الكيمياء و (٣) فرع الجيولوجيا و (٤) فرع علم الحيوان و (٥) فرع الجغرافيا و (٦) فرع العلوم الاقتصادية والاحصاء و (٦) فرع الهندسة و (٧) فرع الانثروبولوجيا اي علم الانسان و (٨) فرع الفسيولوجيا و(٩) فرع علم النبات و (١٠) فرع علم التعليم وهو فرع جديد أُضيف هذا العام ورئيسهُ السر جون غورست ابو المستر غورست مستشار المالية المصرية

ولكل فرع رئيس تلا خطبة في موضوع فرعهِ ثم تليت فيهِ مقالات مختلفة في مواضيع ذلك الفرع مثال ذلك فرع الكيمياء وهو الفرع الثاني تلا فيهِ رئيسهُ الاستاذ فرنكلند خطبة الرئاسة وموضوعها حالة علم الكيمياء في بلاد الانكليز في غرَّة القرن العشرين وعقبهُ جمهور من

علماء الكيمياء بمقالات مختلفة واحدة منها في قطران الفحم الحجري وما لهُ من الشأن في الصناعة وواحدة عن التغيرات الكيماوية التي تحدث في القاذورات من فعل البكتيريا بها . وواحدة عن الزرنيخ في البيرة . وواحدة عن معدن الاليومنوم وامزجة القصدير وواحدة عن الاليومنوم والنحاس وواحدة عن علاقة الكلور بوقوع المطر ونحو ذلك من المباحث العلمية والصحية والصناعية

وفرع الانثروبولوجيا اي علم الانسان وهو الفرع السابع كان موضوع خطبة رئيسهِ دماغ الانسان وما لهُ من الشأن في ارتقاء النوع الانساني . ومن المقالات التي تليت فيهِ مقالة للاستاذ كليلند موضوعها غضروف الاذن الخارجة في الحيوانات ذوات المخرج الواحد ونسبة ذلك الى اذن الانسان . ومقالة للدكتور جميل في اصل غضروف العظم الركابي في الاذن الباطنة وعلاقتهِ بالعظم اللامي في اصل اللسان . ومقالة للاستاذ الكسندر مكلستر عن مندغم الفقرة العنقية الثالثة . ومقالة لمسس نينا ليرد عن جمجمة وُجدت في مسيل نهر اورول . ونحو ذلك من المقالات الخاصة بهذا العلم . وقس على ذلك سائر فروع المجمع فان المقالات التي تليت فيها اكثرهُ بحثهُ خاص لا يدركهُ الاَّ العلماء المشتغلون بهِ

واتفق وقوع الحادث المفجع في الولايات المتحدة الاميركية وقت اجتماع هذا المجمع وهو اعتداء احد الفوضويين على رئيسها مكنلي واطلاقهُ الرصاص عليهِ فاقرَّ اعضاء المجمع على ارسال تلغراف اليهِ هذه ترجمتهُ

"ان مجمع ترقية العلوم البريطاني المجتمع الآن في مدينة غلاسكو يعرب عن شدَّة ما اعتراهُ من الغيظ لما بلغهُ خبر الاعتداء على حياة الرئيس مكنلي وما يجد في نفسهِ من المشاركة لهُ في آلامهِ وما يرجوهُ لهُ من الشفاء السريع"

ثم ورد نعي الرئيس مكنلي قبل ان ختم المجمع اجتماعاتهِ فوقف السر جون غورست رئيس الفرع الاخير وابَّنهُ تأبيناً حسناً واعرب عن حزن الامة البريطانية التي شاركت الامة الاميركية في هذه الفاجعة . ولما كان يتكلم وقف الاعضاء منتصبين احتراماً

وهذه ترجمة القرار الذي اقرُّوا عليهِ "لقد بلغ هذا الفرع من المجمع البريطاني بالحزن الشديد موت الرئيس مكنلي وهو يثبت مشاركتهُ لعائلة الفقيد ولشعب الولايات المتحدة في هذا المصاب العائلي والوطني"

ولا بدَّ من ان يذكر المقتطف كثيراً من الفوائد التي القاها رؤَساء هذا المجمع واعضاؤُهُ على جاري عادتهِ فيشرك اهالي المشرق في علوم اهالي المغرب

غلاسكو نجيب صروف



امزجة المعادن

قلَّما يُستعمل معدن من المعادن وحده والغالب ان يمزج معدنان او ثلاثة معاً او يُضاف من احدها الى الآخر ولو شيء قليل جداً كما ترى في الذهب والفضة فانهما يمزجان بالنحاس لكي يصلبا ويصيرا يحتملان الاستعمال الطويل . ومن ثم يقال ان عيار الذهب ١٦ او ١٨ او ٢٠ الخ اي من كل اربع وعشرين قيراطاً منهُ ١٦ قيراطاً ذهباً او ١٨ او ٢٠ والباقي نحاس او فضة . وكذا يقال ان الفضة من عيار سبعين او ثمانين او تسعين اي من كل مئة درهم منها سبعون او ثمانون او تسعون درهماً فضة والبقية نحاس

والامزجة الكثيرة الاستعمال في الصناعة قوامها النحاس والزنك والقصدير ويدخل بعضها الرصاص والانتيمون . وهاك جدولاً فيهِ كثير منها مع مقادير المعادن التي تتألف منها

	نحاس	زنك	قصدير	رصاص	انتيمون
نحاس المركبات	٩٧	٣			
نحاس عجل الآلات البخارية	٨٠	٢	١٨		
نحاس صافور الآلات البخارية	٨١	٢	١٧		
اساطين الطلمبات وصمَّاماتها	٨٨	٢	١٠		
اساطين القاطرات البخارية	٨٨	٩	٠٣		
صناديق المحاور	٢٨	٢	١٠		
الآلات الحسابية	٩٠	٢	٠٨		
صوافير الآلات البخارية	٨٠	١٨	٠٠	٢	
معدن يحتمل الفرك	٧٩	٥	٨	٨	
المسامير التي تبشّم من طرفيها	٦٤	٢٤	٣	٩	
معدن التوابيت	١٥		٤٠	٤٥	
اساطين الطلمبات	٧	٧٢	٢١		
معدن ابيض صلب للازرار	١٠	٦	٢٠		٦٤

	نحاس	زنك	قصدير	رصاص	انتيمون
تقليد الفضة	٦٤	٣			
معدن التومباك	١٦	١	١		
نحاس اصفر لين	٦٧	٣٣		٠,٥	
معدن الدبابيس	٦٧	٢٣	٠,٥	٠,٥	
معدن الحنفيات			٨٦		١٤
سدادات الحنفيات			٨٠		٢٠

امزجة الاليومنوم

لقد كثر الآن استعمال الالومنيوم وحده وممزوجاً بغيره . ومن امزجته المشهورة مزيج فيه ٩٠ جزءا منهُ و١٠ اجزاء من القصدير وهو يلحم بسهولة ومنها مزيج من ١٠٠ جزء من النحاس الاحمر وعشرة من الاليومنوم وهو لين كالنحاس واصفر كالذهب . ومنها مزيج من ٧٠ جزءا من النحاس و٢٣ من النكل و٧ من الاليومنوم وهو ابيض كالفضة و يصقل مثلها

معادن الاجراس

معدن الاجراس مزيج من النحاس والقصدير وقد يضاف اليهما قليل من الزنك او الرصاص او الفضة لتفريع الصوت ومن اشهر معادن الاجراس ما يأتي

	نحاس	قصدير	فضة	بزموت
الاجراس الموسيقية	٨٤	١٦		
الجنك	٨٢	١٨		
اجراس البيوت	٨٠	٢٠		
الاجراس الكبيرة	٧٦	٢٤		
اجراس الساعات	٧٢	٢٦,٥٦	١,٤٤	
الاجراس البيضاء للمائدة	١٧	٨٠٢		٣
الاجراس الصغيرة	٤٠	٦٠		

ومن الامزجة المشهورة ايضاً لعمل الاجراس ما يأتي

(١) اصهر ١٠٠ جزء من النحاس الاحمر النقي تحت دقيق الفحم واضف اليها ٢٠ جزءا من القصدير وحرك المزيج جيداً فيكون منهُ معدن جيد للاجراس

(٢) امزج ٣ اجزاء من النحاس بجزء من القصدير كما تقدَّم واكثر الاجراس في الدنيا مصنوعة من مزيج مثل هذا

(٣) امزج ٧٢ جزءا من النحاس و ٢/١ ٢٦ من القصدير و ٢/١ جزء من الحديد فيكون من ذلك المزيج الذي يستعمل في باريس لعمل اجراس الساعات الدقاقة

والاجراس الكبيرة تصنع غالبًا من ١٠٠ جزء من النحاس و ٢٠ الى ٢٥ جزءا من القصدير

صقل الحديد

خذ قطعة الحديد ونظفها جيدًا وابردها بمبرد خشن ثم بمبرد ناعم حيث تريد ان تصقلها حتى ينعم سطحها جيدًا ثم افركها بورق السنباذج (السنفرة) الخشن وبورق السنباذج الناعم الذي استعمل قبلاً واخيرًا ضع قليلاً من الروج علي مصقلة من الخشب واصقل قطعة الحديد بها . واذا كان فيها خدش فلا بدَّ من ازالتهِ قبل صقلها لئلاَّ تضطر ان تبردها ثانية بعد صقلها

صقل الرخام

اذا كان الرخام بلاطًا مستويًا فاجلهِ اولاً بقلب بلاطة على اخرى ووضع الرمل والماء بينهما فاذا كانت البلاطة كبيرة تجلى ببلاطة صغيرة تجرُّ عليها ذهابًا وايابًا واذا كانت البلاطة صغيرة تجرُّ هي على بلاطة كبيرة ذهابًا وايابًا . ويستعمل ثلاثة انواع من الرمل خشن وناعم وشديد النعومة الخشن اولاً ثم الناعم ثم الشديد النعومة . وبعد ذلك يؤتى بمصقلة من الخشب عليها وسادة من الجوخ او نحوهِ من الانسجة الصوفيَّة وتدهن الوسادة باكسيد القصدير وتبل بالماء وتفرك البلاطة بها ذهابًا وايابًا ويصبُّ عليها الماء مرةً بعد أُخرى الى ان تصقل جيدًا وتشرق كالزجاج الصقيل

واذا لم يكن سطح الرخام مستويًا يجلى ببلاطة مقعرة او محدَّبة حتى تناسب سطحهُ ثم يصقل بوسادة عليها اكسيد القصدير والماء

واذا كان الرخام صلبًا جدًّا صقل بالسنباذج بدل اكسيد القصدير بوضع غبار السنباذج على مصاقل من الرصاص

الرخام الصناعي

(١) خذ نحاتة الرخام او الحجارة البيضاء الصلبة واسحقها سحقًا ناعمًا جدًّا واضف الى كل رطل منها ربع رطل من ابيض الزنك (اكسيد الزنك) وثمن رطل من سمنتو بورتلند واذب

الزجاج المائي في الماء وسخن المذوب واجبل بهِ الاجزاء المذكورة وضعهُ في القوالب اضغطهُ ضغطاً شديداً وهو سخن وضعهُ في هواء سخن جافٍ من اسبوع او عشرة ايام قبل استعماله (والزجاج المائي المستعمل هنا فيهِ ٤٠ في المئة من الزجاج)

(٢) اذب الشب الابيض في ما يكفي لاذابتهِ من الماء وضع فيهِ المصيص (جبسين باريس) وامزجهُ جيداً ثم افرغهُ في القوالب واخبزهُ ويحسن ان تسحقهُ بعد خبزهِ وتجبلهُ ثانيةً وتفرغهُ في القوالب

(٣) اضف الاصباغ المطلوبة الى سمنتو بورتلند وامزجها بهِ جيداً ثم اجبلهُ بقليل من الماء واصنع منهُ اشكالاً مختلفة حسبما تريد والصقها بعضها ببعض طولاً ثم اقطعها عرضاً بمنشار فتكون الواحاً ملونة حسب الالوان التي وضعتها فيها وضع هذه الالواح في القوالب اضغطها واتركها فيها ١٢ يوماً ولا بدَّ من بلها اولاً بالماء الى ان تجف جيداً . وتصقل هذه الالواح وكل انواع البلاط الصناعي كما يصقل الرخام



نجاة المزارع

لما خطب السر وليم كروكس خطبة الرئاسة في مجمع ترقية العلوم البريطاني منذ بضع سنوات قال فيها انَّ آكلي القمح في الدنيا يزيد عددهم كل سنة اكثر مما تزيد مساحة الاراضي التي تزرع قمحاً فلا تمضي سنوات كثيرة حتى يقل القمح عن حاجة الناس فيضطر كثيرون منهم ان يعدلوا عن اكلهِ الاَّ اذا تلافوا ذلك من الآن بتكثير غلة الارض فان متوسط غلَّة الفدان من الحنطة الآن اقل من ثلاثة ارادب ويمكن ان تزيد حتى تصير ستة ارادب او اكثر فتصير غلة القمح تكفي مضاعف السكان الذين يأكلون قمحاً الآن

وما قالهُ هذا العالم الطبيعي الكبير يقولهُ كل مزارع في هذا القطر فان المزارع الصغير يشتري فدان الارض الزراعية الآن بمئة جنيه اومئة وخمسين جنيهاً ويقال ان بعضهم دفع ثمن الفدان مئتي جنيه لانهُ يستطيع ان يستغلَّ منهُ ما يستغلُّهُ غيرهُ من فدانين او ثلاثة . وهل في ذلك اقل ريب وفدان القطن حاسب في بعض الاطيان هذا العام على اكثر من

عشرة قناطير تباع بخمسة وعشرين جنيهاً ولا تبلغ نفقاته كلها وماله الاميري خمسة جنيهات فيكون الربح من الفدان عشرين جنيهاً في السنة . ولنفرض ان سعر قنطار القطن هبط ريالين يبقى الربح من الفدان ١٥ جنيهاً فلا عجب اذا بيع بمئة وخمسين جنيهاً الى مئتي جنيه

ويزرع الآن في القطر المصري نحو مليون فدان وثلث مليون قطناً وقلما يزيد موسم القطن على ستة ملايين قنطار فيكون متوسط الفدان اربعة قناطير فاذا اتقنت زراعته الاتقان الواجب تضاعف هذا المتوسط ولنفرض انهُ زاد النصف فقط اي صار متوسط غلة الفدان ستة قناطير فيصير الموسم ثمانية ملايين قنطار على الاقل اي انهُ يزيد مليوني قنطار في السنة تساوي نحو خمسة ملايين من الجنيهات . وهي زيادة طائلة لبلاد ليس فيها عشرة ملايين من السكان

وما يقال في القطن يقال في القمح والذرة والفول فان الفرق كبير جداً بين الاطيان التي تجود زراعتها والاطيان التي لا تجود حتى اقد تبلغ غلة الفدان الواحد اثني عشر اردباً بعد ان كانت ثلاثة ارادب . وهذه الزيادة اعظم من زيادة القطن لان الاطيان التي تزرع قمحاً وذرةً وفولاً كل سنة اربعة اضعاف الاطيان التي تزرع قطناً فاذا أُتقن زرعها وجادت غلتها زادت بها ثروة القطر ملايين كثيرة من الجنيهات كل سنة

ولا نعني باتقان الزراعة زيادة الحرث والري والتسميد بل وضع كل شيء من ذلك في موضعهِ لان التكثير من الحرث والري والسماد قد يضرُّ كالتقليل منها . وتجد في بعض الزراعات قطناً لا تعلو الشجيرة منهُ على متر وهي مملوءة بالجوز ويحاسب الفدان منهُ على عشرة قناطير او اثني عشر قنطاراً وفي زراعات اخرى قطناً يبلغ علو الشجيرة منهُ مترين ونصف متر وهي غليظة الساق كثيرة الورق قليلة الجوز لا يحاسب الفدان منها على اكثر من خمسة قناطير . والارض واحدة وقد تكون الثانية اجود من الاولى واصلح لزرع القطن ولكن المزارع قرَّب الاشجار بعضها من بعض واكثر ريها وهي غير محتاجة اليهِ فنمت كثيراً واكتفت بالاغصان والاوراق

وما يقال في القطن يقال في القمح والفول فانهما يهيفان بالغذاء الكثير ويكثر ورقهما ويقل حبهما

تربية المواشي

كتب المستر ممث مدير شركة البحيرة الزراعي مقالة في مجلة الجمعية الزراعية ابان فيها ان البقر المصرية خير من غيرها في هذا القطر للامور الثلاثة الآتية وهي

اولاً ان المواشي المصرية معتادة على اقليم البلاد وهي على احتمال الحر اقدر من المواشي التي يؤتى بها من البلدان الباردة

ثانياً انها غير متأنقة في علفها فتأكل ما تجده وتكتفي احياناً كثيرة بالقليل من العلف اذا كان شغلها قليلاً . واذا علفت جيداً اشتغلت جيداً

ثالثاً انها اليفة جداً قال وعندي ان سبب ذلك كونها جماء اي من غير قرون في الغالب فيسهل على الولد الصغير ان يقودها ويرعاها ويعتني بها ويضاف الى هذا انها تكون من صغرها مربوطة في دوار صاحبها لقلة المراعي التي تخرج اليها

ثم بيّن ان المرعى قليل في القطر المصري فلا يمكن تربية العجول الصغيرة فيهِ لان الاراضي الزراعية غالية الثمن وضرائبها ثقيلة فيكون من تركها مراعي للمواشي خسارة كبيرة على صاحبها ولذلك اشار بواسطة تجمع بين الامرين وهي ان تهتم الحكومة المصرية او شركة مصرية او بعض اهل اليسار من المصريين بابتياع ارض واسعة في سورية تصلح ان تكون مراعي للمواشي ويكون فيها نبع ماء غزير وتزرع فيها اشجار ظليلة وترسل اليها نخبة البقر المصرية اناثاً وذكوراً وتربى فيها العجول حتى يصير عمرها سنتين فيؤتى بها الى القطر المصري ماشية برًّا . وقال انهُ يكون من ذلك ربح وافر

مستقبل القطن المصري

لم تكد الحكومة تشرع في بناء الخزان لتعميم الزراعة الصيفية في الوجه القبلي حتى تشاءم كثيرون حاسبين ان ذلك يزيد زراعة القطن كثيراً فتهبط اسعارهُ حتى تصير زراعتهُ صفقة خاسرة . لكن من يتبصَّر في الامر يجد هذا التشاؤم منقوضاً من وجهين كبيرين الاول قلة موسم القطن المصري بالنسبة الى موسم القطن الاميركي فان موسم القطن المصري يبلغ الآن نحو ستة ملايين قنطار فان زاد بانتشار الري الصيفي في الوجه القبلي حيث يمكن ان يزرع القطن فقد يبلغ الموسم ثمانية ملايين او تسعة ملايين واذا جادت الزراعة ايضاً فقد يبلغ عشرة قناطير ولكن موسم القطن الاميركي يبلغ عشرة ملايين بالة اي خمسين مليون قنطار وهو يتراوح الآن بين تسعة ملايين بالة واحد عشر مليون بالة فيكون الفرق بين اكثرهِ واقلهِ عشرة ملايين قنطار . فكل موسم القطر المصري لا يزيد على الفرق بين سنة الخصب وسنة المحل في اميركا . والزيادة التي يمكن ان يزيدها قليلة جداً بالنسبة الى موسم اميركا لولا ان القطن المصري يمدُّ اكثر من القطن الاميركي . والامر الثاني ان الفرق كبير جداً بين القطن

المصري والقطن الاميركي في جودة الشعرة فقد قرَّر الاميركيون ان القطن المصري الذي يرد الى اميركا لهُ لمعان حريري واذا نُسج ظهر مثل الحرير الياباني وليس في اميركا ما يماثلهُ والبالة منهُ تقوم مقام خمس بالات من القطن الاميركي الذي طول شعرتهِ بوصة وثمن

وفي اميركا قطن جيد كالقطن المصري او اجود منهُ وهو السي ايلند لكنهُ غالي الثمن جدًّا وزراعتهُ ضيقة النطاق في اميركا لا يبلغ حاصلهُ في السنة مئة الف بالة اي نصف مليون قنطار . والولايات المتحدة تأخذ من القطن المصري الآن اكثر من نصف مليون قنطار . اي اكثر مما يزرع فيها من القطن السي ايلند فلا خوف من مناظرتهِ

فاذا ثبتت هاتان القضيتان وهما قلة القطن المصري وجودتهُ فلا عجب اذا بقي على مقامهِ في معامل اوربا واميركا وزادت النسبة بين سعرهِ وسعر القطن الاميركي عما هي عليهِ الآن لا سيما وان البالة منهُ تقوم مقام خمس بالات من القطن الاميركي على ما يقول الاميركيون . ثم ان قطن الوجه القبلي لا يجود مثل قطن الوجه البحري الآن ويبعد عن الظن انهُ يجود مثلهُ في المستقبل . واذا اهتمت الحكومة المصرية وارباب الزراعة المصرية الاهتمام الواجب زادوا جودة القطن المصري جودةً حتى يبقى لهُ المقام الاول بين الاقطان كلها ويزيد اقبال اصحاب المعامل عليهِ

والناس الذين يستعملون المنسوجات القطنية يزيد عددهم الآن زيادة بالغة كل سنة وهذه الزيادة اكثر من زيادة الاراضي التي تزرع قطناً فلا ينتظر ان يزيد القطن في مستقبل الازمان عن حاجة الانسان

واجرة جمع القطن في اميركا كثيرة جدًّا تبلغ ١٦ في المئة من الثمن وهي خمس الاكلاف كلها فتكون الاكلاف ثمانين في المئة من الثمن فيستحيل ان يرخص القطن الاميركي كثيرًا ويبقى منهُ شيء من الربح

خيار شنبر

قال السائح هيو لندشتن الذي زار القطر المصري سنة ١٥٨٠ للمسيح انهُ شاهد قرب دمياط اكثر من الف شجرة من شجر خيار شمبر

ونقل ابن البيطار في مفرداتهِ نقلاً عن ابي العبَّاس النباتي "ان خيار شنبر معروف مألوف بمصر واسكندرية وما والاهما ومنهما يحمل الى الشام شجرهُ كقدر شجرة الجوز وورقهُ كورقهِ الاَّ انهُ اصفر قليلاً واطرافهُ حادَّة وهو اصلب من ورق الجوز وفيهِ شبه من ورق الشاهبلوط

ويزهر زهرًا عجيبًا لم نرَ عيني مثله جمالاً وحسنًا وذلك انهُ يخرج من بين تضاعيف الورق في شهر سبتمبر وهو في عرجون طوله نحو ذراع يخرج في جهاتهِ الاربع عروق في طول الاصبع تنفتح اطرافها عن زهر ياسميني الشكل في قدرهِ خمس ورقات في كل زهرة في نهاية الصفرة فيأتي شكل العرجون وهو متدل بين تضاعيف الاغصان كانها ثريًا مسرجة . وهذا الزهر اذا آن ان يخرج الثمر يستحيل لونهُ الى البياض ويذوي ويسقط وتبرز انابيب القضيب الشنبرية على الشكل المعروف منها الطويل ومنها القصير عناقيد كعناقيد الخرنوب تتدلى كانها العصي شديدة الخضرة ثم تسود اذا انتهت" . واطنب ابن البيطار في فوائدهِ كمسهل لطيف وهو كذلك

وقد كاد هذا الشجر ينقرض من القطر المصري فلم نرهُ الاَّ في حديقة الازبكية ولا ندري لماذا اهمل الناس زرعهُ واستعاضوا عنهُ باللبخ الذي لا يفوقهُ جمال منظر ولا فيهِ ثمر يؤكل ويباع ويتداوى بهِ مثله . فعسى ان يهتم احد باعادة زرعهِ

البرتقال

اخذ القطر المصري يجاري البلدان الشرقية التي على شاطىء بحر الروم في اصدار البرتقال وغيرهِ من اصناف الليمون الى الجهات الاوربية وغيرها فصدر منهُ سنة ١٩٠٠ ما قيمتهُ ١٥٨١ جنيهًا أُرسل اكثر من نصفها الى روسيا ولكن ورد اليهِ تلك السنة ما قيمتهُ ١٦٤٥٣ جنيهًا اكثرها من يافا وبعضها من مالطة . وللبرتقال تجارة واسعة في هذه الايام فيصدر من يافا الآن نحو ٣٥٠ الف صندوق كل سنة الى البلاد الانكليزية ويقال ان مساحة بساتين الليمون فيها الفا فدان

وارض مصر واقليمها مناسبان لزرع البرتقال وقد كثرت بساتينهُ فيها حديثًا فعند المسيو زرفوداكي ثلثمئة فدان مزروعة برتقالاً قرب كفر الدوار وعند منشاوي باشا بساتين واسعة منهُ قرب طنطا

والبرتقال وكل اصناف الليمون معرضة لضربة الحشرات القشرية وقد ظهرت هذه الضربة في جنائن بيروت وصيداء وطرابلس واتلفت ليمونها وخسرت اصحابها خسارة كبيرة . وقد رأيناها بالامس في جنائن الجيزة فاذا لم تبذل الهمة في استئصالها قبلما تنتشر كانت ضربةً قاضية على جنائن البرتقال

الطلمبات البخارية

نُشر تقرير اللجنة التي اقيمت لامتحان الطلمبات البخارية المستعملة في القطر المصري وقد جرى امتحانها في الربيع الماضي في الجزيرة بقرب المعرض الزراعي واشترط ان يكون قطرها ٨ بوصات وهو القدر الكثير الاستعمال في القطر المصري. واللجنة مؤلفة من بوغص باشا نوبار ومحمد بك انيس والمسيو سوتر والمستر هولت . وتبارى في هذا المضمار ثمانية من اصحاب الطلمبات وكان الماء يرفع اربعة امتار وتدير الطلمبا آلة بخارية قوتها خمسة احصنة وقد اعتبرت مسائل كثيرة في هذه الطلمبات اخترنا اثنتين منها لانها اهمها

		الفحم المحروق في الساعة	الماء المرفوع في الساعة
طلمبة	حسبو محمد وشركاه	٣١و٢٢ كيلو	٣٥٠ متر مكعب
"	كليتون وشتلورث	٣١و٦٧ "	٣٤٤ " "
"	ج . غوبن	٣١و٤٦ "	٣٢٠ " "
"	ديمون	٣٣و٤٣ "	٣٤٤ " "
"	سلزر	٣٠و٨٨ "	٣١٤ " "
"	رستن بركتر	٣٤و٠٤ "	٣٢٠ " "
"	غوبن وشركاه	٢٦و٥٣ "	٣٥٠ " "
"	الن والدرسن	٣٤و٦٨ "	٣١٧ " "

فالطلمبة التي قدمها محل حسبو محمد نالت قصب السبق واعطيت مدالية الذهب

باب تدبير المنزل

شهيرات النساء

تمهيد

لا شيء ترتاح اليهِ النفس مثل مطالعة سيَر المشاهير من الرجال والنساء سواء اشتهروا بالعلم والفضل او بالبسالة والاقدام او بغير ذلك من اسباب الشهرة .وسيَر المشاهير من الرجال كثيرة مأثورة لا تخلو العربية من كتب فيها اما سير الشهيرات من النساء فقليلة متفرقة

وقد رأينا ان نختار بعضاً منها ونحلي بهِ جيد المقتطف فننشر ترجمة امرأة مشهورة في باب تدبير المنزل في كل جزء من اجزاء المقتطف . وغنيٌّ عن البيان ان اكثر هذه الترجمات سيكون عن نساء اوربيات لأن الشهيرات من نساء المشرق قليلات ولا نعرف من احوالهنَّ الاَّ شيئاً قليلاً لا يروي غليلاً

مدام سفنيه



نبدأُ بسيرة هذه الشهيرة لا لانها اشهر من غيرها بل لانهُ اتَّفق ان وقع نظرنا على سيرتها اولاً حينما فكَّرنا في كتابة فصل لهذا الجزء . واكثر اعتمادنا في ما نكتبهُ عنها على كتاب "ربَّات الهيئة الاجتماعية" Queens of Society.

هي من فضليات النساء الفرنسويات اللواتي نبغن في عهد الملك لويس الرابع عشر وخلونَ من معايب ذلك العصر. بل من شموس الهيئة الاجتماعية وربات الاقلام ونوابغ الكتَّاب. ذكرها كتَّاب عصرها فقدروها قدرها واطنبوا بمدحها وحاول بعضهم الجري على خطتها في الانشاء حاسباً انشاءها من الطبقة الاولى وقال آخر انهُ قرأَ مكاتيبها وهو في الهند فامتلأَت نفسهُ من الاعجاب بها واشار الى فصل من فصولها فقال ان تاشيتوس المؤرخ الروماني ومكيفلي الكاتب السياسي الايطالي لم يأتيا باحسن من ذلك . وكتب لامرتين سيرتها فقال انها بترورك النثر

الفرنسوي (وبترك شاعر ايطالي مشهور) ولها اليد الطولى في تمدين العالم وان اسمها يستحق ان يقرن باسم سقراط وهو ميروس وملتون وبوسيه وفنلون

ولدت في باريس سنة ١٦٢٦ وسميت ماري ده روتين . وقتل ابوها وعمرها سنة واحدة ثم توفيت امها وعمرها ست سنوات فامست يتيمة من الوالدين وربيت عند خالها وهو رئيس دير ونشأت بارعة الجمال بوجه ابيض صبوح وشعر اشقر غزير وعينين زرقاوين مكسورتي الاجفان تتلألآن بهجةً وذكاء . وقد وصفها لافونتاين بما معناه "اذا اغمضتِ عينيكِ فالله المحبة واذا فتحتِهما فامهُ " . ففتن جمالها اهالي باريس ولعب عقلها وعلمها بعقول فلاسفتها

درست اللاتينية واليونانية والايطالية والاسبانية في حداثتها وقرأت اشهر مؤلفات الادب والتاريخ وكل ما كان يعلَّم في ذلك العصر لمن كان في سنها او اكبر منها حتى اذا بلغت الخامسة عشرة من العمر أُبيح لها الدخول الى بلاط الملك لانها كانت من اسرة كريمة وهي الوارثة الوحيدة لميراث يساوي ثلثمئة الف فرنك فاجمع كل من رآها على انها بارعة الجمال تفتن العقول بذكائها ولطف حديثها وسعة معارفها شهد لها بذلك علماء ذلك العصر كما شهد غواتهُ ولا سيما بعد ان رأوها على تمام الدعة والحشمة

وللحال كثر عليها الخطَّاب من ابناء الامراء والاغنياء فلم تحسن الاختيار ولعلّ لسان الحال يعذرها بقول مَن قال

ان الرجال صناديق مقفَلة وما مفاتيحها الاَّ التجاريبُ

فاختارت مركيز ده سفنيه وهو شاب حسن الطلعة لكنهُ متهور متهتك معجب بنفسهِ فاقترن بها وعمرها سبع عشرة سنة ولم يعبأ بعقلها وفضلها, وكيف يعبأ بهما وليس لهُ نصيب منهما فاختار عليها عشيقات لا يساوين طعنةً في نعلها

وكان نادي الباريسيين في ذلك العصر منزل مدام رمبوليه وهي سيدة فلورنسية الاصل لها علاقة ببيت مديشي حكام فلورنسا جاءت باريس ومعها محبة الشعر الايطالي والخلاعة الايطالية فاجتمع حولها كل محبي فنون الادب من الحكام والقضاة ومن اراد ان يحذو حذوهم ودخلت مدام ده سفنيه الى هذا النادي ولكنها لم تشارك اهلهُ الاَّ في ما ادَّعوهُ من محبة العلم والادب . وكان زوجها قد هجرها وفعل من الافعال الذميمة ما دلها على عدم اكتراثهِ لها ورأت من اعجاب الناس بجمالها وذكائها ولا سيما الكبراء منهم ونخبة رجال باريس ما يصرف غيرها من منهج الفضيلة والعفة اما هي فبقيت متمسكة بكمالها امينة لزوجها ولو اظهر الخيانة لها فنعتها اولئك البغاة بالكبر والخيلاء ،

ولما رأت ان بقاء زوجها في باريس متلف لهُ اقنعتهُ ليذهب بها الى قصر لهُ اسمهُ له روشه في عمل برتني ليبعد عن باريس واشراكها وكان ذلك بعد اقترانهِ بها بسنتين. والقصر في بلاد كثيرة الضباب بعيدة عن معالم العمران وعن اسباب اللهو والسرور لكنها فضلتهُ على باريس اذا استطاعت ان تنجي زوجها من اشراك الهوان . وكان شاباً لا يزيد عمرهُ على اربع وعشرين سنة فذهب معها واقاما في ذلك القصر ثلاث سنوات . وولد لهما ابن وابنة ولابنتها هذه كتبت مكاتيبها المشهورة

وكان زوجها ضابطاً في خدمة الملك فدعي الى باريس بعد ان اقاما في له روشه ثلاث سنوات وعاد فيها الى ما كان عليهِ قبلاً من هجر زوجتهِ واتباع اهوائهِ . وكان في باريس فتاة متهتكة اسمها نينو دولنكلو فعلق قلبهُ حبها و بذَّر عليها ثروتهُ وحاولت زوجتهُ ان تنقذهُ من هذه التهلكة فلم تستطع واضطرت اخيرًا ان تنفصل عنهُ وتعود الى قصر له روشه بابنها وابنتها . ولم يطل المطال حتى بلغها انهُ تبارز مع رجل آخر وجرح جرحاً بالغاً فكتبت اليهِ كتاب زوجة امينة محبة غفورة لكنهُ قضى نحبهُ قبل وصول الكتاب اليهِ والظاهر ان المبارزة اجلت عن قتلهِ لا عن جرحهِ فقضى وعمرهُ سبع وعشرون سنة وخلف زوجة عمرها ثلاث وعشرون وولدين طفلين

هنا انتهى الدور الاول من حياة مدام ده سفنيه . احبت رجلاً لا يستحق محبتها واغتفرت زلاتهِ وحاولت مرارًا تخليصهُ مما يقودهُ اليهِ طبعهُ لكن الطبع غلاَّب واخيرًا قُتل في سبيل امرأة اخرى لا تقابَل بها لا خُلقاً ولا خَلقاً ولم يترك لزوجتهِ الامينة شيئاً تذكرهُ بهِ لكن حبها لهُ اغتفر ذلك ايضاً فتوسلت الى هذه المرأة حتى اعطتها صورتهُ وخصلة من شعرهِ وبقيت حافظة لهُ عهد الولاء حتى كانت لا ترى خصمهُ الذي قتلهُ الاَّ ويغمى عليها . وكان قلبها لم يكن يسع احدًا غيرهُ فلم تشرك في حبهِ احدًا لا قبل موتهِ ولا بعدهُ حتى اذا اضعفت الايام لوعة الفراق قام ولداها مقام زوجها في قلبها فكانت ارأم عليهما من كل والدة على اولادها

وكان زوجها قد بذَّر ثروتهُ وثروتها ايضاً فاضطرت ان تقتصد في نفقاتها واقامت اولاً على تعليم ولديها حتى اذا ترعرعا ورأت ان لا بدَّ لها من العودة بهما الى باريس لان ابنها لا يرتقي ما لم يتصل ببلاط الملك عادت بهما ودخلت نوادي تلك العاصمة ارملة في زهرة صباها واوج جمالها

وكان بلاط الملك لويس الرابع عشر في منتهى مجدهِ جامعاً نخبة رجال العصر مثل كورنيل وراسين وموليه ولافونتين. وبوالو هؤلاء الشعراء الذين كانت تذاكرهم وتساجلهم وتكاتبهم ومثل

ارنولد وباسكال و بوردالو وماسكارون وبوسيه من الفلاسفة والوعاظ ومثل ده رتز ومونتروز ورشفوكول والمرشال تورن و كولبر وكونده . هؤلاء كلهم كانوا اصدقاءها المعجبين بجمالها وذكائها. ومن النساء الشهيرات اللواتي صادقتها دوقة لنجفيل ومدام ده منتنون ومدام ده منتسبان وكونتس دولون ومدام ده لافايت

وكانت تناظر الحكماء منهم وتنتقد الشعراء وتمازح اهل المجون وتخرج من مجالسهم او يخرجون من مجلسها عفيفة الازار محمية الجانب كأنها الشمس تتحاماها النواظر وتعجز الاكف عن الدنو منها . وسمعت مواعظ اشهر وعّاظ فرنسا بوسيه وبوردالو وماسكارون وفلشيه وباحثتهم فيها ولكنها لم تستفد منها قدر ما استفادت من سيرة بيت ارنولد الزهّاد لانها كانت مثل غيرها من اهل عصرها تنظر الى بلاغة الوعاظ وحسن القائهم فلا يؤثر كلامهم في نفسها الاّ كما يؤثر الكلام البليغ في نفس سامعهِ تأثيرًا عقليًّا يُعجب المرء بهِ واما سيرة الزهّاد فكانت تؤثر في نفسها وعواطفها تأثيرًا ادبيًّا. الواعظ يعجب سامعوهُ بهِ ويقدرون انهُ سيرتقي بوعظهِ الى كرسي الاسقفيَّة فكانهم اعطوهُ بدل وعظهِ مدحًا واطراء واما الزاهد صاحب السيرة الحميدة فيعلّم الناس بسيرتهِ ان يطرحوا حطام الدنيا وينظروا الى الأُخرى . ويظهر مما روتهُ عن الوعّاظ انهم كانوا لا يتحامون جانب الملك واهل بطانتهِ فيذكرون عيوبهم ومساوئهم ويذكّرونهم بسوء المنقلب ولكن السامعين كانوا يكتفون ببلاغة الواعظ ولا يرتدعون عمّا يردعهم عنهُ .

ومما ذكرتهُ من هذا القبيل ان بوردالو واعظ بيت الملك كان يعظ مرةً في كنيسة فرسايل وكان بين الحضور فنلون الشهير فنام وقت الوعظ والتفت الواعظ اليهِ ورآهُ نائمًا فصرخ بصوت جهوري قائلاً " استيقظ ايها النائم الذي يأتي الكنيسة تزلفًا الى الملك " . وكانت مدام ده سفنيه تنتقل في مكاتيبها من الكلام على بلاغة الوعّاظ الى كلام على سفه ابنها وخلاعتهِ دلالة على انهُ لم يكن للوعظ شأن كبير عند اهل ذلك العصر ولولا بلاغة بوردالو ما اعجبت بهِ ولا سيما لانهُ من الجزويت المكروهين لديها

وكانت تعجب ايضًا بكرينال ده رتز ورشفوكول وهما من اعاظم رجال ذلك العصر وبقي الاول منهما صديقًا لها ثلاثين سنة وقد قالت عنهُ مرةً ان نفسهُ اسمى من نفوس غيرهِ حتى تحسب ان آخرتهُ لا تكون مثل آخرة غيرهِ من الناس . لكنها لما انتقلت من التعميم الى التخصيص وذكرت اسباب اكرامها لهُ واطنابها بتقواهُ لم تبيّن من فضائلهِ شيئًا نادرًا فانها ذكرت منها انهُ اوفى ديونهُ كلها وهي مليون فرنك وانهُ كان يصلي فرضهُ كل يوم ويفطر مع سائر خدمة الدين في ايام الصيام

وصادقت اناساً يكرههم الملك ولم تخشَ بأساً ولما غضب الملك على فوكه ناظر المالية لاختلاسهِ وأُخذت اوراقهُ ونُظر فيها اذا بينها مكاتيب منها له' فسخط الملك عليها ايضاً لكنها لم تنفكَّ عن صداقة فوكه ولعلها لم تكن تصدّق ما اتُّهم بهِ من الاختلاس لعلمها ان الملك كان مغتاظاً منهُ لانهُ ناظرهُ في حب فتاة كان الملك يحبها . وقُبض على فوكه وحوكم في البارلمنت الفرنسوي فحكم عليهِ بالسجن مدى الحياة وحضرت مدام سفنيه محاكتهُ متنكرة . وكانت تذكرهُ في مكاتيبها في اثناء المحاكمة كانها مهتمة بامرهِ اشد الاهتمام وكأنهُ من خلّص اصدقائها . وبقيت على حبها له' واهتمامها بامرهِ كل مدة سجنهِ الى ان ادركتهُ الوفاة سنة ١٦٨٠ . وكان من الذين رغبوا في الاقتران بها قبلما اقترنت بزوجها فردتهُ خائباً لانها لم تكن تحبهُ . ردتهُ في سرّائهِ ثم احبتهُ في ضرّائهِ وهذا شأنها مع كثيرين

وقضت هذه السنين في تعليم ابنها وابنتها وتهذيبهما وكان لها المقام الاول في الاندية الباريسية اندية العلماء واندية الوجهاء واندية ربات الجمال حتى كانت باريس كلها تفتقدها حينما تغيب عنها

ونشأت ابنتها بديعة الجمال مثلها حتى قال بعضهم انها اعجوبة الدهر وقال آخر انها اجمل فتاة في فرنسا . اما هي فلم تكن مغرورة بنفسها بل كتبت الى امها مرة تقول ان الناس يعبدونني حالما يرونني ولكنهم اذا عرفوني لم يعودوا يعبأون بي . والظاهر ان خُلقها لم يكن رضياً مثل خَلقها وزد على ذلك ان قلّة مالها وخروج امها من رضا الملك ابعدا عنها الشبان الذين كانت امها ترغب في تزويجها بواحد منهم فاغتاظتا من ذلك وتركتا باريس ومضتا الى قصرهما له روشه واقامتا فيهِ مدة ثم عادتا الى باريس فرأى الملك الفتاة واعجب بجمالها لكن الشبان الذين من الاسر العالية بقوا مبتعدين عنها. وكانت قد بلغت التاسعة عشرة من عمرها والبنات اللواتي من طبقتها يتزوجن قبل بلوغ هذا السن . ومضت سنتان اخريان ولم يتقدَّم اليها طالب ممن ترغب فيهم فاضطرَّت ان تقبل كونت غرينان وهو كهل عمرهُ اربعون سنة وكان قد تزوج مرتين قبل ذلك . وكتبت مدام سفنيهُ في هذا الصدد تقول " لقد ماتت زوجتاهُ لكي يتيسر له' الاقتران بابنتي ثم تمَّ سعدنا بموت ابيهِ وابنهِ فزاد غناهُ وهو كريم الاخلاق ومن اسرة كريمة وهذا كل ما نطلبهُ ولذلك لبَّينا طلبهُ حالاً ولم نماطل حسب العادة الجارية. والظاهر ان الناس راضون بذلك وهذا ليس بالامر القليل . غناهُ وافر ومنصبهُ عالٍ ومقامهُ رفيع فماذا ننتظر اكثر من ذلك واظن اننا فزنا اخيراً ونجونا من ورطة كبيرة "

هذا كان مقام الزواج في ذلك العصر ولعلَّهُ لا يزال كذلك في بلدان كثيرة

وأُقيم الكونت غرينان واليًا للبروفنس في جنوبي فرنسا فاضطرت زوجتهُ ان تترك امها وترافقهُ وكان فراقها مؤلمًا جدًّا لامها لكنهُ دعاها الى كتابة كثير من مكاتيبها المشهورة التي اودعتها من تاريخ عصرها واحوالهِ ما لا يرى في كتاب آخر سواها ولو لم تقصد ان يراها احد غير ابنتها . وكانت ابنتها تعجب بدهِ كارت وفلسفتهِ وتدعوهُ اباها والظاهر انها اودعت المكاتيب التي كانت تجيب بها امها امورًا كثيرة من فلسفتهِ مخالفة للدين فلما جاءت ابنتها بعدها اتلفت اكثرها حتى لا يظهر منها شيء . ويظهر مما بقي منها ومن مكاتيب امها لها انها كانت امرأة فاضلة تفضل الفلسفة على معاشرة اهل التصوف ولو في بلاط الملك

ولم تكن مدام سفنيه تهتمّ بابنها كاهتمامها بابنتها لانهُ لم يشبَّ على ما تريد . نعم انهُ تعلم فنون الادب وكان مغرمًا بهوميروس وفرجيل وهوراس ودرس الفنون الحربية وتطوّع لمساعدة البنادقة في انقاذ كريت من الاتراك لكنهُ لم يكد يرجع الى باريس حتى لحق الممثلات وانفق امواله عليهن ومن اللواتي علق قلبهُ حبهنَّ نينون ده لنكلو التي قُتل ابوهُ في حبها وكانت قد صارت عجوزًا في الرابعة والخمسين لكن بقيت على جمالها الفتّان . ولما رأت امهُ اسرافهُ وتهتكهُ خافت ان يحلّ بهِ ما حلّ بابيهِ فبذلت جهدها في انقاذهِ خوفًا من ذلك لا من غيرهِ كما يظهر من مكاتيبها لابنتها فنجحت . ثم امتاز هذا الفتى ببسالتهِ في الحروب وتزوج بفتاة غنية من عائلة كريمة واشترى بيتًا في باريس وسار سيرة حسنة جدًّا حتى كاد يكون من الزهاد

وعاشت مدام سفنيه بعد زواج ابنتها ٢٧ سنة قضتها في كتابة المكاتيب اليها ولم تصادق صديقًا جديدًا الا كُرْبِنلي وهو رجل ايطالي على جانب عظيم من العلم والحكمة وكان من المعجبين بها اشد الاعجاب حتى انهُ كان يتردَّد على مجلسها كل يوم . وكانت تكتب لابنتها ثلاثًا او اربعًا في الاسبوع وقد تكتب اليها كل يوم مرةً او مرتين . وبقي مجلسها غاصًّا بجلّة القوم من العظماء والعلماء الى ان ادركتها الوفاة سنة ١٦٩٦

وتعبَّدت في اخريات ايامها مثل كثيرات من اهل عصرها فكانت تمضي الى الكنيسة مرتين في النهار وتعترف مرارًا كثيرة وعذرها في ذلك على ما قالت ان النساء يحببن الكلام فاذا امتنعت المرأة عن التكلم عن غيرها استعاضت من التكلم عن نفسها ولو بالسوء . وكانت وفاتها في حب ابنتها لانهُ بلغها انها مريضة فاسرعت اليها الى البروفنس ومرَّضتها ثلاثة اشهر نهارًا وليلاً فشفيت الابنة ولكن التعب والسهر انهكا قوى الام وكانت في السبعين من عمرها فاصيبت بالجدري وماتت بهِ . وقبرها مكاتيبها كما قال لامرتين لانها وضعت نفسها فيها . وقد طبعت هذه المكاتيب مرارًا وهي تملأ عشرة مجلدات

تربية الاطفال

مشي الطفل

صغار الحيوان تمشي غالبًا حال ولادتها او بعد ولادتها بساعات قليلة واما طفل الانسان فلا يستطيع المشي الاَّ بعد ان يشتدَّ قدماهُ وكعباهُ وساقاهُ. والغالب انهُ لا يستطيع الوقوف والمشي الاَّ بعد ما يصير عمرهُ سنة من الزمان . وهو يحاول ذلك من تلقاء نفسهِ حالما تقوى قدماهُ على الوقوف والمشي ولا داعي لان يجبرهُ والداهُ على ذلك وان فعلا فالغالب انهما يضرّانهِ لانهما يعرّضانهِ للفدَع . وان تأخَّر مشيهُ فالغالب ان يكونا هما المسببين لتأخرهِ لانهُ انما يتأخر اذا انهكهما المرض والسهر وفساد الغذاء فيولد طفلهما ضعيف العظام والاعصاب

ثم ان الطفل يتدرَّج الى المشي تدرُّجاً فيحرك يديهِ ورجليهِ ما دام مستيقظاً وتحريكها يقويها ويعدها للمشي فاذا مُنع عن الحركة تعذَّر عليهِ المشي الباكر . فعلى الوالدة ان تلقي طفلها على بساط او نحوهِ وتتركهُ يلعب ويتحرَّك قدر ما يشاء فان حركاتهِ تقوي اعضاءهُ كما لا يخفى . واما حمل الطفل على الذراع دوامًا فمتعب لوالدتهِ او لمربيتهِ ومضرٌّ بهِ ومانع من نموهِ وتقوّيهِ . واذا كان الهواء دافئاً توضع لهُ طرَّاحة او سجادة في الخلاء في مكان ظليل ويلقى عليها ليتحرك ويلعب فيسرُّ بذلك ويبقى ساعة بعد أُخرى من غير بكاء ولا سيما اذا كان معهُ اخوة صغار يلعبون بجانبهِ . ويجب ان تقضى حياة الطفل في ثلاثة امور الاكل والنوم والحركة شأن طيور السماء ووحوش البر واسماك البحر . والحركة تجلب الحياة والصحة لكل حيوان ولطفل الانسان في جملتها

تكلُّم الطفل

اذا شاءت المرأة ان يتكلَّم طفلها باكرًا فعليها ان لا تمنعهُ عن الصياح لان كل صوت يخرجهُ من فيهِ يقوي رئتيهِ واعضاء النطق فيهِ . وليس من شأن الاطفال الصمت والسكوت والسكينة وكلمة "اقعد عاقل" يجب ان لا تقال للطفل بل يحسن ان يشجَّع على الحركة والصياح والضحك بكل واسطة

وقد يتكلم الاطفال بسرعة فينقطع نفسهم حالاً ويتعذَّر عليهم النطق . فاذا رأيت طفلاً يفعل ذلك فلا تضحك عليهِ بل وقفهُ عن الكلام ودعهُ يتكلم متمهلاً والاَّ اعتاد اللعثمة وعسر عليهِ اصلاحها بعد ما يكبر

علاج الطفل

اذا اعتنينا باطفالنا الاعتناء الواجب لم يمرضوا قط واذا مرضوا فالطبيب هو الذي يعرف الدواء النافع لهم . ولكن المرأة التي اذا وقفت ساعتها اعطتها الساعاتي ليصلحها ولم تحاول هي اصلاحها بنفسها واذا انثقبت حلتها (قدرها) اعطتها النحاس ليسدها ولم تحاول سدها بيدها تراها تعالج طفلها بنفسها اذا مرض كأن علاج الاطفال اسهل من اصلاح الساعة والحلّة اغلى من الطفل . ولذلك ولجهل الامهات كيفيَّة الاعتناء بالاطفال يموت منهم العدد العديد وهم مولودون ليعيشوا لا ليموتوا والذين يعتنون باطفالهم الاعتناء الواجب لا يموت من اطفالهم نصف ما يموت من اطفال غيرهم

ازالة لطخ الحوامض

اذا انصبَّ حامض على الثياب فازال لونها امسح مكان الحامض بماء النشادر حتى يزول فعله لكن ذلك قد لا يعيد اللون الى حالهِ فادهن مكان الحامض بعد ذلك بقليل من الكلوروفورم فيعود اللون الى ما كان عليهِ اولاً . مثال ذلك ثوب من الصوف الازرق وقعت عليهِ نقطة حامض فصار فيهِ لطخة محمَّرة فادهنها اولاً بماء النشادر فالغالب انها تزول واذا لم تزل او اذا تغير لونها ولكن لم يعد كما كان اولاً فادهنها بالكلوروفورم فيعود كما كان

واذا كان الحامض نباتيًّا يلطخ النسيج كالخل وعصارة الاثمار الحامضة فاذا كان النسيج قطنًا او كتانًا ابيض كفوط السفرة يغسل غسلاً بسيطًا ثم يمسح مكان اللطخ بماء الكلور واذا كان ملونًا او كان صوفًا او حريرًا فيرطَّب مكان اللطخ بانملة الاصبع مبلولة بقليل من الامونيا واذا كان لون النسيج نحيفًا يجبل قليل من الطباشير المستحضر النقي بقليل من الماء ويدهن بهِ

ازالة لطخ القلويات

اذا وقعت مادة قلوية على نسيج ملون فلطختهُ فامزج قليلاً من الحامض الخليك النقي بكثير من الماء وادهن اللطخ بهِ الى ان يزول ويعود اللون كما كان

ازالة حبر الانيلين عن الاصابع

اغسلها بالسبيرتو القوي او اغسلها اولاً بمحلول مسحوق القصارة (كلوريد الجير) ثم بالسبيرتو

باب التقريظ والانتقاد

درس في الانتقاد

نعنى ببعض الكتب احياناً احتفالاً بموضوعها ونشير الى بعض حسناتها ترغيباً للقراء فيها والى بعض سيئاتها لكي ينتبه لها كتّابها فيصلحوها في طبعة تالية اذا وجدوا انتقادنا صحيحاً لكننا لا نجد منهم غالباً الاَّ المكابرة واللوم . وقد مضى علينا الآن ست وعشرون سنة ولا نتذكر ان مؤلفاً عربياً انتقدنا كتابهُ واشرنا الى خطإٍ فيهِ ولم يقابلنا بالجفاء والتعنيف . وبالضد من ذلك مؤلفو الافرنج فاننا لم ننتقد كتاباً لاحد منهم الاَّ قابلنا بالشكر والثناء

من ذلك اننا ذكرنا في الجزء الثامن من هذه السنة كتاباً اسمهُ كتاب المجال وجدتهُ السيدة الفاضلة مسز جبسن الانكليزية في دير جبل سينا فصورتهُ وترجمتهُ وطبعتهُ بالعربية والانكليزية وبعث الينا بنسخة منهُ فانتقدنا بعض ما جاء فيهِ من قبيل الترجمة فكتبت الينا بالامس تقول ما ترجمتهُ

"لقد تفضلتم عليَّ كثيراً بذكركم اياي وكتابي في المقتطف . وقد كنتُ غائبة في اسكتلندا حينما حضر ذلك الجزء فلم استطع ان اراجع الاصل الذي ترجمت عنهُ لارى صحة كلمة "مجال" اما وقد عدت الآن الى بيتي فراجعت الكتاب فوجدت الكلمة فيهِ كما نقلتها تماماً وقد بعثت اليكم مع هذا البريد بصورة فوتوغرافية فيها الصفحة الاولى التي ورد فيها اسم هذا الكتاب وهي واردة في السطر الرابع ومنها ترون ما اذا كنت مصيبة او مخطئة. اما ترجمة عيد البشارة فانتم مصيبون فيها وانا مخطئة "

ثم ذكرت لنا ان حضرة اختها مسز لويس وجدت كتاباً مطرّساً اي محيت كتابتهُ ثم كتب ثانيةً بخط كوفي من القرن السابع او الثامن للميلاد وبينما هي تعالجهُ بمادة كيماوية لاظهار كتابتهِ ظهر على صحيفة منهُ ١٢ سطراً بخط يوناني كبير الحروف من عهد قديم على كل صفحة منها ستة اسطر من الاصحاح الاربعين من سفر التكوين فارسلت صورة فوتوغرافية منها الى الدكتور نستل لانهُ دقيق النظر فوجد انها جزءٌ من هكسيلا اورجنس اي النسخة التي جمع فيها ست نسخ من التوراة . وقد بعث بتفصيل ذلك الى الاكسبوزيتوري تيمس وسينشر فيهِ في الشهر التالي . فنشكر لهذه السيدة الفاضلة عنايتها بانتقادنا لكتابها ونثني عليها وعلى حضرة اختها لبحثهما المتواصل في ما يزيد المعارف و يوسّع نطاق العلوم

رواية ريحانة النفوس

عند الاميركيين كاتب من اشهر كتَّاب الروايات وابلغ الشعراء وهو طبيب ايضاً ومن اشهر الاطباء يُنقَد على الزيارة الطبيَّة الواحدة مئات من الريالات ويكتب في الشهر رواية فيربح منها الوفاً من الجنيهات . وقد طالعنا لهُ روايتين حديثاً فوجدناهُ ادمج في كلٍّ منهما موضوعاً طبياً وشرح كثيراً من احوال الطب والاطباء . وكأَن صديقنا الفاضل الدكتور امين الخوري جرى هذا المجرى ايضاً فانشأ رواية فكاهية ضمنها من الفوائد الصحية والاخلاقية ما يرشد المرء الى اجتياز مسافة هذا العمر بدون ان تعثر لهُ قدم وجعل مدار كلامهِ على الطفوليَّة والزواج لارتباطهما بجميع اطوار الحياة صحة وراحة وهناء . والغرض بيّن من سبك الفوائد الصحية في قالب الرواية الفكاهية وهو تقريب الفوائد من الجمهور لانهُ يشق عليهم تناولها من الكتب الطبية . لكن شتان في النجاح المالي بين الدكتور الاميركي والدكتور اللبناني لان الاول يكتب لابناء اللغة الانكليزية وهم مئة وعشرون مليوناً من المتعلمين المتهذبين والثاني يكتب لابناء اللغة العربية وقرَّاء الكتب منهم لا يبلغون عشرة آلاف

وفي ريحانة النفوس عدا الفوائد الصحية كلام مسهب على الاخلاق تطرَّق الى ما يقولهُ اصحاب فن الفراسة من دلالة اعضاء الجسم على اخلاق الانسان مثل " ان الراس الكبير يدلُّ على الاهمال والكسل والحماقة والعناد والراس الصغير فوق الجسم الضخم يدل على حدة التصوُّر والتردد في الحكم والميل الى الخمول والكسل كما يدل على شراسة الاخلاق وصعوبة الانقياد . وعلى العموم ان التحدُّب المقدَّم والخلفي من الراس يدلُّ على حدة الذهن وتوقد الفكر والنشاط وقوة التصوُّر . والتسطح والتقعير المقدمان والخلفيان فيهِ يدلاَّن على الاخلاق السهلة وصحة الروية والتوسط في القوى العقلية " . ولا يخفى اننا ننكر ذلك كلهُ كما ابنا في انتقاد كتاب الفراسة في الجزء التاسع وفي مقالة نشرناها في هذا الجزء وحسبنا دليلاً على ان ما ذكرهنا ليس قاعدةً يبنى عليها ان الراس المحدب من الامام والخلف شائع في الجنس الاوربي والزنجي وهما على طرفي نقيض في اكثر الامور العقلية . ولقد احسن حضرة المؤلف في ما ختم بهِ هذا الكلام عن الفراسة حيث قال " لقد كذب المنجمون ولو صدقوا كل هذه اوهام ولا يصدق الاَّ التجارب وليس اكثر شرًّا من التسرُّع " وحبذا لو ختم كل فقرة من فقرات كلامهِ عن الفراسة بمثل هذه العبارة لئلاَّ يرسخ الوهم في الذهن ويصعب محوهُ منهُ

لكن هذا ليس كل الفوائد الاخلاقية التي اشرنا اليها بل الرواية كلها جامعة لفوائد شتَّى من وجوه اخرى . وكاننا نرى حضرة المؤلف يضرب اخماساً لاسداس حينما اراد ان يشرح

امر البكارة الى ان استتبّ لهُ ايراد الشرح المراد على اسلوب قد لا تنفر العذراء من مطالعتهِ فاجاد وافاد ولا نقول بقولهِ "ان المرأة انما يهمها ان تكون هي آخر من يحبها زوجها بعكس الرجل فانهُ انما يرغب في ان يكون اول من احبتهُ امرأتهُ" لكن قد يقضي عليهما ان يريا حسنًا ما ليس بالحسن . اما الكلام الذي يلي فلا يتجاسر على كتابتهِ الاَّ الطبيب ولا ندري كيف يقابلهُ القراء ولو كانت معرفتهُ لازمة لكل احد

والرواية كثيرة الفوائد او كثيرة الدسم وقد يكون دسمها زائدًا عن الفكاهة التي فيها . ولا بد من ان يستفيد منها القراء فوائد جمَّة فنشكر لحضرة واضعها شكرًا جزيلاً ونتمنى ان يتحفنا بروايات أُخرى من هذا النوع

رواية الشهامة والحب

بقلم حضرة الاديب اسكندر افندي سعد الدمنهوري . وهي رواية ادبيَّة غراميَّة خلاصتها ان فتى احب فتاةً في هذه العاصمة ثم احبها فتى آخر في الاسكندرية فاراد ابواها ان يزوجاها بهِ فاخبرتهُ بحبها للفتى الاول فزادت في عينهِ حبًّا ورفعة شأن ووقع الفتى الاول جريحًا فاعتنى بهِ الفتى الثاني الى ان شفي واقترن بها ومات الثاني غرامًا . واسلوب الرواية حسن وحبذا لو اسهب فيها حضرة واضعها لان موضوعها يحتمل الاسهاب الكثير وحبذا ايضًا لو سلمت من بعض ما فيها من الخطإ اللغوي

القسطاس المستقيم

تاليف حجة الاسلام الامام ابي حامد الغزَّالي وقد صحَّحهُ والتزم طبعهُ حضرة العالم الفاضل الشيخ مصطفى القباني الدمشقي وقدم لهُ مقدمة في ترجمة المؤَلف وعلَّق عليهِ حواشي كثيرة فسرت غامضهُ وشرحت مبهمهُ

وممَّا نراهُ في حد الغرابة من هذا الكتاب قول مؤَلفهِ ان سائلاً سأَلهُ عما اذا كان يزن حقيقة المعرفة بميزان الرأْي والقياس او بميزان التعليم فاجاب متنصلاً من ميزان الرأْي والقياس لانهُ ميزان الشيطان . فلا نكاد نصدق ان عالمًا فاضلاً كالغزالي ينفي ميزان الرأْي والقياس ويعتمد على ميزان التعليم في غير المعرفة الدينيَّة ولذلك نظن ان في القسم الاول من هذا الكتاب نقصًا وانهُ حُذف منهُ ما يحصر المعرفة المقصودة هنا بالمعرفة الدينيَّة والاَّ فاذا اريد بها سائر المعارف كالزراعة والصناعة والطب وكل العلوم والفنون فالاعتماد فيها على الرأْي والقياس

كالاعتماد على الحس والمشاهدة . فاذا صحَّ ذلك فميزان المعرفة عند اهل كل دين كتبهم التي يعتقدون انها منزلة من الههم وعلى هذا النحو قال الامام الغزالي لمن يناظره "اني اعرف واضع هذا الميزان ومعلمهُ ومستعملهُ فان واضعهُ هو الله تعالى ومعلمهُ جبريل ومستعملهُ الخليل ومحمد وسائر النبيين" . ومتى رسخ اعتقاد الانسان في نفسهِ هذا الرسوخ سهل عليهِ ان يثق ثقة تامَّة بكل ما في كتابهِ واستغنى عن كل دليل وميزان آخر

وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة الترقي وهو يطلب منها

الكلم الروحانيَّة

في الحكم اليونانية

تأليف الاستاذ ابي الفرج بن هندو المتوفى سنة ٤٢٠ هجرية وقد صححهُ والتزم طبعهُ حضرة الفاضل الشيخ مصطفى القباني الدمشقي . وهو جامع لكثير من حكم افلاطون وارسطوطاليس وسقراط واوميرس والاسكندر وباسيليوس الملك وفيثاغورس وبقراط وجالينوس وديستانس وزينون وديوجانس وغيرهم . وحكم افلاطون ملأَت نحو نصف الكتاب ومنها قولهُ لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويدهُ فان الناس لا يسأَلون عن مدة العمل وانما يسأَلون عن جودتهِ . يستدلُّ على ادبار الملك من قصدهِ المخلصين لهُ بالسوء واستهانتهِ بمشورة ذوي الخبرة بامرهِ . الصلف وضع الرجل نفسهُ بمنزلة لا يستحقها ومطالبتهُ نفسهُ والناس بما يجب لتلك المنزلة . اذا قويت نفس الانسان انقطع الى الراي واذا ضعفت انقطع الى البخت . العلم صبغ النفس وليس يشرق صبغ الشيء حتى ينظف من ادناسهِ

ومن حكم ارسطوطاليس قولهُ القليل مع قلة الهم اهنأُ من الكثير ذي التبعة . ظاهر العتاب خير من مكتوم الحقد . ضربة الناصح خير من تحية الشانئ . التواضع يزيد في الشرف والفخر يؤدي الى الخمول . ينبغي للعاقل ان يداري الزمان مداراة السابح للماء الجاري . المخدوع في جنب الخادع سعيد . لا فقر افقر من الجهل ولا وحشة اوحش من العجب ولا صاحب اكيس من الشورى . لا تقطع كلام مَن يحدثك فانهُ خارج عن خصال الادب . اي ملك ضيَّع الصغير من امرهِ لم يسلم من الكبير . ليست الشتيمة من اخلاق السراة . بذل الوجه للناس هو الموت الاكبر

ومن حكم سقراط قولهُ العدل امان النفس. امتحن المرء بفعلهِ لا بقولهِ . افعل الافعال

الجسيمة ولا تعدّ المعدات الجسيمة . الجاهل من عثر بحجر مرتين . لا تكوننّ عنايتك بان تكسب شيئاً كعنايتك بحسن استعمال ما تكسبهُ . وقس على ذلك اقوال سائر الفلاسفة . وكثيراً ما قابل بها المؤلف اقوال حكماء العرب في عرض ايرادها اتماماً للفائدة

جذيمة والزباء

اختطَّ حضرة الكاتب البليغ محمد افندي حليم (وكيل قلم محاسبة المكاتب في نظارة المعارف العمومية) خطة جديدة في وضع الروايات التمثيلية وهو سبكها في قالب العربية الفصحى حتى كأنَّ من يسمع سجعها ونظمها يسمع مقامات الحريري او ما هو في طبقتها . فهل يفلح في ذلك او لا يفلح مسألة يكشف عنها الامتحان بعد تمثيل الرواية بضع مرات واقبال الناس عليها او ادبارهم عنها وتبقى الرواية مع ذلك مطلوبة لذاتها كاحد كتب البلاغة مثل مقامات الهمذاني والحريري واليازجي بل يرى فيها المطالع من الفكاهة واستطراد الخبر ما لا يراهُ في تلك المقامات . واذا اقبل الناس عليها وكثر النسج على منوالها كانت من ادعى الامور الى دوران العربية الفصحى على الالسنة

وقد قدَّم المؤلف لها مقدمة مسهبة ذكر فيها ما حداهُ الى سبكها في قالب السجع واستطرد الى خطإ المتطفلين على هذه الصناعة والمجيدين فيها ايضاً كابن الاثير صاحب المثل السائر ومن خطَّأهم ابن الاثير من كبار الكتَّاب ثم الى احتجاب النساء وما فيهِ من مدح وذم وقال في خاتمة ذلك ان الانسان مع المحجبة الجاهلة يعيش اكثر من نصف عمرهِ في نغص العيش ونكدهِ ومع المتكشفة المتعلمة يعيش عمرهُ كلهُ في هناء وسرور وصفاء وحبور

وفي الرواية كثير من النصائح والحكم والامثال والمواعظ كقولهِ عن لسان عمرو بن عبد الجن لعمرو ابن عدي وقد دخل عليهِ فوجدهُ نشواناً "ما هذه يابنيَّ سيرة الصالحين التي عهد اليك جذيمة ان تسير فينا . تصبح وتمسي مقبلاً على قيانك وغلمانك ونحن اخص خواصك تجافينا وتظلُّ عاكفاً على شرابك مع وقوف ذوي الحاجات ببابك . لا تنصف المظلوم من ظلامتهِ ولا تأخذ الظلوم بجريرتهِ وجريمتهِ . حتى ركب القوي اكتاف الضعيف واستطال الغوي على الشريف واصبح المستردف مع الرديف . وحتى كثرت الشكوى وعمَّت البلوى . فاما اقلعت عن هذه السيرة وتفرَّغت للناس في الصغيرة والكبيرة . والاَّ فمذ الآن لستُ بصاحبك بل اتركك والقي حبلك على غاربك"

وكقول ام عمرو " السنا وان اعسرنا اعسارًا . حتى اكلنا الخبز قفارا خير من احتذائنا الوجي واغتذائنا الشجي . واكتحالنا السهاد واستطوائنا القتاد . ومالنا لا نقنع بالكفاف والقناعة ام العفاف . وما للنساء وتجشُّم الاسفار واقتحام الاخطار . وتكبُّد المصاعب في نيل الرغائب ومباراة الرجال في شاق الاعمال . . . . ولقد حذرتم من الجواد كبوه ومن السيف نبوه فلم لا تحذرون من المرأة صبوه وهي اذا عثرت فعثرتها لا تقال واذا زلَّت فزلتها لا تغتفر بحال "

والرواية كلها على هذا النسق من السبك والانتظام فنثني على حضرة واضعها ثناء عطرًا وعسى ان لا يعدى قلمهُ بلغة الحكومة وركاكة كتَّابها

اللآلئ البهيَّة في المسائل الرياضيَّة

وهو يحتوي على ٢٠٠ مسألة حسابية واجوبتها وضعهُ حضرة نصر افندي رزق من متخرجي مدرسة الاقباط الكبرى وهذه المسائل مثل زديف المسائل التي ترى في اكثر كتب الحساب العربية وغير العربية اكثرها احاجي ينفي التلميذ عقلهُ في ادراك المراد بها حتى يبرع في حلها كلها ثم يسألهُ ابوهُ عن حسبة تتعلق بنلَّة اطيانهِ او امهُ عن حسبة تتعلَّق بثمن امتعة ابتاعتها للبيت فلا يستطيع حلها . وعسى ان يقلع مؤلفو كتب الحساب عن الخطَّة القديمة التي جروا عليها حتى الآن فيقللوا من المسائل النظرية العويصة ويكثروا من المسائل العملية المشابهة لما يعرض للانسان في معاملاتهِ اليومية

رواية الزواج السري

من تأليف اسكندر دوماس وقد ترجمت الى العربية بقلم حضرة الكاتب المجيد انطون افندي زريق الطرابلسي وهي مثل سائر روايات اسكندر دوماس آية في حسن الاختراع وايراد الغريب منها مورد القريب المألوف . مدارها على ان الغران دوق قسطنطين اخا القيصر نقولا الاول احبَّ فتاة من بنات الفلاحين واقترن بها سرًّا وولد لهُ منها ولد لكن اخاهُ نفاها الى سيبيريا واضطرهُ ان يقترن باخرى فاقترن ونسي امرأتهُ وولدهُ ثم انقذهُ ولدهُ من الموت وعرَّفهُ بنفسهِ وعفا الامبراطور عن امهِ بعد ان بقيت في المنفى سبعة عشر عامًا . والقصَّة على غاية الرقة والانسجام يستغرب قارئها ما يرى فيها من الاستبداد المنسوب الى قياصرة الروس ويودُّ لو اسهب المؤلف او المترجم في وصف المشاق التي يعانيها المنفيون في سيبيريا . وعربيتها فصيحة فلما تظهر عليها آثار الترجمة وقد طبعت في مطبعة جريدة الايام في نيويورك



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءِ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

كتاب اصول الجبر

حضرات منشئي المقتطف الاغر

غب التحية والاحترام. اعرض ان ما لمقتطفكم الزاهر من خطارة الشأن في خدمة العلوم والآداب والمنفعة العامَّة يفرض عليَّ بيان الشكر لافساحكم فيهِ مجالاً لانتقاد كتاب سبائك التبر في اصول الجبر مؤلف العاجز فارجو ان تكرموا بنشر ما يأتي

قلتم "وحبذا لو جرى فيهِ دائماً على نسق الدكتور فانديك ... وكنا نحسب ان المقسوم عليهِ يوضع عن يمين المقسوم حيث يبتدأ بوضع الحاصل". ولا ارى هذا التعليل كافياً لتقييد الحاسب فلا يتخطاهُ ولو لفائدة فضلاً عن انهُ لم يتفق الكل على العمل بهِ بل نرى اختلافات عديدة في وضع المقسوم عليهِ والخارج والذي يلاحظ من النسق الحديث في الكتب الحسابية والجبرية على اختلاف لغاتها هو " ان المقسوم عليهِ يوضع عن يمين المقسوم او يسارهِ تبعاً للصورة التي تأخذ فيها العملية اقل مجال ممكن" وعلى هذا النسق جريت فكنت اضع المقسوم عليهِ اذا قلَّت اجزاؤُهُ جهة اليمين واذا كثرت جهة اليسار لان المجال عن يمين المقسوم ضائع وعن يسارهِ معمول بهِ حيث تمتد البواقي والحواصل. ولوضع المقسوم عليهِ والخارج طرق أُخرى تنطبق على هذا النسق لم اتعرض لذكرها وصورها لانها من الامور الاصطلاحية لا الجوهرية وتركت الاسهاب لما منهُ فائدة كقواعد جديدة واختصارات مفيدة لا يمكن تحصيلها الاَّ بالممارسة والاختبار

قلتم ايضاً "كذلك لو وضع المعادلات البسيطة في اوائل الكتاب الخ" غير اني ذكرت في اول الباب الثامن باب المعادلات البسيطة ذات المجهول الواحد "يمكن من شاء من الاساتذة تدريس هذا الباب وما بعدهُ اي باب المعادلات المتعددة المجاهيل قبل الباب الرابع

وما يليهِ (اي ابواب التناسب والترقية والتجذير والكميات الجذرية) وقدمت هذه الابواب تتمة للعمليات التي تطرأ على الكميات " ومن مراجعة ذلك يتضح اني راعيت في الترتيب مباحث الجبر فقدمت ما يخص الكميات ثم البحث في حلها ومكنت الاستاذ من سهولة التدريس الذي اشرتم اليهِ ترغيباً للطالب كما واني زيادة في ترغيبهِ ابنت اثناء الكلام عن الاوليات ونتائجها قبل الدخول في اساس علم الجبر صورة حل المعادلات العددية وذلك اوفى دليل على اتباعي بنوع خاص النسق الذي يرغب التلميذ

هذا ما ارجو منكم ان تكرموا ببيانهِ فتضيفون بذلك مأثرة على مآثر جريدتكم النزيهة وتزيدون منة وفضلاً

الداعي

بيروت في ١٨ تشرين اول سنة ١٩٠١ جبران لبُّس

[المقتطف] كتب الينا حضرة المؤلف الفاضل يطلب رأينا في كتابهِ فابدينا رأينا فيهِ . ولم نقل ان ما جرى عليهِ خطأ وانما قلنا اننا نفضل الاسلوب الآخر عليهِ اذ قلنا "حبذا لو جرى فيهِ دائماً على اصطلاح استاذنا الدكتور فان ديك وكذلك لو وضع المعادلات البسيطة في اوائل الكتاب" . وابنا السبب الذي دعانا الى هذا التفضيل وهو مما عرفناهُ بالاختبار الطويل . وكنا ننتظر من حضرة المؤلف الفاضل اما ان يستحسن رأينا ويجري عليهِ في طبعة تالية او لا يستحسنهُ فيبقى على النسق الذي جرى عليهِ ولا يهتم باثبات الافضلية لاسلوبهِ لاننا لسنا في معرض المناظرة ولذلك لا داعي للرد على ما كتبناهُ . ولم ننشر ردَّهُ الاَّ لانهُ اشار فيهِ الى ما ذكرهُ في عرض الكتاب مما يوافق رأينا ولم تقع عيننا عليهِ حينما تكلمنا عنهُ وهو انهُ خيَّر المدرسين في تدريس "باب المعادلات البسيطة والمتعددة المجاهيل قبل الباب الرابع" ولانهُ اشار فيهِ ايضاً الى مزايا أُخرى في كتابهِ فعسى ان تعم فائدتهُ



(١) العمل والجسم

عاليه بلبنان . ايليا افندي بارودي . اذا عمل رجل تسعة اشهر عملاً شاقاً فيهِ تعب للعقل والجسم معاً وعمل في الثلاثة الاشهر الباقية من السنة عملاً سهلاً ليس فيهِ تعب للجسم بل للعقل فهل من ضرر على جسم ذلك الرجل

ج اذا كان الجسم يستريح في اثناء

العمل حتى يسترد قوتهُ فلا ضرر من العمل سواء استمرَّ تسعة اشهر او السنة كلها واذا لم يسترح بل عمل عملاً متعباً متواصلاً كلَّت قواه ُ ولو كانت مدة العمل يوماً واحدًا. ثم ان الجسم الذي يتعب سريعاً من عمل ما يعتاد ذلك العمل اذا زاوله ُ حتى لا يعود يتعب منهُ سريعاً والذي لا يسترد قوتهُ بعد التعب الاَّ في ساعة من الزمان يصير يستردها في نصف ساعة او في دقائق قليلة وللعادة الشأن الاكبر في ذلك وما يقال في تعب الجسم وراحتهِ يقال في تعب العقل وراحتهِ ايضاً

(٢) موضع اللبن

ومنهُ من اي شيء يأتي لبن البقر واين منبعهُ الاصلي في جسم البقرة

ج تفرزه ُ غدد الضرع من الدم فبعض اجزائهِ يصل اليها من الدم كما هو وبعضها يتكوَّن فيها تكوناً من اجزاء مأخوذة من الدم . فالدم مصدره ُ على كل حال كما هو مصدر غيرهِ من المفرزات التي تفرزها الغدد الاخرى وتأتي موادهُ الى الدم من الغذاء

(٣) ابو الركب والجبال

ومنهُ . هل المرض المسمَّى "ابو الركب" او حمى الدنج يفعل في الجبال كما يفعل في المدن

ج اذا ثبت ان هذا المرض ميكروبي الاصل وان البعوض العادي هو الذي ينقل ميكروبهُ من المريض الى السليم كما يقول البعض الآن وجب ان ينتشر حيث يكثر البعوض ويقل انتشاره ُ حيث يقل البعوض. ويكثر البعوض في الاماكن التي فيها ماء راكد سواء كانت في الجبال او في المدن . الاَّ ان الماء الراكد يقل وجوده ُ في الجبال لتحدُّرها فيجب ان يكون هذا المرض قليلاً فيها اذا كان انتقاله ُ بواسطة البعوض

(٤) آلة الكتابة

وستر باميركا . الخواجه اليـــاس غز .
قرأت في العدد السادس من المجلد السادس والعشرين من مقتطفكم الاغر عن آلة الكتابة بالحروف العربية وانها جاءت طبق المرام وهذا مما يسرُّ ابناء العربية عموماً ولكن يهمنا ان نعرف كم قطع ثمنها وعسى ان يكون قليلاً تسهيلاً لاقتنائها

ج يظهر لنا ان صانعها سيجعل ثمنها مثل ثمن آلات الكتابة الافرنجية التي من نوعها او اكثر قليلاً لكثرة ما أُنفق عليها ولكنهُ لم يقطع ثمنها حتى الآن لان الآلات التي اوصى عليها لم يتم عملها حتى اليوم

(٥) العمر وطول القامة

ومنهُ كثيرًا ما نقرأ عن ان طوال القامة لا يعمرون طويلاً فما سبب ذلك

ج هذا غير صحيح بل هم يعمرون مثل قصار القامة بل ان متوسط عمر الشعوب الطويلة القامة اطول من متوسط عمر الشعوب القصيرة القامة اذا تشابهت احوالهم المعاشية

(٦) اصل النيازك

ومنهُ . ما هو اصل النيازك وما هو تركيبها ولماذا نراها تتساقط احياناً من السماء

ج للعلماء اقوال مختلفة في اصلها والمرجح الآن ان بعضها من نجوم تكسرت وبعضها من مواد منتشرة في الفضاء تتركب الاجرام السموية منها . وهي تدنو من الارض احياناً فتجذبها الارض اليها حتى اذا دخلت في جو الارض حميت من احتكاكها بالهواء واشتعلت ويصل بعضها الارض قبل ان يحترق واكثر مادتهِ حديد ونكل. وقد كتبنا فصولاً كثيرة في اصل النيازك في مجلدات المقتطف الماضية فعليكم بمراجعتها

(٧) الملح والمصلح

طنطا . ع . ل . نراهم يكتبون على مخازن الملح " شون مصلح " فلماذا يسمون الملح مصلحاً وما هو وجه هذه التسمية

ج ان وجه التسمية ظاهر وهو ان الملح يصلح الطعام ويمنع فسادهُ ولكننا لا نعلم لماذا اطلق عليهِ اهالي هذا القطر اسم المصلح ولم نسمع انهُ اطلق عليهِ في قطر آخر من الاقطار العربية ولا ذُكر ذلك في كتب اللغة

باب الاخبار العلمية

مجمع الطبيعيين والاطباء الالماني

هذا هو المجمع الذي انشئ مجمع ترقية العلوم البريطاني على مثالهِ وقد اجتمع هذا الصيف اجتماعهُ الثالث والسبعين في مدينة همبرج في ٢٢ سبتمبر برئاسة الاستاذ رتشرد هرتوج من مونج . ومن الخطب الكثيرة التي تليت فيهِ خطبة عن هرز الكيماوي وخطبة عن التلقيح ابان فيها الخطيب ان التلقيح نفسهُ لا ينمي البيضة بل يساعد على دخول خواص جديدة فيها . وانقسم المجمع بعد ذلك الى اقسامهِ وهي ١١ للعلوم الطبيعية و ١٦ للعلوم الطبيَّة وسنأتي على بعض الفوائد التي ذكرت فيهِ

مطر السمك

أمطرت السماء مطراً غزيراً في شهر يونيو الماضي في جنوبي كارولينا باميركا وهو المطر الذي اضرَّ زراعة القطن فيها وكان مع المطر سمك كثير وقع منهُ مئات في حقول القطن واجتمع الماء في المنخفضات بركاً وجعل السمك يسبح فيها . ولا شبهة في ان العواصف حملتهُ من بعض الانهار فوقع مع ماء المطر ولهذه النادرة امثال قليلة

البرد في اعالي الجو

صعد كثيرون بالبالون في اماكن مختلفة في الرابع من يوليو الماضي وفي غرة اغسطس فالبالون الذي صعد في تراب بقرب باريس بلغ ارتفاعهُ ١٠٢٧٠ مترًا فوجدت درجة الحرارة هناك ٥٢ تحت الصفر وكانت على الارض حينئذٍ ١٦،٥° فوق الصفر . والذي صعد في كالة بلغ ارتفاعه ١٠٢٦٠ مترًا ووجدت الحرارة هناك ٤٣ درجة تحت الصفر وكانت على الارض ١٦،٧° . وصعد بالون من برلين في ٣١ يوليو فبلغ ارتفاعه ١٣٠٤٠ مترًا ووجدت الحرارة هناك ٤٨ تحت الصفر وكانت على الارض ١٥،١° فوق الصفر . وصعد بالون من فينّا فبلغ ارتفاعه ١٠٠٠٠ متر وكانت الحرارة هناك ٣٣ درجة تحت الصفر

الحر في القاهرة

نسمع من الطاعنين في السن من اهالي هذا القطر ان الحرّ كان اشد في السنين الغابرة منهُ الآن والمطر اقل . لكن الارصاد الجوية في مرصد العباسية قرب القاهرة لا تؤيد ذلك فقد نشر الكبتن ليونس كتابًا كبيرًا فيهِ جداول الارصاد الجوية منذ ثلاثين سنة الى الآن فاذا متوسط الحرارة السنوي نحو ٢١ درجة بميزان سنتغراد فانهُ يبلغ في شهر يوليو نحو ٢٩ درجة وهو متوسط النهار والليل ويهبط في شهر يناير الى ١٢ درجة ويتدرّج في الصعود والهبوط هكذا يناير ١٢ درجة فبراير ١٤ مارس ١٦ ابريل ٢٠ مايو ٢٤ يونيو ٢٨ يوليو ٢٩ اغسطس ٢٨ سبتمبر ٢٥ اكتوبر ٢٣ نوفمبر ١٨ دسمبر ١٤

واشد الحر في شهر يونيو فقد بلغ متوسط الحرارة العليا فيهِ نحو ٤٢ درجة مدة خمس عشرة سنة من سنة ١٨٨٤ الى ١٨٩٨ وكان اشدها سنة ١٨٨٦ اذ بلغت الحرارة العظمى ٤٥،٢ ولا نزال نتذكر ذلك الحر الشديد . واعظم ما بلغهُ انخفاض الحرارة في يناير سنة ١٨٩٨ فانهُ بلغ حينئذٍ ٠،٧ — اي سبعة اعشار الدرجة تحت الصفر وجلد الماء حينئذٍ وتكوّن الصقيع في اماكن كثيرة فكان كالملح على الارض

والفرق بين اعلى درجات الحرارة واوطإها كبير جدًّا صيفًا وشتاء فيبلغ في بعض الشهور نحو ثلاثين درجة كما ترى في هذا الجدول وهو متوسط خمس عشرة سنة

	اعلى الحرارة	اوطأ الحرارة
يناير	٢٣،٢	٢،٥٨
فبراير	٢٨،١	٣،٨٤
مارس	٣٣،٥	٥،٧٩
ابريل	٣٧،٣	٨،٩٤
مايو	٤٠،٠	١١،٧١
يونيو	٤١،٩	١٦،١٤
يوليو	٣٩،٨	١٨،٦١
اغسطس	٣٨،١	١٨،٥٣

سبتمبر	٨,٣٦	١٥,٩٩
اكتوبر	٦,٣٥	١٣,٩٧
نوفمبر	٢٨,٥	٨,٥٢
دسمبر	٣,٣٥	٤,٣٨

وكذلك الفرق بين النهار والليل فان متوسطهُ يبلغ عشر درجات او اكثر وقد بلغ في شهر يونيو ١٥ درجة وهو فرق كبير جدًّا

المطر في مصر

يقول كثيرون ان المطر صار في هذه السنين اكثر مما كان في السنين السابقة ويعللون ذلك بكثرة زرع الاشجار ولكن يظهر من الارصاد الجوية في معرض العباسيَّة مدة اثنتي عشرة سنة من ١٨٨٧ — ١٨٩٨ ان المطر في ضواحي القاهرة يختلف كثيرًا من سنة الى أُخرى وقد كان اقلهُ سنة ١٨٩٢ وهو ٦ مليمترات و ٧ اعشار اي ثلثي السنتيمتر واكثرهُ سنة ١٨٩٠ وهو ٥٤ مليمترًا ونحو خمسة اعشار اي نحو خمسة سنتمترات ونصف او نحو عقدتين لكن لا دليل على ان المطر متزايد ولا على انهُ متناقص ومعظم ما يبلغهُ قليل جدًّا في جنب ما يقع في غير القاهرة من المدن والبلدان

الصوت والبعوض

كتب الماجور روس مكتشف فعل البعوض في نقل الحمَّى الملارية ان البعوض تجذبهُ بعض الاصوات فاذا سمعها اجتمع حول مصدرها من تلقاء نفسهِ . وان الذي اخبرهُ بذلك كان يصوت بهذه الاصوات فيجتمع البعوض حول رأسهِ حالاً

الشاي الاخضر والاسود

بحث الاستاذ اسو من اساتذة مدرسة الزراعة في توكيو باليابان عن الفرق بين الشاي الاخضر والاسود فقال ان الشاي الاخضر هو الذي تعالج اوراقهُ بالبخار حالما تقطف والشاي الاسود هو الذي تترك اوراقهُ حتى تختمر قبلما تجفف وفي الشاي الاخضر اللون من التنين اكثر مما في الشاي الاسود وان في الشاي مادة مؤكسدة فاذا احمي الى درجة ٧٧ بميزان سنتغراد وقتما يختمر اكسدت هذه المادة التنين الذي فيهِ وسوَّدت لونهُ

شأن العلماء

لما احتفل العلماء ببلوغ الاستاذ فرکو السنة الثمانين من عمرهِ خطب اللورد لستر فقال

أيها المعلم (١) المحترم

اتيت نائبًا عن جمعية لندن الملكية التي انت عضو شريف فيها وقد طُلب مني ان اقدم اليك خطبًا من ست من المدارس

(١) يلقب بلقب معلم من بلغ الدرجة العليا في المهارة

والجمعيات الاخرى وهي قسم الانثروبولوجيا في مجمع ترقية العلوم البريطاني ومدرسة لندن الجامعة ومدرسة ادنبرج الجامعة ومدرسة الطب والجراحة في غلاسكو وجمعية الطب والجراحة في ادنبرج ومدرسة الطب الكلية في ارلندا . وكل هذه المدارس والجمعيات تشترك في الاعتراف بمقدرتك العقلية الفائقة وفي الشكر لك لاجل المنافع العظيمة التي نالها نوع الانسان منك وفي الاعجاب بكرم اخلاقك واستقامتك وشجاعتك—الصفات التي مكنتك دائماً من نصرة الحق والعدل والحرية وبلطفك الذي اكسبك محبة كل معارفك .وما ابديتهُ من الهمة والنشاط في الخطبة التي شنفت آذاننا اليوم يحقق آمالنا بانك تعيد عيد بلوغك السنة التسعين وانت متمتع بتمام الصحة والمجد وعامل في خدمة نوع الانسان بهمتك المعهودة

عجلة غريبة

كتب الينا حضرة ميخائيل افندي بشور من برج صافيتا يقول انهُ ولدت هناك عجلة لها في مقدم الفك العلوي كخرطوم الخنزير ويداها معقوفتان على كوعيهما فلا تستطيع المشي عليهما ولكلٍ من يديها اربعة اظلاف فكفَّاها ككفي الدب من هذا القبيل ولها ثديان في اسفل بطنها وثديان آخران في اسفل صدرها ولها علامتان في جانبي رقبتها خاليتان من الشعر وقد قال النصيرية الذين رأوها انهما اثر رصاص في بقرة قبلها وصلت روحها اليها بالتقمُّص . ولدت عند رجل من النصيرية فلم يستحل ان يدخلها بيتهُ وعاشت ثلاثة ايام وماتت

المكسميت

المكسميت بارود او مادَّة كالبارود ولكنها اشد منهُ فعلاً سُميت بذلك نسبة الى المستر مكسم مخترع المدفع المسمى باسمهِ . قال انها اقوى من الديناميت خمسين في المئة . ومع شدَّة فعلها لا تتفرقع اذا ادنيت منها ناراً مشتعلة ولا اذا ثقبتها بحديد محمَّى . ولا تتفرقع الاَّ بكبسول خاص بها-لا يعلم سرُّهُ فتملأ القنابل بها وتطلق على المدرعات فاذا دخلت في حديد الدرع اشتعل الكبسول وتفرقع المكسميت في القنبلة فمزَّق المدرعة تمزيقاً . وقد كتب المستر مكسم الآن انهُ لم يبقَ محل لمدرعات الكبيرة الحجم الغالية الثمن فلا بدَّ من ان تستغني الدول البحرية عنها بسفن كبيرة تضع فيها الآلات البخارية القوية حتى تسير بسرعة وتصنعها على اسلوب حتى يغوص اكثرها في الماء ولا يبقى منها ظاهراً الاَّ اعلاها ويصفح اعلاها بدرع من الحديد يقيها القنابل الصغيرة ويكون الغرض الاول منها ان تحمل كثيراً من التربيد المملوء بالمكسميت لكي تتلف بهِ سفن العدو ويكون غرض كلٍ من الخصمين ان يتلف سفن خصمهِ

اعظم المكتشفات الحديثة والمقبلة

عدَّد بعضهم اعظم المكتشفات التي جدَّت منذ اقيم معرض شيكاغو الى الآن فقال انها

(١) السفن الغوَّاصة

(٢) التلغراف الاثيري اي الذي لا سلك لهُ

(٣) التلفون تحت الماء

(٤) اشعة رنتجن

(٥) المدفع الذي مداهُ عشرون ميلاً

(٦) الاوتوموبيل

(٧) غاز الاسيتيلين

وقال انهُ ينتظر ان يتم قبل المعرض التالي الذي يقام سنة ١٩١١ ثلاثة عشر اكتشافًا او اسلوبًا جديدًا وهي

(١) سفن ركوب الهواء

(٢) ان يشيع الاوتوموبيل حتى يستغنى بهِ عن الخيل

(٣) نقل الافكار على اسلوب علمي

(٤) وضع التعليم على قواعد علمية ثابتة

(٥) تدفئة المدن على اساليب قليلة النفقة

(٦) اصلاح بناء المدن حتى تصير اشكالها جميلة .

(٧) ابدال البوارج بالسفن الغوَّاصة

(٨) تسهيل الانتقال حتى تتيسَّر السكنى في الاماكن الرحبة الطيبة الهواء

(٩) تكبير السفن التجارية حتى يصير طول السفينة الف قدم

(١٠) تعميم المحالفات بين الدول حتى لا يبقى محل للحروب

(١١) استغلال الارض على الاساليب العلمية

(١٢) الاعتراف بحقوق الانسان

(١٣) ظهور عاطفة جديدة في الناس تقضي بان يهتموا باصلاح شؤُون غيرهم

جوائز العلماء

أُعطي الاستاذ فينسن الدنماركي مكتشف فعل النور في العلاج احد عشر الف جنيه وهي جائزة من جوائز نوبل مكتشف الديناميت التي وهبها لتنشيط العلماء . وأُعطي الاستاذ باولو الروسي احد عشر الف جنيه اخرى جزاء مباحثهِ في التغذية وهي من جوائز نوبل ايضًا

محاربة البعوض

لما ثبت ان البعوض ينقل ميكروب الحمَّى بذلت الحكومة للانكليزية الهمَّة في الاماكن الكثيرة الحميات بسرَّاليون في الجنوب الغربي من افريقية لاستئصال البعوض منها وذلك بنزح البرك اوطمرها وتنظيف بيوت السكان من المياه الراكدة . وقد نظفت ٦٥٠٠ بيت حتى السابع من اكتوبر الماضي . فاذا ثبت ان البعوض يزول من تلك الاراضي الاجمية بزوال المستنقعات منها وان الحميات الملاربة

تزول بزوال البعوض لم يبقَ ما يمنع الاوربيين وغيرهم من استعمار كل بقعة من افريقية فيزاحمون سكانها وقد يقرضونهم كما قرضوا سكان اميركا الشمالية

الأ ان بعوض الملاريا قد يوجد في مكان ولا توجد الملاريا فيهِ فقد كتب الدكتور غراسي الشهير في بحثهِ عن الملاريا والبعوض ان في مساروزا بايطاليا سهلاً واسعاً كثير الماء يزرع فيهِ الارز وقد كانت الملاريا كثيرة فيهِ ثم زالت منهُ من حين اخذ اصحابهُ يزرعون الارز فيهِ ولم يزل بعوض الملاريا كثيراً هناك وهو ينقل ميكروب الملاريا اذا لسع انساناً مصاباً بها ومع ذلك فالملاريا غير موجودة هناك الآن .فان كان زرع الارز في الاراضي الاجمية يزيل الملاريا منها فقد حُلَّت بهِ مسأَلة معضلة . ولا يخفى ان زرع الارز منتشر في القطر المصري فان كان اطباؤهُ قد شاهدوا ما يؤيد ذلك فنرجو ان يكتبوا الينا عنهُ ولهم الفضل

اكتشاف جيولوجي مصري

حار العلماء في كيفية تولُّد ذوات الخرطوم من الحيوانات كالفيل المعروف الآن والفيل المنقرض المعروف بالمستودن فان الاحافير الجيولوجية التي كشفت الى الآن تدل على ان هذه الحيوانات وجدت بغتةً في اواسط عصر الميوسين من العصور الجيولوجية ولم تكشف احافير حيوانات اخرى تصل بينها وبين غيرها من الحيوانات التي قبلها لكن الدكتور اندرس وجد في الفيوم من القطر المصري احافير حيوان فقري مثل المستودن في الطبقات السفلى من عصر الميوسين المعروفة بالاوليغوسين وهو يختلف عن المستودن باسنانهِ ووجد تحتها طبقات فيها احافير حيوان مثل هذا ولكنهُ من ذوات الحافر. وهذا الاكتشاف من اهم الاكتشافات الجيولوجية الحديثة لانهُ يظهر كيفية تولد الافيال بكشف احافير اسلافها

اللغة الاخيرة

كتب العالم ولس في مجلة الفورتنيتلي ان اللغات التي يقل عدد المتكلمين بها الآن ستُهمل في آخر هذا القرن او يصير اصحابها يتكلمون لغةً اخرى معها وتعمُّ المسكونة لغة من اللغات الثلاث المشهورة الآن وهي الفرنسوية والانكليزية والالمانية اما اللغة الاسبانية واللغة الروسية فالمتكلمون بهما كثيرون ولكن المتعلمين منهم قلال والكتب فيهما قليلة فلا تستطيعان ان تناظرا لغة من اللغات الثلاث المتقدمة . ثم رجح ان اللغة الفرنسوية تغلب الانكليزية على السيادة لان اصحابها يؤلفون فيها الآن اكثر مما يؤلف الانكليز في لغتهم ويهتمون بنشرها اكثر مما يهتم الانكليز بنشر لغتهم ولا يتغيَّر هذا

الحكم الا اذا اهتم اصحاب الانكليزية بنشرها في كل البلدان الخاضعة لهم واهتموا ايضاً بنشر الكتب الجديدة وترجمة كل ما يستحق الترجمة مما يؤلف في اللغات الاخرى ورخصوا الكتب حتى جعلوها دانية القطوف من كل احد فانهم اذا فعلوا ذلك لم يختم هذا القرن حتى تصير الانكليزية لغة اكثر اوربا وكل اميركا الشمالية وافريقية والهند وشرقي اسيا وتصير لغة المعاملات في كل المسكونة

الشايين ومقره في النبات

بحث الاستاذ سوزوكي الياباني عن مقر الاصل الفعال في الشاي وهو المعروف بالشايين فوجد انهُ غير موجود في البزر لكنهُ يتولد فيهِ حينما ينبت ويكون قليلاً في الجذور والاغصان وكثيراً في البراعم وعلى اكثرهِ في الاوراق الصغيرة . ومتى كبرت الاوراق قل الشايين فيها ولذلك فاوراق الشاي الصغيرة يجب ان تكون اغلى اوراقهِ ثمناً

الحكومة والزراعة

تنفق الحكومة الفرنسوية ١٥٣٠٠٠ جنيه كل سنة على المدارس الزراعية وحكومة الدنمارك ١٠٨٠٠٠ جنيه وحكومة كندا باميركا ١٥٦٠٠٠ جنيه!

حقيقة الوراثة

يرث الحيوان اموراً كثيرة من والديهِ واسلافهما ويورثها لاولادهِ واولادهم من بعدهم . ويعلل بعض الطبيعيين ذلك بان البيضة والنطفة اللتين يتكوَّن منهما الجنين تحويان جراثيم كثيرة من كل عضو من اعضاء الوالدين مع ما فيها من الصفات والمزايا وهذه الجراثيم نفسها يصل بعضها الى النطف او البيوض التي تتكوَّن من هذا الجنين حينما يبلغ اشدهُ وتنتقل الى اجنة اولادهِ وهلم جرًّا الى ان ينقرض النسل . وهذا يقتضي ان تكون الجراثيم صغيرة جدًّا جدًّا حتى تسع النطفة الوفاً كثيرة منها . قال رئيس قسم الفسيولوجيا في مجمع ترقية العلوم البريطاني " ان قطر الحويصلة الجرثومية في البيضة التي يتولَّد منها الجنين ١/٢٠ من المليمتر ولنفرض انها مكعبة الشكل وان قطر الجوهر الفرد جزء من مليون من المليمتر وان في الدقيقة من دقائق الاجسام الآلية خمسين جوهرًا فردًا فيكون في الحويصلة الجرثومية ٢٥ مليون مليون دقيقة آلية . ثم ان رأس النطفة التي تُلقح بها البيضة قطرهُ ١/٢٠٠ من المليمتر فاذا فرضنا انهُ مكعب الشكل ففيهِ ٢٥ الف مليون من الدقائق الآلية وحينما يمتزج بالحويصلة الجرثومية يشرع مزيجهما في النمو لتكوين الجنين ويكون فيهِ حينئذٍ خمسة وعشرون مليون مليون وخمسة وعشرون الف مليون من الدقائق الآلية . واذا فرضنا ان نصف هذا المزيج ماء بقي فيهِ اكثر من ١٢ مليون مليون من الدقائق الآلية " فاذا وجد

في البيضة والنطفة هذا المقدار من الدقائق الحية فلا عجب اذا احتوت صفات الوالدين ودقائق من كل عضو من اعضائهما . واذا كانت الحياة نوعاً من الحركة في دقائق الاجسام الحية كما يقول كثيرون من العلماء الآن فيكون في هذه الدقائق من الحركة ما يحرك العناصر التي تضاف اليها حينما تغتذي وتنمو فتحيا مثلها وهذا سرُّ الوراثة والنمو على ما هو مظنون

بالون ديمون

عاد المسيو سانتوس ديمون فصنع بالوناً جديداً ليطير بهِ حول برج ايفل وهو البالون السابع الذي صنعهُ حتى الآن وانفق على هذه البالونات خمس مئة الف فرنك فليس غرضهُ اذاً ان يربح الجائزة وهي مئة الف فرنك بل ان يتمم غرضاً في نفسهِ وهو ان يفعل فعلاً لم يسبقهُ اليهِ غيرهُ . وقد طار بهذا البالون من سان كلو يوم السبت في ١٩ اكتوبر وكانت الريح تهب بسرعة ١٢ ميلاً او اكثر فسار بهِ بسرعة ثلاثين ميلاً حتى بلغ برج ايفل وكاد يصطدم بهِ لكنهُ دار حولهُ بمهارة ادهشت الابصار وعاد ادراجهُ فبلغ محلهُ في سان كلو في ٢٩ دقيقة ونصف اي قبل الميعاد بنصف دقيقة ثم قضي دقيقة وعشر ثوانٍ حتى ادخل البالون خيمتهُ فحسبت اللجنة هذا الوقت من وقت الطيران ولذلك حرمتهُ الجائزة مع ان معطي الجائزة المسيو دوتش حسب انهُ وفى بالشروط كلها واستحق الجائزة وقدهنأهُ واعرب لهُ عن اسفهِ لان اللجنة المعينة للحكم في هذه المسألة لم تحكم لهُ ثم قدَّم لهُ ٢٥ الف فرنك اعترافاً بفوزهِ فلم يقبلها بل قال انك لو اعطيتني المئة الف الفرنك لاعطيتها انا لفقراء باريس. فاشار المسيو دوتش على اللجنة ان تغير حكمها لكنها لا تستطيع ان تفعل ذلك قبل اوائل نوفمبر لان باب المسابقة يبقى مفتوحاً الى آخر اكتوبر . وقد قال مكاتب التيمس الباريزي انهُ لو كان المسيو ديمون فرنسوي الاصل لأُعطي الجائزة حالاً واحتفلت لهُ باريس كلها احتفالاً باهراً بالرايات والانوار والازهار

القانون اسحق تيلر

يعرف كثيرون من ابناء هذه العاصمة الشيخ الجليل القانون اسحق تيلر صاحب المباحث المستفيضة في اصل حروف الهجاء ومعاني الاعلام ودلالاتها وهو من الذاهبين الى ان الدين المسيحي لا يصلح للامم الافريقية ونحوها من الشعوب التي لم ترتقِ كثيراً . وقد تعرفنا بهِ وقتما زار القطر المصري سنة ١٨٨٨ ورأَينا منهُ رجلاً واسع الرواية متقداً غيرةً على تأييد مذاهبهِ العلمية عالي الهمة مع كبر سنهِ لان شعرهُ كان شائباً كلهُ . توفي في الثامن عشر من اكتوبر الماضي

الواقية من الغرق

اخترع احد النمسويين جهازًا يقي من الغرق وهو صندوق صغير فيهِ مادَّة كيماوية لعلها كربيد الكلسيوم مسدود بسدادة تذوب في الماء ويتصل بهِ كيس من الكاوتشوك وقد علق رجل هذا الصندوق والكيس بثيابهِ ورمى بنفسهِ في الماء فغاص فيهِ اولاً وبعد ثوانٍ قليلة طفا على وجههِ لان الماء اذاب سدادة الصندوق ودخل الى المادة الكيماوية التي فيهِ فتولَّد منها غاز ملأ كيس الكاوتشوك وحمل الرجل وطفا بهِ على وجه الماء. وفي الصندوق صمام ينسد من نفسهِ متى تولَّد الغاز فيهِ وسيكون لهذا الاختراع شأن عظيم ونفع كبير اذا صحَّ ما رونهُ صحف الاخبار عنهُ

زحلة كبيرة

زحل جانب من الارض في جزيرة بربادوز من جزائر الاتلنتيك مساحتهُ خمس مئة فدان فانتقل بهِ خمسة وثمانون بيتاً الى البحر وامسى اربع مئة نفس بلا مأوى

مناجم الذهب في مصر

اشرنا الى هذه المناجم في مقالة وجيزة في اوائل هذا الجزء ثم قرأنا في الصحف العلمية ان الصخور التي فيها الذهب تمتد من جبل الزيت عند خليج السويس الى جبال بلاد الحبشة وعرضها عند ام روس حيث كشفت المناجم القديمة ستون ميلاً ثم تضيق حتى يصير عرضها ٣٠ ميلاً ويتسع عند الدرجة ٢٢ اي على الحد بين مصر والسودان فيصير مئتي ميل وليس العبرة بوجود الذهب فيها بل بكثرتهِ ان كان كثيرًا وسهولة استخراجهِ

الفطر المنير

عدَّد الدكتور مكلبين ٢١ نوعاً من الفطر المنير وهي تنير في الظلام لا بميكروبات منيرة فيها بل بفعل حيويّ كيماوي يحدث فيها ولا بدَّ لذلك من وجود الاكسجين ومن كون حرارة الهواء شديدة . والمظنون ان المادة المنيرة هي شيءٌ فيها من النبات والغرض منها جذب الحشرات التي تساعد في نقل بزور الفطر وزرعها

اقدم ملوك مصر

قال الاستاذ بتري انهُ حكم مصر عشرة ملوك قبل الملك مينا المعدود اول الملوك المصريين وهؤُلاء الملوك العشرة ابتدأ حكمهم في مصر قبل التاريخ المسيحي باربعة آلاف وتسع مئة سنة الى اربعة آلاف وثمانمئة سنة. ومن الآثار الكثيرة التي وجدت من ايامهم اساور من الذهب وصولجان من الذهب ايضاً وهي اقدم الحلي التي وجدت حتى الآن في كل المسكونة ومنها اربعة اساور لزوجة الملك زر صنعت سنة ٤٧١٦ قبل المسيح

فهرس الجزء الحادي عشر من المجلد السادس والعشرين

المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد السادس والعشرين

١ دسمبر (كانون ١) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٨ شعبان سنة ١٣١٩

لي هنغ تشنغ وزير الصين



نعى البرق من بلاد الصين وزيرها الاكبر واشهر رجال السياسة الشرقيين بلا مراء لي هنغ تشنغ. وقد يُظَن لاول وهلة انهُ مستسمن وهو ذو ورم مذكور بشهرة لا يستحقها لان حرب الصين مع اليابان فضحت ما استتر من ضعف الصين وجاء قيام البكسر فيها وتهجم الدول الاوربيَّة عليها حتى دخلوا عاصمتها عنوةً مؤيداً لضعف سياسته وسياستها. ولكن ثبوت الصين امام اليابان وامام اوربا كلها وهي مثل شيخ بدين اعجزهُ الكبر والسمن عن الوقوف والحركة لأغرب من انخذالها واندحارها وبهِ يظهر دهاء وزيرها الاول وفضلهُ

وقد اطلعنا على ترجمة هذا الوزير بقلم جون رسل ينغ سفير الولايات المتحدة في بلاد الصين كتبها منذ ست سنوات فلخصنا منها ما يأتي قال

كنتُ راجعاً من اسيا سنة ١٨٧٩ برفقة الجنرال غرانت (رئيس الولايات المتحدة وقائد جيوشها في الحرب الاهلية) فذكر الرجال الذين لقيهم في تطوافهِ حول الارض ولا سيما الملوك ورجال السياسة وقال " لقيت في هذه الرحلة اربعة من العظماء بسمارك وبيكنسفيلد وغمبتا ولي هنغ تشنغ وعندي ان الاخير اعظمهم " فاعترضت عليهِ لانني كنتُ اكره سياسة بيكنسفيلد وأُعجب بغلادستون ندهِ ولكن الجنرال غرانت لم يكن يميل مع الاهواء ولا يدع هوى النفس يخرجهُ عن جادَّة الصواب ولقد بذل جهدهُ حتى لقي دوق ارجيل وجون برَيت وكان يكرمهما اكراماً يقرب من العبادة لانهما كانا محازبين للولايات الشمالية على الجنوبيَّة في الحرب الاميركية (اي كانا من حزبهِ) وقابل بيكنسفيلد مكرهاً واحترمهُ احتراماً عقلياً لا قلبياً لانهُ علم ان التاريخ سيبقي اسمهُ فوق اسم ارجيل و بريت . وقد اعرب بيكنسفيلد عن ميلهِ الى الولايات الشمالية لا حباً باهلها بل لانهُ علم ان الفوز سيكون لها وانهُ ليس من مصلحة انكلترا ان تعادي بلاداً فائزة

ولما تعرفت بلي هنغ تشنغ سنة ١٨٧٩ كان في عنفوان قوتهِ طويل القامة مهيب الطلعة بشوش الوجه برَّاق العينين يخالف وزراء المشرق في انهُ سريع الحركة كثير النشاط يصافح من يسلم عليهِ ويشد على يدهِ كما يفعل الانكليز . ويقال انهُ يغتاظ احياناً فيضطرُّ مجالسوهُ ان يهربوا من وجههِ اما انا فلم ارهُ في هذه الحال قط بل كنتُ اراهُ دائماً جامعاً بين الدعة والحزم انيس المحضر يأنس بمن يحدثهُ الاحاديث الطويلة ويقصُّ عليهِ نوادر الاخبار ولا سيما اخبار الرجال العظام . وهو واسع الاطلاع قرأ كتاب حقوق الدول الذي الَّفهُ هوتن وقد ترجم الى اللغة الصينية واعطاني نسخةً منهُ مرةً وقال لي ارني اين يقول هذا المؤلف ان للعبد حقوقاً في اميركا اكثر مما للصيني . قال ذلك جواباً عن امرٍ طلبتهُ منهُ ولم يكن راضياً عن مهاجرة الصينيين الى اميركا ولا كان يود ان يحميهم فيها ولمحتُ الى ذلك تلميحاً فنظر اليَّ ضاحكاً ولم يقلْ شيئاً . وهذه هي المرَّة الوحيدة التي ذاكرتهُ فيها في امر المهاجرة

وهو كريم كثير التودُّد لزائريهِ يبذل جهدهُ لكي يخرجوا من مجلسهِ راضين وقد يكتشف بفراستهِ ما يريدونهُ ويعرضهُ عليهم عرضاً قبلما يطلبونهُ . ويرسل يختهُ مسافة خمسين ميلاً اكراماً لزوجات السفراء ولا ينقطع عن الشغل ولا يقنع بغير الوقوف على كل ما يجري في البلاد حتى التلغرافات التي ترد على الناس ترسل صورتها اليهِ ليطَّلع عليها واذا تعذَّر عليهِ حل شيء

فيها استدعى من أُرسلت اليهِ وطلب منهُ حلَّهُ . ولما رأى السفراء منهُ ذلك قالوا لا يفلّ الحديد الاَّ الحديد وصاروا اذا اعتاص عليهم امر يبعثون تلغرافات سرية الى امراء البحر ليكونوا على اهبة فيطَّلع على صورتها خلسةً ويتلافى الشر قبل وقوعهِ وهو يحسب انهُ غلبهم في الدهاء ولا يعلم انهُ المغلوب

وهو صيني قح لم يرفعهُ علمهُ واختبارهُ عن الاوهام التي يعتقدها قومهُ. ولم يتعلم لغة اجنبيةً لكنهُ حفظ بعض الكلمات الانكليزية وهو يستعملها ضاحكاً خجلاً لانهُ يعلم انهُ لا يحسن استعمالها والتلفظ ولا يريد ان يخفي ذلك ويتظاهر بغير الواقع . والظاهر ان استخفاف كبراء الصين بالاجانب ولغاتهم هو الذي منعهُ من تعلُّم الانكليزية او الفرنسوية . ولم يجاهر بذلك قط لكي لا يغتاظ منهُ احد . وكرههُ لدول اوربا متأصل في نفسهِ لانهُ لا يرى منها الاَّ العدوان وقد يجاهر بلامتها ولا يحاذر ولا سيما اذا ذُكرت حرب الافيون التي اثارها الانكليز على الصين وتهجُّم فرنسا على التنكين وروسيا على الولايات الشمالية . وهو لا يعبأُ بالمرسلين دعاة الديانة المسيحية واما الاطباء منهم فلهم عندهُ شأن كبير ومقام رفيع وكان يودُّ ان يدخل صناعة الطب الغربية الى بلادهِ ويقول ان الاطباء هم الذين سيفتحون الباب للمرسلين اذا كان فتحهُ ممكناً . ولا يسلّم ان المرسلين آتون لغاية دينية محضة لانهُ لا يعقل عند الصينيين ان احداً يهاجر من بلادهِ ويذهب الى بلاد بعيدة وشعوب غريبة لكي يعلمهم ويدربهم وليس لهُ من وراء ذلك منفعة ذاتية. ويقولون ان المرسل الذي يحمل الانجيل في يدهِ هو رائد الجندي الذي يشهر السيف ويصوّب المدفع والتاجر الذي يأتي بالافيون ويكتسب الاموال وان دعاة الدين هم الذين دكوا حصون تاكو واضطروا الصينيين الى ابتياع الافيون

والافيون اكره شيءٍ عليهِ وهو عندهُ المصيبة الكبرى على الصين لانهُ نزع احلام رجالها وحطَّهم الى ادنى دركات الذل . وهو يقول ان انكلترا اضطرتنا الى ابتياع الافيون منها اضطراراً لكي تملأَ خزائن الهند وتستطيع الانفاق على حكومتها وان الصين تدفع ثمن الافيون الذي يرد اليها اكثر مما تنقد من ثمن الحرير الذي يصدر منها . وقلتُ لهُ مرةً ان زراعة الافيون آخذة في الانتشار في بلاد الصين نفسها وانهُ اذا شاء منع هذا الشر فليبدأْ ببلادهِ فقال كلاَّ بل انا اعضد الناس على زرع الافيون لكي اميت تجارة الهند بهِ ومتى ماتت وابطل الهنود زرعهُ فبامر واحد من السلطان ابطل زرعهُ من كل بلاد الصين واعيد الارض لزرع الارز والحنطة

وهو صعب المراس لا تسهل معاملتهُ لانهُ يقلّب الامور ويطيل نظرهُ فيها قبلما يبت

حكمهُ ولا يؤخذ على غرَّة ولا يخفى عليهِ شيء من مواقع الضعف في ما يُعرَض عليهِ ولا يسلّم تسليماً اعمى ولا يقبل شيئاً ما لم يزنهُ بميزان العقل ويجدهُ خالياً من كل شائبة لكنهُ صادق الوعد اذا قال قولاً لم يرجع فيهِ واذا اتفق معك على شيء قام بهِ

ولم يرَ من الاجانب احتفالاً بشأنهِ مع ما ابداهُ لهم من التودُّد كانهم يحسبون ان لا فلاح لهم الاَّ اذا غاضبوا الوطنيين كما فعل اخوانهم في بلاد الهند مع ان الصينيين يخالفون الهنود في ذلك لان ما اعتادهُ الهنود من الذل قروناً كثيرة لم يرَ الصينيون شيئاً منهُ . فلما رأى احجام الاجانب عنهُ نفر منهم ولم يعُد يتودَّد اليهم

وقد غاظهُ اقتداء اليابانيين بالاوربيين وراقب اصلاحهم لمدارسهم واقتفاءهم خطوات الاوربيين في اصلاح جنديتهم وبحريتهم بعين الغيرة بل بعين الكراهة لانهُ من اشد الناس احتفاظاً بالعوائد القديمة وولدت فيهِ هذه الكراهة الاحتقار لليابانيين (ولعلَّهُ عدل عن رأيهِ بعد الحرب الاخيرة بين الصين واليابان والاَّ فهو شديد الغرور) ولكنها لم تحملهُ على مجانبة السلم والجنوح اليهِ ولم يقبل بمحاربة اليابان الاَّ وهو معتقد ان الصين تستطيع ان تمحو آثارها عن وجهِ البسيطة . ولما نشبت الحرب بين فرنسا والصين قبل ذلك ورغبت فرنسا الى اليابان في ان تعاونها وابت اليابان ذلك بسعي سفيرها في الصين عرف لها هذا الجميل ثم ارسلت اليابان وفداً الى الصين برئاسة الكونت ايتو لتؤكد لها صدق ودادها فرحَّب بهِ وقابلهُ بالاكرام وحسب ان سياستهُ غلبت سياسة اوربا

ذاكرتهُ مراراً في شأن هذا الوفد وذكَّرتهُ بنصيحة الجنرال غرانت الاخيرة لهُ وهي ان يخطب وداد اليابان ويبقى على تمام الوئام معها لان ذلك لازم لحفظ بلادهِ وتقدُّمها ونصحت لهُ ان يردَّ زيارة الوفد الياباني بنفسهِ فيمضي الى بلاد اليابان ويرى اليابانيين في بلادهم ويقف على احوالهم واكَّدت لهُ ان الميكادو (امبراطور اليابان) يكرم وفادتهُ ويرحّب بهِ فتتمكن ربط الوئام بين البلادين. وعندي انهُ لو فعل حسب نصيحتي ما وقعت الحرب بين الصين واليابان

وكان ينظر الى الولايات المتحدة الاميركية نظر الصداقة والوداد ويقول انها الحكومة الوحيدة التي لا مأرب لها في اجتياح الصين وان مصلحة الاميركيين تقضي عليهم بمصادقة الصين ولذلك لا توجس منهم شرًّا.وكان يتمنى ان يكون بينهُ وبيننا عهود وروابط تجارية محكمة ولو مالت كفة الربح نحونا . وباع شركة البواخر الصينية التجارية للاميركيين قائلاً اذا لم تستطع هذه البواخر ان ترفع العلَم الصيني فلا يود ان ترفع الاَّ العلَم الاميركي. وكأنهُ لحظ اننا عدلنا عن سياستنا القديمة سياسة الاتفاق مع انكلترا في كلّ شيء سواء كان لنا فيهِ مصلحة

او لم يكن ما دام فيهِ مصلحة لانكلترا وصرنا نوافق انكلترا على ما لنا فيهِ مصلحة فقط فسرَّهُ ذلك وصوَّب سياستنا وصار يعرض علينا كل مسألة يقع الخلاف بيننا وبينهُ فيها لنحلها بطريقة غير رسمية . ولا يقيم في بكين بل في تينتسين وهي تبعد عن بكين ثمانين ميلاً لكنهُ كان يعرف كل ما يدور في وزارة الخارجية من المذاكرات والمداولات بينها وبين السفراء ولا يبتّ امرٌ فيها الاَّ برأيهِ واذا اعتاصت مسألة ذهب وزير الخارجية اليهِ بنفسهِ وحلَّ المشكل معهُ

ومما يمتاز بهِ الصينيون عن امم الارض اكرامهم العظيم لوالديهم حتى اذا مات احد الوالدين اضطرَّ اولادهما ان يتركوا مناصبهم كلها والقابهم ويذهبوا الى القبر ويلبسوا المسوح والرماد كل مدة المناحة . ولما كنتِ سفيراً في الصين كان السفراء يتوقعون موت ام لي هنغ تشنغ لانها كانت في التسعين من عمرها وموتها يقضي عليهِ بالاستعفاء من منصبهِ والانقطاع عن الاشغال السياسيَّة

وتوفيت امهُ فترك منصبهُ واسرع اليها وتبعهُ اخوهُ وهو والي ووتشانغ فتنفس خصومهُ الصعداء وحسبوا ان الجو قد خلا لهم . واذا بارادة سنيَّة صدرت من ملك الصين تأمرهُ بترك الحداد على امهِ والرجوع الى منصبهِ بعد ثلاثة اشهر . امرٌ لا مثيل لهُ في تاريخ الصين ولكن امر الملك مقدَّس عندهم ولا بدَّ من طاعتهِ فترك القبر وعاد الى الولاية

ولما عاد كنت في شفو ورأيت يختهُ في الميناء ذات يوم فوددت ان ازورهُ واعزيهُ عن وفاة امهِ وبعثت اسألهُ عما اذا كان الحداد لا يمنعهُ من مقابلتي فجاءني رئيس حرسهِ يقول انهُ يودُّ مقابلتي ويدعوني اليهِ . ولم يكن يخطر ببالي شيء عن المسح والرماد حتى رأيتهُ فوجدتهُ واقفاً كالخيال لابساً ثوباً من اخشن ما يكون وقد امتنع عن حلق شعرهِ ومشط الذؤابة المتدلية من رأسهِ وغضون الحزن بادية في وجههِ وراحتاهُ شاحبتان كانهما ممرغتان بالرماد مع انهُ من المفرطين في نظافة ابدانهم وتمنيق اثوابهم فثبت لي انهُ وهو اعظم رجل في بلاد الصين فعل ما يفعلهُ احقر رجل فيها اكراماً لامهِ ومعتقدهِ . وقابلتهُ بعد ايام في تينتسين وكان قد خلع ثوب الحداد وعاد الى حلله الفاخرة

ويمتاز هذا الوزير على اكثر رجال السياسة في انهُ عصامي لاعظامي ارتقى باستحقاقهِ لا غير وهو من عائلة حقيرة تلقى الدروس في مدارس الصين وارتقى من مدرسة الى اخرى الى ان اجيز لهُ من اعلى مدارس بكين واشتهر بالشعر والفلسفة والانشاء . والانشاء ضروري لكل من يحوز رتبة عالية في تلك البلاد فارتقى في المناصب وحدثت ثورة الصين في ايامهِ ودُعي غوردون لاخمادها ويقول الصينيون انهُ هو الذي اخمدها لا غوردون واختصم الاثنان

لأن لي نكَّل برؤساء الثائرين بعدما سلَّموا ويقال ان غوردون تبعهُ حينئذٍ والفرد في يدهِ قاصداً قتلهُ لانهُ نكث عهدهُ لرؤساء العصاة . ثم لما خمدت سورة غيظهِ قال ان لي كان مصيباً وانهُ لو لم يضرب اعناق اولئك العصاة لضربوا عنقهُ

وزارهُ غوردون سنة ١٨٨٠ في تينتسين وكانت روسيا تتهدَّد الصين بالحرب وكان لي راغباً في مشاهدة غوردون واستشارتهِ في هذا الخطب ويقال ان غوردون اشار عليهِ حينئذٍ ان يقوم بجنودهِ الى بكين ويخلع العائلة المالكة ويملك بدلاً منها فتزول المشاكل . فاصغى اليهِ صامتاً وكأنهُ قال في نفسهِ كيف اخون العائلة التي رقتني ورقت اخي او قال ان ملكاً ينال مُلكهُ بسيف غوردون يبقى خاضعاً لهُ كما يخضع اقيال الهند لسادتهم الانكليز

ووصل الخبر الى بطرس برج فاقام الروس واقعدهم ورفعوا الامر الى لندن وكان غلادستون يكرهُ معاداتهم فامر غوردون بالخروج من الصين حالاً

هذه خلاصة ما كتبهُ السفير الاميركي منذ ست سنوات ونزيد على ذلك ان لي هنغ تشنغ ارتقى في المناصب حتى جُعل والياً على ولاية بتشلي التي منها مدينة بكين عاصمة الصين ورئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية وقهرماناً للامبراطور ومديراً عاماً لتحصين السواحل الشمالية وللعمارة البحرية وعهد اليهِ في امضاء شروط الصلح مع اليابان سنة ١٨٩٥ وأُرسل مندوباً خاصاً لحضور تتويج القيصر في شهر مايو سنة ١٨٩٦ ثم شخص الى المانيا وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية وكندا فاكرم الملوك والرؤساء وفادتهُ ورحب بهِ الامراء والعظماء وكان حيث يلقي عصا الترحال اكبر جاذب تندفع اليهِ افكار اهل السياسة ويتألب حولهُ مكاتبو الصحف ووكلاء الشركات البرقية لاذاعة انباء ما ينطق بهِ و يشير اليهِ في تلك العواصم الكبرى . ولم يغادر عاصمة منها الأَّ زار مصانعها ومعاملها وتفقد مشاهدها ومعالمها وخلف فيها اثرًا من الحكمة والدهاء يؤثر عنهُ ويعجب منهُ

ولما رجع الى بلادهِ أُسند اليهِ منصب نظارة الخارجية ثم نُحي عليهِ وعزل سنة ٩٨ وفي نهايتها اقامتهُ الامبراطورة مندوباً لانشاء السدود على النهر الاصفر ثم عُين حاكماً لكنتون . ولما نكبت بلادهُ بفتنة البوكسر وساقت اوربا جيوشها الى بكين انتدب الى حل ما انعقد وتدارك ما فرط فابدى من الحرص على سلامة بلادهِ وترضي الدول المتعنتة ما ادهش العقول وحير الافكار . وجملة القول انهُ انتشل بلادهُ من ورطة قلَّ من قدر لها النجاة منها ونكَّل بكثيرين من موقدي فتنة البوكسر

وقد عاش عمرًا طويلاً ثمانياً وسبعين سنة وشبع من هذه الدنيا شهرةً وعزًّا وغنيً

الفينيقيون وعمران اوروبا

وماذكرك الشيء الذي ليس راجعاً بهِ الوجد الأ خفقة من ضلالك
أما والذي حج الملبون بيتهُ شلالاً ومولى كل باقٍ وهالك
لئن قطع اليأسُ الحنين فانهُ رفوءٌ لتذراف الدموع السوافك

وقد يقطع اليأسُ الحنينَ الى الوطن ولكن الذكرى تجدده وهي تتجدد كل يوم اذ يحمل الينا البريد اخبار ابناء الشام المتفرقين في انحاء المسكونة حيث القوا عصا الترحال ووسعوا المتاجر وانشأوا الجرائد ابناء الفينيقيين الذين طافت سفائنهم بسواحل بحر الروم ودارت حول افريقية .وبلغت الجزائر الانكليزية الذين مصروا المستعمرات في كل بلاد وصلوا اليها يوم لم يكن للاوربيين اسم يذكر

كتب الينا ولدنا من البلاد الانكليزية يقول زرت بيوت السوريين في منشستر فاذا هي قصور مثل بيوت الكبراء من الانكليز فيها المقاصير الكبيرة والصور الثمينة وافخر انواع الاثاث والرياش تحف بها الحدائق الغناء وهم ونساؤهم واولادهم في اطوارهم وازيائهم واحاديثهم مثل جلة القوم الذين استوطنوا بلادهم . ينظر الانكليز اليهم نظر الاكفاء الى الاكفاء فيزورونهم و يضيفونهم و يدعونهم الى الحفلات الكبيرة التي لا يدخلها الأ خاصتهم . جاء اللورد روبرتس القائد العام هذه المدينة فكان السوريون بين اعاظم القوم الذين قدموا اليهِ وحادثوهُ وحادثهم في شؤون مختلفة هؤلاء ابناء البلاد التي كانت تفيض اللبن والعسل في غابر الازمان رواد الحضارة وناشري راية العمران ولكن

اربَّ بهم ريب المنون كانما على الدهر فيهم ان يفرقهم نذرُ

خطب الاستاذ بويد دوكنس العلامة الشهير بالامس خطبة ذكر فيها المؤثرات التي كان لها اليد الطولى في عمران البلاد الانكليزية قبل زمن التاريخ فقال ما ترجمتهُ

ان استيطان الفينيقيين سواحل بحر الروم الشرقية قبل المسيح بسبعة عشر قرناً لهُ الشأن الكبير في عمراننا فان منهم التجار العظام الذين نقلوا بضائع مصر واشور الى الشعوب القاطنة حول بحر الروم وانشأوا المستعمرات في كل مكان وصلوا اليهِ ومن اعظم مستعمراتهم قادس في اسبانيا انشأوها سنة ١١٠٠ قبل المسيح وقرطاجنة في افريقية انشأوها سنة ٨١٤ قبل المسيح ثم اخترقت سفنهم عباب الاوقيانوس الاتلنتيكي وضربت شمالاً ومن المرجح انهم بلغوا الجزائر

البريطانية ومعهم بضائع البلدان الواقعة على بحر الروم وعادوا بالقصدير من كورنول والذهب من ارلندا

وفي ذلك العصر كانت الشعوب النازلة حول بحر الروم قد انتظمت بعضها مع بعض واتحدت كلمتها على غزو القطر المصري فغزتهُ برًّا وبحرًا واجتاحت جانبًا من الدلتا (الوجه البحري) الى ان طردها منهُ الملك منفتاح الاول

ثم ذكر الخطيب ان تجار الفينيقيين وغيرهم من الامم القاطنة في سواحل بحر الروم دخلوا اواسط اوربا بطريق تريستا ومرسيليا قبل زمن التاريخ وضربت قوافلهم فيها شرقًا وغربًا وشمالاً وكانت تعطي الاهالي الاسلحة والحلى كالسيوف والفؤوس والخناجر والاساور والمرايا والابازيم وغيرها من المصنوعات وتأخذ منهم الكهرباء التي يجلبونها من السواحل الشمالية. وقال ان ذلك كلهُ عرفهُ اهل البحث حديثًا وهو نتيجة لازمة عن المباحث الاركيولوجية التي تمت في العشرين السنة الاخيرة . وقول هذا العلاَّمة حجَّة يؤخذ بها و يعتمد عليها في هذه المباحث وامثالها

وكتب المستر ادانس مكتشف آثار كريت التي وصفناها في الجزء الثالث من هذه السنة ان عمران تلك الجزيرة قديم جدًّا متَّصل بعمران سورية واسيا الصغرى وفيهِ ادلَّة كثيرة تدلُّ على انهُ نشأ عند شعب اقدم عهدًا من الآريين ومن الساميين ايضًا وان هذا الشعب كان يسكن سورية وفلسطين واسيا الصغرى منذ عهد قديم جدًّا

ولا يخفى ان تاريخ المصريين اقدم من تاريخ الفينيقيين وعمرانهم اعظم وادلتهُ اكثر واثبت .وهم وان اضاعوا من عمرهم كأُمَّة خمسة عشر قرنًا كان التأخر رائدهم فيها الاَّ ان نوائب الدهر هادنتهم اخيرًا وقد هبُّوا من سباتهم الآن ولا يبعد ان يستردُّوا مجدهم السالف بعد اعوام قليلة . اما اخوانهم ابناء الشام فلا ندري الى متى يبقى النحس طالعهم وهل يصفو لهم الدهر بعد كدرهِ ما دام في قوس الرجاء منزع او تطوّح بهم نوائب الزمن فيستوطن اكثرهم البلدان التي هاجروا اليها ولا يبقى منهم في بلادهم بقيَّة تذكر

ولسنا باول من فاتهُ على رفقهِ بعض ما يطلبُ
وقد يدركُ الأمرَ غيرُ الاريبِ وقد يُصرَعُ الحُوَّل القلَّبُ (١)
ولكن لما آمرٌ قادرٌ اذا حاول الامر لا يُغلَبُ

نسألهُ تعالى اصلاح الحال وحفظ البقية الباقية والرفق بعبادهِ انهُ السميع المجيب

---

(١) الحوَّل القلب البصير بتقليب الامور

غذاء الفضل

في سير ذويهِ وفظائع مخالفيهِ

لما كانت معالجة الاخلاق العليلة من اخصّ مفاخر الصحف الجليلة . وكان المقتطف قد صار لانتشارهِ خطيب الاصقاع أتيت بهذه المقالة انبّه بها الافكار الراقدة للجدّ في استئصال العوائد الفاسدة

ان النفس لتأنس بالاقتداء . وتبادر الى الاحتذاء . وقلّت نفسٌ تعاف الاتباع الى الابتداع . يدلك على ذلك ما ترى لهذا العهد من تهافت الناس على المتابعة في ازياء الملابس. وتكوين المنازل . والمشاكلة في المراكب والمشابهة في الاهرة والاثاث والخروج اثناء المكالمة العربية الى المراطنة بالاعجمية اما تفاخرًا واما استرسالاً مع هذه العادة المالطية الشوهاء فتصبح تلك المفردات الأعجمية بين الجمل العربية كالرقعة الرثّة في البرد القشيب

ولا يخفى عليك ان لكل جيلٍ ودولةٍ من العادات في الجذَل والأسى والمخاطبة والمكاتبة والسلام والوداع وازياء الثياب وهندسة الاسواق والدور شيئًا يعتورهُ الجيل والدولة حتى ان علماء الآثار قد يستدلّون حيث لا يجدون كتابة بهندسة الابنية على العصر الذي بُنيت فيهِ والدولة التي كانت متسلطةً وقتئذٍ . وكفى بهذا دليلاً على ان الجيل برمّتهِ يحذو حذوًا واحدًا ملبسًا ومطعمًا وبناء ومظهرًا وهو من اقوى البراهين واصرح الادلّة على استئناس النفس بالاتباع. ومن الادلّة الشائعة على ذلك اصطلاحنا الحديث في استقبال الكبراء بالقاء الخطب وانشاء القصائد فترى صحفنا طافحةً بنحو " ولما دخل الدار حضرة صاحب الدولة فلان او او سعادة قائم المقام او جناب المدير انبرى الخطباء والشعراء واحدًا إثر واحد يخطبون وينشدون ويثنون على ماله من الايادي البيضاء " . وتراها ايضًا حافلةً بشبه " وما استقرَّ بغبطتهِ او سيادتهِ او حضرتهِ المقام حتى قدّمت لهُ القصائد والخطب وفي الختام خطب فيهم خطبةً نفيسةً رصّعها بالدعاء لحضرة صاحب الخلافة العظمى ولوكلائهِ الفخام ورجال دولتهِ العظام فقابلها الحشد بتصدية الاستحسان" الى اشباه هذه مما عاد معروفًا عند مطالعي الجرائد كافةً

وانما السرّ في ذلك كلهِ ان الاتباع مهيع بيّن يسهل على كلّ ان يسلكهُ واما الابتداع فعدولٌ عن المتعارف لا تنتجهُ الاّ قوة نفس وشهامة جنان. وما اقلّ ما يجود الزمان بمن تهديهِ لبابتهُ . وتدفعهُ شجاعتهُ الى ان يرفع لواء المناقضة وينشر بنود المخالفة لعادة سائدة في الناس مهما اخلّت بمصلحة الكافّة بل مهما جرّت عليهم الوبال اذ انهُ ينفرد حزبًا بنفسهِ ويصبح والقوم

كلهم إلباً واحداً عليهِ . ويكفيك هذا علةً لتملك العادات السيئة الزمن الطويل حتى في الامم التي استفحل فيها العمران وادركت الأمد الأقصى من الحضارة والتمدن فهذه الممالك الاوربية على ما بلغتهُ من التبحُّر في كل علمٍ وصناعة تراها من وجهٍ آخر تذلّ العقل وتحتقر القوة الناطقة وترفع عليهِ القوّة البهيمية وتحببها الى الشهوات البدنية . فمن ثمَّ توفرت في هاتيك الممالك دواعي ما يجحف بالآداب من العادات المرفوضة في اصول التهذيب الممنوعة في قواعد التثقيف التي انما اليها تنازع القوّة البهيمية نزاع الصادي الى العذب الخصر. ولو أُوتيتُ من قوة الجنان ما يؤتى مصلحو عادات الأمم وحاسرو البراقع عن بصائر الشعوب لذكرت منها ما يندى لهُ جبين الأدب حياء مما وصل شيءٌ منهُ الى هذا القطر الشاميّ وضرب فيهِ خيامهُ . ذلك بما اقبل عليهِ بعض الوجهاء والاعيان ورحّب بهِ جماعة من اغنياء الزمان وكسروا على رؤُوس الاشهاد القيود المقيدة عن استقبالهِ . ولم يبقَ عندهم من قوانين الاجتماع الانسانيّ ما اذا رجعوا الى انفسهم وعرضوا عليهِ صنيعهم يتبينون الزيغ عن الجادةّ . وما وراء نكبة العقل هذه الأ نكبات أخر من وداع الثروة وزوال العافية وتناقص النسل وذهاب البركة . ولا يعيد الى القوّة الناطقة ما لها من حق الايثار والتكريم الا نفس تحارب من يخالف قويم مشربها وتناهض من يعارض صحيح مأربها ولا تبالي بانقباض كبير. ولا تحفل بخسارة كثير بل تحمل اشق المشاق ولا تحمل مداراة من اعتسف سواء السبيل . ولا تزال بالثائرين حتى تكبح جماحهم وتخفض رؤُوسهم وتسوقهم للاذعان الى سلطتها نادمين .

واذا علمت ذلك أيقنت بالضرورة ان أنجع غذاء للنفوس القوية والعقول الزكية بل اصدق ما يهديها السبيل الى استئصال الأوهام ومحو السيء من العادات ويؤتيها عزيمة تكفل لها الظفر بمن يناصبها الحرب الزبون انما هو الائتمام بعظماء الرجال الذين خلعوا نير العادات المجحفة بالراحة المخلّة بنظام العافية ونسخوا حنادس الجهل بتقريب أُولي العلم واقتراح التآليف النافعة عليهم وغمرهم بالاموال الطائلة ليتهيأ لهم ان يتوفروا على تلك الاشغال العقلية ويحكموها غاية الاحكام ويخرجوها وافيةً بالمرام جاعلةً المقصود على طرف الثمام

فمن هنالك حرص الناس على تدوين تراجم العلماء وكتابة سيَر العظماء والكبراء من اصحاب الحلّ والعقد وذوي الشأن في الارض لتكون ذكرى للخالين ومنهضاً لهمَم الحاضرين والآتين ومنتجعاً للخلائق الكريمة ومستراداً للطبائع السليمة . وما اشبه سيَر المشاهير بالتربة التي يستخلص منها كل نجم وشجر ما يسأوق طبعهُ ويوافق جوهرهُ فمن تهجم بهِ نفسهُ على الاختراع يكثر من مطالعة قصص المخترعين ويسوم نفسهُ الصبر على مزاولة العمل ويدفعها لتحمل العناء

فتجرع كؤوسهُ المرَّة واثقةً بأن من وراء ذلك حلاوة الفخر ولذة الانتظام في عداد المخترعين الذين أوجدوا في الدنيا ما لم يكن موجوداً وتبوأوا مقام مجدٍ لم تبلغهُ هِمم من عداهم . ومن يكثر من تصفح تراجم من اشتهروا بالاخلاص والمثابرة على العمل وتلقي مشاقهِ وتذليل صعابهِ وتمهيد عقباتهِ تنمي فيهِ تلك الخصلة الشريفة . وتبسق فيهِ على هاتيك المطالعة اغصان تلك الطبيعة الكريمة فيصير من السهل عليهِ ان يشرك في عملهِ من يستعين عليهِ بمالهِ ورأيهِ ممن يصير واياهُ شخصاً واحداً اذ يرتفع من بينهما الحسد والطمع حتى لا يخطر ببال الواحد منهما ان يؤثر نفسهُ على شريكهِ بمالٍ او جاهٍ فيكونان واحداً مشرباً واثنين عملاً وسعياً وجداً . فينفتح لهما من ابواب الكسب واسباب المجد ما كان يتعذر فتحهُ على كلٍّ منهما لو انفرد ورحم الله من قال "القوة بالاتحاد" وتغمد بالرضوان الشاعر القائل

كونوا جميعاً يا بنيَّ اذا اعترى خطبٌ ولا تتفرقوا آحادا
تأبى القداحُ اذا اجتمعن تكسُّراً واذا افترقن تكسرت أفرادا

ومن صبت نفسهُ الى تبوُّء منابر الخطابة كانت قراءة تراجم الخطباء نوراً يهديهِ سواء السبيل الى احكام هذه الصناعة التي تصل بالناس الى أمد لا يصل اليهِ السيف فيقرأ ترجمة الامام علي بن ابي طالب والحجَّاج بن يوسف ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم من اكابر خطباء العرب وترجمة هوميروس اليوناني وشيشرون الروماني وبوسيه وفنيلون من فحول خطباء الافرنج فتشتدُّ عزيمتهُ على قطع تلك العقبة الكؤود في طريق من يهوى شرف الوقوف في جمع كبير من الخلق يدفعهم بكلامهِ الى ما يريد فكأنهُ قائد و يردهم عما لا يريد وكأنهم جنود يذهبون الى حيث يذهب فيقدمون ويحجمون وفق اشارتهِ

واما من طُبع على تحرير النفس من عبوديَّة العادات واطلاقها من سجون التقليدات فأخبار من أبطلوا العادات الضائرة وكسروا قيودها الثقيلة وذكر ما لقوا من المقاومة دون استئصالها تهوّن على الفطن الابي النهوض على العادات المتملكة في طباع اهل زمانهِ وتمزج ما يجد من المرارة في مناهضتها بحلاوة الامل في تخليص الناس من رقّها فلا يفتأ ينازلها و يقاتلها حتى يلد التجلُّد لهُ انصاراً فيجعلها بمبالاتهم أثراً بعد عين

فهذه النارجيلة كم اهلكت من مالٍ وأحدثت من داء وأدخلت في عبودية فلو ان زيداً تصدَّى لجمع ما انفقتهُ وما تنفقهُ سورية وحدها في سبيل النارجيلة لرأى امام عينيهِ جبل ذهب . ولو ان عمراً عُني بعدِّ من مات بسبب النارجيلة مصدوراً لتمثل هلكاها جمعاً كثيفاً . وأما أنها أدخلت في العبودية فهؤلاء محتكروا التنباك لا يأتمرون في تسعيرهِ الاَّ اوامر الطمع

فيرفعون سعرهُ و يغلون ثمنهُ كما يشاؤُون حتى اصبح التنباك رطل بتسعين غرشاً وما من داعية لهذا الغلاء الذي دخل في باب الغلوّ الأ طمع المحتكرين . فلو أن آفة سماوية ذهبت بنصف حاصلات التنباك ما تأدّى حبُّ الربح باصحابهِ وتجّارهِ ان يبيعوهُ رطلاً بتسعين غرشاً . وكذا لو تضاعف عدد المتسلين بالنارجيلة اللاثمين أفواه تلك الافاعي الفارغة ما غلا التنباك هذا الغلاء ولا انتهى ثمنهُ الى هذا الحدّ البعيد حتى عاد ذوو المال الجمّ والدخل المضارع اليم يئنون من هذا الغلاء بل يتأوهون من هذا البلاء . و يتبرّمون بهذا الرقّ بل يتألمون منهُ . على انهُ انما انجرّ اليهم بما تعوّدوه من لثم أفواه تلك الافاعي . فهل من سلطة تجور على الانسان وتسومهُ ذلّ العبودية اشدّ من سلطة العادة السيئة التي تمكّنت منهُ بل التي يبلغ من جهلهِ بمصلحتهِ ان يجعلها بقوة الاستمرار من مقوّمات وجودهِ او خاصّات كيانهِ فأين المنادون بالحريةِ بل أين دعاتها والمفاخرون بها وما بالهم لا يزمعون الانتصار لها ولا تأخذهم الأنفة للذود عن حياضها . اليس في وسعهم ان يهجروا النارجيلة يدَ الدهر فيتخلصوا من تكاليفها ومشاقها وينجوا من آفاتها وويلاتها

ليت شعريَ من ذا الذي يلزمهم بها او يكرههم عليها وكأني اسمع لسان أولي النارجيلة وانا اكتب هذا السؤال يقول مجاوباً انما تكرهنا عليها يا صاح سلطة قاهرة وقوة قاسرة بسلطة تذلّ لها الجبابرة . وتعنو لها الاكاسرة . هي سلطة العادة وقوّتها وان الصعلوك منّا ليعد نفسهُ ملكاً عزيزاً وقد تناول بيدهِ تلك الافعي واخذ يقبل فاهاً عقب القهوة معتقداً ان في يده صولجاناً . وكم من فقيرةٍ تقول " اقعد بلا اكل ولا اقعد بلا اركيلة " وكم من مصدور يقول " الموت ولا فراق التربيج " فان كان في نيتك حمل الناس على هجر تلك العادة الحسناء الجامعة بين النار والماء فكأنما قد سمت نفسك ان تجفف البحر او تكسف الشمس . واين قوّتك مما تحاول ولعلّ الذي جرّأك على ذلك انك لم تذق لذّة النارجيلة التي لا احلى منها عند الصباح والاصيل وبعد الطعام ولا سيما في البساتين عند نفحة الربيع وهبوب النسيم العليل وما أحراك ان تتذكّر قول الشاعر

دع عنك تعنيفي وذُقْ طعم الهوى فاذا عشقتَ فبعد ذلك عنفِ

نعم اني لواثق كما علمتَ من كلامي بأن ذوي النارجيلة هم فوق ما تقول ألا وقد ملكتهم قوة العادة . وكفّت عيون بصائرهم واصبحوا عمياناً لا يهتدون طريق مصلحتهم . ولا يفرّقون بين النافع والضارّ لكن حسن النظر في سوء المصير قد رفع الغشاوة عن بصائر بعض من مشاهير المولعين كانوا بالنارجيلة فقطموا انفسهم عنها واستعاضوا من الهزال سمناً ومن الشحوب نضارةً

فقد تمتع الكهول منهم بعد مقاطعة النارجيلة من العافية ونضارة الصحة بما لم يتمتعوا بهِ في شبابهم . ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ترفُّع الشوابّ من عذارى ومتزوّجات عن الخضوع لهذه العادة الضارَّة . والحقهنَّ بالذكر وجيهةً بيروتية أوصلتها قوة النفس الى ان حررت بيتها من عبودية النارجيلة فأحرِ بوجهاء الناس ان يتفقوا ويحرّروا انفسهم وبيوتهم من هذا الرق فيتبعهم العوام وتستريح الآذان حينئذٍ من اصوات الشكوى من قساوة المحتكرين وليدعوهم يرفعون سعر التنباك ما شاؤُوا ولسان الحال ينشدهم " ونراهُ ارخص ما يكون اذا غلا " اقول وما حصول هذا بالامر المستحيل وان كان دون الوصول اليهِ مجاهدة الطباع الخاضعة لسلطة العادة . فوربك لو لم يكن بازاء الصدود عن النارجيلة والسيكارة الا لذَّة التخلص من استبداد المحتكرين لكفى بهِ كفيلاً بالمبادرة الى اتفاق الخواص والعوام على تركها والاعراض عنها . هذا وليعلم من يقدمون على استئصال هذه العادة ان اقلام الاخبار بين والمؤرخين تنشر الثناء عليهم وتبثُّ مدائحهم وتخلد ذكرهم حتى يظفروا بمجد اعاظم الرجال احياءً وامواتاً

سعيد الخوري الشرتوني

عمران دمشق

« معابدها والجامع الاموي »

يرى المتفلسف في عمران المشرق ان اهلهُ قلما يحفلون بتنميق المباني العامة وتزويقها الاَّ ما كان منها تحت اسم الدين كالمعابد والمساجد والتكايا والزوايا وان تكن الديانة الاسلامية مثلاً لا تجيز الزخارف ولا تبيح اقامة مساجد تشغل ذهن الداخل اليها عن العبادة الحقَّة التي يُراد بها حضور القلب والخضوع والخشوع ولذا عُدَّ من محدَثات البدع رواءُ صنعة بناء المساجد والاسراف في الانفاق عليها وتعدُّدها لغير حاجة ماسة . فقد كان في المدينة صدر الاسلام مسجد جامع واحد فلو فُرض ان دمشق مع كثرة سكانها وما يجيء اليها كلَّ جمعة من سكان القرى يزيد عشرة اضعاف سكان المدينة كان الاحرى ان يكتفى بعشرة مساجد جامعة ولكن هي الاسماءُ عليها يتهالك الاقوام حَرِصين وفيها يتنافس البشر غير مأمورين

ومن ثمَّ لا تسل عن اهل الاديان اذا خرب لهم مسجد او حرقت زاوية فقد تقوم قيامتهم كانما تقوَّض الدين برمتهِ او أُخذ الملك بامتهِ فيتسابق خاصتهم قبل عامتهم الى إعادة ما دثر

وتجديد ما بلي اذ يُخيل لهم ان مجد الامم متوقف على إظهار شعائر دياناتها وعلى نسبة معابدها يرضى عنها صديقها ويخافها عدوّها

مرّت القرون ودمشق بفضل ما تقدم من الدواعي محتفظة بكيان معابدها لم تُصب بما أُصيب بهِ سائر الآثار من الهدّ والهدم . ولابن عبد الهادي رسالة كتبها في اواخر القرن التاسع اتى فيها على ذكر القسم الاعظم من مساجد دمشق فكانت زهاء الف مسجد . هذا ولم يستقص اسماء كثير من المساجد في هذه الحاضرة وضاحيتها مما يناهز خمسمائة قال فناهيك ببلدة يحتوي واديها فقط على زهاء الف وخمسمائة مسجد واما ما هو محيط بعاملتها مما وراء جبالها فهو كثير للغاية

اخنى الدهر على معظم هذه المساجد الآن اما لنزوح السكان من جوارها او لتعطّل اوقافها فضاعت الفائدة التي بُنيت لاجلها مع ان العقل والشرع يقضيان ببيع المساجد والاستعاضة عنها بمكان آخر فيما اذا قلّ الانتفاع بها او دعت الضرورة لازالتها وما برح الناس ذهاباً مع الاهواء ودفاعاً عن الاسماء يفضلون بقاء القديم على قدمهِ كما هو الحال بعدة جوامع في حارتي النصارى واليهود وغيرهما بدمشق وخيرٌ لجامع ان يباع وتبنى بثمنهِ مدرسة من ان يخرب ويمسي مستودعاً للنجس والرجس . وكم من مصلّى بلا منارة ومنارة بلا مصلّى . ولطالما استفتي الفقهاء بهذا الشأن فراعى فريق الرأي العام في فتوباه وحكم آخر بالحق فسفه رأيهُ كما جرى لما أُريد بناء المأذنة الملتصقة بالبيعة المريمية في القرن الحادي عشر

في دمشق اليوم ٢٤١ مسجداً وكان بها خمس عشرة كنيسة لاهل الذمة صولحوا عليها كما نُقل عن عمر بن عبد العزيز وذُكر في تاريخ دمشق . وقد عُدّت في العهد الذي اعطاهُ خالد بن الوليد اهل دمشق يوم فتحها . اما عدد الكنائس الآن فسبع عشرة كنيسة لطوائف مختلفة ولليهود كنائس عديدة يكاد يكون لكل غنيّ منهم كنيس خاص في دارهِ والاماكن المشهورة بذلك تربي على عشرة

رأس معابد دمشق ورئيسها وثالث جامع في الاسلام الجامع الاموي المشهور في كل العصور الذي يباهي بهِ اهل هذه الحاضرة غيرهم من سكان البلدان و يعدونهُ من مفاخرهم ومآثرهم اخذاً بكلام الوليد في قولهِ لقد رأيتكم يا اهل دمشق تفتخرون على الناس باربع خصال بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم فاحببت ان يكون مسجدكم الخامس

شرع الوليد في بنائهِ سنة ٨٧ وفُرش بالرخام الابيض المختم بالازرق وحُلي سقفهُ وجدرانهُ بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء خُلط بها من غريب الاصبغة ما يدهش الابصار بوميضهِ

و بصيصهِ واحتفل من وراء الغاية بتنميقهِ وتجيدهِ

هذا المسجد عريق في القدم اصيل في اقامة الشعائر الدينية اتى عليهِ كما روى بعض المؤرخين ردح من الزمن وهو لمؤسسيهِ الصابئة يصلون فيهِ ثم صار في ايدي اليونانيين ثم لليهود وملوك من عبدة الاوثان ثم للنصارى ثم للمسلمين . قال سيد بليو ان مسجد قرطبة بُني على شكل مسجد دمشق كما ان مساجد الشام وفلسطين ومصر مبنيَّة على شكل الكنائس التي قال المؤرخ اوزيبوس احد اهالي قيصرية في سيرة السلطان قسطنطين انها ذوات احواش واواوين وفساقي ومساكن للقسس بدليل ان في تلك المساجد ما كان يضعهُ البناؤون من الخافقي المزوّق باشكال من حصنا منوَّع الالوان . ولعلَّ ما هو شائع على الالسنة من ان في هذا الجامع رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام جاء من تسمية المسيحيين لهُ باسم احد قديسيهم يوحنا الدمشقي تبركاً والاَّ فليس في التاريخ ادنى اشارة الى ان يحيى قُتل في دمشق او بيروت او صيداء او نُقل الى احدى هذه المدن

ولما فُتحت دمشق كتب عمر الى عاملهِ ابي عُبَيْدة كتاب امان واقرَّ ما بايدي النصارى اربع عشرة كنيسة واخذ منهم نصف هذه الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة مار يوحنا بحكم ان البلد فتحهُ خالد بن الوليد من الباب الشرقي بالسيف واخذت النصارى الامان من ابي عبيدة وهو على باب الجابية بالصلح فاختلفوا ثم اتفقوا على ان جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفها عنوة فاخذ المسلمون نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعلهُ ابو عبيدة مسجداً وكانت قد صارت اليهِ امارة الشام وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد وهو باب المعبد الاصلي في القبلة فينصرف النصارى الى جهة الغرب والمسلمون الى الشرق وكان لا يستطيع اهل الانجيل ان يجهروا في قراءتهِ بكنائسهم ولا يضربوا بنواقيسهم اجلالاً للصحابة فلما اخذت اصواتهم ترتفع في صلواتهم احب الوليد ان يبعدهم عن المسلمين وطفق يجتهد في استصفاء المعبد كلهِ

روى ابن عساكر ان المغيرة بن عبد الملك دخل يوماً على الوليد بن عبد الملك ابن مروان فرآهُ مغموماً فقال لهُ يا امير المؤمنين ما سبيلك قال فاعرض عنهُ ثم انهُ عاودهُ فقال يا مغيرة ان المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد وقد بعثت الى هؤلاء النصارى اصحاب هذه الكنيسة لندخلها الى المسجد فابوا علينا وقد اقطعتهم قطائع كثيرة وبذلت لهم مالاً فامتنعوا. فقال لهُ المغيرة يا امير المؤمنين لا تغتمَّ قد دخل خالد بن الوليد الى دمشق من الباب الشرقي بالسيف ودخل ابو عبيدة بن الجراح من باب الجابية بالامان فماسحهم الى ايّ موضع بلغ

السيف فان يكن لنا فيهِ حق اخذناهُ وان لم يكن لنا فيهِ حق دار بنام حتى نأخذ باقي الكنيسة فندخلهُ في الجامع. فقال لهُ فرّجت عني فتولَّ انت ذلك . قال فتولاهُ فبلغت المسحة الى سوق الريحان حتى حاذى من القنطرة الكبيرة اربعة اذرع وكسِّر بالذراع الفارسي فاذا باقي الكنيسة قد دخل في المسجد فبعث اليهم فقال هذا حق قد جعلهُ الله عزَّ وجلَّ لنا لم يصل المسلمون اليهِ في غصب ولا ظلم فقالوا يا امير المؤمنين قد اقطعتنا اربع كنائس وبذلت لنا من المال كذا وكذا فان رأيت ان تتفضل بهِ علينا. فامتنع حتى سألوهُ وطلبوا اليهِ قال فاعطاهم كنيسة حمدين (لعلها حمديس) وكنيسة اخرى جنب سوق الخبز وكنيسة مريم وكنيسة المصلبة

ثم ان الوليد بعث الى المسلمين حتى اجتمعوا لهدم الكنيسة واجتمع النصارى فقال للوليد بعض الاقساء والفأس على كتفهِ وعليهِ قباءٌ سفرجلي وقد شدَّ بدور قبائهِ اني اخاف عليك من الشاهد يا امير المؤمنين قال ويلك ما اضع فاسي الاَّ في رأس الشاهد وهي صورة في اعلى الكنيسة ثم انهُ صعد فكان الوليد اولَّ من وضع فأسهُ في هدم الكنيسة وسارع الناس في هدمها وكبَّروا ثلاث تكبيرات

قيل ان اثني عشر الف مرخم اشتغلوا في ترخيم الاموي وان الوليد احتاج الى صناع كثيرة فكتب الى ملك الرومان ان وجه اليَّ بمائتي صانع من بلادك فاني أُريد ان ابني مسجداً لم يبنِ من مضى قبلي ولا من يكون بعدي مثلهُ فان انت لم تفعل غزوتك بالجيوش واخربت الكنائس في بلدك وكنيسة بيت المقدس وكنيسة الرها وكنيسة السيدة وسائر آثار الروم في بلدي. فاراد ملك الروم ان يثنيهُ عن بنائهِ ويضعف عزمهُ فكتب اليهِ لئن كان ابوك فهمها فاغفلها فانها لوصمة عليهِ ولئن كنت فهمتها وغيّبت عن ابيك فانها لوصمة عليك وانا موجهٌ اليك ما سألتهُ فاراد ان يعمل لهُ جواباً فجلس لهُ عقلاء الرجال في خطبة المسجد يفكرون في ذلك فدخل عليهم الفرزدق فقال ما بال الناس اراهم مجتمعين حلقاً فقيل لهُ السبب فقال يا امير المؤمنين انت جعلت اخاك سليمان القائم بامر العمارة والجواب بنص القرآن ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً . فسرّي بذلك عنهم

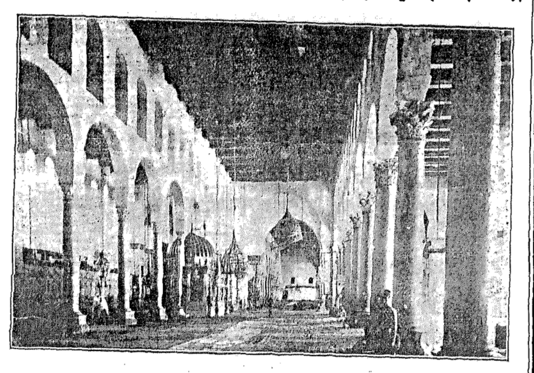
ولما عمر الوليد الجامع قال لهُ بكر اولادهِ يا ابتِ اتعبتَ مَن يأتي بعدك في طين اسطحتهِ فقال يا بنيَّ نرصفهُ فطلب الرصاص من سائر الآفاق فكل اتى بما عندهُ واتت كورة الاردن اكثرهم في ذلك وطلبوا الرصاص بكل ممكن حتى في النواويس العادية فلما نفدت مظانهُ حار الوليد في صيور امرهِ فدُلَّ على امرأة من بنات اكابر دمشق ان عندها من الرصاص ما يكفي القطعة الباقية فارسل الوليد اليها يسألها بيعهُ فابت فاضعف لها ثمنهُ فابت فاعطوها عوضهُ

قصديرًا ثم حديدًا ثم فولاذًا ثم نحاسًا وما زالت تتأبى فقال له ولده اكمله بفضة فقال يا بنيّ بعدنا تؤخذ الفضة وننسب الى العجز عن اكماله فقال اعطوها زنته ذهبًا فرضيت وباعته فلما اتمه ارسلت المرأة اليه المال وقالت ليعلم امير المؤمنين اسعده الله انني خرجت عن هذا الرصاص لله تعالى وانما تمسكت على امير المؤمنين حتى اعلم امره هل يأخذ ذلك مني غصبًا ويقهرني عليه ام اجتهاده لله تعالى يوصلني الى ما اريد في ثمنه وقد علمت ان همته ومراده رضا الله ورسوله. فلما وصل المال والقاصد الى الوليد عجب من ذلك وسأل هل هي عازبة ام متزوجة فقيل بل عازبة فتزوجها وعمرت بالمال المنارة التي على باب السلسلة ورصعتها بالمعادن فسميت مأذنة العروس . رواها ابن عساكر وتابعهُ عليها غير واحدٍ من المؤرخين

وبالغ مؤرخو العرب في كثرة ما أُنفق على الجامع الاموي وما اظن ما قالوه من الواقع ببعيد فعن عمر بن مهاجر وكان على بيت المال للوليد بن عبد الملك انهم حسبوا ما أُنفق على الكرمة التي في قبلة المسجد فكان سبعين الف دينار وحسبوا ما أُنفق عليهِ كلهِ فكان اربعمائة صندوق كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار. قال ابو قصي واتى الوليد حرسيّهُ فقال يا امير المؤمنين ان اهل دمشق يتحدثون بانك انفقت الاموال في غير حقها فنادى الصلاة جامعة وخطب الناس فقال الا انهُ بلَّغني حرمي انكم تقولون ان الوليد انفق المال في غير حقها الا يا عمر بن مهاجر قم فاحضر ما قبلك من الاموال من بيت المال قال فاتت البغال تدخل بالمال ونُصبت في القبة على الانطاع حتى لم يُبصر من بالشمال من في القبلة ولا من في القبلة من في الشمال ونصبت الموازين فوزنت الاموال فقال لصاحب الديوان احضر من قبلك ممن يأخذ رزقنا فوجدوا ثلثمائة الف الف في جميع الامصار وحسبوا ما يصيبهم فوجدوا عنده رزق ثلاث سنين ففرح الناس وكبّروا

وكذلك بالغ السياح في وصف اعاجيبه بما يوهم ان ما قالوه اقرب الى الباطل منهُ الى الحق خصوصًا عند شرقيّ لم يزر بلاد الفرنجة لهذا العهد ولم يرَ غير بلادهِ المنحطة فقد روى ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ في وصفهِ ان طوله من الغرب الى الشرق مائتا خطوة وهي ثلثمائة ذراع وذرعه في السعة من القبلة الى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع وهو تكسير المسجد النبوي غير ان طوله من القبلة الى الشمال . وبلاطاتهُ المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق الى المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة وقامت البلاطات على ثمانية وستين عمودًا منها ثمانية ارجل تتخللها واثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذي يلي الصخرة واربعة ارجل مرخمة ابدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت

محاريب واشكالاً غريبة قائمة في البلاط الوسط دور كل رجل منها اثنان وسبعون شبراً و يستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاتهِ سعتهُ عشر خطاً وعدد قوائمهِ سبع واربعون منها اربعة عشر رجلاً والباقي سوارٍ وسقف الجامع كلهِ من خارج الواح رصاص واعظم ما فيهِ قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من المحراب الى الصحن والقبة قد اغصَّت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلاً ومن اي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كانها معلقة في الجوّ وعدد شماساتها الزجاجية المذهبة



(فناء الجامع الاموي من الشرق الى الغرب)

الملونة اربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلي ويتصل بالابصار منها اشعة ملوّنة هائلة لا تبلغ العبارة تصوّرها

ومحرابهُ من اعجب المحاريب الاسلامية حسناً وغرابة صنعة يتقد ذهباً كلهُ قد قامت في وسطهِ محاريب صغار متصلة بجدارهِ تحفهُ سويريات مفتولات فتل الاسورة فانها مخروطة بعضها احمر كأنها مرجان لم يرَ شيء احمل منها وفيها ثلاث مقاصير مقصورة معاوية وهي اول مقصورة وضعت في الاسلام . ثم ذكر في فناء الجامع عجائب من الاقبية والابنية والصوامع الثلاث والمياه المدبرة فيهِ ما يطول وصفهُ . وللمسجد اربعة ابواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباب شمالي ويُعرف بباب الناظمين — الناطقين — وباب غربي يعرف بباب البريد وباب شرقي

يعرف بباب جيرون وهو اعظمها ولهُ والغربي دهاليز متسعة يُفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها

قال وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامهُ شبهُ غرفة بها هيئة طاق كبير مستدير فيهِ طيقان من صفر وقد فتحت ابواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيراً هندسياً فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان عنقيهما بالصنجتين الى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيلهُ الاوهام سحراً فعند وقوعهما يسمع لهما دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة وينغلق الباب تلك الساعة بلوح اصفر فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتنغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالاتها الاولى ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرَّمة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عمَّ الزجاجة ضوء المصباح وافاض على الدائرة شعاعاً فلاحت دائرة محمرة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل. وقد وكل بها من يدبّر شأنها فيعيد فتح الابواب و يسرح الصنج الى موضعهِ وهي التي تسمى الميقاتة

وروى ابن عساكر ان المسلمين لما دخلوا دمشق وقت فتحها كان اسم باب الجامع القبلي باب الساعات لانهُ كان هناك ساعات يُعلم بها ما يمضي من النهار عليها صور عصافير وحية وغراب فاذا تمت الساعة خرجت الحية وصاحت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطشت . وانهُ كان في الجامع قبل حريقهِ طلسمات لسائر الحشرات معلقة في السقف فوق البطائن فلما احترقت الطلسمات وجدت وكان في السقف طلاسم عملتها الحكماء مما يلي الحائط القبلي فمنها طلسم للسنونو لا تدخلهُ ولا تعشش فيهِ ومنها لا يدخلهُ غراب ولا فار ولا حيات ولا عقارب ولا عنكبوت ولا يركبهُ غبار ولا وسخ ولا غير ذلك

وعلى اثر هذه الساعات وهذه الطلاسم يجدر ذكر البسيط الذي اقامهُ الفلكي الشهير ابن الشاطر المتوفي سنة ۷۷۷ موقت هذا الجامع والبسيط اختراعهُ قديم ينسب لليونان الأ ان العرب زادوا عليهِ كثيراً وهو عبارة عن حجر مستطيل تعرف فيهِ بخطوطٍ واشكال الشمس في اي برج هي وفي اي درجة من ذلك البرج و يُعرف فيهِ الماضي من الشمس والباقي للزوال والماضي من الزوال ايضاً والباقي للغروب ويقال لهُ الدائر وفضل الدائر والماضي من طلوع الفجر ويعلم منهُ قوس العصر والباقي لمغيب الشفق والباقي الى الفجر الآتي وهذا الذي زادهُ الاستاذ

محمد الطنطاوي على ابن الشاطر ورسم فيهِ شكلاً معيناً تُعلم منهُ الطالع والمطالع

تقادم العهد على بسيط ابن الشاطر فوقع فيهِ بعض فروق في الاوقات فطلب متولي الجامع وغيرهُ من العلماء الى الشيخ الطنطاوي سنة ١٢٩٤ ان يصلح ما وقع فيهِ فاصلحهُ فلما ارادوا وضعهُ في مكانهِ وقع الحجر وانشق شطرين فنسبوا ذلك الى الشيخ لحضور احد تلامذتهِ اذ ذاك فاضطر الشيخ ان يبرئ نفسهُ وراح الى دارهِ يصرف حولين كاملين ليعمل بسيطاً يحاكي بهِ بسيط ابن الشاطر فعملهُ على قلة الكتب لديهِ وفقدان ملكة هذا الفن لكن معاصريهِ والمعاصرة كما قيل حرمان ابوا الاَّ ان ينتقصوهُ ويضيعوا اتعابهُ شأنهم مع غيرهِ من رجال الجدّ فاشاعوا بين العامة ان بسيطهُ لا يصلح للتوقيت وها هو الآن ملقى في منارة العروس يكاد لا يُنظر اليهِ يرقب الزمن ليظهر ويعمل بهِ ويقدر فضل صاحبهِ . وقد عمل ايضاً بسيطاً ثانياً على الافق المرئي وضعهُ في جامع الدقاق بالميدان قرب باب دمشق الجنوبي .

ولا عجب اذا لقي الطنطاوي ما لقي واصبح غير مقدور قدرهُ فقد امتحن ابن الشاطر في القرن الثامن بمثل ما امتحن بهِ ولم تعرف له فضيلتهُ الاَّ بعد موتهِ باعوام دمشق غامطتهُ حقهُ وآثارهُ تنشر في البلاد ولسان حالهِ يقول

لا عيب لي غير اني من دياركمُ وزامر الحيّ لا تُطرب مزامرهُ

نقل صاحب محاسن الشام ان ارض الجامع كانت مفروشة بالفصوص المزمكة بالذهب المسماة بالفسيفساء وان الرخام كان في جدرانهِ سبع وزرات ومن فوقهِ صفات البلاد وما فيها من العجائب وان الكعبة المشرَّفة وضع صفاتها فوق المحراب ثم فوق البلاد يميناً وشمالاً وما فيها من الاشجار المثمرة والمزهرة وغير ذلك وجعل سلاسل المصابيح من نحاس محلى بالذهب ورتب لهُ من الشموع ما يوقد منهُ في اماكن مختصة واصطنع في صحنهِ مجامر على اعمدة برسم البخور ووكل بذلك خدمة لا يفترون ليلاً ولا نهارًا حتى كان يشم روائح البخور مسيرة فرسخين (كذا) وسبك لهُ سرجاً من نحاس كل سراج يوضع فيهِ قنطار زيت وجعل على كل باب سراجاً وجعل في محراب الصحابة حجرًا من بلور وقيل بل درة لا قيمة لها وكانت اذا أُطفئت المصابيح يقوم نورها مكانها (كذا) وان الامين بن الرشيد ارسل الى صاحب دمشق ان يسيرها اليهِ فارسلها وقيل انهُ لما رآها أمر بردّها قال ابن عساكر ثم ذهبت الايام بعد ذلك وجعل مكانهُ برنية من رخام وقد رأيتها ثم انكسرت بعد مدة فلم يوضع مكانها شيءٌ

وروى شيخ الربوة انهُ كان يحمل من زيت نابلس الى جامع بني امية في كل سنة الف قنطار بالدمشقي وقال ايضاً انهُ يوقد فيهِ ليلة النصف من شعبان اثنا عشر الف قنديل بخمسين

قنطاراً من الزيت غير ما يوقد بالمدارس والمساجد والترب والخوانق والربط والمارستانات ٠ وذكر ابن بطوطة ان فوائد مستغلات الجامع ومجابيهِ نحو خمسة وعشرين الف دينار ذهباً في كل سنة وذكر ايضاً انهُ كان بهذا الجامع حلقات التدريس في فنون العلم والمحدثون يقرأُون كتب الحديث على كرامي مرتفعة وقراء القرآن يقرأُون بالاصوات الحسنة صباحاً ومساء وبهِ جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم الى سارية من سواري المسجد يلقن الصبيان ويقرئهم وهم لا يكتبون القرآن في الالواح تنزيهاً لهُ وانما يأخذونهُ تلقيناً ومعلم الخط غير معلم القرآن

هذا اصل الجامع وبعض ما كان فيهِ من العجائب وفي تواريخ دمشق ان النصارى رفعوا الى عمر بن عبد العزيز في خلافتهِ ما بيدهم من عهد ابي عبيدة الجراح من ان كنائسهم لا تهدم ولا تسكن وان الوليد اخذ كنيستهم بغير حق قهراً فلما رأى عمر ذلك منهم دفع لهم مالاً يرضيهم بهِ حتى بلغ مائة الف فابوا فكتب عمر الى محمد بن سويد الفهري ان يدفع اليهم كنيستهم او يرضيهم في ذلك فلما وصل كتاب عمر الى دمشق اعظم الناس ذلك وفيهم يومئذٍ بقية من اهل الفقهِ فشاورهم محمد بن سويد فقالوا هذا امر عظيم ندفع اليهم مسجدنا وقد اذنّا فيهِ بالصلاة وجمعنا فيهِ يهدم و يعاد كنيسة فقال رجل منهم هنا مسئلة لهم كنائس عظام حول مدينتنا وهي دير مران والكنيسة بباب توما وغيرها من الكنائس ان احبوا ان نعطيهم كنيستهم فلا يبقوا حول مدينة دمشق ولا بالغوطة كنيسة الاَّ هدمت او نبقي لهم جميع كنائسهم ويتركوا هذه ونسجل لهم بذلك سجلاً فدعاهم محمد بن سويد وعرض عليهم ذلك فقالوا امهلونا ننظر في امرنا فتركهم ثلاثاً وطلبهم فقالوا نحن نأخذ الذي عرضتهُ علينا ونكتب الى الخليفة اننا قد رضينا بذلك وليسجل لنا الخليفة من قبلهِ سجلاً منشوراً بامان على ما بدمشق والغوطة من كنيسة ان تهدم او تسكن قالوا نعم فكتب الى عمر بن عبد العزيز بذلك فسرّهُ وسجل لهم بذلك واشهد شهوداً

روى ابن عساكر عن محمد بن مهاجر قال سمعت عُمر بن عبد العزيز ذكر مسجد دمشق فقال رأَيت اموالاً أُنفقت في غير محلها فانا مستدرك ما استدركت منها فرادهُ الى بيت المال اعمد الى هذه الفسيفساء وهو النقش المفصص والرخام فاقلعهُ وانزع تلك السلاسل واجعل مكانها حبالاً وانزع تلك البطاين فابيع جميع ذلك وادخلهُ بيت المال فبلغ اهل دمشق فاشتد عليهم فخرج اليهِ اشرافهم فيهم خالد العشري فقال لهم خالد ائذنوا لي حتى اكون انا المتكلم فاذنوا لهُ فلما اتوا دير سمعان (مصيف عمر بن عبد العزيز قرب مدينة حمص وبهِ قبرهُ معروف

الى الآن) استأذنوا على عمر فاذن لهم فلما دخلوا سلموا عليهِ فقال لهُ خالد يا امير المؤمنين بلغنا انك هممت في مسجدنا بكذا وكذا قال نعم فقال لهُ والله ما ذلك لك يا امير المؤمنين فقال عمر ان هو لأُمك الكافرة وغضب عمر ثم قال صدقت فما قولك ما ذاك لي قال لانا كنا معشر اهل الشام واخواننا من اهل مصر واخواننا من اهل العراق نغزو ففرض الرجل منا على نفسهِ ان يحمل من ارض الروم قفيزًا بالصغير من فسيفساء وهي الفصوص او ذراع في ذراع من رخام فحملهُ اهل العراق واهل حلب الى حلب ونستأجر على ما حملوا الى دمشق وتحمل اهل دمشق وما وراءهم الى دمشق فذاك قولي ما ذاك لك فسكت عمر

قال ثم جاءهُ بريديٌّ من والي مصر يخبرهُ ان قاربًا ورد عليهِ من رومية فيهِ عشرة من الروم عليهم رجل مقدم يريدون الوفود الى امير المؤمنين فكتب اليهِ ان وجههم اليَّ ووجه معهم عشرة من المسلمين عليهم رجل مقدم كلهم يحسن الرومية ولا تعلموهم بذلك حتى يحملوا اليَّ كلامهم فساروا حتى نزلوا دمشق خارج باب البريد فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين ان يستأذن لهم في دخول المسجد الجامع فاذن لهم فمروا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجهُ القبلة فكان اول ما استقبلوا المقام ثم رفعوا رؤوسهم الى القبة فخر رئيسهم مغشيًا عليهِ فحمل الى منزلهِ فاقام ما شاء الله ان يقيم ثم افاق فقالوا لهُ بالرومية ما قصتك صحبتنا في طريقنا هذه ما انكرنا منك شيئًا فما الذي عرض لك حين دخلت هذا المسجد فقال لانا معشر اهل رومية نتحدث ان بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت ان لهم مدة سيبلغونها فلذلك اصابني الذي رأيتم فلما قدموا على عمر اخبروهُ بما سمعوا منهُ فقال عمر اذا كان مسجد دمشق غيظًا على الكفار دعوهُ على حالهِ .

وظلَّ الجامع قرونًا زاهيًا زاهرًا الى ان احترق الحريق الاول سنة ٤٦١ وبها ذهبت محاسنهُ وانقضت ايام ازدهائهِ وعجائبهِ . وثانيهِ سنة ٧٤٠ كان الاصل فيهِ من النصارى بدمشق كما قال ابن مفلح واشتهر ذلك عنهم وكتب عليهم محضر بهِ وضُربت اعناقهم ثم حرقوا بالنار وزاد صاحب محاسن الشام ان مأذنة عيسى نقضت وجُددت من اموال النصارى لكونهم اتهموا بحريقها باقرار بعضهم واقيمت على احسن الاشكال وهذا الحريق عمَّ جميع الجامع وما حولهُ من الدهستاني والرواقات الشرقية والمباني الشرقية وذهبت اموال الناس . وثالث حريق احرق الدهستان وسوق الوراقين والساعات ونصف المعزبة من شرقي الجامع الى بيت المقصورة سنة ٧٩٥ ايام الظاهر برقوق ثم اعيد الى ما كان عليهِ . ورابع حريق جرى سنة ٨٠٣ عند حضور تيمور لنك حرق جميعهُ واحترق المصحف العثماني الموضوع بالمقصورة وجميع ما كان بهِ من

مصاحف وربعات وكتب علم وغيرها واستمر الجامع خراباً الى ولاية شيخ الخاصكي نيابة الشام في شهور سنة ٨٠٥ فشرع في عمارته واعيد الى قريب ما كان عليهِ وخامسها سنة ٨٨٤

ولم اعثر على تاريخ يدلُّ على خراب الجامع او حرقهِ بعد هذا التاريخ الأ ما كان من زلازل سنة ١١٧٣ فان قبة النسر والرواق الشمالي خربا اذ ذاك وأُعيد بناؤُهما من قابل ثم رم في تواريخ عدة حتى اذا كانت سنة ١٣١٠ (ربيع الثاني) سرى النار الى رصاص سطوحهِ فالتهمها كلها في اقل من ثلاث ساعات ولم يتمكن من اطفائها لعلوّ السقوف وعدم وجود مضخات تفي بالمقصود فدثر آخر ما بقي من آثارهِ واثاثهِ ورياشهِ وبعض قطع الفسيفساء التي بقيت منذ قرون ولم تعمل بها الكوارث واخصُّ ما حرق بها مصحف كبير مكتوب بالخط الكوفي الجميل على رق الغزال كان يقال انهُ عثماني ومهما يكن من امرهِ فان عتقهُ يدلُّ على انهُ من المصاحف التي كتبت في الصدر الاول . وفقد هذا المصحف عند العقلاء اصعب من احتراق الجامع

وشرع من قابل باعادة بناء الجامع بمال جمع من اعانات الدماشقة بالتخجيل والتجبيهِ واحياناً بالترغيب والترهيب ومن سكان القرى المجاورة بالجبر والقهر كما هو الشأن في كل اعانة يُراد جمعها من الاهلين وما اكثر انواعها في هذه السنين . ولما رأوا ان هذا الامر يطول وهذه الهبات لا تعمر الجامع اخذوا منذ خمس سنين يتقاضون كل سنة مبلغ ٤٥٠٠ ليرة عثمانية من ضريبة اللحم التي كانت تستعين بها البلدية على اصلاح بعض الطرق والشوارع والمأخربت طرق المدينة نجز في العام الماضي بناء شطر الحرم الشرقي والهمة مبذولة لبناء الشطر الغربي وسينجز بعد سنة . وقد اعيد كل شيء الى حالهِ السابق

وكان القوم يذهبون الى ان ايجاد سوارٍ من الحجر كالسواري المحترقة من رابع المستحيلات الأ ان الامر جاء على عكس ما توهموا فان احد ارباب الصنائع الدماشقة ممن بلغ منزلة الاختراع فيها واسمهُ عبد الغني الحموي صنع عجلة كبيرة لجر الاثقال والاحجار وآلة لقطع الحجر فاحضرت السواري من مقاطع المزة وقطّنا احسن من القديمة

واتصل بي ان ما أُنفق وينفق على اعادة الجامع الى سابق رونقهِ يبلغ نحو اربعين الف ليرة أُخذت كما مرَّ بك من اموال لا تصلح لبناء المساجد في عقل ولا نقل . كنت يوماً اتحدث وصديقاً لي في امر هذا المسجد فقال لي تالله لو نُشر النووي وابن تيمية وابن الصلاح وغيرهم من علماء دمشق العاملين لافتوا بتحريم الصلاة فيهِ لما يرون من اتخاذ هذه الزخارف الباطلة بمال يجبى بغير حق وان الاسلام الذي جاء ليأتي على الوثنية عاد الناس اليها في القرون المتأخرة بل تجلت بابهى مظاهرها وتبرقعت ببرقع ديني واتسمت بعلائم القربى فقد صرف على المحراب فقط نحو سبعمائة ليرة

نعم دلَّ ذلك على ان في البلاد بقايا صنائع كالخيانة والنجارة والنقش والترخيم الاَّ ان هذه العناية هي احرى بان تصرف على ما يجدي فائدة تحمد لا على ما يشبهُ التماثيل والهيا كل والنصب في محل التوحيد ولو اقتصر على الضروري من البناء لاقتصدت اموال طائلة كان يتأتى ان تشيد بها مدرسة يتخلص الناس بها من الجهالة الجهلاء ولكن المشارقة لا يعتقدون النفع فيقتتلون في نيلهِ الاَّ فيما كان منهُ تحت ستار الدين وباسم الآخرة

حقن الادوية في الاوردة

الطرق المعروفة حتى الآن التي تجتازها الادوية لتصل الى الدم خمسة وهي

اولاً طريق القناة الهضمية ولهُ مدخلان الفم والمستقيم فتجتاز الادوية المدخل الاول إما شربًا متى كانت سائلةً او ازدرادًا متى كانت جامدةً ولا تجتاز المدخل الثاني الاَّ سائلةً حقنًا ومتى انتهت الادوية الى القناة الهضمية تمتصها هذه وتدخلها الدورة الدموية

ثانيًا طريق الجلد وذلك بان يُدلك الجلد بالمراهم والسوائل الدوائية اللزجة والصبغات وما شاكلها التي تلتصق بالجلد فيمتصها

ثالثًا طريق الجهاز التنفسي الذي تجتازهُ الابخرة بعض الادوية استنشاقًا كابخرة الزئبق مثلاً في علاج الزهري

رابعًا طريق النسيج الخلوي الجلدي

خامسًا طريق العضلات

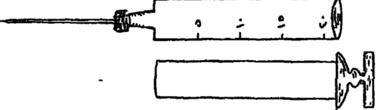
وهذان الطريقان الاخيران تجتازهما الادوية سائلةً حقنًا فتمتصها الاوعية اللمفاوية التي تحت الجلد وفي العضلات وتحملها العصارة اللمفاوية الى القلب

وقد اهتدى الدكتور ابادي (Abadie) الرمدي الفرنساوي الشهير الى طريقٍ سادسٍ وهو طريق الاوردة الذي نريد الكلام عنهُ في مقالتنا هذه

فطن الدكتور أبادي منذ سنين الى امكان حقن محاليل الادوية في الاوردة غير انهُ ما زال محجمًا عن الاقدام على ذلك متردداً خوفًا من سوء العاقبة حتى اتاهُ منذ اثنتي عشرة سنة مريض مصابٌ بالتهابٍ قزحي زهري حادٍ يستدعي سرعة العلاج فكف عن احجامهِ وتردده ورأى ان يخرج ما في حيّز فكرهِ الى حيّز العمل وطهَّر حقنة برافاس وحقن في الوريد القاعدي بنصف ملئها من محلولٍ معقمٍ من سيانور الزئبق بمعدل ١٠٠٠/١

فعل ذلك بيدٍ مرتجفةٍ خوفًا من عاقبةٍ وخيمةٍ غير ان المريض لم يشعر بألمٍ وقت الحقن ولم يُصَبْ بعدهُ بعوضٍ ما يدل على انزعاجٍ او اضطراب في دورتهِ فقوَّى ذلك عزيمة الدكتور ابادي وفي اليوم الثاني حقن المريض بنصف سنتمتر مكعب آخر من هذا المحلول وفي اليوم الثالث بدأت اعراض الالتهاب القرحي في الزوال فاستبشر الطبيب خيرًا وبعد يومين عاد فحقن المريض بسنتمتر مكعب من المحلول الزئبقي اي بضعفي ما حقنهُ بهِ اولاً وما زال يحقنهُ كل يومين بهذا القدر "سنتمتر مكعب" حتى زال الالتهاب القرحي تمامًا وشفي المريض

ومن ذاك الحين لم يعد الدكتور ابادي يتخذ طريقة أُخرى لعلاج الاعراض الزهرية في العين ولكنهُ لما رأى ان لا بدَّ من تعقيم حقنة برافاس قبل استعمالها للحقن في الاوردة ثم تطهيرها بغسلها جيدًا بمحلول السليماني بعد حقن كل مريض حتى يمكن ان يحقن بها كل المرضى



المصابين بالزهري تباعًا ورأى ان ذلك يكلف بعض العناء لما في حقنة برافاس من المواد التي لا تنظف بسهولة كقطعة الجلد التي على اسفل الاسطوانة "البستون" ومن الزوايا التي لا يصلها محلول السليماني وقت التنظيف كالتي بين انبوبة الحقنة الزجاجية والمعدن المركب على طرفيها كلف احد معامل الزجاج بان يصنع لهُ حقنةً لا يدخل في تركيبها غير الزجاج . وبعد التجارب صنع لهُ حقنةً بسيطةً سهلة التطهير والتعقيم وهي المستعملة الآن للحقن في الاوردة

وهذه الحقنة مؤلفة من قطعتين فقط كما ترى في هذا الشكل احداها انبوبة مدرَّجة سعتها سنتمتر مكعب او عشرون نقطة تنتهي عند فوهتها السفلى بمضيق تركب عليهِ الابرة والثانية اسطوانة من زجاج غير مصقول الجوانب تدخل الانبوبة باحكام كلي حتى لا يبقى بينهنَّ فراغ مطلقًا بحيث انهُ متى أُدخلت في الانبوبة حتى اخرها ثم سحبت احدثت فيها فراغًا ولهذه الاسطوانة الزجاجيَّة عند اعلاها قبضة تحرك بها

فبساطة تركيب هذه الحقنة من مادةٍ واحدة وهي الزجاج وعدم وجود تعاريج في جوانبها يجعلها سهلة التنظيف الى الدرجة القصوى الامر الذي لا بدَّ منهُ للحقن في الاوردة فمتى حُقِنَ بها مريضٌ يسهل ازالة الدم الذي يلوثها لانهُ لا بدَّ من دخول الدم من الوريد الى

الحقن كما سيجيء وتطيرها جيداً بمحلول السليماني ٠٠ ١/١ وذلك بان تملأ وتفرغ ثلاثاً من ذلك المحلول

اما الابرة التي تُركب على مضيق انبوبة الحقن فيلزم ان تكون من معدن البلاتين لكي لا تتلفها الحرارة لانهُ يجب احماؤها على لهب الالكحول حتى درجة الاحمرار قبل ادخالها في الوريد

والمحلول الزئبقي الذي يحقن بهِ الدكتور ابادي مرضاهُ المصابين بالزهري مركب من

سيانور الزئبق	١ جرام
كلوريدرات الكوكايين	١/٢ "
ماء مقطّر معقّم	١٠٠ "

فيحقن من هذا المحلول كل يومين ملء حقنة كاملة اي سنتمترًا مكعبًا للكبار ونصف حقنة اي نصف سنتمتر مكعب للاحداث ويمكن الاستغناء عن كلوريدرات الكوكايين المضاف الى المحلول الزئبقي كما قال لي الدكتور ابادي الاَّ اذا اريد حقن السائل في العضلات متى تعذر الحقن في الاوردة لسبب من الاسباب فلا بدَّ من اضافتهِ لان الكوكايين يذهب الالم الذي يعقب الحقن في العضلات في بعض الاحيان

كيفية الحقنة في الوريد — تطهّر اولاً الحقن الزجاجية بغسل داخلها ثلاثاً بمحلول السليماني ٠٠ ١/١ ثم تملأ بمحلول سيانور الزئبق ويغسل ذراع المريض الشمال عند مفصل المرفق حيث يظهر الوريدان القاعدي والرأسي غسلاً جيدًا اولاً بالماء والصابون ثم بمحلول السليماني ١٠٠٠/١ وبعد ذلك يكلف المريض بان يضغط بيدهِ اليمنى ذراعهُ اليسرى المراد الحقن فيها فوق مفصل المرفق وبان يطوي اصابع يدهِ اليسرى بعزم على راحتها ليتعذَّر سير الدم في اوردة المرفق الايسر ويظهر الوريدان القاعدي والرأسي عند طية المفصل. واذا كان المريض مشحماً ولا يكفي الضغط بيدهِ لاظهار الوريدين لا بدَّ من ربط ذراعهِ فوق المفصل برباط ضاغط من الكاوتشوك .

وعند ما يظهر الوريدان جليًا يأخذ الطبيب الحقنة المملوءة بالسائل المراد حقنهُ وبعد ان يحمي ابرتها على لهب الالكحول حتى درجة الاحمرار يدفع الاسطوانة قليلاً والحقنة عامودية حتى يخرج من الابرة بعض قطرات من السائل ومن ذلك فائدتان اولاً طرد فقاقيع الهواء التي تجمع عند اعلى السائل والحقنة عمودية ثانياً تبريد الابرة بعد احمائها على اللهب ثم يضغط الطبيب بابهام يدهِ اليسرى احد الوريدين (والاوفق ان يختار الوحشي ليبتعد عن الشريان الذي تحت الوريد الانسي) تحت النقطة التي يريد ادخال ابرة الحقنة فيها وذلك ليثبت الوريد في مكانهِ فلا يزلق وقت ادخال الابرة تحت الجلد ولا يزلق الجلد عليهِ ثم يمسك الحقنة

بيدهِ اليمنى لا كما يمسك المشرط او قلم الكتابة بل يجعلها افقية بين اطراف اصابعهِ الاربع السبابة والوسطى والبنصر والخنصر من اسفل والابهام من اعلى لكي يتمكن من ادخال الابرة في الوريد افقياً على قدر الامكان لانها ان دخلتهُ عمودياً فكثيراً ما تخترقهُ وتدخل في النسيج الخلوي ثم يدخل الابرة برفقٍ وتأنٍ ولكي يتحقق ان رأس الابرة اصبح داخل الوريد ولم يتعدَّهُ يحدث فراغاً في الحقنة وذلك بسحب العمود الزجاجي قليلاً فيدخل اذ ذاك الدم من الوريد الى الحقنة اذا كان رأس الابرة داخل الوريد واحياناً كثيرة يدخل الدم الحقنة بدون احداث فراغٍ في هذه لشدة احتقان الاوردة . واما اذا لم يدخل الدم الانبوبة بعد احداث الفراغ فيها فذلك دليل اما على ان الابرة لم تدخل الوريد البتة او انها دخلتهُ واخترقتهُ حتى نعدت فوهتها داخلهُ واذ ذاك يلزم سحب الابرة قليلاً بحيث يبقى رأسها تحت الجلد واعادة وخز الوريد واحداث الفراغ حتى يدخل الدم منهُ الى الحقنة واذ ذاك ينبه المريض الى الكف عن ضغط ذراعهِ او اذا كان على الذراع رباط ضاغط يرفع عنهُ ثم يحقن السائل ببطء ولا يلزم ان تفرغ الحقنة كلها بل يجب ان تنزع الابرة من الوريد وفي الانبوبة شيء من السائل لكي لا تدخل الوريد فقاقيع الهواء التي توجد احياناً رغماً عن كل الاحتياطات بين رأس العمود الزجاجي والسائل . وبعد اخراج الابرة من الوريد يوضع عند نقطة الوخز كتلة من القطن مبلولة بمحلول السليماني ويكلف المريض بالضغط عليها بابهامهِ ثم يرفع ذراعهُ اليسرى الى الاعلى ويحرك مفصل المرفق طيًّا ونشرًا ليسهل سير الدم في الاوردة صعدًا

واذا كان لا بدَّ من حقن مرضى كثيرين بحقنة واحدة يجب بعد حقن كل مريض غسل انبوبة الحقنة ثلاثاً بمحلول السليماني ١٠٠٠/١ واحماء الابرة على لهب الالكحول حتى درجة الاحمرار لتطهرها من الدم الذي لوثها قبل ادخالها في وريد آخر . اما المريض الميسر فيمكنهُ ابتياع حقنة ليختص باستعمالها دون سواه وهي رخيصة الثمن على دقة صنعها ومتانتها

واشير على كل طبيب باتخاذ هذه الطريقة الحديثة متى كان في حاجةٍ الى علاجٍ سريعٍ فعَّال او متى تعذر عليهِ لسببٍ من الاسباب ادخال الادوية الى الجوف عن طريق الفم او المستقيم . وهذه الطريقة افضل من طريقتي الحقن تحت الجلد وفي العضلات لانها اسرع منهما فعلاً واقل المًا وهي لا تقتصر على حقن محاليل املاح الزئبق في علاج الزهري بل تشتمل كل السوائل الدوائية التي يمكن ادخالها الدورة الدموية مباشرةً ولا يلزم الطبيب الاحجام خوفاً فانهُ ان اتخذ في الحقن الاحتياطات التي ذكرناها لا يلحق بالمريض ادنى ضرر . والبرهان على ذلك ان الدكتور ابادي وكل تلامذتهِ المنتشرين في جهات الارض الاربع يستعملون هذه

الطريقة العلاجية منذ اعوام طوال ولم يحدث لمرضاهم اقل انزعاج منها . وانا احقن بها اكثر من مئة مريض كل يوم في عيادة الدكتور ابادي ولم ارَ حتى الآن عرضاً مزعجاً اصاب مريضاً

والغريب ان اطباء المستشفيات الكبيرة لم يفطنوا الى تعميم هذه الطريقة المفيدة الاَّ حديثاً فقد رأيت منذ ايام طبيباً خصوصياً ارسلهُ رئيس مستشفى المجاذيب لدرس هذه الطريقة في عيادة الدكتور ابادي ثم يستعملها في ذلك المستشفى . اما الحقن الزجاجية الخصوصية للحقن في الاوردة فتباع في كل مخازن العدد الجراحية ولكن اجودها يباع في مخزن موريا بباريس وهذا عنوانهُ Paul Moria 104 Brd. St. Germain

باريس الدكتور ابراهيم شدودي

الصحيح من الفراسة

دلالة الشعر — ليس الشعر من ملامح الوجه لكنهُ متَّصل بها ويذكرهُ اهل الفراسة لان لهُ شأناً كبيراً في الدلالة على جمال الانسان وجنسهِ وسنهِ كما لا يخفى

رؤُوس الناس كلهم مغطاة فروتها بالشعر الاَّ ان بعضهم يصيبهم الصلع متى اكتهلوا او شاخوا ويقال ان في استراليا اقواماً متولدين بين الاستراليين والصينيين يكونون صلعاً او جلحاً من صغرهم

ويختلف لون شعر الرأس اختلافاً كبيراً من الابيض الكتَّاني الى الاصفر الذهبي فالاشقر البني فالاسود الفاحم . وبين هذه الحدود الاربعة الوان شتى لا ضابط لها والاسود اكثرها شيوعاً فهو لون شعر المغول والملقبين سكان الصين والهند وما يليهما من البلاد شرقاً وجنوباً والزنوج سكان افريقية واستراليا وهنود اميركا سكان القارتين الشمالية والجنوبيَّة وسكان جنوبي اوربا واكثر سكان جزيرة العرب وما يليها من العراق وبلاد فارس . ويتلوهُ الاشقر وهو غالب على الشعوب الساكنة شمالي اوربا وهي من فروع الجنس الآري وعلى نسلهم في اميركا واهالي فنلندا وهم من فروع المغول

ويختلف لون الشعر عن لون العينين غالباً وباتفاقهما يُستدلُّ على صراحة النسب وباختلافهما على امتزاجهِ . فاذا كان الشعر اسود والعينان سوداوين فالابوان من شعب واحد اسود الشعر واذا كان الشعر اسود والعينان زرقاوين او الشعر اشقر والعينان سوداوين فالابوان من شعبين مختلفين احدهما اسود الشعر والعينين والثاني اشقر الشعر ازرق العينين

والاَّ فأحد اسلافهما من شعبين مختلفين

و يظهر بالاستقراء ان شقر الشعر يقلون في الاوربيين بالتقدم من الشمال الى الجنوب وسود الشعر يزيدون كذلك بالتقدم من الشمال الى الجنوب كما ترى في هذا الجدول

	الذين شعرهم اشقر	الذين شعرهم اسود او ضارب الى السواد	بين بين
من اهالي الدنمارك	۳ في المئة	۶۸ في المئة	۲۹ في المئة
" " اسكتلندا	۳۱ "	۴۵ "	۲۴ "
" " فينا	۴۱ "	۳۳ "	۲۶ "
" يهود اوربا	۷۳ "	۱۴ "	۱۳ "
" اهالي مالطة	۷۹ "	۹ "	۱۲ "

والشعوب التي لا يقتصر لون شعرها على السواد ترى اختلافاً كبيرًا في الوان شعرها فاليهود وهم شعب واحد لما امتزجوا بغيرهم من الشعوب ظهر في شعرهم كل الالوان من الاسود الفاحم الى الاشقر الذهبي وقس علي ذلك الفرنسويين والايطاليين والسوريين لكن الشقر في سكان الجبال اكثر منهم في سكان المدن وفي الاقاليم الشمالية اكثر منهم في الجنوبية مما يدلُّ علي ان لبرد الهوء علاقة ثابتة بلون الشعر وهذا الحكم يصدق ايضاً على لون البشرة ولون العينين فان بيض البشرة اكثر في الجبال وفي الاقاليم الشمالية منهم في السهول وفي الاقاليم الجنوبية . وسود العيون اكثر في المدن والاقاليم الجنوبية منهم في الجبال والاقاليم الشمالية

والاحكام المتقدمة مبنيَّة على الاحصاء والاستقراء ففي كل الف من اهالي سكسونيا مثلاً ۳۷۸ عيونهم زرق و۳۳۴ عيونهم شهل و ۲۸۸ عيونهم سمر . ومن هؤلاء الالف ۶۹۴ شعرهم اشقر و۳۰۶ شعرهم اسمر اي بين الاسود والاشقر ومنهم ۹۴۰ بشرتهم بيضاء و ۶۰ بشرتهم سمراء . وكلما تقدمت جنوباً كثر سمر العيون والشعر والبشرة كما ترى من المقابلة بين الالف من اهالي سكسونيا والالف من اهالي بودابست في المجر

	لون العينين			لون الشعر		لون البشرة	
	الازرق	الاشقر	الاسمر	الاشقر	الاسمر	الابيض	الاسمر
من سكسونيا	۳۷۸	۳۳۴	۲۸۸	۶۹۴	۳۰۶	۹۴۰	۶۰
من بودابست	۲۹۱	۳۹۹	۴۵۰	۵۰۹	۴۹۱	۷۷۹	۲۲۱

واذواق الناس مختلفة في ما يعدونهُ جميلاً او غير جميل من لون الشعر ولكنهم يكادون

يتفقون على كراهة اللون الاحمر ومحبة الاشقر الذهبي والاسود الفاحم

ويختلف طول الشعر كثيرًا فهو في الآريين والساميين طويل جدًّا حتى لقد يزيد طولهُ على طول الجسم . ذكر الاستاذ منيغزا انهُ يعرف امرأة حسناء من جمهورية ارجنتين شعرها اطول من جسمها عشرة سنتيمترات وانهُ رأى بنات في براغواي لو نشرنَ شعورهنَّ حول ابدانهنَّ لتغطت بها كلها لغزارتها

ولا علاقة بين غزارة الشعر وطولهِ ولكن بين ثخنهِ ولونهِ نسبة ما فان الشعر الاشقر اثخن في الغالب من الاحمر والاسود. وبين الصلع والجنس علاقة فانهُ كثير في الرجال ونادر في النساء

والشعر الاسود مستدير والجعد مفرطح اي اذا قطعتَ الشعر الاسود رأيت مقطعهُ دائرةً واذا قطعتَ الشعر الاجعد رأيت مقطعهُ اهليلجيًّا. وبين هذين الحدين اشكال متوسطة تقرب الى الاستدارة او الاهليلجيَّة

ويختلف ثخن شعر الراس عن ثخن شعر الوجه والبدن كما ترى في هذا الجدول

قطر شعر الطفل الرضيع	٠٫٠١	من المليمتر
" الشعر الذي على شفة المرأة العليا	٠٫٠٢	" "
" " " ذراع الرجل	٠٫٠٣	" "
" شعر رأس المرأة	٠٫٠٦	" "
" " رأس الرجل	٠٫٠٨	" "
" " حاجبي الرجل	٠٫١٢	" "
" " شاربيهِ	٠٫١٣	" "
" " لحيتهِ	٠٫١٥	" "
" " ابطهِ	٠٫١٥	" "
" " هلب الخنزير	٠٫٢٧	" "

ويختلف الناس كثيرًا في اهتمامهم بشعرهم ولا سيما النساء منهم وهذا الاهتمام قديم جدًّا من ايام المصريين والاشوريين الاقدمين وهو غير محصور بشعب من الشعوب ولا بعصر من العصور الاَّ ان اسلوبهُ متغير ولا سيما في هذا العصر اذ تجد المرأة الاوربية تقص شعرها على اساليب مختلفة في النهار الواحد

واللحية والشاربان خاصة بالرجل لكنهُ في بعض الشعوب يبلغ ويكتهل من غير ان ينبت شعر لحيتهِ وشاربيهِ او ينبت لهُ شعر قليل . وقول العرب "من طالت لحيتهُ قصرت فطنتهُ" لا

دليل على صحتهِ لان اللحى تطول في احط اهالي استراليا الاصليين كما تطول في ارقى الشعوب الآرية . هذه خلاصة ما يقال في الشعر من حيث دلالتهُ على الجنس والجمال

الخيلان — شامات في الوجه تُستَحسَن او تُستَقبح حسب موضعها وكونها مفردة او متعددة وكثيرًا ما تزدان صفحة الخد بالخال لانهُ يظهر بياضها وحمرتها وبضدها تتبيَّن الالوان حتى ان بعض النساء يضعن على وجناتهنَّ دوائر سودًا تبين كالخيلان اظهارًا لروائهنَّ . وقد افاض اهل الفراسة في دلالة الخال على الاخلاق بما لا طائل تحتهُ

الغضون — تظهر الغضون في الوجه والجبين إما من الشيخوخة او من تكرار الانقباض العضلي او من الهزال وقلة التغذية . واسبابها طبيعيَّة فيمكن البحث فيها علميًّا وهي غير خاصة بالوجه والجبين بل تكون في كل اعضاء الجسم . واهمها بالذكر ما يأتي

(١) غضون الجبين العرضية اي الممتدة من صدغ الى صدغ وقلما يخلو منها جبين رجل جاز الاربعين وتكون ايضًا في جباه الاولاد اذا كانوا مصابين بالسل او البله او لين العظام

(٢) غضون الجبين العمودية اي الممتدَّة من الاعلى الى الاسفل وهي تظهر باكرًا في الرجال الذين يشتغلون الاشغال العقلية وتظهر فيهم كلهم اذا تقدموا في السن

(٣) الغضون المقوسة والمتقاطعة وتكون في وسط الجبين من اسفلهِ واذا ظهرت في الحداثة دلت على زيادة الالم البدني او الادبي

(٤) غضون اللحاظ وهي تنتشر من عند لحاظ العين في السنة الاربعين من العمر وما بعدها

(٥) غضون الانف العرضية او العمودية وهي تظهر وقت البلوغ او وقت الشيخوخة

والغضون تظهر في الرجال قبل النساء وهي اشد غورًا في العصبي المزاج منها في غيرهم وفي الذين انتابتهم الامراض او نحفت ابدانهم بعد سمنها فاذا سمن الانسان حينما يتقدَّم في السن فالغالب ان الغضون لا تظهر فيهِ حينئذٍ

هذه زبدة ما تدلُّ عليهِ ملامح الوجه المذكورة في هذا الجزء والذي قبلهُ من حيث شكلها ولونها اي انها تدلُّ على جنس صاحبها وسنهِ والشعب الذي هو منهُ ويُعَدُّ بها جميلاً او غير جميل حسبما اصطلح عليهِ الناس . ولكن لها دلالات أُخرى بحركاتها وسكناتها تُعبّر عما يخالج الضمير من راحة او تعب وحب او بغض وسرور او غيظ ونحو ذلك كما يعبر اللسان عن هذه الامور حتى يصحُّ ان نقول ان للملامح لغة تنطق بها نطقًا تراهُ العين ولو لم تسمعهُ الاذن ويرى منها شديدو الفراسة اكثر مما يرى غيرهم حتى انهم يقرأُون افكار صاحبها من النظر الى وجههِ وقد يظنون ان الملامح نفسها اي هيئتها التكوينية هي التي دلتهم على اخلاق صاحبها والحقيقة

انهم استدلوا بحركاتها ولو كانت طفيفة جدًّا لا بشكلها ولا بلونها الاَّ اذا كان هذا الشكل وهذا اللون ملازمين لطائفة من الناس ولها اخلاق خاصة بها او اذا تكررت حركتها على اسلوب واحد حتى ابقت لها اثرًا فيها . وسنأتي على تفصيل ذلك كلهِ في الاجزاء التالية

اصلاح نسل الانسان

لو كان موضوع هذه المقالة اصلاح نسل الحيوان كالخيل والغنم والبقر لاهتمَّ اهل الزراعة بها وقرأُوها بالامعان الذي تستحقهُ . ولكن اصلاح نسل الانسان وعليهِ يتوقف ارتقاء الامم وتفوُّقها على غيرها يراه' جمهور كبير من القراء امرًا ادًّا لا يجوز البحث فيهِ ولا تحلُّ الكتابة عنهُ . ولو زار الارض احد سكان الكواكب واخبرتهُ ان علماء الارض يهتمون باصلاح نسل الغنم والبقر ولا يهتمون باصلاح نسل البشر لظنكَ تمزح او تهذي ولكن هذا هو الواقع ولولا الميل الفطري الى الارتقاء والحث الديني على العفة لكان نوع الانسان احط من انواع كثيرة من الحيوان

للاوربيين ولا سيما الانكليز منهم اسلوب حسن جدًّا لتخليد ذكر العلماء ونشر الحقائق العلمية بين العامة منهم وهو جمع مالٍ يُعطى ريعهُ لمن يُنتدب لخطبة علمية يتلوها تذكارًا للعالم الذي يراد تخليد ذكرهِ . ومن هذه الخطب الخطبة التي تتلى على ذكر الاستاذ هكسلي وقد دُعي للاولى منها الاستاذ فركو الالماني ونشرناها في حينها ودعي للثانية الدكتور فرنسيس غولتن العالم الانكليزي صاحب المباحث المستفيضة في الوراثة وآثار الانامل فخطب في التاسع والعشرين من الشهر الماضي (اكتوبر) خطبة موضوعها امكان اصلاح نسل الانسان في الاحوال الحاضرة . و يستفاد مما قالهُ في هذا الصدد ان اخلاق الناس تختلف كثيرًا ولكنها تجري في قوتها وضعفها وشيوعها وانحصارها على قانون حسابي يسمى قانون التغلُّب ومفاد هذا القانون انهُ اذا اتصف مئة نفس بخلق من الاخلاق فيكون هذا الخلق على متوسطهِ في خمسين منهم . والخمسون الباقون نصفهم فوق هذا المتوسط ونصفهم تحتهُ . واذا قسم الخمسة والعشرون الذين فوق المتوسط الى ثلاث طبقات كان ١٦ منهم في الطبقة التي تلي الوسط و ٧ في الطبقة التي فوقها و ٢ في الطبقة العليا وكذا الخمسة والعشرون الذين تحت الوسط يكون ١٦ منهم في البطقة التي تليهِ و ٧ في الطبقة التي تحتها و ٢ في الطبقة السفلى . فالنوابغ في كل خلق من الاخلاق لا يزيدون على اثنين في المئة والمنحطون الى الدرك الاسفل فيهِ لا يزيدون على اثنين

في المئة ايضاً واكثر الناس من المتوسطين في ذلك الخلق

واذا توسعنا في الاحصاء ونظرنا في عشرة آلاف نفس لا في مئة فقط رأينا خمسة آلاف منهم في الطبقة الوسطى و ۲۵۰۰ في الطبقات التي فوقها و ۲۵۰۰ في الطبقات التي تحتها. ومن اهل الطبقات التي فوق الوسط ۱٦۱۳ في الطبقة التي تلي الوسط و ٦۷۲ في الطبقة التي فوقها و ۱۸۰ في التي فوق هذه و ۳۵ في الطبقة العليا . وكذلك يكون الامر في الطبقات السفلى اي يكون ۱٦۱۳ في الطبقة التي تلي الوسط و ٦۷۲ في التي تحتها و ۱۸۰ في التي تحت هذه و ۳۵ في الطبقة السفلى . فالنوابغ في كل امر من الامور يبلغون نحو ۳ في الالف والمنحطون فيهِ انحطاطاً تاماً يبلغون ايضاً نحو ثلاثة في الالف وبقية الناس بين بين واكثرهم في الطبقة الوسطى

هذا يكون حال الناس اذا تُركوا يتوالدون من غير اعتناء خاصّ باصلاح نسلهم اي من غير ان يُغرى المرتقون منهم بالزواج وإخلاف النسل و يُعتنى باولادهم اعتناء خاصاً لحفظ صحتهم وتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم ومن غير ان يمنع المنحطّون عن الزواج لكي يقلّ عددهم وينقرض نسلهم رويداً رويداً . واما اذا بُذلت العناية في ما تقدّم من اغراء المرتقين بالزواج ومنع المنحطين عنهُ فلا بدَّ من ان تتغيَّر النسبة المذكورة آنفاً ويكثر عدد اهل المناقب ويقل عدد اهل المعايب

واذا قدِّر ثمن الاولاد بما نستفيده منهم بلادهم وامَّتهم كما يقدَّر ثمن نتاج الخيل بما يستفيده منها اصحابها وساوى طفل الابوين اللذين من الطبقة الدنيا عشرة دنانير فطفل الابوين اللذين من الطبقة العليا يساوي الف دينار او عشرة آلاف دينار كما يباع مهر الهجين بخمسة دنانير ومهر الاصيل بخمسة آلاف

وهذا الحكم لا يقتصر على الرجال بل يتناول النساء ايضاً فاذا قُصر الانتقاء على الرجال وعلى الطبقة العليا منهم وابيح لهم التزوج بمن يشاؤون من بنات الطبقة العليا وغيرها من الطبقات التي تحتها من غير انتقاء وقسمنا مئة من نسلهم الى ثماني طبقات وجدنا في الطبقة العليا منها نحو ٤ انفس وفي الطبقة الثانية وفي التي تحتها نحو ۱۰ وفي الثالثة نحو ۲۱ وفي الرابعة نحو ۲۷ وفي الخامسة نحو ۲۳ وفي السادسة نحو ۱۰ وفي السابعة نحو ۳ وفي الثامنة نحو ۱ . واما اذا تناول الانتقاء الرجال والنساء ايضاً فتتزوَّج رجال الطبقة العليا بنساء الطبقة العليا فقط جاء اولادهم من الطبقات الخمس الاول فقط لا من التي دونها . اي ان الاخلاق الموروثة في الوالدين تفعل بالنسل ولكنها لا تعيده الى الطبقات الدنيا فيكون في الطبقة العليا نحو

١٨ نفساً وفي الثانية ٢٩ وفي الثالثة ٢٩ ايضاً وفي الرابعة ١٥ وفي الخامسة ٩ انفس ولا يكون احد من اولادهم في الطبقة السادسة والسابعة والثامنة

فاذا ثبت ذلك وامتنع الذين من الطبقات الدنيا عن التزوُّج وإخلاف النسل زاد عدد الذين من الطبقات العليا رويدًا رويدًا وارتقت بهم الام ونجت من متاعب كثيرة اذ يقل فيها الاشرار والجهّال ويكثر الفضلاء والمجتهدون

الاَّ ان المنع ليس مما يسهل امرهُ فلم يشر بهِ الخطيب بل اشار بترغيب الفضلاء والفاضلات في الزواج واخلاف النسل وذلك بان ينتبه رؤساء المدارس للنابغين من طلبة العلم وطالباتهِ الذين يمتازون على غيرهم بالقوى العقلية والادبية والهمَّة والنشاط ويبحثوا عن اصلهم وفصلهم وما في اسلافهم من الادواء والاميال وكثرة الولد او قلتهِ حتى اذا رأوهم من اصح الناس بنيةً واجودهم صحةً واذكاهم عقلاً واكرمهم اخلاقاً اعطوهم شهادات ناطقة بذلك فيكون لهم الامتياز على غيرهم في الزواج

وما يرى في الاحداث من الاخلاق قد لا ينمو فيهم بتقدمهم في السن وقد تظهر فيهم اخلاق فاضلة متى اكتهلوا لا تكون فيهم في حداثتهم ولم يبحث احدٌ حتى الآن عن نسبة الاحداث الى الكهول من حيث نمو الاخلاق ليعلم كم عدد الذين تستمرُّ اخلاقهم الفاضلة على النمو وكم عدد الذين تزيد فيهم هذه الاخلاق او تنقص ولكن مهما يكن من ذلك فلا شبهة في ان ترغيب خيرة الناس في الزواج واخلاف النسل يفضي الى اصلاح الامَّة بتكثير الاخيار فيها كما ان منع الاشرار والكسالى عن التزوج يفضي الى اصلاحها بتقليل الاشرار والجهّال

ومن الوسائل التي اشار بها الخطيب لترغيب الاخيار في الزواج اعطاء الاموال صداقاً لاهل الفاقة منهم وإسكانهم في بيوت جامعة شروط الصحة واكرام الذين لا يحتاجون الى المال منهم بالرتب ونحوها مما تُظهر بهِ البلاد اكرامها لابنائها وبث التعاليم الدينية في نفوسهم لكي تزيد عفتهم ويقوى تمسكهم بالفضائل . وقدجرى الناس في كثير من البلدان المتمدنة على تأخير الزواج من باب اقتصادي لكثرة النفقات التي ينفقونها فيهِ وعلى اولادهم ولكن يمكن تغيير ذلك وتقليل النفقات كثيراً فلا يعود الزواج الباكر من البواهظ بل يصير من المعونات

وقد جرت البنات الاوربيات والاميركيات المتعلمات على تأخير الزواج الى السنة الثامنة والعشرين او التاسعة والعشرين من عمرهنَّ لكي يتفرَّغن للدرس في المدارس العالية ومناظرة الرجال في العلوم والفنون . وعدل بعضهنَّ عن الزواج مطلقاً واخترن العزوبة عليهِ لكي يخلصنَ من هموم البيت والاولاد . سئِلتْ ناظرة مدرسة عالية عما يستفيدهُ بنات مدرستها من العلوم

بعد خروجهنَّ منها فقالت ان ثلثهنَّ يستفيد من علومهِ فائدة كبيرة وثلثهنَّ يستفيد فائدة صغيرة واما الثلث الثالث فلا يستفيد شيئاً . فقيل لها وماذا يفعل اللواتي لا يستفدن فقالت انهنَّ يتزوجنَ . وعلى هذا المنوال قلَّ عدد الراغبات في الزواج بين النابغات في العلوم

ومن رأي الخطيب انهُ اذا تزوَّج البنات باكرًا في السنة الحادية والعشرين او الثانية والعشرين كان نسلهنَّ اكثر مما لو تزوجن في الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين لان العقم يحدث في سن معلوم فالتي تبكّر في زواجها تلد اكثر من التي تؤَخرهُ . فاذا روعيت هذه القاعدة وأُصلحت المساكن حتى قلّت الامراض شبَّ الاولاد اقوياء الابدان والعقول،وتناسل منهم اولاد اقوياء ايضاً فتقوى بهم الامَّة و يعظم شأنها . وتدرَّج الخطيب من هذه القضايا النظرية الى قضيَّة عملية فقال ان الشعب الانكليزي ينفق كل سنة على اعمال البر اكثر من اربعة عشر مليون جنيه تذهب كلها صدقات للمساكين أفليس عندنا سبل أُخرى لمساعدة ابناء الامَّة غير هذا السبيل . اني لا اشير الى الانفاق على تعليم الشبان مع اني أرى نفسي مدفوعاً الى ذلك لما فيهِ من النفع الكبير ولكني اشير الى ما يفعلهُ بعض الاغنياء المحسنين من مد يد المساعدة الى الشبان وهم في اول عمرهم ليسهل عليهم الارتقاء . ان من يقرأُ ترجمات المشاهير يعجب من كثرة الرجال الذين ارتقوا بقليل من المساعدة وهم في اول اعمالهم . ولا اعني بهذه المساعدة ان يعتمد الشاب الفقير على الرجل الغني وتكون العلاقة بينهما علاقة المحسِن الى المحسَن اليهِ بل ان يمدَّ الغنيُّ يد المساعدة الى شاب يماثلهُ عقلاً وهمَّة ولكن لم يمضِ عليهِ زمن كافٍ لجمع الثروة مثلهُ فيكون بينهما نوع من المشاركة يفتخر بهِ كلٌّ منهما الغنيُّ يقول اني اعنتُ شاباً يستحق المعونة والشاب يقول اني استعنت برجل كريم لكي ارتقي في الاعمال واصير قادرًا على اعانة غيري . اي تكون بينهما نسبة شريفة نسبة الشريك الى شريكهِ لا نسبة مهينة نسبة المحسِن الى المحسَن اليهِ

ولا تقتصر المساعدة على الفتيان بل تتناول الفتيات ايضاً كأَن يتكرَّم المحسنون بالمال على البنات القليلات الثروة اللواتي ينتظر منهنَّ النسل المرتقي حتى يسهل عليهن التزوُّج وتربية الاولاد و يساعدن في تربية اولادهنَّ ايضاً

وابواب المساعدة واسعة لدى كبار الملاَّك وما ينفقونهُ في سبيلها رأس مال يعود عليهم بالربح الوافر فانهم اذا اختاروا اقوياء الابدان اصحاء العقول ودفعوا اليهم الاجور العالية وبنوا لهم البيوت الصحية وساعدوهم في معيشتهم زادوا صحَّة وهمَّة فاحسنوا خدمة املاكهم والاعتناء بها . وكيف يغفلون ذلك وهم لا يغفلونهُ في تربية مواشيهم بل يبتاعون الجيد القوي منها باغلى

الاثمان ويحسنون لهُ المأوى والعلف والخدمة فيعود ذلك عليهم بالفائدة الكبيرة

ومتى اختار الملاَّك اصحاء الابدان والعقول وجادوا عليهم بالاجور واسكنوهم البيوت الصحيَّة ونظروا اليهم نظر الشريك الى شريكهِ لا نظر المحسن الى المحسن اليهِ نشأ عندهم رجال يعتمدون على انفسهم ويُعتمَد عليهم وقد ينبغ منهم اناس يرتقي بهم شأن الامَّة كلها

وختم الخطيب كلامهُ بقولهِ ان اصلاح نسل الانسان من الممكنات وان مَن يسعى في هذا السبيل فسعيهُ حميد مشكور. وهذا العمل كبير شاق ولكن غايتهُ تستحق ان يتعب لها الناس ويبذلوا الوسع في الوصول اليها. وما نيلها بالامر الممتنع لانها خاضعة لناموس الوراثة وهو على عظم شأنهِ خاضع لعقل الانسان اذا عرف ان يستخدمهُ وينتفع بهِ. وما من امَّة احوج من الامَّة الانكليزية الى اصلاح النسل لاننا انتشرنا في اقطار المسكونة وعلينا يتوقف مستقبل الملايين الكثيرة من نوع الانسان

حسناء القرية

للكاتب الاميركي واشنتون ارفنغ

كنت اطوف في داخليَّة بلاد الانكليز اروّح الخاطر والنفس من عناء الاعمال ومشاغل الاشغال ففي عصر ذات يوم القيت عصا الترحال في قرية خلعت عليها الطبيعة رداء من السكينة والعزلة والبست سكانها ثوباً من البساطة يندر وجودهُ في القرى الواقعة على السبل العامَّة والطرق المطروقة فاتيت فندق القرية حيث تناولت شيئاً من الطعام ثم خرجت امتع الطرف بمحاسن تلك المناظر. ولم أسرْ طويلاً حتى بلغت الكنيسة وقد قامت بمعزل عن البيوت فاذا بها قديمة العهد التحف برجها بالمعرشات الَّا اجزاء منهُ اطلَّت فوق الخضرة وقد سوَّدها تقادم العهد وكرور الزمان. وكان اول النهار ماطراً والجوّ لا يزال محجوباً بالغيوم المكفهرة الَّا رقعة منهُ في الغرب انفرجت عنها السحب فاندفعت اشعة الشمس وراءها واضاءت اوراق الاشجار الدامعة وابتسم بها وجه الطبيعة ابتسام السكينة والهدوّ وكأن الشمس قبل الغروب تقيٌّ بارٌّ يكاد يفارق الحياة وهو يبسم على هموم العالم واحزانهِ وكأن سكينة انحلالهِ دليل على انهُ سيقوم الى المجد العتيد

فاخترت حجراً كبيراً جلست عليهِ وغرقت في بحر التأملات كما يفعل من كان في مثل تلك الساعة والاحوال واخذت افكر في ما مضى من العمر وما تخللهُ من الحوادث وتذكرت

اصدقاء الشباب ومن منهم فارق الحياة او غادر البلاد الى آخر ما يخطر للمرء من هذه التأملات التي هي احلى من السرور والذّ منهُ. وكان جرس الكنيسة في خلال ذلك يقرع قرعات متقطعة جاءت مكملة لما كنت فيهِ ثم افقت من ذهولي وفطنت الى انَّ الجرس انما يقرع قرعات الحزن وانهُ ينعي انتقال ساكن جديد من اهل القبور اليها

وما عتمت ان رأيت جنازة عابرة المرج ثم غابت في منعطف وكانت تظهر مرة ثم تختفي وراء السياجات وثغورها حتى مرَّت بي فاذا بساط الرحمة تحملهُ فتيات اتّشحن بالبياض وامامهنَّ عذراء تكاد تكون في السابعة عشرة تحمل اكليلاً من الازهار الناصعة البياض اشارة الى ان الفقيدة فتاة عذراء ووراء النعش والدا الميتة وهما شيخان وقورا المنظر تدل هيئتهما على انهما من الفلاحين ذوي اليسار ولحظت ان الاب يحاول اخفاء حزنهِ لكنَّ شخوص عينيهِ وتعقد حاجبيهِ وتغضن وجههِ جميعها دلَّت على ما كان يختلج في صدرهِ اما الامّ فكانت مستندة الى ذراعهِ وقد كاد صدرها ينشق بما انفجر فيهِ من حزنها — حزن الوالدة الثكلى . فتبعت الجنازة الى الكنيسة ورايتهم يضعون النعش في وسطها وقد علقوا اكليل الازهار وقفازًا ابيض فوق مقعد الفقيدة حيث كانت تجلس في حياتها لاستماع الصلاة

وكلنا يعلم ما تنبههُ فينا صلاة الجنازة من الخشوع والوقار اذ ليس بين البشر من لم يسرْ وراء احد اعزائهِ الى القبر على انَّ وقعها يزداد في النفس اذا تليت فوق بقايا الطهارة الذابلة في مقتبل العمر . ولمَّا لفظ الكاهن هذه العبارة المألوفة "من التراب والى التراب تعود" انهمرت الدموع من عيون تربيات الفقيدة واجتهد الاب في منازعة حزنهِ كأنهُ يتعزى بان الموتى الذين يموتون في الربّ مغبوطون لكنَّ الامّ كانت ترى في ابنتها زهرة قصفت قبل اوانها وذبلت في اشدّ حلاوتها فكانت كراحيل "تبكي على اولادها ولا تريد ان تتعزَّى"

ولمَّا عدت الى الفندق حدثني بعض من لقيت فيهِ بحديث الفتاة وها انا اوردهُ على بساطتهِ كما رواهُ محدثي ولا يبعد ان تكون هذه القصة واحدة من مئات مثلها

ولدت هذه الحسناء من والدين ذاقا لذة النعمة وجرعها الدهر مرارة الخسارة فربيت وحيدة تربية السذاجة القروية وتلمذت لراعي كنيسة القرية فكانت الحمل المحبوب في قطيعهِ وتعهد ذلك الرجل الصالح تهذيبها بمحبة واهتمام ابويين قاصدًا ان يربيها لتصير حلية لمقامها الذي وجدت فيهِ لا لان تطمع فيما فوقهُ من مراتب الحياة فاختار لها من الدروس ما ظنهُ يفي بهذه الغاية . وتعلقت نفس والديها بها فكانت تفعل ما تشاء معفاة من جميع الاعمال البيتية العادية فولَّد ذلك فيها دلالاً ورقة طبع ودماثة اخلاق جانست ما بها من لطف القوام وبهاء

الطلعة وجمال الوجه حتى ان الناظر اليها ليخالها زهرة من ازهار البساتين افرخت اتفاقاً بين نباتات الحقول . وكانت ترباتها يعترفن لها بالميزة عليهنَّ في الجمال والدلال لا عن حسد او غيرة لان لطفها وعطفها وحنوها فاقت جمالها واكسبتها حبَّ الجميع

ولما كانت القرية بمعزل عمَّا حولها من البلدان ابقى اهلها على بعض التقاليد والعادات الانكليزية القديمة فكانوا يحافظون على الاعياد لا سيما نيروز مايو . والفوا في راعي كنيستهم منشطاً لهم فقد كان الرجل كلفاً بالعادات القديمة يعتقد ان من واجبات المرء زيادة افراح الحياة وتشديد اواخي السلام بين الناس فكانوا يحتفلون برعايته بنيروز مايو هذا سنة فسنة فينصبون العمود ويكللونهُ بالخضرة والازهار ويزينونهُ بالرايات ثم ينتخبون ملكة النيروز من فتياتهم فترأس الحفلة وتوزع الجوائز والهدايا كما كانوا يفعلون في العصور القديمة فكانت تلك الحفلات وجمال القرية الطبيعي داعية لجذب الزوّار والمتفرجين اليها من الجوار . وحدث ان ضابطاً فتًى كانت فرقتهُ معسكرة في تلك الناحية زار القرية ابَّان النيروز فراقهُ ما فيهِ من البساطة والرونق وسلبت لبَّهُ ملكة مايو بجمالها ولطفها (وهي حسناء القرية) وقد كللوها بالازهار وانار وجهها الابتسام العذب والحياء الطاهر وتوردت وجنتاها ابتهاجاً وحبوراً . ولما كانت عادات المكان بسيطة استطاع الضابط ان يتعرفها ولم يمضِ ردحٌ من الزمان حتى اكتسب صداقتها وميلها اليهِ وهو يتودَّد اليها ويبدي انعطافهُ لها كما يفعل كثيرون من الضباط الشبان فيعبثون بسذاجة القرويات وقلوبهنَّ

لكنهُ لم يفاتحها امر الحبّ ولا اتى على ذكرهِ وانما هنالك من الطرق للافصاح عنهُ ما هو ابلغ من الكلام واسرع منهُ بلوغاً الى القلب واشد وقعاً فيهِ فانقاد العينين ورنَّة الصوت والرقَّة التي تنبعث من كل لفظة ونظرة وحركة — هذه صور بلاغة الحبّ يشعر بها الواحد ويدركها لكنهُ يعجز عن وصفها . فلا بدع اذاً ان الفتى اكتسب قلباً خلياً طاهراً يفيض بالعواطف .

اما الفتاة فاحبتهُ وهي لا تفقهُ ما الحب ولم تقف لتسأل نفسها عن ذلك الشعور الذي انبثق في فؤادها فشغلها عن سائر الخواطر والعواطف ولم تتردَّد في النظر في عواقبهِ فاكتفت بالحاضر ولم تنظر الى المستقبل فاذا حضر حبيبها صارت كلها آذاناً وعيوناً لسماع كلامهِ والتملي من مرآهُ واذا غاب عنها عادت تتأمل فيما حدث لها في اجتماعهما الاخير وكانا يقضيان زمان اللقاء يتماشيان في الحقول والهضاب المجاورة بين الخضرة والاشجار فعلَّمها ان ترى في الطبيعة حولها جمالاً جديداً لم تكن تراهُ وحدها وهو يطرفها بالاخبار والنكات بالكلام المسبوك كلام اهل الطبقة العليا من الناس فكان كمن يتنفس في أُذنيها انفاس التخيل والشعر والحرية

وكان انعطاف هذه الفتاة اليهِ كاطهر ما يكون عليهِ الحبّ وقد يحدث ان جمال منظرهِ وبهاء بزتهِ العسكرية خلبا لبها لاول وهلة وانما الذي أسر فؤادها مبلغهُ من التربية والمعرفة والتعليم فكان حبها لهُ يقرب من العبادة فنبهَّ فيها اجتماعهُ بها رقَّة عواطفها واستعدادها الفطري للتخيل الشعري فاستيقظت فيها تلك العواطف للشعور بالجمال والرفعة والعظمة ولم تحفل بالبون الشاسع بينهما في المقام والغنى وانما الذي وقع في نفسها ورفع قدرهُ في عينيها مقارنة ما شاهدتهُ فيهِ من قوّة العقل وكمال آداب المخالطة والمعاشرة والسلوك وما اعتادتهُ من سذاجة العيشة القروية فكانت تصغي لاحاديثهِ باذنين مسحورتين وقد اغضت عينيها حياء وابتهاجًا وتورّد خداها فاذا التفتت اليهِ التفاتة الظبي النفور على سبيل الاعجاب بهِ عادت فاسترَدَّت لحظتها وهي تتنهد وقد صبغ وجهها الحياء شعورًا منها بتقصيرها عنهُ .

وكان الفتى يهواها بقدر ما تهواهُ على ان حبهُ لها لم يكن خالصًا من الشوائب فانهُ طالما سمع اخوانهُ الضباط يتفاخرون باخبار حبهم لبنات القرى ووقائعهم معهنَّ فرأى ان يحذو حذوهم صونًا لصيتهِ بينهم على ان ملاهي العالم وملذاتهِ لم تكن قد برَّدت فؤادهُ ولا ملأتهُ بعد بحبة الذات فلم تكد جذوة الحبّ تمسهُ حتى اتقد جميعهُ وقبل ان يدري الفتى شيئًا عن حالهِ اذا هو يهوى فلما ادرك الحقيقة حار في امرهِ لعلمهِ ان امامهُ من الموانع ما يمنع اقترانهُ بالفتاة التي احبها فمقامهُ في الهيئة الاجتماعية وتعصب انسبائهِ من الاشراف وكونهُ عالة على والدٍ متكبر صعب المراس جميع هذه وقفت حائلاً دون اقترانهِ بالقروية ولكنَّ سذاجة الفتاة وثقتها بهِ واخلاصها لهُ وطهارتها وسلامة حياتها من الشوائب ورقة لحظاتها الممزوجة بالحشمة تغلبت على افكارهِ السيئة . وسدًى حاول ان يشدّد قلبهُ بتذكار ما سمعهُ من اخبار الاشراف وقلة شفقتهم ليبرّد ما فيهِ من شريف العواطف الكريمة فلم يستطع فكان اذا اجتمع بالفتاة الفاها مجللة بطلسم تلك الطهارة العذراوية السرّية — ذلك الجوّ المقدس حيث تنهزم الافكار السيئة

وحدث في ذلك الحين ان الاوامر صدرت لفرقتهِ بالسفر الى اوروبا فتمَّ بهِ اضطراب افكارهِ وظلَّ بضعة ايام في قلقٍ عنيف مستمرّ فاخفى الخبر عن الفتاة الى ان دنا يوم السفر فاطلعها عليهِ اما هي فلم يكن الفراق قد خطر ببالها ففاجأَ نبأَهُ حلم سعادتها فقطعهُ ورأت فيهِ خسارةً لا تعوَّض فبكت بكاء الاطفال بكاء صادرًا من قلب نقي حزين فتأثر الفتى جدًا فاخذ يعزيها و يطيب خاطرها ويقبل دموع الحزن من عينيها وهي لا تصدهُ لان هنالك من الساعات ما يختلط فيهِ الحزن ورقة القلب فيقدّسان ملاطفة الحبّ ..وكان الفتى بعدُ في حدة الشباب فلما رأى تلك الحسناء تذرف الدمع وقد القت اتكالها عليهِ وخشي ان يخسرها الى

الابد تغلبت عواطفهُ على عقلهِ فعرض عليها ان تترك والديها وتصير رفيقة عمرهِ . وكان حديث العهد في فنّ الاغواء فتمتم هذه الكلمات وقد صبغ الدم وجههُ اما الفتاة فلم تفقه مغزى قولهِ ولم تدرك سبباً لمغادرة قريتها وبيت ابيها لكنها لم تعتم ان فطنت الى قصدهِ واندفع ذلك الخاطر في نفسها كالبرق اللامع فاحرقها ونشف عينيها فارتدت مذعورة الى الوراء كمن انتصبت امامهُ افعى ثم نظرت اليهِ نظرة نفذت الى قلبهِ ولم تفه ببنت شفة بل ضمت يديها وهربت — كمن يطلب النجاة — الى بيت ابيها وعاد الضابط خجلاً تائباً ولا يعلم ما ثار في صدرهِ من الحرب التي اثارتها هواجسهُ واضطرابهُ على ان اهتمامهُ بالسفر واستعدادهُ لمبارحة تلك الديار صرفا افكارهُ في وجهة اخرى وتلا ذلك تنقلهُ في بلدان ومناظر جديدة وملذات جمة بين الرفاق والاصدقاء فاسكت هذا التنقل والتبديل صوت توبيخ ضميرهِ وتقريعهِ وخنق عواطفهُ الكريمة لكنهُ ظلَّ في وسط المعارك وفي المعسكرات والولائم تسيح افكارهُ وتعود الى تلك القرية البديعة فيتذكر الكوخ الابيض والطريق المكسوّ بالخضرة على ضفة النهر الفضي ويتصور تلك القروية الحسناء مستندة الى ذراعهِ تصغي الى حديثهِ وقد اتقدت عيناها بالحبّ الخفي

وكانت الضربة التي حلّت بالفتاة فهدمت عالم خيالها قاسية شديدة فمنيت بالاغماء والصرع وعقب ذلك ما لنخولياً مستمرَّة — نظرت في صباح غد ذلك اليوم المشوم الى الجنود وقد اصطفوا ينتظرون الامر بالمسير ثم رأت حبيبها الخائن راكباً ركوب الظافر يجري بهِ الجواد بين نفخ الزمور وقرع الطبول وبريق الاسلحة — نظرت اليهِ آخر نظرة وقد انعكس نور الشمس عن حلتهِ وعدتهِ وحرَّك النسيم ريش خوذتهِ الى ان غاب عن عينيها فكان كرؤيا لامعة مرَّت بها وخلفت وراءها ظلاماً دامساً

ولا اسهب في قصر حكايتها بعد ذلك فانها كسائر اخبار الحبّ العقيم فصارت تطلب الخلوة وتقضي اوقاتها في التجوال حيث كانت تمشي وحبيبها قبل فراقهما وهي كالغزال المجروح تبغي البكاء والانفراد مفكرة في السهم الذي راشهُ الحزن ورماهُ في فؤادها وكانت تختار احياناً الجلوس في العشية امام كنيسة القرية وكثيرًا ما سمعتها الحلاَّبات وهنَّ عائدات في المساء تغني اغاني شجية ماشيةً على مهل في اظلال الاشجار وزادت تديناً وتقوى وتعلقاً بالتعزية الالهية حتى اذا ما رآها الشيوخ والعجائز مقبلة الى الكنيسة نحيلة صفراء وعلى وجنتيها بقعتان حمراوان وقد اتشحت بوشاح الحزن المقدس فتحوا لها طريقاً بينهم كما لبعض اهل عالم الارواح وهزوا رؤوسهم كمن يرى العاقبة غير بعيدة

وعلمت انها سائرة في طريق القبر لكنها اعدَّتهُ مكاناً لراحتها بعد ان انقطع الوتر الفضي

الذي كان يربطها بالحياة و بعد ان لم تعد ترى سرورًا في ما تحت الشمس ولم يطل زمان غيظها من حبيبها اذ لم يكن الغيظ من طبيعتها فلما اشرفت على الانحلال خطّت كتاب وداع اليهِ حشوهُ البساطة في عبارات تمسُّ اعماق القلوب فاخبرتهُ انها على حافة القبر وان سلوكهُ معها اذبل حياتها ثم وصفت ما قاستهُ من صنوف العذاب الى ان قالت "ولكني لا استطيع ان اموت بسلام ما لم ابعث اليك بغفراني و بركتي"

واخذت القوة تفارقها تدريجًا حتى لم تعد تستطيع الخروج من البيت فكانوا يجلسونها على كرسي تجاه النافذة ويحيطونها بالوسائد فتقضي النهار تتأمل ما امامها من المناظر لا تنبس بشكوى ولا تنمّ بما ينخر فؤَادها من الداء المستعصي ولا تفوه باسم حبيبها لكنها كانت احيانًا تسند رأسها الى صدر والدتها وتذرق الدمع السخين صامتةً . واقام والداها التعيسان على الاعتناء بزهرة آمالهما الذابلة وهما يعلّلان النفس بانها تعود الى سابق نضارتها حاسبين ان تلك الحمرة التي كانت تصبغ وجنتيها بعض المرآت بشير الصحة والعافية

وفي عشية بعض الآحاد جلست بينهما ويداها في ايديهما والنسيم البليل يدخل البيت من النافذة حاملاً انفاس الازهار التي غرستها بيديها وعرشتها حول النافذة وكان والدها يقرأ لها فصلاً من التوراة يصف بطلان الامور العالمية وسرعة زوالها و يشير الى افراح السماء فاكسبها ما سمعتهُ راحة وسكينةً وكانت عيناها متجهتين الى كنيسة القرية والجرس يقرع صلاة المساء وقد سكنت الطبيعة سكونًا مقدسًا خاصًا بيوم الراحة وابواها ينظران الى وجهها و يتأملانهِ بقلوب تكاد تنفطر لان المرض والحزن اللذين يسلبان الوجوه من جمالها اكسبا وجه هذه الفتاة هيئة الملائكة — حينئذٍ انحدرت دمعة من عينها الزرقاء — أفكانت تفكر في حبيبها الخائن او اتجهت افكارها الى القبر حيث علمت ان جسدها سيرقد الى الابد

و بينما هم كذلك اذا صوت وقع حوافر ثم اندفع فارس نحو البيت فترجّل تحت النافذة وللحال صاحت الفتاة وأُغمي عليها فانهُ كان حبيبها التائب فاسرع الى الغرفة وتقدّم يريد ان يضمها الى صدرهِ لكنَّ نحول جسمها وشحوب وجهها الجميل نفذا الى اعماق قلبهِ فانطرح عند قدميها كالمجنون وافاقت الفتاة والتمست الوقوف فلم تستطعهُ ثم حاولت ان تمدّ يدها وفتحت شفتيها كمن يريد النطق ولكن ابى اللسان ان يطيعها فحدقت بحبيبها وعلى فمها ابتسامة حلوة مملوءة بالانعطافات ثم اطبقت عينيها — الى الابد

خليل ثابت

مدينة الخرطوم

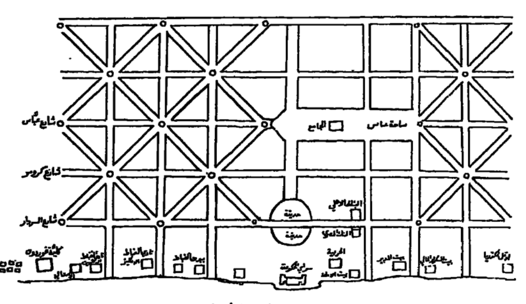
مضى على الخرطوم ست عشرة سنة كانت فيها قاعاً صفصفاً وطللاً دارساً بالياً ينعق في خرائبها البوم لا يعلم عنها العالم المتمدن شيئاً ولا يذكر اسمها الاَّ مقروناً بما وقع فيها من الحوادث المشومة حين سُفك فيها دم البطل الانكليزي الجنرال غوردون فجمها المهدي فذبح رجالها وسبي نساءها ودكَّ ابنيتها ونقل حجارتها وما سلم من رياشها الى ام درمان فامست خرباً تكتنفها الرمال المحرقة ولم يبقَ فيها سوى بعض جدران قليلة من سراي غوردون شاهدة على ما كانت عليهِ من العزّ والمنعة وقد بقيت رغماً عن اوامر المهدي وتشديدهِ بمحو كل اثر للحكومة السابقة فكأَن القضاء ابقاها اثرًا لدم بطل السودان الذي سفك فيها يستنهض الامم لردّها الى مجدها السابق ومحو آثار المهدوية . هكذا بقيت الخرطوم ست عشرة سنة حتى فتحها الجيش المصري بقيادة كتشنر باشا سنة ١٨٩٨

مررت بين خرائبها المتبعثرة ومشيت على رمالها المحرقة في اواخر سنة ٩٨ فلم اصدّق ان الحكومة تنوي جعلها عاصمة السودان واعادتها الى عزّها السابق بل الى اعظم منهُ فتحيي العظام وهي رميم ولم يدر في خلدي ان وحشتها ستصبح انساً ورمالها المحرقة جنات يجري من تحتها النيل فيرويها وينميها وخراباتها الدارسة قصورًا فخيمة فيقصدها من المغرب والمشرق التجار واصحاب الاموال . ولم يخطر لي ببال انني ارى فيها بعد عشرات من السنين عقائل واوانس غربيات وشرقيات يسكنَّ قصورها ويخطرن بازيائهن في شوارعها ولكن حدث ذلك كلهُ في ثلاث سنوات فذكرني بقصص خاتم المارد . والمال قوة لا تبارى اذا عضدتهُ اصالة الرأي وثبات العزيمة

لا يتوهمنَّ القارئ انني اصف لهُ مدينة عظيمة كالقاهرة او الاسكندرية كلاَّ لان الخرطوم لا تزال في بداءتها وكل ما فيها الآن من الابنية والجنائن والتجار وارباب الاموال قليل لكنهُ يدل على انها آخذة في النمو وان نموها سيكون سريعاً

من يأتي الخرطوم في القطار يرى وهو على ستة اميال منها نقطة بيضاء في الافق تكبر رويدًا رويدًا حتى يصل الحلفاية فيتحققها فيراها بناء فخيماً جميلاً ذا ثلاثة ادوار امامهُ من جهة النيل شجرات باسقات تظلل اكثر من مئة نفس وتحيط بهِ من الجهات الثلاث الاخرى حديقة غناء من شجر الفلفل والازهار البديعة الاشكال وتمخر امامهُ بين الحلفاية والخرطوم وام درمان البواخر الحربية والتجارية . هذا البناء سراي الخرطوم ومسكن حاكم السودان العام وعند

ما يمخر النيل عابرًا الى الخرطوم تستوقف نظره ابنية اخرى مبنية بالقرميد الاحمر على الطراز الاوربي منها كبير ومنها صغير تمتدُّ على شاطئ النيل عن يمين السراي و يسارها وتكتنفها اشجار النخيل الباسقة من كل جانب — منظر يشرح الخاطر و يسرّ القلب . فعن يسار السراي مساكن نائب الحاكم العام وكثيرين من الضباط الانكليز فنادي الضباط الانكليز فنادي الضباط المصريين (لم يتم بناؤه) فالاسبتالية العسكرية (لم يتم بناؤها) وعلى بعد الف متر منها افخم واعظم بناء في الخرطوم بل قد لا يكون نظيره في القاهرة في اتساعه وهو كلية غوردون التي سيكون لها شأن كبير في مستقبل السودان وعلى مقربة منها ثكنات العساكر الانكليزية



رسم شوارع الخرطوم

وعن اليمين دار الحربية وهي من اجمل ابنية الخرطوم لا يفوقها في الكبر والفخامة الا كلية غوردون وفيها الآن جميع دوائر الحكومة . وعن يمينها واقرب منها الى النيل بيت الامانة (لم يتم بناؤه) فبيت مدير الخرطوم فبيت سكرتير السودان المالي فنزل (هوتيل) الخرطوم وكل هذه الابنية مبنية على الشاطئ الغربي من البحر الازرق من القرميد المشوي الاحمر وهي جميلة متقنة البناء حسنة الوضع طيبة الهواء

واجمل منظر لهذه الابنية شاهدتهُ من الجهة المقابلة على شاطئ النيل الشرقي في الحلفاية حيث رأيتها امامي صفًّا واحدًا فاستوقفت بصري مدة كثر فيها اعجابي بها ونظرت اليها ليلاً من ذلك المكان نفسهِ فشاهدت انوارها منعكسة في مياه النيل تتلألأ على سطحهِ والنيل ساكن هادئ كانهُ ابى الحركة فقلت سبحان مغير الاحوال

اما شوارع المدينة واسواقها فقد خُطّطت في اول سنة ١٨٩٩ ومن ذلك الحين والبناء قائم فيها على قدم وساق خصوصاً في شارع عباس وشارع كرومر حيث قد تمّ بناء اكثر الابنية واجملها ومعظمها يخص الضباط الوطنيين ومستخدمي الحكومة واغنياء تجار السودان

اما طول الشوارع وسعتها واستقامتها فحدث عنها ولا حرج فتمر في الشارع منها ست مركبات جنباً لجنب بين الرصيفين. وكل الشوارع التي قامت فيها الابنية نظيفة واهتمام الحكومة شديد بتنفيذ كل وسائل النظافة في كل احيائها

اما تجارتها ففي تقدّم وقد اقيم فيها بناءان جميلان للبنك الاهلي والبنك المصري يدلك ذلك على ما لارباب الاموال من الآمال في مستقبل السودان عموماً والخرطوم خصوصاً . ولا انسى جامع الخرطوم الذي يكاد يتم بناؤهُ في ساحة واسعة في قلب المدينة فقد وقفت النظر اليهِ مدة متعجباً بجمالهِ وفخامة بنائهِ . ويحيط بالخرطوم من الجهة الجنوبية والغربية على شكل نصف دائرة ثكنات الجيش المصري وكلها في احسن المواقع الطيبة الهواء

وهواء الخرطوم جيد ويشتدّ فيها الحرّ بين ابريل واكتوبر وكثيراً ما تثور فيها ريح السموم في الفصل المذكور فترفع الرمال الى طبقات الجوّ وتغطي المدينة بطبقة كثيفة من الغبار فتأوي الناس حينئذٍ الى مخادعها وتقفل الابواب والنوافذ لكن الغبار يدخل والابواب موصدة والنوافذ مقفلة ويملأُ المخادع والاسرة . وحين تهدأُ الريح يرى الانسان منزلهُ اشبه شيء بمطحنة على كل شيء فيهِ طبقة من الغبار كثيفة

هذه هي الخرطوم الآن فكيف تصير بعد عشرين عاماً ذلك في علم العزيز الحكيم

احد قراء المقتطف

شبابنا والعمل

بحثٌ يظلُّ وان تقادمَ عهدهُ ابدًا طايًا في الشفاه جديدا
ويدوم ذو العقل السليم مجرِّدًا للنفع يطلبُ ما أُعيدَ مزيدا

سبق لي أن أثبتُّ في المجلد الثامن عشرَ من المقتطف مقالةً بهذا العنوان نفسهِ عرَّبتُها عن جريدةٍ اميركيةٍ وكان لها احسن وقعٍ عند كثيرين من الشبان . والآن رأيتُ ان أُضيف اليها مقالةً أُخرى ضمَّنتُها ما املاهُ عليَّ الاختبار ونبهني اليهِ كثيرون ممَّن عنوا بهذا الموضوع الخطير والبحث الجليل واذا صحَّ ما ارتأيتهُ فيها

كانت المدارس عرضةً لانتقادٍ جديدٍ لم يكن في الحسبان ولا خطر على بال المدرسين ٠ وها انا اعرضها على ذوي الالباب ولهم فيها رأيهم الموفق الى الصواب

تنبئنا الاحصاءات الرسميَّة للمواليد والوفيات والدخل والخرج ان معظم الامم في نموّ وتكاثرٍ والغنى على توفُّر وازدياد والاعمال كلَّ يوم يزداد نطاقها امتداداً ودائرتها اتساعاً قضاءً لما يجدُّ من الحاجيات ويحدث من التأنق في الكماليَّات ومع ذلك ترى كثيرين من الشبان في العالم عموماً وفي شرقنا خصوصاً بطَّالين لا عمل لهم او عاملين ولكن باجرة بخسةٍ ورواتب قليلٍ ان بلَّغهم الكفاف من الرزق واغناهم عن التسوُّل لم يمكّنهم من اقتصاد شيءٍ يشغلون بهِ فراغ الكيس احتفاظاً بالناموس الطبيعي القائل « ان لا فراغ في الكون »

والشبان الذين نعنيهم على الخصوص بهذه المقالة هم الذين تربَّوا في المدارس العالية ونالوا نصيباً كبيراً من العلوم والمعارف التي تسهّل عليهم الطريق الى تعاطي اعمالٍ كثيرة وامتهان حرفٍ متنوعة . هؤلاء تجد اكثرهم على ما ذكرنا وترى الاعمال قريبة منهم وابواب النجاح غير بعيدة عنهم فيأخذك العجب من هذا التناقض وتودُّ استجلاء الحقيقة والوقوف على السبب وتظنُّ ان محادثتهم في هذا الشأن تنيلك المراد وتمكنك من معرفة علة بطالتهم وعدم نجاحهم

ولكن اذا طارحتَهم السؤال لم تظفر منهم بجوابٍ يقضي لبانتك لأنهم في الغالب يشبعونك تأفُّفاً وتذمُّراً ويوشكون ان يتخموك من سماع شكوى الزمان ومعاندة الايام ولو خالفتَ عقلك وحكمت بمقتضى ما سمعتَ لقضيتَ بانَّ البطالين منهم مظلومون والعاملين مغبونون مبخوسون ٠ ولكنك ترى ايها المطالع الكريم انَّ الحقيقة التي تنشدها في هذا البحث الخطير لا تتفيَّأ مثل هذه السفاسف الصبيانيَّة والمخارف العجائزية . نعم إنَّ افراداً منهم لم ينالوا استحقاقهم من المناصب ولا أُعطوا ما هم اهل لهُ من الرواتب كما أنَّ آحاداً غيرهم خدمتهم الصدف وجرت رياح التقادير على إيثارهم فادركوا من المقامات والارزاق ما لم يقس بمقياس الاهلية ولا أُعطي على قدر الاستحقاق ولكنَّ هذين الفريقين خارجان عن مقتضى القياس وحكم الاطراد فلا يبنى عليهما وجهٌ جامع ولا استنتاج عامٌّ

واذا كانت الاعمال في الكون تتوالد وتتكاثر كالمخلوقات الحية وتزداد على مدى الايام تفرُّعاً وتشعُّباً فمن مصلحة اربابها أن يفتّشوا عن العملة « بالسراج والفتيلة » ولا يُعقل أنهم يتردّدون في قبول من يعرض عليهم الخدمة او يتأخرون عن ترقية العامل النشيط في المنصب والاجرة لانهم ينتفعون من خدمتهِ او ترقيتهِ اضعاف ما ينتفع هو منهم فليسوا من المجانين حتى يرفضوا الربح او يتقاعدوا عنهُ وهم اقدر الناس على استنباط طرق تحصيلهِ

اذًا علة البطالة وعدم نجاح كثيرين من العاملين ليست في الاعمال نفسها لانها كثيرة ولا في اربابها لانهم في احتياجٍ دائمٍ الى العمال وليس من مصلحتهم تعطيل اعمالهم . واذا كانت العلة ليست في الاعمال ولا في اربابها فلا بدَّ ان تكون في العمّال انفسهم لكنَّ بعضهم او اكثرهم لا يرونها فيهم او يرون جزءًا يسيراً منها وينسبون معظمها الى الاعمال واربابها و « سوء الحظ وعدم التوفيق » وهذهِ المزاعم نفسها حجر عثرة في سبيل تقدمهم وحاجز حصين بينهم وبين النجاح الذي عبثاً وباطلاً يعلّلون نفوسهم بالحصول عليهِ

ولهذا الاعتقاد الراسخ في اذهانهم اسبابٌ مهيئة واسبابٌ عارضة فالاسباب الأُولى وهي منشأُ العلة ومدبُّ الداء فعلت فيهم منذ نعومة اظفارهم واعدَّتهم لفعل الاسباب العارضة التي المّت بهم عابثةً لاعبة واناخت عليهم آكلةً شاربة. وفي هذا الكلام اجمال لا بدَّ من تفصيلهِ

دخل هؤُلاء الشبان المدارس الابتدائية وانتقلوا منها الى المدارس العالية التي هي في مصر وسورية على اختلاف انواعها متساوية في انَّ اكثر اساتذتها ومدرسيها رجالٌ انحصرت معارفهم بفروع العلوم التي أُقيموا على تعليمها للطلبة وليس لهم اقلُّ اختبار باحوال العالم خارج ابواب المدارس فهم على جهلٍ تامّ بالصنائع ولا يدرون شيئاً مما يتعلّق بالامور الزراعية ولا يعلمون من التجارة وطرقها واساليبها اكثر من انها مصدرٌ من الفعل « تجر »

هذه الابواب الثلثة — الصناعة والزراعة والتجارة — المفتوحة في العالم للكسب

والتحصيل لا يفقهُ اصحابنا المدرسون عنها حديثاً ولا يعلمون اين هي لانهم لا يرون لعينها في ابواب الصرف أثراً ولا يسمعون عنها في باب المبتدإ خبراً ولا يجدون لها في باقي العلوم الابتدائية والفروع العالية سكةً سلطانيةً تؤدّي اليها وان ألمّوا ببعض المبادىء المتعلقة بها والراجعة اليها فإلمامهم عقيم جديب ينقصهُ الاختبار . وغير خافٍ انَّ العلم شيء وتطبيق العمل عليهِ شيء آخر . ومعلومٌ ايضاً ان الطرق العملية للإثراء وجمع المال كثيرة لان جوف الارض محشوٌّ بمعادن الفضة والذهب وسطحها يتدفق بموارد الثروة والغنى لكنَّ هذه الطرق لا يحذقها الاَّ من اختطّها بيدهِ او دربهُ عليها ابوهُ او شريكهُ او ربُّ عملهِ فبلغ غايتهُ منها وامتلأَت خزائنهُ شبعاً وفاضت معاصرهُ مسطاراً . أما المدرسون الذين ادركتهم حرفة الادب فانهم يحمدون الله على الفقر وفراغ « الجيوب » . ولا يعرفون طريقاً لكسب المال غير رأس الشهر الذي يتوقعونه اكثر مما يتوقع الصائم رؤْية الهلال . ولا يدركون معنى لمئات الجنيهات والوفها وملايينها سوى ما يعرض لهم من ذكرها في اثناء تعليمهم للطلبة بعض المسائل الحسابية والجبرية فكلٌّ منهم معنيٌّ بما قلتهُ مرَّةً

عجبتُ لمن مع الاولاد يقضي بتعليم الحسابِ لهم نهارَهْ
يجوز بهم مدى المليون عدّاً وما في جيبهِ مع ذاك بارهْ

ومن يكون هذا شأنهم فلا عجب اذا لم يستطيعوا ان يدربوا غيرهم على معرفة طرق التحصيل المادي والاكتساب المالي ولسان حال كلٍّ منهم يقول : « لو كنتُ طبيب الهوى طبيت انا حالي »

على انهم عفا الله عنهم لا يقفون في الغالب عند حدّ الجهل بهذه الامور المهمة ويتركون التلامذة وشأنهم بل يسيئون اليهم على غير عمدٍ ويستأصلون من اذهانهم الاستعداد الفطري الذي غرستهُ فيهم يد الطبيعة لمزاولة الاعمال وممارسة أسباب الارتزاق فكأنهم — (والكلام بسرهم) لشدة حسدهم من المتموّلين لا ينقمون عليهم حتى على المال ايضاً واذ لا يستطيعون الى الانتقاء منهم سبيلاً يعمدون الى تلامذتهم ويشربون قلوبهم كراهة الغنى ويمثلون امامهم كل يوم رواية الثعلب والعنقود وينشئونهم على

الزهد في هذه الدنيا الغرور والعالم الغدور ويستعينون بامثال الحكماء واقوال الشعراء والآيات التي أُوحي بها من السماء على اقناعهم بانَّ المال اصل كل الشرور[1] حتى لا يعود يحضر أُولئك الطلبة الاغرار من الشعر الاَّ ما كان من قبيل « تباً لهُ من خادع مماذق » او « رضينا قسمة الخلاق فينا » ولا يدور على السنتهم من كلام الوحي سوى « كونوا مكتفين بما عندكم » ولا يخطر ببالهم من اقوال الحكماء غير « القناعة كنز لا يفنى » ولا تجري اقلامهم في سوى موضوع « تفضيل العلم على المال »

هكذا يملي عليهم اساتذتهم فيلقون السمع وهم شهداء وينقادون الى تصديقهم ببساطة الاولاد وطاعة الاغبياء . ويظنون المال غولاً هائلاً وشيطاناً في صورة الفضةِ والذهب ماثلاً . ويتوهمون لقلة عقولهم انهم بالامانة وحدها او بالاعتصام بهذه الحقيقة — « المرء باصغريهِ » فقط يقضون كل حاجاتهم ويستغنون عن خاتم المارد . ولكن بعد ما يودّعون المدارس ويخرجون الى العالم ويُلقى حبلهم على غاربهم تنبّه اعصابهم المؤثرات الخارجية الى شعور جديدٍ لم يخطر لهم قطُّ ببال ويعلمهم الاختبار درساً مناقضاً لجميع الدروس التي تعلموها في المدارس . لما كانوا بعد تلاميذ كان اباؤُهم او أوصياؤُهم يعنون بامورهم ويقضون لهم كل حاجاتهم ويكفونهم موُونة الاهتمام بسوى الانصباب على تحصيل العلوم . اما الآن وقد بلغوا اشُدَّهم وامتلكوا قياد انفسهم فلم يبقَ لهم من يحك جلودهم غير اظفارهم

انقشعت الغشاوة المدرسية عن عيونهم وتجلى لهم العالم بجلاءهُ الحقيقي وصورتهِ الصحيحة وادركوا مبلغ الغرور الذي بلغوهُ أيَّام المدرسة بفضل مدرسيهم . علموا الآن يقيناً أنَّ المال ليس اصل كل الشرور كما تعلموا واستعدُّوا لان يعلّموا بل هو مصدر كل خير جارٍ على وجه الارض . مسَّت الآن حاجتهم اليهِ وشعروا بشدّة خطإِهم يوم كانوا يحكمون في محاوراتهم المدرسية بتفضيل العلم عليهِ . لقد امتحنوا الامر بانفسهم وجرَّبوهُ مراراً فلم يستطيعوا ان يتخذوا القرطاس ملبساً ولا اليراع مأْكلاً ولا الحبر مشرباً ولا الكتب مبيتاً ومركباً . جالوا في بيروت ودمشق من بلاد الشام . وفي

---

(١) مع ان الآية تقول محبة المال لا المال نفسهُ .

الاسكندرية والقاهرة من بلاد مصر ورأوا مظاهر العمران ومجالي الغنى والثروة ووجدوا ان الاغنياء لا العلماء اصحاب الرفعة والشان والمشار اليهم بالبنان في كل زمان ومكان وتحققوا أنَّ المرء ببرديهِ لا باصغريهِ . وأنَّ الذي قالوا فيهِ قبلاً « تباً لهُ من خادع مماذق » يقول فيهِ كل انسان « لولا التقى لقلت جلَّت قدرته » هذا كلهُ رأوهُ واستفادوا منهُ علماً ألمَّهم جداً وجرَّعهم مرارةً لا ينسونها الاَّ بحلاوة الغني. طلبوا الغنى على طريق « الاستخدام » اذ لا مال عندهم للتجارة ولا المام لهم بزراعةٍ او صناعةٍ . فتفرقوا على ابواب الحكومة والاماكن التي تدار فيها الاعمال الكبيرة وتحتاج على الدوام الى عُمَّالٍ لهم إلمامٌ بالعلوم والمعارف و بعض اللغات الاجنبية . وعرِضت عليهم اعمال متعددة الاشكال مختلفة الانواع وليس لهم من الكفاءة والقدرة على تعاطيها سوى شيء صغير في ذاتهِ لكنهُ كبيرٌ جداً عندهم وهو الامانة التي توهموا لسذاجة عقولهم وقلة اختبارهم انها وحدها مفتاح الغنى و باب الثروة والسلم الوحيدة للرقيّ الى ذرى التقدُّم والنجاح ولما باشروا الاعمال التي أُقيموا عليها أعطوا أجرةً على قدر استحقاقهم لا على حسب انتظارهم فلم ترضهم لانها يسيرة بالجهد تكفي لسد احتياجاتهم الضرورية فضلاً عن كمالياتهم التي شعروا في الحال بشدة لزومها مجاراة للاغنياء في طرق الترف والترفُّه فتقاضوا مخدوميهم الزيادة وما لهم من مسوّغ سوى امانتهم وكثرة اتعابهم محتجين ان الاجرة على قدر العمل وان عملهم كثير فاجرتهم ينبغي ان تكون كثيرة لكنهم وهم يحاولون عرض ما عندهم من بضاعة المنطق نسوا ابسط قواعد النحو التي لا يذكر ارباب الاعمال غيرها ولذلك صححوا لهم المقدمة الأُولى بان اثبتوا فيها مضافاً محذوفاً وقالوا لهم ان الاجرة على قدر نتيجة العمل . ونتيجة اعمالكم قليلة فاجرتكم ينبغي ان تكون كذلك . والحق ان هذه النتيجة صحيحة ولو كرهها شبابنا وهي المادة الاساسية التي بني عليها دستور الترقي والتقدم او الانحطاط والتأخر في كل عملٍ خطير تحت السماء فالترقي في الاجرة والمقام والرتبة يبنى على النتيجة الحاصلة من الشغل العقلي والصادرة عن التعب الفكري والاَّ كانت الحيوانات الاليفة المذلَّلة لخدمة الانسان في جرّ الاثقال ونقل الاحمال أولى من كل انسان بارفع منصب واعلى اجرةٍ او على الاقلّ كان الفعلة العاملين بقواهم الجسدية احق من شبابنا

بالاجور الفاحشة والرواتب الكثيرة . هذا الفاعل يعمل في «ورشةٍ» من مطلع الشمس الى مغيبها حتى يكاد يحرق بحرّ التعب ويغرق بفيض العرق ولا يعطى من الاجرة سوى بضعة غروش بينما الناظر او المهندس يقف لا يشكو نصباً ولا يكابد تعباً ويعطى في يومهِ اما لا يأخذهُ ذاك في شهرهِ

هذه الحقيقة المهمة يذهل عنها شباننا وقلَّما يلتفتون اليها ويرفعون عيونهم الى ارباب الاعمال انفسهم او الى الذين هم فوقهم رتبةً وراتباً ودونهم بحسب زعمهم تعباً ومشقةً ويريدون أن يُساووهم في ذلك كلهِ ولا يذكرون ما قاساهُ هؤلاء من التعب والمزاولة قبلما بلغوا الدرجة التي هم فيها الآن

وكثيراً ما يظنُّ شباننا انَّ طريق الغنى والمعالي مفروشة بالمخمل ومسوَّرة بالرياحين والازهار فيرون الذين بلغوا نهايتها وادركوا نتيجتها فيحسدونهم على حالتهم الحاضرة وتشرئبُّ اعناقهم الى مشاركتهم فيها مباشرةً دون ان تدمى لهم قدم او يخدش بنان بكُدَى المشاق واشواك الاتعاب

وشرٌّ من هذا وذاك أن فريقاً منهم يؤثر البطالة على الجري بموجب الدستور النظامي الذي سبق لنا الاشارة اليهِ وفيما هم يظنون انهم ينتقمون من ارباب الاعمال واصحاب الاموال يتحول انتقامهم اليهم وينصبُّ جام كيدهم عليهم وكم جنت على اهلها براقش . وكل يوم نرى بعيوننا ونسمع بآذاننا حوادث او احاديث منقولةً عن شبَّان استسلموا للنزق والطيش والاغترار وطلَّقوا الثبات والحزم والاصطبار . وآثروا البطالة على العمل مستجيرين من الرمضاء بالنار

ومن لا يعمل الاَّ ليطفر من حضيض الفقر الى يفاع الغنى وهذه الطفرة محال فلن يعمل ابد الدهر واذا كان العمل بركة للانسان فالبطالة شرٌّ لعنةٍ تحت الشمس وخير نصيحةٍ يختم بها كلامنا ان الاكتفاء بالامانة شرٌّ من الخيانة وتوقُّع زيادة الاجرة على عملٍ لم تزد نتيجتهُ ولا كثرت فائدتهُ هو السرقة بعينها . وزجر المدرسين عن بذر مثل هذه المخارف في اذهان التلاميذ من اهم الواجبات . وطريق الغنى والتقدم مفتوحة امام كل شابٍّ تدرَّع بالحزم والعزم وتذرَّع بالصبر والثبات

اسعد داغر

اكتشاف اميركا واحتلالها

تابع ما قبلهُ

ديانة اهالي المكسيك — كان الازتك منهم يقولون باله واحد خالق للكون ويخاطبونهُ في في صلواتهم قائلين " ايها الاله الذي بهِ نحيا الحاضر في كل مكان الذي يعرف كل الافكار ويهب كل العطايا . الذي بدونهِ يصير الانسان هباء منثوراً الاله الواحد الذي لا يُرى ولا جسم لهُ كمال الكمال والطهارة . الذي نجد تحت جناحيهِ الراحة والملجأ الامين " . وكأنهُ تعذَّر عليهم ان يتصوَّروهُ واحداً لا شريك لهُ فاشركوا معهُ آلهة اخرى قالوا انها متسلطة على فصول السنة واعمال الانسان وهي ثلاثة عشر من الآلهة الكبار ونحو مئتين من الآلهة الصغار ولكلّ من هذه الآلهة يوم من السنة يعيدون لهُ فيهِ وعليها كلها إِله الحرب وهو الاله الخاص بالامة المكسيكية ولذلك كانت هياكلهُ افخم الهياكل وكانت الضحايا البشرية تضحَّى على مذابحهِ في كل مدن المملكة

ومن آلهتهم ايضاً اله الهواء وهو الذي علَّم الناس الفلاحة واستخراج المعادن وسياسة البلدان . وبهِ تزهر الاشجار وتثمر وتنبت الغلال وتأتي بالحبوب واسمهُ عندهم كواتزلكوتل وقد قالوا انهُ رجل ابيض اتاهم من الجهات الشمالية الشرقية قاطعاً البحر الاتلنتيكي بقارب لهُ اجنحة (اي شراع) كالسفن الاسبانية واقام بينهم سنين كثيرة وعلمهم ديانة جديدة ونظَّم لهم حكومة عادلة وعلمهم صنائع كثيرة نافعة وكان طويل القامة واسع الجبين كبير اللحية اسود الشعر لابساً جبَّة طويلة وفوقها رداء معلم بالصلبان وكان عفيفاً متقشفاً كثير الصوم والتهجُّد يحب السلم ويكره الحرب فاحبهُ الجميع واكرموهُ لتقواهُ وفضائلهِ واستولى الامن على البلاد في ايامهِ وكثرت خيراتها ثم اضطرَّ لسبب من الاسباب ان يترك البلاد فنزل الى خليج المكسيك وطيب قلوب الاهالي الذين حضروا لوداعهِ ووعدهم ان يعود اليهم بنفسهِ بعد قليل او يرسل اليهم واحداً من قبلهِ عوضاً عنهُ . وكان قد صنع لنفسهِ سفينة من جلود الافاعي فسافر بها الى بلادهِ الجزيرة المقدسة عبر الاوقيانوس العظيم . واسم هذا الرسول في لغتهم كواتزلكوتل اي الحية الخضراء ومعنى الاخضر عندهم الفاخر او النفيس

ولما دخل الاسبانيون بلاد المكسيك رحَّب بهم الاهالي حاسبين انهم اتوا من قبل هذا الرسول لانهم بيض الوجوه طوال اللحى مثلهُ وقد اتوا بسفن ذات شراع مثل السفينة التي اتى بها . فلم يصرفهم الاسبانيون عن هذا الزعم ولذلك تمكنوا من اخضاع البلاد بسهولة

وقد اختلف الباحثون في حقيقة هذا الرجل . اما الاسبانيون الاولون الذين دخلوا المكسيك فحسبوا انهُ احد المبشرين المسيحيين ذهب اليها من اوربا وقالوا انهم رأوا في ديانة اهالي المكسيك شيئًا من المشابهة للديانة المسيحية ولكنها لم تكن مقتصرة على ذلك بل كانت وثنية تعتمد على الذبائح البشرية . وقيل لم ان هذا الرسول علَّم ديانتهُ للاهالي الاصليين وكانوا اهل علم وصناعة ثم هاجروا من البلاد في القرن الحادي عشر للميلاد واستولى عليها شعب الازتك وكانت ديانتهم فاسدة قائمة بالشعائر الدموية ولم يستقم امرهم الاَّ في اواسط القرن الرابع عشر فاقتبسوا ما بقي في البلاد من عوائد الشعب السابق وديانتهم ومزجوا ذلك بعوائدهم وديانتهم فصارت مجمع الاضداد من اللين والقسوة والفضيلة والرذيلة والعلم والجهل والتمدُّن والتوحش لامتزاجها من عقائد الشعب الاول وعقائد الشعب الثاني . وفي جملة عقائد الشعب الاول الاعتقاد بوجود اله واحد قدير خالق للكون ومتسلط عليهِ وهو مصدر كل خير وتحتهُ آلهة صغيرة ويقابلهُ شخص شرير وهو المسبب للشرور كلها والاعتقاد بوجود دار للثواب يقيم فيها الصالحون بعد الموت ودار اخرى للعقاب يقيم فيها الاشرار ودار متوسطة بين بين . وبأن للناس أمًّا واحدة وبها اتت الخطية الى العالم ويصورون معها حيَّة حيثما صوروها . وبأنهُ حدث في الارض طوفان عام لم ينجُ منهُ الاَّ عائلة واحدة ونجا ايضًا قوم من الجبابرة الاشرار فبنوا هرمًا عظيمًا يصل رأسهُ الى السحاب ولكن الآلهة امطرت عليهم نارًا فصرفتهم عن العمل

والآراء مختلفة في حقيقة هذا الرجل واقربها الى الصواب في رأينا ما اثبتناهُ في المجلد الخامس عشر من المقتطف في الكلام على رسول المكسيك وهو انهُ المطران برفون الارلندي وانهُ زار بلاد المكسيك في اواسط القرن السادس وبقي فيها سبع سنوات وهو يبشر اهاليهم ويعلمهم ثم عاد الى بلادهِ وتوفي فيها سنة ٥٧٨ وعمرهُ اربع وتسعون سنة . ثم امتزجت تعاليمهُ بالتعاليم الوثنيَّة التي كانت في البلاد قبلهُ او دخلتها بعدهُ فصارت منها ديانة اهالي المكسيك والكلام في هذه الديانة يملأُ مجلدًا كبيرًا فنقتصر منهُ على ما تقدَّم

وكانت آدابهم الدينية في الطبقة الاولى وحسبك قولهم سالموا جميع الناس . لا تنتقموا لانفسكم ينتقم الله لكم . وكان عندهم كثيرون من الكهنة حتى قيل انهُ كان في احد هياكلهم خمسة آلاف كاهن . واخص اعمال الكهنة تعليم الاولاد فالصبيان يعلمهم الكهنة والبنات يعلمهنَّ الكاهنات فيتعلم الصبيان القراءة والكتابة والادارة وبعض العلوم الطبيعية وتتعلم البنات الاعمال البيتية والحياكة والتطريز . ويعتنى بآداب الفريقين اعتناء شديدًا . والعقاب صارم

جداً وقد يعاقب المذنب بالقتل فكانت الامة كلها في يد الكهنة لانهم هم الذين يربون اولادها ويهذبونهم

ونفقات الكهنة من اوقاف الهياكل وهي كبيرة كثيرة الريع وكانوا يديرونها بايديهم كما يفعل رهبان النصارى ولهم ريع آخر من تقدمات باكورات الاثمار والغلال ومن النذور الكثيرة التي ينذرها الشعب لكنهم كانوا يفضلون رهبان الاديرة وشيوخ الجوامع والتكايا في انهم يكتفون بالضروري لنفقاتهم واقامة شعائر الدين وما زاد على ذلك يوزعونهُ على الفقراء والمساكين ذلك فرض عليهم مفروض في ديانتهم

واسم الهيكل عندهم تيوكالي ومعناهُ في لغتهم بيت الله وهذا الاسم يشبه ان يكون يوناني الاصل فانهُ باليونانية ذيوكاليا . وشكل الهياكل هرمي كالاهرام المصرية المقطوعة قاعدة الواحد منها اكثر من مئة قدم في مئة قدم وارتفاعهُ اكثر من ذلك كثيراً وهو اربع طبقات او اكثر ينقص بعضها عن بعض ويصعد اليها بدرج من الخارج يدور حولها فيضطر الصاعد الى اعلاها ان يطوف حولها مراراً . وفي اعلى الهيكل برج ارتفاعهُ اربعون او خمسون قدماً فيهِ صورة المعبود الذي اقيم لهُ ذلك الهيكل وامام البرج الحجر الذي تذبح الذبائح عليهِ من الآدميين وموقدان عليهما نار دائمة . والمواقد او المذابح التي من هذا النوع كانت تعدُّ بالمئات فتنار بها شوارع المكسيك ليلاً

وكانت اعيادهم كثيرة كما تقدَّم واحتفالاتهم الدينية يشترك فيها الرجال والنساء والاولاد فيخرج النساء والاولاد باكاليل الازهار والرياحين حاملين تقدمات الاثمار والحبوب او مجامر البخور والطيوب . هذه كانت شعائر ديانة التلتك التي اضاف اليها الازتك الذبائح البشرية قبل الفتح الاسباني بنحو مئتي سنة

ومن اشهر اعيادهم عيد معبودهم تزكاتليبوكا وهو يتلو الههم الاعظم مرتبة ويسمونهُ روح العالم ويقولون انهُ شاب جميل المنظر لا يشيخ ابداً. يختارون لهُ كل سنة شاباً من الاسرى بديع المنظر معتدل القوام لا عيب فيهِ ويقيمون لهُ المعلمين يعلمونهُ ويلبسونهُ افخر الحلل ويطيبونهُ بالطيوب ويزينونهُ باجمل الازهار واطيبها عرفاً واذا سار من مكان الى آخر مشى الغلمان في خدمتهِ كأنهُ ملك رفيع الشأن وهم يسجدون لهُ لانهُ رمز الى معبودهم ويدوم ذلك احد عشر شهراً وفي الشهر الثاني عشر يزوجونهُ باربع عذارى من اجمل بناتهم ويتركونهُ معهنَّ شهراً كاملاً وهم يولمون لهُ الولائم الفاخرة حتى اذا انقضى الشهر خلعوا ثيابهُ المزوقة وساروا بهِ الى هيكل عبر البحيرة وصعدوا على درجهِ فيطرح الازهار التي كان مزداناً بها وتكسر آلات الطرب

التي تسلّى بها في اسره . حتى اذا بلغ اعلى الهيكل لقيهُ ستة من الكهنة وهم لابسون حللاً مغطاة بالكتابات الصورية وشعورهم مجدلة وجدائلها مسدولة على ظهورهم وساروا بهِ الى حجر الذبيحة وهو قطعة كبيرة من اليشب مقعرة من اعلاها فيطرحونهُ عليهِ و يمسك بهِ خمسة منهم و يشق السادس صدرهُ بموسى حادة من حجر كالصوان و ينزع قلبهُ و يرفعهُ نحو الشمس ثم يطرحهُ عند قدمي المعبود الذي يعبد في ذلك الهيكل

هذه هي الوصمة الكبرى على ديانة اهالي المكسيك ولتقتصر الضحايا على الاسرى الاَّ اذا اجدبت البلاد لقلة المطر فيضحون الاطفال الذين يبتاعهم الكهنة من ابناء الفقراء و يضحونهم استجلاباً لرضى معبوداتهم . ولكن قباحة هذا العمل لا تنتهي هنا بل ان الاسير الذي يضحى على ما تقدم يعطى لآسرهِ فيطبخونهُ و يأكلونهُ ويحتفلون بذلك احتفالاً عظيماً جداً رجالاً ونساء وهم يحسبون ذلك شرفاً كبيراً لهُ ولهم لانهُ ضُحي للمعبود وأُكل في سبيل العبادة . وكثيراً ما كانوا يفرطون في عدد الاسرى الذين يضحونهم في وقت واحد فقد قيل انهم ضحوا سنة ١٤٨٦ وقتما اتموا بناء هيكل كبير لهم الوفاً كثيرة دفعةً واحدةً ووجد كورتس فاتح بلادهم ١٣٦ الف جمجمة من جماجم الضحايا التي ضُحيت فيها وكأن هذه الوصمة اقنعت اهالي اسبانيا بفساد عمران المكسيك وبانهُ يحلُّ لهم الانتقام من اهلها

وكتابة اهالي المكسيك صورية كالهيروغليف المصري وقد ضاعت قراءتها الآن . وارقامهم العددية ابسط من الارقام الرومانية ولو لم تكن بسيطة كالارقام الهندية . وكانوا يقسمون السنة الى ١٨ شهراً في كلٍّ منها ٢٠ يوماً ثم يضيفون اليها خمسة ايام حتى تنطبق على السنة الشمسية ويسمونها ايام النحوس . ويقسمون الشهر الى اربعة اسابيع في كلٍّ منها خمسة ايام آخرها يوم السوق . ومزية هذا التقسيم على التقسيم المتبع في اسيا واوربا وافريقية ان الشهور كلها متساوية واليوم من الاسبوع هو هو في كل الشهور فاليوم الاول من الشهر هو الاول من الاسبوع الاول واليوم الثاني من الشهر هو الثاني من الاسبوع الاول واليوم السادس منهُ هو الاول من الاسبوع الثاني وهكذا في كل الشهور . ففي السنة ٧٣ اسبوعاً من اسابيعهم . اما اليوم الذي يزيد كل نحو اربع سنوات فكانوا يتركونهُ ٥٢ سنة ثم يزيدون مرةً ١٢ يوماً ومرةً ١٣ يوماً يقضونها في الاعياد والولائم فكان حساب السنين عندهم ادق من الحساب الشرقي المستعمل الآن في كثير من البلدان

وكانوا يبتدئون في تواريخهم من سنة تقابل سنة ١٠٩١ للميلاد ويقسمون الزمن الى ادوار كل دور ٥٢ سنة والدور الى اربع فرق كل فرقة ١٣ سنة

وكانت معرفتهم بعلم الفلك قاصرة على التنجيم ومعرفة سبب الكسوف واوقات الاعتدالين والانقلابين وكانوا يصنعون المزاول لمعرفة ساعات النهار ويقسمون اليوم الى ١٦ ساعة تبتدئ من شروق الشمس . وهذه الامور لا تُعرف الاَّ بعد رصد دقيق وحسن نظر في الامور كما لا يخفى

والفلاحة اول المعايش واقدمها كانت في درجة عالية جدًّا عند اهالي المكسيك وهي ممتزجة بمصالحهم الدينية والمدنية فلها عندهم آلهة متسلطة عليها وشهورهم مسماة بالنسبة اليها وكان يعمل بها كل احد ماعدا الاشراف والجنود – الرجال منهم يحرثون الارض ويعملون بقية الاعمال الشاقة والنساء يزرعنَ البذار ويقطفن السنابل ويعملنَ بقية الاعمال الخفيفة . واذا ضعفت الارض من توالي الزرع تركوها بورًا لتستريح وتسترد قوتها. وقد حفروا الترع الكبيرة للري ووضعوا القصاصات الصارمة على من يقطع اشجار الحراج . وبنوا الاهراء الواسعة لخزن الغلال

ومن الاشجار المثمرة التي كانوا يعتنون بزرعها الموز والكاكاو الذي تصنع منهُ الشكولاتا وهذا الاسم مكسيكي الاصل . وكانوا يزرعون الفانلاَّ و يطيبون بها اطعمتهم واشربتهم

وكان اعتمادهم الاكبر على الذرة الاميركية فكانوا يعتنون بزرعها ويتفننون في طبخها وعمل الخبز منها واستخراج السكر من عيدانها . ويتلوها الصبر فكانوا يصنعون منهُ الورق والمسكر ويستخرجون الياقًا من اوراقهِ يغلونها و ينسجونها ويطبخون من جذورهِ طعامًا طيبًا اي انهُ كان لهم منهُ طعام وشراب وكساء

وكان لهم عناية خاصَّة باستخراج المعادن كالذهب والفضة والرصاص والقصدير والنحاس . لكنهم لم يكونوا يستعملون الحديد على كثرتهِ في بلادهم لما في سبكهِ من الصعوبة فاستعملوا بدلاً منهُ مزيجًا من النحاس والقصدير كما فعل المصريون قبلهم . وكانوا يقطعون بهِ اصلب الحجارة كالقوفا والبرفير والزمرُّد . و يسبكون الآنية من الذهب والفضة وينقشونها نقشًا بديعًا باقلام النحاس المقسَّاة بالقصدير . وكان لهم في مزج المعادن ولحمها مهارة كبيرة حتى اذا مثَّلوا الاسماك والطيور جعلوا بعض ريشها وحراشفها من الذهب و بعضها من الفضة واعترف لهم الاسبانيون بالتفوُّق عليهم في صناعة الصياغة . وكذلك كانوا ماهرين في صناعة النقش والتمثيل فنرى الصور في حجارة مبانيهم منطبقة على الحقيقة اشد الانطباق

ومن بدائع مصنوعاتهم قطعة كبيرة من حجر البرفير الاسمر ثقلها نحو خمسين طنًّا اي اكثر من الف قنطار مصري اتوا بها من مكان يبعد عن عاصمتهم اميالاً كثيرة فيها الجبال والاودية والانهار الكبيرة وقد اضطروا ان يقيموا لها الجسور فوق الانهر لنقلها ووقع بها واحد من هذه الجسور فعانوا في رفعها من الماء مشقة عظيمة كما عانى الانكليز في نقل المسلَّة المصرية

الى بلادهم . ثم رسموا عليها الرسوم الهندسيَّة والفلكية مما يدلُّ على براعتهم في العلوم والفنون
وهم اول من استخرج صبغ القرمز ومن بلادهم أُتي بهِ الى أُوربا وكانوا يصبغون بهِ القطن والياف الصبر ويمزجون منسوجاتهم القطنية بصوف الارانب وغيرها من الحيوانات و يطرزونها أطريزًا بديعاً باشكال الازهار والاطيار

وابدع صنائعهم صناعة نسج الريش فان الطيور عندهم كثيرة فائقة في تزويقها و برقشتها فكانوا ينتفون ريشها و يصنعون منهُ حللاً لم ترَ العين اجمل منها

ولم يكن عندهم نقود مضروبة لكنهم كانوا يتعاملون بالتبر يضعونهُ في ريش الطيور بمقادير موزونة ويتعاملون ايضاً بقطع القصدير مسبوكة في شكل حرف التاء الافرنجيَّة و ببزر الكاكاو موضوعاً في اكياس صغيرة

وكان للتجارة عندهم مقام رفيع جدًّا فيضرب تجارهم الى البلاد القاصية ومعهم البضائع والسلع من الانسجة والمصوغات والعبيد ويأخذون معهم الهدايا الفاخرة الى رئيس البلاد التي يقصدونها للاتجار فيها و يكون مع التاجر كثيرون من الحملة لحمل البضائع ولا يزيد حمل الواحد منهم على عشرين اقة لانهُ لم يكن عندهم دواب لحمل البضائع و يكون معهُ ايضاً حرس مسلح خوفاً من الغارات واذا اعتدى عليهِ احد ولم يستطع صدَّهُ استنجد بحكومة بلادهِ فتنجدهُ بالجنود و يكون ذلك سبيلاً للفتح وامتلاك البلدان كما يفعل الاوربيون في هذا العصر

وكان للتجار مجالس خاصة تدبر امورهم ولها شأن كبير في البلاد حتى يستشيرها الملك في مهامهِ وهي تقضي بين التجار في الدعاوي المدنية والجنائية ايضاً

ولا يخفى ان احوال الامم ومنزلتها من العمران لا تبين في شيءٍ كما تبين في احوال بيوتها ونسبة الزوج الى الزوجة ونسبة الاثنين الى اولادهما وقد كان اهالي المكسيك من هذا القبيل في درجة حسنة جدًّا . كان الزواج عندهم مكرَّماً تكريماً دينيًّا وكان الرجال يكرمون نساءهم و يعفونهنَّ من كل الاعمال الشاقة فيقتصرنَ على الاعمال البيتيَّة ونحوها مما ليس في عملهِ مشقة كبيرة كالغزل والنسج والتطريز و يشارك النساء ازواجهنَّ في كل الحفلات الدينيَّة والمدنيَّة والافراح والولائم واذا جاء الرجال والنساء وليمة وجدن الدار مزدانة لهم بالازهار ومعطَّرة بالطيوب وتقدم لهم الاباريق والمناشف لغسل ايديهم قبل الطعام ثم يقدم التبغ مطيباً بالمواد الطرية وسكائرهُ موضوعة في افواه من الفضة او الذبل (عظم السلاحف) . و يجلس الرجال وحدهم على المائدة والنساء وحدهنَّ وتقدَّم الوان الاطعمة واكثرها من لحم الصيد ولحم الدندو (الديك الحبشي) معالجة بالبهارات المختلفة وتتلوها الحلويات محلاَّت بسكر الذرة وتزين

المائدة بآنية الفضة والذهب . وكؤُوسهم ومعالقهم من الفضة والذهب والذبل وشرابهم من الكاكاو المطيب بالڤانلاً

واذا شبعوا من الطعام قام الشبان منهم للرقص على نغم الموسيقى وبقي الكبار يشربون الى ان تلعب سوَّرة الخمر برؤُوسهم اما الشبان فلا يحل لهم ذلك . وتنتهي الوليمة بتفريق الحلل الفاخرة على المدعوين

هذا وسنعود الى تاريخ الفتح ومقدماتهِ ونتائجهِ وفي ذلك من الحوادث والنوادر ما يكاد يكون كالقصص الموضوعة لغرابتهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

طريقة الاستاذ شانتميس في علاج الحمى التيفوئديَّة

اجتمع مساء اليوم خلق كثير في القسم العملي من مدرسة الطب لسماع خطاب الاستاذ شانتميس في طريقة علاجهِ للحمى التيفوئدية بالمصل الذي اكتشفهُ حديثاً . ولما كان هذا الاكتشاف على جانب عظيم من الاهمية رأيت ان اقف عليهِ من مستنبطهِ مع انني في باريس متفرغ لامراض العين دون سواها وان ابعث بخلاصة خطبتهِ لتدرج في مجلة المقتطف فيطلع عليها القراء ولا سيما الاطباء منهم

بيَّن الاستاذ اهمية الطرق الجديدة في علاج بعض الامراض بانواع من المصل المقاوم لها وما نتج عن ذلك من الفوائد في هذه السنين الاخيرة وبعد ان ذكر شيئاً عن مصل رو في علاج الدفثيريا والمصل الشافي في لدغ الافاعي الذي وجدهُ احد اساتذة مدرسة ليل والمصل المضاد للطاعون واظهر باجلى بيان ما استفادهُ الانسان من هذه الاكتشافات التي تخلد ذكر

مستنبطها قال ما ملخصهُ ومن جملة الامراض التي لا تزال تفتك ببني البشر فتكاً ذريعاً رغماً عما يبذلهُ رجال الطب كل يوم في مقاومتها الحمى التيفوئدية . وقد كان هذا المرض منذ عشرين سنة افتك بنا مما هو الآن والسبب في ذلك اننا كنا اذ ذاك نجهل كيفية تفشيهِ ولكن لما عرف الباحثون ان سبب العدوى الاكبر هو ماء الشرب الملوث بمفرزات المصابين بهذا الداء اتخذ اولو الحل والعقد الاحتياطات اللازمة لجلب ماء الشرب من ينابيع نقية وايصالهِ الى المدن في انابيب لا تتخللها المياه العفنة التي تنضح من مجاري المراحيض فقلّت اذ ذاك الاصابات بهذا الداء والفضل في ذلك عائد الى الانكليز لانهم هم اول من اثبت ان مياه الشرب كانت سبب العدوى وكثرة الاصابات . وقد كان معدَّل الوفيات بهذا المرض ٣٠ فاربعين في المئة قبل اكتشاف طريقة العلاج بالحمامات الباردة اما الآن فباستعمال هذه الطريقة هبط معدل الوفيات الى ٢٥ فما دون . غير ان هذا المعدَّل لا يزال كثيراً كما تعلمونهُ ولا تزال الاصابات بهذا الداء كثيرة رغماً عن التفات اولي الامر الى مياه الشرب . وسجلات الحكومة الرسمية اقوى برهان على ذلك . ولا سبيل هنا لسرد اعداد الوفيات الهائلة بهذا الداء في مستشفيات فرانسا فان ذلك يستغرق زمناً لا يسمح بهِ ضيق المقام فاكتفي بان اقول لكم انهُ في خلال الاثنتي عشرة سنة التي مضت منذ سنة ١٨٨٩ حدث في جيش فرنسا البري وحدهُ ٦٦ الف اصابة بالحمى التيفوئدية انتهت ٩ آلاف اصابة منها بالموت . ثم انني بحثت في احصاء الوفيات بهذا الداء في مستشفيات باريس منذ عهدٍ قريب فوجدت ان متوسطها يتراوح بين العشرين والخمس وعشرين في المئة فترون من ذلك ان هذا الداء لا يزال ثقيل الوطأة على النوع الانساني وانهُ لجدير باهل العلم بذل قصارى الجهد للوصول الى طريقة تخفف هولهُ

وقد طالما اجهدت الفكرة في خلال السنين الثلاث التي مضت للوصول الى الغرض المقصود ولكن كاد القنوط يستولي عليَّ لما صادفت من الصعوبة في بدء الامر للحصول على محلولٍ صرف من المفرزات السامة التي يفرزها ميكروب الحمى التيفوئدية . والسبب في ذلك انني كنتُ استنبت ميكروبات هذا الداء في مرقٍ معقم وابقي المستنبت زمناً طويلاً ثم آخذهُ لعمل التجارب في الحيوانات ظنًّا بانهُ كلما طالت مدة الاستنبات كثرت كمية المفرزات السامة في المرق والحال اني كنت اسعى الى عكس المراد لانني تحققت بعد التجارب الكثيرة ان مفرزات المكروبات السامة تبلغ اشدها في المستنبت في اليوم الخامس وانها تأخذ في الضعف من بعد ذلك اليوم وعرفت ان السبب في ضعفها تأكسدها من امتزاجها بالهواء الذي كان يملأُ جانباً من المواعين الكبيرة التي كنت اضع فيها المستنبت . وانتم تعلمون اليوم مثلي ان

الاوكسيجين هو المتلف الاقوى لمفرزات مكروب هذه الحمى. فلما تلافيت هذه الاسباب وحصلت على محلول قوي المفعول من المفرزات السامة بدأت في التجارب بحقن تلك المفرزات في دم الحيوانات وراقبت مفاعيلها ثم اهتديت الى مصلٍ مقاومٍ لتلك المفاعيل (ولم يذكر الاستاذ شيئاً عن ذلك المصل) . ولهذا المصل فائدتان اولاهما انهُ مضاد للمكروبات نفسها وثانيتهما انهُ مضادٌ لمفرزاتها السامة . اما اثبات الفائدة الاولى فسهل الى الغاية وذلك ان يؤخذ ارنبان ويحقن في النسيج الخلوي في اذن كلٍّ منهما كميةٌ معينةٌ من مستنبت مكروبات الحمى التيفوئدية ثم يحقن في وريد احداهما قدر من المصل الذي وجدتهُ وتهمل الاخرى فبعد مضي ساعتين على هذه التجربة تلتهب اذن كلٍّ من الارنبين حيث حقن سائل المكروبات ويتكون في ذلك الموضع سائل مصلي فاذا اخذنا جانباً من هذا السائل من اذن كلٍّ من الارنبين على حدةٍ وبحثنا فيهِ بالمكرسكوب رأينا ان المكروبات كثيرة تكاد لا تحصى في السائل المأخوذ من الارنب التي لم تحقن بالمصل وان ليس بين تلك المكروبات سوى العدد القليل من الكريات البيضاء الآكلة الميكروبات اما السائل الذي أُخذ من اذن الارنب التي عولجت بالمصل فعدد الميكروبات فيهِ قليل جداً وعدد الكريات البيضاء كثير . واذا اخذنا نقطتين من المصل الالتهابي من اذني الارنبين بعد مضي اربع ساعات على التجربة و بحثنا في كلٍّ منهما على حدة وجدنا مصل الارنب التي لم تعالج قد زادت فيهِ الميكروبات عما كانت عليهِ قبل مضي ساعتين وان ليس هناك اثر للكريات البيضاء . اما مصل الارنب الثانية فلا يكاد يُرى فيهِ سوى بقايا ميكروبات ضئيلة وعدد من الكريات البيضاء وفي كل كرية آثار من بقايا الميكروبات التي هضمتها . وبعد مضي ست ساعات على التجربة لا يبقى في هذا المصل اثر للميكروبات بالكلية . اما مصل الارنب الاخرى فلا تزال الميكروبات تتكاثر فيهِ . وقد اتيتكم بخمسة ميكرسكوبات فيها مستحضرات من مصل ارنبين اجريت فيهما هذه التجربة صباح اليوم لتروا بعيونكم الفرق الواضح بين الحالتين

والفائدة الثانية من المصل الذي وجدتهُ اي مقاومتهُ لفعل مفرزات الميكروبات لا اتكلف في اثباتها سوى الاشارة الى هذين الارنبين اللذين ترونهما هنا امامي ففي صباح هذا اليوم حقنت في وريد كلٍّ منهما قدراً من المفرزات السامة التي تكون في الحمى التيفوئدية وبعد ذلك عالجت احداهما بالمصل الذي وجدتهُ وتركت الاخرى بلا علاج. فترون ان التي عولجت بالمصل لا تزال حية وليس في هيئتها ما يدلُّ على انزعاج او سقم وان التي لم تعالج اصبحت في حالة النزع لاحراك فيها

هذا هو فعل المصل الذي وجدتهُ بالحيوان الذي لُقح بميكروب الحمى التيفوئدية اما فعلهُ بالانسان المصاب بهذه الحمَّى فاليكم بيانهُ. قد تمكنت منذ سنة من تجربة المصل في مئة مصاب بالحمى التيفوئدية في مستشفيات عديدة في باريس ولكي اكون على ثقة من فعل المصل كنت اختار للتجربة اشد الحوادث وطأة واشدها اعراضاً وكنت مع استعمال المصل اعالج المصابين بالمغاطس الباردة ايضاً فمن المئة الذين عالجتهم بهذه الطريقة لم يمت سوى ستة ثلاثة منهم حقنوا بالمصل بعد مضي زمن طويل على ظهور الحمَّى فيهم وكانوا مصابين بانثقاب الامعاء والتهاب البريتون كما ظهر من التشريح الرمي وواحد كان مصاباً مع الحمَّى بالتهاب رئوي لعلَّهُ كان سبب الوفاة ومنهم امرأة ضخمة الجثة اصيبت بغنغرينا والسادس حقن بعد اليوم الخامس عشر من ظهور المرض فيهِ ومات فجأةً وربما كان سبب موتهِ نزفاً معوياً

فيظهر لكم من ذلك انهُ لولا حصول تلك المضاعفات لكان متوسط الوفيات اقل من ٦ في المئة. وقد كنت اختار اشد الاصابات وطأة لتجربة هذا المصل واضعف المرضى جسماً والمصابين بامراض مزمنة كالسل الرئوي والزهري وما شاكل. وكان بين المرضى الذين عالجتهم بهِ نساءٌ حوامل واسقط بعضهنَّ ولكنهنَّ شفين رغماً عن ذلك

ورب قائل يقول: انك تعالج المرضى بالمغاطس الباردة مع استعمال المصل فكيف نعلم ان كانت هذه النتائج الحسنة التي حصلت عليها مسببة عن المغاطس الباردة او عن العلاج بالمصل فاجيب على ذلك ان الحكومة انتدبتني منذ خمسة عشر يوماً للذهاب الى بعض المدن الصغيرة التي تفشت فيها الحمى التيفوئدية. والوقوف على اسباب ذلك فلما انتهيت الى تلك المدن وجدت في احداها مستشفى صغيراً ليس فيهِ ما يلزم من المعدات لعلاج المصابين بالحمى التيفوئدية بالمغاطس الباردة ولما وجدت متوسط الوفيات بهذا الداء كثيراً اشرت الى طبيب المستشفى باستعمال المصل واعطيتهُ كميةً منهُ واليوم اتاني منهُ هذا الخطاب (وارانا الاستاذ الخطاب الوارد اليهِ من طبيب ذلك المستشفى) وفيهِ يقول انهُ عالج خمسة عشر مريضاً بالمصل فشفوا كلهم فيتضح لكم من ذلك ان المصل مفيد جداً ولو لم يعالج المريض بالمغاطس الباردة

فيظهر مما تقدم ان فائدة العلاج بهذا المصل لا ريب فيها واظن انني ان لم ادرك الغرض المقصود تماماً فقد قطعتُ شوطاً بعيداً في الطريق المؤدية اليهِ اما فعل المصل بالحرارة والدورة وبقية الاجهزة فارجئُ الكلام عليهِ الى فرصة أُخرى. انتهى ببعض تصرف

باريس في ٩ نوفمبر ١٩٠١ الدكتور شدودي

هواجسُ ام وساوس

لواعجُ هاجت من قديمٍ بلابلي فحتى متى عن بثها متقاعسُ
فإن تكُ بعدَ البحث ليست هواجساً حقيقيَّةَ الإسنادِ فهي وساوسُ

نعم وكثيرون من قرَّاء المقتطف الكرام متى اطلعوا على هذا الكلام حسبوهُ اضغاث احلام واعرضوا عنهُ بوجوهٍ باسرة . وعدّوهُ لصاحبهِ صفقةً خاسرة . وصاحبهُ يتمنَّى من صميم القلبِ ولبِّ الأحشاء . أن يصدقَ ظنُّ هذا الفريق من القرَّاء . ويكون ما هجس في صدرهِ وعجز عن شرح متنهِ وابتلاء سرّهِ تخليطاً من مسِّ الوسواس. لا اصل لهُ في الحقيقة ولا أساس

أرَّقني في احدى الليالي دويُّ المركبات وأطار نومي وقع الحوافر وكرُّ العجلات فقلتُ في نفسي هذه احدى حسنات التمدُّن الحديث . وقد ساقني هذا الفكر الى مقابلة ما كنا في الماضي عليهِ بما صرنا في الوقت الحاضر اليهِ فالتهيت بهذه المقابلة ريثما يفارقني ضيف الارق الثقيل ويستأنس النوم النافر ولم أدرِ أني استشفيتُ من داءٍ بداء واستجرتُ بالنار من الرمضاء . فان هذه المقابلة جلَت على عينيَّ عروس "النهضة الجديدة" التي هلَّ هلالها في الربع الاخير من القرن الماضي وكان الأملُ أن يصير بدراً كاملاً في مستهلِّ هذا القرن الجديد. لكنني رأيتُ هذه العروس على حداثة عهدها وصغر سنّها خشنة الملمس والصوت ومزّة المذاق او تافهة لاطعم لها على الاطلاق وقد نقصها شيءٌ كثير من رونقها السابق وجمالها الشائق فدهشتُ لهذا الانقلاب الطارىء . والتغيير المفاجىء

ثم تفرَّست فيها بعين الامعان لعلي اقف على سرِّ ما كان واذا بها قد اصبحت بجذافيرها من جنس الرجال — مع انَّ كلمة العروس للرجل والمرأة — ولم يعد فيها للجنسِ اللطيف صورة ولامثال . ولهذا فارقتها نعومة الملمس ورخامة الصوت وحلاوة الطعم وجمال الصورة وكل ما لذَّ وطاب . حتى اوشكت أن تشيبَ وتهرمَ في عنفوان الصبا وشرخ الشباب . وحينئذٍ زال العجب بظهور السبب

فانَّ هذه النهضة الجديدة برزت في مصر وسورية عروساً عليها من العزم طراز بديع ولها من الرونقِ ثوبٌ قشيب وفيها للجنس اللطيف — نساء الشرق — اكبر نصيب . لأنهنَّ حسرنَ كالرجال عن ساعدِ الجدِّ والاجتهاد ونهضنَ مضافراتٍ لهم على اصلاح الشؤُون وإسعادِ البلاد . وجرينَ مباريات لهم في مضمار التحصيل والاكتساب . حتى كدنَ يجلّين في ميدان انارة الأذهان وتثقيف الالباب . وان كنت في ريبٍ من هذا الكلام . فعليك

بمراجعة المقتطف وغيره من جرائد مصر والشام . فترى كم فيها للجنس اللطيف من آثار اقلام تشهد لهُ بانهُ حاز من التهذيب المنزلة الاولى . وكان لهُ في النهضة الجديدة اليدَ الطولى . فما الذي ثناهُ الآن . عن اطراد الجري في هذا الميدان . حتى عطلت من حلى اقلامهِ صدور الجرائد . ولم يعد يصل النهضة الجديدة من فضلهِ باقلّ عائد

هذا السوءال اطلتُ فيهِ تأمُّلي وتفكُّري فلم يفتح عليَّ بجوابٍ مقنعٍ تسكن اليهِ نفسي ويرضاهُ عقلي . ولما كان اليوم التالي ضمني وبعض الاصدقاء مجلس ادبٍ فعرضت عليهم سوءالي لعلي اظفر من احدهم بجوابٍ يصيب كبد الصواب ويميط عن محيا الحقيقة حجاب الارتياب . فقال واحدٌ منهم " ان علّة انقطاع بنات حوَّاء عن مباراة الرجال في حلبة الإنشاء انَّ انامِلهنَّ التي كان لمسُ الحرير يدميها من قديم الزمان زادت ترفًا ونعومة جريًا على ناموس النشوء والارتقاء حتى اصبحت لا تقوى في هذه الايام على تحمُّل الطف انفاس الهواء فكيف تستطيع اهتصار اليراع واجتذاب القلم . وتأمن خدشًا من القصب يسيل الدماء او جرحًا من الحديد شديد الألم "

فاجابهُ الثاني " ليس الامر كما ذكرت بل ان الجنس اللطيف عندنا مشغول في هذه الايام عن صناعة القلم بما هو اهمُّ شأنًا وامسُّ حاجةً وهو استيفاء شروط التمدن الحديث التي منها ان تُعنى الفتاة او السيدة بازياء الملابس والزين المختلفة وتجهد نفسها في التظاهر بالغنى والعظمة وتترفَّع عن الاهتمام بالقصبة التي لا شأن لصاحبها بين المتمدنات وبالنتيجة لا يكون من شأنٍ لصاحبتها عند المتمدنين . فلا تلُم بنات الشرق او نساءهُ اذا اغفلنَ صناعة التحرير والانشاء وطلَّقنَ الصحف والدفاتر . والاقلام والمحابر بل لُم الايام التي قضت عليهنَّ بان يتمسكنَ بالاعراضِ ويتركن الجواهر . واللبيبُ من يجاري الزمان ويداري . ويلبس لكلِ حالةٍ لبوسها كما قال بيهس الفزاري "

فقال الثالث " كلا كما مخطئ غير مصيب وليس للحقيقة في كلامهِ نصيب فليس المانع هذا ولا ذاك ولم يكن قط للكتابة وجود حقيقيٌّ عند الشرقيات حتى نجهد انفسنا بالبحث عن علةِ زوالها والتماس معالمها . بلى وُجدت كما هي الآن او اكثر قليلاً ولكن على صورة عارضةٍ كان منشأها اغراضٌ في نفوس اللواتي تعمَّدنها وتحرَّين الجري عليها حتى ادركنَ منها ما صبونَ اليهِ وحينئذٍ طلَّقنَ اليراع البتات ودعونَ على شمل الورق والحبر بالتفريق والشتات وقال الدهر آمين "

وقال الرابع وقد اسرف في التحامل " ووسَّع ذمَّتهُ " في الاتهام " وانا ازيد على هذا باني

فحصتُ اكثر ما نُسب الى نسائنا من المقالات في صحف سورية ومصر وامتحنتهُ على الطريقة التشريحية التي اشار بها مرة احد اطبائنا (١) البارعين فوجدتهُ طبق ما ذهب اليهِ الطبيب المذكور اي انَّ يد الرجل امتدت فيهِ والحمت وأسرجت وألجمت . ولم يكن فيهِ لبنات حوَّاء سوى شرف الانتحال . الذي اتخذنهُ ذريعةً لادّعاء حقّ المساواة بالرجال . ومتى صحَّ امرٌ مبنيٌّ على الباطل . وادّعاءٌ من حليةِ الحقّ عاطل "

فقال الخامس " اما وقد طال الجدال وكثر في هذه المسألة القيل والقال فلنرفعها الى حَكَمٍ يدرك منها وجه الصواب ويقدر فيها على فصل الخطاب ولا ارى من يستطيع ان يفصل الخلاف على وجه الانصاف . ويقضي بحكم لا يقبل التمييز والاستئناف . بمثل حضرة الكاتب النحرير والنطاسي الشهير الدكتور شميل " . فرضي الباقون بما اقترحه هذا . اما انا فأكرهتُ عليهِ بحكم الاغلبيَّة . وها قد رُفعت المسألة الى حضرة الحكم المذكور . واخاف ان يجيء حكمهُ العادل مخالفًا لما يريدهُ الجنس اللطيف والمتشيّعون لهُ الاَّ اذا سبقت احدى النساء او احد المدافعين عنهنَّ الى نقض الاسباب المتقدمة واثبات سبب آخر اوجب انقطاعهنَّ عن الانشاء . ودعا الى مخالفتهنَّ ايَّانا في طريق التقدم والارتقاء . فارتفعنَ الى اسفل وتقدمنَ الى وراء

ويسوءني القول انهُ اذا انقضى شهرٌ على صدور هذه المباحثة ولم يَرِد عليها دحض او دفع ولا تكرّم حضرة الدكتور شميل بحكمهِ فيها صحَّ ما قالهُ الرابع عند الخاصّ والعام . وهي نتيجةٌ مؤلمة عسى انها لا تصح ولو في الاحلام

القاهرة اسعد داغر

رواية جذيمة والزبَّاء

لجانب المقتطف الاغر

ان يفت المرء حظهُ الماديّ من الكتابة والتأليف في بلاد غشيها ما غشيها ممَّا يفسرهُ قول المقتطف الاغر في عدد شهر نوفمبر الجاري اثناء الكلام على رواية ريحانة النفوس اذ قال " ولكن شتان في النجاح المالي بين الدكتور الاميركي والدكتور اللبناني لان الاول يكتب لابناء اللغة الانكليزية وهم مئة وعشرون مليونًا من المتعلمين المتهذبين والثاني يكتب لابناء اللغة العربية وقراء الكتب منهم لا يبلغون عشرة آلاف " فلا يفتهُ حظهُ الادبي بعرفان ذوي

(١) اشارة الى ما كتبهُ جناب الدكتور سليم بك موصلي في الجزء السادس من سنة المقتطف السادسة

الفضل والنبل فضل عملهِ وتقديرهم قدرهُ بل لن يفوتهُ ذلك وفي الناس اولو بقية من ذوي الفضل والنبل — والعاقل الاديب من اذا ظفر بهذا الحظ الادبي رأى انهُ قد فاز فوزاً عظيماً واجتنى كل ثمرات اتعابهِ ووفاهُ الله اجرهُ ذلك لانهُ يجد في المحمدة خصوصاً اذا كانت خالصة من شوائب الرياء لذة معنوية اومسرَّة نفسية لا يدرك عشر معشارها امثال أُولئك الذين ينشرون بين ظهرانينا من حين الى حين مطبوعات يسمونها كتباً ومؤلفات لا فخر فيها ولا محمدة بل هي المخزيات بعينها ثم تروج بضاعتهم وتربح صفقتهم اما بحكم السمعة والصيت الكاذبين او بطبيعة ميل السواد الاعظم منا للسخرية والهزء — اقول — وعلى نسبة اقدار ذوي الفضل الذين يزنون الاعمال و يقومونها بقيمتها وتفاوتهم في درجات العلم والعرفان تتفاوت ايضاً تلك اللذة المعنوية مراتب ومنازل وتختلف بالتبعية لهم في القيمة والمقدار . واذا كان احد الكتَّاب والمؤلفين قد ظفر بالنصيب الاوفر من الحظ الادبي وفاز باعظم لذة معنوية لا تعدلها بقية الملاذ مجتمعة فانا هو ذاك بذكركم اياي وروايتي (جذيمة والزبَّاء) في المقتطف الجليل — نسخة شهر نوفمبر — باحسن ما يُذكر بهِ كاتب وباجمل ما يقرظ بهِ كتاب — و يعلم الله اني حين اقدمت على وضع تلك الرواية حتى فرغتُ منها ما كنتُ لاطمع في مثل هذا الفخر وكل ذلك الفضل الذي اولانيهِ المقتطف ومنشئاهُ اللذان لو كان لغيرهما من كتاب الجرائد فضل على الناس في تنمية الملكات وتهذيب الكتابة فهما قد علما الناس السحر فلا بدع اذا تقلدت هذه المنة قلادة شرف وتطوقتها طوق فخر دونهما العقيان واطواق اللؤلوء والمرجان . اما الشكر عليها فان سكت عنهُ فعذري أني لستُ بالغاً منهُ ما أُريد فتقبلاهُ والعذر عند كرام الناس مقبول

هذا وسواء افلحت باقبال الناس على تلك الرواية او لم افلح بادبارهم عنها ويكون ذنبها عند التلاوة صوغها بحيث علمتم ولدى التمثيل خلوها من دعاوي العشق والغرام فلن يقعدني ادبارهم او انصرافهم عن الحذو على مثالها والنسج على منوالها كلما سنحت لي فرصة ما دام يكون نصيبي عرفان امثالكم قيمة ما نحسن مع اني بفضل الله قد ظفرت ايضاً باقبال كثير من الادباء على تلاوتها اقبالاً يفوق اقبالهم على غيرها من الروايات

واسمحوا لي حفظكم الله بتصويب عبارة نقلها المقتطف الاغر من الرواية فقد كتب " ان الانسان مع المحجبة الجاهلة يعيش اكثر من نصف عمرهِ الخ " والصواب هو " لا يعيش اكثر من نصف عمرهِ الخ"

محمد حليم بالمعارف

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة



جورج ساند

هي ارمنتين لوسيل اورور المعروفة باسم جورج ساند الكاتبة الفرنسوية من نوابغ الطبقة الاولى بين الكتَّاب الفرنسويين . ولدت بباريس سنة ١٨٠٤ وتوفي ابوها وهي طفلة فاقامت مع جدتها لابيها وهي اصلاً ارملة الكونت هورن ابن الملك لويس الخامس عشر وابنة المارشال ساكس بن اغسطس القوي منتخب سكسونيا وملك بولندا ففي عروق جورج ساند شيء من دم الملوك وكانت تفتخر بذلك . ويقال انها ولدت في ليلة راقصة ولما أُخبر ابوها بولادتها قال لقد ولدت بين الازهار والاوتار فسيكون السعد طالعها

وكانت جدتها تقيم في قصر لها في نوهان بولاية بري في اواسط البلاد حيث المعيشة جبليَّة طبيعيَّة فنشأَت على حب الطبيعة ورسخ ذلك في نفسها رسوخاً لم تمحهُ الايام . هناك عرفت اساليب الفلاحين ودرست اخلاق الناس درساً بقي في ذاكرتها لتستحضرهُ حين الحاجة اليهِ وتدمجهُ في ما الفتهُ من الروايات

وكان لابيها مشاركة في فنون الادب ويظهر من مكاتيبهِ لها انهُ كان بارعاً في الوصف ومعرفة طبائع الناس فورثت ذلك منهُ وهي القائلة " الاخلاق موروثة في الغالب . اذا اراد القرَّاء ان يعرفوني فليعرفوا ابي" ولما توفي ابوها كفلتها جدتها على ما تقدَّم لانها انفت ان تربي

مع امها وهي من اصل وضيع دون اصل ابيها . وكان لشيخ القرية التي فيها جدتها المام ببعض العلوم لانهُ كان اصلاً رئيس دير فعني بتعليمها وهو من الذاهبين مذهب روسو في وجوب ترك الاولاد الى الطبيعة واغرائهم بحبها والتعلم منها فجرى على ذلك في تعليمها وكانت عصبية المزاج يصيبها الاغماء وترى رؤًى تتجلى لها كأنها حقائق فلم تنخدع بها بل علمت انها من هواجس الخيال

ولما بلغت الثالثة عشرة أُتي بها الى باريس ووُضعت في دير الراهبات الاوغسطينيات الانكليزيات فبقيت فيهِ سنتين لم تخرج الى خارج اسوارهِ وهو انقلاب سريع من معيشة البر والخلاء الى معيشة الدير ضمن الاسوار لكن طبعها كان سلساً يقنع بكل شيء

وسنة ١٨٢٠ اعادتها جدتها اليها فعادت الى المعيشة الخلوية الى الركوب والصيد والجولان في الحراج وبين المروج الى محادثة الفلاحين وسماع اقاصيصهم وقرأت مختلف الكتب مثل ارسطو وليبنتز ولوك وكندلياك في الفلسفة ورنه وتشيلد هرلد في الادب وتركت الزهد جانباً ورأت ان التدين الصحيح لا يقضي بالانقطاع عن العالم ومهامهِ وبقيت على وداد صديقاتها الاوَل من راهبات الدير الذي ربيت فيهِ حتى عزمت على العودة اليهِ حينما توفيت جدتها لكن اصدقاءها صرفوها عن هذا العزم فتزوجت برجل اسمهُ ديدفان وولدت لهُ ولدين ابناً وابنةً ولم يكن من ذوقها وهو ضابط ترك الجيش وانقطع الى الفلاحة فكان يهتم بارضهِ ومواشيهِ اكثر مما يهتم بزوجتهِ وولديهِ فصبرت عليهِ الى ان عيل صبرها فتركتهُ برضاهُ وتركت لهُ املاكها واخذت ابنها ومضت الى باريس تفتش عن عمل تعيش منهُ لان زوجها قطع لها ستين جنيهاً فقط في السنة فرضي دولاتوش محرر الفيغارو ان تكتب لهُ بعض المقالات فلم يبلغ كسبها في الشهر سوى خمسة عشر فرنكاً وكان في ادارة الفيغارو شاب اسمهُ جول ساندو فاتفقت معهُ على ان يؤلفا رواية فالفاها معاً ونشراها بعنوان روز وبلانش Rose et Blanche ونسباها الى جول ساند اسم اشتقاهُ من اسمهِ ثم الّفت رواية أُخرى ولم يشأ ان يشاركها فيها فسمت نفسها فيها جورج ساند ومن ثمَّ عُرفت بهذا الاسم

وكان القرَّاء قد ملُّوا قراءة الروايات التاريخية ولم تكن روايات بلزاك الاولى من طبقة الروايات التي انشأها بعدئذٍ فلما نشرت روايتها انديانا تهافتوا عليها تهافت الجياع على القصاع لانهم رأوا فيها غرام روسو وتصوُّر سنت بير وعظمة شاتوبريان مجموعة في صور عصرية حيَّة فرقيت الى اوج الشهرة في يوم واحد وجاءها محرر الفيغارو وكان اول من طرح نفسهُ عند قدميها واستغفرها عن عدم عرفانهِ فضلها . وجاهر العلماء باستحسانهم اسلوبها و بحث الجمهور عن اصلها وفصلها حتى عرفوا اسمها ووفوها حقها من الاكرام

وبعد شهرين نشرت قصَّة ثالثتين فاثبتت ان فيها مبدأ فياضاً لا تنفد جدده ولا تخلق ديباجته جلبابه الاختبار الذي اختبرته بتزوجها رجلاً لا تحبه وحلاه ابدع صور الخيال المنتزعة من جمال الطبيعة ومجالي عرائسها

ثم نشرت روايتها الثالثة للي Lélie وهي في حالة من اليأس لا يعلمها الاّ من وقع فيها وهويت رجلاً ومضت معهُ الى ايطاليا ثم ندمت على ما فعلت وكأنَّ التقادير ساقتها الى ذلك لكي تكتب ثلاث روايات عن اختبارها فيهِ كما كتبت روايتيها الاوليين واصفة فيهما اقتران المرأة بمن لا تهواه

وتتابعت رواياتها بعد ذلك وبعضها آخذ برقاب بعض ومالت الى مذهب الفلاسفة الموحدين القائلين بقياس العقل لا بقياس التعليم بعد ان كانت من اللواتي غلبت عليهنَّ الوساوس

وعادت الى قصرها في نوهان فصار نادياً لرجال العلم والفضل من ادباء والفلاسفة وكانت مضيافة ترحّب بهم وتحلّهم على الرحب والسعة وروايتها تنشر تباعاً كأنها ينبوع غزير لا يغيض ماؤه وبقيت على التصنيف الى ان ادركتها الوفاة في السابع من شهر يونيو سنة ۱۸۷٦ وجُمعت مؤلفاتها وطبعت في كتاب واحد فبلغ مئة وعشرين مجلداً

وقد ألّف الناس كتباً في انتقاد رواياتها واساليبها في الانشاء وخلاصة ما اتفقوا عليهِ ان مصنفاتها تنقسم الى ثلاثة اقسام حسب ادوار حياتها ففي الدور الاول كانت مستاءة من اقترانها برجل لا تحبهُ ولا يحبها فاعربت في رواياتها الاربع الاولى عمّا يخالج ضميرها ونسجتها على منوال الروايات الغرامية المشحونة بالغرائب ذاهبة فيها مذهب الكتّاب في ذلك العصر . وفي الدور الثاني كانت قد عاشرت علماء بلادها وفلاسفتها واطلعت على آراء رجال السياسة والدين فنحت في رواياتها هذا النحو فترى فيها الآراء الفلسفية والسياسية والدينية . وفي الثالث انقطعت الى المعيشة الخلوية الساذجة وعاشرت الفلاحين القرويين فضمَّنت رواياتها وصف احوالهم وما فيها من بساطة المعيشة . ويضاف الى ذلك تاريخ حياتها وروايات اخرى صنفتها ولم تنهج فيها منهجاً خاصاً

وقد امتازت بخطة جديدة اختطتها لنفسها وهو انطاق الفلاحين وغيرهم من اهل السذاجة بالكلام الذي ينطقون بهِ عادة لا بكلام العلماء ورجال السياسة . وعبارتها في ذلك وغيرهِ بسيطة فصيحة خالية من التعقيد والركاكة . لكنها لم تفلح في اختراع القصص وتدبير الحيَل لكي تتعلّق نفس القارىء بما يقرأه ويرى فيهِ شيئاً جديداً كلما كرّر قراءتهُ حتى قيل ان من يقرأ رواية من رواياتها لا يهتم بقراءتها مرةً اخرى هذه اكثر مغامز الضعف فيها ومع ذلك

لها المقام الارفع بين كتَّاب العصر

نصائح في تربية الاطفال

(١) لا تزعج الطفل بالصياح والصراخ ولا تدخل بهِ مكاناً كثر اجتماع الناس فيهِ وعلت جلبتهم لان السكينة لازمة لهُ نهاراً وليلاً

(٢) لا تنتهر الطفل ولا تزجرهُ ولا تخفهُ لان كل فعل فجائي يضرُّ بهِ فيشبُّ عصبيًّا سريع التأثر

(٣) لا تضرب الطفل قصاصاً لهُ وقد يجوز الضرب للولد ولكنهُ لا يجوز للطفل

(٤) ابذل جهدك في كل ما يسر الطفل فيشب وطبعهُ مائل الى البهجة والسرور فترضيهِ الحياة ويسرُّ والديهِ والذين يعاملونهُ

(٥) لا ترفع الطفل بذراعيهِ ولا تحاول جعلهُ يقف على قدميهِ قبلما يشتد كعباهُ وحينما يشتد كعباهُ وقدماهُ يحاول من نفسهِ الانتصاب والمشي

(٦) عوّد الطفل التغوط في اوقات مخصوصة فيصير يطلبهُ فيها فقط

نصائح للمرضع

(١) على المرضع ان لا تحمل همًّا وان تبعد عن كل اسباب الهم والغم

(٢) عليها ان تأكل اربعاً في اليوم طعاماً كافياً ومغذيًا ولكنهُ ليس كثير الدسم ولتكثر من شرب اللبن واكل الاثمار الطرية الناضجة ولتقلل من شرب الشاي والقهوة وتمتنع عن شرب المسكرات على انواعها لانها تضرُّ بها وبرضيعها ويمكنها الاستغناء عنها باللبن والمآكل اللطيفة المغذية السهلة الهضم

(٣) على كل والدة ان ترضع طفلها من ثدييها الاَّ اذا منعها الطبيب عن ذلك لضعفها او انحراف صحتها . والرضاعة نافعة للام وللطفل معاً

غسل احرمة الصوف

ضع ملعقتين كبيرتين من البوركس (البورق) وقدر نصف رطل (ليبرة) من الصابون المحلول في الماء في اناء كبير من الماء البارد ومتى ذاب البوركس والصابون في الماء ضع الحرام

فيهِ واتركهُ ليلة كاملة وافركهُ جيدًا في الصباح وارفعهُ من الماء واتركهُ فوقهُ حتى ينضح الماء منهُ ثم ضعهُ في ماء نقي واغسلهُ بهِ وغيِّر الماء مرتين ثم انشرهُ لينشف ولا تعصرهُ ابدًا

نزع لطخ الدم

قد تخيط المرأة شيئًا ابيض لتبيعهُ وتغرز الابرة في اصبعها فتدميها و يتلطَّخ المخيط بدمها فيخسر من ثمنهِ . ويمكن ان تزال عنهُ لطخ الدم بان يذاب النشاء في الماء ويوضع على اللطوخ طبقة سميكة فيزيل اثرها . او تدهن اللطوخ بمذوّب الصودا او البوتاسا ثم بمذوّب الشب الابيض

نساوءُنا والانشاء

في هذا الجزء في باب المراسلة شبهة بل تهمة أُلقيت على حضرات السيدات اللواتي مارسنَ صناعة الانشاء مدةً قصيرةً ثم انقطعنَ عنها سيقرأنها و يصوّبنها او يخطئنها ولهنَّ في ذلك رأيهنَّ . وليس من غرض الكاتب الفاضل الحط من كرامتهنَّ في ما كتبهُ في باب المراسلة وانما غرضهُ حثهنَّ على مجاراة الرجال في مضمار الانشاء لان الجري فيهِ مباح لهنَّ كما هو مباح لاخوتهنَّ وازواجهن . وعلى مَ يقوم من الفرنسويين مثل مدام ده سفنيه التي اوردنا ترجمتها في الجزء الماضي وجورج ساند التي اوردنا ترجمتها في هذا الجزء ولا يقوم من الشرقيات بنات مصر والشام موءلفات مثلهما . ولا يحق لنا ان نتوقع قيام مئات من المؤلفات عندنا كما قام عند الفرنسويين والانكليز والاميركيين ولكن يحق لنا ان تكون نسبة المؤلفات عندنا الى المؤلفين كما هي عندهم والاَّ فنساوءُنا مقصرات عن مجاراة رجالنا . وهذا الحكم خاص بالمسيحيين الذين انشأُوا المدارس لبناتهم كما انشأُوها لبنيهم واما غيرهم من الذين يمنعون تعليم البنات او لا يهتمون بهِ كثيرًا فهذا الحكم لا يتمشي عليهم

وهذا القول لا يغير جوهر التهمة التي مفادها ان ما نشر منسوبًا الى النساء كتب اكثرهُ الرجال وانتحلهُ النساء او نُشر تحت اسمهنَّ . ولا بدَّ ان تحدّد اقلام الكاتبات الفاضلات لدفعها قبل ان يبدي احد حكمهُ فيها وسنرى هل يكتبن شيئًا في دفعها او يرضين من الغنيمة بالاياب وموعدنا الجزء التالي



نقاوي القمح

لا شيء يفضي العزيمة كالمناظرة ولذلك نرى مجلة الجمعيَّة الزراعيَّة ومجلة نقابة اتحاد مزارعي القطر قد زادتا فوائد من حين شرعتا في المناظرة . وفي الجزء الاخير من مجلة النقابة مقالة للمسيو اغاتون موضوعها قمح البذار واختياره وتحضيره ابان فيها ان لا بدَّ لانتقاء نقاوي القمح من استعمال آلات الفرز التي استنبطها الاوربيون لهذه الغاية قال " ومن المقرر الثابت ان قوة الانبات في النبات تتوقف في معظم احوالها على جودة البزور وشدتها . ولبيان تأثير الحبوب الكبيرة والصغيرة في الحاصلات من زيادة او نقصان عمل المسيو ديرز من اكابر الملاَّك الفرنسويين ومهرة مزارعيهم تجارب مفيدة في اراضيهِ ببلدة كابل التي زرتها عام ١٨٩٨ واعجبت بمحصولاتها وهي في مزارعها ومن هذه التجارب ان المسيو ديرز زرع الارض بحبوب كبيرة وصغيرة آتية من نوع واحد من انواع القمح فكانت النتيجة بالتطبيق على المكاييل ومراعاة النسبة بينها وبين المكاييل الفرنسوية كما يأتي

ان القمح الاصفر ذا السنابل المربعة كان محصول الفدان الواحد منهُ من التقاوي الكبيرة البزر ١٧ اردباً من الحب و ١٦ حملة من التبن . ومن التقاوي الصغيرة البزر ١١ اردباً من الحب و ١٠ حملات من التبن وعليهِ فالتقاوي الكبيرة البزر زاد محصولها على محصول التقاوي الصغيرة البزر ستة ارادب حبًّا من الفدان وست حملات تبناً

وقد اتضح لهُ من تجربة أُخرى كانت التقاوي فيها من قمح آخر ان محصول الفدان من التقاوي الكبيرة الحب كان ١٣ اردباً قمحاً و١٤ حملة تبناً . ومن التقاوي الصغيرة الحب كان المحصول ٦ ارادب قمحاً و٧ حملات تبناً

فاذا نظرنا الى نتيجة هاتين التجربتين تقرَّر لدينا ان المزارع الذي يهمهُ زيادة المحصول من اراضيهِ ينبغي لهُ ان لا يدع في التقاوي حبوباً صغيرة بل يقتصر على زرع الحبوب الكبيرة. واذا كان عند المزارع مقداران متساويان من القمح المعد للزرع وحبوب المقدارين متساوية حجماً واحدهما اثقل من الآخر فزرع الثقيل منهما خير من زرع الخفيف . ولثقل القمح اهمية عظيمة جدًّا والقمح البلدي يزن الاردب منهُ من ٣٣٠ الى ٣٤٥ رطلاً فاذا كانت حبوبهُ

وحبوب غيره متساوية الحجم فالواجب ابتياع ارجحهما وزناً واذا كان امام الانسان نوعان من القمح متشابهان الاَّ انهما تختلفان في المصدر فوسيلة الوزن التي هي من ايسر الوسائل احسن واسطة لمعرفة اجودها . والطريقة لذلك هي ان تؤخذ قبضة من احد الصنفين وينتخب منها ١٠٠ حبةٍ تلقى في كوبة مملوءة ماء مضافاً اليهِ شيءٌ من الملح ثم يعمل مثل ذلك بقمح الصنف الثاني وينظر بعد ذلك الى الحبوب التي تطفو على سطح الماء في الكوبتين فما كان منها اقل عدداً من الآخر كان الصنف الذي هو منهُ اثقل واجود . وللاتقاء من الوقوع في الخطاء تعاد العمليَّة مرتين او ثلاث مرات ويؤخذ بدلاً من المئة حبة مئتا حبة

زراعة الليمون

كتب المستر بونابرت مقالةً مسهبة في هذا الموضوع في مجلَّة الشركة الخديوية الزراعية نلخص منها ما يأتي

ان اشجار الفصيلة الليمونية تجود في القطر المصري وتثمر في اوقاتها ولا سيما البرتقال واليوسف افندي والليمون الحامض (الاترج) اما البرتقال فيزرع في كل انحاء القطر ولا سيما في بساتين القاهرة وهو ثلاثة اجناس البلدي واليافاوي والدموي او المالطي اما البرتقال البلدي فاكثرها انتشاراً وثمرهُ اصغر من ثمر اليافاوي واكبر من ثمر الدموي وقشرهُ رقيق وعصارهُ كثير وينضج باكراً ومنهُ نوع شديد الحلاوة لبهُ اصفر يعرف بالبرتقال السكري

واليافاوي أُتي بهِ من يافا وهو اقل انتشاراً من البلدي واثمارهُ اكبر من اثمار البلدي والدموي وقشرتهُ سميكة خشنة وعصارهُ اقل من عصار البلدي ويتأخر نضجهُ عن نضج البلدي ولكنهُ يحفظ زمناً طويلاً بخلاف البلدي فانهُ لا يحفظ الاَّ زمناً قصيراً

والدموي او الاحمر اصغر من الجنسين السابقين والذّ طعماً منهما ولبهُ احمر وحينما ينضج تتلوَّن قشرتهُ بلون احمر ايضاً ويتأخر نضجهُ عن غيرهِ

وينمو البرتقال في كل الاراضي ما عدا الرمليَّة ولكنهُ لا يجود الاَّ في الاراضي الشديدة الخصب العميقة التربة لكي تغور جذورهُ الطويلة فيها ولا بدَّ من ان تكون الارض كثيرة السماد

ويزرع البرتقال بزوراً او يطعَّم تطعيماً في شجر النارنج او الاترج وقد يزرع بالترقيد . اما البزور فتزرع في اواخر فصل الشتاء او ابتداء الربيع في المشاتل او في الصناديق ولا بدَّ من ان تؤخذ البزور من الاثمار مباشرةً وتزرع قبلما تجف لانها تفقد قوة الانبات اذا جفَّت وتزرع صفوفاً بين الصف والاخر ست عقد الى تسع وبين البزرة والاخرى ٣ عقد الى ٤ فتنبت

سريعاً ولا بدَّ لها من سترة تظللها من الشمس من شهر مايو الى سبتمبر وتصنع هذه السترة من خوص النخل . وينقل النبات وعمره سنتان الى ارض كثيرة السماد في المشتل نفسهِ ويجعل البعد بين كل نبتة واخرى ٢٠ عقدةً او نصف متر وتترك فيها سنتين اخريين . وتنقل من هناك الى البستان الذي يراد زرعها فيهِ . ومتوسط البعد بين الشجرة والشجرة اربعة امتار لكنهُ يزيد او يقلُّ حسب خصب الارض وقلة خصبها

ولا بدَّ من الاعتناء باشجار البرتقال وقت نقلها من المشاتل لغرسها حتى لا يكسر جذرها الاوسط ولا ينزع التراب الذي بين جذورها واذا كسر جذرها الاوسط وجب بريهُ بسكين ماضية . ويوضع في كل حفرة تراب ناعم وسماد بلدي مختمر قبل غرس الشجرة فيها ثم تروى الاشجار حال غرسها

ويمكن تطعيم البرتقال في شهر مارس او في شهر اغسطس وقت بداءة الفيضان . وهو يطعَّم اما في النارنج او في الاترج (الليمون المالح او الحامض) ويفضل النارنج على الاترج لانهُ اقوى واسهل انباتاً من البزر واطول اقامةً في الارض . ولا بدَّ من ان تكون الاشجار التي يراد تطعيمها قوية عمرها ثلاث سنوات على الاقل ويتم التطعيم والشجر في المشتل ثم ينقل في السنة التالية الى البستان ويكون التطعيم في ساق الشجرة الاصلي ويحسن قطع بعض الاغصان من الشجرة التي يراد اخذ الطعم منها لكي يقوى البرعم الذي يراد نقلهُ والتطعيم بهِ . والبرتقال المطعَّم تنضج اثمارهُ قبل اثمار البرتقال البزري لكن اثمار البزري اجود من اثمار المطعَّم طعماً واكبر منها حجماً

ولتوقف كثرة الثمر على الخدمة . ويزهر البرتقال ويثمر من غير خدمة ولكن اذا اعتُني بخدمتهِ كثر ثمرهُ كثيراً . فلا بدَّ من حرث ارضهِ وعزقها جيداً ونزع الحشائش منها . ويجب ان لا يعمَّق الحرث الاَّ بعيداً عن الاشجار واما بقربها فلا يعمَّق لئلاَّ تنزع منها الجذور السطحية الصغيرة وهي كثيرة ولا بدَّ من حفظها . وما من شجر يستفيد من السماد اكثر من البرتقال . ويستعمل لهُ السماد البلدي (زبل المواشي) في هذه البلاد ويجب ان يكون مختمراً جيداً وهو يضاف الى الارض في شهر فبراير مرةً كل سنتين ومتى اخذت الاشجار تحمل تسمد كل سنة

ولما كان البعد كثيراً بين اشجار البرتقال وكان حملها يتأخر وجب ان تزرع الارض بينها خضراً او نباتات أُخرى كالخيار والبطاطا الحلوة والبرسيم والبنفسج لكي لا تضيع فائدتها . والعزق الذي تقتضيهِ هذه المزروعات يفيد اشجار البرتقال على شرط ان تسمد جيداً ولا بدَّ

من الاعتناء بالري ويجب ان لا يكون الماء غزيرًا في زمن الازهار

ويتفرع من اشجار البرتقال فروع كثيرة جانبية فيجب نزعها كلها ويترك للشجرة ساق واحدة لا فروع فيها الى علو خمس اقدام وتقطع هذه الفروع بسكين ماضية من جانب الساق تمامًا حتى ينمو القشر فوق القطع ويغطيهُ ومتى بلغت الاشجار اشدَّها تقطع منها الاغصان التي ظهر فيها اليبس او التي نمت على شكل غير حسن

ويبتدئ موسم البرتقال في القطر المصري من اواسط نوفمبر او اوائل دسمبر ويبقى الى ١٥ فبراير وبعضهُ يبكر عن ذلك وبعضهُ يؤخر واجودهُ من ١٥ يناير الى ١٥ فبراير واذا بلغت اثمار الشجرة ٤٠٠ برتقالة فذلك حسن في هذا القطر

ولا بدَّ من الاعتناء بالاثمار حال جمعها لكي لا ترضض ولا سيما اذا اريد نقلها من مكان الى آخر ولذلك يصعد قاطفها على سلم ويقطفها بيدهِ من الاشجار العالية ويترك جانبًا من العرق في كل ليمونة

واذا اريد شحن البرتقال الى الخارج وجب ان يقطف وهو اخضر ولكن بعد ان يتكامل نموهُ ولا داعي لان يترك على الشجرة حتى يصفر لانهُ يصفر من نفسهِ بعد قطفهِ . وينشَّف البرتقال قبل وضعهِ في الصناديق وتلف كل برتقالة منهُ بورقة وتفضَّل اقفاص الجريد على صناديق الخشب ويكون طول الصندوق منها قدمين ونصف قدم وعرضهُ قدمًا ونصف قدم وعلوهُ كذلك ويجعل حاجز في وسطهِ من الجريد ايضًا ليقل هز البرتقال فيهِ . ولا بدَّ من وضع الثمر بعضهُ بجانب بعض تمامًا حتى لا يتحرك بسهولة . ومن ان يكون البرتقال الذي يوضع في الصندوق الواحد من حجم واحد ومن درجة واحدة في النضج

واذا لُفَّ البرتقال بالورق الرقيق ووضع في صندوق من الخشب صفوفًا بينها رمل حفظ زمانًا طويلاً

المزروعات المصرية

اهم المزروعات المصرية المعتمد عليها الآن القطن والقصب والقمح والشعير والذرة والبطاطس والفول والبرسيم ولا بدَّ من ان يُعرف كم يأخذ كل منها من غذاء الارض ولا سيما من عنصر النيتروجين القليل الوجود فيها والذي لا بد منهُ للمزروعات اما الفول والبرسيم فاكثر ما يأخذانهِ من هذا العنصر مستمدٌّ من الهواء ولذلك لا يفقران الارض كثيرًا وما بقي من

المزروعات تختلف نسبة ما تأخذهُ من الارض من النيتروجين وغيرهِ من العناصر الجوهرية على ما ترى في هذا الجدول

	النيتروجين	الحامض الفصفوريك	البوتاسا	الجير
القطن	٥٤	١٩	٤٠	٢٥
قصب السكر	١٢٧	٤٤	٢٩٨	٧١
القمح	٤٣	٢٣	٣٦	١٦
الشعير	٤٧	٢٣	٥٤	١١
الذرة	٦١	٣١	٦٦	١٤
البطاطس	٢٦	١٣	٤٨	٢

هذا ما تأخذهُ زراعة كل فدان بالارطال المصرية من تراب الارض وواضح من ذلك ان القصب يفقر الارض اكثر من غيره من المزروعات ولذلك لا يزرع الاَّ في الارض الجيدة التي اتقنت خدمتها وكثر سمادها وبتلوهُ في ذلك الذرة والقطن. والذرة تفقر الارض اكثر من القطن ولكن يؤكل جانب منها في الارض وتبقى حبوبها في البلاد واما القطن فينزع كلهُ من الارض حطبهُ وقطنهُ وبزرهُ واكثر النيتروجين في البزر فتخسرهُ الارض كلهُ ولكن لو عصر الزيت من البزر في القطر المصري وأُطعم كسبهُ للمواشي وسمدت الارض بزبلها وحرق قشر البزر في المعامل المصرية ورُدَّ رمادهُ الى الارض لما ضاع منها شيءٌ يذكر من النيتروجين

ومن رأي المستر فودن ان القطن يضعف كثيرًا اذا تكررت زراعتهُ في الارض الواحدة ولو لم يأخذ منها عناصر كثيرة . ويظهر لنا ان هذه المسألة لا تزال مفتوحة للبحث لاننا رأينا اراضي كثيرة زُرع فيها القطن سنة بعد سنة مرارًا ولا يزال يجود فيها جودةً فائقة الحد فعسى ان يبحث فيها احد ارباب الزراعة بحثًا مدققًا في انواع مختلفة من الارض لانهُ اذا ثبت ان زرع القطن ممكن ولو مرةً كل سنتين من غير ضرر فمن ذلك فائدة كبيرة

القطن المصري في اميركا

رأينا في التقرير السنوي من الديوان الزراعي في الحكومة الاميركية عن السنة الماضية ان الخواجات لاثروب وفيرتشيلد بعثا عشرين قنطارًا من بزر القطن الينوفتش الى الولايات المتحدة الاميركية فظهر انهُ اقوى على مقاومة الادواء من السي ايلند والابلند ولذلك فمن المحتمل ان تنتشر زراعتهُ في اميركا

العلف من عيدان الذرة

اهتمَّ الاميركيون من مدة وجيزة في جعل عيدان الذرة علفاً للمواشي فوجدوا انهُ اذا صنعت آلة تكسير العيدان وتطحنها اكلتها المواشي واغتذت بها كما تغتذي بالعلف اليابس كالدريس ونحوهِ ويكون لها مزية على غيرها من العلف اليابس في انها تمتص الدبس او الدم فتصير من اجود انواع العلف . والظاهر ان الاميركيين لا يضيعون شيئاً من دم المواشي التي يذبحونها بل يجمعونهُ ويضيفونهُ الى العلف ومعلوم ان الدم من اكثر المواد غذاءً لاحتوائهِ على كل المواد التي يتألف منها جسم الحيوان . والدبس مفيد ايضاً ولو قصرت فائدتهُ عن فائدة الدم وكلاهما يضاف الى دقيق عيدان الذرة فيصير بهِ علفاً مغذياً جداً وقد ثبت بالامتحان انهُ لا شيء مثل دقيق هذه العيدان لامتصاص الدم والدبس لاجل العلف

معرض طنطا الزراعي

فتح معرض طنطا الزراعي في ٢٥ و٢٦ اكتوبر الماضي بعد كتابة باب الزراعة في المقتطف وعرض فيهِ ٢٥٠ حيواناً من الثيران والعجول والجواميس وكانت الثيران ولا سيما ثيران الشغل منها من اجود ما عرض في معارض العاصمة . وفتح المعرض البرنس ابرهيم باشا حلمي نائب رئيس الشركة الزراعية وهذه اسماء الذين نالوا الجوائز في هذا المعرض

جوائز الثور البلدي الذي عمرهُ ٣ سنوات او اكثر

الاولى	السيد محمد الغنيمي	٨٠٠	غرش
الثانية	احمد بسيوني	٦٥٠	غرشاً
الثالثة	خليفه بك حناته	٥٥٠	"
الرابعة	احمد بك فريد	٤٥٠	"
الخامسة	محمد افندي حناته	٣٥٠	"
السادسة	السيد حسين القصبي	٢٥٠	"
السابعة	محمد بك ابو جازية	١٢٥	"

جوائز الثور البلدي الذي عمرهُ من سنة الى ثلاث سنوات

الاولى	مرسي بك ابو جازية	٧٠٠	غرش
الثانية	سيد بك ابو حسين	٥٥٠	غرشاً

الثالثة	خليفه بك رمضان	٤٥٠	غرش
الرابعة	حسن بك زايد	٣٥٠	غرشاً
الخامسة	اسماعيل حماد	٢٥٠	"
السادسة	حسن بك زايد	١٥٠	"
السابعة	حسن بك زايد	١٠٠	"

جوائز بقرة بلدية حلوب او عشار يزيد عمرها على ٣ سنوات

الاولى	سعيد بك ابو حسين	٦٠٠	غرشاً
الثانية	خليفه بك حنانه	٥٠٠	"
الثالثة	منصور بك ابو حسين	٤٠٠	"
الرابعة	حافظ بك منشاوي	٣٠٠	"
الخامسة	سيد بك ابو حسين	٢٠٠	"
السادسة	عبد الحميد افندي سعيد	١٢٥	"
السابعة	منصور بك ابو حسين	٧٥	"

جوائز جوز ثيران خصية للشغل

الاولى	يوسف بك ابو جازيه	٧٠٠	"
الثانية	عوض الله اسكندر	٥٥٠	"
الثالثة	احمد بك الشريف	٤٥٠	"
الرابعة	سيد بك ابو حصين	٣٥٠	"
الخامسة	الشركة الزراعية الصناعية	٢٥٠	"
السادسة	محمود بك عبد الغفار	١٥٠	"
السابعة	احمد بك الشريف	٧٥	"

جوائز جاموس يزيد عمره على ٣ سنوات

الاولى	محمد بك راسم	٥٠٠	"
الثانية	سيد افندي نصر	٣٥٠	"
الثالثة	حسن بك زايد	٢٧٥	"

جوائز جاموس عمره اقل من ٣ سنوات

الاولى	خليفه بك رمضان	٤٠	"

الثانية	خليفه بك رمضان	٢٧٥	غرش
الثالثة	محمد افندي حتاته	١٥٠	"

جوائز جاموسة عمرها اكثر من سنتين

الاولى	منصور بك ابو حسن	٣٥٠	"
الثانية	ابرهيم بك حسن	٢٥٠	"
الثالثة	ابو العينين جاد	١٢٥	"
شهادة درجة اولى	بجيسوي بك سعيد		
شهادة درجة ثانية	شاهين بك الجنزوري		

جوائز خروف مرعز عمره اكثر من سنة

الاولى	محمد بك الهوميل	٣٥٠	"
الثانية	بوغوص باشا نوبار	١٧٥	"
الثالثة	السيد حسين القصبي	١٢٥	"
الرابعة	خليفه بك حتاته	١٠٠	"

جوائز ثلاث نعاج مرعز

الاولى	بوغوص باشا نوبار	٢٠٠	"
الثانية	خليفه بك حتاته	١٥٠	"
الثالثة	السيد حسين القصبي	١٢٥	"
الرابعة	محمد عبد الله	١٠٠	"

جوائز خروف بلدي عمره اكثر من سنة

الاولى	سيد بك سليمان	٢٥٠	"
الثانية	خليفه بك رمضان	١٧٥	"
الثالثة	عبد الحميد افندي سيد	١٢٥	"

جوائز ثلاث نعاج بلدية

الاولى	محمد افندي طاهر	٢٠٠	"
الثانية	عبد الحميد افندي سعيد	١٥٠	"
الثالثة	محمد افندي الخولي	١٢٥	"

جوائز بغل يصلح للاشغال الزراعية ومولود في مصر

الاولى	الشركة الزراعية الصناعية	٤٠٠	غرش
الثانية	عيسوي بك سعيد	٢٠٠	"
الثالثة	ميخائيل بك رزيان	١٠٠	"

جوائز الجمال

مدالية من فضة عيسوي عيسوي ابو راضي

مدالية من برونز عيسوي عيسوي ابو راضي

باب التقريظ والانتقاد

الفقه والتصوُّف

مأْخذ الفقه في الاسلام القرآن والحديث . وقد كان المسلمون في الصدر الاول يتفقهون بفقهِ الشارع الاعظم ثم بفقه اصحابهِ والتابعين . ولما استطارت شرار الشرور بين الاخيار والاشرار والاقرباء والاغيار هلك جمهور كبير من اهل الذكر والفتيا فخيف لعموم البلوى بالجهل ان تضيع الاحكام بموت القادرين على استخراجها ويصبح القضاء والافتاءُ العوبة بايدي من لا خَلاق لهم من العلماء فقيض للفقه بعد ان سكنت نأمة الفتن قليلاً واشتدَّت حاجات الناس الى وضع احكام يسير فيها المسلمون مع الزمن ولا يخرجون عن محور الدين رجال توفروا على حسن خدمتهِ في القرن الثاني والثالث واعتمد اهل السنَّة من بينهم مذاهب الائمة الاربعة وهم مالك والشافعي وابو حنيفة واحمد بن حنبل لاشتهارهم بالعلم والعمل واعتقاد الامة الخير فيهم . فدونوا عنهم آراءهم واحكامهم في العبادات والمعاملات وان لم يسمح هؤلاء الاعلام باخذ شيءٍ عنهم قبل التثبت فيما ذهبوا اليهِ ليرى الباحثون بالبرهان صحة ما عزي الى متن الدين ونقل من اقوال المتسلسل فيهم وعنهم

وبعد هذا حصرت الدائرة واكتفى القوم بما دُوِّن وحرر وانشأ ينقل القرن بعد القرن الى يوم الناس هذا مشفوعاً بما زاد عليهِ الفقهاء الذين جاءوا بعد من الشروح والحواشي التي ارتأَوا اضافتها الى مذاهبهم بحيث اصبح المكتوب في الفقه الاسلامي يربو على مئة حمل من الاوراق ان لم اقل اكثر . وترقت الحال بالمتأخرين حتى كادوا يدثرون اقوال الائمة انفسهم

و يستعيضون عنها بتلك المطولات التي تضيع الاعمار في تعلمها وتضل عقول المستفيدين في محاراتها خصوصاً وقد أُلبست في كل زمن لباساً غير لباسها الاول وصورت بحسب اذواق الحكومات وشهواتهم. وليت المتأخرين اكتفوا بالأُمهات وكفوا الناس مؤنة الاولاد المخدجة التي ولدوها فكانت مكدرة على الامة شرعة ارتقائها

وهناك بقيت فئة قليلة لم ترضَ التقيد بقول عالم من العلماء في اخذ الفقه ولما لم ترَ من العقل حصر الفضل في شخص معين اختارت فتح باب الاجتهاد وإطلاق الحرية لاهل البصر يستعملون عقولهم و يغوصون في عباب الدين فيخرجون منهُ ما هدتهم اليهِ احلامهم وافهامهم. لا سيما والائمة الاربعة وغيرهم من اهل النظر لم يأمروا بالوقوف عند الحدّ الذي وصلت اليهِ مبالغ علمهم وما اشاروا الى العمل بها الاَّ بعد عرضها على المنابع الاصلية الموثوق بها

وهذا كان شأن الحنابلة والشيعة والزيدية والخوارج والمعتزلة وقد تركوا باب الاجتهاد مفتوحاً الى ان يشاء الله لمن توفرت فيهِ شروط الاخذ من الاصل على نحو ما تقرر في كتب الفقه . وقام في القرن الثامن للهجرة الامام ابن تيمية الحراني فجدّد ما عفا من هذا الطريق واصلح ما وقع فيهِ الفقهاء من قبلهِ وفي عصرهِ من الاغلاط الشائعة ولم تساعدهُ العناية لاتمام دعوتهِ فاضطهد وقضى سجيناً في قلعة دمشق . وكان على التحقيق في الاسلام مثل لوثيروس في النصرانية الاَّ ان هذا وُجد في اوربا مئات من المستعدين لقبول دعوتهِ فظهر اصلاحهُ الديني حق ظهورهِ وهذا لقي من المعاكسات ضروباً والواناً الاَّ انهُ خلَّف من الآثار الممتعة ما حصل بهِ نوع من العزاء وترك من التلامذة الاعلام مثل ابن القيم وابن عروة وابن الجوزي وابن رجب وابن الزملكاني والذهبي وغيرهم . ومن العجيب في تاريخ ابن تيمية انهُ كان محبوباً جداً من ملك عصرهِ ولم يقدر ان يكف عنهُ عادية التعصب الاعمى ولوثيروس حماهُ حاكم سكسونيا مع طلب البابا لهُ في ذاك الوقت طلباً حثيثاً

وما برحت بذرة الاجتهاد تنقل من ارض الى ارض وتتلقح الفكرة فيها من ذهن الى ذهن الى ان قام في القرن الثاني عشر محمد بن عبد الوهاب ودعا الناس في نجد وما والاها الى اليقين ومشى على قدم ابن حنبل وابن تيمية في بث روح الاجتهاد وقام بعدهُ الشوكاني اليماني فقال بقولهِ واجتهد برأيهِ ووضع تآليف عدة في الفقه ودعا الى الاجتهاد وعاصرهُ وتقدمهُ ايضاً كثير من العلماء في صنعاء وصعدة ثم قام في القرن الماضي حسن صديق خان ملك بهوبال وألف كتباً جمة وفيها دعوة الى الاجتهاد ولما انتشرت تآليفهُ بالطبع في الهند والاستانة انتبه كثير من نبهاء العلماء الى وجوب الاجتهاد وشاعت هذه الدعوة بعض الشيوع في مصر والشام

والعراق والهند وغيرها من بلاد الاسلام

وممن جاهر هذه الايام بالاجتهاد وتشذيب الفقه من عروقهِ الجافة صديقي الاستاذ الفاضل عبد الحميد افندي الزهراوي من نوابغ رجال سورية فقد نشر رسالة اودعها آراءهُ في الفقهِ والاجتهاد بعبارات تشف عن اقدام ومجانبة للترقيع والتقية وكتبها بقلم حرّ لا يخشى اللوائم وحبذا لو قلل فيها من الخطابيات التي تتكرر عليهِ في تقرير الحقائق العلمية ولعلهُ رأى ان اكثر القوم لا يقنعهم ويؤثر في افكارهم الا مثل هذا اللسان الحادّ

وقد اضاف الى رسالتهِ الجديدة مقالة ثالثة في التصوف بيّن فيها حقيقتهُ وطرفًا من تاريخهِ تضيق هذه العجالة عن الكلام عليها وسأُفرد لها مقالة خاصة في طريد هذه المجلة

القاهرة محمد كرد علي

تقارير ديوان الزراعة السنوي

Annual Reports of the Department of Agriculture 1900.

اهدي الينا تقرير وزير الزراعة في الولايات المتحدة الاميركية عن اعمال ديوان الزراعة في العام الماضي وقد قال سعادتهُ في فاتحتهِ مخاطبًا رئيس الولايات المتحدة " ان الحكومة الاميركية شرعت في الانفاق على مساعدة المباحث الزراعية منذ سنة ١٨٣٩ وبلغ ما انفقتهُ حينئذٍ على هذه الغاية الف ريال ثم انشأت ديوان الزراعة سنة ١٨٦٢ وقد اتسع نطاق هذا الديوان الآن وكثرت فوائدهُ ومن اهم اغراضهِ مساعدة اهل الزراعة والبحث عما تستوردهُ البلاد من الحاصلات الزراعية لكي تهتم بانتاجهِ فيها والبحث في المسكونة عن الحبوب والاثمار والخضر والبقول والقطاني التي يمكن ان تزرع في الولايات المتحدة وتفضل على ما يزرع فيها الآن وانتاج اصناف جديدة من النبات بالتوليد والتجنيس ومساعدة دور الامتحان الزراعي في كل ما يأول الى نفع اهل الزراعة والبحث عن الاسواق الجديدة التي يمكن ان تروج فيها حاصلات البلاد

وما تنفقهُ الحكومة على ديوان الزراعة هو رأس مال تكتسب بهِ البلاد اضعاف ما تنفقهُ الحكومة فالبحث عن تقلبات الهواء صار امرًا ضروريًّا للتجارة واصحاب البساتين وغيرهم من اهل الزراعة . والبحث عن اللحم وخلوهِ من الامراض يأول الى حفظ الصحة العامة والى اقناع البلدان الاجنبية بجودة لحمنا وابتياعهِ منا . وهذا الديوان هو الذي ادخل زراعة البرتقال في كليفورنيا وحفظها من الآفات وهو الذي اعتنى بصناعة السكر والشاي . ومباحثهُ الباثولوجية

منعت خسائر كثيرة كانت تصيب البلاد لولاهُ . وادارة البحث عن الحشرات تفيد البلاد سنويًّا اكثر من كل النفقات التي تنفقها الحكومة على ديوان الزراعة . ولهذه الادارة الفضل في ادخال زراعة التين الازميرلي الى البلاد الاميركية لانها وجدت الحشرة التي يتلقَّح بها هذا التين فافادت البلاد فائدة عظيمة. والبحث عن التبغ افاد البلاد ايضاً فائدة لا تقدَّر بالمال

ثم استطرد الوزير الى ذكر ما فعلهُ كل فرع من فروع ديوان الزراعة وقال ان فرع نشر الكتب والمنشورات الزراعية طبع ووزع في العام الماضي سبعة ملايين نسخة ولم يفِ بالحاجة وقد طبع منذ سنة ١٨٩٧ الفاً وستمئة مؤلف ووزع منها واحداً وعشرين مليون نسخة

تقرير المتحف الوطني باميركا

عن سنة ١٨٩٧ و١٨٩٨

هما كتابان كبيران في الاول منهما ١٠٢١ صفحة ومئات من الصور والرسوم ومقالات مسهبة في شرح ما في ذلك المتحف الكبير . من ذلك مقالة في الحلازين وُضحت بثمانين صفحة من الصور البديعة الصنعة . ومقالة في ادوات التدخين التي كان الاميركيون الاصليون يستعملونها لتدخين التبغ وهي طويلة ملأَت نحو ٣٠٠ صفحة وفيها ٢٣٧ صورة واربع خرائط ومقالة عن السهام والسنان والسكاكين ملأَت ١٧٤ صفحة وفيها ٢٠٠ صورة و٥٨ صفحة مصورة

وفي الكتاب الثاني ١٢٩٤ صفحة واكثرهُ مقالة واحدة عن الافاعي ملأَت نحو ١١٠٠ صفحة ووضحت بثلاثمئة وست وثلاثين صورة

تقرير الدار السمثسونية السنوي

لسنة ١٨٩٨

أُهدي الينا هذا التقرير المفيد وفيهِ ست وثلاثون مقالة من المقالات العلمية التي كتبها كبار العلماء في مواضيع مختلفة فلكيَّة وطبيعيَّة وفسيولوجيَّة وجيولوجيَّة وما اشبه مثل مقالة للسر نورمن لكيير في كيمياء النجوم ومقالة للمسو لوي والمسيو لويزو عن وجه القمر ومقالة للاستاذ لنغلي عن مذهب لاساج في الجاذبيَّة ومقالة للاستاذ دوَر عن تسييل الهيدروجين والهاليوم ومقالة عن اصل الانسان للمسيو اجين دبوي ومقالة عن برون سيكار للاستاذ برتلو ونحو ذلك من المواضيع العلمية المفيدة

والدار السمثسونية تمتلك نحو مئتي الف جنيه من هبات منشئها المستر سمثسن وغيره من الكرماء يبلغ ريعها في السنة نحو عشرة آلاف جنيه تنفقها على نشر العلوم والفنون في الولايات المتحدة الاميركية وعضد العلماء والفضلاء فتفيد البلاد فوائد تقدَّر بالملايين وهي من جملة الوسائل الكثيرة التي ارتقت بها تلك البلاد وفاقت سائر بلدان الارض غنىً وعزَّةً في سنين قليلة

مقدمة ابن خلدون

مقدمة ابن خلدون كتاب غني عن التعريف وقد عني بشكلهِ حضرة الكاتب البليغ رشيد افندي عطيه احد محرري جريدة لسان الحال ثم نظر فيهِ وصحح ما احالتهُ عن اصلهِ ايدي النساخ والطبَّاع حضرة العالم المدقق واللغوي المحقق المعلم عبد الله افندي البستاني وطبع طبعاً متقناً بالشكل الكامل في مطبعة لسان الحال المعروفة بالمطبعة الادبية وجُعل ثمن النسخة منهُ خمسة فرنكات وهو ثمن زهيد في جانب ما اقتضاهُ طبعهُ على هذه الصورة من العناء الكثير

كتاب مسك الدفاتر

بقلم حضرة الاديب سليم افندي ابرهيم صادر صاحب المكتبة العمومية في بيروت وهو حسن الاسلوب قريب المأخذ جامع ما يحتاج اليهِ طالب هذا الفن وقد يدركهُ فيهِ من غير استاذ او بارشاد قليل . وثمنهُ عشرة غروش وهو يطلب من المكتبة العمومية في بيروت

رواية

عوامل النجاح ووسائل الاصلاح

وضع هذه الرواية حضرة الكاتب الاديب مينا افندي راغب ورصَّعها بكثير من الآيات الكتابية والابيات الحكمية والمواعظ والحكم وجعل وقائعها في هذا القطر لكي يذكر فيها العادات التي يجب الاقلاع عنها والفضائل التي يجب التمسك بها فاجاد وافاد . وحبذا لو ترك السجع واكتفى باصلاح كلام المتكلمين حتى يصير معرباً وقلَّل من الاشعار حيث لا تنتظر ممَّن نُسبت اليهِ فان القارئ يود ان يكون ما يقرأهُ او يسمعهُ وارداً على اسلوبهِ الطبيعي من غير تكلُّف كثير واما حيث الكلام وارد عن لسان واضع الرواية فلا بأس بافراغهِ في قالب السجع والشعر ايضاً

باب المسائل

(١) اختراع الدراجة

سان بولو بالبرازيل الخواجه ابرهيم شحاده فرح . في اي سنة اخترعت الدراجة (البسيكل) ومن هو مخترعها وهل ركوبها مفيد للصحة وموافق للاجسام في اي عمر كان

ج صنع البارون فون دراس الفرنسوي نزيل انكلترا دراجة منذ سنة ١٨١٨ وكان يركب عليها ويدفع الارض بقدميهِ فتسير بهِ ثم اهملت لتهكّم الناس على راكبها . وسنة ١٨٤٦ صنع رجل اسكتلندي اسمهُ غافن دازل دراجة سميت الحصان الخشبي ولكن لم يشع استعمالها حتى سنة ١٨٦٧ حين اضاف اليها المسيو ميشو الدواستين والمقبض الذي تدار بهِ العجلة المتقدمة فشاعت كثيرًا ثم أُهمل امرها لانها كانت تتعب راكبها كثيرًا حتى سميت بما معناهُ هازة العظام (boneshaker) واخيرا اضاف اليها الانكليز اطار الكاوتشوك واصلحوا فيها اصلاحات أُخرى حتى صارت على ما هي عليهِ الآن .

وركوبها مفيد للاعمال لانهُ يغني عن المشي والانتقال بها اسرع كثيرًا من الانتقال بالمشي واقل تعبًا وتفيد الصحة لانها تروّض الجسم

ولكن الافراط في ركوبها مضرٌّ جدًّا ولا سيما للمصابين بالامراض القلبيَّة . والشكل الواطئ المقبضين او الذي مقعدهُ بعيد عن مقبضيهِ يضرُّ دائمًا من يركبهُ لانهُ يضطرهُ الى الاحديداب فلا يجوز للاولاد ان يركبوهُ

(٢) تعمير الزنوج في برازيل

ومنهُ . ما هو السر في تعمير الزنوج في هذه البلاد فان عمر احدهم وهو ساكن في عاصمة الجمهورية ١٥٠ سنة ويوجد غيرهُ كثيرون من الذين فاقوا المئة وتقول احدى المجلات البرازيليَّة ان الرجل المشار اليهِ آنفًا اكبر انسان في العالم

ج اننا لم نرَ لاحد بحثًا عن سبب تعمير الزنوج في برازيل وما من دليل على انهم يعمرون فيها اكثر مما يعمرون في غيرها . ويظهر لنا ان الناس الذين يدَّعون بكثرة المعمرين منهم هم الذين لا يدققون كثيرًا في تواريخ المواليد ففي ارلندا ٥٧٨ من الذين جازوا المئة ولكن ليس في انكلترا كلها سوى ١٤٦ من الذين جازوا المئة . وفي البلغار ٣٨٨٣ من الذين جازوا المئة ولكن ليس في المانيا كلها سوى ٧٨ نفسًا من الذين جازوا المئة . وادّعاء الناس انهم جازوا المئة لا يؤخذ حجَّة الا اذا ثبت ثبوتًا ينفي كل ريب . والرجل الذي تشيرون اليهِ ذكرناهُ في الصفحه ٨٧٩ من

المجلد العشرين من المقتطف في الكلام على التعمير والعمران وقيل هناك ان عمرهُ ١٥٠ سنة فان كان لا يزال حيًّا فقد بلغ عمرهُ الآن ١٥٥

(٣) النمو في الصيف والشتاء

مصر. حسن افندي حسين يوسف مهندس بقلم المساحة. هل نمو جسم الانسان اكثر في فصل الصيف منهُ في فصل الشتاء وما الدليل على ذلك

ج ان نمو الجسم يكون على اكثرهِ في فصل الخريف واوائل الشتاء ثم يقل رويدًا رويدًا حتى ينقطع في شهر ابريل ومن ثم يأخذ الجسم في النقصان فيفقد ما اكتسبهُ في فصل الشتاء ولا يبقى فيهِ الاَّ ما اكتسبهُ في الخريف هذا اذا كان آخذًا في النمو واما اذا كان قد بلغ شدَّهُ فيفقد كل ما اكتسبهُ. وقد اوضحنا ذلك و ذكرنا ما يظن من اسبابهِ في الصفحة ١٦٦ من المجلد الثالث عشر من المقتطف

(٤) تمييز الجنين

ومنهُ. هل يمكن ان يميز ما اذا كان الجنين ذكرًا او انثى في الشهر الرابع او الخامس بواسطة اشعة رنتجن التي يقال انهُ يرى بها ما في باطن الانسان

ج ان العلامات الظاهرة المميزة للذكر عن الانثى يظهر بعضها في الشهر الرابع وبعضها في الشهر السابع فلا نظن انهُ يتضح الفرق بين الذكر والانثى في الشهر الرابع او الخامس لا سيما وان ما يُرى او يصوَّر باشعة رنتجن مما داخل جسم الانسان لا يكون واضحًا

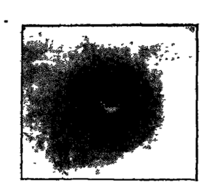
(٥) الصلع وقصب السكر

اسيوط. اسكندر افندي سيد الدمنهوري. وقفت في الجزء العاشر من مقتطف هذه السنة على آراء الدكتور باركر في داء الصلع وقد رجحتم صحتها وقلتم ان النظرية مبنية على اخراج الهواء الفاسد من الرئتين وذلك بان يتنفس الانسان شديدًا. ومعلوم ان مص قصب السكر يلجئ الانسان الى شحن رئتيهِ بالهواء فيكون داعيًا لخروج الهواء المخزون فيهما فضلاً عن انهُ ينقي الدم ويدفئ في الشتاء ويجلو الاسنان فما رأيكم في ذلك

ج اننا لم نرجح آراء الدكتور باركر بل ذكرناها على علاَّتها والحقنا بها علامات الشك المعروفة فقلنا ان كانت الصور التي نشرها منقولة عن صور فوتوغرافية وان صح هذا التعليل وهذا العلاج. "وان" للشك كما لا يخفى. وهب ان العلاج صحيح والتعليل صحيح فمص القصب لا يفي بالغرض لان المراد بالتنفس الشديد التنفس الذي يخرج الهواء كلهُ من الرئتين بالزفير بعد ان تملأا بالشهيق لان معنى التنفس ادخال النفس الى الرئتين واخراجهُ منهما فاذا ادخل الانسان الهواء الى رئتيهِ بشدَّة اضطرَّ ان يخرجهُ منهما بشدة ايضًا فتتطهران مما فيهما وذلك لا يتم في مص القصب

باب الاخبار العلمية

كسوف الشمس الحلقي



كسفت الشمس كسوفًا حلقيًّا في ١١ نوفمبر ابتدأ الكسوف في القاهرة الساعة ٦ و لدقيقة ٣٠ والثانية ٧ صباحًا وصار حلقيًّا الساعة ٧ والدقيقة ٥١ فصارت الشمس حلقة من نور وظهرت من خلال الزجاج المدخن كسوار من النضار او من البلور المصبوغ بلون البهار . ودام الكسوف الحلقي ثماني دقائق وسبع ثوانٍ وانتهى كلهُ وخرج القمر من امام وجه الشمس الساعة التاسعة والدقيقة ٣٣ والثانية ٦ . وقد قدَّر المرصد المصري انهُ يكسف ٠٫٩٥ من قطر الشمس حينما يتوسط الكسوف لكننا رأينا المكسوف اقل من ذلك كثيرًا وصوَّر احد اصدقائنا الشمس بالفوتوغرافيا وهذه هي صورتها منقولة الى التوتيا و يظهر فيها قطر القمر اصغر مما كنا نراهُ بالعين والحلقة الباقية من الشمس اوسع مما كنا نراهُ لانَّ نورها طفَّ على ما حولها وداخلها فاتسعت منطقتها

وقل النور كثيرًا وقت انتصاف الكسوف حتى ظُنَّ الضحاء مساء وصارت دنانير النور في ظلال الاشجار اهلة لحلقات فاهلَّة وعادت مستديرة لما انتهى الكسوف

وظهر هذا الكسوف حلقيًّا في جانب كبير من القطر المصري من دمياط شمالاً الى قرب المنيا جنوبًا . وجاء علماء الرصد من اوربا الى القاهرة ورصدوا الكسوف وصوروهُ وصوَّروا طيف النور وهو مارٌّ على حدّ القمر ليروا هل في جوّهِ هواء يمتص اشعة النور فلم يجدوا للهواء اثرًا

الفحم من نفاية الخشب

رأى اهالي اسوج سبيلاً جديدًا للكسب من حراجهم الكثيرة فانهم يقطعون منها الخشب و يصنعون الورق ثم يجمعون النفايات الباقية التي لا فائدة منها كالنشارة واطراف الاخشاب و يضعونها في آلة كبيرة تخرِج منها المواد القطرانية وتحوّل باقيها الى صفائح من الفحم . يوضع في الآلة الواحدة تسعة آلاف طن من النشارة وفضلات الخشب فتستخرج

منها ستة آلاف طن من الفحم و٥٢٠ طنا من القطران و٣٠٠ طن من خلاَّت الكلس و٤٥ طناً من الكحول الخشب وثمن ذلك كلهِ ١١٤٨٧ جنيهاً والنفقات التي يقتضيها ٧٦٦١ جنيهاً فيكون الربح الصافي ٣٨٢٦ جنيهاً مما كان يعدُّ نفاية

هبة علميَّة

وعد المستر كارنجي مدينة بتسبرج باربع مئة الف جنيه فوق هباتهِ الكثيرة لها يعطي نصفها للدار العلمية المسماة باسمهِ ونصفها الآخر لمدرسة الصناعة. اما الهبة الكبرى التي وهبها لمدارس اسكتلندا وهي مليونان من الجنيهات فيقول العلماء الآن انها لا تكفي لما يُقصد انفاقها عليهِ ولذلك يطلبون المزيد . هذا شأن الامم التي تطلب الارتقاء فما اعظم الفرق بينها وبيننا فاننا اذا تبرع احد من اغنيائنا بمئة جنيه او بألف جنيه على مشروع علمي اشبعناهُ مدحاً وتبجيلاً حتى يظن انهُ فاق ما يُطلب منهُ وبلغ في الكرم حدَّ الافراط

تلغراف مركوني في ظهر البحر

استنبَّ لسفينتين من السفن ان تخاطبا في ظهر البحر بتلغراف مركوني والبعد بينهما سبعون ميلاً ولا موصل بينهما غير ماء البحر والاثير المنتشر في الفضاء .

بالون ديمون

اقرَّت اللجنة التي فُوّض اليها الحكم في جائزة دوتش على ما ذكرنا في الجزء الماضي ان المسيو ديمون استحقها فأُعطيت لهُ وكتب اليهِ المسيو دوتش يقول "لقد سرَّني جداً ان اللجنة اثبتت رأيي الذي اعربت لك عنهُ مراراً وحكمتْ باستحقاقك الجائزة . وارجو ان لا تقف عند هذا الحد من النجاح بل تتمكن من السير في الهواء بمهارتك وشجاعتك وهمتك" اما الجائزة وهي مئة الف فرنك فقال المسيو ديمون انهُ يعطي نصفها لفقراء باريس ويوزع النصف الباقي على الصنَّاع الذين ساعدوهُ في عمل بالونهِ

الصوت والبعوض

ذكرنا في الجزء الماضي ان بعض الاصوات تجذب البعوض فيحوم حول مصدرها. ثم اطلعنا على رسالة بعث بها السر جرام مكسم الى جريدة التيمس قال فيها انهُ وضع القناديل الكهربائية في ينابيع سراتوغا قرب نيو يورك باميركا سنة ١٨٧٨ فجعل محرك الكهربائية يصوت صوتاً كطنين البعوض ولما دنا منهُ وجد الهواء مشحوناً بالبعوض حول الصندوق الذي فيهِ محرك الكهربائية وكلهُ من الذكور . وقد علَّل ذلك بأن الصوت يشبه صوت اناث البعوض فسمعتهُ الذكور وأُغريت بهِ

نيازك نوفمبر

لم ننبّه القراء الى نيازك نوفمبر هذا العام لاننا يئسنا منها بعد ان راقبناها في العام

الماضي والذي قبله على غير جدوى . ولكن يقول الذين راقبوها في الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من الشهر الماضي (نوفمبر) انها كانت كثيرة نوعاً ولا سيما في الخامس عشر فقد عدَّ بعضهم اكثر من مئة نيزك منها في اقل من خمس ساعات

علاج الحمَّى القلاعية

نشرت نظارة الحربية في ايطاليا منشوراً على الاطباء البيطريين تأمرهم فيهِ بان يعالجوا الحيوانات المصابة بالحمَّى القلاعية بحقن من مذوب بركلوريد الزيبق وملح الطعام تحقن بها في اوردتها وتؤلف الحقنة من جرام من بركلوريد الزيبق و ٧٥ جراماً من ملح الطعام ولتر من الماء . ويحقن من هذا السائل ٣٠ سنتمتراً مكعباً في الحقنة الاولى و ٥٠ في الثانية و ٧٠ في الثالثة و ١٠٠ في الرابعة . ويقال ان كل الحيوانات التي عولجت بهذا العلاج شفيت من الحمى القلاعية

ترياق كلمت

نشرت جريدة اللانسست الطبية رسالة جاءتها من طبيب في بلاد الهند قال فيها ما ترجمتهُ " دعيت ليلة الثالث والعشرين من اغسطس الماضي لمشاهدة امرأة لسعتها افعى كبيرة يظن انها الصل الهندي الخبيث وقيل لي ان الافعى لسعتها الساعة السابعة مساء اي قبل وصولي اليها بساعتين ولما وصلت رأيتها قد فقدت الشعور على ما يظهر وشلَّ حلقها وبدت عليها كل علامات الانسمام بسم الصل فحقنتها بحقنة من ترياق كلمت وانا احسب ذلك من قبيل العبث لانني اعتقد انها مائتة لا محالة لكن الترياق فعل بها فعلاً عجيباً فافاقت في اقل من ربع ساعة فحقنتها بحقنة اخرى ولم يمضِ عليها ثلاث ساعات بعد ذلك حتى فارقتها اعراض السم وقامت سليمةً

ترعة بناما ونيكارغوى

يهتم كثيرون من الاميركيين الآن بفتح ترعة نيكارغوى للوصل بين الاوقيانوس الاتلنتيكي والباسيفيكي ويفضلونها على ترعة بناما ويهتم غيرهم باتمام ترعة بناما ويفضلونها على ترعة نيكارغوى ولكنهم يستصعبون الاتفاق مع الشركة الفرنسوية على ما لها من الاملاك والامتيازات . وقد طلبت الشركة الاميركية من الشركة الفرنسوية التساهل لها في بعض الامور فلم تجبها الى طلبها ولذلك عوّلت على اختيار نيكارغوى . وتقدر قيمة ما عند الشركة الفرنسوية من المقتنيات وما اتمتهُ من الاعمال بعشرة ملايين من الجنيهات فاذا قبلت بهذا الثمن فالشركة الاميركية تشتريها منها على ما يظهر وثمنها فيعود الى السهام القديمة شيء من قيمتها الاصلية

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد السادس والعشرين

